سمط النجوم العوالي
في أنباء الأوائل والتوالي

تأليف
عبد الملك بن حسين بن عبد الملك
الشافعي العاصمي المكي
المتوفى سنة ١١١١هـ

تحقيق وتعليق
الشيخ عادل أحمد عبد الموجود
الشيخ علي محمد معوض

الجزء الثاني

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١)٠٠
صندوق بريد: ١١ - ٩٤٢٤ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon


ISBN 2-7451-2615-6

http://www.al-ilmiyah.com.lb/
e-mail : baydoun@dm.net.lb

الباب السادس
من المقصد الثانى
فى ذكر مواليه وخدامه وكتابه وأمرائه ومؤذنيه وخطبائه وجداته وشعرائه وخيله وسلاحه وغنمه ولقاحه وما يتبع ذلك

أما مواليه ﷺ فمنهم: أسامة، حِبُّ رسول الله ﷺ، ابن زيد، وأبوه زيد بن حارثة، أعتقه عليه الصلاة والسلام وزوجه مولاته أم أيمن، واسمها بركة، فولدت له أسامة، وكان زيد قد أسر فى الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فاستوهبه عليه الصلاة والسلام منها. ذكر قصته محمد بن إسحاق فى السيرة[1]، وأن أباه وعمه أتيا مكة فوجداه، فطلبا أن يفدياه، فخيره النبى ﷺ بين أن يدفع لهما أو يبقى عنده، فاختار أن يبقى عنده عليه الصلاة والسلام. وفى رواية الترمذى قال: يارسول الله، لا أختار عليك أحدًا أبدًا. واستشهد فى غزوة مؤتة، رضى الله عنه.

ومات ابنه أسامة هذا بالمدينة - أو بوادى القرى - سنة أربع وخمسين[2].

ومنهم: ثوبان، لازم رسول الله ﷺ، ونزل بعده الشام، ومات بحمص سنة أربع وخمسين[3].

وأبو كبشة أوس - ويقال: سليم - من مولدى مكة، شهد بدرًا[4].

ومنهم: شُقران - بضم الشين - واسمه صالح الحبشى، ويقال: فارسى، شهد بدرًا، وهو مملوك ثم عتق، قاله الحافظ ابن حجر. قال: وأظنه مات فى خلافة عثمان[5].

---

(١) ينظر السيرة النبوية (١/ ٢٨٣) تاريخ الطبري (٢/ ٣١٤) نهاية الأرب (١٦/ ١٨٢) عيون الأثر (١/ ٩٤).

(٢) ينظر ترجمته في الاستيعاب (٢١) أسد الغابة (٨٤)، الإصابة (٨٩)، تهذيب التهذيب (١/ ٢٠٨)، الطبقات الكبرى (٤/ ٦١)، المعارف لابن قتيبة (١٤٤، ١٤٥، ١٦٤، ١٦٦).

(٣) ينظر: الثقات (١/ ٤٨)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٧٠)، تهذيب الكمال (١/ ١٧٦)، (٤/ ٤١٣)، حلية الأولياء (١/ ٣٥٠)، الجرح والتعديل (٢/ ٤٦٩)، مشاهير علماء الأنصار (٣٢٤).

(٤) ينظر: الاستيعاب (٣١٨٤)، أسد الغابة (٦١٩٥)، تلقيح فهوم أهل الأثر (٣٥)، تاريخ دمشق (٢/ ٣٠٥)، الإصابة (١٠٤٤٩).

(٥) ينظر: أسد الغابة ت (٢٤٤٦)، الاستيعاب ت (١٢٠٥)، الثقات (٣/ ١٨٩)، التقريب (١/ ٣٥٤)، تهذيب الكمال (٢/ ٥٨٧)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٢٥٩).

ومنهم: رباح - بفتح الراء وبالموحدة - الأسود، وكان يأذن عليه أحيانًا إذا انفرد، وهو الذى أذن لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى المشربة[(١)].

ويسار الراعى، وهو الذى قتله العرنيون[(٢)].

ومنهم: زيد، أبو يسار - وليس زيد بن حارثة والد أسامة - ذكره ابن الأثير[(٣)].

ومنهم: مِدعَم - بكسر الميم وفتح العين - عبد أسود كان لرفاعة بن زيد الضُّبَيبى - بضم الضاد - المعجمة وبالباء المفتوحة على صيغة التصغير - فأهداه رفاعة إلى رسول الله ﷺ[(٤)].

ومنهم: أبو رافع واسمه أسلم القبطى، وكان للعباس فوهبه للنبى ﷺ. فلما بشر النبى ﷺ بإسلام عمه العباس أعتقه. توفى قبل عثمان بيسير[(٥)].

ومنهم: ابن زيد الجذامى[(٦)].

ومنهم: سفينة بوزن كبيرة. واختلف فى اسمه فقيل: طهمان، وقيل: كيسان، وقيل: مهران. سماه رسول الله ﷺ سفينة لأنهم كانوا حملوه شيئًا كثيرًا فى السفر[(٧)].

ومنهم: مأبور القبطى، أخو مارية القبطية الذى أهدى إليه معها[(٨)].

ومنهم: واقد أو أبو واقد[(٩)].

ومنهم: سلمان الفارسى أبو عبد الله، ويقال له: سلمان الخير، أصله من

---

(١) ينظر: أسد الغابة ت (١٦٠٧)، الاستيعاب ت (٧٤٨) (٣/ ١٢٨)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٧٥)، التحفة اللطيفة (٢/ ٥٤)، الطبقات الكبرى (٩/ ٦٦).

(٢) ينظر: تاريخ دمشق (٢/ ٢٩٧)، التلقيح (٣٥)، الإصابة (٩٣٦١).

(٣) ينظر: أسد الغابة (١٨٨٠)، والإصابة (٢٩٦٠).

(٤) ينظر: الاستيعاب (٢٥٦٧)، وأسد الغابة (٤٨١٣)، والإصابة (٧٨٧٣).

(٥) ينظر: تجريد أسماء الصحابة (١٦٤٢)، والاستيعاب (٢٩٨٩)، أسد الغابة (٥٨٧٤)، والإصابة (٩٨٨٨).

(٦) ينظر: سبل الهدى والرشاد (١١/ ٤٠٧).

(٧) ينظر: أسد الغابة ت (٢١٣١)، الاستيعاب (١١٤٠)، أنساب الأشراف (١/ ٤٩٠)، حلية الأولياء (١/ ٣٦٨)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٢٥). أما سبب تسميته بذلك فأخرجه أحمد (٥/ ٢٢٠، ٢٢١).

(٨) ينظر: أسد الغابة (٤٥٥٠)، تاريخ دمشق (٢/ ٢٩٠)، والإصابة (٧٥٩٧).

(٩) ينظر: الاستيعاب (٢٧٥٣) وأسد الغابة (٥٤٨٣)، وتجريد أسماء الصحابة (٢/ ١٢٦)، تاريخ دمشق (٢/ ٢٩٥)، والإصابة (٩١١٨).

« أصفهان »، وقيل: من « رامهرمز »، أول مشاهده الخندق، وهو المشير بعمله على رسول الله ﷺ مات سنة أربع وثلاثين، يقال: بلغ من العمر ثلاثمائة سنة[١].

ومنهم: سمعون بن زيد، قال ابن حجر: حليف الأنصار، ويقال: مولى رسول الله ﷺ. شهد فتح دمشق، وقدم مصر، وسكن بيت المقدس[٢].

ومنهم: أبو بكرة، نفيع بن الحارث[٣]، سمى بذلك لأنه تدلى ببكرة من حصن الطائف إلى النبى ﷺ بعد قوله ﷺ : « من نزل إلينا فهو حر »[٤].

ومن النساء: أم أيمن الحبشية[٥]، وسلمى أم رافع[٦]، ومارية[٧]، وريحانة[٨]، وسيرين أخت مارية[٩]، وغير ذلك.

قال ابن الجوزى: مواليه ثلاثة وأربعون، وإماؤه إحدى عشرة [١٠].

وأما خدامه ﷺ فمنهم: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد، الأنصارى، الخزرجى، يكنى أبا حمزة[١١]، خدم النبى ﷺ تسع أو عشر سنين، ودعا له ﷺ

---

(١) ينظر: أسد الغابة ت (٢١٥٠)، الاستيعاب ت (١٠١٩)، الطبقات الكبرى (٤/ ٥٤)، طبقات خليفة (٧/ ١٨٩)، الجرح والتعديل (٤/ ٢٩٦،٢٩٧)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٢٦-٢٢٨)، دول الإسلام (١/ ٣١،٣٤٤).

(٢) ينظر: أسد الغابة ت (٢٤٥٠)، الاستيعاب ت (١٢٠٩)، الثقات (٣/ ١٨٩)، تهذيب الكمال (٢/ ٥٨٨)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٢٥٩)، الطبقات الكبرى (١/ ٥٣).

(٣) ينظر: الطبقات الكبرى (٧/ ١٥)، التاريخ الكبير (٨/ ١١٢)، طبقات خليفة (٥٤)، الثقات لابن حبان (٣/ ٤١١)، أنساب الأشراف (١/ ٤٩٠)، البداية والنهاية (٨/ ٥٧).

(٤) سيأتي في غزوة الطائف.

(٥) ينظر: أسد الغابة ت (٧٣٧١)، الاستيعاب ت (٣٥٧٩)، تجريد أسماء الصحابة (٢/ ٣١٣)، الكاشف (٣/ ٤٨٥)، تهذيب الكمال (٣/ ١٧٠٠)، الجرح والتعديل (٩/ ٤٦١)، العبر (١/ ١٣).

(٦) ينظر: أسد الغابة ت (٧٠٠٥)، تاريخ دمشق (٢/ ٣١٢)، الإصابة (١١٣٣١).

(٧) ينظر: الاستيعاب (٣٥٤٣)، أسد الغابة (٧٢٧٦)، الإصابة (٧٢٧٦).

(٨) ينظر: الاستيعاب (٣٣٩٦)، أسد الغابة (٦٩٤٢)، الإصابة (١١٢٠٣).

(٩) ينظر: الثقات (٣/ ١٨٥)، أعلام النساء (٢/ ٢٧٨)، تجريد أسماء الصحابة (٢/ ٢٨٠)، الاستيعاب (٣٤٤٣)، أسد الغابة (٧٠٤٠)، الإصابة (١١٣٦٦).

(١٠) ينظر: تلقيح فهوم أهل الأثر (٣٤-٣٥).

(١١) ينظر: الطبقات الكبرى (٧/ ١٧)، المعرفة والتاريخ (١/ ٥٠٦)، الأخبار الطوال (١١٨)، الثقات (٣/ ٤)، رجال صحيح البخاري (١/ ٨٦)، رجال صحيح مسلم (١/ ٦٥)، مروج الذهب (١٧٥٦)، عيون الأخبار (١/ ٢٤٦).

فقال: « اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة »[١]. فقيل: بلغت أولاده المائة. قال أبو هريرة: ما رأيت أحدًا أشبه صلاة برسول الله ﷺ منه. توفى سنة ثلاث وتسعين - وقيل: اثنتين، وقيل: إحدى - وقد جاوز مائة سنة.

ومنهم: ربيعة بن كعب الأسلمى، صاحب وضوئه عليه الصلاة والسلام، توفى سنة ثلاث وستين[٢].

ومنهم: أيمن بن أم أيمن، صاحب مطهرته ﷺ استشهد يوم حنين[٣].

ومنهم: عبد الله بن مسعود بن غافل - بالغين والفاء - ابن حبيب الهذلى، أحد السابقين الأولين شهد بدرًا والمشاهد كلها، كان صاحب وسادة رسول الله ﷺ وسواكه ونعليه وطهوره، كان يلى ذلك كله، وكان إذا قام النبى ﷺ ألبسه نعليه، وإذا جلس جعلهما فى ذراعه حتى يقوم. وكان قصيرًا طوله ذراع، توفى بالمدينة، وقيل: بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: سنة ثلاث[٤].

ومنهم: عقبة بن عامر بن قيس بن عمرو الجهنى، وكان صاحب بغلته، يقودها به فى الأسفار[٥]، روينا عنه أنه قال: بينما أنا أقود برسول الله ﷺ فى نقب من تلك النقاب، إذ قال لى: يا عقبة اركب، فأجللت رسول الله ﷺ أن أركب مركبه، ثم أشفقت أن يكون معصية. قال: فركبت هنية ثم نزلت، ثم ركب النبى ﷺ وقدت، ثم قال لى: يا عقبة، ألا أعلمك من خير سورتين قرأهما الناس ؟ فقلت: بلى، بأبى أنت وأمى يارسول الله. فقال ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق: ١] ، و ﴿ قُلْ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٨١/١٤٣)، وأحمد (٣/ ١٩٤،٢٤٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٥٣)، وأبو يعلى (٣٣٢٨، ٤٢٣٦، ٤٢٢١)، وابن حبان (٧١٧٧)، والبيهقي (٣/ ٥٣-٥٤) من طرق عن أنس وأخرجه البخاري (٦٣٧٨،٦٣٧٩)، ومسلم (٢٤٨٠)، والترمذي (٣٨٢٩) من حديث أم سليم.

(٢) ينظر: أسد الغابة ت(١٦٦٠)، الاستيعاب ت(٧٦٧)، الثقات (٣/ ١٢٨)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٨١)، الكاشف (١/ ٣٠٧)، الطبقات الكبرى (٤/ ٣١٣)، (٩/ ٦٧).

(٣) ينظر: **الاستيعاب** ت(١٣١)، معرفة الصحابة (٢/ ٣٧٢)، تجريد أسماء الصحابة (٢/ ٣٧٢).

(٤) ينظر: **الاستيعاب** ت(١٦٧٧)، أسد الغابة ت(٣١٨٢)، الثقات (٣/ ٢٠٨)، الجرح والتعديل (٥/ ١٤٩).

(٥) ينظر: أسد الغابة ت(٣٧١١)، الاستيعاب ت(١٨٤٣)، الطبقات الكبرى (٤/ ٣٤٣،٣٤٤)، الجرح والتعديل (٦/ ٣١٣)، الإصابة ت(٥٦١٧).

﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١] الحديث[١]. رواه أحمد وأبو داود والنسائى. وكان عقبة عالمًا بكتاب الله والفرائض، فصيحًا شاعرًا مفوهًا، ولاه معاوية مصر سنة أربع وأربعين، ثم صرفه عنها بمسلمة بن مخلد، وتوفى سنة ثمان وخمسين.

ومنهم: أسلع بن شريك صاحب راحلته ﷺ [٢]، فى الطبرانى.

ومنهم سعد مولى أبي بكر، وقيل سعيد، ولم يثبت[٣]. وروى عنه ابن ماجه.

ومنهم: أبو ذر جندب بن جنادة الغفارى، أسلم قديمًا، وتوفى بالربذة، وستأتى قصته مع عثمان رضى الله عنه فى خلافته، توفى سنة إحدى وثلاثين[٤]، وصلى عليه ابن مسعود، ثم مات ابن مسعود بعده فى ذلك اليوم، قال ابن الأثير وابن حجر: سنة اثنتين وثلاثين.

ومنهم: مهاجر مولى أم سلمة[٥].

ومنهم: حنين والد عبد الله مولى ابن عباس، وكان يخدمه - عليه الصلاة والسلام - ثم وهبه لعمه العباس.

ومنهم: نعيم بن ربيعة الأسلمى.

ومنهم: أبو الحمراء، مولاه ﷺ وخادمه، واسمه هلال بن الحارث وابن ظفر. توفى بحمص، رضى الله عنه.

ومنهم: أبو السمح، خادمه عليه الصلاة والسلام، واسمه إياد.

ومن النساء: بركة، أم أيمن الحبشية، وهى والدة أسامة بن زيد كما تقدم.

ومنهن: خولة، جدة حفص.

ومنهن: سلمى، أم رافع، زوج أبى رافع.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٤٤، ١٤٩، ٥٣)، وأبو داود (١٤٦٢)، والنسائي (٨/ ٢٥٢)، وابن خزيمة (٥٣٤، ٥٣٥) من طريق القاسم مولى معاوية عن عقبة بن عامر، به.

(٢) ينظر تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٥) الوافي بالوفيات (١/ ٤٩) وحديثه عن الطبراني في الكبير (٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧)، وينظر: المجمع (١/ ٢٦٥).

(٣) ينظر: الثقات (٣/ ١٥٤)، الإصابة ت(٣٢٢٨)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٢١٢)، تهذيب الكمال (١/ ٤٧٥)، الكاشف (١/ ٣٥٤).

(٤) ينظر: الاستيعاب (٢٩٨٥)، أسد الغابة (٥٨٦٩)، والإصابة (٩٨٧٧).

(٥) ينظر: الاستيعاب (٢٥٣٤)، أسد الغابة (٥١٣٧)، الجرح والتعديل (٨/ ٢٥٩)، تجريد أسماء الصحابة (٢/ ٩٧)، الإصابة (٨٢٧٥).

ومنهن: ميمونة بنت سعد.

ومنهن: أم عياش، مولاة رقية بنته ﷺ.

وأما كتّابه: فالخلفاء الأربعة رضى الله تعالى عنهم[١].

وأول من كتب له بمكة عبد الله بن سعد بن أبى سرح القرشى العامرى[٢]، أحد بنى عامر بن لؤى، أسلم وكتب الوحى لرسول الله ﷺ ثم ارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين بمكة، فلما فتحها رسول الله ﷺ أهدر دمه فيما أهدر من الدماء، فجاء إلى عثمان فغيبه ثم أتى به إلى النبى ﷺ بعد أن اطمأن أهل مكة، واستأمن له رسولَ الله ﷺ فصمت عليه الصلاة والسلام طويلاً ثم قال: نعم. فلما انصرف عثمان قال النبى ﷺ: ماصمت إلا لتقتلوه. فقال رجل: هلاَّ أومأت إلينا يارسول الله ؟ فقال: ماكان لنبى أن تكون له خائنة الأعين، ثم أسلم ذلك اليوم وحسن إسلامه، ولم يظهر منه بعد ذلك ما ينكر.

وهو أحد الفضلاء الكرماء من قريش، عرف فضله وجهاده. وكان على ميمنة عمرو بن العاص حين افتتح مصر، ولاه عثمان رضى الله عنه مصر سنة خمس وعشرين ففتح الله على يده إفريقية، وكان فتحًا عظيمًا بلغ سهم الفارس فيه ثلاثة آلاف مثقال، وكان معه عبد الله بن عمرو وعبد الله بن الزبير. وغزا بعد إفريقية السوادَ من أرض النوبة سنة إحدى وثلاثين، وغزوة السوارى فى بحر الروم، واعتزل الفتنة حين قتل عثمان، فأقام بعسقلان وقيل: بالرملة، ودعا الله عز وجل أن يقبضه ويعجل وفاته وختم عمره بالصلاة، فسلم من صلاة الصبح التسليمة الأولى، ثم هم بالتسليمة الثانية فتوفى سنة ست وثلاثين وهو الصحيح، وقيل: سنة سبع، وقيل: سنة تسع وخمسين. قال خليفة بن خياط: ووهم من عدَّ والده أبا سرح فى كتابه.

ومنهم: طلحة بن عبيد الله[٣]، أحد العشرة، استشهد يوم الجمل سنة ست وثلاثين وهو ابن ثلاث وستين سنة.

ومنهم: الزبير بن العوام بن خويلد[٤]، أحد العشرة - أيضًا - قتل كذلك سنة

---

(١) ستأتي تراجمهم بتوسع في مواضعها.

(٢) تنظر ترجمته في أسد الغابة ت(٢٩٧٦)، والاستيعاب ت(١٥٧١)، والإصابة ت(٤٧٢٩).

(٣) تنظر ترجمته في أسد الغابة ت(٢٦٢٧)، الاستيعاب ت(١٢٨٧)، الإصابة ت(٤٢٨٥).

(٤) تنظر ترجمته في أسد الغابة ت(١٧٣٢)، والاستيعاب ت(٨١١)، الإصابة ت(٢٧٩٦).

ست وثلاثين يوم الجمل.

ومنهم: أبى بن كعب - [١] بضم الهمزة وفتح الباء - هو أبى بن كعب بن المنذر ابن قيس، الخزرجى، الأنصارى، أبو المنذر، أو أبو الطفيل، سيد القراء. شهد العقبة الثانية وبدرًا وما بعدها، وهو أحد فقهاء الصحابة وأقرؤهم لكتاب الله عز وجل، وقال له رسول الله ﷺ: إن الله أمرنى أن أقرأ عليك ﴿ لَمْ يَكُنِ ﴾ [البينة : ١] لأن فيها ﴿ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾[٢] [البينة: ٢، ٣] روى ابن أبى شيبة وخيثمة ذلك. وهو أول من كتب الوحى بن يدى رسول الله ﷺ بالمدينة، كناه رسول الله ﷺ أبا المنذر، وكناه عمر بن الخطاب رضى الله عنه أبا الطفيل بولده الطفيل بن أبى. مات أبى سنة تسع عشرة، وقيل: سنة عشرين، وقيل: اثنتين وعشرين، وقيل سنة ثلاثين فى خلافة عثمان رضى الله عنه.

ومنهم الأرقم بن أبى الأرقم، عبد مناف بن أسد بن جندب المخزومى، كان من السابقين إلى الإسلام، هاجر وشهد بدرًا وما بعدها، ثم توفى وله خمس وثلاثون سنة.

ومنهم: ثابت بن قيس رضى الله تعالى عنه، وهو ثابت بن قيس بن شماس بن مالك، الأنصارى، الخزرجى، أبو عبد الله، وقيل: أبو محمد، خطيب رسول الله ﷺ وشهد له بالجنة. شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، قتل يوم اليمامة شهيدًا فى أيام أبى بكر سنة إحدى عشرة، وكان خرج مع خالد بن الوليد إلى قتال مسيلمة بها، فلما التقوا انكشفوا، فقال ثابت وسالم مولى أبى حذيفة: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ. ثم حفر كل واحد منهما لنفسه حفرة وثبتا وقاتلا حتى قتلا، وعلى ثابت درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها، فبينا رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت فى منامه فقال له: إنى أوصيك، فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعها، إنى لما قتلت أمسِ مر بى رجل من المسلمين فأخذ درعى، ومنزله فى أقصى الناس، وعند خبائه فرس يستنُّ فى طوله، وقد كفأ على الدرع برمة. فائت خالدًا فمره أن يأخذها، فإذا قدمت على أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ فقل له : إن علىَّ من الدَّين

---

(١) ينظر: الاستيعاب ت(٦)، تاريخ خليفة (١٦٧)، التاريخ الكبير (٢/ ٣٩ - ٤٠)، والجرح والتعديل (٢/ ٢٩٠)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٠٨، ٤٩٥٩)، ومسلم (٧٩٩/ ٢٤٦)، والترمذي (٣٨٩٢)، والنسائي في التفسير (٧١١) من حديث أنس.

كذا وكذا، وفلان من رقيقى عتيق. فأتى الرجل خالدًا فأخبره، فبعث إلى الدرع فأتى بها. وحدَّث أبا بكر فأجاز وصيته، ولا يُعلم أحد أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت هذا.

ومنهم: خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن سعيد، القرشى، الأموى، أسلم قديمًا، وقيل: إنه أول من كتب « بسم الله الرحمن الرحيم » قيل: إنه أسلم بعد أبى بكر فكان ثلث الإسلام، وقيل غير ذلك. هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وأقام بها بضع عشر سنين، وأهدى لرسول الله ﷺ خاتمه الذى نقش عليه « محمد رسول الله » ﷺ ، الذى وقع فى بئر أريس.

ومنهم: زيد بن ثابت - رضى الله عنه - وهو زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصارى النجارى، كان هو ومعاوية ألزمهم لذلك. وروى البخارى أن رسول الله ﷺ أمره أن يتعلم كتاب يهود ليقرأه على النبى ﷺ إذا كتبوا إليه، فتعلمه فى خمسة عشر يومًا[١] وروى ابن أبى هاشم عنه قال: كنت أكتب لرسول الله ﷺ، فإنى لواضع القلم على أذنى فأمر بالقتال، فجعل رسول الله ﷺ ينظرماينزل عليه، إذ جاء أعمى فقال: كيف بك يارسول الله وأنا أعمى ؟ فنزلت ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾[٢] [النور: ٦١]. قدم على رسول الله ﷺ المدينة وهو ابن إحدى عشرة سنة، شهد أحدًا وما بعدها، وقيل أول مشاهده الخندق، وهو أحد فقهاء الصحابة والذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، وكان أفكه الناس إذا خلا فى منزله وأزمهم إذا جلس مع القوم. مات سنة ست وخمسين. وروى الإمام أحمد وأبو داود عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: لما قدم عليه الصلاة والسلام المدينة ذهبت إليه فأعجب بى، فقيل: يا رسول الله هذا غلام من بنى النجار، ومعه مما أنزل عليك بضع عشرة سورة. فأعجب ذلك رسول الله ﷺ فقال: يا زيد، تعلم كتاب يهود، فإنى والله ما آمن يهود على كتابى. فما مر بى نصف شهر حتى نقلته وحذقته، فكنت أكتب إليهم وأقرأ له كتبهم[٣]. كان يكتب للنبي ﷺ الوحى ويكتب له أيضًا المراسلات. وكان يكتب

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٨٦)، والبخاري (٧١٩٥)، وأبو داود (٣٦٤٥)، والترمذي (٢٧١٥).
(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٧)، وعزاه للطبراني، وقال: إسناده حسن.
(٣) تقدم تخريجه قريبًا.

لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى خلافتهما، وقد قال فيه ﷺ « أفرضكم زيد »[١]. وكان عمر رضى الله عنه يستخلفه إذا حج، وكان معه حين قدم الشام، وهو الذى تولى قسم غنائم اليرموك. وكان عثمان أيضًا يستخلفه إذا حج، وكان على بيت المال لعثمان. توفى بالمدينة سنة أربع وقيل سنة ست وقيل إحدى وقيل ثلاث وقيل خمس وخمسين وقيل سنة أربعين وقيل إحدى وقيل ثلاث وأربعين. رضى الله تعالى عنه.

ومنهم السجل رضى الله عنه. روى أبو داود والنسائى عن أبى الجوزاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان يقول فى هذه الآية ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] قال: السجل كاتب للنبى ﷺ[٢]. وروى ابن مردويه وابن منده من طريق حمدان بن سعيد عن ابن نمير عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: كان للنبى ﷺ كاتب يقال له السجل، فأنزل الله تعالى ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ...﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، والسجل هو الرجل بالحبشية[٣]، ورواه أبو نعيم لكن قال: حمدان بن على، ووهم ابن منده فى قوله ابن سعيد. قال ابن منده: تفرد به حمدان. قال الحافظ: فإن كان هو ابن على فهو ثقة وهو معروف، واسمه محمد بن على مهران من أصحاب أحمد، ولكن رواه الخطيب فى ترجمة حمدان بن سعيد فترجحت رواية ابن منده. ونقل الخطيب عن البرقانى أن الأزدى قال: تفرد به ابن نمير من كبار الثقات. فهذا الحديث صحيح بهذه الطرق، وغفل من زعم أنه موضوع. نعم إنه ورد ما يخالفه، فروى الربعى والعوفى عن ابن عباس قال فى هذه الآية: كطى الصحيفة على الكتاب. وكذلك قال مجاهد وغيره[٤]. قال الحافظ ابن كثير: وعرضت هذا الحديث - أى حديث ابن عباس السابق - على الحافظ المزى فأنكره جدًا، وأخبرته أن ابن تيمية كان يقول:

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٨٤)، والترمذي (٣٧٩١)، والنسائي في فضائل الصحابة (١٣٨، ١٨٢)، وابن ماجه (١٥٤، ١٥٥) من طريق أبي قلابة عن أنس به وأخرجه الترمذي (٣٧٩٠) من طريق قتادة عن أنس.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٩٣٥)، والنسائي كما في تحفة الأشراف (٥٣٦٥) من طريق أبي الجوزاء عن ابن عباس.

(٣) ذكره الحافظ في الإصابة (٣/ ٢٨) وعزاه لابن مردويه وابن منده.

(٤) ينظر الإصابة (٣/٢٨-٢٩).

إنه حديث موضوع وإن كان فى سنن أبى داود، قال المزى: وأنا أقوله. انتهى. قال الحافظ: وهذه مكابرة.

ومنهم معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية القرشى الأموى العبشمي[١]، ولى لعمر رضى الله عنه الشام، وأقره عثمان. قال ابن إسحاق: وكان أميرًا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة. وروى فى مسند الإمام أحمد من طريق العرباض بن سارية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «اللهم علِّم معاوية الكتاب والحساب، وقه العذاب»[٢]. وهو مشهور بكتابة الوحى. وروى الإمام أحمد ووصله أبو يعلى فقال عن معاوية، والطبرانى، ورجال الأولين رجال الصحيح عن سعيد بن عمر بن سعد ابن أبى وقاص أن أبا هريرة اشتكى، وأن معاوية أخذ الإداوة، فبينما هو يوضئ رسول الله ﷺ رفع رأسه إليه مرة أو مرتين وهو يتوضأ فقال: يا معاوية إن وليت أمرًا فاتق واعدل[٣]. ولفظ الصغير للطبرانى برجال وثقوا وفيهم خلاف وفى سنده انقطاع عن مسلمة بن مخلد أن رسول الله ﷺ قال لمعاوية «اللهم علمه الكتاب والحساب، وقه العذاب، ومكن له فى البلاد»[٤]. مات فى رجب سنة ستين وقد قارب الثمانين.

ومنهم شرحبيل - بضم الشين المعجمة وفتح الراء [وسكون الحاء المهملة] بعدها باء مكسورة فتحتية ساكنة - ابن حَسنة وهى أمه.

ومنهم خالد بن الوليد[٥] سيف الله، أسلم بين الحديبية والفتح، مات سنة إحدى أو اثنتين وعشرين.

---

(١) ينظر ترجمته في أسد الغابة ت(٤٩٨٤)، الاستيعاب ت(٢٤٦٤)، والإصابة ت(٨٠٨٧) ومعرفة الرجال (٢/ ١٧٧).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦، ١٢٧)

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٠١)، وأبو يعلى (٧٣٨٠) وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٥٨-٣٥٩): رواه أحمد واللفظ له وهو مرسل ورواه أبو يعلى فوصله فقال فيه عن معاوية... ورواه الطبراني في الأوسط والكبير ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح.

(٤) ذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٥٩-٣٦٠) وقال: رواه الطبراني من طريق جبلة بن عطية عن مسلمة بن مخلد وجبلة لم يسمع من مسلمة فهو مرسل ورجاله وثقوا وفيهم خلاف.

(٥) ينظر: الجرح والتعديل (٣/ ٣٥٦)، مشاهير علماء الأمصار ت(١٥٧)، تهذيب الأسماء واللغات (١٠/ ١٧٢-١٧٤)، شذرات الذهب (١/ ٢٣٢)، أسد الغابة ت(١٣٩٩)، الاستيعاب ت(٦٢١).

ومنهم عمرو بن العاص[١]، أسلم عام الحديبية، ولى إمرة مصر مرتين وهو الفاتح لها، ومات بها سنة نيف وأربعين وقيل بعد الخمسين.

ومنهم المغيرة بن شعبة الثقفي، أسلم قبل الحديبية، ولى إمرة البصرة ثم الكوفة. مات سنة خمسين على الصحيح.

وأما أمراؤه عليه الصلاة والسلام فمنهم: باذان بن ساسان من ولد بهرام، أمره ﷺ على اليمن، وهو أول أمير فى الإسلام، وأول من أسلم من ملوك العجم. وأمر ﷺ على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص، وولى زياد بن لبيد الأنصارى حضرموت، وولى أبا موسى الأشعرى زبيد وعدن، وولى معاذ بن جبل الجند، وولى أبا سفيان بن حرب نجران، وولى ابنه يزيد تيماء، وولى عَتّاب بن أسيد - بفتح العين المهملة وتشديد المثناة فوق وفتح الهمزة وكسر السين المهملة - مكة وإقامة الموسم والحج بالمسلمين سنة ثمان من الهجرة وهو عام فتحها، وولى على ابن أبى طالب القضاء باليمن، وولى عمرو بن العاص عُمان.

وأما مؤذنوه عليه الصلاة والسلام فأربعة: اثنان بالمدينة: بلال وسعد بن عائذ أو ابن عبد الرحمن المعروف بسعد القرظ أو القرظى، واثنان بمكة عمرو بن أم مكتوم وأبو محذورة.

أما بلال فهو ابن رباح وأمه حمامة، مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه. وهو أول من أذن لرسول الله ﷺ ولم يؤذن بعده لأحد من الخلفاء، إلا أن عمر رضى الله عنه لما قدم الشام حين فتحها أذن بلال فتذكر الناس النبى ﷺ قال أسلم مولى عمر رضى الله عنه: فلم أر أكثر باكيا من يومئ. وتوفى بلال سنة سبع عشرة أو عشرين بـ « داريا » ودفن بباب كيسان وله بضع وستون سنة، وقيل دفن بحلب، وقيل بدمشق.

وأما سعد بن عائذ أو ابن عبد الرحمن القرظى مولى عمار فأذَّن له عليه الصلاة والسلام بقباء. وبقى إلى ولاية الحجاج على الحجاز وذلك سنة أربع وسبعين من الهجرة.

---

(١) ينظر: أسد الغابة ت(٣٩٧١)، الإصابة ت(٥٨٩٧)، الطبقات الكبرى (٤/ ٢٥٤)، (٧/ ٤٩٣)، تاريخ البخاري (٦/ ٣٠٣)، تاريخ الطبري (٤/ ٥٥٨)، الكامل (٣/ ٢٧٤)، شذرات الذهب (١/ ٥٣).

وأما عمرو بن أم مكتوم القرشى الأعمى فأسلم وأذن له عليه الصلاة والسلام وهاجر إلى المدينة.

وأما أبو محذورة بالحاء المهملة والذال المعجمة واسمه أوس الجمحى المكى أبو معير- بكسر الميم وسكون العين وتحريك التحتية - مات بمكة سنة تسع وخمسين وقيل تأخر إلى بعد ذلك قال فى الروض الأنف: وأبو محذورة الجمحى واسمه سلمة بن معير وقيل سمرة -: فإنه لما سمع الأذان وهو مع فتية من قريش خارج مكة أقبلوا يستهزئون ويحكون صوت المؤذن غيظا، فكان أبو محذورة هذا من أحسنهم صوتًا فرفع صوته مستهزئا بالأذان، فسمعه رسول الله ﷺ فأمر به فمثل بين يديه وهو يظن أنه مقتول، فمسح رسول الله ﷺ ناصيته وصدره بيده الشريفة، قال: فامتلأ قلبي والله إيمانا ويقينا، وعلمت أنه رسول الله ﷺ، فألقى عليه رسول الله ﷺ الأذان وعلمه إياه، فأمره أن يؤذن لأهل مكة وهو ابن ست عشرة سنة، فكان مؤذنهم حتى مات، ثم عقبه بعده يتوارثون الأذان(١).

وكان هؤلاء المؤذنون المذكورون منهم من يرجِّع الأذان ويثنى الإقامة، وبلال لايرجع ويفرد الإقامة، فأخذ الشافعى بإقامة بلال، وأهل مكة أخذوا بأذان أبى محذورة وإقامة بلال، وأخذ أبو حنيفة وأهل العراق بأذان بلال وإقامة أبى محذورة، وأخذ أحمد بأذان بلال وإقامته، وخالفهم مالك فى الموضعين إعادة التكبير وتثنية لفظ الإقامة.

وكان خطيبه عليه الصلاة والسلام ثابت بن قيس بن شماس- بمعجمة وميم مشدّدة وآخره سين مهملة، وهو خزرجى، شهد له النبى ﷺ بالجنة، وكان خطيبه وخطيب الأنصار، واستشهد يوم اليمامة سنة اثنتى عشرة، وقد تقدم ذكره.

وأما **شعراؤه** ﷺ فمدحه بالشعر جماعة من رجال الصحابة ونسائهم، جمعهم الحافظ أبو الفتح ابن سيد الناس فى قصيدة ثم شرحها فى مجلدة سماها « فتح المدح » ورتبهم على حروف المعجم قارب بهم المائتين.

وأما **شعراؤه** الذين كانوا بسبب المناضلة عنه والهجاء لكفار قريش - فإنهم ثلاثة: حسان بن ثابت بن المنذر بن عمرو بن حرام الأنصارى، وكان يقبل بالهجو

(١) ينظر: الروض الأنف (٤/ ١١٤).

على أنسابهم، دعا له عليه الصلاة والسلام فقال « اللهم أيده بروح القدس »[١] فيقال إنه أعانه جبريل عليه السلام بسبعين بيتا. وفى الحديث « إن جبريل مع حسان ما نافح »[٢] أى دافع، والمراد هجاء المشركين ومجاوبتهم على أشعارهم. ولما جاءه عليه الصلاة والسلام بنو تميم وشاعرهم الأقرع بن حابس - فنادوه: يامحمد اخرج إلينا نفاخرك ونشاعرك، فإن مدحنا زين وذمنا شين - فلم يزد عليه الصلاة والسلام على أن قال: ذلك الله إذا مدح زان وإذا ذم شان، إنى لم أبعث بالشعر ولم أؤمر بالهجر، ولكن هاتوا. فأمر عليه الصلاة والسلام ثابت بن قيس خطيبه أن يجيب على خطبتهم، فخطب ثابت فغلبه، فقام شاعرهم الأقرع بن حابس فقال: [من الطويل]

أَتَيْنَاكَ كَيْمَا يَعْرِفَ النَّاسُ فَضْلَنَا ... إِذَا خَالَفُونَا عِنْدَ ذِكْرِ المَكَارِمِ
وَأَنَّا رُءُوسُ النَّاسِ فِى كُلِّ مَعْشَرٍ ... وَأَنْ لَيْسَ فِى أَرْضِ الْحِجَازِ كَدَارِمِ

فأمر - عليه الصلاة والسلام - حسانًا أن يجيبه فقال: [من الطويل]

بَنِى دَارِمٍ لاَ تَفْخَرُوا إِنَّ فَخْرَكُمْ ... يَعُودُ وَبَالاً عِنْدَ ذِكْرِ المَكَارِمِ
هَبِلْتُمْ عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمُ ... لَنَا خَوَلٌ مَا بَيْنَ ظِئْرٍ وَخَادِمِ[٣]

وكان أول من أسلم شاعرهم، عاش حسان مائة وعشرين سنة: ستين منها فى الجاهلية وستين فى الإسلام. وكذا عاش أبوه ثابت وجده المنذر وجد أبيه حرام، كل واحد منهم مائة وعشرين سنة. وتوفى حسان سنة أربع وخمسين من الهجرة. قلت: وهؤلاء الوفد الذين أنزل فى شأنهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ ... ﴾ [الحجرات: ٥٤] الآية والله أعلم.

وعبد الله بن رَواحة، وكان يعير قريشا بالكفر.

وكعب بن مالك، وكان يخوفهم بالحرب. وكانوا لا يبالون قبل الإسلام بأهاجى ابن رواحة ويألمون من أهاجى حسان. فلما دخل من دخل منهم الإسلام وجد أهاجى ابن رواحة أشد وأشق. قال فى زاد المعاد: وكان أشدهم على الكفار حسان

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢١٢)، ومسلم (٢٤٨٥)، والنسائي (٢/٤٨)، وأحمد (٥/٢٢٢)، والحميدي (١١٠٥)، وابن خزيمة (١٣٠٧)، وابن حبان (١٦٥٣) من حديث أبي هريرة.
(٢) أخرجه مسلم (٢٤٩٠) وابن حبان (٧١٤٧) والبيهقي من حديث عائشة.
(٣) ينظر: السيرة النبوية (٤/٢٠٩).

ابن ثابت وكعب بن مالك يعيرهم بالشرك والكفر.

وأما حُداته فأربعة: أنجشة - بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم وبالشين المعجمة - كان عبدًا أسود حسن الحداء يحدو بالنساء، فحدا بأمهات المؤمنين فى حجة الوداع فأسرعت الإبل، فقال عليه الصلاة والسلام: « رويدك يا أنجشة، رفقا بالقوارير»[(١)]. رواه الشيخان. وفى صحيح مسلم: وكان لرسول الله ﷺ حاد حسن الصوت فقال له رسول الله ﷺ: « رويدك يا أنجشة لا تكسر القوارير» يعنى ضعفة النساء[(٢)]. وفى المواهب: كان يحدو وينشد القريض والرجز، فقال عليه الصلاة والسلام له ذلك القول، يشبههن بالقوارير من الزجاج؛ لأنه يسرع إليهن الكسر، فلم يأمن عليهن أن يصيبهن أو يقع فى قلوبهن حداؤه فأمره بالكف، وفى المثل: الغناء رقية الزنا. وقيل أراد أن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت فى المشى واشتدت فأزعجت الراكب وأتعبته، فنهاه عن ذلك بقوله: «رفقا بالقوارير» لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة. هذه عبارته. قلت: لا ريب أن هذا هو المراد من الحديث، والعلة

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٥٩٧) كتاب الأدب باب من دعا صاحبه فنقص من اسمه حرفان رقم (٦٢٠٢)، ومسلم (٤/ ١٨١١) كتاب الفضائل باب رحمة النبي للنساء رقم (٧٠، ٧١/ ٢٣٢٣)، وابن حبان (١٣/ ١١٨) كتاب الحظر والإباحة باب ذكر الإباحة للمرء استعمال الكناية في كلامه. . . » رقم (٥٨٠٠)، (١٣/ ١١٩) رقم (٥٨٠٢)، وأحمد (٣/ ١١٧)، والبيهقي (١٠/ ١٩٩، ٢٠٠) كتاب الشهادات باب من سمى المرأة قارورة. . . »، والدارمي (٢/ ٢٩٥، ٢٩٦) كتاب الاستئذان باب «في المزاح».

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ٦٠٩) في الأدب باب المعاريض مندوحة عن الكذب (٦٢١١)، ومسلم (٤/ ١٨١٢) في الفضائل باب رحمة النبي للنساء (٧٣/ ٢٣٢٣)، وأحمد ٣/ ٢٥٢) من طرق عن همام، به. وأخرجه مسلم (٧٣/ ٢٣٢٣)، والبغوي في شرح السنة (٦/ ٥٢٩) برقم (٣٤٧١) بتحقيقنا من طريقين عن هشام بن عبد الله عن قتادة، به. وأخرجه البخاري (٦٢٠٩، ٦٢١٠)، باب ما جاء في قول الرجل «ويلك» (٦١٦١)، ومسلم (٢٣٢٣)، وأحمد (٣/ ١٧٢، ١٨٧، ٢٠٢، ٢٢٧، ٢٥٤)، والبيهقي (١٠/ ١٩٩-٢٠٠)، والبغوي (٣٤٧٢، ٣٤٧٣) من طريقين عن ثابت عن أنس. وأخرجه البخاري (١٠/ ٥٥٤) في الأدب باب ما يجوز من الشعر والرجز (٦١٤٩)، وباب ما جاء في قول الرجل ويلك (٦١٦١)، وباب المعاريض مندوحة عن الكذب (٦٢١٠)، ومسلم (٧٠-٧١/ ٢٣٢٣)، وأحمد (٣/ ٢٢٧) وأبو يعلى (٢٨٠٩) من طرق عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس. وأخرجه مسلم (٧٢-٢٣٢٣)، وأحمد (٣/ ١١١، ١١٧، ١٧٦)، والحميدي برقم (١٢٠٩) من طرق عن سليمان التيمي أنه سمع أنسا. . وأخرجه أحمد (٣/ ١٠٧) من طريق ابن أبي عدي عن حميد عن أنس.

فى النهى لا سواه. يؤيده ما رواه ابن سعد عن مجاهد عن طاوس قال: كان رسول الله ﷺ فى سفر، فبينا هو يسير بالليل ومعه رجل يسايره إذ سمع حاديا يحدو وقوم أمامه، فقال لصاحبه: « لو أتينا حادى القوم ». فقربنا حتى غشينا القوم، فقال رسول الله ﷺ « ممن القوم؟ » فقالوا: من مضر. فقال عليه الصلاة والسلام: « وأنا من مضر. دنا حادينا يسمع حاديكم فسمعنا حاديكم فأتيناكم ». زاد طاوس: « نسمع حداءه ». فقالوا: يا رسول الله، أما إن أول من حدا منا رجل فى سفر، ضرب غلاما له على يده بعصا فانكسرت يده فجعل الغلام يقول وهو يشير: يا يداه يا يداه. فسارت الإبل على صوته وقطعت أودية بسرعة[1]. ويؤيده أيضًا قول الشاعر: [من مجزوء الكامل]

إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ أَنَّ فِى الْـ ... أَلْحَانِ تَأْثِيرًا ونَفْعَا
فَانْظُرْ إِلَى الإِبِلِ الَّتِى ... لاَ شَكَّ أَغْلَظُ مِنْكَ طَبْعَا
تُصْغِى إِلَى صَوْتِ الحُدَا ... ةِ فَتَقْطَعُ الفَلَوَاتِ قَطْعَا

والعجب من صاحب المواهب كيف جعل المعنى الأول هو المراد من الحديث فجعل علة النهى خوف أن يصيبهن أو يقع فى قلوبهن حداؤه. وأردفه بإيراد المثل الذى أورده فليته لم يورده، وهو معنى غير لائق التعليل به فى آحاد حرائر نساء المسلمين، فكيف يعلل به فى المحدوِّ بهن فى الواقع وهن أمهات المؤمنين. على أن تشبيه النساء بالقوارير من الزجاج فى الضعف وسرعة الكسر إليها إنما يلائم المعنى الثانى الذى حكاه بصيغة التمريض، فما مرَّضه هو الصحيح، وما صححه فقدمه هو المريض، إذ لا تمكن صحته إلا بضرب من المجاز، مع أنك أيها المنصف لو نظرت إليه فى جادة الشرع وجدته قريبًا من عدم الجواز. والله أعلم.

وعامر بن الأكوع - بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح الواو وبالعين المهملة - هو عم سلمة بن الأكوع. وفي البخارى من حديث سلمة بن الأكوع قال: خرجنا مع النبى ﷺ إلى خيبر، فسرنا ليلا. فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر، ألا تسمعنا من هنيّاتك ؟ وكان عامر رجلا شاعرا، فنزل يحدو بالقوم: [من الرجز]

تَاللهِ لَوْلاَ اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ١٩).
أخرجه البخاري (٤١٩٦)، وأحمد (٤/ ٤٧، ٤٨، ٥٠) من حديث سلمة بن الأكوع.

فَاغْفِرْ فِدَاءً لَكَ مَا أَتَيْنَا   وَثَبِّتِ الأَقْدَام إِنْ لاَ قَيْنَا
وَأَلْقِيَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا   إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَتَيْنَا
وَبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا

وفى رواية فى هذا الرجز زيادة:

إِنَّ الَّذِينَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا   إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا
ونَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا

فقال عليه الصلاة والسلام: من هذا السائق ؟ قالوا: عامر بن الأكوع. قال: يرحمه الله. فقال رجل من القوم: وجبت يارسول الله، لو أمتعتنا به. وفى رواية أحمد: فجعل عامر يرتجز ويسوق الركاب. وهذه كانت عادتهم إذا أرادوا تنشيط الإبل من السير ينزل بعضهم فيسوقها ويحدو فى تلك الحال. وقوله عليه الصلاة والسلام: من هذا السائق ؟ فقالوا: عامر بن الأكوع، فقال: يرحمه الله، فقال رجل من القوم: وجبت. أى ثبتت له الشهادة، وستقع قريبًا. وكان معلومًا عندهم أن من دعا له ﷺ بهذا الدعاء فى مثل هذا الموطن استشهد، فلذلك قالوا: هلاّ أمتعتنا به ؟ أى وددنا أنك أخرت الدعاء له بهذا إلى وقت آخر؛ لنتمتع بمصاحبته ورؤيته مدة. واستشهد رضى الله عنه يوم خيبر.

وعبد الله بن رَواحة كان يحدو بين يديه عليه الصلاة والسلام فى السفر، روى الترمذى فى الشمائل من حديث أنس أنه ﷺ دخل مكة فى عمرة القضاء وابن رواحة آخذ بزمام راحلته يرتجز فيقول: [من الرجز]

خَلُّوا بَنِى الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ   قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِى تَنْزِيلِهِ
بِأَنَّ خَيْرَ القَتْلِ فِى سَبِيلِهِ   أَليَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ   وَيُذْهِلُ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ
يَارَبِّ إِنِّى مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ   إِنِّى رَأَيْتُ الْحَقَّ فِى قَبُولِهِ(١)

والبراء بن مالك: قال أنس: كان البراء بن مالك يحدو بالرجال، وأنجشة يحدو بالنساء.

ومن حراسه أبو قتادة الأنصارى حارس رسول الله ﷺ وفى اسمه أقوال: أشهرها

(١) ينظر السيرة النبوية (٤/٧).

الحارث بن ربعى. شهد أحدا والمشاهد كلها. وروى عن رسول الله ﷺ مائة وسبعين حديثا. قيل إنه شهد بدرًا ولم يصح.

ومنهم أبو ريحانة رجل من الأنصار، روى الإمام أحمد برجال ثقات، والطبرانى عنه رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى غزاة، فأتينا ذات ليلة على شرف فبتنا عليه، فأصابنا عليه برد شديد، حتى رأيت من يحفر فى الأرض حفرة فيدخل فيها ويلقى عليه جحفته يعنى الترس. فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك بالناس قال: من يحرسنى الليلة وأدعو الله دعاء يكون فيه فضلا ؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يارسول الله. ففتح عليه الصلاة والسلام بالدعاء فأكثر منه. قال أبو ريحانة: فلما سمعت ما دعا به رسول الله ﷺ قلت: أنا رجل آخر. فقال: ادنه فدنوت. فقال: من أنت ؟ فقلت: أنا أبو ريحانة. فدعا لى بدعاء دون دعائه للأنصارى[1].

ومنهم سعد بن معاذ يوم بدر حين نام فى العريش، ذكره ابن عبد قيس.

ومنهم المغيرة بن شعبة حين وقف على رأسه بالسيف يوم الحديبية وعروة بن مسعود الثقفى يكلمه عليه الصلاة والسلام ويلمس لحيته، فضرب المغيرة يده بنعل السيف وقال: اكفف يدك عن لحية رسول الله ﷺ. وكان إذ ذاك عروة لم يسلم.

ومنهم محمد بن مسلمة، حرسه يوم أحد.

ومنهم الزبير بن العوام يوم الخندق.

ومنهم مرثد بن أبى مرثد الغنوى بوادى القرى. ذكره ذكوان بن عبد قيس.

ومنهم أبو أيوب الأنصارى وقت دخوله بصفية بخيبر أو ببعض الطرق، فدعا له عليه الصلاة والسلام فقال له: حرسك الله يا أبا أيوب كما بت تحرس نبيه. قال السهيلى فى الروض الأنف: فحرس الله أبا أيوب بهذه الدعوة، حتى أن الروم لتحرس قبره ويستسقون به، وذلك أنه غزا مع يزيد بن معاوية سنة خمسين من الهجرة، فلما بلغوا القسطنطينية توفى أبو أيوب هناك شهيدًا. وكان قد أوصى إلى يزيد أن يدفنه فى أقرب موضع من مدينة الروم، فركب المسلمون ومشوا به حتى إذا لم يجدوا مساغا دفنوه، فسألتهم الروم عن شأنهم فأخبروهم أنه كبير من أكابر أصحاب رسول الله ﷺ فقالت الروم ليزيد بن معاوية: ما أحمقك وأحمق من

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٤)، والدارمي (٢/ ٢٠٣)، والنسائي (٦/ ١٥) من حديث أبي ريحانة.

أرسلك، أأمنت أن ننبشه بعدك فنحرق عظامه ؟ فأقسم لهم يزيد لئن فعلوا ذلك ليهدمن كل كنيسة لهم بأرض العرب، وينبش قبورهم. فحينئذ حلفوا له بدينهم ليكرمن قبره وليحرسنه ما استطاعوا، فذلك أثر دعوته عليه الصلاة والسلام(١).

ومنهم سعد بن أبى وقاص بوادى القرى، روى أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز اللغوى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: بات رسول الله ﷺ ذات ليلة فقال: ليت رجلا صالحًا يحرسنى. قالت: إذ سمعت: السلام عليكم. فقال: « من هذا؟ » قال: أنا سعد بن أبى وقاص، أنا أحرسك يارسول الله. قالت: فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطه(٢).

ومنهم عباد بن بشر، وهو الذى كان على حرسه، فلما نزلت آية ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ [المائدة: ٦٧] خرج عليه الصلاة والسلام فأخبرهم وصرف الحرس.

وأما خيله عليه الصلاة والسلام: فالسكب - بفتح السين وسكون الكاف - يقال فرس سكب أى كثير الجرى كأنما يصب جريه صبا، وأصله من سكب الماء يسكبه. وهو أول فرس ملكه، اشتراه عليه الصلاة والسلام بعشر أواق، وكان أغر محجلا طلق اليمنى كميتا. وقال ابن الأثير: كان أدهم(٣).

والمرتجز: سمى به لحسن صهيله، مأخوذ من الرجز الذى هو ضرب من الشعر. وكان أبيض، وهو الذى شهد فيه خزيمة بن ثابت فجعل عليه الصلاة والسلام شهادته بشهادة رجلين وقال: من شهد له خزيمة كفى. أو كما قال ﷺ.

والظرب - بالظاء المعجمة آخره موحدة -: واحد الظراب للجبل الصغير، سمى به لكبره وسمنه، وقيل: لقوته وصلابة رجليه، أهداه له فروة بن عمرو الجذامى(٤).

واللحيف - بالمهملة والفاء-: أهداه له ربيعة بن أبى البراء. سمى لسمنه وكبره، كأنه يلحف الأرض أى يغطيها بذيله لطوله، فعيل بمعنى فاعل، يقال لحفت الرجل باللحاف طرحته عليه. ويروى بالجيم وبالخاء المعجمة، رواه البخارى ولم يتحققه،

---

(١) ينظر الروض الأنف (٤/ ٦٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٨٨٥)، ومسلم (٣٩/ ٢٤١٠)، والترمذي (٣٧٥٦)، وأحمد (٦/ ١٤١).

(٣) ينظر: أسد الغابة (١/ ١٤٠)، تلقيح فهوم أهل الأثر (٣٩).

(٤) ينظر أسد الغابة (١/ ١٤٠) تلقيح فهوم أهل الأثر (٣٩).

والمعروف بالحاء المهملة قاله ابن الأثير فى النهاية.

واللزاز سمى به لتلززه واجتماع خَلقه، لز به الشىء لزق به كأنه يلزق بالمطلوب لسرعته، وهذا أهداه له المقوقس.

والورد: قال ابن سعد: أهداه له تميمْ الدارى رضى الله تعالى عنه، فأعطاه عمر فحمل عليه فى سبيل الله، ثم وجده يباع برخص فاشتراه.

وسبحة- بالضم والموحدة؛ من قولهم فرس سابح إذا كان حسن مد اليدين فى الجرى-: قال ابن التين: هى فرس شقراء اشتراها من أعرابى من جهينة بعشر من الإبل.

فهذه سبعة متفق عليها. وذكر ابن بنين فيما حكاه الحافظ الدمياطى: البحر فى خيله عليه الصلاة والسلام، قال: وكان اشتراه من تجر قدموا من اليمن فسبق عليه مرات، فجثا عليه الصلاة والسلام على ركبتيه ومسح وجهه وقال: ما أنت إلا بحر، فسمى بحرا. قال ابن الأثير: وكان لونه كميتا.

والسجل - بكسر السين المهملة وسكون الجيم- ذكره على بن محمد بن الحسين ابن عبدوس الكوفى، ولعله مأخوذ من قولهم سجلت الماء فانسجل إذا صببته فانصب.

وذو لملة - بكسر اللام وشد الميم - ذكره ابن حبيب.

وذو العُقّار- بضم العين وشد القاف - وحكى بعضهم تخفيفها.

والسرحان - بكسر السين المهملة وسكون الراء - ذكره ابن خالويه.

والطرف - بكسر الطاء وسكون الراء بعدها - ذكره ابن قتيبة فى المعارف، وذكر أن فى رواية أنه هو الذى اشتراه عليه الصلاة والسلام من الأعرابى وشهد له خزيمة ابن ثابت فيه.

والمرتجل - بكسر الجيم - ذكره ابن خالويه، من قولهم ارتجل الفرس ارتجالاً إذا خلط العَنَق بشىء من الهملجة.

والمرواح - بكسر الميم - من أبنية المبالغة كالمطعام، مشتق من الريح لسرعته، أو من الرواح لتوسعه فى الجرى، أهداه له قوم من مذحج، ذكره ابن سعد.

وملاوح - بضم الميم وكسر الواو - ذكره ابن خالويه.

والمندوب: ذكره بعضهم فى خيله ﷺ وكان دفتا سرجه من ليف.

وأما سلاحه عليه الصلاة والسلام فكان له تسعة أسياف:

مأبور: وهو أول سيف ملكه عليه الصلاة والسلام، وهو الذى يقال: إنه قدم به إلى المدينة فى الهجرة.

العضب - بعين مهملة وضاد معجمة - ومعناه القاطع، أرسله إليه سعد بن عبادة حين سار إلى غزوة بدر.

ذو الفقار: لأنه كان وسطه مثل فقار الظهر، ويجوز فى فائه الفتح والكسر، وصار إليه يوم بدر، وكان للعاصى بن منبه بن الحجاج الجمحى، فكان هذا السيف لا يفارقه عليه الصلاة والسلام يكون معه فى كل حرب يشهدها، وكانت قائمته وقبيعته وحلقته وذؤابته وبكراته ونعله من فضة، وهو الذى صار إلى الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقيل: لاسيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي.

القلعى - بضم القاف وفتح اللام - وهو الذى أصابه من قلع؛ موضع بالبادية.

البتار أي: القاطع.

الحتف: وهو الموت.

المخذم: وهو القاطع.

الرسوب، أى: الذى يمضى فى الضربة ويغيب فيها، وهو فعول من رسب يرسب إذا ذهب إلى أسفل، وإذا ثبت أصاب عليه الصلاة والسلام المخذم. والرسوب من الفلس بضم الفاء وسكون اللام اسم صنم كان لطيء.

وكان له سيف اسمه. . .[1]

وأرماحه عليه الصلاة والسلام: المثوى، قال ابن الأثير: سمى بذلك لأنه يثوى المطعون به من الثوى وهو الإقامة. والمثنى، ورمحان آخران.

وكان له عليه الصلاة والسلام حربة كبيرة اسمها البيضاء، وحربة صغيرة دون الرمح شبه العكازة يقال لها العنزة، وكانت تركز أمامه ويصلى إليها فى السفر، وبذلك اغتر بعض العنزيين فقال: صلى النبى ﷺ إلينا، ظنا منه أنها القبيلة التى هو منها، وإنما هى العكازة كما رأيت.

وأما أدراعه عليه الصلاة والسلام فسبع: ذات الفضول بالضاد المعجمة لطولها، أرسلها إليه سعد بن عبادة حين سار إلى بدر، وهى التى رهنها عليه الصلاة والسلام

(١) بياض بالأصل.

عند أبى الشحم اليهودى على ثلاثين صاعًا من شعير، وكان الدَّين إلى سنة. وذات الوشاح، وذات الحواشى، والسغدية - بالسين المهملة والغين المعجمة - وهى درع عكبراء لقينقاعى، قيل: وهى درع داود عليه الصلاة والسلام التى لبسها حين قتل جالوت. وفضة وكان أصابها من بنى قينقاع، والبتراء لقصرها، والخرنق باسم ولد الأرنب، وكان عليه - عليه الصلاة والسلام - يوم أحد درعان: ذات الفضول وفضة. وكان عليه يوم خيبر درعان: ذات الفضول والسغدية.

وأما أقواسه عليه الصلاة والسلام فكانت ستة: الأولى الزوراء، وثلاث من سلاح بنى قينقاع: الروحاء والصفراء وشوحط. والكتوم كسرت يوم أحد فأخذها قتادة. والسداد.

وكانت له جعبة تسمى الكافور.

وكانت له منطقة من أديم فيها ثلاث حلق من فضة والإبزيم من فضة والطرف من فضة وأما أتراسه فكان له عليه الصلاة والسلام ترس اسمه الزلوق، يزلق عنه السلاح وترس يقال له العتق.

وترس أهدى إليه فيه صورة عقاب أو كبش، فوضع يده عليه فأذهب الله تلك الصورة.

وأما غنمه ولقاحه فكانت له مائة شاة. وكانت له سبع أعنز ترعاهن أم أيمن جاريته الحبشية. وكانت له من اللقاح: القصوى وهى التى هاجر عليها إلى المدينة. والعضباء، والجدعاء ولم يكن بهما عضب ولا جدع وإنما سميتا بذلك. وقيل: كان بأذنها عضب. وقيل العضباء والجدعاء واحدة. والعضباء هى التى كانت لا تسبق، فجاء أعرابى على قعود له فسبقها فشق ذلك على المسلمين، فقال عليه الصلاة والسلام: إن حقا على الله ألاّ يرفع شيئًا من هذه الدنيا إلا وضعه[1]. وغنم عليه الصلاة والسلام يوم بدر جملا لأبى جهل فى أنفه بُرة من فضة فأهداه إلى الكعبة يوم

(١) أخرجه البخاري (٦/ ١٦٥-الفتح) كتاب الجهاد والسير باب ناقة الرسول ﷺ رقم (٢٨٧٢)، والنسائي (٦/ ٢٢٧)، وأبو داود (٤٨٠٣)، وأحمد (٣/ ١٠٣)، والبيهقي (١٠/ ١٧)، من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: كان للنبي ﷺ ناقة تسمى (العضباء) لا تُسْبَق قال حميد (الراوي عن أنس): أو لا تكاد تُسبق، فجاء أعرابي على قعود فسبقها، فشق ذلك على المسلمين، حتى عرفه، فقال: حق على الله ألا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه، وهذا لفظ البخاري.

الحديبية ليغيظ بذلك المشركين. وكانت له خمسة وأربعون لقحة أرسل بها إليه سعد ابن عبادة. وكان له عليه الصلاة والسلام من البغال خمس: الأولى شهباء أهداها له المقوقس مع مارية وأختها فيما أهداه إليه عليه الصلاة والسلام. والثانية فضة أهداها له فروة بن عمرو الجذامى. والثالثة أهداها له ابن العكماء صاحب أيلة. الرابعة: من دومة الجندل. الخامسة أهداها له النجاشى. وقيل إنهن ست والسادسة أهداها له كسرى. قال فى المواهب: وفيه نظر. وكان له عليه الصلاة والسلام من الحمير عفير أهداه له المقوقس. وكان له آخر يسمى يعفور. أخرج ابن عساكر عن أبى منظور قال: لما فتح رسول الله ﷺ خيبر أصاب حمارا أسود، فكلم رسول الله ﷺ الحمار فكلمه الحمار، فقال له رسول الله ﷺ: ما اسمك؟ فقال يزيد بن شهاب، أخرج الله من نسل جدى ستين حمارًا كلهم لا يركبهم إلا نبى، وقد كنت أتوقعك أن تركبنى لم يبق من نسل جدى غيرى ولا من الأنبياء غيرك، قد كنت قبلك لرجل يهودى وكنت أتعثر به عمدًا فكان يجيع بطنى ويضرب ظهرى. فقال له عليه الصلاة والسلام: فأنت يعفور، فكان رسول الله ﷺ يبعثه إلى باب الرجل فيأتى الباب فيقرعه برأسه فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه أن أجب رسول الله ﷺ فلما قبض رسول الله ﷺ جاء إلى بئر كانت لأبى الهيثم بن التيهان الأنصارى فتردى فيها جزعًا على رسول الله ﷺ فمات[1]، رواه أبو نعيم بنحوه من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه.

وكان له عليه الصلاة والسلام فسطاط يسمى الكن وكان له محجن قدر ذراع أو أكثر يمشى ويركب به يعلقه بين يديه على بعير. وكانت له مخصرة تسمى العرجون، وكان له قضيب من الشوحط يسمى الممشوق. وكان له قدح يسمى الريان، وآخر يسمى مغيثا، وآخر مضبب بسلسلة من فضة فى ثلاثة مواضع منه، وآخر من عيدان بفتح العين اسم شجرة معروفة، وآخر من زجاج، وتور من حجارة بالتاء المثناة فوق يسمى المخضب، وركوة تسمى الصادرة، ومخضب من نحاس، ومغتسل من صفر، ومدهن، وربعة إسكندرية تجعل فيها المرآة، ومشط من عاج وهو الذبل، ومكحلة يكتحل منها عند النوم. وكان فى الربعة أيضًا المقراض والسواك. وهذه الربعة أهداها له المقوقس صاحب إسكندرية مع مارية وما معها

(١) ينظر: سبل الهدى والرشاد (١١/ ٤٢٠) مختصرا.

وكانت له قصعة تسمى الغراء بأربع حلق، وكان له صاع ومد وقطيفة وسرير قوائمه من ساج وفراش من أدم حشوه ليف، وخاتم من فضة ملوى بفصه، وخاتم فضة فصه منه يجعله فى يمينه، وقيل كان أولا فى يمينه ثم حوله إلى يساره منقوش عليه « محمد رسول الله »[١] ثلاثة أسطر. قال الإمام الإسنوى: فى حفظى أن أول الأسطر قرأت « محمد »، ثم فوقه « رسول »، ثم فوقه « الله ». فسطر اسم الله الأعلى.

وأهدى له النجاشى خفين سادجين فلبسهما.

وكان له عليه الصلاة والسلام ثلاث جبات يلبسهن في الحرب، وجبة سندس أخضر وجبة ممالسة، وعمامة يقال لها السحاب وأخرى سوداء. صلوات الله وسلامه عليه.

* * *

(١) أخرجه أبو داود (١٩)، والترمذي (١٧٤٦)، وابن ماجه (٣٠٣)، والبيهقي (١/ ٩٥)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٢٨٦-بتحقيقنا)، من حديث أنس قال: كان نقش خاتم رسول الله ﷺ : محمد رسول الله، فكان إذا دخل الخلاء وضعه.

الباب السابع
من المقصد الثاني

في الحوادث، من أول سنى هجرته إلى وفاته، عليه الصلاة والسلام.

لما دخل- عليه الصلاة والسلام- «المدينة» الشريفة، أقام بها عشر سنين، وقبض في الحادية عشرة؛ تتجدد له في كل سنة أمور وشرائع لا تنحصر؛ فلنذكر شيئا من ذلك على الترتيب، نبدأ بما في كل سنة من غزوة، ثم من سرية، ثم من غيرهما .

حوادث السنة الأولى من الهجرة

لما استقر- عليه الصلاة والسلام بـ«المدينة» واجتمع عليه أصحابه وقاموا بنصره، وصارت «المدينة» لهم دار إسلام، ومعقلا وملجأ يلجئون إليه- شرع الله تعالى جهادَ الأعداء؛ فبعث البعوث والسرايا، وغزا وقاتل هو وأصحابه؛ حتى دخل الناسُ في دين الله أفواجا أفواجا، وكان عدد مغازيه التى خرج فيها بنفسه: سبعا وعشرين، قاتل في تسع منها بنفسه: بدر، وأحد، والمريسيع، والخندق، وقريظة، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف؛ وهذا على قول من قال: إن مَكَّةَ فتحت عنوة. وكانت سراياه التى بعث بها: سبعًا وأربعين سرية، وقيل: إنه قاتل في بني النضير.

قال في «فتح الباري»[١]: السرية- بفتح السين، وكسر الراء، وتشديد التحتية-: هى التى تخرج بالليل، والسارية: هى التى تخرج بالنهار. وقيل: سميت بذلك؛ لأنها تخفي ذهابها، وهذا يقتضى أنها أُخذت من «السر»، ولا يصح؛ لاختلاف المادة.

وهى قطعةٌ من الجيش تخرج منه وتعود إليه، وهى من مائة إلى خمسمائة، فما زاد على خمسمائة، يقال له: «منسر» بالنون ثم السين المهملة، فإن زاد على الثمانمائة سمى: جيشا[٢]، فإن زاد على أربعة آلاف سمى: جحفلا[٣]، والخميس: الجيش العظيم، وما افترق من السرية يسمى: بَعْثًا، والكتيبة: ما اجتمع ولم ينتشر.

---

(١) ينظر الفتح (٨/ ٣٨٠) مع اختلاف في السياق.
(٢) زاد في الفتح: وما بينهما يسمى هبطة.
(٣) زاد في الفتح: فإن زاد فجيش جرار.

وكان أولَ بعوثه - عليه الصلاة والسلام - على رأس سبعة أشهر في رمضان، بعثُ حمزة بن عبد المطلب، مرة على ثلاثين رجلا من المهاجرين، وقيل: من الأنصار، وفيه نظر؛ لأنه لم يبعث أحدًا من الأنصار حتى غزا بهم بدرا (١).

خرج حمزة- رضى الله عنه- ومن معه يعترضون عيرا لقريش، فيهم أبو جهل اللعين، فلقيه في ثلاثمائة راكب، فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص، فلما تصافُّوا حجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى، وكان- عليه الصلاة والسلام- قد عقد له لواءً أبيض.

واللواء: هو العلم الذي يحمل في الحرب؛ يعرف به موضع صاحب الجيش، وقد يحمله أمير الجيش نفسه، وقد يدفعه لمقدم العسكر، وقد صرح جماعة من أئمة اللغة بترادف اللواء والراية؛ لكن روى أحمد والترمذي، عن ابن عباس: «كانَتْ رَايَةُ رسول الله ﷺ سوداءَ ولواؤُه أبيضَ»(٢) ومثله عند الطبراني عن بريدة (٣)، وعند ابن عدي عن أبي هريرة، وزاد فيه: مكتوبٌ: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» (٤)، وهو ظاهر في التغاير؛ فلعل التفرقة بينهما عرفية.

وذكر ابن إسحاق وكذا أبو الأسود عن عروة، أن أول ما حدثت الرايات يوم خيبر، وما كانوا يعرفون قبل ذلك إلا الألوية (٥)، انتهى.

ثم فيها سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب إلى «بطن رابغ» في شوال في ستين رجلا، وعقد له- عليه الصلاة والسلام- لواءً أبيض، حمله مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، فلقى أبا سفيان بن حرب وكان على المشركين- وقيل: مكرز بن

---

(١) وهذه السرية هي سرية سيف البحر. وينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٣٧-٢٣٨)، تاريخ الطبري (٢/ ٤٠٤)، المغازي للواقدي (١/ ٩)، الكامل في التاريخ (٢/ ١١٢)، البداية والنهاية (٣/ ٢٨٦)، تاريخ الإسلام (٤٥-جزء المغازي). وفي سيرة ابن هشام: وليس فيهم من الأنصار أحد.

(٢) أخرجه الترمذي (١٦٨١)، وابن ماجه (٢٨١٨) من طريق لاحق بن حميد عن ابن عباس به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ٢٢) رقم (١١٦١) من طريق حيان بن عبيد الله ثنا ابن بريدة عن أبيه، وذكره الهيثمي في المجمع (٥/ ٣٢٤) وقال: رواه أبو يعلى والطبراني وفيه حيان ابن عبيد الله، قال الذهبي بيض له ابن أبي حاتم وهو مجهول وبقية رجال أبي يعلى ثقات.

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢/ ٦٥٨) وضعفه ابن عدي. وله طريق آخر عنده أيضًا (٣/ ٩٠١)، وفيه خالد بن عمرو القرشي وهو متروك.

(٥) ينظر: سبل الهدى والرشاد (٥/ ١٢٠).

حفص، وقيل: عكرمة بن أبي جهل- في مائتين من المشركين، ولم يكن بينهم قتال؛ إلا أن سعد بن أبي وقاص رَمَى بسهم؛ فكان أولَ سهم رمى به في سبيل الله في الإسلام [١].

قال ابن إسحاق: وكانت رايةُ عبيدة أولَ راية عقدت في الإسلام [٢]، وقد تقدم أن أول راية عقدت لحمزة؛ وإنما أشكل أمرهما؛ لأنه ﷺ بعثهما معا فاشتبه ذلك على الناس.

وهذا يشكل بقولهم: إن بعث حمزة كان على رأس سبعة أشهر؛ لكن يحتمل أن يكون- عليه الصلاة والسلام- عقد رايتهما معًا، ثم تأخر خروج أبي عبيدة إلى رأس الثمانية؛ لأمرٍ اقتضاه.

ثم فيها سرية سعد بن أبي وقاص إلى «الخرار» [٣]- بخاء معجمة فراءين مهملتين- وهو: وادٍ يصب بـ«الحجاز» في «الجحفة»، كان ذلك في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر، وعقد له لواء أبيض، حمله المقداد بن الأسود [٤]، في عشرين رجلا، يعترض عيرًا لقريش، فخرجوا على أقدامهم فصبحوا صبح خامسة، فوجدوا العير قد مرت بالأمس [٥].

ثم فيها- غير ما سبق قريبًا من بناء المسجد والمساكن- دعاؤه ﷺ بنقل وباء «المدينة» إلى مهيعة برية مسبعة، وهي «الجحفة»؛ وسبب ذلك وَعْكُ أبى بكر- رضي الله عنه- وغيره من الصحابة، وذلك أنه روى أن هواء «المدينة» كان عَفِنًا وخمًا يكون فيه الوباء، وكانت مشهورة بالوباء في الجاهلية؛ فإذا دخلها غريب نهق نهيق الحمار؛ يسمونه: التعشير، يقال له: إذا أردت أن تسلم من الوعك والوباء،

---

(١) ينظر الطبقات الكبرى (٢/ ٤)، والمغازي للواقدي (١/ ٢، ١٠)، الروض الأنف (٣/ ٢٥- ٢٦)، الكامل في التاريخ (٢/ ١١١)، تاريخ الخميس (١/ ٤٠٢)، تاريخ الطبري (٢/ ٤٠٤)، البداية والنهاية (٣/ ٢٨٧)، تاريخ الإسلام (٤٦-المغازي).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٣٧).

(٣) موضع بالحجاز يقال: هو قرب الجحفة، وقيل واد من الأودية، وقيل ماء بالمدينة. ينظر: معجم البلدان (٢/ ٣٥٠).

(٤) في الطبقات: المقداد بن عمرو البهراني، وهو المقداد بن الأسود، وهذا اسم أبيه.

(٥) ينظر تاريخ الطبري (٢/ ٤٠٦)، الطبقات الكبرى (٢/ ٤، ٥)، الكامل في التاريخ (٢/ ١١٢) المغازي للواقدي (١/ ١١)، البداية والنهاية (٣/ ٢٨٧)، تاريخ الإسلام (٤٨-المغازي).

فانهق نهيق الحمار، فإذا فعل سلم؛ فاستوخم المهاجرون هواء «المدينة» ولم يوافق أمزجتَهُمْ، فمرض كثيرٌ منهم، وضعفوا حتى لم يقدروا على الصلاة قيامًا.

وفي «سنن النسائي» و«سيرة ابن هشام»: أن الصدّيق لما قدم «المدينة» أخذته الحمّى وعامرَ بنَ فهيرةَ وبلالاً، قالت عائشة: فدخلتُ عليهم وهم في بيتٍ واحد، قبل أن يضرب علينا الحجاب، فقلت: يا أبت، كيف أصبحت؟ فقال: [من الرجز]

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

فقلت: إنا لله، إن أبي ليهذى! فقلت لعامر بن فهيرة: كيف تجدك؟ فقال: [من الرجز]

لَقَدْ وَجَدْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ وَالْمَرْءُ يَأْتِي مَوْتُهُ مِنْ فَوْقِهِ

كُلُّ امْرِئٍ مُجَاهِدٌ بِطَوْقِهِ كَالثَّوْرِ يَحْمِي أَنْفَهُ بِرَوْقِهِ[(١)]

قالت فقلت: هذا- والله- لا يدري ما يقول!. ثم قلت لبلال: كيف أصبحت؟ وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمّى يرفع عقيرته، ويقول: [من الطويل]

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِفَخٍّ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ؟![(٢)]

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ وَيَبْدُو لِعَيْنِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ؟![(٣)]

ثم يقول: اللهم العن عتبة بن ربيعة، وأمية بن خلف؛ كما أخرجونا إلى أرض الوباء.

قالت عائشة: فدخلت على رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: اللهم حبب إلينا «المدينة» كحبنا «مكة» أو أشد حبا، وصحّحها، وبارك لنا في صاعها ومدها، وانقل حماها إلى مهيعة[(٤)]، فأجاب الله دعاءه، فجعل هواءها صحيحا موافقا لأمزجة الغرباء، ونقل وباءها وحماها وعفونة هوائها إلى «الجحفة» وهي- يومئذ- كانت دارَ اليهود ولم يكن بها مسلم؛ يقال: كانت لا يدخلها الطير إلا حمّ.

عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: «رأيت امرأة ثائرة

---

(١) الرَّوْقُ: قرن الدابة. ويضرب هذا الشطر مثلاً. المعجم الوسيط (روق).

(٢) الجليل: الثمام، وهو نبت ضعيف يحشى به خصاص البيوت. لسان العرب (جلل).

(٣) شامة وطفيل: جبلان. وقيل: عينان. والأول أكثر. ومجنة: موضع قريب من مكة كانت تقام به سوق في الجاهلية. انظر: اللسان (شيم).

(٤) أخرجه البخاري (١٨٨٩، ٣٩٢٦، ٥٦٥٤، ٥٦٧٧، ٦٣٧٢)، وفي الأدب المفرد (٥٢٥)، ومسلم (١٣٧٦/٤٨٠) مختصرا، وأحمد (٥٦/٦، ٨٢، ٢٣٩، ٢٦٠)، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١٧١٥٨/١٢) من حديث عائشة، ورواياته مطولة ومختصرة.

الرأس خرجت من«المدينة» حتى نزلت «مهيعة» [(١)].

قال صاحب «الخميس» نقلا عن «الصفوة»: مَهِيعة- كـ«معيشة» كلتاهما بالمثناة - التحتية- : اسم للجحفة.

قلت: المشهور: أنها بسكون الهاء وفتح الياء التحتية؛ بوزن «مَسْبعة» كما تقدم.

وفي «تشويق الساجد إلى أشرف المساجد»: الجحفة- بضم الجيم، وسكون الحاءِ- قريةٌ تسمى «مهيعة» على خمس مراحلَ من «مكة»، وهى ميقاتُ أهل «مصر» و«المغرب»، وهى بقرب «رابغ» محاذية له على يسار الذاهب إلى «مكة»، بينها وبين البحر ستة أميال.

و«غدير خم» على ثلاثة أميال من «الجحفة» يُسرة عن الطريق، وهذا الغدير تصبّ فيه عين، وحوله شجر كثير ملتف، وهى الغيضة التى تسمى«خم »،وبهذا الغدير قال- عليه الصلاة والسلام- فى خطبته هنالك: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم والِ من والاه. . .» إلى آخره، وذلك مُنصَرَفَهُ من حجة الوداع، يوم ثامن من ذي الحجة الحرام.

وفيها وَاخَى بعد مقدمه إلى «المدينة» بخمسة أشهر، بين المهاجرين والأنصار- وكانوا تسعين؛ كل طائفة خمسة وأربعون- على الحق والمساعدة والتوارث، وكانوا كذلك؛ حتى نزل بعد بدر قوله تعالى: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وكتب كتابًا بين المهاجرين والأنصار.

وفيها وادع اليهود، وأقرهم، واشترط عليهم ولهم.

ذكر السبب في كون اليهود بـ«المدينة»:

قال السهيلي في «روضه»: السبب فى ذلك - مع أن «المدينة» وسط أرض العرب، واليهود أصلهم من أرض «كنعان» - هو أن بني إسرائيل كانت تغير عليهم العماليق من أرض «الحجاز»، وكانت منازلهم: «يثرب» و«الجحفة» إلى «مكة»، فشكَتْ بنو إسرائيل ذلك إلى موسى- عليه وعلى نبينا وسائر النَّبِيِّينَ أفضل الصلاة والسلام- فوجه إِلَيْهِمْ جيشا، وأمرهم أن يقتلوهم ولا يبقوا منهم أحدا، ففعلوا،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٣٨،٧٠٣٩،٧٠٤٠)، وأحمد (٢/١٠٧، ١١٧، ١٣٧)، والترمذي (٢٢٩٠)، وابن ماجه (٣٩٢٤) من طريق موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه.

وتركوا منهم ابن ملك لهم كان غلامًا حسنا؛ فرقوا له، يقال للملك: الأرقم بن أبي الأرقم- فيما ذكره الزبير بن بكار- ثم رجعوا إلى «الشام» وموسى قد مات، فقالت لهم بنو إسرائيل: قد عصيتم وخالفتم؛ فلا نؤويكم، فقالوا: نرجع إلى البلاد التى غلبنا عليها فنكون بها، فرجعوا إلى «يثرب» فاستوطنوها وتناسلوا بها، إلى أن نزلت عليهم الأوس والخزرج ابنا ثعلبة بن قيس، بعد سيل العَرِم وتفرقهم من بلاد «اليمن» به؛ ذكر ذلك أبو الفرج الأصفهاني في كتابه «الأغاني».

والذي قاله غيره: أن طائفة من بني إسرائيل لحقت بأرض «الحجاز» حين دَوّخ بخت نصر البابلى بلادَهُم، وجاس هو وقومُه خلال ديارهم؛ فحينئذ لحق من لحق منهم بـ«الحجار» كـ«قريظة» و«النضير»، وسكنوا «خيبر» و«المدينة».

وأما «يثرب» فاسم رجل من العماليق، أول من نزل بها، وقد تقدم ذكر هذا في المقصدِ الأول من هذا الكتاب(١).

وفيها أُرِيَ عبدُ الله بن زيد بن عبد ربه الأذانَ، ووافقه جَمْعٌ في رؤياه(٢).

وبعد شهر من مقدمه زِيدَ في صلاة الحضر؛ على قول من قال: أول ما فرضت ركعتين، وهو الذي صح من حديث عائشة(٣)، والأكثر على: أنها فرضت تامة، ثم خففت بالقصر في السفر؛ لقوله تعالى: ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [النساء: ١٠١] الآية.

فيؤوّل حديث عائشة: إما بأن المعنى: أول ما فرضت ركعتين بعدهما تشهد وسلام، أى: وقبل ذلك كانت الأربع بلا تشهد أول، ويكون معنى قولها: «أقرت في السفر» أى: من غير زيادة ركعتين أخريين، وقيل: في التأويل- أيضا- غير ذلك.

وفيها بعد دخوله- عليه الصلاة والسلام- «المدينة» أسلم عبد الله بن سلام، وكان

---

(١) ينظر: الروض الأنف (٢/ ٢٥٠-٢٥١).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ١٤٩)، الطبقات الكبرى (١/ ٢٤٦-٢٤٨)، نهاية الأرب (١٦/ ٣٩٩)، البداية والنهاية (٣/ ٢٨٤-٢٨٦)، المنتظم (٣/ ٧٧-٨٠).

(٣) أخرجه مالك (١/ ١٤٦) كتاب قصر الصلاة في السفر باب قصر الصلاة الحديث (٨)، والبخاري (٧/ ٢٦٧) كتاب المناقب الحديث (٣٩٣٥)، ومسلم (١/ ٤٧٨) كتاب صلاة المسافرين باب صلاة المسافرين الحديث (١/ ٦٨٥)، وأبو داود (٢/ ٥) كتاب الصلاة باب صلاة المسافرالحديث (١١٩٨)، والنسائي (١/ ٢٢٥-٢٢٦) كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلاة، والبيهقي (١/ ٣٦٢-٣٦٣) كتاب الصلاة باب عدد ركعات الصلوات.

اسمه: الحصين، فسماه- عليه الصلاة والسلام- عبد الله، وهو من ولد يوسف الصديق بن يعقوب، عليهما السلام [(١)].

وفيها كان ابتداء خدمة أنس للنبي ﷺ. وفيها أسلم سلمان الفارسي [(٢)].

وفيها ولد عبد الله بن الزبير، جاءت أمه أسماء بنت أبي بكر حاملا به بعد الهجرة، فنفِسَتْ به في «قباء»، في شوال من السنة المذكورة وهى الأولى [(٣)]، وقال الذهبي: في السنة الثانية من الهجرة [(٤)]؛ وفي «المواهب» و«تاريخ اليافعى» و«أسد الغابة»: ولد بـ«المدينة» على رأس عشرين شهرا من الهجرة [(٥)]، وقيل: في السنة الأولى [(٦)]. وقال الحافظ ابن حجر: المعتمد أنه ولد في السنة الأولى؛ للحديث المتفق عليه [(٧)].

ومحل بسط أحوال هذه الحوادث كتب السير المدوّنة لذلك؛ المتناولة المشهورة المسالك؛ لكنا أردنا التبرك بنفح عبيرها، والتكفف بيسيرها عن تيسيرها.

---

(١) وقصة إسلام عبد الله بن سلام عند البخاري (٣٩٣٨) من حديث أنس. وينظر: الطبقات الكبرى (٢/ ٣٥٢-٣٥٣)، صفة الصفوة (١/ ٣٠١-٣٠٢)، تاريخ الإسلام (٣٢-المغازي).

(٢) قصة إسلام سلمان الفارسي ينظر لها تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ٦٤٨-٦٤٩)، حلية الأولياء (١/ ١٨٥-٢٠٨)، أخبار أصبهان (١/ ٤٨-٥٧)، تاريخ الطبري (١/ ٩٣)، تاريخ بغداد (١/ ١٦٣-١٧١)، الكامل في التاريخ (٣/ ٢٨٧)، الروض الأنف (١/ ٢٥٠-٢٥١)، صفة الصفوة رقم (٥٩)، أسد الغابة (٢/ ٤١٧)، تاريخ الإسلام (٩٥-جزء السيرة)، سير أعلام النبلاء (١/ ٥٠٥-٥٥٨)، السيرة النبوية (١/ ٢٤١-٢٤٩).

(٣) قال العلامة ابن كثير: وممن ولد في هذه السنة المباركة -وهي الأولى من الهجرة- عبد الله بن الزبير فكان أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة كما رواه البخاري عن أمه أسماء وخالته عائشة أم المؤمنين ابنتي الصديق - رضي الله عنهما -، ومن الناس من يقول: ولد النعمان بن بشير قبله بستة أشهر، فعلى هذا يكون ابن الزبير أول مولود ولد بعد الهجرة من المهاجرين، ومن الناس من يقول إنهما ولدا في السنة الثانية من الهجرة، والظاهر الأول كما قدمنا بيانه ولله الحمد والمنة. البداية والنهاية (٣/ ٢٨٨). وينظر الاستيعاب (١٥٥٣)، أسد الغابة (٣/ ٢١٢)، الإصابة (٤٧٠٠)، الحلية(١/ ٣٢٩-٣٣٧)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٣١١)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٦٦)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٦٣)، تاريخ الخلفاء (٢١١).

(٤) تاريخ الإسلام (١٢٧-المغازي)، السير (٣/ ٣٦٣).

(٥) ينظر: أسد الغابة (٢٩٤٩).

(٦) ينظر: الفتح (٧/ ٦٦١).

(٧) أخرج البخاري (٣٩٠٩)، ومسلم (٢٦/ ٢١٤٦)، وأحمد (٦/ ٣٤٧) عن أسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة قالت: فخرجت وأنا متم فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء. . .» الحديث.

حَوَادِثُ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ

فيها كانت غزوة «الأبواء»؛ خرج- عليه الصلاة والسلام- في صفر، وهى أول مغازيه؛ كما ذكره ابن إسحاق [١]. وهى من «ودان» على ستة أميال أو ثمانية مما يلى «المدينة»؛ ولتقاربهما أطلق عليها غزوة «ودان» أيضا.

و«ودان»: قرية من أمهات القرى، وقيل: واد في الطريق، يقطعه المصعدون من حجاج «المدينة».

روى أنه- عليه الصلاة والسلام- استخلف على «المدينة» سعد بن عبادة؛ فيما قاله ابن هشام [٢]، وخرج في صفر في ستين رجلا من أصحابه؛ يعترض عير قريش وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فلما بلغ «الأبواء» تلقى سيد بنى ضمرة مخشى بن عمرو الضمري، فصالحه على مَا سيذكر؛ فانصرف- عليه الصلاة والسلام- إلى «المدينة» بعد ما وادع مخشى بن عمرو وصالحه، وكانت الموادعةُ والمصالحة على أن بني ضمرة لا يغزونه، ولا يكثرون عليه جمعا، ولا يعينون عدوا، ولم يلق كيدًا، أى: حربا [٣].

وفيها غزوة «بواط» اسم جبل لجهينة، على أربعة برد من «المدينة» في ربيع الأول من السنة المذكورة؛ يعترض عيرًا لقريش فيها أمية بن خلف، فرجع ولم يلق كيدا [٤].

«بواط»: بفتح الباء والواو، والطاء المهملة.

وفى «الخلاصة»: «رَضْوَى» ك «سكرى» جبلٌ على يوم من «ينبع» وأربعة أيام من «المدينة» ذو شعاب وأودية، وبه مياه وأشجار، وهذا هو المعروف، ومنه تقطع

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٣٣)، الطبقات الكبرى (٢/ ٨)، تاريخ الطبري (٢/ ٤٧٠)، الروض الأنف (٣/ ٢٥)، الكامل في التاريخ (٢/ ١١١)، المغازي للواقدي (١/ ٢، ١١-١٢)، تاريخ الإسلام (٤٥-المغازي).

(٢) ينظر السيرة النبوية (٢/ ٢٣٣)، المنتظم (٣/ ٨٨-٨٩)، تاريخ الإسلام (٤٥-المغازي).

(٣) ينظر: المصادر السابق ذكرها في التعليق السابق وقبل السابق.

(٤) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٤٠)، الطبقات الكبرى (٢/ ٨-٩)، تاريخ خليفة (٥٧)، تاريخ الطبري (٢/ ٤٠٧)، المغازي للواقدي (١/ ١٢)، الكامل في التاريخ (٢/ ١١٢)، المنتظم (٣/ ٨٩)، تاريخ الإسلام (٤٧-المغازي)، البداية والنهاية (٣/ ٣٠١)، تلقيح فهوم أهل الأثر (٤٩)، الروض الأنف (٣/ ٢٧).

حجارة المسانّ، وهو أول «تِهَامة»، وهو مما وقع بـ «المدينة» من الجبل الذى تجلى الله- سبحانه وتعالى- فصار لهيبته جبلا [١]، و«رضوى»: من جبال الجنة، وفي رواية: «من الجبال التى بنى منها البيت»، وفي الحديث: «رضوى رضى الله عنه، وقدس قدسه الله، وأحد جبل يحبنا ونحبه».

وتزعم الكيسانية المنسوبون إلى كيسان- وهو لقب للمختار بن أبي عبيد الثقفي- داعية محمد بن الحنفية، أنه مقيمٌ بـ«رضوى» حَيٌّ يرزق، وينشدون لذلك أبياتا لدعبل فيه، سيأتي ذكرها عند ذكره، رضي الله عنه.

خرج- عليه الصلاة والسلام- في هذه الغزوة في مائتي رجل من قريش، وكان في العير ألفان وخمسمائة بعير، فسار فلم يلق كيدا فرجع إلى «المدينة».

وفيها غزوة بدر الأولى في ربيع الأول؛ لطلب كرز بن جابر الفهرى؛ لمّا أغار على سرح «المدينة» بـ«شغر» بلغ سفوان فلم يلحق كرزا، وتسمى بدرا الأولى [٢]؛ لقرب سفوان المذكور من بدر؛ هكذا ذكرها الشمس البرماوي قبل غزوة العشيرة، وذكرها صاحب «المواهب» و«الخميس» مؤخرة عن غزوة العشيرة، مؤرخة بعدها بعشرة أيام [٣].

قال ابن هشام: واستعمل على «المدينة» زيد بن حارثة، وحمل اللواء على بن أبي طالب [٤].

وفيها غزوة العشيرة؛ بالشين المعجمة، والتصغير، آخرها هاء؛ لم يختلف أهل المغازي في ذلك [٥].

---

(١) أخذ المصنف هذا الكلام من حديث موضوع، أخرجه ابن الأعرابي في المعجم (١٦٨٢) عن أنس مرفوعاً: لما تجلى الله للجبل طارت لعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة فوقع بالمدينة أحد ورَضْوَى وورقان، ووقع بمكة ثبير وحراء وثور. وقال الألباني في الضعيفة (١/ ١٩٣): موضوع.

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٤٣)، الطبقات الكبرى (٢/ ٩)، المغازي للواقدي (١/ ١٢)، تاريخ الطبري (٢/ ٤٠٧)، الكامل في التاريخ (٢/ ١١٢)، المنتظم (٣/ ٨٩-٩٠)، أنساب الأشراف (١/ ٢٨٧)، تاريخ الإسلام (٤٨-المغازي)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٠٣-٣٠٤).

(٣) وهكذا ذكرها ابن إسحاق بعد غزوة العشيرة وكذا الذهبي، وذكرها ابن الجوزي في المنتظم (٣/ ٨٩-٩٠) قبل غزوة العشيرة.

(٤) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٤٣، ٢٥٥).

(٥) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٤٠-٢٤١)، الطبقات الكبرى (٢/ ١٠٠٩)، تاريخ الطبري =

وفي البخاري: العشير، والعسيرة[١] بالتصغير، والأولى بالمعجمة بلا هاء، والثانية بالمهملة وبالهاء.

وأما غزوة العسرة- بالمهملة من غير تصغير- فهى غزوة تبوك، وستأتى.

ونسبت هذه الغزوة إلى المكان الذي وصلوا إليه، وهو موضع لبني مدلج بـ«ينبع».

قلت: أفادني بعض مشايخى من أهل «مصر» أن محلها هو محطة الحاج المصري الآن بـ«ينبع» جائيًا وذاهبًا.

خرج إليها ﷺ في جمادى الأولى، وقيل: الأخرى، في مائة وخمسين رجلا، وقيل: في مائتين، ومعهم ثلاثون بعيرًا يعتقبونها، وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب؛ خرج يريد قريشا حالَ صدورها من «مكة» إلى «الشام» بالتجارة، فخرج إليها ليغنمها، فوجدها قد مضت.

ووادع بني مدلج من كنانة، وكانت نسخة الموادعة فيما ذكره غير ابن إسحاق: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتابٌ من محمد رسول الله لبني مدلج؛ فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وأن لهم النصر على من رامهم، على ألا يحاربوا في دين الله ما بلَّ بحر صوفة، وأن النبى ﷺ إذا دعاهم لنصره أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله».

واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومى [٢].

وقال ابن إسحاق- يعنى: على مقتضى رواية من قدم غزوة العشيرة على بدر الأولى-: لما رجع ﷺ من غزوة العشيرة، لم يقم بـ«المدينة» إلا ليالى قلائل لا تبلغ العشر، وبلَّغهَا صاحب «المواهب» فقال: عشر ليال، حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح «المدينة» [٣].

= (٢/ ٤٨٠)، المغازي للواقدي (١/ ١٢)، الكامل في التاريخ (٢/ ٢١٢)، البداية والنهاية (٣/ ٣٠٢)، المنتظم (٣/ ٩٠)، تاريخ الإسلام (٤٧-المغازي).

(١) ينظر: الفتح (٨/ ٣) كتاب المغازي.

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٤٠)، المغازي (١/ ١٢)، البداية والنهاية (٣/ ٣٠٢)، تاريخ الإسلام (٤٧-المغازي).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٤٣).

و«شغر» كـ«زفر»: جبل بأصل جمّاء أم خالد، وسفوان- بفتحات-: وادٍ من ناحية بدر، وبه سميت هذه الغزوة بدرًا الأولى.

وفيها في رجب- كما في «المواهب» و«الخميس»- كانت سرية عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي، إلى «بطن نخلة»، على ليلة من «مكة» (١).

ونخلة- بلفظ مفردة النخل-: موضعٌ على يوم وليلة من «مكة»، وهى التى ينسب إليها «بطن نخلة»، الوارد فيها حديث استماع جنّ «نصيبين» لقراءته ﷺ في صلاة الصبح بها سورةَ الجن، المعنيين بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الأحقاف: ٢٩] سبعة أو ثمانية: شاصر، وماص، ومنشي، وناشي، والأحقب، وعمر بن جابر، وزوبعة، وسُرّق؛ والأصح أنهم سبعة وأن الأحقب صفة لأحدهم (٢).

وهما نخلتان: شامية ويمانية، فالشامية: تنصب من «الغمير»، واليمانية من بطن «قرن المنازل»، وهو طريق «اليمن» إلى «مكة»، فإذا اجتمعا فكانا واحدا فهو السد، ثم يضمهما «بطن مَرّ».

بعثه- عليه الصلاة والسلام- في ثمانية من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد وقيل: اثنا عشر رجلا-: سعد بن أبي وقاص الزهري، وعكاشة بن محصن الأسدي، وعتبة بن غزوان بن جابر السلمي، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة العبشمي، وسهيل بن بيضاء الحارثي، وعامر بن ربيعة الوائلى العنزي، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف التميمي، وخالد بن البكير الليثي؛ كل اثنين منهم يعتقبان بعيرا.

وكتب له- عليه الصلاة والسلام- كتابًا وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به، ولا يستكره أحدا من أصحابه على المسير معه؛ فلما سار عبد الله يومين فتح الكتاب؛ فإذا فيه: «إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل «نخلة» بين «مكة» و«الطائف»، فترصد بها قريشا، وتعلم لنا من أخبارهم» وفي رواية: فإذا فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فسر على بركة الله بمن تبعك

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٤٣)، الطبقات الكبرى (٢/ ١٠-١١)، تاريخ الطبري (٢/ ٤١٠)، المغازي (١/ ١٣)، الكامل في التاريخ (٢/ ١١٣-١١٥)، المنتظم (٣/ ٩١)، البداية والنهاية (٢/ ٣٠٤)، تاريخ الخميس (١/ ٤٠٢)، تاريخ الإسلام (٤٨-المغازي).

(٢) اختلف في عددهم وأسمائهم على أقوال. وينظر: الدر المنثور (٦/ ١٦-١٧).

من أصحابك؛ حتى تنزل بطن «نخلة» فترصد بها عير قريش؛ لعلك أن تأتي لنا بخبر».

فلما نظر في الكتاب قال: سمعا وطاعة، ثم قال لأصحابه: «قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى «نخلة»؛ لنرصد بها قريشا؛ حتى آتى إليه بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحدا منكم؛ فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، وأما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ».

فمضى ومضى معه أصحابه؛ لم يتخلف منهم أحد، وسلك على «المجاز» حتى إذا كان فوق الفرع بمحل يقال له «بحران» أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا؛ فتخلفا في طلبه، وحبسهما ابتغاؤه، ومضى عبد الله بن جحش في بقية أصحابه.

وفي «الوفاء»: مضى العشرة حتى نزلوا «نخلة»، فمرت بهم عير قريش تحمل زبيبًا وأدما وتجارة لقريش، فمنهم عمرو بن الحضرمى- واسم الحضرمي: عبد الله- والحكم بن كيسان، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان، فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبًا منهم، فقال عبد الله: إن القوم قد رعبوا منكم، فاحلقوا رأس رجل منكم فليتعرض لهم، فحلقوا رأس عكاشة فأشرف عليهم، فلما رأوه أمنوا، وقالوا: قوم عمار لا بأس عليكم منهم، وتشاور القوم فيهم- وذلك آخر يوم من رجب- فقالوا: لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم، وليمتنعن عليكم به؛ ولئن قتلتموهم لنقتلنهم في الشهر الحرام [1].

وفي «الكشاف» [2]: كان ذلك اليوم أول يوم من رجب، وهم يظنونه من جمادى الأخرى، فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجعوا أنفسهم عليهم، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم؛ فرمى واقد بن عبد الله الليثى عمرو ابنَ الحضرمى بسهم فقتله، واستأسروا عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان، وأعجزهم الباقون هربًا.

وأقبل عبد الله بن جحش بالعير والأسيرين، وقد عزل عبد الله بن جحش لرسول الله ﷺ خُمُس تلك الغنيمة، وقسم باقيها بين أصحابه، وذلك قبل أن يفرض الله

(١) ينظر: البداية والنهاية (٣/ ٣٠٥).
(٢) ينظر: الكشاف (١/ ٢٥٨).

الخمس من الغنائم لرسول الله ﷺ، فلما أحل الله الفيء بعد ذلك، فأمر بقسمه، وفرض الخمس فيه- وقع على ما كان صنعه عبد الله بن جحش في تلك العير.

فلما قدموا على رسول الله ﷺ، قال: «ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام»، فوقفَ العيرَ والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئًا، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ، سُقِطَ في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنفهم إخوتهم من المسلمين فيما صنعوا، وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدماء، وأخذوا الأموال، وأسروا الرجال، وعَيَّر بذلك أهلُ «مكة» مَنْ فيها من المسلمين، وقالوا: يا معشر الصَّبَأة، قد استحللتم الشهر الحرام، وقاتلتم فيه، وكتبوا في ذلك تشنيعا وتعييرا.

قال ابن إسحاق: فقال مَنْ يرد عليهم من المسلمين ممن كان بـ«مكة»: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان (١).

قلت: قول ابن إسحاق هذا، يرد قول «الكشاف» السابق قريبا، أن ذلك اليوم أول يوم من رجب، ويرده أيضا قولُ أصحاب عبد الله بن جحش: «لئن تركتم القوم... إلى آخره»؛ إذ تمحيض تعليلهم عدمَ تركهم إلى غد، بتخوفِ امتناعهم بدخول الحرم قاضٍ بما قاله ابن إسحاق حملا لكلام فرسان الكلام على التقسيم الصرف الغير المتداخل، ولا يستقيم إلا إذا كان ذلك اليوم آخر يوم من رجب، لا أول يوم [من شعبان]، وإن جاز خلافه، والله أعلم.

وقالت اليهود: نتفاءل على رسول الله: عمرو بن الحضرمي قتله واقد؛ عمرو: عمرت الحرب، والحضرمي: حضرت الحرب، وواقد: وقدت الحرب؛ فجعل الله ذلك عليهم لا لهم؛ فلما كثر الناس في ذلك؛ أنزل الله تعالى على رسوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ﴾ [البقرة: ٢١٧] أي: إن أنكرتموه في الشهر الحرام، فقد كان صدودُكم عن سبيل الله مع الكفر به، وعن المسجد الحرام، وإخراجُكم أهْلَه- أكبرَ عند الله من قَتْل من قُتِل منكم، والفتنة أكبر من القتل، وكانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه؛ فذلك

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٤٥).

أكبر عند الله من القتل.

فلما نزل القرآن بهذا الأمر، وفرج الله عن المسلمين ما هم فيه من المشاق قبض- عليه الصلاة والسلام- العير والأسيرين، وبعثت إليه قريش في فك عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان، فقال- عليه الصلاة والسلام-: لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان؛ فإنا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم، فقدم سعد وعتبة فأفداهما رسول الله ﷺ منهم، فأما الحكم بن كيسان: فأسلم وحسن إسلامه، وأقام عنده- عليه الصلاة والسلام- حتى قتل يوم بئر معونة شهيدًا، وأما ابن عبد الله: فلحق بـ«مكة» فمات كافرا.

فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه؛ حين نزل القرآن- طمعوا في الأجر، فقالوا: يا رسول الله، أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجرَ المجاهدين؟ فأنزل الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:٢١٨] فوضعهم الله من ذلك على أعظم الرجاء [١].

قال ابن هشام: وهى أول غنيمة غنمها المسلمون.

قال: وقال عبد الله بن جحش في ذلك: [من الطويل]

تعُدُّونَ قَتْلِى فِي الحَرامِ عَظيمَةً ... وَأَعظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرُّشْدَ رَاشِدُ
صُدُودُكُمْ عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ ... وَكُفْرٌ بِهِ، وَاللهُ رَاءٍ وَشَاهِدُ
وَإِخْرَاجُكُمْ مِنْ مَسْجِدِ الله أَهْلَهُ ... لِئَلَّا يُرَى لله فِي البَيْتِ سَاجِدُ
فَإِنَّا وَإِنْ عَيَّرْتُمُونا بِقَتْلِهِ ... وَأَرْجَفَ بِالإِسْلَامِ بَاغٍ وَحَاسِدُ
سَقَيْنَا مِنِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ رِمَاحَنَا ... بِنَخْلَةَ لَمَّا أَوْقَدَ الْحَرْبَ وَاقِدُ
وَسَارَ [٢] ابنُ عَبْدِ الله عُثْمانُ بَيْنَنَا ... يُنَازِعُهُ غُلٌّ مِنَ القِدِّ عَانِدُ [٣]

وفيها في نصف شعبان- وقيل: في نصف رجب- يوم الاثنين، وقيل: في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء بعد ستة عشر شهرًا من مقدمه «المدينة»، وقيل: سبعة

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٤٦-٢٤٧).
(٢) في ط: دما. والمثبت من السيرة، والبداية والنهاية، وهو أصوب.
(٣) ينظر السيرة النبوية (٢/ ٢٤٧)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٠٨)، وفي البداية والنهاية: غل من القيد عاند. والقد: شرك من جلد.

عشر، وقيل: ثمانية عشر- حولت القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة الشريفة[(١)].

وقال الحربي: قدم- عليه الصلاة والسلام- «المدينة» في ربيع الأول فصلى إلى بيت المقدس إلى تمام السنة، وصلى في سنة اثنتين من الهجرة ستة أشهر، ثم حولت القبلة.

روي أنه ﷺ زار أم بشر، أم البراء بن معرور، في بني سلمة فصنعت له طعامًا، فتغدى هو وأصحابه، وجاءت صلاةُ الظهر، فصلى بأصحابه في مسجد القبلتين ركعتين من الظهر نحو الشام، ثم أُمِرَ أن يستقبل الكعبة وهو راكع في الركعة الثالثة، فاستدار إلى الكعبة واستقبل الميزاب، ودارت الصفوف خلفه، ثم أتم الصلاة؛ فسمي: مسجد القبلتين[(٢)].

قال ابن سعد: قال الواقدي: هذا أثبت من قول من قال: إنها في مسجده، عليه الصلاة والسلام[(٣)].

وقيل: إن الصلاة كانت صلاة العصر؛ يشهد له حديث البراء في البخاري[(٤)].

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٤٨)، البدء والتاريخ (٤/ ١٨٤)، تاريخ الطبري (٢/ ٤١٥)، الكامل في التاريخ (٢/ ١١٥)، المنتظم (٣/ ٩٣)، نهاية الأرب (١٦/ ٣٩٧)، المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٧٥)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٠٨-٣١١)، تاريخ الإسلام (٥٠-المغازي).

(٢) ينظر: المنتظم (٣/ ٩٣).

(٣) ينظر: الطبقات الكبرى (١/ ١٨٦).

(٤) أخرجه البخاري (١/ ٥٩٨)، كتاب الصلاة: باب التوجه نحو القبلة حيث كان حديث (٣٩٩)، (٨/ ٢٤) كتاب التفسير باب ولكل وجهة هو موليها حديث (٤٤٩٢)، (١٣/ ٢٤٥)، كتاب أخبار الآحاد باب ما جاء في إجازة خبر الواحد حديث (٧٢٥٢)، ومسلم (١/ ٣٧٣)، كتاب المساجد باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة حديث (١٢/ ٥٢٥)، والترمذي (٥/ ١٩١)، كتاب التفسير باب سورة البقرة حديث (٢٩٦٢)، والنسائي (١/ ٢٤٢-٢٤٣)، كتاب الصلاة باب فرض القبلة حديث (٤٨٨)، وابن ماجه (١/ ٣٢٢-٣٢٣) كتاب الصلاة باب القبلة حديث (١٠١٠)، وأبو عوانة (٢/ ٨١-٨٢)، وأحمد (٤/ ٢٨٣، ٢٨٨-٢٨٩، ٣٠٤)، وأبو داود الطيالسي (٧١٩)، وابن الجارود في المنتقى (١٦٥)، وابن خزيمة (١/ ٢٢٢، ٢٢٦)، وابن حبان (١٧١٦)، وابن أبي شيبة (١/ ٣٣٤)، وابن سعد (١/ ٢٤٢-٢٤٣)، والدارقطني (١/ ٢٧٣-٢٧٤)، والبيهقي (٢/ ٢-٣) كتاب الصلاة والبغوي في شرح السنة (٢/ ٩٥-بتحقيقنا) من طرق كثيرة عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب به وفيه: فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وأما أهل قباء: فلم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر من اليوم الثاني كما في الصحيحين [١]؛ وهذا دليلٌ على أن الناسخ لا يلزم حكمه إلا بعد العلم به وإن تقدم نزوله؛ لأنهم لم يؤمروا بإعادة العصر والمغرب والعشاء، والله أعلم.

وفيها كان فرض صيام رمضان، بعد تحويل القبلة بشهر، في شعبان؛ على رواية من روى أن تحويل القبلة كان في رجب [٢].

وفيها فرضت زكاة الفطر قبل العيد بيومين، وذلك قبل أن تفرض زكاة الأموال، وقيل: إن الزكاة فرضت فيها، وقيل: قبل الهجرة، والله أعلم [٣].

وفيها غزوة بدر الكبرى، وتسمى: العظمى، والثانية، وبدر القتال [٤].

وهى قريةٌ مشهورة، نسبت إلى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة أول من نزلها، وقيل: نسبت لبدر بن الحارث حافر بئرها، وقيل: بَدْرٌ: اسم للبئر التى بها سميت بدرا؛ لاستدارتها ولصفائها ورؤية البدر فيها [٥].

قال ابن كثير: وهو يوم الفرقان الذى أعز الله فيه الإسلام وأهله، ووضع فيه الشرك وخرب محله؛ هذا مع قلة عدد المسلمين، وكثرة العدو مع ما كانوا عليه: من سوابغ الحديد، والعدة الكاملة، والخيول المسومة، والخُيَلاء الزائد، فأعز الله رسولَه، وأظهر وحيه وتنزيلَه، وبيض وجه النبي وقبيلَه، وأخزى الشيطان وجيلَه؛ ولهذا قال ممتنًا على عباده المتقين: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣] أى: قليل عددكم؛ لتعلموا أن النصر من عند الله لا بكثر العَدَدِ والعُدَدِ، فقد كانت هذه الغزوةُ أعظَم الغزوات في الإسلام [٦].

---

(١) ينظر السابق.

(٢) ينظر المنتظم (٣/ ٩٥)، تاريخ الطبري (٢/ ٤١٧)، الطبقات الكبرى (١/ ١٩١-١٩٢)، البداية والنهاية (٣/ ٣١١-٣١٢).

(٣) ينظر المصادر السابقة.

(٤) ينظر السيرة النبوية (٢/ ٢٤٩)، المغازي (١/ ١٩-١٧٢)، المغازي لعروة (١٣١-١٦٠)، الطبقات الكبرى (٢/ ١١-٢٧)، تاريخ الطبري (٢/ ٤٢١-٤٧٩)، البدء والتاريخ (٤/ ١٨٥-١٩٥)، الكامل في التاريخ (٢/ ١١٦)، المنتظم (٣/ ٩٧)، جوامع السيرة (١٠٧)، تاريخ الإسلام (٥٠-المغازي)، البداية والنهاية (٣/ ٣١٣)، عيون التواريخ (١/ ١١١-١٤٠).

(٥) ينظر: الطبقات الكبرى (٢/ ١١-٢٧)، والمنتظم (٣/ ٩٧).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٠٠).

وحكى الواقدى- بعد أن ذكر الأقوال في سبب تسميتها بدرا- إنكار ذلك كله عن غير واحد من شيوخ بنى غفار؛ قالوا: إنما هى مأوانا ومنازلنا، وما ملكها أحد قط يقال له: بدر، وإنما هى عَلم عليها كغيرها من البلاد، وهى على ثمانية وعشرين فرسخًا من «المدينة» [(١)].

قال ابن هشام في «السيرة»: إن رسول الله ﷺ لما سمع بأبي سفيان صخر بن حرب، مقبلا من «الشام» في عير لقريش عظيمة، فيها أموال لهم وتجارة من تجاراتهم، وفيها ثلاثون رجلا من قريش أو أربعون، منهم: أبو سفيان بن حرب، ومخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وعمرو بن العاص بن وائل، وهى العير التى كان خرج إليها- عليه الصلاة والسلام- فوصل إلى العشيرة حال إقبالها من «مكة» فلم يدركها، فرجع إلى «المدينة»، فأخبره جبريل بقفول العير من الشام، فأخبر النبيُّ ﷺ أصحابه المسلمين، فقال: «هذه عير قريش قد أقبلت، فيها أموالهم؛ فاخرجوا إليها؛ لعل الله أن ينفلكموها» فانتدب المسلمون، فخف بعضهم، وثقل بعضهم؛ وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حربًا، وكانت العير زهاء ألف، وفى أحمالها: من التمر والشعير والبر والزبيب، وغير ذلك.

وكان أبو سفيان بن حرب، حين دنا من الحجاز، يتجسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان؛ تخوفا عن أمر الناس، حتى أصاب خبرًا من بعض الركبان: أن محمدًا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك، فحذر عند ذلك، واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى «مكة»، وأمره أن يأتي قريشا؛ فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمدًا قد عرض لها في أصحابه، فخرج ضمضم، فقبل وصول ضمضم إلى مكة بثلاثٍ، رأت عاتكةُ بنت عبد المطلب رؤيا أفزعتها، وهى الرؤيا التى تقدم ذِكْرُنَاهَا في ذكر أعمامه وعماته- عليه الصلاة والسلام- بما أغنى عن إعادتها هنا [(٢)].

وكان خروج النبي ﷺ والمسلمين من «المدينة» لاثنتى عشرة ليلة مضت من رمضان؛ كذا في «المواهب».

وقال ابن هشام: لثمان ليال [(٣)]، وكان القتال يوم الجمعة صبيحة السابع عشر من

(١) ينظر: الطبقات الكبرى (٢/ ٢٠)، والمنتظم (٢/ ٩٧).
(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٤٩-٢٥٠).
(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٥٥).

رمضان، وقيل: التاسع عشر منه؛ والأول أصح.

ولما وصل ضمضم إلى «مكة» وفعل ما فعل، وحثهم على الخروج فقال: يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمةَ! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوثَ الغوثَ! طلع أبو جهل على ظهر الكعبة فنادى: النجاءَ النجاء !، على كل صعب وذلول، عيركم وأموالكم؛ إن أصابها محمد لن تفلحوا إذن أبدًا. فتجهز الناس سراعًا، وقالوا: أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي؟! كلا والله، ليعلمن غير ذلك!.

وقولهم: «كعير ابن الحضرمى»، يشيرون بذلك إلى العير التى غنمها عبد الله بن جحش في سريته إلى بطن «نخلة» المتقدم ذكرها فى حوادث السنة الأولى قبل هذه السنة [(١)].

فكانوا بين رجلين: إما خارج، أو باعث مكانه، وأوعبت قريش، ولم يتخلف من أشرافها أحد، إلا أَنَّ أبا لهب بن عبد المطلب تخلف، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة؛ كانت له عليه أربعة آلاف درهم أفلس بها، فاستأجره بها على أن يجزى عنه [(٢)].

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبي نجيح، أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود، وكان شيخا جليلا جسيمًا، فأتاه عقبة بن أبي معيط، وهو جالس في المسجد بين ظهراني قومه، بمجمرة يحملها فيها نار، حتى وضعها تحت ثوبه، ثم قال له: يا أبا صفوان، استجمر؛ فإنما أنت من النساء. فقال: قبحك الله وقبح ما جئت به! ثم تجهز وخرج مع الناس.

ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا على المسير، ذكروا ما بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب والعداوة، وقالوا: نخشى أن يأتونا من خلفنا؛ وكاد ذلك أن يثبطهم ويثنيهم، فتمثل لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم- وكان من أشراف كنانة- وقال لهم: أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم

---

(١) ينظر: سرية عبد الله بن جحش في حوادث السنة الأولى.

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٥٢-٢٥٣)، وتاريخ الطبري (٢/٤٢٨-٤٢٩)، ودلائل النبوة (٣/٢٩-٣٠).

بشيء تكرهونه، فساروا [(١)].

وفي «الاكتفا» لأبي بكر الكلاعى: أنهم كانوا يرونه في كل منزل على صورة سراقة لا ينكرونه، حتى كان يوم بدر والتقى الجمعان، وكان في صف المشركين آخذا بيد الحارث بن هشام، أو بيد أخيه أبي جهل بن هشام، ورأى الملائكة نزلت من السماء، ورأى جبريلَ معتجرا ببرد يمشى بين يديه عليه الصلاة والسلام وبيده اللجام يقود الفرس، وما ركب بعد، وعلم أنه لا طاقةَ له بهم نكص على عقبيه موليًا هاربا، فقال له الحارث: إلى أين، أفِرَارًا من غير قتال، أتخذلنا في هذه الحالة؟! فقال: إنى أرى ما لا ترون، ودفع في صدر الحارث فانطلق؛ فانهزم الناس.

ولما قدموا «مكة» قالوا: هزمَ الناسَ سراقةُ، فبلغ ذلك سراقة فقال: بلغنى أنكم تقولون: إنى هزمت الناس، فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتُكم! فقالوا: أما أتيتنا يوم كذا وكذا؟! فحلف لهم، فلما أسلموا علموا أن ذلك كان الشيطان! [(٢)].

وروى عن السدى والكلبى أنهما قالا: كان المشركون حين خرجوا من «مكة» أخذوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أهدى الفئتين، وأعلى الجندين، وأكرم الحزبين، وأفضل الدينين؛ ففيه نزلت: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ [الأنفال: ١٩] [(٣)].

وكان عدة المسلمين: ثلاثمائة وثلاثة عشر، وفي «البخاري» [(٤)] و«الكشاف» [(٥)]: ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا.

وفي الحديث: قال- عليه الصلاة والسلام- لأصحابه يوم بدر: «أنتم اليوم كعدد المرسلين، وأصحاب طالوت يوم عبروا النهر» [(٦)]: سبعة وسبعون منهم من

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٥٣-٢٥٤)، تاريخ الطبري (٢/ ٤٣٠)، والبداية والنهاية (٣/ ٣١٥).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٥٥)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٣١)، والبداية والنهاية (٣/ ٣١٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥٨٥٤) عن السدي. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣١٩) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) ينظر: الفتح (٨/ ١٧) وسيأتي حديث البراء بن عازب في ذلك.

(٥) ينظر: الكشاف (١/ ٤١١).

(٦) أخرجه البخاري (٣٩٥٧، ٣٩٥٨، ٣٩٥٩)، وأحمد (٤/ ٢٩٠)، والترمذي (١٥٩٨)، =

المهاجرين، ومائتان وستة وثلاثون من الأنصار، معهم ثلاثة أفراس: فرس المقداد ابن الأسود- والأسود، تبناه، واسم أبيه الحقيقى: عمرو- وفرس الزبير بن العوام، واسمه: اليعبوب، وفرس مَرْثد بن أبي مرثد الغنوي. وكان معهم من الدروع: تسعة، وفي رواية: ستة، ومن السيوف: ثمانية أسياف، ومن الظهر: سبعون بعيرا.

وثمانية من المسلمين لم يشهدوها لعذر؛ إنما ضرب لهم- عليه الصلاة والسلام- بأجرهم وسهمهم، فكانوا كمن حضرها:

ثلاثة من المهاجرين: عثمان بن عفان: تخلف؛ لتمريض رقية زوجته- رضي الله عنه- بنته- عليه الصلاة والسلام- في مرضها الذي ماتت فيه في غيبته- عليه الصلاة والسلام- في هذه الغزوة.

والثاني والثالث: طلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد؛ بعثهما- عليه الصلاة والسلام- عينين يتجسسان خبر العير، فسارا حتى بلغا «الخرار» فكمنا هناك فمرت بهما العير، فبلغه- عليه الصلاة والسلام- الخبر فخرج من «المدينة»، ورجعا إلى «المدينة» ولم يعلما بخروجه- عليه الصلاة والسلام- فقدماها بخبر العير فلم يجداه، وفي رواية: كان قدومهما «المدينة» في اليوم الذي كانت فيه الوقعة، فرجعا إليه فلقياه منصرفا من بدر، فضرب لهما بسهمهما وأجرهما؛ فكانا كمن حضر.

وخمسة من الأنصار.

أبو لبابة: رده من الطريق إلى «المدينة» بخلافة «المدينة».

وعاصم بن عدي العجلاني: استعمله على أهل العوالي، وحارثة بن حاطب: بعثه من «الروحاء» إلى بنى عمرو بن عوف.

والرابع والخامس: الحارث بن الصمة، وخوات بن جبير؛ سقطا من البعير فأصابهما بعض كسر؛ فردهما من الطريق.

وأما عدد المشركين: فكانوا ألفا، وقيل: تسعمائة وخمسون رجلا، معهم من الخيل: مائة، ومن الظهر: سبعمائة، ومعهم القيان والدفوف.

= وابن ماجه (٢٨٢٨) من طريق أبي إسحاق عن البراء وقال: حديث حسن صحيح ولفظه مختلف، واللفظ الذي أورده المصنف قريب منه عند سعيد بن منصور في سننه رقم (٢٨٧٤).

ولما نظر- عليه الصلاة والسلام- إلى أصحابه، ورأى قلة عَددهم وعُددهم، قال: «اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسُهم، اللهم إنهم جياع فأشبعهم، اللهم إنهم عالة فأغنهم [(١)]؛ فاستجيبت دعوته- عليه الصلاة والسلام- ففتح الله عليه؛ فما منهم رجل إلا رجع بخير، وجمل أو جملين، واكتسوا وشبعوا.

ودفع- عليه الصلاة والسلام- اللواء- وكان أبيض- إلى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وكان أمامه- عليه الصلاة والسلام- رايتان سوداوان: إحداهما مع علي بن أبي طالب يقال لها: العقاب، والأخرى مع بعض الأنصار.

وكانوا يعتقبون السبعين البعير؛ فكان رسول الله ﷺ، وعلي بن أبي طالب، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي- يعتقبون بعيرا [(٢)].

وفي «الكشاف» يعتقب النفر منهم البعير الواحد [(٣)]، وفي الحديث: «إذا كان عقبة النبي ﷺ يقولان له: اركب يا رسول الله حتى نمشي عنك، فيقول لهما: «ما أنتما بأقوى على المسير مني، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما» [(٤)].

قال ابن إسحاق: فسلك طريقَهُ من «المدينة» إلى «مكة» على نقب «المدينة» ثم على «العقيق» ثم على «ذي الحليفة» ثم على «أولات الجيش»- قال ابن هشام: «ذات الجيش»- ثم مر على «تربان» ثم على «ملل» ثم على «عميس الحمام» [ثم] على «صخيرات اليمام» ثم على «السيالة» ثم على «فج الروحاء» ثم على «شوكة» وهي على الطريق المعتدلة.

حتى إذا كان بـ«عرق الظبية» لقوا رجلا من الأعراب، فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبرا، فقال له الناس: سَلِّم على رسول الله ﷺ فقال: أَوَ فيكم رسول الله؟!

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٤٧) من طريق عبد الله بن وهب ثنا حيي عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو.

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٥١).

(٣) ينظر الكشاف (١/ ٤١١).

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٤١١، ٤١٨، ٤٢٢، ٤٢٤)، وابن حبان (٤٧٣٣)، والبزار (١٧٥٩- كشف)، والحاكم (٣/ ٢٠)، والبيهقي (٥/ ٢٥٨) من طريق عاصم بن أبي النجود عن زر عن عبد الله بن مسعود. وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٦٨-٦٩): رواه أحمد والبزار وفيه عاصم بن بهدلة وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح.

فقالوا: نعم، فسلم عليه، ثم قال: إن كنتَ رسولَ الله فأخبرني عما في بطن ناقتي هذه؛ فقال له سلمة بن سلامة بن وقش الأنصاري: لا تسأل رسول الله ﷺ وأقبل إليَّ أنا أخبرك عن ذلك: نزوتَ عليها؛ ففي بطنها سخلة؛ فقال له- عليه الصلاة والسلام-: «أفحشت على الرجل». ثم أعرض عن سلمة. ثم نزل «سجسج» وهي بئر «الروحاء».

وأخذ عليه الصلاة والسلام بـ«الروحاء» عينا له من جهينة حليفا للأنصار، يدعى: ابن الأريقط، فأتاه بخبر القوم، وسبقت العير رسول الله ﷺ.

ثم ارتحل من الروحاء حتى إذا كان بـ«المنصرف» ترك طريق «مكة» بيسار، وسلك ذات اليمين على «النازية» يريد بدرًا، فسلك في ناحية منها حتى جزع واديا يقال له: «صفان» بين «النازية» وبين «مضيق الصفراء» ثم على المضيق ثم انصب به، حتى إذا كان قريبا من «الصفراء» بعث بسبس بن عمرو الجهني حليفَ بني ساعدة، وعدي بن أبي الزغباء الجهني إلى بدر؛ يتجسسان له الأخبار عن أبي سفيان وعيره، فمضى العينان حتى نزلا بدرا فأناخا إلى تلّ قريب من الماء، ثم أخذا شنًّا لهما فاستقيا فيه، ومجدي بن عمرو الجهني على الماء، فسمعا جاريتين من جواري الحاضرة يتلازمان على الماء، والملزومة تقول للازمة: إنما ترد العير غدا أو بعد غد، فأعمل لهم، ثم أقضيك الذي لك. فقال مجدي بن عمرو صدقت، ثم خلص بينهما. فلما سمع عدي وبسبس ذلك، جلسا على بعير لهما ثم انطلقا؛ حتى أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه، ثم تقدم أبو سفيان العير حذرا، حتى ورد الماء، فقال لمجدي بن عمرو: هل أحسست أحدا؟ قال: ما رأيت أحدا؛ إلا أن راكبين قد أناخا إلى هذا التل، ثم استقيا في شن لهما، ثم انطلقا. فأتى أبو سفيان مناخَهُمَا فأخذ من أبعار بعيرهما ففتته؛ فإذا فيه كسرات النوى، فقال: هذه والله علائفُ «يثرب»، فرجع إلى أصحابه سريعًا، فصرف وجه عيره عن الطريق، فساحل بها وترك «بدرا» بيسار، وانطلق حتى أسرع [1].

قال ابن إسحاق: ثم ارتحل رسول الله ﷺ وقد قدم العينان، فلما استقبل «الصفراء»- وهي قرية بين جبلين- سأل عن اسم جبليهما؛ فقالوا: اسم أحدهما: مسلح، والآخر: مخرى، وسأل عن أهلها؟ فقيل له: يسمون: بني النار، وبني

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٥١-٢٥٣).

حراق، بطنان من غفار، فكرههما والمرورَ بينهما، فتركهما و«الصفراء» بيسار، وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له «ذفران» [(١)].

وفي «خلاصة الوفا»: ذفران: واد معروف، قبل «الصفراء» بيسير يصب سيله فيها من المغرب، يسلكه الحاج المصرى فى رجوعه إلى «ينبع»، فيأخذ ذات اليمين كما فعله- عليه الصلاة والسلام- في ذهابه إلى غزوة بدر، وبه مسجد يتبرك به على يسار السالك إلى «ينبع»، وأظنه مسجد «ذفران».

وفي «القاموس» [(٢)]: ذفران- بكسر الفاء-: واد قرب «الصفراء».

قال: ولما نزل «ذفران» أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش [(٣)].

وفي «الكشاف»: لما كان رسول الله ﷺ بـ«ذفران» نزل عليه جبريل فقال: «يا محمد، إن الله وعدك إحدى الطائفتين: إما العير وإما قريش؛ فحينئذ استشار أصحابه فقال: «ما تقولون؟ إن القوم قد خرجوا من «مكة» على كل صعب وذلول، فالعير أحب إليكم أم النفير؟» قالوا: العير أحب إلينا من لقاء النفير، فتغير وجهه- عليه الصلاة والسلام- ثم رد عليهم فقال: «إن العير قد مضت من ساحل البحر، وهذا أبو جهل قد أقبل». قالوا: يا رسول الله، عليك بالعير ودع العدو. فقام عند غضب النبي ﷺ أبو بكر فقال وأحسن، ثم قام عمر وأحسن، ثم قام سعد بن عبادة فقال: انظر أمرك وامض لما أمرت؛ فوالله! لو سرت إلى «عدن أبين» [(٤)] ما تخلف عنك رجل من الأنصار، ثم قام المقداد بن الأسود فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله؛ فنحن معك، والله! ما نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، ما دامت منا عين تطرف، نقاتل عن يمينك وعن يسارك، ومن بين يديك ومن خلفك، فو الذي بعثك بالحق! لو سرت بنا إلى «برك الغماد» [(٥)]

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٥٣).
(٢) ينظر: ترتيب القاموس (٢/ ٢٦٠) (ذفر).
(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٥٣).
(٤) عَدَن أبين: مدينة مشهورة على ساحل بحر اليمن. مراصد الاطلاع (٢/ ٩٢٣).
(٥) برك الغِماد: بكسر الغين المعجمة هو الأشهر وابن دريد يضمها، وهو موضع وراء =

لجالدنا معك دونه حتى تبلغه.

فضحك رسول الله ﷺ وقال له خيرا، ثم قال- عليه الصلاة والسلام-: «أشيروا عليّ»، وإنما يريد الأنصار؛ وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا؛ نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا؛ فكان- عليه الصلاة والسلام- يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرة إلا ممن دهمه بـ«المدينة» من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو بعيد عن بلادهم؛ فلما قال ذلك قال له سعد بن معاذ: كأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجل». قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك مواثيقنا على السمع والطاعة؛ فامض- يا رسول الله- لما أردت؛ فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق! لو استعرضتَ بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا؛ وإنا لصُبُر في الحرب، صُدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك؛ فسر بنا على بركة الله. فقال: «سيروا وأبشروا؛ فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله! لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم!»[1].

ثم ارتحل- عليه الصلاة والسلام- من «ذفران» فسلك على ثنايا يقال لها: «الأصافر»، ثم انحط منها إلى بلد يقال له: «الدَّبة» بفتح الدال المهملة، وتشديد الباء الموحدة؛ وفي «القاموس»: «الدبة»: موضعٌ قرب «بدر».

قال ابن إسحاق: وترك «الحنان» بيمين، وهو: كثيب عظيم كالجبل؛ ثم نزل قريبا من «بدر» فركب هو ورجل من أصحابه[2] (قال ابن هشام: الرجل: هو أبو بكر الصديق)[3] وسار حتى نزل على شيخ من العرب، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه، فقال لهما الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما، فقال رسول الله ﷺ: «إذا أخبرتنا أخبرناك». قال: وذاك بذاك؟ قال: «نعم» قال الشيخ: فإنه بلغني

= مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل: بلد باليمن، وهو أقصى حجر باليمن. مراصد الاطلاع (١/ ١٨٧).

(١) ينظر: الكشاف (٢/ ١٩٨).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٥٤)، والبداية والنهاية (٣/ ٣١٩-٣٢١).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٥٤).

أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فَإن كان صدقني الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا- للمكان الذي به [رسول الله ﷺ - وبلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرنى صدقنى، فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى فيه][1] قريش. فلما فرغ من خبره، قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «نحن من ماء»، ثم انصرفا عنه. قال: يقول الشيخ: ما «من ماء»؟ من «ماء العراق»؟ أراد- عليه الصلاة والسلام- أن يوهمه أنه من العراق، وكان «العراق» يسمى: ماءً؛ لكثرة الماء فيه، وإنما أراد- عليه الصلاة والسلام- أنه خلق من نطفة من ماء.

ثم رجع- عليه الصلاة والسلام- إلى أصحابه، فلما أمسى بعث على بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص- في نفر من أصحابه- إلى ماء بدر، يلتمسون الخبر، فأصابوا راوية لقريش، فيها غلام أسود لبني الحجاج، اسمه: أسلم، وغلام لبني العاص بن سعيد عريض بن يسار، وفر الباقون وكانوا كثيرا، وأول من بلغ قريشا من الفرار: رجل اسمه عجير، فبلغهم خبر رسول الله ﷺ وقال: يا آل غالب، هذا ابن أبي كبشة مع أصحابه، قد أخذوا راويتكم مع غلامين منا أيها الورّاد، فوقع في جيشهم انزعاج واضطراب وخوف، فلما أتوا رسول الله ﷺ بالغلامين سألوهما، وهو- عليه الصلاة والسلام- يُصلى، فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان صاحبِ العير، فضربوهما، فلما أذلقوهما قالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما، وسلم- عليه الصلاة والسلام- من صلاته فقال: «إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا والله! إنهما لقريش، أخبراني عن قريش» قالا: هم والله وراء هذا الكثيب العقنقل[2]، فقال لهما: «كم القوم؟» فقالا: كثير. قال: «كم عدتهم؟» قالا: ما ندري. قال: «كم ينحرون كل يوم من الإبل؟» قالا: يومًا تسعا، ويوما عشرا. فقال- عليه الصلاة والسلام-: القوم بين التسعمائة والألف». ثم قال لهما: «فمن فيهم من أشراف قريش؟» قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن

(١) سقط فى ط. والمثبت من السيرة.
(٢) الكثيب العقنقل: الوادي العظيم المتسع، المتداخل الرمل. الوسيط (عقنقل).

نوفل، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمية ابن خلف، ونُبيه ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو بن عبد ود العامري؛ فأقبل- عليه الصلاة والسلام- على الناس قائلا: «هذه- والله- «مكة» قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها»(١).

قال ابن إسحاق ولما أقبلت قريش ونزلوا «الجحفة» رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا؛ فقال: إني أرى فيما يرى النائم وإنى لبين النائم واليقظان؛ إذ نظرت إلى رجل أقبل على فرس، حتى وقف ومعه بعير له، ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، وفلان، وفلان فعد رجالا ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش- ثم رأيته ضرب في لبة بعيره، ثم أرسله في العسكر، فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه، فبلغتْ هذه الرؤيا أبا جهل، فقال: وهذا- أيضا- نبي من بني المطلب، سيعلم غدا من المقتول؛ إن نحن التقينا! (٢).

قال ابن هشام: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره، أرسل إلى قريش: «إنكم إنما خرجتم؛ لتمنعوا رجالكم وأموالكم وعيركم، فارجعوا. فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا وكانت بدر موسما من مواسم العرب، يجتمع لهم بها سوق في كل عام- فنقيم عليها ثلاثا، فننحر الجزر ونطعم الطعام، ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان بالدفوف، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا؛ فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها، فامضوا. فوافوها فَسُقوا كئوس المنايا مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان! .

وقال أبي بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي- وكان حليفا لبني زهرة-: يا بني زهرة، قد نجى الله لكم أموالكم، وخلص لكم صاحبكم مخرمةَ بن نوفل، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله، فاجعلوا عليَّ عارها وارجعوا؛ فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في ضيعة، لا تسمعوا ما يقول هذا- يعني: أبا جهل- فرجعوا فلم يشهدها زُهْرى (٣).

وقيل: إن سبب رجوعه بهم: أنه خلا بأبي جهل حين تراءى الجمعان، فقال:

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٥٥-٢٥٦)، تاريخ الطبري (٢/ ٤٣٦)، ودلائل النبوة (٣/ ٤٢-٤٣)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٢٣-٣٢٤).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٥٧).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٥٨).

يا أبا الحكم، أترى أن محمدا يكذب؟ فقال أبو جهل: كيف يكذب على الله، وقد كنا نسميه الأمين؛ لأنه ما كذب قط، ولكن إذا اجتمعت في بني عبد مناف: السقاية، والرفادة، والحجابة، والمشورة، ثم تكون فيهم النبوة، فأي شيء بقي لنا؟! فحينئذ انخنس أبىّ ببني زهرة- وكانوا ثلاثمائة رجل- فسمي الأخنس من ذاك؛ لذلك فلم يشهد بدرا زهرى، فأطاعوه وكان فيهم مطاعا؛ كذا في «الروض الأنف»[1].

ولم يبق بطن من قريش إلا وقد نفر منه ناس؛ إلا بني عدي بن كعب لم يخرج منهم أحد؛ فلم يشهد بدرا من هاتين القبيلتين: بنى زهرة وبني عدي- أحد.

وروى أن أبا سفيان لقى بنى زهرة، فقال: يابني زهرة لا في العير ولا في النفير؟! وهو أول من قالها؛ قالوا: أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع.

ولما بلغ أبا سفيان قولُ أبى جهل: والله، لا نرجع... إلى آخر ما قاله- قال: واقوماه!، هذا عَمَل عمرو بن هشام، يعني: أبا جهل.

ولما بلَّغ أبو سفيان العيرَ إلى مَكة لحق بقريش، فمضى معهم وشهد بدرا، وجرح- يومئذ- جراحاتٍ، وأفلت هاربا ولحق بـ«مكة» راجلا.

قال ابن إسحاق: ومضى القوم، وكانت بين طالب بن أبي طالب- وكان في القوم- وبين بعض قريش محاورة، فقالوا: والله، لقد عرفنا يا بني هاشم- وإن خرجتم معنا- أَنَّ هواكم لَمَعَ محمدٍ ﷺ، فرجع طالب إلى «مكة» مع من رجع، وقال تلك الأبيات المتقدم ذكرها:

لاهم إما يغزون طالب... إلى آخره.

ومضت قريش حتى نزلوا بـ«العدوة القصوى» من الوادي خلف «العقنقل»، ونزل- عليه الصلاة والسلام- بطن الوادي، وهو «يليل» بين «بدر» وبين «العقنقل» الذي خلفه قريش في «العدوة الدنيا» أى: القربى إلى «المدينة» من بطن «يليل»، وبعث الله السماءَ وكان الوادي دهسا، فأصاب رسولَ الله ﷺ وأصحابه، ما لبد لهم الأرض ولم يمنعهم المسير، وأصاب قريشًا منها ما لم يقدروا معه أن يرتحلوا، فخرج- عليه الصلاة والسلام- يبادرهم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماء بـ«بدر» فنزل به[2].

---

(١) ينظر: الروض الأنف (٣/ ٨٢).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٥٩)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٣٧-٤٣٨)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٢٤-٣٢٥).

روى أنه في الليلة السابقة على يوم الحرب، غلب النوم والأمنة على المسلمين؛ بحيث لم يقدروا أن يكونوا أيقاظا، روى عن الزبير أنه قال: سلط علىّ النوم، بحيث كلما أردت أن أجلس يلقينى النوم على الأرض، وكذا كان النبى ﷺ وأصحابه.

قال سعد بن أبي وقاص: رأيتني تقع ذقني بين ثديى، فلما أنتبه أسقط على جنبى.

وكان مشركو قريش بقرب منهم، وقد غلبهم الخوف، فبعث- عليه الصلاة والسلام- عمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود إليهم، فرجعا وقالا: يا رسول الله، غلب على المشركين الخوفُ؛ حتى إذا صهلت خيلهم، ضربوا وجوهها من شدة الخوف.

وروى أن المسلمين قاموا، فاحتلم أكثرهم وأجنبوا، وقد غلب المشركون على الماء، فتمثل لهم الشيطان فوسوس إليهم، وقال: كيف تُنصرون وقد غُلبتم على الماء، وأنتم تظلون محدثين مجنبين (والحال أن آية التيمم لم تنزل بعد) وتزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله؟! فأشفقوا، فأرسل الله عليهم السماء حتى سال الوادي، فاتخذوا الحياض، وشربوا وسقوا الركاب، واغتسلوا وتوضئوا، وملئوا الأسقية، وانطفأ الغبار، وتلبدت لهم الأرض؛ حتى ثبتت عليها الأقدام ولم يمنع السير، وزالت عنهم الوسوسة وطابت النفوس؛ كما قال تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ... ﴾ الآية [الأنفال: ١١].

ولما كانت «العدوة القصوى» مناخ قريش أرضا سهلة لينة، لم تبلغ أن تكون رملا، وليس هو بتراب- أصابهم ما لم يقدروا أن يرتحلوا معه؛ فبادر- عليه الصلاة والسلام- حتى نزل على ماء من بدر، فقال له الحباب بن المنذر: يا رسول الله، أهذا منزل أنزلكه الله؛ ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟! فقال- عليه الصلاة والسلام-: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة».
قال: يا رسول الله، إن هذا ليس بمنزل؛ فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبنى لك حوضا فنملأه ماء، ثم نقاتل القوم؛ فنشرب ولا يشربون. فقال- عليه الصلاة والسلام-: «لقد أشرت بالرأي».
فنهض- عليه الصلاة والسلام- بالناس حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه، ثم أمر بالقلب فغورت، وبنى حوضا على القليب الذي نزل عليه، فملئ ماء، ثم قذفوا

فيه الآنية [١].

وكان نزوله عشاء ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان؛ كما مر.

ولما نزل، قام مع جماعة من أصحابه يسير في عرصة بدر، ويضع يده على الأرض، ويقول: «هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان»؛ يرى أصحابه مصارع صناديد قريش، فوالله ما تجاوز أحدٌ منهم الموضعَ الذي عين له.

وقال سعد بن معاذ: «يا رسول الله، ألا نبنى لك عريشًا تكون فيه، ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا، وإن كانتِ الأخرى قعدت على ركائبك؛ فلحقت بمن وراءنا من قومنا؛ فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حبًا لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك».

فأثنى عليه رسول الله ﷺ ودعا له بخير، ثم بَنَى لرسول الله ﷺ عريشا فكان فيه [٢].

وفي «الخلاصة» للسيد السمهودي: «مسجد بدر» مكان العريش الذي بني لرسول الله ﷺ يوم بدر عنده، وهو معروف عند النخيل، والعين قريب منه، وبقربه في جهة القبلة مسجدٌ آخر تسميه العامة: «مسجد النصر» لم أقف فيه على شيء.

قال ابن إسحاق: وارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت، فلما رآها- عليه الصلاة والسلام- تصوب من الكثيب إلى الوادي، قال: «اللهم، هذه قريش قد أقبلت بخيَلائها وفخرها وحديدها؛ تحادّك وتكذِّب رسولك؛ اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أحنهم الغداة».

ثم قال- وقد رأى عتبة بن ربيعة في القوم على جمل أحمر-: «إن يكنْ في أحدٍ من القوم خير، ففي راكب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا».

وكان رجلٌ من غفار يدعى: خفاف بن رحضة، بعث إلى قريش- حين مروا به- ابنا له بجزائر أهداها عليهم، وقال: إن أحببتم أمدكم بسلاح ورجال، فأرسلوا إليه: أن وصلتك رحم؛ فقد قضيت الذي عليك، ولعمري! إن كنا إنما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم، ولئن كنا إنما نقاتل الله، كما يزعم محمد وأصحابه؛ فما لأحد بالله من قِبَل.

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٥٩-٢٦٠)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٤٠)، ودلائل النبوة (٣/ ٣٥)، وأسد الغابة (١/ ٦٦٥)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٢٦-٣٢٧).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٦٠)، وسبل الهدى والرشاد (٤/ ٣٠).

فلما نزل الناس أقبل ناس من قريش حتى وردوا حوضه- عليه الصلاة والسلام- فيهم حكيم بن حزام، فقال- عليه الصلاة والسلام-: «دعوهم». فما شرب أحد منه إلا قتل يومه، ما عدا حكيم بن حزام؛ فإنه لم يقتل، ثم أسلم بَعْدُ، فحسن إسلامه، فكان إذا حلف واجتهد في يمينه قال: والله الذي نجاني من ماء بدر (١).

ولما اطمأنَّ القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحى، فقالوا: احزر لنا أصحاب محمد، فدار بفرسه حول العسكر، ثم رجع فقال: ثلاثمائة رجل، يزيدون قليلا أو ينقصونه؛ ولكن أمهلوني حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد؟ فضرب في بطن الوادي، حتى أبعد فلم ير شيئًا، فرجع فقال: ما رأيت شيئا؛ ولكني قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل السم الناقع، قومٌ لا منعة لهم ولا ملجأ إلا سيوفهم! والله، ما أرى أن يُقْتل منهم رجلٌ حتى يُقتلَ منكم رجل؛ فإن أصابوا أعدادهم منكم، فلا خير في العيش بعد ذلك؛ فَرَوْا رأيكم.

ولما سمع حكيم بن حزام كلام عمير، مشى في الناس، فأتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد، إنك كبير قريش وسيدها المطاع؛ هل لك في التي لا تزال تذكر منها بخير إلى آخر الدهر؟! قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي، قال عتبة: قد فعلت، أنت على بذلك؛ إنما هو حليفي فعلي عقله، وما أصيب من ماله، فائت ابن الحنظلية- يعنى: أبا جهل، واسم أمه: أسماء بنت مخرمة إحدى بني نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة- فإني لا أخشى أن يُشجر أمر الناس غيره؛ ثم قام عتبة خطيبا فقال: يا معشر قريش، إنكم- والله- ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا، والله! لئن أصبتموهم لا يزال الرجل ينظر في وجه رجلٍ يكره النظر إليه، قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذلك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك كفاكم ولم تتعرضوا لما يكره.

قلت: وهذا مصداق قوله- عليه الصلاة والسلام-: «إن يكن في أحد من القوم خير، ففي راكب الجمل الأحمر؛ إن يطيعوه يرشدوا» (٢).

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٦٠-٢٦١)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٤٠-٤٤١)، ودلائل النبوة (٣/ ١١١٢)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٢٧-٣٢٨)، وسبل الهدى والرشاد (٤/ ٣١).

(٢) تقدم تخريج هذه الرواية.

قال حكيم بن حزام: فانطلقت حتى جئت أبا جهل، فوجدته قد نثل درعًا له من جرابها فهو يهيئها، فقلت: يا أبا الحكم، إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا- للذي قاله عتبة- فقال أبو جهل: انتفخ- والله- سحر عتبة، حين رأى محمدًا وأصحابه، كلا- والله- لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعتبة ذاك؛ ولكنه قد رأى محمدًا وأصحابه أكلة جزور، وفيهم ابنه؛ فقد تخوفكم عليه؛ يعني: أبا حذيفة ابن عتبة، وكان قد أسلم قبل، وكان في أصحاب النبي ﷺ يومئذ [(١)].

وفي رواية عن حكيم: فجئته فإذا هو في جماعة من بين يديه ومن ورائه، وإذا ابن الحضرمي واقفٌ على رأسه، وهو يقول: قد فسخت عقدي من بني عبد شمس، وعقدي إلى بني مخزوم. قال حكيم: فجئت إلى عتبة وهو متكيء على خفاف بن رحضة الغفاري- المُهْدي الجزرَ السابق ذكرها- فأخبرته بمقالة أبي جهل، فقال عتبة: سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره أنا أم هو؟!.

وانتفاخ السحر: تقوله العرب للجبان؛ كناية عن الفزع.

و«مصفر استه»: إنما قاله عتبة؛ لأن أبا جهل كان به بعض بَرَص في أليته، فكان يردعه بالزعفران.

فغضب أبو جهل وطلع في وجهه الشر؛ فسلَّ سيفه وضرب به متن فرسه، فقال له خفاف بن رحضة: بئس الفأل تفاءلت به.

ثم بعث أبو جهل إلى ابن الحضرمي فقال: هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس، وقد رأيت ثأْرَكَ بعينك؛ فقم وانشد خفرتك ومقتل أخيك.

فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صاح: واعمراه ! واعمراه ! فحميت الحرب، وحقب أمر الناس، واستوسقوا على ما هم عليه من الشر، وأفسد أبو جهل على الناس الرأى، الذي دعاهم إليه عتبة بن ربيعة.

وخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي- وكان رجلاً شرسًا سيئ الخلق- فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمنه أو لأموتن دونه؛ فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة، فأطنّ قدمه بنصف ساقه، وهو دون الحوض؛ فوقع على ظهره تشخب رجله دمًا، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٦٢-٢٦٣).

يريد برّ يمينه، فأتبعه حمزة فضربه؛ حتى قتله في الحوض.

ثم التمس عتبة بن ربيعة بيضةً ليدخلها في رأسه، فما وجد في الجيش بيضة تسعه؛ لعظم هامته أو انتفاخها، فلما رأى ذلك اعتجر ببرد له على رأسه، ثم خرج بين أخيه شيبة ابن ربيعة وولده الوليد بن عتبة بن ربيعة، حتى إذا نصل من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إليه ثلاثة من الأنصار: عوف ومعوّذ ابنا الحارث، وعبد الله بن رواحة، فقالوا لهم: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار، قالوا: ما لنا بكم من حاجة [(١)].

وقال ابن إسحاق: إن عتبة قال للثلاثة من الأنصار حين انتسبوا له: أَكْفَاء كرام؛ إنما نريد من قومنا [(٢)]، ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرجْ لنا أَكْفَاءنا من قومنا؛ فقال- عليه الصلاة والسلام-: «قم يا عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، قم يا حمزة بن عبد المطلب، قم يا علي بن أبي طالب» فلما دنوا منهم قالوا: من أنتم؟ قال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي، قالوا: نعم، أَكْفَاءٌ كرام، فبارز عبيدة وكان أسن القوم- عتبة بن ربيعة، وبارز حمزةُ شيبة، وبارز عليٌّ الوليد بن عتبة.

فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدةُ وعتبةُ بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكر حمزة وعليٌّ على عتبة فذففا عليه، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه.

قال ابن إسحاق: ثم تزاحف الناس، ودنا بعضهم من بعض، وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم، وقال: «إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل». ورسول الله ﷺ في العريش، معه أبو بكر الصديق- رضي الله عنه[(٣)]- فكانت وقعة بدر يوم الجمعة، صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان [(٤)]؛ كما تقدم.

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٦٣-٢٦٥)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٤٢)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٢٩-٣٣٠).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٦٥)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٤٦).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٦٦)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٤٦)، ولفظ: «إذا اكتنفكم القوم ...» قد ورد موصولاً من حديث حمزة بن أبي أسيد عن أبيه، أخرجه البخاري (٢٩٠٠)، وأبو داود (٢٦٦٣)، والحاكم (٢/ ٩٦)، والطبراني (١٩/ ٢٦٢) رقم (٥٨١، ٥٨٢)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٧٠)، وفي السنن (٩/ ١٥٥)، والبغوي في شرح السنة (٥/ ٥٨٣).

(٤) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٦٦)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٤٦).

قال ابن إسحاق: وحدثني حبان بن واسع بن حبان، عن أشياخ من قومه؛ أن رسول الله ﷺ عدّل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قِدْح يعدل به القوم، فمرّ بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار، قال ابن هشام [(١)]: وهو مستنصل من الصف، فطعن في بطنه بالقدح وقال: «استو يا سواد». فقال: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل؛ فأقدني. قال: فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه، وقال: «استقد». قال: فاعتنقه وقبل بطنه، فقال: «ما حملك على هذا يا سواد؟» قال: يا رسول الله، حضر ما ترى فأردتُ أن يكون آخر العهد بك، أن يمس جلدي جلدك؛ فدعا له رسول الله ﷺ بخير [(٢)].

قال ابن إسحاق: ثم عدَّل رسول الله ﷺ الصفوف، ورجع إلى العريش، فدخله ومعه فيه أبو بكر، ليس معه فيه غيره، ورسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر؛ يقول- فيما يقول: «اللهم، إن تَهْلِكْ هذه العصابةُ اليوم لا تُعْبدْ»؛ وأبو بكر يقول: يا نبي الله، بعض مناشدتك ربك، فإن الله منجز لك ما وعدك ! [(٣)].

وقد خفق رسول الله خفقة وهو في العريش، ثم انتبه فقال: «أبشر يا أبا بكر، أتاك

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٦٦).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢/ ٤٤٦-٤٤٧)، وابن الأثير في أسد الغابة (٢/ ٥٩٠) ترجمة سواد رقم (٢٣٣٣)، وابن حجر في الإصابة (٣/ ١٨١) ترجمة رقم (٣٥٩٥) كلهم من طريق ابن إسحاق به، وقال الحافظ في الإصابة: «روى عبد الرزاق عن ابن جريج عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبي ﷺ « كان يتخطى بعرجون فأصاب به سواد بن غزية الأنصاري . . .» فذكر القصة. اهـ.

(٣) أخرجه مسلم (٦/ ٣٢٧-نووي) كتاب الجهاد والسير باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر الحديث (١٧٦٣)، وأبو داود (٣/ ٦١) كتاب الجهاد، باب في فداء الأسير الحديث (٢٦٩٠)، والترمذي (٥/ ٢٦٩) كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الأنفال الحديث (٣٠٨١)، والبغوي في شرح السنة (٧/ ١١٩) الحديث رقم (٣٦٧١)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٣٧)، والطبري في تاريخه (٢/ ٤٤٧) كلهم من طريق عكرمة بن عمار حدثني سماك الحنفي حدثني عبد الله بن عباس حدثنا عمر بن الخطاب قال: نظر نبي الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه وجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض. . .»، ورواه البخاري نحوه (٩/ ٦٠٣) كتاب التفسير باب قوله: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ الحديث (٤٨٧٥)، وأحمد في المسند (١/ ٣٢٩) وغيرهما من حديث عكرمة عن ابن عباس نحو حديث عمر.

نصر الله؛ هذا جبريل آخذٌ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع !»[١].

قال ابن إسحاق: وقد رُمي مهجع، مولى عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- بسهم فقُتل؛ فكان أول قتيل من المسلمين، ثم رمي حارثة بن سراقة أحد بني عدي ابن النجار، وهو يشرب من الحوض، فأصاب نحره فقتل[٢].

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرضهم، وقال: «والذي نفس محمد بيده ! لا يقاتلهم اليوم رجل، فيقتل صابرًا محتسبًا مقبلاً غير مدبر؛ إلا أدخله الله الجنة» قال: فقام عمير بن الحُمام أخو بني سلمة، وفي يده تمرات يأكلهن، فقال: بخ بخ، فما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ! قال: فقذف التمرات من يده، وأخذ السيف بيده فقاتل القوم حتى قتل[٣].

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، أن عوف بن الحارث وهو ابن عفراء قال: يا رسول الله، ما يضحك الربَّ من عبده؟ قال: «غمسُه يَدَهُ في العدو حاسرًا». قال: فنزع درعًا كانت عليه فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم، حتى قتل[٤].

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٤٤٨) وأورده ابن كثير نقلاً عن ابن إسحاق، وروى ابن أبي شيبة (٧/ ٣٥٤): حدثنا الثقفي عن خالد عن عكرمة أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر« هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب»، وروى البيهقي في الدلائل (٣/ ٥٤) من حديث عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبريل آخذ برأس فرس عليه أداة الحرب». اهـ.

(٢) أخرجه الطبرى في تاريخه (٢/ ٤٤٨) بسنده إلى ابن إسحاق، وانظر: طبقات ابن سعد (٢/ ١٢)، وأسد الغابة (٥/ ٢٦٨) ترجمة (٥١٤٠)، والإصابة للحافظ ابن حجر (٦/ ١٨٢) ترجمة مهجع (٨٢٧٨)، والاستيعاب رقم (٢٦١١) (ثلاثتهم بتحقيقنا) وقد روى ابن أبي شيبة بسنده عن سعيد بن المسيب قال: «قتل يوم بدر خمسة رجال من المهاجرين من قريش: مهجع مولى عمر يحمل يقول: أنا مهجع، وإلى ربي أرجع، وقتل ذو الشمالين وابن بيضاء وعبيدة بن الحارث وعامر بن أبي وقاص». أهـ.

(٣) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٤٤٨) بسنده إلى ابن إسحاق وذكره ابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ٢٧٨) ترجمة (٤٠٧٢)، وابن حجر في الإصابة (٤/ ٥٩٣) رقم (٦٠٤٥-بتحقيقنا. وانظر: الاستيعاب (ت٢٠٠٤)، والطبقات لابن سعد (٢/ ١٢)، وأورده ابن كثير أيضًا في البداية والنهاية (٣/ ٣٣٧). كلهم نقلاً عن ابن إسحاق. وله شاهد من حديث أنس أخرجه مسلم في صحيحه (٧/ ٥٢) كتاب الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد الحديث (١٩٠١)، وأحمد في المسند (٣/ ١٣٦-١٣٧)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٢٦)، والبيهقي في سننه (٩/ ٩٩) كتاب السير باب جواز انفراد الرجل والرجال بالغزو في بلاد العدو، ورواه أبو داود (٣/ ٣٨-٣٩) كتاب الجهاد باب بعث العيون الحديث (٢٦١٨) مختصرًا.

(٤) أخرجه ابن جرير في تاريخه (٢/ ٤٤٨-٤٤٩) بسنده إلى ابن إسحاق، ورواه أيضًا البيهقي =

قال ابن إسحاق: وقد حدثني محمد بن مسلم الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذري، حليف بني زهرة، أنه حدثه لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض، قال أبو جهل: «اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة» فكان هو المستفتح على نفسه [(١)].

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حفنة من الحصباء، فاستقبل بها قريشًا، ثم قال: «شاهت الوجوه». ثم نفحهم بها، فأمر أصحابه فقال: «شدوا» فكانت الهزيمة، فقتل الله من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر من أشرافهم.

فلما وضع القومُ أيديهم يأسرون، ورسولُ الله ﷺ في العريش، وسعد بن معاذ قائمٌ على باب العريش الذي فيه رسول الله ﷺ، متوشح بالسيف، في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ، يخافون عليه كرة العدو- رأى رسول الله ﷺ في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس، فقال له رسول الله ﷺ: «والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم؟!» فقال: «أجل يا رسول الله، كانت أولَ وقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخانُ في القتل أحبَّ إليّ من الاستبقاء للرجال» [(٢)].

= في سننه (٩/ ٩٩-١٠٠) بسنده إلى ابن إسحاق بهذا الإسناد وهو مرسل، وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد مرارًا. وانظر: أسد الغابة (٤/ ٢٩٩-٣٠٠) ترجمة (٤١٢٨).

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٣١)، والطبري في تفسيره (٦/ ٢٠٦) رقم (١٥٨٥٢)، والنسائي في تفسيره (١/ ٥١٨) رقم (٢٢١)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٢٨)، وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبي والواحدي في أسباب النزول ص(٢٣٧) رقم (٤٧٤)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٧٤)، وابن أبي شيبة (٧/ ٣٥٥) (٣٦٦٧٤)، ونسبه السيوطي في الدر (٣/ ٣١٨) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن منده وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٤٤٩) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٨١) نقلًا عن ابن إسحاق، وانظر: البداية والنهاية (٣/ ٣٤٧)، وأخرج الطبراني في الكبير (٣/ ٢٢٧) رقم (٣١٢٨) عن حكيم بن حزام قال: لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ فأخذ كفًا من الحصباء فاستقبلنا به فرمانا بها وقال: «شاهت الوجوه» فانهزمنا وأنزل الله عز وجل ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال:١٧]، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٨٤) إسناده حسن، ورواه الطبراني (٣/ ٢٢٧) رقم (٣١٢٧)، وابن جرير في التفسير بلفظ عن حكيم بن حزام قال «سمعنا صوت حصاة في طست ورمى رسول الله ﷺ بتلك الحصاة فانهزمنا» وحسن الهيثمي إسناده أيضًا في المجمع (٦/ ٨٤)، وروى الطبراني أيضًا في معجمه (١١/ ٢٨٥) رقم (١١٧٥٠) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال لعلي: «ناولني كفًا من حصباء» فناوله فرمى به وجوه القوم فما بقي أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء فنزلت الآية، قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٨٤): «ورجاله رجال الصحيح». اهـ.

قال ابن إسحاق: وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد، عن بعض أهله، عن ابن عباس؛ أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يومئذ: «إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم، قد أُخرجوا كرهًا لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقى منكم أحدًا من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقى أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فلا يقتله؛ فإنه إنما خرج مستكرهًا». قال فقال أبو حذيفة: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا، ونترك العباس؛ والله! إن لقيته لألحمنه بالسيف» قال ابن هشام: ويقال لألجمنه.

قال ابن إسحاق: فبلغت رسول الله ﷺ، فقال لعمر بن الخطاب- رضي الله عنه-: «يا أبا حفص (فقال عمر: والله، إنه لأول يوم كناني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص) أيضرب وجه عم رسول الله؟!» فقال عمر: يا رسول الله، دعني فلأضرب عنقه بالسيف؛ فوالله لقد نافق.

قال: فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفًا، إلا أن تكفرها عني الشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيدًا [(١)].

قال ابن إسحاق: وإنما نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البختري بن هشام؛ لأنه كان أكف القوم عن رسول الله ﷺ وهو بـ «مكة» فكان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم وبني المطلب، فلقيه المجذر بن ذياد البلوي حليف الأنصار من بني سالم بن عوف، فقال المجذر لأبي البختري: إن رسول الله ﷺ قد نهانا عن قتلك- ومع أبي البختري زميلٌ له قد خرج معه من «مكة»، وهو: جنادة بن مليحة بن زهير بن الحارث بن أسد، وجنادة: من بني ليث واسم أبي البختري: العاصي قال: وزميلي؟ فقال له المجذر: لا والله، ما نحن بتاركي زميلك؛ وما أمرنا رسول الله ﷺ إلا بك وحدك. قال: لا والله إذن لأموتن أنا وهو جميعًا؛ لا تحدِّث عني نساء «مكة» أني تركت زميلي حرصًا على الحياة. فقال أبو البختري- حين نازله المجذر وَأَبى إلا القتال-

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ ٧)، والطبري في تاريخه (٢/ ٤٤٩-٤٥٠)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٤٠-١٤١) كلهم من طريق ابن إسحاق بهذا الإسناد، ورواه الحاكم (٣/ ٢٢٣) في المستدرك عن العباس بن معبد عن أبيه عن ابن عباس. وانظر البداية والنهاية (٣/ ٣٤٧-٣٤٨)، والسيرة (٢/ ٢٧٠).

يرتجز:

لَنْ يُسْلِمَ ابْنُ حُرَّةٍ زَمِيلَهْ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهْ

فاقتتلا، فقتله المجذر بن ذياد، وقال المجذر في قتله أبا البختري:

إِمَّا جَهِلْتَ أَوْ نَسِيتَ نَسَبِي فَأَثْبِتِ النِّسْبَةَ أَنِّي مِنْ بَلِي

أَلطَّاعِنِينَ بِرِمَاحِ الْيَزَنِي وَالضَّارِبِينَ الْكَبْشَ حَتَّى يَنْحَنِي

بَشِّرْ بِيُتْمٍ مِنْ أَبِيهِ الْبَخْتَرِي أَوْ بَشِّرَنْ بِمِثْلِهَا مِنِّي بَنِي

أَنَا الَّذِي يُقَالُ: أَصْلِي مِنْ بَلِي أَطْعُنُ بِالصَّعْدَةِ[1] حَتَّى تَنْثَنِي

وَأَعْبِطُ الْقِرْنَ بِعَضْبٍ مَشْرَفِي أُرْزِمُ لِلْمَوْتِ كَإِرْزَامِ الْمَرِي[2]

فَلَا تَرَى مُجَذَّرًا يَفْرِي فَرِي[3]

المري: الناقة التي يستنزل لبنها على عسر.

قال ابن إسحاق: ثم أتى المجذر رسول الله ﷺ فقال: «والذي بعثك بالحق، لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به، فأبى إلا أن يقاتلني، فقاتلته فقتلته»[4].

قال: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، وحدثنيه أيضًا عبد الله بن أبي بكر وغيرهما، عن عبد الرحمن بن عوف، قال: كان أمية بن خلف صديقًا لي بـ «مكة» وكان اسمي: عبد عمرو، فسميت حين أسلمت: عبد الرحمن، فكان يلقاني فيقول: يا عبد عمرو، أرغبت عن اسم سماكه أبوك؟! فأقول: نَعم فيقول: إني لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئًا أدعوك به، أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول؛ وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف، قال: فكان إذا دعاني: يا عبد عمرو، لم أجبه. قال: فقلت له: يا أبا علي، اجعل ما شئت. قال: فأنت عبد الإله. قال، فقلت: نعم. قال: فكنت إذا مررت به فيقول: يا عبد الإله فأجيبه، فأتحدث معه؛ حتى إذا كان يوم بدر، مررت به وهو واقف مع ابنه عليّ بن

---

(١) الصعدة: الرمح المستوي. ينظر: الوسيط (صعد).

(٢) أعبط: أرمى، الوسيط (عبط). والقرن: الشجاع المقاوم الشديد في الحرب، الوسيط (قرن). والعضب: السيف القاطع، اللسان (عضب). وأرزم: أَحِنُّ، الوسيط (رزم).

(٣) مجذرا: هو المجذر بن ذياد. يفري فريّ: يعمل عملي. يقال: فلان يفرى الفريّ: إذا أجاد عمله وأتى فيه بالعجب الوسيط (فرى).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢/ ٤٥٠-٤٥١)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٤١) من طريق ابن إسحاق. وانظر: البداية والنهاية (٣/ ٣٤٨-٣٤٩)، والسيرة (٢/ ٢٧١).

أمية آخذ بيده، ومعي أدراع قد استلبتها، فلما رآني قال: يا عبد عمرو، فلم أجبه، فقال: يا عبد الإله، فقلت: نعم. فقال: هل لك في، فأنا خير لك من هذه الأدراع. قلت: نعم، ها الله إذن! فطرحت الأدراع وأخذت بيده ويد ابنه، وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط، أما لكم حاجة في اللبن(١)؟! قال ابن هشام: أراد باللبن: أن من أسرني افتديت منه بالإبل الكثيرة اللبن (٢).

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الواحد بن أبي عون، عن سعيد بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف، قال: قال لي أمية بن خلف- وأنا بينه وبين ابنه آخذٌ بأيديهما-: يا عبد الإله، من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟ قلت: ذاك حمزة بن عبد المطلب. قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل. قال عبد الرحمن: فوالله، إني لأقودهما إذ رآه بلالٌ معي، وكان هو الذي يعذب بلالاً بـ «مكة» على ترك الإسلام، فيخرجه إلى رمضاء «مكة» إذا حميت، فيضجعه على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد، فيقول بلال: «أحد أحد». فلما رآه بلال قال: «رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوتُ إن نجا». قال: فأحاطوا بنا حتي جعلونا في مثل المسكة وأنا أَذُب عنه.

قال: فأخلف رجل السيف فضرب رِجْل ابنِهِ فوقع، قال: وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط، قال: فقلت له: انج بنفسك ولا نجاء بك، فوالله ما أغني عنك شيئًا. قال: فهبروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما.

قال: فكان عبد الرحمن بن عوف يقول: «يرحم الله بلالاً، ذهبت أدراعي، وفجعني بأسيري» (٣).

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، أنه حدث عن ابن عباس، قال: حدثني رجل من بني غفار، قال: أقبلت أنا وابن عم لي، حتى أصعدنا في جبل

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٤٥١-٤٥٢)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٩١) بسنديهما إلى ابن إسحاق به. وانظر البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٣٤٩)، وقد أخرج البخاري (٥/ ٢٤٧) كتاب الوكالة، باب إذا وكل المسلم حربيًا في دار الحرب الحديث (٢٣٠١)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٩٠)، والحاكم (٣/ ٣٠٧) مختصرًا.

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٧٢).

(٣) ينظر: التعليق قبل السابق. وينظر أيضًا السيرة النبوية (٢/ ٢٧٢-٢٧٣).

يشرف على بدر، ونحن مشركان؛ ننتظر الوقعة: على من تكون الدائرة؛ فننتهب مع من ينتهب، قال: فبينا نحن في الجبل، إذ دنت منا سحابة، فسمعنا فيها حمحمة الخيل، فسمعت قائلاً يقول: «أقدم حيزوم». فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه؛ فمات مكانه، وأما أنا فكدت أَهْلِك، ثم تماسكت [(١)]. وحيزوم: اسم فرس جبريل.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، عن بعض بني ساعدة، عن أبي أسيد مالك بن ربيعة- وكان قد شهد بدرًا- قال بعد أن ذهب بصره. لو كنت اليوم ببدر ومعي بصري، لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك فيه ولا أتمارى [(٢)].

قال: وحدثني أبي، إسحاقُ بن يسار، عن رجال من بني مازن بن النجار، عن أبي داود المازني- وكان شهد بدرًا- قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر؛ لأضربه، إذ وقع رأسهُ قبل أن يصل إليه، سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري [(٣)].

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن عباس، قال: كانت سيما الملائكة يوم بدر، عمائمَ بيضاء قد أرسلوها في ظهورهم، ويوم حنين: عمائم حمراء [(٤)].

قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم أن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-

---

(١) أخرجه ابن جرير في تاريخه (٢/ ٤٥٣) بسنده إلى ابن إسحاق به. وفيه عبد الله بن أبي بكر ابن حزم لم يذكر أحد أنه روى عن ابن عباس انظر التهذيب (١٤/ ٣٤٩) (ت٣١٩٠). وانظر: البداية والنهاية (٣/ ٣٤١)، والسيرة النبوية (٢/ ٢٧٤).

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٨١) بسنده إلى ابن إسحاق به، ورواه ابن الأثير في أسد الغابة (٥/ ٢١) ترجمة رقم (٤٥٩٣)، وانظر السيرة النبوية (٢/ ٢٧٤، ٢٧٥)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٤١، ٣٤٢).

(٣) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٤٥٣)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٥٦) بسنديهما إلى ابن إسحاق به وفيه جهالة شيوخ إسحاق بن يسار، وروى البيهقي في الدلائل أيضًا من طريق أبي بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة قال حدثني أبو أمامة بن سهل قال: قال لي أبي: «يا بني لقد رأيتنا يوم بدر وإنَّ أحدنا يشير بسيفه إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه». اهـ. ورواه الطبري (٢/ ٤٥٤) في تاريخه. انظر البداية والنهاية (٣/ ٣٤٣)، والسيرة النبوية (٢/ ٢٧٤).

(٤) أخرجه ابن جرير في تاريخه (٢/ ٤٥٤)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٥٧) بسنديهما إلى ابن إسحاق قال: حدثني الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن عباس. والحسن بن عمارة قال الحافظ في التقريب (١/ ١٦٩): =

قال: العمائم: تيجان العرب، وكان سيما الملائكة يوم بدر: عمائم بيضاء قد أرخوها على ظهورهم، إلا جبرئيل، فإنه كانت عليه عمامة صفراء [١].

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن مقسم، عن ابن عباس: ولم تقاتل الملائكة في يوم من الأيام سوى يوم بدر، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددًا ومددًا لا يضربون.

قال ابن إسحاق: وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز؛ يقاتل وهو يقول:

ما تَنْقِمُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ مِنِّي   بَازِلُ عَامَيْنِ حَدِيث سِنِّي [٢]
لِمِثْلِ هَذَا وَلَدَتْنِي أُمِّي

قال ابن هشام: وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر: «أحد أحد» [٣].

قال ابن إسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من عدوه، أمر بأبي جهل بن هشام أن يلتمس في القتلى، وكان أولُ من لقى أبا جهل، كما حدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن أبي بكر أيضًا قد حدثني ذلك قالا: قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة: سمعت القوم، وأبو جهل في مثل الحرجة (قال ابن هشام [٤]: الحرجة: الشجر الملتف؛ وفي الحديث: عن عمر بن الخطاب، أنه سأل أعرابيًّا عن الحرجة؟ فقال: هي شجرة بين الأشجار لا يصل راع إليها) وهم يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه، قال: فلما سمعتها جعلتها من شأني، فصمدت نحوه، فلما أمكنني حملتُ عليه، فضربته ضربة أطنت قدمه من نصف ساقه، فوالله ما شبهتها حين طاحت؛ إلا بالنواة تطيح من تحت مِرضَخَةِ [٥] النوى حين يضرب بها.

قال: وضربني ابنه عكرمة على عاتقي، فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي

= متروك. وانظر ترجمته في الميزان (٢/ ٢٦٥) رقم (١٩٢١)، وانظر الحديث في البداية والنهاية (٣/ ٣٤٣)، والسيرة النبوية (٢/ ٢٧٤).

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٧٤).

(٢) الحرب العوان: التي قوتل فيها مرة بعد مرة انظر: اللسان (عون) وفي البداية والنهاية: (الحرب الشموس). بازل: يقال: بزل الرجل: كملت تجربته فهو بازل، وأصله: من بزل البعير إذا طلع نابه وذلك في السنة الثامنة أو التاسعة فهو (بازل). ينظر: الوسيط (بزل).

(٣) ينظر السيرة النبوية (٢/ ٢٧٤-٢٧٥)، وانظر الشعر أيضًا في البداية والنهاية (٣/ ٣٤٦).

(٤) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٧٥).

(٥) المرضخة أو المرضاخ: حجر يرضخ به النوى، أي: يرض ويكسر. الوسيط (رضخ).

وأجهضني القتال عنه، فلقد قاتلتُ عامة يومي وإني لأسحبها خلْفي، فلما آذتني وضعت عليها قدمي، ثم وطئت بها عليها، حتى طرحتها.

قال ابن إسحاق [١]: ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمان عثمان.

ثم مر بأبي جهل- وهو عقير- معوذ بن عفراء، فضربه حتى أثبته، فتركه وبه رمق، وقاتل معوذ حتى قتل. فمر عبد الله بن مسعود بأبي جهل، حين أمر به رسول الله ﷺ أن يلتمس في القتلى، وقد قال لهم رسول الله ﷺ- فيما بلغني- «انظروا- إن خفى عليكم في القتلى- إلى أثر جرح في ركبته، إني ازدحمت أنا وهو يومًا على مائدة لعبد الله بن جُدعان ونحن غلامان، فكنت أسنَّ منه بيسير، فدفعته فوقع على ركبتيه؛ فجحشت إحداهما جحشًا لم يزل أثره به.

قال عبد الله بن مسعود: فوجدته بآخر رمق فعرفته، فوضعت رجلي على عنقه، قال: وقد كان ضبث بي مرة بـ «مكة» فآذاني ولكزني، ثم قلت له: هل أخزاك الله يا عدو الله؟ قال: وبما أخزاني، أعمد من رجل قتلتموه- وفي رواية: أعظم من رجل قتله قومه- أخبرني لمن الدبرة اليوم (والدبرة: الغلبة والظفر) قال: قلت: لله ولرسوله [٢].

قال ابن إسحاق: فزعم رجلٌ من بني مخزوم أن ابن مسعود كان يقول: قال لي: لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعبًا، قال: ثم احتززت رأسه، ثم جئت به رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، هذا رأس عدو الله أبي جهل بن هشام. قال: فقال رسول الله ﷺ: «آلله الذي لا إله غيره؟» قال: وكانت يمين رسول الله. قال: قلت: نعم، والله الذي لا إله غيره، ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ؛ فحمد الله [٣].

---

(١) القول لابن هشام وليس لابن إسحاق.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢/ ٤٥٤-٤٥٥)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٨٤-٨٥) بسنديهما إلى ابن إسحاق قال: حدثني ثور بن زيد مولى بني الدِّيل عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس. وانظر البداية والنهاية (٣/ ٣٥٠-٣٥١)، والسيرة النبوية (٢/ ٢٧٦). ورواه البيهقي من طريق ابن إسحاق أيضًا حدثني عبد الله بن أبي بكر به مرسلاً.

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٤٥٥)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٨٦). وانظر: البداية والنهاية (٣/ ٣٥١)، والسيرة (٢/ ٢٧٧)، وأخرج البخاري (٨/ ٢١) كتاب المغازي باب قتل أبي جهل الحديث (٣٩٦٢) وأطرافه في (٣٩٦٣، ٤٠٢٠)، ومسلم (٦/ ٤٠٠) كتاب الجهاد والسير باب قتل أبي جهل الحديث (١٨٠٠) وغيرهما من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: =

قال ابن هشام: وحدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازي، أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص- ومر به-: إني أراك كأن في نفسك شيئًا، أراك تظن أني قتلت أباك؛ إني لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله، ولكني قتلت خالي العاص بن هشام بن المغيرة، فأما أبوك فإني مررت به، وهو يبحث بحث الثور بروقه، فحدتُّ عنه، وقصد له ابنُ عمه عليٌّ فقتله [(١)].

قال ابن إسحاق: وقاتل عكاشةُ بن محصن بن حرثان الأسدي حليفُ بني عبد شمس ابن عبد مناف، يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده، فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جزلاً من حطب، فقال: «قاتل بهذا يا عكاشة». فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزه؛ فعاد سيفًا في يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله به على المسلمين، وكان ذلك السيف يسمى: العون، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ، حتى قتل يوم الردة وهو عنده؛ قتله طلحة بن خويلد الأسدي [(٢)].

قال ابن هشام: ونادى أبو بكر الصديق ابنه عبد الرحمن- وهو يومئذ مع المشركين-: أين مالي يا خبيث؟ فقال عبد الرحمن: [من السريع]

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ شِكَّةٍ وَيَعْبُوبْ وَصَارِمٍ يَقْتُلُ ضُلَّالَ الشِّيبْ[(٣)]

= «من ينظر لنا ما صنع أبو جهل؟» فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برك، قال: فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل؟! فقال: وهل فوق رجل قتلتموه (أو قال: قتله قومه)، وروى أحمد (١/ ٤٤٤)، والطبراني في الكبير (٩/ ٨١) رقم (٨٤٦٩، ٨٤٧٠، ٨٤٧١، ٨٤٧٢، ٨٤٧٣)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٦٢) من طرق عن أبي عميرة عن ابن مسعود. وأصل الحديث عن ابن مسعود رواه البخاري (٨/ ٢١) كتاب المغازي باب قتل أبي جهل الحديث (٣٩٦١) عن ابن مسعود -رضي الله عنه - أنه أتى أبا جهل وبه رمق يوم بدر فقال أبو جهل: «هل أعمد من رجل قتلتموه». اهـ.

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٧٧)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٥٤).

(٢) ذكره البيهقي في الدلائل (٣/ ٩٨) نقلاً عن ابن إسحاق وابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٣٥٤-٣٥٥)، وانظر السيرة النبوية (٢/ ٢٧٨). وروى البيهقي في الدلائل (٣/ ٩٩) بسنده إلى الواقدي قال: حدثني عمر بن عثمان الجحش عن أبيه عن عمته قالت: قال عكاشة بن محصن: «انقطع سيفي يوم بدر فأعطاني رسول الله ﷺ عودًا فإذا هو سيف أبيض طويل، وقاتلت حتى هزم الله المشركين» فلم يزل عنده حتى هلك. وهو في المغازي للواقدي (١/ ٩٣) والواقدي متروك كما تقدم مرارًا، وانظر أسد الغابة (٤/ ٦٥) ترجمة (٣٧٣٨)، والسير (١/ ٣٠٨)، والإصابة ترجمة (٥٦٤٨) بتحقيقنا، والاستيعاب (ت١٨٥٦).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٧٩)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٥٦). والشكة: ما يحمل أو يلبس من السلاح. الوسيط (شكك). اليَعْبُوب: الفرس السريع الطويل. ترتيب القاموس (يعبب).

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القليب، طرحوا فيه؛ إلا ما كان من أمية بن خلف، فإنه انتفخ في درعه فذهبوا ليحركوه فتزايل، فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة. فلما ألقوهم في القليب، وقف عليهم رسول الله ﷺ فقال: «يا أهل القليب، هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ فإني قد وجدتُ ما وعدني ربي حقًّا». قال فقال له أصحابه: يا رسول الله، أتكلم قومًا موتى؟! فقال لهم: «لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق». قالت عائشة: والناس يقولون: لقد سمعوا ما قلت لهم؛ فإنما قال رسول الله ﷺ: «لقد علموا» (١).

قال ابن إسحاق: وحدثني حميد الطويل، عن أنس بن مالك؛ قال: سمع أصحاب رسول الله ﷺ رسول الله ﷺ من جوف الليل، وهو يقول: «يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام (فعدد من كان منهم في القليب) هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟! فإني وجدت ما وعدني ربي حقًّا». فقال المسلمون: يا رسول الله، أتنادي أقوامًا قد جيفوا؟! فقال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم؛ ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا» (٢).

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال- يوم قال هذه المقالة-: «يا أهل القليب، بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم ! كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس». ثم قال: «هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا؟» للمقالة التي قالها (٣).

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢/ ٤٥٦) في تاريخه من طريق ابن إسحاق به، ورواه البخاري (٨/ ٣١) كتاب المغازي باب قتل أبي جهل الحديث (٣٩٧٨، ٣٩٧٩)، ومسلم (٩٣٢)، والنسائي (٤/ ١١٠) كتاب الجنائز باب أرواح المؤمنين وغيرهم، والحاكم (٣/ ٢٢٤) من طريق آخر عن عائشة، رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم (٩/ ٢٢٢-٢٢٣) كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار الحديث (٢٨٧٣)، والنسائي (٤/ ١٠٩) كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين وغيرهم، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٤٢٥) كلهم من حديث أنس، ورواه الطبري في تاريخه (٢/ ٤٥٦)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٤٨) بسنديهما إلى ابن إسحاق به.

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٨٠).

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت: [من الوافر]

عَرفْتُ دِيَارَ زَيْنبَ بِالْكَثِيبِ كَخَطِّ الْوَحْيِ في الوَرقِ الْقَشِيبِ[١]
تَدَاوَلَهَا الرِّيَاحُ وَكُلُّ جَوْنٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ مُنهمِرٍ سَكُوبِ[٢]
فَأَمْسَى رَسْمُهَا خلقًا وَأَمْسَتْ يَبابًا بَعْدَ سَاكِنِهَا الْحَبِيبِ[٣]
فَدَعْ عَنْكَ التَّذَكُّرَ كُلَّ يَوْمٍ وَرُدَّ حَرَارَةَ الصَّدْرِ الْكَئِيبِ
وَخَبِّرْ بِالَّذِي لا عَيْبَ فِيهِ بِصِدْقٍ غَيْرِ إِخْبَارِ الْكَذُوبِ
بِمَا صَنعَ المَلِيكُ غَدَاةَ بَدْرٍ لَنَا في المُشْركينَ مِنَ النَّصيب
غَدَاةَ كَأَنَّ جَمْعَهُمُ حِرَاءٌ بَدَتْ أَرْكَانُهُ جُنْحَ الغُرُوب
فَلاقَيْنَاهُمُ مِنَّا بِجَمْعٍ كَأُسْدِ الغَابِ مُرْدَانٍ وَشِيبِ
أَمَامَ مُحَمَّدٍ قَدْ وَازرُوهُ عَلَى الأَعْداء في لَفْحِ الحُرُوبِ
بِأَيْدِيهِمْ صَوَارِمُ مُرْهَفَاتٌ وكلُّ مجرَّبٍ خاظي[٤] الكُعُوبِ
بَنُو الأَوْسِ الْغَطَارِفُ[٥] وازرتها بَنُو النَّجَّار في الدِّين الصَّليبِ
فَغَادَرْنَا أَبَا جَهْلٍ صَرِيعًا وَعُتْبَةَ قَدْ تَرَكْنَا بِالجُبُوبِ
وَشَيْبَةَ قَدْ تَرَكْنَا فِي رِجَالٍ ذَوِي حَسَبٍ إِذَا نُسِبُوا حَسِيبِ
يُنَادِيهِم رَسُولُ الله لَمَّا قَذَفْنَاهُمْ كَبَاكِبَ[٦] فِي الْقَلِيبِ
أَلَمْ تجدُوا كَلَامِيَ كَانَ حَقًّا وَأَمْرُ الله يَأْخُذُ بِالقُلُوبِ
فَمَا نَطَقُوا؛ وَلَوْ نَطَقُوا لَقَالُوا: صَدَقْتَ، وَكُنْتَ ذَا رَأْيٍ مُصيبِ[٧]

(١) الكثيب: التل من الرمل وهو موضع بساحل بحر اليمن، ترتيب القاموس (كثب). والوحي: الإشارة والكتابة والمكتوب والرسالة، ترتيب القاموس (وحي). والقشيب: الجديد والأبيض والنظيف. ترتيب القاموس (قشب) قال السهيلي: أراد حسان بالقشيب هنا: الذي خالطه ما يفسده إما من دنس وإما من قدم.

(٢) الجَوْن: النبات يضرب إلى السواد من خضرته، ترتيب القاموس: (جون). وهو من الأضداد وهو يطلق على السواد والبياض . ينظر لسان العرب (١٣/ ١٠١) والوَسْمِيُّ: مطر الربيع الأول، ترتيب القاموس (وسم).

(٣) الرَسْم: الأثر الباقي من الدار بعد أن عفت. الوسيط (رسم). واليباب: الخراب والخالي لا شيء فيه. الوسيط (يبب).

(٤) الخاظي: الغليظ الصلب. اللسان (خظا).

(٥) الغطريف: السيد الشريف، والجمع: غطارفة. ترتيب القاموس (غطرف).

(٦) كباكب: جماعات.

(٧) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٨٠-٢٨٢)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٥٩).

قال ابن إسحاق: ولما أمر رسول الله ﷺ بهم أن يلقوا في القليب، أخذ عتبة بن ربيعة فسحب إلى القليب، فنظر رسول الله ﷺ- فيما بلغني- إلى وجه ابنه أبي حذيفة بن عتبة، فإذا هو كئيب قد تغير، فقال: «يا أبا حذيفة، لعلك قد داخلك من شأن أبيك شيء» أو كما قال ﷺ. فقال: لا والله يا رسول الله، ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكني كنت أعرف من أبي رأيًا وحلمًا وفضلاً؛ وكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر، بعد الذي كنت أرجوه له؛ أحزنني ذلك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير، وقال له خيرًا [(١)].

وكان الفتيةُ الذين قتلوا ببدر، ونزل فيهم من القرآن- فيما ذكر لنا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ٩٧] فتيةٌ مسمَّيْن: من بني أسد بن عبد العزى بن قصي: الحارث بن زمعة؛ ومن بني مخزوم: أبو قيس ابن الفاكه، وقيس بن الوليد بن المغيرة؛ ومن بني جمح: على بن أمية بن خلف، ومن بني سهم: العاص بن منبه؛ وذلك أنهم كانوا أسلموا ورسول الله ﷺ بـ «مكة»، فلما هاجر إلى «المدينة» حبسهم آباؤهم وعشائرهم بـ«مكة» وفتنوهم، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر، فأصيبوا به جميعًا.

ثم إن رسول الله ﷺ أمر بما في العسكر مما جمع الناس، فجمع، فاختلف فيه المسلمون: فقال من جمعه: هو لنا، وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه: والله لولا نحن ما أصبتموه، ولنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم ! وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ؛ مخافة أن يخلص إليه العدو. والله ما أنتم بأحق به منا، لقد رأينا أن نقاتل العدو إذ منحنا الله أكتافهم، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه، ولكن خفنا على رسول الله ﷺ كرةَ العدو فقمنا دونه؛ فما أنتم بأحق به منا [(٢)].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٢٤)، والطبري في تاريخه (٢/ ٤٥٧) بسنديهما إلى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وانظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٨٣)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٥٩).

(٢) ينظر: السيرة النبوية(٢/ ٢٨٣، ٢٨٤)، تاريخ الطبري(٢/ ٤٥٧، ٤٥٨)، والبداية والنهاية(٣/ ٣٦٠).

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره، عن سليمان بن موسى، عن مكحول، عن أبي أمامة الباهلي- واسمه: صدي بن عجلان- قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال؟ فقال: فينا - أصحاب بدر - نزلت، حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقُنا، فنزعه [الله] من أيدينا فجعله إلى رسول الله ﷺ، فقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بواء؛ يقول: على سواء [(1)].

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، قال: حدثني بعض بني ساعدة، عن أبي أسيد مالك بن ربيعة، قال: أصبت سيف بني عائذ المخزوميين [الذي يسمى:] المرزبان يوم بدر، فلما أمر رسول الله ﷺ أن يردوا ما في أيديهم من النفل، أقبلت حتى ألقيته في النفل، قال: فكان رسول الله ﷺ لا يمنع شيئًا يسأله فعرفه الأرقم بن أبي الأرقم، فسألَهُ رسول الله ﷺ فأعطاه إياه [(2)].

قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله ﷺ عند الفتح عبد الله بن رواحة، بشيرًا إلى أهل العالية بما فتح الله على رسوله وعلى المؤمنين، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة، قال أسامة بن زيد: فأتانا الخبر- حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ، التي كانت عند عثمان بن عفان، كان رسول الله ﷺ خلفني عليها مع عثمان بن عفان- أنَّ زيد بن حارثة قد قدم، قال: فجئته وهو واقفٌ بالمصلى قد غشيه الناس، وهو يقول: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام،

---

(1) أخرجه ابن جرير في تاريخه (٢/ ٤٥٨)، وفي تفسيره (٦/ ١٧٢) رقم (١٥٦٦٧)، والبيهقي في سننه (٦/ ٢٩٢) كتاب قسم الفيء، باب بيان مصرف الغنيمة في ابتداء الإسلام ورواه في (٦/ ٣١٥) (٩/ ٥٧)، والحاكم (٢/ ٣٢٦) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، ورواه أحمد في المسند (٥/ ٣١٩) والدارمي في سننه (٢/ ٢٢٨، ٢٢٩) كتاب السير باب في أن ينفل في البدأة الربع وفي الرجعة الثلث، وعزاه في الدر (٣/ ٢٩٢) إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ وابن مردويه، وله شاهد من حديث ابن عباس أخرجه أبو داود (٣/ ٧٧) كتاب الجهاد باب في النفل الحديث (٢٧٣٧، ٢٧٣٨)، والنسائي في التفسير (١/ ٥١٥) رقم (٢١٧)، وابن حبان في صحيحه رقم (١٧٤٣-موارد)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٣١-١٣٢)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٣٥-١٣٦)، وابن جرير في تفسيره (٦/ ١٧٢) رقم (١٥٦٦٤)، وعزاه السيوطي في الدر (٣/ ٢٩٣) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه. وانظر السيرة النبوية (٢/ ٢٨٤).

(2) أخرجه ابن جرير (٦/ ١٧٣) في تفسيره رقم (١٥٦٧٢) ورقم (١٥٦٧٤)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٨٣)، وانظر السيرة النبوية (٢/ ٢٨٤).

وزمعة بن الأسود، وأبو البختري العاص بن هشام، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، قال قلت: يا أبت، أحق هذا؟ قال: نعم، والله يا بني [١].

ثم أقبل رسول الله ﷺ قافلاً إلى «المدينة» ومعه الأسارى من المشركين، وفيهم: عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث بن كلدة، واحتمل رسولُ الله ﷺ معه النفل الذي أصيب من المشركين، وجعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف ابن مبذول بن عمرو بن غنم بن مالك بن النجار، فقال راجز من المسلمين- قال ابن هشام: يقال: هو عدي بن أبي الزغباء: [من الرجز]

أَقِمْ لَهَا صُدُورَها يَا بَسْبَسُ ... لَيس بِذي الطَّلح لَهَا مُعَرَّسُ [٢]
وَلاَ بِصَحْرَاءِ غُمَيْرٍ مَحْبِسُ ... إنَّ مَطَايَا الْقَوْمِ لاَ تُحَبسُ
فَحَمْلُهَا عَلَى الطَّرِيقِ أَكْيسُ ... قَدْ نَصَرَ اللَّهُ وَفَرَّ الأَخْنَسُ

ثم أقبل رسول الله ﷺ، حتى إذا خرج من «مضيق الصفراء» نزل على الكثيب بين المضيق وبين «النازية» يقال له «سَيَر» إلى سرحة به، فقسم هنالك النفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين، على السواء.

ثم ارتحل رسول الله ﷺ حتى إذا كان بـ «الروحاء» لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين، فقال لهم سلمة بن سلامة- كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، ويزيد بن رومان-: ما الذي تهنئوننا به؟! فوالله إن لقينا إلا عجائز صلعًا كالبدن المعلقة، فنحرناها، فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: «أي ابن أخي، أولئك الملأ» [٣].

قال ابن هشام: يريد بالملأ: الأشراف والرؤساء [٤].

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٤٥٨) بسنده إلى ابن إسحاق به، ورواه الحاكم (٣/ ٢١٧- ٢١٨) بسنده إلى ابن إسحاق قال حدثني عبد الله بن أبي بكر وصالح بن أبي أمامة عن أبيه، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وروى البيهقي في الدلائل (٣/ ١٣٠-١٣١) عن أسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم خلف عثمان بن عفان وأسامة بن زيد على رقية بنت رسول الله ﷺ أيام بدر فجاء زيد بن حارثة على العضباء ناقة رسول الله بالبشارة... الحديث. وانظر السيرة النبوية (٢/ ٢٨٥).

(٢) المُعَرّس: الذي يسير نهاره ويعرس - أي: ينزل - أول الليل. اللسان (عرس).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٨٥-٢٨٦)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٥٨-٤٥٩)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٧١-٣٧٢).

(٤) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٨٦).

قال ابن إسحاق: حتى إذا كان رسول الله ﷺ بـ «الصفراء» قتل النضر بن الحارث صبرًا، قتله عليّ بن أبي طالب؛ كما أخبرني بعض أهل العلم من أهل «مكة».

قال ابن إسحاق: ثم خرج حتى إذا كان بـ «عرق الظبية» قتل عقبة بن أبي معيط.

قال ابن إسحاق: والذي أسر عقبةَ عبدُ الله بن سلمة أحدُ بني العجلان، فقال عقبة- حين أمر رسول الله ﷺ بقتله-: فمن للصبية يا محمد؟! قال: «النار». فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري، أخو بني عمرو بن عوف؛ كما حدثني أبو عبيدة بن عمار بن ياسر [(١)].

قال ابن هشام: ويقال قتله علي بن أبي طالب، فيما ذكره ابن شهاب الزهري وغيره [(٢)].

ولقى رسول الله ﷺ بذلك الموضع أبو هند مولى فروة بن عمرو البياضي.

قال ابن هشام: وقد كان تخلف عن بدر، ثم شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان حجام رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «إنما أبو هند امرؤ من الأنصار، فأنكحوه وانكحوا إليه» [(٣)] ففعلوا.

قال ابن إسحاق: ثم مضى رسول الله ﷺ حتى قدم «المدينة» قبل الأسارى بيوم [(٤)].

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، أن يحيى بن عبد الله بن

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢/ ٤٥٩) في تاريخه، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٣٢٣) كتاب قسم الفيء والغنيمة باب ما جاء في قتل من رأى الإمام منهم، وانظر البداية والنهاية (٣/ ٣٧٢)، والسيرة (٢/ ٢٨٧). وروى البيهقي في الكبرى (٩/ ٦٤-٦٥) كتاب السير بسند فيه محمد ابن عمر الواقدي وهو متروك -كما تقدم - من حديث سهل بن أبي حثمة، وروى عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٢٠٦) رقم (٩٣٩٤) من حديث ابن عباس، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٨٩): رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات، وروى أبو داود (٣/ ٦٠) كتاب الجهاده، باب في قتل الأسير صبرًا الحديث (٢٦٨٦)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٣٢٣) كتاب قسم الفيء، باب ماجاء في قتل من رأى الإمام منهم، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٨٩): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. اهـ.

(٢) ينظر: السيرة (٢/ ٢٨٧).

(٣) ينظر: السيرة (٢/ ٢٨٦، ٢٨٧)، وأخرجه ابن جرير (٢/ ٤٦٠) في تاريخه عن ابن إسحاق، وانظر أسد الغابة (٦/ ٣١٦) ترجمة (٦٣٢٩-بتحقيقنا)، والإصابة (٧/ ٣٦٣) ترجمة (١٠٦٨٣) بتحقيقنا، وانظر أيضًا الاستيعاب ترجمة رقم (٣٢٥٣)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٧٣).

(٤) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٨٧).

عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال: قدم بالأسارى، حين قدم بهم، وسودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ عند آل عفراء في مناخهم على عوف ومعوذ ابني عفراء، قال: وذلك قبل أن يضرب عَلَيْهِنَّ الحجاب

قال: تقول سودة: والله إني لعندهم، إذ أُتينا فقيل: هؤلاء الأسارى قد أتى بهم، قالت: فرجعت إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه، وإذا أبو يزيد سهيلُ بن عمرو في ناحية من الحجرة، مجموعةً يداه إلى عنقه، قالت: فلا والله ما ملكت نفسي، حين رأيت أبا يزيد كذلك، أن قلت: أي أبا يزيد، أعطيتم بأيديكم، ألا متم كرامًا؟! فوالله ما أنبهني إلا قول رسول الله ﷺ من البيت: «يا سودة، أعلى الله وعلى رسوله تحرضين؟!» قالت: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق، ما ملكت نفسي، حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه، أن قلت ما قلت [(١)].

قال ابن إسحاق: وحدثني نبيه بن وهب، أخو بني عبد الدار؛ أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى، فرقهم بين أصحابه، وقال: استوصوا بالأسارى خيرًا. قال: فكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم، أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه، في الأسارى، فقال أبو عزيز: مرَّ بي أخي مصعبُ بن عمير، ورجل من الأنصار يأسرني، فقال: شُدَّ يديك به؛ فإن أمه ذات متاع؛ لعلها تفديه منك. قال: وكنت في رهط من الأنصار، حتى أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم، خصوني بالخبز وأكلوا التمر؛ لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا، فما تقع في يد رجل كسرة من الخبز إلا نفحني بها. قال: فأستحيي فأردها عليه، فيردها عليَّ ما يمسها [(٢)].

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٤٦٠)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٢)، وانظر السيرة النبوية (٢/ ٢٨٨).

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٤٦٠) بسنده إلى ابن إسحاق، وانظر السيرة النبوية (٢/ ٢٨٨)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٧٣)، وأخرج الطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٩٣) رقم (٩٧٧) من طريق ابن إسحاق: حدثني نبيه بن وهب عن أبي عزيز بن عمير أخي مصعب بن عمير قال: كنت في الأسارى يوم بدر فقال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالأسارى خيرًا» وكنت في نفر من الأنصار، وكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر وأطعموني الخبز بوصية رسول الله ﷺ إياهم. قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٨٩) «رواه الطبراني في الصغير والكبير وإسناده حسن». اهـ. قلت: بل فيه انقطاع بين نبيه بن وهب وأبي عزيز بن عمير، وقال الحافظ في الإصابة (٧/ ٢٢٩) ترجمة رقم (١٠٢٥٢): «فقال ابن منده، لما ترجم له في الصحابة: روى عنه نبيه بن وهب ولا يعرف له سند..».

قال ابن إسحاق: وكان أبو عزيز صاحبَ لواء المشركين بعد النضر بن الحارث.

قال ابن إسحاق: فلما قال أخوه مصعب لأبي اليسر- وهو الذي أسره- ما قال، قال له أبو عزيز: يا أخي، هذه وصاتك بي؟! فقال أخوه مصعب: إنه أخي دونك، قال فسألت أُمَّه عن أغلى ما فدى به قرشي؟ فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها (١).

قال ابن إسحاق: وكان أول من قدم «مكة» بمصاب قريش، الحيسمان بن عبد الله الخزاعي، فقالوا: ما وراءك؟ قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم ابن هشام، وأمية بن خلف، وزمعة بن الأسود، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأبو البختري بن هشام. فلما جعل يعدد أشراف قريش، قال صفوان بن أمية- وهو قاعد في الحجر-: والله، إن يعقل هذا فاسألوه عني، فقالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: هو ذاك جالسًا في الحجر، وقد- والله- رأيت أباه وأخاه حين قتلا (٢).

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: ناحت قريش على قتلاها، ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ محمدا وأصحابه؛ فيشمتوا بكم، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا بهم؛ لا يأرب عليكم محمد وأصحابه في الفداء.

وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعة بن الأسود، وعقيل ابن الأسود، والحارث بن زمعة بن الأسود، وكان يحب أن يبكي على بنيه، قال: فبينما هو كذلك، إذ سمع نائحة من الليل، فقال لغلام له- وقد ذهب بصره:- انظر هل أُحلّ النحبُ؟! هل بكت قريش على قتلاها؟! لعلى أبكي على أبي حكيمة! (يعني: زمعة) فإن جوفي قد احترق. قال: فلما رجع إليه الغلام قال: إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته.

قال: فذاك حين يقول الأسود: [من الوافر]

أَتَبْكِي أنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ ... وَيَمنعها مِنَ النَّوْمِ السُّهُودُ؟!
فَلا تَبْكِي عَلَى بَكْرٍ، وَلكنْ ... عَلَى بَدْرٍ تَقَاصَرَت الجُدُودُ
عَلَى بَدْرٍ سَرَاةِ بَنِى هُصَيْصٍ ... وَمَخْزُومٍ وَرَهْطِ أَبِي الْوَلِيدِ
وَبَكِّي إنْ بَكَيْتِ عَلى عَقِيلٍ ... وَبَكِّي حَارِثًا أَسَدَ الأُسُودِ

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٨٨-٢٨٩).
(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٨٩)، تاريخ الطبري (٢/ ٤٦١)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٧٥).

وَبَكِّيهِمْ وَلاَ تَسمِي(١) جَمِيعًا وَمَا لأَبِي حَكِيمَةَ مِنْ نَدِيدِ
أَلاَ قَدْ سَادَ بَعْدَهُمُ رِجَالٌ وَلَوْلا يَوْمُ بَدْرٍ لَمْ يَسُودُوا(٢)

قال ابن إسحاق: وكان في الأسارى: أبو وداعة بن ضبيرة السهمي، فقال رسول الله ﷺ: «إن له بـ «مكة» ابنا كيسا تاجرًا ذا مال، وكأنكم به قد جاء في طلب فداء أبيه». فلما قالت قريش: «لا تعجلوا في فداء أسراكم؛ لا يأرب عليكم محمد وأصحابه» قال المطلب بن أبي وداعة- وهو الذي كان رسول الله ﷺ عني-: صدقتم لا تعجلوا، وانسلَّ من الليل فقدم «المدينة» فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم فانطلق به، ثم بعثت قريش في فداء الأسارى، فقدم مكرز بن حفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو، وكان الذي أسره مالك بن الدخشم، أخو بني سالم بن عوف، فقال: [من المتقارب]

أَسَرْتُ سُهَيْلاً فَلاَ أَبْتَغِي أَسِيرًا بِهِ مِنْ جَمِيعِ الأُمَمْ
وَخِنْدِفُ تَعْلَمُ أَنَّ الْفَتَى فَتَاهَا سُهَيلٌ إِذَا يُظَّلَمْ
ضَرَبْتُ بِذِي الشَّفْرِ حَتَّى انْثَنَى وَأَكرَهْتُ نَفْسي عَلَى ذِي العَلَمْ(٣)

وكان سهيل أعلم؛ وهو المشقوق من الشفة العليا.

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لمالك بن الدخشم (٤).

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن عمرو بن عطاء، أخو بني عامر بن لؤي، أن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، انزع ثنيتي سهيل بن عمرو؛ يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبًا في موضع أبدًا.

قال: فقال رسول الله ﷺ: «لا أمثل به؛ فيمثل الله بي؛ وإن كنت نبيًّا».

قال ابن إسحاق: وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لعمر- في هذا الحديث: «إنه عسى أن يقوم مقامًا لا تذمه»(٥). وقد ذكر هذا المقام ابن هشام.

---

(١) أراد: لا تَسْأَمي؛ فنقل حركة الهمزة إلى السين.
(٢) ينظر: تاريخ الطبري (٢/ ٤٦٣-٤٦٤)، والسيرة النبوية (٢/ ٢٩١، ٢٩٢)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٧٧).
(٣) ينظر: تاريخ الطبري (٢/ ٤٦٤-٤٦٥)، والسيرة النبوية (٢/ ٢٩٣)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٧٨).
(٤) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٩٣).
(٥) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٤٦٥) بسنده إلى ابن إسحاق. وانظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٩٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٣٧٨) وقال ابن كثير: هذا حديث مرسل بل معضل =

قال ابن إسحاق: فلما قاولهم فيه مكرز، وانتهى إلى رضاهم، قال: هات الذي لنا. قال: اجعلوا رجلي مكان رجله، وخلوا سبيله؛ حتى يبعث إليكم بفدائه. فخلوا سبيل سهيل، وحبسوا مكرزًا عندهم، فقال مكرز: [من الطويل]

فديتُ بأذوادٍ ثَمَانٍ سِبَا فَتًى ... يَنَالُ الصَّمِيمَ غُرْمُهَا لاَ المواليَا

رَهَنْتُ يَدِي والمالُ أَيْسَرُ مِنْ يَدِي ... عَلَيَّ وَلَكِنِّي خَشيتُ المخَازِيَا

وقلتُ سُهيلٌ خَيْرُنَا فاذهَبُوا بِهِ ... لأبْنَائِنَا حتَّى نُدِيرَ الأَمَانِيَا(١)

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، قال: كان عمرو بن أبي سفيان بن حرب (قال ابن هشام: أم عمرو بنت أبي عمرو: أخت أبي معيط بن أبي عمرو)- أسيرًا في يدي رسول الله ﷺ من أسارى بدر.

قال ابن هشام: أسره علي بن أبي طالب، رضي الله عنه (٢).

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر، قال: قيل لأبي سفيان: افد عمرا ابنك، فقال: أيجمع عليَّ دمي ومالي؟! قتلوا حنظلة وأفدى عمرًا؛ دعوه في أيديهم يمسكونه ما بدا لهم. قال: فبينا هو كذلك محبوس بـ «المدينة» عند رسول الله ﷺ، إذ خرج سعد بن النعمان بن أكال، أخو بني عمرو بن عوف، ثم أحد بني معاوية- معتمرًا ومعه مرية له، وكان شيخًا مسلمًا في غنم له بالبقيع، فخرج من هنالك معتمرًا ولا يخشى الذي صنع به، لم يظن أنه يحبس بـ «مكة» إنما جاء معتمرًا، وقد كان عهد قريش لا يعرضون لأحد جاء حاجًا أو معتمرًا إلا بخير، فعدا عليه أبو سفيان ابن حرب فحبسه بابنه عمرو، ثم قال أبو سفيان: [من الطويل]

أَرَهْط ابْنِ أَكَّال أَجِيبُوا دُعاءهُ ... تَعَاقدتمُ لاَ تُسْلِمُوا السَّيِّد الْكَهْلاَ

فَإنَّ بنـي عَمْـرو لِـئَـامٌ أَذِلَّـة ... لَئِنْ لَمْ يَفُكوا عَنْ أَسِيرِهِمُ الْكَبْلاَ

فأجابه حسان بن ثابت: [من الطويل]

لَوْ كَانَ سَعْدٌ يَوْمَ مَكَّةَ مُطلَقًا ... لَأَكْثَر فِيكمْ قَبْل أنْ يُؤسَرَ القَتْلاَ

= ورواه الحاكم (٣/ ٢٨٢)، وعنه البيهقي في الدلائل (٦/ ٣٦٧) من طريق سفيان عن عمر عن الحسن بن محمد قال: قال عمر ... فذكره. وانظر: الإصابة للحافظ (٣/ ١٧٧- ١٧٨) ترجمة (٣٥٨٦).

(١) ينظر: تاريخ الطبري (٢/ ٤٦٥)، والسيرة (٢/ ٢٩٤)، وابن كثير في البداية (٣/ ٣٧٨) نقلاً عن ابن إسحاق.

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٩٤).

بِعضْبٍ حُسامٍ أَوْ بِصَفْرَاءَ نَبْعَةٍ تَحِنُّ إِذَا مَا أُنْبِضَتْ تحفز النَّبْلَا

ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله ﷺ فأخبروه خبره، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان؛ يفكوا به صاحبهم، ففعل رسول الله ﷺ، فبعثوا به إلى أبي سفيان فخلى سبيل سعد (١).

قال ابن إسحاق: وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمح، وكان محتاجًا ذا بنات، فكلم رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، لقد عرفت ما لي من مال، وإني لذو حاجة وذو عيال، فامنن عليّ، فمن عليه رسول الله ﷺ وأخذ عليه ألاَّ يظاهر عليه أحدًا أبدًا، فقال أبو عزة في ذلك؛ يمدح رسول الله ﷺ ويذكر فضله في قومه: [من الطويل]

مَنْ مُبْلغٌ عَنِّي الرَّسُول مُحَمَّدًا بِأَنَّكَ حَقٌّ والمليكُ حَمِيدُ
وَأَنْتَ امْرؤ يَدْعُو إِلى الحَقِّ والهدَى عَلَيْكَ مِن الله العظيمِ شَهِيدُ
وأَنْتَ امْرؤٌ بُوِّئْتَ فِينَا مبَاءَةً لَهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وصعُودُ
فَإِنَّكَ مَنْ حَارَبْتَهُ لَمحَارَبٌ شَقيٌّ وَمنْ سالَمْتَهُ لسعِيدُ
وَلكن إذَا ذُكِّرْتُ بَدْرًا وَأَهْلَهُ تَأَوَّبَ مَا بي حَسْرَةٌ وَقُعُودُ(٢)

قال ابن هشام: وكان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم؛ إلا من لا شيء له فمنَّ عليه رسول الله ﷺ (٣).

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحاق المطلبي، قال: فلما انقضى أمر بدر، أنزل الله- عز وجل- فيه من القرآن «الأنفال» بأسرها، وكان مما أنزل فيها من اختلافهم في النفل، حين اختلفوا فيه: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١] فكان عبادة بن الصامت- فيما بلغني- إذا سئل عن «الأنفال» قال: فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا

---

(١) ينظر تاريخ الطبري (٢/ ٤٦٦-٤٦٧)، والسيرة النبوية (٢/ ٢٩٥)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٧٨-٣٧٩).

(٢) في ط: حرة وتعود. وينظر السيرة النبوية (٢/ ٣٠٥-٣٠٦)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٨٠-٣٨١).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٣٠٦).

في النفل يوم بدر، فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه أخلاقنا، فرده على رسول الله ﷺ، فقسمه بيننا عن بواء (يقول: على السواء) وفي ذلك تقوى الله وطاعته، وطاعة رسوله، وصلاح ذات البين[١]. ثم ذكر القوم ومسيرهم مع رسول الله ﷺ حين عرف القوم أن قريشًا ساروا إليهم، وإنما خرجوا يريدون العير طمعًا في الغنيمة، فقال: ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴾ [الأنفال: ٥، ٦] أي: كراهيةً للقاء القوم، وإنكارًا لمسير قريش حين ذكروا لهم ﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٧] أي: الغنيمة دون الحرب ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٧] أي: بالوقعة التي أوقع بصناديد قريش وقادتهم يومئذ؛ تأييدا لدين الحق، دين رسول الله ﷺ[٢].

قال ابن إسحاق: وهذه تسمية من شهد «بدرًا» من المسلمين، ثم من قريش، ثم من بني هاشم بن عبد مناف، وبني المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة: محمد رسول الله ﷺ ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وحمزة بن عبد المطلب بن هاشم أسد الله وأسد رسوله عم رسول الله ﷺ، وعلي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وزيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي[٣]، أنعم الله عليه ورسوله عليه السلام.

قال ابن إسحاق: وأَنَسَة مولى رسول الله ﷺ، وأبو كبشة مولى رسول الله ﷺ، وأبو مرثد كناز بن حصين بن يربوع، وابنه مرثد بن أبي مرثد حليفا حمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث بن المطلب، وأخواه طفيل والحصين ابنا الحارث، ومسطح واسمه: عوف بن أثاثة بن عباد بن المطلب.

ومن عبد شمس: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، تخلف على امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه، قال: وأجرى

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٦/ ١٧٢) رقم (١٥٦٦٧)، والسيرة النبوية (٢/ ٣١٣).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٣١٢-٣٢٤).

(٣) قال ابن هشام: شراحيل.

يا رسول الله؟! قال: «وأجرك»، وأبو حذيفة بن [ربيعة بن عبد شمس][١]، وسالم مولى أبي حذيفة، واسم أبي حذيفة هذا: مهشم. وسالم: سائبة لثبيتة بنت يعار بن زيد، سيبته فانقطع إلى أبي حذيفة فتبناه.

قال ابن إسحاق: وزعموا أن صبيحًا مولى أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، تجهز للخروج مع رسول الله ﷺ، ثم مرض فحمل على بعيره أبا سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ثم شهد صبيح بعد ذلك المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

وشهد بدرًا من حلفاء بني عبد شمس، ثم من بنى أسد بن خزيمة: عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد، وعكاشة بن محصن، وشجاع بن وهب بن ربيعة، وأخوه عقبة بن وهب، ويزيد بن رقيش بن رئاب، وأبو سنان بن محصن، وابنه سنان بن أبي سنان، ومحرز بن نضلة ابن عبد الله، وربيعة بن أكثم أخي عكاشة بن محصن بن سخبرة بن عمرو بن لكيز ابن عامر بن غنم بن دودان بن أسد.

ومن حلفاء بني كبير بن غنم بن دودان بن أسد: ثقف بن عمرو، وأخواه: مالك ابن عمرو، ومدلج.

قال ابن هشام: مدلاج بن عمرو، وهم من بني حجر آل بني سليم.

وأبو مخشي حليف لهم. قال ابن هشام: أبو مخشي: طائي، واسمه: سويد بن مخشي.

ومن بني نوفل بن عبد مناف: عتبة بن غزوان بن جابر من بني قيس بن عيلان، وخباب مولى عتبة بن غزوان.

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي: الزبير بن العوام، وحاطب بن أبي بلتعة، وسعد مولى حاطب.

قال ابن هشام: حاطب بن أبي بلتعة لخمي، وسعد مولاه كلبي.

ومن بني عبد الدار بن قصي: مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وسويبط بن سعد بن حريملة.

---

(١) في ط: عتبة. والمثبت من السيرة، والبداية والنهاية.

ومن بني زهرة بن كلاب: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث ابن زهرة، وسعد بن أبي وقاص، وأخوه عمير بن أبي وقاص.

ومن حلفائهم: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن قضاعة.

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن مسعود من هذيل، ومسعود بن ربيعة من القارة.

قال ابن هشام: القارة: لقب لهم يقال: قد أنصف القارة من راماها، وكانوا رماة.

وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة من خزاعة، وإنما قيل له: ذو الشمالين؛ لأنه كان أعسر، واسمه: عمير. وخباب بن الأرت من بني تميم، ويقال: من خزاعة.

ومن بني تيم من مرة: أبو بكر الصديق- رضي الله تعالى عنه- واسمه: عتيق، وقيل: عبد الله، ولقب بعتيق، لحسن وجهه وعتقه؛ وبلال بن رباح مولى أبي بكر، مولد من مولدي بني جمح، لا عقب له. وعامر بن فهيرة، مولى أبي بكر- رضي الله عنه- مولد من مولدي الأسد، لا عقب له. وصهيب بن سنان من النمر بن قاسط، ويقال: مولى عبد الله بن جُدعان، ويقال: إنه رومي، وقيل: كان أسيرًا في الروم فاشترى منهم، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «صهيب سابق الروم»[1]. وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، كان بـ «الشام» قدم بعد رجوع رسول الله ﷺ من «بدر» فكلمه فضرب له بسهمه، فقال: وأجري يا رسول الله؟ قال: «وأجرك» [2].

ومن بني مخزوم بن يقظة: أبو سلمة بن عبد الأسد، وشماس بن عثمان بن الشريد، والأرقم بن أبي الأرقم عبد مناف بن أسد، وعمار بن ياسر (قال ابن هشام: عنسي من مذحج) ومعتب بن عوف بن عامر من خزاعة، حليف لهم، وهو الذي

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٠٨) عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «السباق أربعة: أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم ...» الحديث. وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عمارة بن زاذان وهو ثقة وفيه خلاف. وروي هذا أيضًا من حديث أبي أمامة ذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٠٨) وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٣٢٩)، وأسد الغابة (٣/ ٨٥)، والاستيعاب (١٢٨٧)، والإصابة (٣/ ٤٣٠).

يقال له: معتب بن حمراء.

ومن بني عدي بن كعب: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي، وأخوه زيد ابن الخطاب، ومهجع مولى عمر- رضي الله عنه- من أهل «اليمن» أول من قتل بين الصفين رمى بسهم (قال ابن هشام: مهجع من عك) وعمرو بن سراقة، وأخوه عبد الله بن سراقة، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين [١] بن ثعلبة بن يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم حليف لهم، وخولى بن أبي خولى، ومالك ابن أبي خولى؛ حليفان لهم، وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب من عنز بن وائل، وعامر بن البكير بن عبد ياليل، وعاقل بن البكير، وخالد بن البكير، وإياس بن البكير حلفاء بني عدي بن كعب، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: قدم بعد «بدر» فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه، قال: وأجرى يا رسول الله؟ قال: «وأجرك».

ومن بني جمح: عثمان بن مظعون، وابنه السائب، وأخواه: قدامة بن مظعون، وعبد الله بن مظعون، ومعمر بن الحارث بن معمر[٢].

ومن بني سهم: خنيس بن حذافة بن قيس.

ومن بني عامر بن لؤي، ثم من بني مالك بن حسل بن عامر: أبو سبرة بن أبي رهم، وعبد الله بن مخرمة بن عبد العزى، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، خرج مع أبيه سهيل بن عمرو، فلما نزل الناس «بدرًا» فر إلى رسول الله ﷺ فشهدها معه، وعمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو، وسعد بن خولة حليف لهم.

قال ابن هشام: سعد بن خولة من «اليمن».

ومن بني الحارث بن فهر: أبو عبيدة، وهو: عامر بن عبد الله بن الجراح، وسهيل بن وهب بن ربيعة، وأخوه صفوان بن وهب، وهما ابنا بيضاء، وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة، وعمرو بن الحارث بن زهير؛ الخمسة من هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث.

فجميع من شهد بدرًا من المهاجرين، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره- ثلاثة وثمانون رجلاً.

---

(١) في السيرة: عمر.
(٢) في السيرة: معمر بن حبيب بن وهب. والمثبت موافق لما في البداية والنهاية.

قال ابن هشام: وكثير من أهل العلم- غير ابن إسحاق- يذكرون في المهاجرين بـ«بدر» من قريش، ثم من بني هاشم: العباس بن عبد المطلب عمه- عليه الصلاة والسلام- وفي بني عامر بن لؤي: وهب بن سعد بن أبي سرح، وحاطب بن عمرو، وفي بني الحارث بن فهر: عياض بن أبي زهير.

قال ابن إسحاق: وشهد «بدرًا» مع رسول الله ﷺ من المسلمين من الأنصار، ثم من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني عبد الأشهل بن جشم ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس-: سعد بن معاذ بن النعمان ابن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، وعمرو بن معاذ بن النعمان، [والحارث ابن أوس بن معاذ بن النعمان][1] والحارث بن أنس بن رافع بن امرئ القيس.

ومن بني عبيد بن كعب بن عبد الأشهل: سعد بن زيد بن مالك بن عبيد، ومن بني زاعوراء بن عبد الأشهل (ويقال: زعوراء، فيما قاله ابن هشام): سلمة بن سلامة ابن وقش بن زغبة بن زاعوراء، وعباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زاعوراء، وسلمة ابن ثابت بن وقش، ورافع بن يزيد بن كرز بن سكن بن زاعوراء، والحارث بن خزمة ابن عدي، ويقال: خزيمة بن عدي، حليف لهم من بني عوف بن الخزرج، ومحمد ابن مسلمة بن خالد، حليف لهم من بني حارثة؛ وسلمة بن أسلم بن حريش، حليف لهم من بني حارثة.

قال ابن إسحاق: وأبو الهيثم بن التيهان، وعبيد بن التيهان.

قال ابن هشام: ويقال: عتيك بن التيهان.

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن سهل.

قال ابن هشام: عبد الله بن سهل: أخو بني زعوراء، ويقال: من غسان.

قال ابن إسحاق: ومن بني ظفر، ثم من بني سواد بن كعب (قال ابن هشام: ظفر ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس): قتادة بن النعمان ابن زيد بن عامر بن سواد، وعبيد بن أوس بن مالك بن سواد، وهو الذي يقال له: مقرن؛ لأنه قرن أربعة أسرى في يوم بدر، وهو الذي أسر عقيل بن أبي طالب يومئذ.

---

(١) المثبت من السيرة، والبداية والنهاية.

قال ابن إسحاق: ومن بني عبد بن رزاح بن كعب: نصر بن الحارث بن عبد، ومعتب بن عبيد [١]، ومن حلفائهم من بليّ عبد الله بن طارق ثلاثة نفر، ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: مسعود بن سعد بن عامر بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة (قال ابن هشام: ويقال: مسعود بن عبد سعد) وأبو عبس بن جبر بن عمرو بن زيد بن جشم، ومن حلفائهم من بلي: أبو بردة بن نيار من بني عمرو بن الحاف بن قضاعة.

ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، ثم من بني ضبيعة: عاصم بن ثابت بن قيس، وقيس أبو الأقلح بن عصمة بن مالك، ومعتب بن قشير بن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة، وأبو مليل بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة، وعمرو بن معبد بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة (قال ابن هشام: عمير بن معبد) وسهل بن حنيف بن واهب بن العكيم من بني عمرو، الذي يقال له: بحزج ابن حنش [٢] بن عوف.

ومن بني أمية بن زيد بن مالك: مبشر بن عبد المنذر بن زنبر بن زيد بن أمية، ورفاعة بن عبد المنذر، وسعد بن عبيد بن النعمان، وعويم بن ساعدة، ورافع ابن عنجدة- وعنجدة: أمه- وعبيد بن أبي عبيد، وثعلبة بن حاطب. وزعموا أن أبا لبابة ابن عبد المنذر، والحارث بن حاطب خرجا مع رسول الله ﷺ فرجعهما، وأمّر أبا لبابة على «المدينة» فضرب لهما بسهمين مع أصحاب «بدر».

قال ابن هشام: ردهما من الروحاء؛ قال ابن هشام: وحاطب بن عمرو بن عبيد ابن أمية، واسم أبي لبابة: بشير.

قال ابن إسحاق: ومن بني عبيد بن زيد بن مالك: أنيس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث بن عبيد، ومن حلفائهم من بلي: معن بن عدي بن الجد بن العجلان بن ضبيعة، وثابت بن أقرم بن ثعلبة، وعبد الله بن سلمة بن مالك، وزيد بن أسلم بن ثعلبة، وربعي بن رافع بن زيد، وخرج عاصم بن عدي بن الجد بن عجلان، فرده رسول الله ﷺ وضرب له بسهمه مع أصحاب «بدر».

---

(١) في السيرة: عبد. والمثبت موافق لما في البداية والنهاية.

(٢) في السيرة: حنس.

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف: عبد الله بن جبير بن النعمان، وعاصم بن قيس بن ثابت.

قال ابن إسحاق: وسالم بن عمير بن ثابت، وأبو ضياح بن ثابت بن النعمان، والحارث بن النعمان بن أمية، وخوات بن جبير بن النعمان: ضرب له رسول الله ﷺ بسهم مع أهل «بدر».

ومن بني جحجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف: منذر بن محمد بن عقبة ابن أحيحة بن الجلاح.

ومن حلفائهم من بني أنيف: أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: ومن بني غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس: سعد بن خيثمة بن الحارث، ومنذر بن قدامة، ومالك بن قدامة بن عرفجة.

قال ابن إسحاق: والحارث بن عرفجة.

قال ابن هشام: عرفجة بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم.

قال ابن إسحاق: وتميم مولى بني غنم.

ومن بني معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف: جبر بن عتيك بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن معاوية، ومالك بن نميلة حليف لهم من مزينة، والنعمان بن عصر حليف لهم من بلى.

فجميع من شهد «بدرًا» من الأوس مع رسول الله ﷺ، ومن ضرب له بسهمه وأجره - أحد وستون رجلاً.

قال ابن إسحاق: وشهد «بدرًا» مع رسول الله ﷺ من المسلمين، ثم من الأنصار، ثم من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني الحارث ابن الخزرج، ثم من بني امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج-: خارجة بن زيد بن أبي زهير، وسعد بن ربيع بن عمرو بن أبي زهير، وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس، وخلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو ابن حارثة بن امرئ القيس.

ومن بني زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج: بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد، وأخوه سماك بن سعد؛ قال ابن هشام

ويقال: جلاس ، وهو عندنا خطأ.

ومن بني عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج: سبيع بن قيس بن عيشة بن أمية بن مالك بن عامر بن عدي، وعباد بن قيس بن عيشة أخوه. قال ابن إسحاق: وعبد الله بن عبس.

ومن بني أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج: يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر.

ومن بني جشم بن الحارث بن الخزرج، وزيد بن الحارث بن الخزرج، وهما التوءمان-: خبيب بن أساف بن عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم، وعبد الله ابن زيد بن ثعلبة، وأخوه حريث بن زيد بن ثعلبة، زعموا، وسفيان بن بشر.

قال ابن هشام: سفيان بن نسر بن عمرو بن الحارث بن كعب بن زيد.

قال ابن إسحاق: ومن بني جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج: تميم بن يعار بن قيس بن عدي بن أمية بن جدارة، وعبد الله بن عمير بن عدي بن أمية بن جدارة، وزيد بن المزين بن قيس، وعبد الله بن عرفطة بن عدي بن أمية بن جدارة.

ومن بني الأبجر، وهم بنو خُدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج: عبد الله بن ربيع بن قيس بن عمرو بن عباد بن الأبجر.

ومن بني عوف بن الخزرج، ثم من بني عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج، وهم بنو الحبلى (قال ابن هشام: الحبلى سالم بن غنم؛ سمى به لعظم بطنه)-: عبد الله بن عبد الله بن أبيّ بن مالك بن الحارث بن عبيد، وسلول أم أبيّ، وأوس بن خولي بن عبد الله بن الحارث بن عبيد.

ومن بني جزء بن عدي بن مالك بن سالم: زيد بن وديعة بن عمرو بن قيس بن جزء، وعقبة بن وهب بن كلدة، حليف لهم من بني عبد الله بن غطفان، ورفاعة بن عمرو بن زيد، وعامر بن سلمة بن عامر، حليف لهم من «اليمن» وأبو خميصة معبد ابن عباد [١] بن قشير بن المقدم [٢] بن سالم بن غنم، وعامر بن البكير حليف لهم.

ومن بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، ثم من بني العجلان بن

(١) في السيرة: أبو حميضة معبد بن عبادة.

(٢) في البداية والنهاية: الفدم.

زيد بن غنم بن سالم: نوفل بن عبد الله بن نضلة بن مالك بن العجلان.

ومن بني أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف: عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم، وأخوه أوس بن الصامت.

ومن بني دعد بن فهر بن ثعلبة بن غنم: النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد، والنعمان الذي يقال له: قوقل.

ومن بني قربوش [١] بن غنم بن أمية بن لوذان بن سالم: ثابت بن هزال بن عمرو ابن قربوش، ويقال: قربوس بالمهملة.

ومن بني مرضخة بن غنم: مالك بن الدخشم قال ابن إسحاق: ومن بني لوذان ابن غنم بن سالم: ربيع بن إياس بن عمرو بن غنم بن أمية بن لوذان، وأخوه ورقة ابن إياس، وعمرو بن إياس حليف لهم من أهل «اليمن».

قال ابن هشام: ويقال عمرو أخو ربيع وورقة.

قال ابن إسحاق: ومن حلفائهم من بلى، ثم من بني غصينة (وغصينة: أمهم؛ كما قال ابن هشام، وأبوهم: عمرو بن عمارة): المجذر بن ذياد، واسم المجذر: عبد الله بن عمرو بن زمزمة، وعباد، ويقال: عبادة بن الخشخاش بن عمرو بن زمزمة، ونحاب بن ثعلبة بن خزمة، ويقال: نحاث [٢] بن ثعلبة، وعبد الله بن ثعلبة ابن خزمة بن أصرم.

قال ابن هشام: وزعموا أن عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية حليف لهم من «بهراء» قد شهد «بدرًا».

قال ابن هشام: عتبة بن بهز من بني سليم.

ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، ثم من بني ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة: أبو دجانة سماك بن أوس بن خرشة بن لوذان، والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة ابن لوذان.

ومن بني البدى بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة: أبو أسيد مالك بن ربيعة بن البدى، ومالك بن مسعود وهو إلى البدى.

---

(١) في السيرة: قريوش.
(٢) في البداية والنهاية: بحاث.

ومن بني طريف بن الخزرج بن ساعدة: عبد ربه بن حق بن أوس بن وقش بن ثعلبة بن طريف، ومن حلفائهم من جهينة: كعب بن حمار بن ثعلبة (قال ابن هشام: ويقال: كعب بن جماز) وهو من غبشان وضمرة وزياد وبسبس بنو عمرو، ويقال: ضمرة وزياد ابنا بشر، وعبد الله بن عامر من بلي.

ومن بني جشم بن الخزرج، ثم من بني سلمة بن سعد، ثم من بني حرام بن كعب بن غنم: خراش بن الصمة بن عمرو بن الجموح، والحباب بن المنذر بن الجموح، وعمير بن الحمام بن الجموح، وتميم مولى خراش بن الصمة، وعبد الله بن عمرو بن حرام، ومعاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوذ بن عمرو بن الجموح، وخلاد بن عمرو بن الجموح، وعقبة بن عامر بن نابي، وخبيب بن الأسود مولى لهم، وثابت بن ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام، وثعلبة الذي يقال له: الجذع، وعمير بن الحارث بن ثعلبة.

قال ابن هشام: وكل ما كان- هاهنا- الجموح، فهو: الجموح بن زيد بن حرام، إلا ما كان من جد الصمة؛ فإنه الجموح بن حرام.

قال ابن إسحاق: ومن بني عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة، ثم من بني خنساء بن سنان بن عبيد: بشر بن البراء بن معرور بن صخر بن خنساء، والطفيل بن مالك بن خنساء، والطفيل بن النعمان بن خنساء، وعبد الله بن الجد بن قيس بن صخر بن خنساء، وسنان بن صيفي بن صخر بن خنساء، وعتبة بن عبد الله بن صخر ابن خنساء، وجبار بن صخر، وخارجة بن حمير، وعبد الله بن حمير حليفان لهم من أشجع، من بني دهمان.

قال ابن هشام: ويقال: جبار بن صخر بن أمية بن خناس.

قال ابن إسحاق: تسعة نفر.

ومن بني خناس بن سنان بن عبيد: يزيد بن المنذر بن سرح بن خناس، ومعقل ابن المنذر بن سرح، وعبد الله بن النعمان بن بلدمة، والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد، وسواد بن زريق بن ثعلبة بن عبيد (قال ابن هشام: ويقال: سواد بن رزن بن زيد بن ثعلبة) ومعبد بن قيس بن صخر بن حرام، وعبد الله بن قيس بن صخر بن حرام.

ومن بني النعمان بن سنان بن عبيد: عبد الله بن عبد مناف بن النعمان، وجابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان، وخليدة بن قيس بن النعمان، والنعمان بن سنان مولى لهم.

ومن بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة، ثم من بني حديدة بن عمرو بن غنم ابن سواد: أبو المنذر، وهو يزيد بن عامر بن حديدة، وسليم بن عمرو بن حديدة، وقطبة بن عامر بن حديدة، وعنترة مولى سليم بن عمرو.

قال ابن هشام: عنترة: من بني سليم بن منصور ثم من بني ذكوان.

ومن بني عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم: عبس بن عامر بن عدي، وثعلبة بن غنمة بن عدي، وأبو اليسر، وهو: كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم بن سواد، وسهل بن قيس بن أبي كعب بن القين بن كعب بن سواد، وعمرو بن طلق بن زيد بن أمية بن سنان بن كعب بن غنم، ومعاذ بن جبل بن عمرو.

قال ابن هشام: إنما نسب ابن إسحاق معاذ بن جبل في بني سواد، وليس منهم؛ لأنه فيهم.

قال ابن إسحاق: والذين كسروا آلهة بني سلمة: معاذ بن جبل، وعبد الله بن أنيس، وثعلبة بن غنمة، وهم في بني سواد بن غنم.

قال ابن إسحاق: ومن بني زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج، ثم من بني مخلد بن عامر بن زريق، ويقال: عامر بن الأزرق: قيس بن محصن بن خالد بن مخلد، وأبو خالد، وهو: الحارث بن قيس ابن خالد بن مخلد، وجبير بن إياس بن خالد بن مخلد، وأبو عبادة، وهو: سعد بن عثمان بن خلدة بن مخلد، وأخوه عقبة بن عثمان بن خلدة بن مخلد، وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد، ومسعود بن خلدة بن عامر بن مخلد.

ومن بني خلدة[1] بن عامر بن زريق: أسعد بن يزيد بن الفاكه بن زيد بن خلدة، والفاكه بن بشر بن الفاكه بن زيد بن خلدة.

قال ابن هشام: بسر بن الفاكه، ومعاذ بن ماعص بن قيس بن خلدة، وأخوه عائذ ابن ماعص بن قيس بن خلدة، ومسعود بن سعد بن قيس بن خلدة.

---

(١) في السيرة: خالدة.

ومن بني العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق: رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان، وأخوه خلاد بن رافع بن مالك بن العجلان، وعبيد بن زيد بن عامر بن العجلان.

ومن بني بياضة بن عامر بن زريق: زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية بن بياضة، وفروة بن عمرو بن وذفة بن عبيد بن عامر بن بياضة، ورجيلة- بالمعجمة- وعطية بن نويرة بن عامر بن عطية بن عامر بن بياضة، وخليفة ابن عدي بن عمرو بن مالك بن عامر بن فهيرة بن بياضة. قال ابن هشام: ويقال: عليفة.

ومن بني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج: رافع بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن عدي بن زيد بن ثعلبة بن زيد مناة بن حبيب.

ومن بني النجار، وهو: تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، ثم من بني غنم ابن مالك بن النجار، ثم من بني ثعلبة بن عبد عوف بن غنم: أبو أيوب خالد بن زيد ابن كليب بن ثعلبة.

ومن بني عسيرة بن عبد عوف بن غنم: ثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عسيرة. قال ابن هشام: ويقال: عشيرة.

قال ابن إسحاق: ومن بني عمرو بن عبد بن عوف بن غنم: عمارة بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو، وسراقة بن كعب بن عبد العزى بن غزية بن عمرو.

ومن بني عبيد بن ثعلبة بن غنم: حارثة بن النعمان بن زيد بن عبيد، وسليم بن قيس بن قهد، واسمه: خالد بن قيس بن عبيد.

ومن بني عائذ بن ثعلبة بن غنم، ويقال: عابد، بالموحدة والمهملة-: سهيل بن رافع بن أبي عمرو بن عائذ، وعدي بن أبي الزغباء، حليف لهم من جهينة.

ومن بني زيد بن ثعلبة بن غنم: مسعود بن أوس بن زيد، وأبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد، ورافع بن الحارث بن سواد بن زيد.

ومن بني سواد بن مالك بن غنم: عوف ومعوذ ومعاذ، بنو الحارث بن رفاعة بن سواد؛ بنو عفراء، والنعمان بن عمرو بن رفاعة بن سواد (ويقال: نعيمان؛ فيما قال ابن هشام). وعامر بن مخلد بن الحارث بن سواد، وعبد الله بن قيس بن خالد بن

خلدة بن الحارث بن سواد، وعصيمة حليف لهم من أشجع، ووديعة بن عمرو حليف لهم من جهينة، وثابت بن عمرو بن زيد بن عدي بن سواد، وزعموا أن أبا الحمراء مولى الحارث بن عفراء شهد «بدرًا».

ومن بني عامر بن مالك بن النجار، وعامر مبذول، ثم من بني عتيك بن عمرو بن مبذول: ثعلبة بن عمرو بن محصن بن عمرو العتكي، وسهل بن عتيك بن عمرو [(١)] ابن النعمان، والحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك، كسر به في الروحاء، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره.

ومن بني عمرو بن مالك بن النجار، وهم: بنو حديلة، ثم من بني قيس بن عبيد ابن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار: أبي بن كعب بن قيس، وأنس بن معاذ بن أنس بن قيس.

ومن بني عدي بن عمرو بن مالك بن النجار: أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام ابن عمرو بن زيد مناة بن عدي، وأبو شيخ بن أبي ثابت بن المنذر بن حرام؛ أخو حسان بن ثابت، وأبو طلحة، وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام.

ومن بني عدي بن النجار، ثم من بني عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار: حارثة بن سراقة بن الحارث بن عدي بن مالك بن عدي بن عامر، وعمرو بن ثعلبة ابن وهب بن عدي، وهو أبو حكيم، وأبو سليط: وهو أسيرة بن قيس بن عمرو، وعمرو أبو خارجة بن قيس بن مالك بن عدي بن عامر، وثابت بن خنساء بن عمرو ابن مالك بن عدي بن عامر، وعامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس بن مالك بن عدي ابن عامر، ومحرز بن عامر بن مالك بن عدي، وسواد بن غزية بن أهيب، حليف لهم من بلي، ويقال: سواد.

قال ابن إسحاق: ومن بني حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار: أبو زيد قيس بن سكن بن قيس بن زعوراء بن حرام، وأبو الأعور بن الحارث بن ظالم بن عبس بن حرام، وسليم بن ملحان، وحرام بن ملحان.

ومن بني مازن بن النجار، ثم من بني عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن ابن النجار: قيس بن أبي صعصعة، واسم أبي صعصعة: عمرو بن زيد بن عوف،

---

(١) في ط: عمرو بن عتيك. والمثبت من السيرة والبداية والنهاية.

وعبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف، وعصيمة حليف لهم من بني أسد بن خزيمة.

ومن بني خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن: أبو داود عمير بن عامر بن مالك بن خنساء، وسراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء.

ومن بني ثعلبة بن مازن بن النجار: قيس بن مخلد بن ثعلبة بن صخر بن حبيب ابن الحارث بن ثعلبة.

ومن بني دينار بن النجار، ثم من بني مسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار ابن النجار: النعمان بن عبد عمرو بن مسعود، والضحاك بن عبد عمرو بن مسعود، وسليم بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن حارثة بن دينار، وهو أخو الضحاك، والنعمان ابنى عبد عمرو، لأمهما؛ وجابر بن خالد بن عبد الأشهل بن حارثة، وسعد بن سهيل بن عبد الأشهل.

ومن بنى قيس بن مالك بن كعب بن حارثة بن دينار بن النجار: كعب بن زيد بن قيس، وبجير بن أبى بجير، حليف لهم من عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان، ثم من بني جذيمة بن رواحة.

قال ابن إسحاق: فجميع من شهد «بدرا» من الخزرج: مائة وسبعون رجلا.

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم يذكر فى الخزرج بـ«بدر» فى بنى العجلان بن زيد ابن غنم: عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان، ومليل بن وبرة بن خالد بن العجلان، وعصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان.

وفى بني حبيب بن عبد: حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج، وهم من بني زريق، وهلال بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن عدي بن زيد بن ثعلبة بن مالك بن زيد مناة بن حبيب.

قال ابن إسحاق: فجميع من شهد «بدرا» من المسلمين من المهاجرين والأنصار، ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلاثمائة رجل وأربعة عشر رجلا؛ ثلاثة وثمانون من المهاجرين، ومن الأوس واحد وستون، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا.

واستشهد من المسلمين يوم «بدر» مع رسول الله ﷺ:

من قريش، ثم من بني المطلب بن عبد مناف: عبيدة بن الحارث بن المطلب: قتله عتبة بن ربيعة، قطع رجله فمات بـ«الصفراء».

ومن بني زهرة بن كلاب: عمير بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة؛ أخو سعد بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة، حليف لهم من خزاعة.

ومن بني عدي بن كعب بن لؤي: عاقل بن البكير؛ حليف لهم من بني سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، ومهجع مولى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه.

ومن بني الحارث بن فهر: صفوان بن بيضاء.

ومن الأنصار، ثم من [بني] عمرو بن عوف: سعد بن خيثمة، ومبشر بن عبد المنذر ابن زنبر، ويقال: مرة بن زنبر.

ومن بني الحارث بن الخزرج: يزيد بن الحارث، وهو الذي يقال له: ابن فسحم.

ومن بني سلمة، ثم من بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة: عمير بن الحمام.

ومن بني حبيب بن عبد حارثة: رافع بن المعلى، ومن بني النجار: حارثة بن سراقة بن الحارث، ومن بني غنم بن مالك بن النجار: عوف ومعوذ ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد، وهما ابنا عفراء [(١)].

نقل صاحب «تاريخ الخميس» العلامة حسين بن محمد الديار بكرى، عن الجلال الدواني، عن كبار مشايخه- أن الدعاء مستجابٌ عند ذكر أصحاب بدر، رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم.

تسميةُ من قتل من المشركين يوم بدر [(٢)]:

من قريش، ثم من بني عبد شمس بن عبد مناف: حنظلة بن أبي سفيان بن حرب

(١) ينظر تسمية أصحاب بدر في المصادر الآتية: السيرة النبوية (٢/ ٣٢٤-٣٥٤)، المغازي للواقدي (١/ ١٥٢-١٧٢)، المغازي لعروة (١٤٧-١٥٩)، جوامع السيرة (١١٤-١٤٦)، تلقيح فهوم أهل الأثر (٤٢٤-٤٣٧)، مجمع الزوائد (٦/ ٩٧-١٠٢)، فتح الباري (٨/ ٦٣-٦٧)، الدرر في اختصار المغازي والسير (١١٧-١٣٣)، البداية والنهاية (٣/ ٣٨٣)، تاريخ الإسلام (١٢٢-المغازي)، سبل الهدى والرشاد (٤/ ٩١-١٢٤).

(٢) ينظر السيرة النبوية (٢/ ٣٥٥-٣٦٤)، المغازي للواقدي (١/ ١٤٧-١٥٢)، أنساب الأشراف (١/ ٢٩٦-٣٠١)، الدرر (١١٣-١١٤)، الطبقات الكبرى (٢/ ١٨)، تاريخ الإسلام (١٢٥-المغازي)، عيون الأثر (١/ ٢٨٥).

ابن أمية بن عبد شمس: قتله زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، ويقال: اشترك فيه حمزة، وعلى، وزيد؛ قاله ابن هشام. وعتبة بن ربيعة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، وأخوه شيبة بن ربيعة، وابنه الوليد بن عتبة. والحارث وعامر ابنا الحضرمي حليفان لهم: قتل عامرا عمارُ بن ياسر، وقتل الحارث النعمان بن عصر، حليف الأوس؛ فيما قال ابن هشام.

وعمير بن أبي عمير وابنه موليان لهم: قتل عميرا سالم مولى أبي حذيفة.

قال ابن إسحاق: وعبيدة بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس: قتله الزبير ابن العوام، والعاص بن سعيد بن العاص بن أمية: قتله علي بن أبي طالب، وعقبة بن أبي معيط: قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، أخو بني عمرو بن عوف- صبرا.

قال ابن هشام: ويقال: علي بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق: وعتبة بن ربيعة: قتله عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب.

قال ابن هشام: اشترك فيه هو وحمزة وعلي.

قال ابن إسحاق: وشيبة بن ربيعة: قتله حمزة بن عبد المطلب. والوليد بن عتبة ابن ربيعة: قتله علي بن أبي طالب. وعامر بن عبد الله، حليف لهم من بني أنمار ابن بغيض: قتله علي بن أبي طالب.

ومن بني نوفل بن عبد مناف: الحارث بن عامر بن نوفل: قتله- فيما يذكرون- خبيب بن أساف، أخو بني الحارث بن الخزرج. وطعيمة بن عدي بن نوفل: قتله علي بن أبي طالب، ويقال: حمزة بن عبد المطلب.

ومن بني أسد بن عبد العزي: زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، قال ابن هشام: قتله ثابت بن الجذع، أخو بني حرام، ويقال: اشترك فيه علي وحمزة وثابت.

قال ابن إسحاق: والحارث بن زمعة: قتله عمار بن ياسر؛ فيما قال ابن هشام.

وعقيل بن الأسود بن المطلب: قتله حمزة وعلي. وأبو البختري العاصي بن هشام: قتله المجذر بن ذياد البلوي. ونوفل بن خويلد بن أسد، وهو ابن العدوية عدي خزاعة، أخو خديجة- رضي الله عنها- وكان من شياطين قريش، وهو الذي قرن أبا بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله، حين أسلما؛ فكانا يسميان: القرينين

لذلك، قتله علي بن أبي طالب.

ومن بني عبد الدار بن قصي: النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف ابن عبد الدار: قتله علي بن أبي طالب صبرا، عند عود رسول الله ﷺ ب«الصفراء» فيما يذكرون (قال ابن هشام: ويقال: النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة) وزيد بن مليص، مولي عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار: قتله بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- وقيل قتله المقداد بن عمرو.

قال ابن إسحاق: ومن تيم بن مرة: عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم: قتله علي بن أبي طالب، ويقال: قتله عبد الرحمن بن عوف. وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان بن كعب: قتله صهيب بن سنان.

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة: أبو جهل بن هشام، واسمه: عمرو بن هشام ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح، فقطع رجله، وضربَ ابنُه [عكرمة] [1] يد معاذ فطرحها، ثم ضربه معوذ بن عفراء؛ حتى أثبته وتركه وبه رمق، ثم ذفف عليه عبد الله بن مسعود، واحتز رأسه حين أمر رسول الله ﷺ به أن يلتمس في القتلى.

والعاصي بن هشام بن المغيرة: قتله عمر بن الخطاب.

ويزيد بن عبد الله حليف لهم من بني تميم. (قال ابن هشام: ثم أحد بني عمرو ابن تميم)، وكان شجاعا قتله عمار بن ياسر. قال ابن إسحاق: وأبو مسافع الأشعرى حليف لهم؛ قتله أبو دجانة الساعدى. وحرملة بن عمر حليف لهم: قتله خارجة بن زيد بن أبي زهير، أخو بني الحارث بن الخزرج، ويقال: قتله علي بن أبي طالب؛ قالهما ابن هشام.

وحرملة من بني الأسد، ومسعود بن أبي أمية بن المغيرة: قتله علي بن أبي طالب، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة: قتله عمار بن ياسر، ويقال: علي بن أبي طالب؛ ورفاعة بن أبي رفاعة بن عائذ [2] بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم: قتله سعد ابن الربيع، أخو بلحارث بن الخزرج، فيما قال ابن هشام.

---

(١) المثبت من السيرة النبوية.
(٢) في السيرة : عابد

والمنذر بن أبي رفاعة بن عائذ: قتله معن بن عدي بن الجد بن العجلان حليف لهم. وعبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة بن عائذ: قتله على بن أبي طالب، والسائب ابن أبي السائب بن عائذ.

قال ابن هشام: والسائب بن أبي السائب: شريك رسول الله ﷺ الذي جاء فى الحديث فيه، عن رسول الله ﷺ: «نعم الشريكُ السائبُ؛ لا يشارى ولا يمارى»[١] وكان أسلم فحسن إسلامه فيما بلغنا.

قال: وذكر ابن شهاب الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس: أن السائب بن أبي السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، ممن بايع رسول الله ﷺ من قريش، وأعطاه يوم «الجعرانة» من غنائم «حنين»، وذكر غير ابن إسحاق أن الذي قتله: الزبير بن العوام.

قال ابن إسحاق: والأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم: قتله حمزة بن عبد المطلب. وحاجب بن السائب قتله على بن أبى طالب. وعويمر بن السائب بن عويمر: قتله النعمان بن مالك القوقلى مبارزة، (فيما قال ابن هشام) وعمرو بن سفيان وجابر بن سفيان، حليفان لهم من طيئ: قتل عمرا يزيد بن رقيش، وقتل جابرا أبو بردة بن نيار.

ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى: منبه بن الحجاج بن عامر ابن حذيفة بن سعد بن سهم، قتله أبو اليسر أخو بني سلمة، وابنه العاصي بن منبه بن الحجاج: قتله علي بن أبي طالب. ونبيه بن الحجاج: قتله حمزة بن عبد المطلب، وسعد بن أبي وقاص؛ اشتركا فيه (فيما قاله ابن هشام) وأبو العاص بن قيس بن عدي ابن سعيد بن سهم: قتله علي بن أبي طالب، ويقال: النعمان بن مالك القوقلي، ويقال: أبو دجانة. وعاصم بن أبي عوف بن صبيرة[٢] بن سعيد بن سعد بن سهم: قتله أبو اليسر أخو بني سلمة.

ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى: أمية بن خلف بن وهب

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٧٦٨) رقم (٢٢٨٧)، وأحمد (٣/ ٤٢٥)، والطبراني في الكبير (٧/ ١٦٥) رقم (٦٦١٨، ٦٦١٩)، ولفظ ابن ماجه والطبراني: عن قائد السائب عن السائب قال للنبي ﷺ: كنت شريكي في الجاهلية فكنت خير شريك؛ كنت لا تداريني ولا تماريني.

(٢) في السيرة: عاصم بن عوف بن ضبيرة.

ابن حذافة بن جمح: قتله رجل من الأنصار من بني مازن، وقيل: قتله معاذ بن عفراء، وخارجة بن زيد، وخبيب بن أساف؛ اشتركوا فيه. وابنه علي بن أمية بن خلف: قتله عمار بن ياسر. وأوس بن معير بن لوذان بن سعد بن جمح: قتله علي ابن أبي طالب، ويقال: قتله الحصين بن الحارث بن المطلب، وعثمان بن مظعون؛ اشتركا فيه، فيما قاله ابن هشام.

ومن بني عامر بن لؤي: معاوية بن عامر، حليف لهم من عبد القيس: قتله علي ابن أبي طالب، ويقال: عكاشة بن محصن. ومعبد بن وهب، حليف لهم من بني كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث: قتله خالد وإياس ابنا البكير، ويقال: أبو دجانة.

قال ابن إسحاق: فجميع من أحصى لنا من قتلى قريش يوم «بدر»: خمسون رجلا.

قال ابن هشام: حدثنى أبو عبيدة معمر بن المثنى، عن أبي عمرو؛ أن قتلى «بدر» من المشركين كانوا سبعين رجلا، والأسرى كذلك، وهو قول ابن عباس وسعيد بن المسيب، وفي كتاب- الله عز وجل: ﴿ أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا ﴾ [آل عمران: ١٦٥] يقول لأصحاب «أحد» وكان من استشهد منهم سبعين رجلا، يقول: قد أصبتم يوم «بدر» مثليْ من استشهد منكم بـ«أحد» سبعين قتيلا وسبعين أسيرا.

قال: وأنشدنى أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك: [من الكامل]

فأَقَامَ بِالْعَطَنِ الْمُعَطَّنِ مِنْهُمُ سَبْعُونَ عُتْبَةُ مِنْهُمُ وَالأَسْوَدُ

قال ابن هشام: يعنى قتلى «بدر». وهذا البيت في قصيدة له في حديث يوم «أحد»، سأذكرها في موضعها؛ إن شاء الله تعالى.

وممن لم يذكر ابن إسحاق من هؤلاء السبعين القتلى من بنى عبد شمس بن عبد مناف: وهب بن الحارث من بني أنمار بن بغيض حليف لهم، وعامر بن زيد حليف لهم من «اليمن».

ومن بني أسد بن عبد العزى: عقبة بن زيد حليف لهم من «اليمن»، وعمير مولى لهم.

ومن بني عبد الدار بن قصي: نبيه بن زيد بن مليص، وعبيد بن سليط، حليف لهم من قيس.

ومن بني تيم بن مرة: مالك بن عبيد الله بن عثمان، أسر فمات في الأسارى فعد في القتلى، ويقال: وعمرو بن عبد الله بن جُدعان.

ومن بني مخزوم بن يقظة: حذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة؛ قتله سعد بن أبي وقاص، وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة: قتله صهيب بن سنان، وزهير بن أبي رفاعة: قتله أبو أسيد مالك بن ربيعة، والسائب بن أبي رفاعة: قتله عبد الرحمن بن عوف، وعائذ بن السائب بن عويمر: أسر ثم افتدى، فمات في الطريق من جراحة جرحه إياها حمزة بن عبد المطلب، وعمير حليف لهم من طيئ وخيار حليف لهم من القارة.

ومن بني جمح بن عمرو: سبرة بن مالك حليف لهم.

ومن بني سهم بن عمرو: الحارث بن منبه بن الحجاج: قتله صهيب بن سنان، وعامر بن أبي عوف بن صبيرة، أخو عاصم: قتله عبد الله بن سلمة العجلاني، ويقال: أبو دجانة [(١)].

تسمية من أسر من المشركين يوم «بدر»:

قال ابن إسحاق: وأسر من المشركين من قريش يوم بدر، ثم من بني هاشم بن عبد مناف: عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب.

ومن بني المطلب بن عبد مناف: السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب، ونعمان بن عمرو بن علقمة بن المطلب.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: عمرو بن أبي سفيان بن حرب، والحارث بن أبي وجرة [(٢)] بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، ويقال: ابن أبي وحرة - بالحاء المهملة - وأبو العاص بن نوفل بن عبد شمس، وأبو العاص بن الربيع بن عبد العزى ابن عبد شمس؛ ومن حلفائهم: أبو ريشة بن أبي عمرو، وعمرو بن الأزرق، وعقبة ابن عبد الرحمن [(٣)] بن الحضرمي.

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٣٥٥-٣٦٤).
(٢) في السيرة: وجزة.
(٣) في السيرة عبد الحارث.

ومن بني نوفل بن عبد مناف: عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل، وعثمان بن عبد شمس ابن أخي غزوان بن جابر، حليف لهم من بني مازن بن منصور؛ وأبو ثور حليف لهم.

ومن بني عبد الدار بن قصي: أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، والأسود بن عامر حليف لهم، ويقولون: نحن بنو الأسود بن عامر بن عمرو بن الحارث بن السباق.

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي: السائب بن أبي حبيش بن المطلب بن أسد، والحويرث بن عباد بن عثمان بن أسد.

قال ابن إسحاق: وسالم بن شماخ حليف لهم.

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة: خالد بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وصيفي ابن أبي رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وأبو المنذر بن أبي رفاعة بن عائذ، وأمية بن أبي حذيفة بن المغيرة، وأبو عطاء عبد الله بن أبي السائب بن عائذ، والمطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم، وخالد بن الأعلم حليف لهم، وهو- فيما يذكر- كان أول من ولى فارًّا منهزما، وهو الذى يقول: [من الطويل]

لَسْنَا عَلَى الْأَدْبارِ تَدْمَى كُلُومُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا يَقْطُرُ الدَّمُ

قال ابن هشام ويروى: ولسنا على الأعقاب. وخالد بن الأعلم: من خزاعة، ويقال: عقيلى.

قال ابن إسحاق: ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب: أبو وداعة بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم، كان أول أسير افتدى من أسارى بدر، افتداه ابنه المطلب بن أبي وداعة. وفروة بن قيس بن عدى بن حذافة بن سعد بن سهم، وحنظلة بن قبيصة بن حذافة، والحجاج بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعيد.

ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص: عبد الله بن أبي خلف بن وهب بن حذافة ابن جمح، وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمح، والفاكه مولى أمية بن خلف، وهو يزعم أنه من بني الشماخ بن محارب بن فهر،

ووهب بن عمير بن وهب، وربيعة بن دراج بن العنبس بن أهبان بن وهب.

ومن بني عامر بن لؤى: سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسان [١] بن عامر أسره مالك بن الدخشم، أخو بني سالم بن عوف.

وعبد بن زمعة بن قيس بن عبد شمس.

ومن بني الحارث بن فهر: الطفيل بن أبي قنيع، وعتبة بن عمرو بن جحدم.

فجميع من حفظ لنا من الأسارى بـ«بدر» ثلاثة وأربعون رجلا.

قال ابن هشام: وبقى [٢] من جملة العدد رجلٌ لم أذكر اسمه، وممن لم يذكر ابن إسحاق من الأسرى:

من بني هاشم بن عبد مناف: عتبة حليف لهم من بني فهر، ومن بني المطلب بن عبد مناف: عقيل بن عمرو، حليف لهم، وأخوه تميم بن عمرو وابنه.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: خالد بن أسيد بن أبي العيص، وأبو العريض يسار مولى العاص بن أمية.

ومن بني نوفل بن عبد مناف: نبهان مولى لهم.

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصى: عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث.

ومن بني عبد الدار: عقيل حليف لهم من اليمن.

ومن بني تيم بن مرة: مسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، وجابر بن الزبير حليف لهم.

ومن بني مخزوم: قيس بن السائب.

ومن بني جمح بن عمرو: عمرو بن أبي بن خلف، وأبو رهم بن عبد الله، حليف لهم؛ وحليف لهم آخر ذهب عنى اسمه، ومولیان لأمية بن خلف، أحدهما: نسطاس، وأبو رافع غلام أمية بن خلف.

ومن بني سهم بن عمرو: أسلم [٣] مولى نبيه بن الحجاج.

ومن بني عامر بن لؤى حبيب بن جابر، والسائب بن مالك.

---

(١) في السيرة: حسل.
(٢) في السيرة: وقع.
(٣) في ط: أسمر. والمثبت من السيرة.

قال ابن إسحاق: ومن بني الحارث بن فهر: شافع وشفيع حليفان لهم من اليمن [١].

قلت: العجب من ابن هشام أنه لم يذكر العباس بن عبد المطلب في جملة الأسرى، وقد ذكره غيره ويدل له الحديث الشريف: «إنى لم أبت من أنين العباس فاحللوا من وثاقه» أو كما قال ﷺ! [٢].

وكان مما قيل في «بدر» من الشعر، وترادَّ به القوم بينهم لما كان فيه، قول حمزة ابن عبد المطلب- يرحمه الله- قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها ونقيضتها: [من الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَمْرًا كَانَ مِنْ عَجَبِ الدَّهْرِ ... وَلِلْحَيْنِ أَسْبَابٌ مُبَيَّنَةُ الأَمْرِ

وَمَا ذَاكَ إِلاَّ أَنَّ قَوْمًا أَفَادَهُمْ ... فَخَانُوا تَوَاصَوْا بِالْعُقُوقِ وَبِالْكُفْرِ [٣]

عَشِيَّةَ رَاحُوا نَحْوَ بَدْرٍ بِجَمْعِهِمْ ... فَكَانُوا رُهُونًا لِلرَّكِيَّةِ مِنْ بَدْرِ

وَكُنَّا طَلَبْنَا الْعِيرَ لَمْ نَبْغِ غَيْرَهَا ... فَسَارُوا إِلَيْنَا فالتقينا عَلَى قَدْرِ

فَلَمَّا الْتَقَيْنَا لَمْ تَكُنْ مَثْنَوِيَّةٌ ... لَنَا غَيْرَ طَعْنٍ بِالمثقَّفَةِ السُّمْرِ

وَضَرْبٍ بِبِيضٍ يَخْتَلِي الْهَامَ حَدُّهَا ... مُشَهَّرَةِ الأَلْوَانِ بَيِّنَةِ الأَثْرِ

وَنَحْنُ تَرَكْنَا عُتْبَةَ الْغَيِّ ثَاوِيًا ... وَشَيْبَةَ فِي قَتْلَى تَجَرْجَمَ فِي الْجَفْرِ [٤]

وَعَمْرٌو ثَوَى فِيمَنْ ثَوَى مِن حُمَاتِهِمْ ... فَشُقَّتْ جُيُوبُ النَّائِحَاتِ عَلَى عَمْرِو

جُيُوبُ نِسَاءٍ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ ... كِرَام تَفَرَّعْنَ الذَّوَائِبَ مِنْ فِهْرِ

أُولئكَ قَوْمٌ قُتِّلُوا فِي ضَلاَلِهِمْ ... وَخَلَّوْا لِوَاءً غَيْرَ مُحْتَضَرِ النَّصْرِ

لِوَاءَ ضَلاَلٍ قَادَ إِبْلِيسُ أَهْلَهُ ... فَخَاسَ بِهِمْ إِنَّ الْخَبِيثَ إِلَى غَدرِ

وَقَالَ لَهُمْ إِذْ عَايَنَ الأَمْرَ وَاضِحًا: ... بَرِئْتُ إِلَيْكُمْ مَا بِىَ الْيَوْمَ مِنْ صَبْرِ

فَإِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ وَإِنَّنِي ... أَخَافُ عِقَابَ الله، وَالله ذُو قَسْرِ

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٣٦٤، ٣٦٧)، المغازي للواقدي (١/ ١٣٨-١٤٤)، أنساب الأشراف (١/ ٣٠١-٣٠٤)، عيون الأثر (١/ ٢٨٦-٢٨٧)، سبل الهدى والرشاد (٤/ ٧٧-٧٨)، تاريخ الإسلام (١١٤، ١٢٢-المغازي).

(٢) تقدم تخريجه في فضائل العباس.

(٣) في البداية والنهاية:

... ... فخافوا تواص ...

(٤) تجرجم: سقط، والجفر: البئر الواسعة. الوسيط (جرجم)، (جفر) وفى ط: تجرجر. والمثبت من السيرة.

فَقَدَّمَهُمْ لِلْحَيْنِ حَتَّى تَوَرَّطُوا ... وَكَانَ بِمَا لَمْ يَخْبُرِ الْقَوْمُ ذَا خُبْرِ
فَكَانُوا غَدَاةَ الْبِئْرِ أَلْفَا وَجَمْعُنَا ... ثَلاَثُ مِئِينٍ كالمُسَدَّمَةِ الزُّهْرِ
وَفِينَا جُنُودُ اللهِ حِينَ يُمِدُّنَا ... بِهِمْ فِي مَقَام ثَمَّ مُسْتَوْضِحِ الذِّكْرِ
فَشَدَّ بِهِمْ جِبْرِيلُ تَحْتَ لِوَائِنَا ... لَدَى مَأْزِقٍ فِيهِ مَنَايَاهُمْ تَجْرِي(١)

فأجابه الحارث بن هشام بن المغيرة، فقال [من الطويل]:

أَلاَ يَالَقَوْمِي لِلصَّبَابَةِ وَالْهَجْرِ ... وَلِلْحُزْنِ مِنِّي وَالْحَرَارَةِ فِي الصَّدْرِ
وَلِلدَّمْعِ مِنْ عَيْنَيَّ جودًا كَأَنَّهُ ... فَرِيدٌ هَوى مِنْ سِلْك نَاظِمِهِ يَجْرِي
عَلَى الْبَطَلِ الْحُلْوِ الشَّمَائِلِ إِذْ ثَوَى ... رَهِينَ مقَام لِلرَّكِيَّةِ مِنْ بَدْرِ
فَلاَ تَبْعَدَنْ يَا عَمْرُو مِنْ ذِي قَرَابَةٍ ... وَمِنْ ذِي نِدَام كَانَ ذَا خُلُقٍ غَمْرِ
فَإِنْ يَكُ قَوْمٌ صَادَفُوا مِنْك دَوْلَةً ... فَلاَ بُدَّ لِلأَيَّامِ مِنْ دول الدَّهْرِ
فَقَدْ كُنْتَ فِي صَرْفِ الزَّمَانِ الَّذِي مَضَى ... تُرِيهِمْ هَوَانًا مِنْكَ ذَا سُبُلٍ وَعْرِ
فَإِنْ لاَ أَمُتْ يَا عَمْرُو أَتْرُكْكَ ثَائِرًا ... وَلا أُبْقِ بُقْيا فِي إِخَاءٍ وَلاَ صِهْرِ
وأَقْطَعُ ظَهْرًا مِنْ رِجَالٍ بِمَعْشَرٍ ... كِرَام عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا قَطَعُوا ظَهْرِي
أَغَرَّهُمْ مَا جَمَّعُوا مِنْ وَشِيظَةٍ ... وَنَحْنُ الصَّمِيمُ فِي الْقَبَائِلِ مِنْ فِهْرِ؟!
فَيَالَ لُؤَيٍّ ذَبِّبُوا عَنْ حَرِيمِكُمْ ... وَآلِهَةٍ لاَ تَتْرُكُوهَا لِذِي الْفَخْرِ
تَوَارَثَهَا آبَاؤُكُمْ وَوَرِثْتُمُ ... أَوَاسِيَّهَا والْبَيْتَ ذَا السَّقْفِ وَالسِّتْرِ
فَمَا لحليم قَدْ أَرَادَ هَلاَكَكُمْ- ... فَلاَ تَعْذِرُوهُ آلَ غَالِبَ- مِنْ عُذْرِ
وَجِدُّوا لِمَنْ عَادَيْتُمْ وَتَوَازَرُوا ... وَكُونُوا جَمِيعًا فِي التَّأَسِّي وَفِي الصَّبْرِ
لَعَلَّكُمُ أَنْ تَثْأَرُوا بِأَخِيكُمْ ... وَلاَ شَيْءَ إِنْ لَمْ تَثْأَرُوا بِذَوِي عَمْرِو
بِمُطَّرِدَاتٍ فِي الأَكُفِّ كَأَنَّهَا ... وَمِيضٌ تُطِيرُ الْهَامَ بَيِّنَةَ الأَثْرِ
كَأَنَّ مَدبَّ الذَّرِّ فَوْقَ مُتُونِهَا ... إِذَا جُرِّدَتْ يَوْمًا لِأَعْدَائِهَا الْخُزْرِ(٢)

قال ابن هشام: أبدلنا في هذه القصيدة كلمتين مِمَّا رَوَى ابن إسحاق، وهما «الفَخْر» فى آخر البيت [العاشر]، و«فَمَا لِحَلِيم» في أول البيت [الثانى عشر]؛ لأنه نال فيهما من النبي ﷺ.

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٣٦٨-٣٧٠)، والبداية والنهاية (٣/ ٤٠٣-٤٠٤)، وسبل الهدى والرشاد (٤/ ١٢٥).
(٢) ينظر: السيرة النبوية (٣/ ٣٧٠-٣٧٢)، البداية والنهاية (٣/ ٤٠٤).

قال ابن هشام: ولم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها ولا نقيضتها، وإنما كتبناها؛ لأنه يقال: إن عمرو بن عبد الله بن جدعان قتل يوم «بدر»، ولم يذكره ابن إسحاق فى القتلى، وذكره في هذا الشعر [(١)].

قال ابن إسحاق: وقال على بن أبي طالب: [من الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَبْلَى رَسُولَهُ ... بَلَاءَ عَزِيزٍ ذِي اقْتِدَارٍ وذِي فَضْلِ؟!
بِمَا أَنْزَلَ الْكُفَّارَ دَارَ مَذَلَّةٍ ... فَلَاقَوْا هَوَانًا مِنْ إِسَارٍ وَمِنْ قَتْلِ
فَأَمْسَى رَسُولُ اللهِ قَدْ عَزَّ نَصْرُهُ ... وَكَانَ رَسُولُ اللهِ أُرْسِلَ بِالْعَدْلِ
فَجَاءَ بِفُرْقَانٍ مِنَ اللهِ مُنْزَلٍ ... مُبَيَّنَةٍ آيَاتُهُ لِذَوِي الْعَقْلِ
فَآمَنَ أَقْوَامٌ بِذَاكَ وَأَيْقَنُوا ... فَأَمْسَوْا بِحَمْدِ اللهِ مُجْتَمِعِي الشَّمْلِ
وَأَنْكَرَ أَقْوَامٌ فَزَاغَتْ قُلُوبُهُمْ ... فَزَادَهُمُ ذُو الْعَرْشِ خَبْلًا عَلَى خَبْلِ
وَأَمْكَنَ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ رَسُولَهُ ... وَقَوْمًا غِضَابًا فِعْلُهُمْ أَحْسَنُ الْفِعْلِ
بِأَيْدِيهِمُ بِيضٌ خِفَافٌ عَصَوْا بِهَا ... وَقَدْ حَادَثُوهَا بِالجلَاءِ وَبِالصَّقْلِ
فَكَمْ تَرَكُوا مِنْ نَاشِئٍ ذِي حَمِيَّةٍ ... صَرِيعًا وَمِنْ ذِي نَجْدَةٍ مِنْهُمُ كَهْلِ
تَبِيتُ عُيُونُ النَّائِحَاتِ عَلَيْهِمُ ... تَجُودُ بِإِسْبَالِ الرَّشَاشِ وَبِالْوَبْلِ
نَوَائِح تَنْعَى عُتْبَةَ الْغَيِّ وَابْنَهُ ... وَشَيْبَةَ تَنْعَاهُ وَتَنْعَى أَبَا جَهْلِ
وَذَا الرِّجْلِ تَنْعَى وَابْنَ جُدْعَانَ فِيهِمُ ... مُسَلَّبَةً حَرَّى مُبَيِّنَةَ الثُّكْلِ
ثَوَى مِنْهُمُ فِي بِئْرِ بَدْرٍ عِصَابَةٌ ... ذَوُو نَجَدَاتٍ فِي الْحُرُوبِ وَفِي الْمَحْلِ [(٢)]
دَعَا الْغَيُّ مِنْهُمْ مَنْ دَعَا فَأَجَابَهُ ... وَلِلْغَيِّ أَسْبَابٌ مُرَمَّقَةُ [(٣)] الْوَصْلِ
فَأَضْحَوْا لَدَى دَارِ الْجَحِيمِ بمعزِلٍ ... عَنِ الشغْبِ وَالعُدْوَانِ في أَشْغَلِ الشُّغْلِ [(٤)]

فأجابه الحارث بن هشام بن المغيرة، فقال [من الطويل]:

عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ تَغَنَّى سَفِيهُهُمْ ... بِأَمْرِ سَفَاهٍ ذِى اعْتِرَاضٍ وَذِي بُطْلِ
تَغَنَّى بِقَتْلَى يَوْمِ بَدْرٍ تَتَابَعُوا ... كِرَامِ الْمَسَاعِي مِنْ غُلَامٍ وَمِنْ كَهْلِ

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٣٧٣).
(٢) المَحْلُ: الشدة. الوسيط (محل).
(٣) مُرَمَّقَة: ضعيفة. قال في الوسيط: ارمَقَّ: ضعف وفسد.
(٤) في البداية والنهاية: (في أسفل السفل).

مَصَالِيتُ بِيضٌ مِنْ ذُؤَابَةِ غَالِبٍ مَطَاعِينُ فِي الْهَيْجَا مَطَاعِيمُ فِي الْمَحْلِ
أُصِيبُوا كِرَامًا لَمْ يَبِيعُوا عَشِيرَةً بِقَوْمٍ سِوَاهُمْ نَازِحِي الدَّارِ وَالأَصْلِ
كَمَا أَصْبَحَتْ غَسَّانُ فِيكُمْ بِطَانَةً لَكُمْ بَدَلاً مِنَّا فَيَا لَكَ مِنْ فِعْلِ
عُقُوقًا وَإِثْمًا بَيِّنًا وَقَطِيعَةً يَرَى جَوْرَكُمْ فِيهَا ذَوُو الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ
فَإِنْ يَكُ قَوْمٌ قَدْ مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ وَخَيْرُ الْمَنَايَا مَا يَكُونُ مِنَ الْقَتْلِ
فَلاَ تَفْرَحُوا أَنْ تَقْتُلُوهُمْ فَقَتْلُهُمْ لَكُمْ كَائِنٌ خَبْلاً مُقِيمًا عَلَى خَبْلِ
فَإِنَّكُمْ لَنْ تَبْرَحُوا بَعْدَ قَتْلِهِمْ شَتِيتًا هَوَاكُمْ غَيْرَ مُجْتَمِعِي الشَّمْلِ
بِفَقْدِ ابْنِ جُدْعَانَ الْحَمِيدِ فَعَالُهُ وَعُتْبَةَ وَالْمَدْعُوِّ فِيكُمْ أَبَا جَهْلِ
وَشَيْبَةُ فِيهِمْ وَالْوَلِيدُ وفِيهِمُ أُمَيَّةُ مَأْوَى الْمُقْتِرِينَ وَذُو الرَّجْلِ
أُولئِكَ فَابْكِ ثُمَّ لاَ تَبْكِ غَيْرَهُمْ نَوَائِحُ تَدْعُو بِالرَّزِيَّةِ وَالثُّكْلِ
وَقُولُوا لِأَهْلِ الْمَكَّتَيْنِ تَحَاشَدُوا وَسِيرُوا إِلَى آطَامِ يَثْرِبَ ذِي النَّخْلِ
جَمِيعًا وَحَامُوا آلَ كَعْبٍ وَذَبِّبُوا بِخَالِصَةِ الأَلْوَانِ مُحْدَثَةِ الصَّقْلِ
وَإِلاَّ فَبِيتُوا خَائِفِينَ وَأَصْبِحُوا أَذَلَّ لِوَطْءِ الْوَاطِئِينَ مِنَ النَّعْلِ
عَلَى أَنَّنِي، وَاللاتِ، يَا قَوْمِ فَاعلَمُوا بِكُمْ وَاثِقٌ أَلاَّ تُقِيمُوا عَلَى تَبْلِ
سِوَى جَمْعِكُمْ لِلسَّابِغَاتِ وَلِلْقَنَا وَلِلْبِيضِ والبِيضِ الْقَوَاطِعِ وَالنَّبْلِ(١)

وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس، أخو بني محارب بن فهر: [من الطويل]

عَجِبْتُ لِفَخْرِ الأَوْسِ، وَالْحَيْنُ دَائِرٌ عَلَيْهِمْ غَدًا، وَالدَّهْرُ فِيهِ بَصَائِرُ
وفَخْرِ بَنِي النَّجَّارِ أَنْ كَانَ مَعْشَرٌ أُصِيبُوا بِبَدْرٍ كُلُّهُمْ ثَمَّ صَابِرُ
فَإِنْ تَكُ قَتْلَى غُودِرَتْ مِنْ رِجَالِنَا فَإِنَّا رِجَالاً بَعْدَهُمْ سَنُغَادِرُ
وَتَرْدِي بِنَا الْجُرْدُ الْعَنَاجِيجُ(٢) وَسْطَكُمْ بَنِي الأَوْسِ حَتَّى يَشْفِيَ النَّفْسَ ثَائِرُ
وَوَسْطَ بَنِي النَّجَّارِ سَوْفَ نَكُرُّهَا لَهَا بِالْقَنَا وَالدَّارِعِينَ زَوَافِرُ
فَنَتْرُكُ صَرْعَى تَعْصِبُ الطيرُ حَوْلَهُمْ وَلَيْسَ لَهُمْ إِلاَّ الأَمَانِيَّ نَاصِرُ

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٣٧٣-٣٧٦)، البداية والنهاية (٣/ ٤٠٤)، سبل الهدى والرشاد (٤/ ١٢٥-١٢٦).

(٢) تَرْدِي: ردي الفرس رديًا ورديانًا: رجمت الأرض بحوافرها أو هو بين العَدو والمشي، ترتيب القاموس (ردي). الجرد: فرس أجرد قصير الشعر رقيقه، ترتيب القاموس (جرد). العناجيج: جمع: الْعُنْجُوج؛ وهو الرائع من الخيل، وقيل: الجَوَادُ. اللسان (عنج).

وَتَبْكِيهِمُ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ نِسْوَةٌ ... لَهُنَّ بِهَا لَيْلٌ عَنِ النَّوْمِ سَاهِرُ
وَذَلِكَ أَنَّا لاَ تَزَالُ سُيُوفُنَا ... بِهِنَّ دَمٌ مِمَّا يُحَارِبْنَ مَائِرُ[١]
فَإِنْ تَظْفَرُوا فِي يَوْمِ بَدْرٍ فَإِنَّمَا ... بِأَحْمَدَ أَمْسَى جَدُّكُمْ وَهْوَ ظَاهِرُ
وَبِالنَّفَرِ الأَخْيَارِ هُمْ أَوْلِيَاؤُهُ ... يُحَامُونَ فِي اللأْوَاءِ وَالمَوْتُ حَاضِرُ
يُعَدُّ أَبُو بَكْرٍ وَحَمْزَةُ فِيهِمُ ... ويُدْعَى عَلِيٌّ وَسْطَ مَنْ أَنتَ ذَاكِرُ[٢]
أُولئِكَ لاَ مَنْ نَتَّجَتْ فِي دِيَارِهَا ... بَنُو الأَوْسِ وَالنَّجَّارِ حِينَ تُفَاخِرُ
وَلَكِنْ أَبُوهُمْ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ ... إِذَا عُدَّتِ الأَنْسَابُ كَعْبٌ وعَامِرُ
هُمُ الطَّاعِنُونَ الْخَيْلَ فِي كُلِّ مَعْرَكٍ ... غَدَاةَ الْهِيَاجِ الأَطْيَبُونَ الأَكَابِرُ[٣]

فأجابه كعب بن مالك، أخو بني سلمة؛ فقال: [من الطويل]

عَجِبْتُ لِأَمْرِ الله، وَالله قَادِرُ ... عَلَى مَا أَرَادَ لَيْسَ لله قَاهِرُ
قَضَى يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ نُلاَقِيَ مَعْشَرًا ... بَغَوْا، وَسَبِيلُ الْبَغْيِ بِالنَّاسِ جَائِرُ
وَقَدْ حَشَدُوا وَاسْتَنْفَرُوا مَنْ يَلِيهِمُ ... مِنَ النَّاسِ حَتَّى جَمْعُهُمْ مُتَكَاثِرُ
وَسَارَتْ إِلَيْنَا لاَ تُحَاوِلُ غَيْرَنَا ... بِأَجْمَعِهَا كَعْبٌ جَمِيعًا وَعَامِرُ
وَفِينَا رَسُولُ الله، وَالأَوْسُ حَوْلَهُ ... لَهُ مَعْقِلٌ مِنْهُمْ عَزِيزٌ وَنَاصِرُ
وَجَمْعُ بَنِي النَّجَّارِ تَحْتَ لِوَائِهِ ... يَمِيسُونَ فِي الْمَاذِيِّ[٤] وَالنَّقْعُ ثَائِرُ
فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ، وَكُلٌّ مُجَاهِدٌ ... لِأَصْحَابِهِ مُسْتَبْسِلُ النَّفْسِ صَابِرُ
شَهِدْنَا بِأَنَّ الله لاَ رَبَّ غَيْرُهُ ... وأَنَّ رَسُولَ الله بِالْحَقِّ ظَاهِرُ
وَقَدْ عُرِّيَتْ بِيضٌ خِفَافٌ كَأَنَّهَا ... مَقَابِيسُ يُزْهِيهَا لِعَيْنَيْكَ شَاهِرُ
بِهِنَّ أَبَدْنَا جَمْعَهُمْ فَتَبَدَّدوا ... وَكَانَ يُلاَقِي الْحَينَ مَنْ هُوَ فَاجِرُ
فَكَبَّ أَبُو جَهْلٍ صَرِيعًا لِوَجْهِهِ ... وَعُتْبَةُ قَدْ غَادَرْنَهُ وَهوَ عَاثِرُ
وشَيْبَةَ والتَّيْمِيَّ غَادَرْنَ فِي الْوَغَى ... وَمَا مِنْهُمُ إلاَّ بِذِي الْعَرْشِ كافِرُ

---

(١) مائر: سائل؛ مار الدمع والدم: سال. ينظر: اللسان (مور).
(٢) ويروى بعده في ابن هشام:
ويُدْعى أبو حفص وعثمان منهم ... وسَعدٌ إذا ما كان في الحرب حاضر
(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٣٧٧ - ٣٧٨).
(٤) في السيرة وفي البداية والنهاية: يمشون. والماذي: الدروع البيض اللينة السهلة، وقد تطلق على السلاح كله.

فَأَمْسَوْا وَقُودَ النَّارِ فِي مُسْتَقَرِّهَا ... وَكُلُّ كَفُورٍ فِي جَهَنَّمَ صَائِرُ
تَلَظَّى عَلَيْهِمْ وَهِيَ قَدْ شَبَّ حَمْيُهَا ... بِزُبَرِ الْحَدِيدِ وَالْحِجَارَةِ سَاجِرُ
وَكَانَ رَسُولُ اللهِ قَدْ قَالَ: أَقْبِلُوا ... فَوَلَّوْا، وَقَالُوا: إِنَّمَا أَنْتَ سَاحِرُ
لِأَمْرٍ أَرَادَ اللهُ أَن يَهْلِكُوا بِهِ ... وَلَيْسَ لِأَمْرٍ حَمَّهُ اللهُ زَاجِرُ[1]

وقال عبد الله بن الزبعرى السهمي؛ يبكي قتلى بدر- قال ابن هشام: وتروى للأعشى بن زرارة بن النباش، أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم، حليف بني نوفل بن عبد مناف؛ قال ابن إسحاق: حليف بني عبد الدار-: [من الكامل]

مَاذَا عَلَى بَدْرٍ وَمَاذَا حَوْلَهُ ... مِنْ فِتْيَةٍ بِيضِ الْوُجُوهِ كِرَامِ
تَرَكُوا نُبَيْهًا خَلْفَهُمْ ومُنَبِّهًا ... وَابْنَيْ رَبِيعَةَ خَيْرَ خَصْمٍ فِئَامِ
والْحَارِثَ الْفَيَّاضَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ ... كَالْبَدْرِ جَلَّى لَيْلَةَ الْإِظْلَامِ
وَالْعَاصِيَ بْنَ مُنَبِّهٍ ذَا مِرَّةٍ ... رُمْحًا تَمِيمًا غَيرَ ذِي أَوْصَامِ[2]
تَنْمِي بِهِ أَعْرَاقُهُ وَجُدُودُهُ ... وَمَآثِرُ الْأَخْوَالِ وَالْأَعْمَامِ
وَإِذَا بَكَى بَاكٍ فَأَعْوَلَ شَجْوَهُ ... فَعَلَى الرَّئِيسِ الْمَاجِدِ ابْنِ هِشَامِ
حَيَّا الْإِلَهُ أَبَا الْوَلِيدِ وَرَهْطَهُ ... رَبُّ الْأَنَامِ وَخَصَّهُ بِسَلَامِ[3]

فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري فقال: [من الكامل]

إِبْكِ بَكَتْ عَيْنَاكَ ثُمَّ تَبَادَرَتْ ... بِدَمٍ يَعُلُّ غُرُوبَهَا سَجَّامِ
مَاذَا بَكَيْتَ بِهِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا؟! ... هَلَّا ذَكَرْتَ مَكَارِمَ الْأَقْوَامِ!
وَذَكَرْتَ مِنَّا مَاجِدًا ذَا هِمَّةٍ ... سَمْحَ الْخَلَائِقِ صادق الْإِقْدَامِ
أَعْنِي النَّبِيَّ أَخَا الْمَكَارِمِ وَالنَّدَى ... وَأَبَرَّ مَنْ يُولِي عَلَى الْأَقْسَامِ
فَلِمِثْلِهِ وَلِمِثْلِ ما يَدْعُو لَهُ ... كَانَ الممدَّحَ ثَمَّ غَيْرَ كَهَامِ

وقال حسان بن ثابت - أيضًا -: [من الكامل]

تَبَلَتْ فُؤَادَكَ فِي الْمَنَامِ خَرِيدَةٌ ... تَشْفِي الضَّجِيعَ بِبَارِدٍ بَسَّامِ

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٣٧٨-٣٨٠)، البداية والنهاية (٣/ ٤٠٤-٤٠٥)، سبل الهدى والرشاد (٤/ ١٢٦).
(٢) ذا مرة: صاحب قوة. والتميم: الشديد. والأوصام: العيوب.
(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٣٨٠-٣٨١).

كَالْمِسْكِ تَخْلِطُهُ بِمَاءِ سَحَابَةٍ أَوْ عَاتِقٍ كَدَمِ الذَّبِيحِ مُدَامِ
نُفُجُ الْحَقِيبَةِ بَوْصُهَا مُتَنَضِّدٌ بَلْهَاءُ غَيْرُ وَشِيكَةِ الْأَقْسَامِ
بُنِيَتْ عَلَى قَطَنٍ أَجَمَّ كَأَنَّهُ فُضُلاً إِذَا قَعَدَتْ مَدَاكُ رُخَامِ
وَتَكَادُ تَكْسَلُ أَنْ تَجِيءَ فِرَاشَهَا فِي جِسْمِ خَرْعَبَةٍ وَحُسْنِ قَوَامِ
أَمَّا النَّهَارَ فَلاَ أُفَتِّرُ ذِكْرَهَا وَاللَّيْلِ تُوزِعُنِي بِهَا أَحْلاَمِي
أَقْسَمْتُ أَنْسَاهَا وَأَتْرُكُ ذِكْرَهَا حَتَّى تُغَيَّبَ فِي الضَّرِيحِ عِظَامِي
يَا مَنْ لِعَاذِلَةٍ تَلُومُ سَفَاهَةً وَلَقَدْ عَصَيْتُ عَلَى الْهَوَى لُوَّامِي
بَكَرَتْ عَلَى بِسُحْرَةٍ بَعْدَ الْكَرَى وَتَقَارُبٍ مِنْ حَادِثِ الأَيَّامِ
زَعَمَتْ بِأَنَّ الْمَرْءَ يُكْرِبُ عُمْرَهُ عَدَمٌ لِمُعْتَكِرٍ مِنَ الأَصْرَامِ
إِنْ كُنْتِ كَاذِبَةَ الَّذِي حَدَّثْتِنِي فَنَجَوْتِ مَنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ
تَرَكَ الأَحِبَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طِمِرَّةٍ وَلِجَامِ
يَذَرُ الْعَنَاجِيجَ الْجِيَادَ بِقَفْرَةٍ مَرَّ الدَّمُوكِ بِمُحْصَدٍ وَرِجَامِ
مَلأَتْ بِهِ الْفَرْجَيْنِ فَارْمَدَّتْ بِهِ وَثَوَى أَحِبَّتُهُ بِشَرِّ مُقَامِ
وَبَنُو أَبِيهِ وَرَهْطُهُ فِي مَعْرَكٍ نَصَرَ الإِلَهُ بِهِ ذَوِي الإِسْلاَمِ
طَحَنَتْهُمُ، والله يُنْفِذُ أَمْرَهُ حَرْبٌ يُشَبُّ سَعِيرُهَا بِضِرَامِ
لَوْلاَ الإِلَهُ وَجَرْيُهَا لَتَرَكْنَهُ جَزَرَ السِّبَاعِ وَدُسْنَهُ بِحَوَامِ
مِنْ بَيْنِ مَأْسُورٍ يُشَدُّ وَثَاقُهُ صَقْرٍ إِذَا لاَقَى الأَسِنَّةَ حَامِي
وَمُجَدَّلٍ لاَ يَسْتَجِيبُ لِدَعْوَةٍ حَتَّى تَزُولَ شَوَامِخُ الأَعْلاَمِ
بِالْعَارِ وَالذُّلِّ الْمُبَيَّنِ إِذْ رَأَى بِيضَ السُّيُوفِ تَسُوقُ كُلَّ هُمَامِ
بِيَدَيْ أَغَرَّ إِذَا انْتَمَى لَمْ يُخْزِهِ نَسَبُ الْقِصَارِ سَمَيْدَعٍ مِقْدَامِ
بِيضٌ إِذَا لاَقَتْ حَدِيدًا صَمَّمَتْ كَالْبَرْقِ تَحْتَ ظِلاَمِ كُلِّ غَمَامِ(١)

فأجابه الحارث بن هشام- فيما ذكر ابن هشام- فقال: [من الكامل]

الله أَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّى حَبَوْا مُهْرِي بِأَشْقَرَ مُزْبِدِ

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٣٨١-٣٨٥)، البداية والنهاية (٣/ ٤٠٧-٤٠٨)، سبل الهدى والرشاد (٤/ ١٢٦-١٢٧).

وَعَلِمْتُ أَنّي إِنْ أُقَاتِلْ وَاحِدًا ... أُقْتَلْ وَلاَ يُنْكِي عَدُوِّي مَشْهَدِي
فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالْأَحِبَّةُ فِيهِمُ ... طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُفْسِدِ

قال ابن إسحاق: قالها الحارث؛ يعتذر من فراره يوم بدر وتركهِ أخاه أبا جهل بن هشام[1].

قلت: رأيت في كتاب «ألف با» للبلوي نقلًا عن الأصمعي وجماعات: أحسن ما قيل في الاعتذار عن الفرار: قول الحارث بن هشام هذه الثلاثة الأبيات. وخالفه من أئمة اللغة والأدب خلف الأحمر ومن تبعه، فقال: أحسن ما قيل في الاعتذار عن ذلك: قول هبيرة بن أبي وهب المخزومي، زوج أم هانئ بنت أبي طالب؛ حيث يقول [من الطويل]:

لَعَمْرُكَ مَا وَلَّيْتُ ظَهْرِي مُحَمَّدًا ... وَأَصْحَابَهُ جُبْنًا وَلاَ خِيفَةَ الْقَتْلِ
وَلَكِنَّنِي قَلَّبْتُ طَرْفِي فَلَمْ أَجِدْ ... لِسَيْفِي مَصَالاً إِنْ ضَرَبْتُ وَلاَ نَبْلِي
وَقَفْتُ فَلَمَّا خِفْتُ ضَيْعَةَ مَوْقِفِي ... فَرَرْتُ لِعَوْدٍ كَالهِزَبْرِ إِلَى الشِّبْلِ

ولعمري! كلتا القطعتين غايتان في المعنى المراد؛ ما لبليغ إلى أفضل منهما منتجع ولا مراد؛ إلا أن الذي يحدوني إليه فكري وذوقي؛ ويجذبني بِردني وطوقي: هو ما ذهب إليه الأصمعي؛ فهل أنت أيها الناظر معي؛ فإن معي على ذلك شهودًا معدله؛ تثبت لعبد الملك الفخر له[2].

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت- أيضا-: [من الوافر]

لَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ يَوْمَ بَدْرٍ ... غَدَاةَ الْأَسْرِ وَالْقَتْلِ الشَّدِيدِ
بِأَنَّا حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي ... حُمَاةُ الْحَرْبِ يَوْمَ أَبِي الْوَلِيدِ
قَتَلْنَا ابْنَيْ رَبِيعَةَ يَوْمَ سَارَا ... إِلَيْنَا فِي مُضَاعَفَةِ الْحَدِيدِ
وَفَرَّ بِهَا حَكِيمٌ يَوْمَ جَالَتْ ... بَنُو النَّجَّارِ تَخْطِرُ كَالْأُسُودِ
وَوَلَّتْ عِنْدَ ذَاكَ جُمُوعُ فِهْرٍ ... وَأَسْلَمَهَا الْحُوَيْرِثُ مِنْ بَعِيدِ
لَقَدْ لاَقَيْتُمُ ذُلاًّ وَقَتْلاً ... جَهِيزًا نَافِذًا تَحْتَ الْوَرِيدِ
وَكُلُّ الْقَوْمِ قَدْ وَلَّوْا جَمِيعًا ... وَلَمْ يَلْوُوا عَلَى الْحَسَبِ التَّلِيدِ[3]

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٣٨٥)، وسبل الهدى والرشاد (٤/ ١٢٧).
(٢) ينظر: سبل الهدى والرشاد (٤/ ١٢٧-١٢٨).
(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٣٨٥)، والبداية والنهاية (٣/ ٤٠٩).

وقال طالب بن أبي طالب؛ يمدح رسول الله ﷺ، ويبكي أصحاب القليب: [من الطويل]

أَلاَ إِنَّ عَيْنِي أَنْفَدَتْ دَمْعَهَا سَكْبَا ... تُبَكِّي عَلَى كَعْبٍ وَمَا إِنْ تَرَى كَعْبَا
أَلاَ إِنَّ كَعْبًا فِي الْحُرُوبِ تَخَاذَلُوا ... وَأَرْدَاهُمُ ذَا الدَّهْرُ وَاجْتَرَحُوا ذَنْبَا
وَعَامِرُ تَبْكِي لِلْمُلِمَّاتِ غُدْوَةً ... فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى لَهُمَا قُرْبَا؟!
هُمَا أَخَوَاىَ لَنْ يُعَدَّا لِغَيَّةٍ ... تُعَدُّ وَلَنْ يُسْتَامَ جَارُهُمَا غَصْبَا
فَيَا أَخَوَيْنَا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً ... فِدًى لَكُمَا لاَ تَبْعَثُوا بَيْنَنَا حَرْبَا
وَلاَ تُصْبِحُوا مِنْ بَعْدِ وُدٍّ وَأُلْفَةٍ ... أَحَادِيثَ فِيها كُلُّكُمْ يَشْتَكِي النَّكْبَا
أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ دَاحِسٍ ... وَجَيْشِ أَبِي يَكْسُومَ إِذْ مَلَئُوا الشِّعْبا
فَلَولاَ دِفَاعُ الله لا شيء غَيْرُهُ ... لَأَصْبَحْتُمُ لاَ تَمْنَعُونَ لَكُمْ سِرْبَا
فَمَا إِنْ جَنَيْنَا في قُرَيْشٍ عَظِيمةً ... سِوَى أَنْ حَمَيْنَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ التُرْبَا
أَخَا ثِقَةٍ فِي النَّائِبَاتِ مُرَزَّأً ... كَرِيمًا نَثَاهُ لاَ بَخِيلاً وَلاَ ذَرِبَا
يُطِيفُ بِهِ الْعَافُونَ يَغْشَوْنَ بَابَهُ ... يَؤُمُّونَ نَهْرًا لاَ نَزُورًا وَلاَ صَرِبَا
فَوَالله لاَ تَنْفَكُّ نَفْسِي حَزِينَةً ... تَمَلْمَلُ حَتَّى تَصْدُقُوا الْخَزْرَجَ الضَّرْبَا[(١)]

وقال ضرار بن الخطاب الفهرى؛ يرثي أبا جهل: [من الطويل]

ألا مَنْ لِعَينٍ بَاتَتِ اللَيْلَ لَمْ تَنمْ ... تُرَاقِبُ نَجْمًا فِي سَوَادٍ مِنَ الظُّلَمْ
كَأَنَّ قَذًى فِيهَا وَلَيْسَ بِهَا قَذًى ... سِوَى عَبْرَةٍ مِنْ جَائِلِ الدَّمْعِ تَنْسَجِمْ
فَبَلِّغْ قُرِيشًا أَنَّ خَيْرَ نَدِيِّهَا ... وَأَكْرَمَ مَنْ يَمْشِي بِسَاقٍ عَلَى قَدَمْ
ثَوَى يَوْمَ بَدْرٍ رَهْنَ خَوصاءَ رَهْنُهَا ... كَرِيمُ المَسَاعِي غَيْرُ وَغْدٍ وَلاَ بَرَمْ
فَآلَيْتُ لاَ تَنْهَلُّ عَيْني بِعَبْرَةٍ ... عَلَى هَالِك بَعْدَ الرَّئِيسِ أَبِى الحَكَمْ
عَلَى هَالِكٍ أَشْجَى لُؤَيَّ بْنَ غَالِبٍ ... أَتَتْهُ المَنَايَا يَوْمَ بَدْرٍ فَلَمْ يرِمْ
تَرَى كِسَرَ الخَطِّيِّ فِي نحر مُهْرِهِ ... لدَى بَائِنٍ مِنْ لحمِهِ بَيْنَهَا خِذَمْ
وَمَا كَانَ لَيْثٌ سَاكِنٌ بَطْنَ بيشَة ... لَدَى غَلَلٍ يَجْرِي بِبَطْحَاءَ في أَجَمْ
بِأَجْرَأَ مِنْهُ حِينَ تَخْتَلِفُ الْقَنَا ... وتُدْعَى نَزَالِ في الْقَمَاقِمَةِ البُهَمْ
فَلاَ تَجزَعُوا آلَ المغيرَةِ واصْبِروا ... عَلَيْهِ، وَمَنْ يَجْزَعْ عَلَيْهِ فَلَمْ يُلَمْ

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٣٩٦-٣٩٧)، والبداية والنهاية (٣/ ٤١١).

وَجِدُّوا؛ فإنَّ الْمَوْتَ مَكْرُمَةٌ لَكُمْ وَمَا بَعْدَهُ فِي آخِرِ الْعَيْشِ مِنْ نَدَمْ
وَقَدْ قُلْتُ: إنَّ الرِّيحَ طَيِّبَةٌ لَكُمْ وَعِزُّ الْمقام غَيْرَ شَكٍّ لِذِي فَهَمْ[1]

قال ابن إسحاق: وقال أمية بن أبي الصلت؛ يرثى من أصيب من قريش يوم بدر:

[من مجزوء الكامل]

أَلاَّ بَكَيْتَ عَلَى الْكِرَا م بَنِي الْكِرَام أُولِي الْمَمَادِحْ
كَبُكَا الحَمَامِ عَلَى فُرو عِ الأَيْكِ في الْغُصنِ الجَوانِحْ
يَبْكِينَ حَرَّى مُسْتَكِيـ نَاتٍ يَرُحْنَ مَعَ الرَّوَائِحْ
أَمْثَالُهُنَّ البَاكِيَا تُ المُعْولاَتُ مِنَ النَّوَائِحْ
مَنْ يَبْكِهِمْ يَبْكِي عَلَى حُزْنٍ وَيَصْدُقُ كُلُّ مَادِحْ
مَاذَا بِبَدْرٍ والْعَقَنْـ قَلِ مِنْ مَرَازِبَةٍ جَحَاجِحْ
فَمَدَافِعِ البَرْقِين فَالْـ حَنَّانِ مِنْ طَرْفِ الأَوَاشِحْ
شُمْطٍ و شُبَّانٍ بَهَا لِيلٍ مَغَاوِيرٍ وَحَاوِحْ
أَلاَّ تَرَوْنَ لِمَا أَرَى وَلَقَدْ أَبَانَ لِكُلِّ لاَمِحْ
أن قَدْ تَغَيَّرَ بَطْنُ مَكْ كَةَ فَهْيَ مُوحِشَةُ الأَبَاطِحْ
مِنْ كُلِّ بِطْرِيقٍ لِبِطْ رِيقٍ نَقِيِّ اللَّوْنِ وَاضِحْ
دُعْمُوصِ أَبْوَابِ المُلُو كِ وَجَائِبٍ لِلْخَرْقِ فَاتِحْ
مِنَ السَّرَاطِمَةِ الخلاَ جِمَةِ المَلاَوِثَةِ المنَاجِحْ
القَائِلِينَ الفَاعِلِيـ نَ الآمِرِينَ بِكُلِّ صَالِحْ
أَلْمُطْعِمِينَ الشَّحْمَ فَوْ قَ الخُبْزِ شَحْمًا كالأَنَافِحْ
نُقُلِ الجفَانِ مَعَ الجِفَا نِ إلى جِفَانٍ كالمنَاضِحْ
لَيْسَتْ بِأَصْفَارٍ لِمَنْ يَعْفُو وَلاَ رحٍّ رَحَارِحْ[2]
لِلضَّيْفِ ثُمَّ الضَّيْفِ بَعْـ دَ الضَّيْفِ والْبُسُطِ السَّلاَطِحْ[3]
وهُبِ المِئينَ مِنَ المِئيـ نَ إلَى المِئينَ مِنَ اللَّوَاقِحْ

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٣٩٧-٣٩٩)
(٢) الأصفار: الآنية. ورح رحارح: أي واسعة من غير عمق.
(٣) السلاطح: الطوال العراض.

سَوقَ المُؤبَّلِ لِلمُؤبِـ ... بَلِ صَادِرَاتٍ عَنْ بَلادِخْ[1]
لِكرامِهِمْ فَوقَ الكِرَا ... مِ مَزِيَّةً وَزْنَ الرَّوَاجِحْ
كَتَثَاقُلِ الأَرْطَالِ بِالْـ ... قِسْطَاسِ في الأَيْدِي المَوَائِخْ[2]
خَذَلَتْهُمُ فِئَةٌ وَهُمْ ... يَحْمُونَ عَوْرَاتِ الفَضَائِحْ
الضَّارِبِينَ التَّقْدِمِيـ ... يَةَ بِالمُهنَّدَةِ الصَّفَائِحْ
وَلَقَدْ عَنَانِي صَوْتُهُمْ ... مِنْ بَيْنِ مُسْتَسْقٍ وَصَائِحْ
لِلَّهِ دَرُّ بَنِي عَلِـ ... ـيٍّ أَيِّمٍ مِنْهُمْ وَنَاكِحْ
إِنْ لَمْ يُغِيرُوا غَارَةً ... شَعْوَاءَ تُجْحِرُ كُلَّ نَابِحْ
بِالمُقْرَبَاتِ المُبْعِدَا ... تِ الطَّامِحَاتِ مَعَ الطَّوَامِحْ
مُرْدًا عَلَى جُرْدٍ إِلَى ... أُسْدٍ مُكَالِبَةٍ كَوَالِحْ
وَيُلاقِ قِرْنٌ قِرْنَهُ ... مَشْيَ المُصَافِحِ لِلْمُصَافِحْ
بِزُهَاءِ أَلْفٍ ثُمَّ أَلـ ... ـفٍ بَينَ ذِي بَدَنٍ وَرَامِحْ[3]

وقال أمية بن أبي الصلت؛ يبكي زمعة بن الأسود، وقتلى بني أسدة: [من الخفيف]

عَينُ بَكِّي بِالمُسْبِلاتِ أَبَا الحَا ... رِثِ لاَ تَذْخَرِي عَلَى زَمَعَهْ
إِبْكِي عَقيلَ بْنَ أَسْوَدٍ أَسَدَ البَأْ ... سِ لِيَوْمِ الهِيَاجِ وَالدَّفَعَهْ
فَعَلَى مِثْلِ هُلْكِهِم خَوَت الجَوْ ... زَاءُ لاَ خَانَةٌ ولاَ خَدَعَهْ
وَهُمُ الأُسْرَةُ الوَسِيطَةُ مِنْ كَعْ ... بٍ وَفِيهِمْ كَذِرْوَةِ القَمَعَهْ
أَنْبَتُوا مِنْ مَعَاشِرٍ شَعَرَ الرَّأْ ... سِ وَهُمْ أَلْحَقُوهُمُ المَنعَهْ
فَبَنُو عَمِّهِمْ إِذَا حَضَرُوا البَأْ ... س عَلَيْهِمْ أَكْبَادُهُمْ وَجِعَهْ
وَهُمُ المُطْعِمُونَ إِنْ قَحَطَ القَطْ ... رُ وَحَالَتْ فَلاَ تَرَى قَزَعَهْ[4]

قال ابن إسحاق: وقال أبو أسامة معاوية بن زهير بن قيس بن الحارث بن سعد بن ضبيعة بن مازن بن عدي بن جشم بن معاوية، حليف بني مخزوم. قال ابن هشام: وكان مشركًا، وكان مر بهبيرة بن أبي رهم، وهم منهزمون يوم بدر وقد أعيي هبيرة،

---

(١) المؤبل: الإبل الكثيرة. وبلادح: اسم موضع.
(٢) الموائح: المتمايلة لثقل ما ترفعه.
(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٤٠١-٤٠٥)، والبداية والنهاية (٣/ ٤١٣-٤١٤).
(٤) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٤٠٦-٤٠٧).

فقام وألقى عنه درعه وحمله ومضى به، قال ابن هشام: وهذه أصح أشعار أهل بدر : [من الوافر]

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ القَومَ خفُّوا ... وَقَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ لِنَفْرِ
وأَنْ تُرِكَتْ سَرَاةُ القَوْمِ صَرْعَى ... كَأَنَّ خيارهم أَذْبَاحُ عِتْرِ
وَكَانَتْ جمة وَافَتْ حمامًا ... وَلُقِّينَا المنَايَا يَوْمَ بَدْرِ
نَصُدُّ عَنِ الطَّرِيقِ وأَدْرَكُونَا ... كَأَنَّ زُهَاءَهُمْ غَطيَانُ بَحْرِ
وَقَالَ القَائِلُونَ: مَنِ ابْنُ قَيْسٍ؟ ... فقُلْتُ: أَبُو أُسَامَةَ غَيْرَ فَخْرِ
أَنَا الجُشَمِيُّ كَيْمَا يَعْرِفُونى ... أُبَيِّنُ نِسْبتى نَقْرًا بِنَقْرِ
فإِنْ تَكُ فِي الغَلاَصِمِ[1] مِنْ قُرَيْشٍ ... فَإِنِّي مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ
فَأَبْلِغْ مَالِكًا لَمَّا غُشِينَا ... وَعِنْدَكَ- مالِ- إِنْ نَبَّأْتَ خُبْرِي
وأَبْلِغْ إِنْ عَرَضْتَ القَوْمَ عَنَّا ... هُبَيْرَةَ وَهْوَ ذُو عِلْمٍ وَقَدْرِ
بِأَنِّي إن دعيتُ إلى أُفَيْدِ ... كَرَرْتُ وَلَمْ يَضِقْ بِالكَرِّ صَدْري
عَشِيَّةَ لا يُكَرُّ عَلَى مُضَافِ ... وَلاَ ذِي هِمَّةٍ مِنْهُمْ وَصِهرِ
فَدُونَكُمُ بَنِي لأى[2] أَخَاكُمْ ... وَدُونَكِ مَالِكًا يَا أُمَّ عَمْرِو
فَلَوْلاَ مَشْهَدِى قَامَتْ عَلَيْهِ ... مُوقَّفَةُ القَوَائِمِ أُمُّ أَجْرِ[3]
دَفُوعٌ لِلقُبُورِ بِمَنْكِبَيْهَا ... كأَنَّ بوَجْهها تَخْمِيمَ قِدْرِ
فَأُقْسِمُ بالذِي قَدْ كان ربِّي ... وأَنْصَابِ لَدَى الجمَرَاتِ مُغْرِ
لَسَوفَ تَرَوْنَ مَا حَسَبِي إِذَا مَا ... تَبَدَّلَتِ الجلودُ جُلُودَ نَمْرِ
فَمَا إِنْ خَادِرٌ مِنْ أُسْد تَرج ... مُدِلٌّ عَنبسٌ في الغيل مجرى[4]
فَقَدْ أَحْمَى الأَبَاءة من كُلافٍ[5] ... فَمَا يَدْنُو لَهُ أَحَدٌ بنفرِ
بِخلٍّ تعجز الحُلَفَاء عَنْهُ ... يَوَاثِبُ كُلَّ هجهَجَةٍ[6] وَزَجْرِ

---

(١) الغلاصم: الأعالي.
(٢) بنى لأى: هم بنى لؤي.
(٣) أجر: جمع جرو؛ وهو ولد الكلب .
(٤) الخادر: الأسد في خدره. وترج: جبل بالحجاز. والعنبس: العابس الوجه. والغيل: الشجر الملتف والمجرى: ذو جراء، أي؛ ذو أشبال.
(٥) الأباءة: أجمة الأسد. وكلاف: وادٍ من أعمال المدينة. مراصد الاطلاع (٣/ ١١٧٤).
(٦) الخلّ: الطريق في الرمل. والهجهجة: زجر الأسد بأن يقال له: هج هج.

بِـأَوْشَـكَ سَـوْرَةً مِـنِّـي إِذَا مَـا حَـبَـوْتُ لَـهُ بِـقَـرْقَـرَةٍ وَهَـدْرِ[١]
بـبـيـض كـالأَسِـنَّـة مُـرْهَـفَـاتٍ كَأَنَّ ظُبَاتِهِنَّ[٢] جحيمُ جَمْرِ
وأكلف[٣] مجنإ من جِلْدِ ثَوْرٍ وَصَـفْـراءِ الـبُـرَايَـةِ ذَاتِ أَزْرِ
وأَبْيَضَ كـالـغَـدِيرِ ثَـوَى عَـلَـيْـهِ عُمَيْرٌ بالمداوِسِ نصْف شَهْرِ
أُرَفِّـلُ فـى حَـمَـائِـلِـهِ وأمـشـي كَمِشْيَةِ خَادِرٍ لَيْثٍ سِبَطْرِ[٤]
يَقُولُ لِيَ الفَتَى سَعْدٌ هَدِيًّا فَقُلْتُ: لعله تقريب غدر
وَقُلْتُ: أَبَا عَدِيٍّ لاَ تَطُرْهُمْ وَذَلِكَ إِنْ أَطَعْتَ الْيَوْمَ أَمْرِي
كَـدَأْبِـهِـمُ بِـفَـرْوَةَ إِذْ أَتَـاهُـمْ فَظَلَّ يُقَادُ مَكْتوفًا بضفرِ[٥]

وقالت هند بنت عتبة بن ربيعة، ترثي أباها يوم بدر: [من المتقارب]

أَعَـيْـنَـيَّ جُـودَا بِـدَمْـعٍ سَـرِبْ عَلَى خَيْرِ خِنْدِفَ[٦] لَمْ يَنْقَلِبْ
تَـدَاعَـى لَـهُ رَهْـطُـهُ غُـدْوَةً بَـنُـو هَـاشِـمٍ وَبَـنُـو الـمُـطَّـلِـبْ
يُـذِيـقُـونَـهُ حَـدَّ أَسْـيَـافِـهِـمْ يَعُلُّونَهُ بَعْدَ ما قَدْ عَطِبْ
يَـجُـرُّونَـهُ وَعَـفِـيـرُ الـتُّـرَابِ عَلَي وَجْهِهِ عَارِيًا قَدْ سُلِبْ
وَكَـانَ لَـنَـا جَـبَـلاً رَاسِـيًـا جَمِيلَ المَرَاةِ كَثِيرَ العُشُبْ
فَـأَمَّـا بُـرِيٌّ فَـلَـمْ أُعْـنِـه فَأوتِيَ مِنْ خَيْرِ مَا يَحْتَسِبْ[٧]

وقالت هند- أيضًا-: [من الطويل]

يَرِيبُ عَلَيْنَا دَهْرُنَا فَيَسُوءُنَا وَيَأْبَى فَمَا نَأْتِي بِشيء يغالبهْ
أَبَعْدَ قَتِيلٍ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ يُرَاعُ امْرُؤٌ إِنْ مَاتَ أَوْ مَاتَ صَاحِبُهْ؟!

---

(١) السورة: الحِدة. والقرقرة والهدر: من أصوات فحول الإبل.
(٢) الظباة: جمع ظبة، وهي حد السيف والسنان والخنجر، وما أشبهها. الوسيط (٢/ ٥٨١).
(٣) الأكلف: الترس. والمجنأ: الترس لا حديد فيه
(٤) السبطر: الطويل. والأسد السبطر: الذي يمتد عند الوثبة. الوسيط (سبطر) (١/ ٤١٥).
(٥) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٤٠٨-٤١٢).
(٦) خندف: نسب إلى قبيلة، يقال: إنه اسم امرأة إلياس بن مضر بن نزار، واسمها: ليلى، وإليها ينسب كل ولد إلياس، وهي أمهم. وسميت بذلك؛ لأنها خندفت (أسرعت) في أثر زوجها، فقال لها: أنت خندف، فذهب لها اسمًا ولولدها نسبا، وسميت بها القبيلة. ينظر: اللسان (خندف).
(٧) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٤١٤-٤١٥).

أَلاَ رُبَّ يَوْم قَدْ رزِئتُ مُرزَّأً تَرُوح وتَغْدُو بِالجزيلِ مَوَاهِبُهْ
فَأَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنى مَأْلُكَا فَإنْ أَلقهُ يومًا فَسَوف أُعَاتبُهْ
فَقَدْ كَانَ حَرْبٌ يَسْعَرُ الحَرْبَ(١)؛ إنَّهُ لِكُلِّ امْرِئٍ في النَّاس مَوْلى يُطَالِبُهْ

قال ابن إسحاق: وقالت- أيضًا-: [من مجزوء الكامل]

لِله عَيْنَا مَنْ رَأى هُلْكًا كَهُلْكِ رِجَالِيَهْ
يَا رُبَّ بَاكٍ لِي غَدًا في النَّائِبَاتِ وَبَاكِيَهْ
كَمْ غَادَرُوا يَومَ الْقَلِيـ ـبِ غَدَاةَ تلك الوَاعِيَهْ
مِنْ كُلِّ غَيْثٍ فِي السِّنِيـ ـنَ إذَا الْكَوَاكِبُ خَاوِيَهْ
قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ مَا أَرَى فَاليومَ حقٌّ حِذَارِيَهْ
قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ مَا أَرَى فَأَنَا الغَدَاةَ مُوَامِيَهْ
بَل رُبَّ قَائِلَةٍ غَدًا: يَا وَيْحَ أُمِّ مُعَاوِيَهْ(٢)

وقالت أيضًا: [من الرجز]

يَا عَيْنُ بَكي عُتبَهْ شَيْخًا شَدِيد الرَّقَبَهْ
يُطعِمُ يومَ المسْغَبَهْ يَدْفعُ يومَ المغلبَهْ
إِني عليه حَرِبَهْ مَلْهُوفَةٌ مستلبَهْ
لَنهبطنَّ يثربَهْ بغارة منشعبَهْ
فيها الخيول مقربَهْ كل جواد سلهبَهْ(٣)

وقالت صفية بنت مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس؛ تبكي أهل القليب الذين أصيبوا يوم بدر من قريش-: [من البسيط]

يَا مَنْ لِعين قَذَاهَا عَائِرُ الرَّمَدِ حَدَّ النَّهَارِ وَقرنُ الشَّمْسِ لَمْ يَقد
أُخْبِرْتُ أَنَّ سَرَاةَ الأكْرَمِينَ مَعًا قَدْ أَحْرَزَتْهُمْ مَنَايَاهُمْ إِلَى أَمَدِ
وَفَرَّ بالقَوْم أَصْحَابُ الرِّكَابِ وَلَمْ تَعْطِفْ غَدَاتَئِذٍ أُمٌّ عَلَى وَلَدِ
قومي صَفِيٌّ وَلاَ تَنْسَىٰ قَرَابَتَهُمْ وَإِنْ بَكَيْتِ فَمَا تَبْكِينَ مِنْ بُعُدِ

---

(١) «حرب» الأول هو والد أبى سفيان. سعر الحرب يسعرها: هيجها، وأثارها. الوسيط (سعر).
(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٤١٦).
(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٣٨٤).

كَانُوا سُقُوبَ سَمَاءِ البيت فَانقصفتْ ... فَأَصْبَحَ السقف[1] مِنْهَا غَيْرَ ذِي عُمُدِ

وقالت صفية- أيضًا-: [من الهزج]

أَلاَ يَا مَنْ لعينٍ لِلتْـ ... تَـبـكِّـي دَمْـعـهـا فـانْ

كَـغَـرْبَـيْ دالِجٍ يَسْـقِـي ... خِـلالَ الـغَـيْـثِ الـدَّانْ

وَمَا لَـيْـثُ غَـرِيفٍ ذُو ... أَظَـافِـيـرَ وَأَسْـنَـان

أَبُـو شِـبْـلَـيـن وَثَّـابٌ ... شَديد البَطْش غرثانْ[2]

كَـحِـبِّـى إِذْ تَـوَلَّـى وَ ... وُجُـوهُ الـقَـوْمِ أَلْـوَانْ

وَبِـالـكَـفِّ حُـسَـامٌ صَـا ... رِمٌ أَبْـيَـضُ ذُكْـرَانْ

وَأَنْـتَ الـطَّـاعِـنُ الـنَّـجْـلاَ ... ءَ مِـنْـهَـا مُـزْبِـدٌ آنْ[3]

قال ابن إسحاق: وقالت هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب، ترثي عبيدة بن الحارث بن المطلب: [من الطويل]

لَقَدْ ضُمِّنَ الصَّفراء[4] مجْدًا وَسُؤدَدًا ... وَحِلْمًا أصيلاً وَافِرَ اللُّبِّ وَالعقلِ

عُبيدةَ فابْكِيهِ لأَضيافِ غُرْبَةٍ ... وَأرملةٍ تهْوي لأشعثَ كالجذلِ

وَبكِّيه للأَقوام فِي كُلِّ شَتْوَةٍ ... إِذَا احْمَرَّ آفاقُ السَّمَاءِ مِنَ المحلِ

وَبكِّيه للأَيْتَام، وَالرِّيحُ زفزفٌ ... وَتَشْبِيبِ قدْرٍ طالما أزبَدَتْ تَغْلِي[5]

فَإِنْ تُصبح النيرانُ قد مَاتَ ضَوْءُهَا ... فقد كانَ يذكيهنَّ بِالحطَبِ الجَزْلِ

لِطَارِقِ ليْلٍ أَوْ لمُلتَمِس القرى ... وَمُستنبحٍ أَضحى لديه على رسلِ[6]

وقالت قتيلة بنت الحارث، أخت النضر بن الحارث: [من الكامل]

يـا راكـبـا إن الأثـيـل مـظـنـةٌ ... مِنْ صبح خامسةٍ وأنت موفقُ

أَبْـلـغ بـهـا مـيـتًـا بـأَنَّ تـحـيَّـةً ... مَا إنْ تَزَالُ بِهَا النَّجَائِبُ تخفقُ

مِنّي إِلَـيْكَ وَعَبرة مسفوحةً ... جَادَتْ بوَاكِفِها وأُخرَى تخنُقُ

---

(١) في السيرة: السَّمْك.

(٢) غرثان: جوعان.

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٤١٧، ٤١٨).

(٤) الصفراء: اسم موضع.

(٥) في السيرة: والريح زفرة، وهي الشديدة. والزفزف: السريعة. والتشبيب: إيقاد النار تحت القدر. وفى ط: تشتيت. وأزبدت: رمت بالزبد وهو الرغوة.

(٦) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٤١٨-٤١٩).

هل يسمعنّي النَّضرُ إنْ نَادَيْتُهُ أَمْ كَيْفَ يسمعُ ميِّت لا ينطق؟!
أَمُحَمَّدٌ يَا خَيْرَ ضنء كَرِيمَةٍ فِي قومها، والفحل فحل مُعْرِقُ
مَا كَانَ ضرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا مَنَّ الفتى، وهُوَ المغيظُ المحنقُ
أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ فَلَيُنْفَقَنْ بِأَعَزِّ مَا يغلو بِهِ ما يُنفقُ
فالنَّضرُ أقرب مَنْ أَسرْتَ قَرَابَةً وَأَحقُّهُمْ إنْ كان عِتْق يعتقُ
ظَلَّتْ سُيُوفُ بني أَبِيهِ تنوشُهُ لِلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تُشَقَّقُ
صَبْرًا يُقَادُ إلى المنيَّةِ مُتْعبًا رَسْفَ المُقيَّدِ وهو عَانٍ مُوثَقُ

قال ابن هشام: فيقال- والله أعلم-: إن رسول الله ﷺ لما بلغه هذا الشعر، قال: «لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه»(١).

قال ابن إسحاق: وكان فراغ رسول الله ﷺ من بدر عقب شهر رمضان، فلما قدم المدينة لم يقم بها إلا سبع ليال، حتى غزا بنفسه يريد بني سُليم(٢).

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري أو ابن أم مكتوم(٣).

قال ابن إسحاق فبلغ ماء من مياههم، يقال له: الكدر، فأقام عليه ثلاث ليال، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدًا، فأقام بها شوال وذا القعدة، وأفدى في إقامته تلك جل الأسارى من قريش (٤).

* * *

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٤١٩-٤٢١)، وسبل الهدى والرشاد (٤/ ٨٧) ونقل الصالحي عن أبي عمر قوله: ليس معنى هذا الندم لأنه ﷺ لا يقول ولا يفعل إلا حقا ولكن معناه لو شفعت عندي بهذا القول لقبلت شفاعتها.

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٤٢١) المغازي للواقدي (١/ ١٨٢) تاريخ الطبري (٢/ ٤٨٢-٤٨٣)، الكامل في التاريخ (٢/ ١٣٩)، الروض الأنف (٣/ ١٤٢)، البداية والنهاية (٣/ ٤١٥)، عيون التواريخ (١/ ١٤٢)، البدء والتاريخ (٤/ ١٩٦)، تاريخ الإسلام (١٣٧- المغازي)، سبل الهدى والرشاد (٤/ ١٧٢).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٤٢١).

(٤) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٤٢١-٤٢٢) والدرر (١٤٥)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٨٢-٤٨٣)، ودلائل النبوة (٣/ ١٦٣)، والبداية والنهاية (٣/ ٤١٥).

أمر بني قينقاع[(١)]

قينقاع- بضم النون في الأشهر، ويجوز فتحها وكسرها-: بطن من اليهود لهم شجاعة وصبر.

خرج ﷺ يوم السبت نصف شوال، على رأس عشرين شهرًا من الهجرة، حاصرهم خمس عشرة ليلة، فقذف الله في قلوبهم الرعب؛ فنزلوا على حكمه ﷺ، وعلى أن له أموالهم، ولهم النساء والذرية، فلحقوا بـ «أذرعات». وأخذ من حصنهم سلاحًا كثيرًا.

وقد كانت الكفار- بعد الهجرة- مع النبي ﷺ على ثلاثة أقسام:

قسم: وادعهم- عليه السلام- على ألا يحاربوه ولا يؤلبوا عليه عدوًا، وهم طوائف اليهود الثلاث: قريظة، والنضير، وبنو قينقاع.

وقسم: حاربوه ونصبوا له العداوة؛ كقريش.

وقسم: تركوه وانتظروا ما يئول إليه أمره؛ كطوائف من العرب: فمنهم من كان يحب ظهوره في الباطن كخزاعة، وبالعكس كبني بكر، ومنهم من كان معه ظاهرًا ومع عدوه باطنًا، وهم المنافقون.

وكان أولَ من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع، فحاربهم- عليه الصلاة والسلام- فى شوال بعد وقعة بدر.

قال الواقدى: بشهر[(٢)]، وأغرب الحاكم؛ فزعم أن إجلاء بنى قينقاع وبنى النضير، كان فى زمن واحد، ولم يوافَقْ على ذلك؛ لأن إجلاء بنى النضير كان بعد بدر بستة أشهر- على قول عروة- أو بعد ذلك بمدة طويلة؛ على قول ابن إسحاق[(٣)].

وكان من أمر بنى قينقاع: أن امرأة من العرب جلست إلى صائغ يهودى، فراودها

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٤٢٦)، المغازي للواقدي (١/ ١٧٦-١٨٠) تاريخ الطبري (٢/ ٤٧٩-٤٨١) البدء والتاريخ (٤/ ١٩٥-١٩٦)، الكامل في التاريخ (٢/ ١٣٧-١٣٩)، نهاية الأرب (١٧/ ٦٧-٧٠) الروض الأنف (٣/ ١٤٣)، عيون التواريخ (١/ ١٤٠-١٤١)، البداية والنهاية (٤/ ٤)، تاريخ الإسلام (١٤٥-المغازي).

(٢) ينظر: المغازي (١/ ١٧٦)، وتاريخ الإسلام (١٤٥-المغازي).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٤٢٦).

على كشف وجهها فأبت؛ فعمد إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءَتها فضحكوا منها؛ فصاحت؛ فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله؛ فشدت اليهود على المسلم فقتلوه؛ ووقع الشر بين المسلمين وبين بنى قينقاع، فسار إليهم النبى ﷺ بعد أن استخلف أبا لبابة بن عبد المنذر، فحاصرهم أشد الحصار خمس عشرة ليلة إلى هلال ذى القعدة، وكان اللواءُ بيد حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، فقذف الله فى قلوبهم الرعب، ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ على أن له أموالهم، ولهم النساء والذرية؛ فأمر- عليه الصلاة والسلام- المنذر بن قدامة بتكتيفهم، وكلم عبدُ الله بن أبى ابن سلول رسول الله ﷺ فيهم، وألح عليه من أجلهم؛ فأمر- عليه الصلاة والسلام- أن يجلوا وتركهم من القتل، وأمر بأن يجلوا من «المدينة» فلحقوا بـ«أذرعات»، فما كان أقل بقاءَهم فيها!. وأخذ من حصنهم سلاحا وآلة كثيرة.

وكانت بنو قينقاع حلفاءَ لعبد الله ابن سلول وعبادة بن الصامت، فتبرأ عبادة بن الصامت من حلفهم، فقال: «يا رسول الله، أتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وأتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف الكفار ولايتهم، ففيهم وفى عبد الله أنزل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ... ﴾ إلى قوله: ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[1] [المائدة: ٥١-٥٦].

ثم غزوة السويق: سميت بذلك؛ لأنه كان أكثرَ زاد المشركين، وتسمى أيضا: «غزوة الكُدْر» بضم الكاف وسكون الدال المهملة؛ اسمٌ لماء هناك.

وهم مائتا راكب فيهم أبو سفيان، خرج ﷺ لهم يوم الأحد، خامس ذى الحجة، على رأس اثنين وعشرين شهرا من الهجرة [2].

وقال ابن إسحاق: فى صفر فى مائتى رجل من المهاجرين والأنصار، وقيل: فى ثمانين راكبا.

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري (٢/ ٤٨٠)، والسيرة النبوية (٢/ ٤٢٧-٤٢٩)، والدلائل (٣/ ١٧٤)، والبداية والنهاية (٤/ ٥).

(٢) ينظر المغازي (١/ ١٨١-١٨٢)، تاريخ الطبري (٢/ ٤٨٣-٤٨٥)، دلائل النبوة (٢/ ٤٣٣)، الكامل في التاريخ (٢/ ١٣٩-١٤٠)، نهاية الأرب (١٧/ ٧٠-٧١)، عيون التواريخ (١/ ١٤٢-١٤٣)، المغازي لعروة (١٦١)، الدرر (١٤٧)، البدء والتاريخ (٤/ ١٩٦)، البداية والنهاية (٣/ ٤١٥-٤١٦)، تاريخ الإسلام (١٣٨-المغازي).

وكان سبب هذه الغزوة: أن أبا سفيان حين رجع بالعير من بدر إلى مكة، نذر ألا يمس النساء والدهن، حتى يغزو محمدًا- عليه الصلاة والسلام- فخرج فى مائتى راكب من قريش؛ ليبرّ يمينه، حتى أتوا «العريض» ناحية من «المدينة» على ثلاثة أميال، فحرقوا نخلا وقتلوا رجلا من الأنصار، فرأى أبو سفيان أن قد انحلتْ يمينه، فانصرف بقومه راجعين، وخرج- عليه الصلاة والسلام- فى طلبهم فى مائتين من المهاجرين والأنصار، وجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون جرب السويق- وهى عامة أزوادهم- يتخففون للهرب؛ فيأخذها المسلمون، فلم يلحقهم- عليه الصلاة والسلام- فرجع إلى «المدينة»، وكانت غيبته خمسة أيام (١).

وفى ذى الحجة صلى رسول الله ﷺ العيد، وأمر بالأضحية (٢).

وفيه مات عثمان بن مظعون (٣).

وفى هذه السنة تزوج على بفاطمة، رضى الله عنهما (٤).

حوادث السنة الثالثة

فيها غزوة غَطَفان، وهى «غزوة ذى أمر» بفتح الهمزة والميم (٥)، وسماها الحاكم: غزوة أنمار، وهى بناحية نجد، وكانت لثنتى عشرة مضت من ربيع الأول، على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة.

وسببها: أن جمعا من ثعلبة ومحارب، تجمعوا يريدون الإغارة، جمعهم دعثور ابن الحارث المحاربى- وسماه الخطيب: غورث، وغيره غورك- وكان شجاعا؛ فندب ﷺ المسلمين، وخرج فى أربعمائة وخمسين فارسا، واستخلف على المدينة

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٤٢٢-٤٢٤)، وتاريخ الإسلام (١٤٠-المغازي).
(٢) ينظر: تاريخ الطبري (٢/ ٤١٨)، والمنتظم (٣/ ٩٦).
(٣) قال الطبري في تاريخه (٢/ ٤٨٥) ومات في هذه السنة أعني اثنتين من الهجرة في ذي الحجة عثمان بن مظعون فدفنه رسول الله ﷺ بالبقيع وجعل عند رأسه حجرًا علامة لقبره.
(٤) ينظر: تاريخ خليفة (٦٥)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٨٥-٤٨٦)، وتاريخ الإسلام (١٤١-المغازي).
(٥) ينظر السيرة النبوية (٢/ ٤٢٥)، المغازي للواقدي (١/ ١٩٣-١٩٦)، تاريخ خليفة (٦٥)، تاريخ الطبري (٢/ ٤٨٧)، الطبقات الكبرى (٢/ ٣٤-٣٥)، نهاية الأرب (١٧/ ٧٧-٧٩)، الدرر (١٤٨)، الدلائل (٣/ ١٦٧)، عيون التواريخ (١/ ١٤٧-١٤٨) البدء والتاريخ (٤/ ١٩٧-١٩٨)، المنتظم (٣/ ١٥٧)، البداية والنهاية (٤/ ٣-٤)، تاريخ الإسلام (١٤٣-المغازي)، سبل الهدى والرشاد (٤/ ١٧٦).

عثمان بن عفان فلما سمعوا بمهبطه ﷺ هربوا فى رءوس الجبال، فأصابوا رجلاً منهم من بنى ثَعْلَبة، فأُدخل على رسول الله ﷺ، فدعاه إلى الإسلام وضمه إلى بلال.

وأصاب النبيَّ ﷺ مطرٌ؛ فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة؛ ليجفَّا، واضطجع تحتها وهم ينظرون، فقالوا لدعثور: قد انفرد محمد فعليك به، فأقبل ومعه سيف، حتى قام على رأسه ﷺ فقال: من يمنعك منى اليوم؟ فقال ﷺ: «الله». فدفع جبريل فى صدره فوقع السيف من يده، فأخذه النبى ﷺ فقال: «من يمنعك منى؟» قال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. ثم أتى قومه فدعاهم إلى الإسلام، وأنزل الله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ... ﴾ [المائدة: ١١] الآية [١].

ويقال: كان ذلك فى ذات الرقاع، ثم رجع ﷺ ولم يلق كيدا، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة.

وفيها غزوة نجران، وتسمى: «غزوة بنى سُليم»[٢] من ناحية الفرَع: بفتح الفاء والراء؛ كما قيده السهيلى [٣]، وقال فى «القاموس» [٤]: ونجران وتضم: موضع بناحية الفرع، كما رأيته بخطه، بضم الفاء لا غير.

وسببها: أنه بلغه- عليه الصلاة والسلام- أن بها جمعا كثيرا من بنى سُليم، فخرج فى ثلاثمائة رجل من أصحابه، فوجدوهم قد تفرقوا فى مياههم، فرجعوا ولم يلق كيدا، وكان قد استعمل على المدينة ابن أم مكتوم؛ كما قاله ابن هشام، وكانت غيبته عشر ليال [٥].

وفيها سرية زيد بن حارثة إلى القَرْدة بفتح القاف وسكون الراء؛ كما ضبطه ابن الفرات، اسم ماءٍ من مياه نجد [٦].

---

(١) سيأتي الكلام على هذه القصة في موضعه عند الكلام على غزوة ذات الرقاع.
(٢) ينظر: المغازي (١/ ١٩٦)، تاريخ الطبري (٢/ ٤٨٧).
(٣) ينظر: الروض الأنف (٣/ ١٤٢-١٤٣).
(٤) ينظر: ترتيب القاموس (نجر).
(٥) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٤٢٥-٤٢٦)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٨٧)، الدرر (١٤٩)، والدلائل (٣/ ٦٧)، والبداية والنهاية (٤/ ٤).
(٦) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٤٢٩-٤٣٠)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٩٢-٤٩٣)، والطبقات الكبرى (٢/ ٢٧)، والمغازي (١/ ١٩٧-١٩٨)، دلائل النبوة (٣/ ١٧٠-١٧١)، تاريخ الإسلام (١٥٤-المغازي) البداية والنهاية (٤/ ٥-٦).

وسببها- كما قال ابن إسحاق-: أن قريشا خافوا من طرقهم التى يسلكون منها إلى الشام، حين كان من وقعة بدر ما كان؛ فسلكوا طريق العراق، فخرج معهم تجار منهم أبو سفيان بن حرب، ومعهم فضة كثيرة [١].

وعند ابن سعد بعثه ﷺ لهلال جمادى الآخرة على رأس ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة، فى مائة راكب؛ يعترض عيرا لقريش فيها صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى، ومعهم مال كثير وآنية، فأصابوها وقدموا بالعير على رسول الله ﷺ، وخمسها، فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم [٢]. وعند مغلطاى: خمسة وعشرين ألف درهم، وذكرها ابن إسحاق قبل قتل ابن الأشرف.

ومن حوادثها: سرية محمد بن مَسْلمة وأربعة معه إلى كعب بن الأشرف اليهودى، لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة [٣].

روى أبو داود والترمذى، من طريق الزهرى، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه، أن كعب بن الأشرف كان شاعرا يهجو رسول الله ﷺ بالشعر، فلما أَبَى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذاه، أمر رسول الله ﷺ سعدَ بن معاذ أن يبعث رهطا ليقتلوه. وفى رواية قال- عليه الصلاة والسلام-: «من لنا بابن الأشرف؟» (وفى أخرى: «من لكعب بن الأشرف؟» أى: من ينتدب لقتله)؛ فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا، وقد خرج إلى قريش، وجمعهم إلى قتالنا، وقد أخبرنى الله بذلك». ثم قرأ على المسلمين: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾[٤] [النساء: ٥١، ٥٢] وفى «الإكليل»: فقد آذانا بشعره وقوى المشركين.

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٤٢٩-٤٣٠)، البداية والنهاية (٤/ ٥-٦).

(٢) ينظر: الطبقات الكبرى (٢/ ٢٧-٢٨).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٤٣٠-٤٣٧)، المغازي للواقدي (١/ ١٨٤)، المغازي لعروة (١٦٢-١٦٣)، الطبقات الكبرى (٢/ ٣١-٣٤)، تاريخ الطبري (٢/ ٤٨٩-٤٩٠)، البدء والتاريخ (٤/ ١٩٧)، الكامل في التاريخ (٢/ ١٤٣-١٤٤)، الدلائل (٣/ ١٨٧-١٩٠)، البداية والنهاية (٤/ ٦-٨)، تاريخ الإسلام (١٥٧-المغازي).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٠٠٠) من طريق الزهري به والحديث لم يخرجه الترمذي كما زعم المصنف. ينظر: تحفة الأشراف (١١١٥٢) والحديث في الصحيحين عند البخاري (٣٠٣١)، ومسلم (١١٩/ ١٨٠١)، من حديث جابر.

وفى رواية ابن إسحاق: فقال محمد بن مسلمة أخو بنى عبد الأشهل: أنا له يا رسول الله، أنا أقتله، قال: فافعل إن قدرت على ذلك، قال: يا رسول الله، إنه لا بدَّ لنا أن نقول، قال: قولوا ما بدا لكم، فأنتم فى حل من ذلك، فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة، وأبو نائلة- بنون وبعد الألفِ تحتانية- سلكان بن سلامة، وكان أخا كعب من الرضاعة، وعبادة بن بشر، والحارث بن أوس بن معاذ، وأبو عبس بن جبر، وهؤلاء الخمسة من الأوس [١].

وفى رواية ابن سعد: فلما قتلوه وبلغوا بقيع الغرقد كَبَّروا، وقد قام عليه السلام تلك الليلة يصلِّى، فلما سمع تكبيرهم، كبر وعرف أنهم قد قتلوه، ثم انتهوا إليه فقال: أفلحت الوجوه، قالوا: وجهك يا رسول الله، ورموا برأسه بين يديه، فحمد الله على قتله [٢].

وفي كتاب «شرف المصطفى»: إن الذين قتلوا كعبًا حملوا رأسه فى مخلاة إلى المدينة، فقيل: إنه أول رأس حمل فى الإسلام [٣].

وأصاب ذباب السيف الحارث بن أوس، فجرح ونزفه الدم، فتفل عليه الصلاة والسلام على جرحه، فلم يؤذه بعد [٤].

وفيها غزوة أحد يوم السبت تاسع شوال [٥]، حين جمعت قريش لقتاله ثلاثة

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٤٣٦-٤٣٧)، ودلائل النبوة (٣/ ١٩٩)؛ والبداية والنهاية (٤/ ٨).

(٢) ينظر الطبقات الكبرى (٢/ ٢٤-٢٦).

(٣) ينظر تاريخ الطبري (٢/ ٤٩١).

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٦)، والحاكم (٢/ ٩٨)، وإسحاق بن راهويه في مسنده كما في المطالب العالية رقم (٤٣١١)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٢١)، رقم (١١٥٥٤)، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٩٦): وفيه ابن إسحاق وهو مدلس وبقية رجاله رجال الصحيح. قلت: وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث وهو في السيرة (٢/ ٤٣٨-٤٣٩) حدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس، به.

(٥) ينظر: المغازي لعروة(١٦٨-١٧٣)، وللواقدي (١/ ١٩٩-٣٠٠)، الطبقات الكبرى (٢/ ٢٨-٣٧)، تاريخ خليفة (٦٧-٦٨)، تاريخ الطبري (٢/ ٤٩٩-٥٣٣)، المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٥٧-٢٥٨)، الدرر في اختصار المغازي والسير (١٥٣)، جوامع السيرة (١٥١٦)، الكامل في التاريخ (٢/ ١٤٨- ١٦٣)، نهاية الأرب (١٧/ ٨١-١٢٥)، البدء والتاريخ (٤/ ١٩٨-٢٠٨)، عيون التواريخ (١/ ١٥٣-١٦٧) الروض الأنف (٣/ ١٥٨-١٨٠)، المنتظم (٣/ ١٦١-١٧٢)، البداية والنهاية (٤/ ١١-٥٥)، تاريخ الإسلام (١٦٥-المغازي)، سبل الهدى والرشاد (٤/ ١٨٢- ٢٣١).

آلاف، فيهم سبعمائة دارع، ومائتا فارس، وثلاثة آلاف بعير، وخمس عشرة امرأة، والمسلمون ألف رجل، وقال ﷺ لِلرُّماة: لا تتغيروا، فلما تغيروا انهزموا، وقتل من المسلمين سبعون، ومنهم حمزة، وشج جبينه ﷺ، وكسرت رَبَاعيته، ودخل فى وجنته حلقتان من المغفر، وشقت شفته، وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون، وثبت ﷺ ومعه أربعة عشَرَ رجلًا، ونصره الله عليهم، فرجع من يومه آخر النهار (١).

وكان سببها؛ كما ذكره ابن إسحاق، عن شيوخه، وموسى بن عقبة، عن ابن شهاب، وأبو الأسود، عن عروة وابن سعد، قالوا: ومن قال منهم ما حاصله: إن قريشًا لما رجعوا من بدر إلى مكة، وقد أصيب أصحاب القليب، ورجع أبو سفيان بِعيره، قال عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وجماعة ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم وأبناؤهم يوم بدر: يا معشر قريش، إن محمدًا قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه- يعنون عير أبي سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة- لعلنا أن ندرك منه ثأرًا، فأجابوه لذلك، فباعوها، وكانت ألف بعير، والمال خمسين ألف دينار، وفيهم- كما قال ابن إسحاق وغيره- أنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ ﴾ [الأنفال:٣٦].

واجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ، وكتب العباس بن عبد المطلب كتابًا يخبر رسول الله ﷺ بخبرهم، وسار بهم أبو سفيان حتى نزل بهم ببطن الوادى من قبل أحد مقابل المدينة، وكان رجال من المسلمين أسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر، وأرى ﷺ ليلة الجمعة رؤيا، فلما أصبح قال: والله، لقد رأيت خيرًا، رأيت بقرًا تذبحُ، ورأيت فى ذباب سيفى ثلمًا، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة، فأما البقر: فناس من أصحابى يقتلون، وأما الثلم الذى رأيت في سيفى: فهو رجل من أهل بيتى يقتل (٢).

وقال ابن عقبة: ويقول رجال: كان الذي بسيفه ما قد أصاب وجهه؛ فإن العدو

(١) ينظر هذا الإجمال في المصادر السابق ذكرها.
(٢) قوله: رأيت بقرة تذبح أصله في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري أخرجه البخاري (٤٠٨٠)، ومسلم (٢٢٧٢)، وابن ماجه (٣٩٢١)، والبغوي في شرح السنة (٦/ ٣٢٢)، من حديث أبي موسى.

أصابوا وجهه الشريف يومئذ، وكسروا رَباعيته، وجرحوا شفته (١).

وفى رواية قال- عليه الصلاة والسلام-: «وأولت الدرع الحصينة بالمدينة، فامكثوا فإن دخل القوم الأزقة قاتلناهم، ورُمُوا من فوق البيوت» فقال أولئك القوم: يا رسول الله، كنا نتمنى هذا اليوم، اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم، فصلى عليه الصلاة والسلام بالناس الجمعة، ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد، وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم، ففرح الناس بذلك، ثم صلى بالناس العصر، وقد حشدوا، وحضر أهل العوالى، ثم دخل- عليه الصلاة والسلام- بيته ومعه صاحباه أبو بكر وعمر- فعمماه وألبساه، وصف الناس ينتظرون خروجه- عليه الصلاة والسلام- فقال لهم سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير: استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج، فردوا الأمر إليه، فخرج رسول الله ﷺ وقد لبس لأمته- وهى بالهمز، وقد يترك تخفيفًا، الدرع- وتقلد سيفه، فندموا جميعًا على ما صنعوا، فقالوا: ما كان لنا أن نخالفك فاصنَعْ ما شئت، فقال: ما ينبغى لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه (٢).

وفي حديث ابن عباس عند أحمد والنسائي والطبراني وصححه الحاكم نحو حديث ابن إسحاق، وفيه إشارة النبي ﷺ ألاَّ يبرحوا من المدينة، وإيثارهم بالخروج لطلب الشهادة، ولبسه اللأمة وندامتهم على ذلك، وقوله ﷺ: «لا ينبغى لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل»، وفيه: «إني رأيت أنى في درع حصينة. . .» الحديث (٣).

وعقد- عليه الصلاة والسلام- ثلاثة ألوية؛ لواء للأوس بيد أسيد بن الحضير، ولواء للمهاجرين بيد على بن أبى طالب، وقيل: بيد مصعب بن عمير، ولواء للخزرج بيد الحباب بن المنذر، وقيل: بيد سعد بن عبادة، وفي المسلمين مائة

(١) ينظر: دلائل النبوة (٣/ ٢٠٤)، رواية موسى بن عقبة، والبداية والنهاية (٤/ ١٤-١٥).
(٢) ينظر: السيرة النبوية (٣/ ٧-٨).
(٣) أخرجه من طريق ابن عباس الحاكم (٢/ ١٢٩)، (٣/ ٣٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٣٠٤)، (٧/ ٤١)، ومن طريق جابر أخرجه أحمد (٣/ ٣٥١)، والدارمي (٢/ ١٧٣)، وعلقه البخاري (١٥/ ٢٨٣-الفتح) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، عند رقم (٧٣٦٩). وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ١٣)، والحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير (٣/ ٢٧٣)، رقم (١٥٤٨)، واللأمة: الدرع.

دارع، وخرج السعدان أمامه يعدوان، سعد بن معاذ وسعد بن عبادة دارعين، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مَسلمة، وأدلج- عليه الصلاة والسلام- فى السحر، وكان قد رد جماعة من المسلمين لصغرهم، منهم أسامة، وابن عمر، وزيد بن ثابت، وأبو سعيد الخدري، والنعمان ابن بشير [(١)]، قال مغلطاي: وفيه نظر.

وكان المسلمونَ ألف رجل، ويقال: تسعمائة، والمشركون ثلاثة آلاف رجل، فيهم سبعمائة دارع، ومائتا فرس، وثلاثة آلاف بعير، وخمس عشرة امرأة، ونزل- عليه السلام- بأحد، ورجع عنه عبد الله بن أبيٍّ في ثلاثمائة ممن تبعه من قومه من أهل النفاق. ويقال: إن النبي ﷺ أمرهم بالانصراف لكفرهم، بمكانٍ يقال له الشوطُ، ويقال: بأحد، ثم صف المسلمون بأصل أحد، وصف المشركون بالسبخة [(٢)].

قال ابن عقبة: وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل [(٣)]، وجعل ﷺ على الرماة- وهم خمسون رجلًا- عبد الله بن جبير، وقال: لو رأيتمونا يتخطَّفنا الطير؛ فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هَزَمْنَا القومَ ووطئناهم؛ فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم؛ كذا فى البخاري من حديث البراء [(٤)].

وفي حديث ابن عباس عند أحمد والطبراني والحاكم؛ أنه ﷺ أقامهم في موضع، ثم قال: احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نُقْتَلُ فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا، فلا تشركونا [(٥)].

وقال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه

---

(١) رد سيدنا عبد الله بن عمر ورد في حديث عند البخاري برقم (٢٦٦٤)، ومسلم برقم (١٨٦٨)، وأبو داود (٢٩٥٧)، والترمذي (١٧١١)، والنسائي (٦/ ١٥٥)، وابن ماجه (٢٥٤٣)، وأما رد الباقين، فينظر: تاريخ الطبري (٢/ ٥٠٥)، وزاد هناك في الذين ردهم رسول الله ﷺ عرابة بن أوس.

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٣/ ٨)، والبداية والنهاية (٤/ ١٥-١٦).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٣/ ١١).

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٤٣)، وأبو داود (٢٦٦٢)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٦٧-٢٦٩).

(٥) تقدم تخريجه من حديث ابن عباس.

رجال فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دجانة سماك، فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به في وجه العدو حتى ينحني، قال: أنا آخذه بحقه يا رسول الله، فأعطاه إياه، وكان رجلاً شجاعًا يختال عند الحرب، فلما رآه- عليه الصلاة والسلام- يتبختر قال: إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن [(١)]، قال الزبير بن العوام- فيما قال ابن هشام-: فقلت: والله، لأنظرنَّ ما يصنع أبو دجانة، فاتبعته، فأخذ عصابة حمراء، فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج عصابة الموت، فخرج وهو يقول: [من الرجز]

أَنَا الذِى عاهدَنِي خليلِى ... ونحْنُ بالسَّفْحِ لدى النَّخِيلِ
ألاَّ أقومَ الدَّهْرَ فى الكَيُّولِ ... أَضْرِبْ بسيفِ الله والرَّسولِ

فجعل لا يلقى أحدًا من المشركين إلا قتله [(٢)].

وقوله: «الكَيُّول»- بفتح الكاف، وتشديد المثناة التحتية-: مؤخر الصفوف، وهو فيعول من كالَ الزند يكيلُ كيلاً: إذا كبا، ولم يخرج نارًا، فشبه مؤخر الصف به؛ لأن من كان فيه لا يقاتل. قال أبو عبيدة: ولم يسمع إلا في هذا الحديث.

وقتل شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف، والتقى حنظلة الغسيل وأبو سفيان،

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٥١١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٣٣-٢٣٤) من طريق محمد بن إسحاق قال: حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب عن رجل من الأنصار من بني سلمة قال: قال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دجانة يتبختر . . . فذكره.
وقصة من يأخذ هذا السيف بحقه وردت من حديث أنس وقد أخرجه مسلم في صحيحه (٨/ ٢٦٢) كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب من فضائل أبي دجانة سماك بن خرشة (٢٥) (٢٤٧٠)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٢٣)، والحاكم في مستدركه (٣/ ٢٣٠) والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٣٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٦٩) رقم (٣٦٧٧٢) كلهم من طريق حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ أخذ سيفًا يوم أحد فقال «من يأخذ مني هذا . . .» الحديث.

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٥١٠)، والحاكم في مستدركه (٣/ ٢٣٠-٢٣١)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٣٢-٢٣٣)كلهم من طريق عمرو بن عاصم الكلابي قال حدثنا عبيد الله بن الوازع عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قال الزبير: عرض رسول الله ﷺ سيفًا في يده وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي قلت: وفي ذلك نظر فإن عمرو بن عاصم الكلابي وهو أبو عثمان البصري صدوق في حفظه شيء كما في التقريب (٢/ ٧٢) (٦١٣) والعلة ليست فيه وإنما في جده عبيد الله بن الوازع الكلابي، قال الذهبي في الميزان (٥/ ٢٢) (٥٤٠٩): ما علمت له راويًا غير حفيده وقال الحافظ في التقريب (١/ ٥٤٠) (١٥١٧): مجهول.

فضربه شداد بن أوس فقتله، فقال ﷺ: «إن حنظلة لتغسله الملائكة»، فسألوا امرأته جميلة أخت عبد الله بن أبيٍّ، فقالت: خرج وهو جُنُبٌ. فقال:- عليه الصلاة والسلام-: «لذلك غسلته الملائكةُ[1]» وبذلك تمسك من قال من العلماء: بأن الشهيد يغسل إذا كان جنبًا.

---

(١) ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن الزبير، وابن عباس حديث عبد الله بن الزبير أخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ٢٠٤-٢٠٥)، وعنه البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٥) كتاب الجنائز باب الجنب يستشهد في المعركة. وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٤٩٥-٤٩٦) (٧٠٢٥) كلهم من طريق ابن إسحاق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله ﷺ يقول . . . فذكر القصة وفيه «إن صاحبكم حنظلة تغسله الملائكة فسلوا صاحبته. . .) وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وسكت عنه الذهبي. قلت: وهذا مرسل صحابي، فإن عبد الله بن الزبير لم يشهد هذه القصة، ولكن مراسيل الصحابة حجة كما قرر ذلك أهل العلم، وسنده حسن فإن ابن إسحاق صدوق. حديث عبد الله بن عباس أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٣٩١) (١٢٠٩٤) وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٦) إسناده حسن وله طريق آخر عنده (١١/ ٣٩٥) (١٢١٠٨) وأخرجه البيهقي أيضًا (٤/ ١٥) كلاهما من طريق أبي شيبة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: أبصر رسول الله ﷺ حنظلة بن الراهب وحمزة تغسلهما الملائكة. وقال البيهقي وأبو شيبة ضعيف قلت: أبو شيبة وهو إبراهيم بن عثمان العبسي ليس ضعيفًا فحسب وإنما هو متروك فقال فيه البخاري في تاريخه الكبير (١/ ١/ ٣١٠) سكتوا عنه. وقال أبو داود: ضعيف الحديث، وقال الترمذي: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك وقال أبو حاتم في الجرح والتعديل (١/ ١/ ١١٥) ضعيف الحديث، سكتوا عنه وتركوا حديثه وقال الحافظ في التقريب (١/ ٣٩) (٢٤١) متروك الحديث وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٤٦) وفي السنن الكبرى (٤/ ١٥) من طريق ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ قال «إن صاحبكم لتغسله. . .» قلت: وهذا مرسل، ووصله أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٥٧) ترجمة حنظلة بن أبي عامر من طريق عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد أن حنظلة بن أبي عامر أخى بني عمرو بن عوف التقى هو وأبو سفيان . . . فذكر الحديث وفيه «إن صاحبكم - يعني حنظلة - لتغسله الملائكة. . .» ووقع في المطبوع من الحلية «محمود بن لبيد عن حنظلة بن أبي عامر . . .» والصحيح ما أثبتناه قلت: ومحمود بن لبيد ولد في حياة النبي ﷺ وذكره ابن حبان في الصحابة، وقال: له صحبة مات سنة ثلاث وتسعين، وأكثر ما يروى سمعه من أصحاب رسول الله ﷺ، وقال الحافظ في التقريب (٢/ ٢٣٣): صحابي صغير، وجل روايته عن الصحابة. قلت: فحديثه من مراسيل الصحابة وهي حجة كما تقدم. وفي الباب مراسيل عن عروة والزهري أخرجها الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٠) (٣٤٨٦-٣٤٨٧)، وينظر تلخيص الحبير لابن حجر (٢/ ٢٣٩) (٧٦١) وله شاهد من حديث أنس بن مالك ذكره الشيخ الألباني في الصحيحة (١/ ٥٨١) (٣٢٦) وعزاه لابن عساكر.

وقتل على طلحة بن أبي طلحة صاحب لواء المشركين، ثم حمل لواءهم عثمان ابن أبي طلحة، فحمل عليه حمزة، فقطع يده وكتفه، ثم أنزل الله نصره على المسلمين، فحسوا الكفار بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة، فولى الكفار لا يلوون على شيء، ونساؤهم يدعون بالويل، وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم ووقعوا ينهبون العسكر، ويأخذون ما فيه من الغنائم.

وفي البخاري: قال البراء: فقال أصحاب عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟! قالوا: والله لنأتينَّ الناسَ فلنصيبن من الغنائم، فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين (١).

وفي حديث عائشة عند البخاري- أيضًا-: لما كان يوم أحد، هزم المشركون هزيمة بينة، فصاح إبليس: عباد الله أخراكم، فرجعت أولاهم فاجتلدت مع أخراهم (٢).

وعند أحمد والحاكم، من حديث ابن عباس: أنهم لما رجعوا، اختلطوا بالمشركين، والتبس العسكران، فلم يتميزا، فوقع القتل في المسلمين بعضهم من بعض (٣).

وفي رواية غيرهما: ونظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلة أهله، فكَرَّ بالخيل، وتبعه عكرمة بن أبي جهل، فحملوا على من بقى من النفر الرماة، فقتلوهم وأميرهم عبد الله بن جبير.

وفي البخاري: أنهم لما اصطفوا للقتال، خرج سباع، فقال: هل من مبارز؟ فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فشد عليه فكان كأمس الذاهب، وكان وحشى كامنًا تحت الصخرة، فلما دنا منه رماه بحربته حتى خرجَتْ من بين وركيه، فكان آخر العهد به (٤) انتهى.

وكان مصعب بن عمير قاتل دون رسول الله ﷺ، وكان الذي قتله ابن قمئة، وهو

---

(١) تقدم تخريجه من حديث البراء.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٦٥) من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) قصة قتل حمزة - رضي الله عنه - أخرجها البخاري في صحيحه (٨/ ١١٤-١١٥) كتاب المغازي (٦٤) باب قتل حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه- (٤٠٧٢)، وأحمد في مسنده (٣/ ٥٠٠-٥٠١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٤١-٢٤٢)، كلهم من طريق حجين بن المثنى ثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة عن عبد الله بن الفضل عن =

يظنه أنه رسول الله ﷺ، فصاح ابن قمئة: إن محمدًا قتل، ويقال: كان ذاك أزب العقبة [(١)]، ويقال: بل إبليس لعنه الله، تصوَّر فى صورة جعال، وقال: أىْ عباد الله، أخراكم! أى: احترزوا من جهة أخراكم، فعطف المسلمون وقتل بعضهم بعضًا، وهم لا يشعرون، وانهزم طائفة منهم إلى جهة المدينة، وتفرق سائرهم، ووقع القتل فيهم.

وقال ابن عقبة: ولما فقد- عليه الصلاة والسلام- قال رجل منهم: إن رسول الله ﷺ قد قتل، فارجعوا إلى قومكم ليؤمنوكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم؛ فإنهم داخلو البيت، وقال رجل منهم: إن كان رسول الله ﷺ قتل، أفلا تقاتلون على دينكم، وعلى ما كان عليه نبيكم، حتى تلقوا الله عز وجل شهداء، منهم أنس بن مالك بن النضر، شهد له بها عند رسول الله ﷺ سعد بن معاذ، قال في «عيون الأثر»: كذا وقع في هذا الخبر أنس بن مالك، وإنما هو أنس بن النضر عم أنس بن مالك بن النضر. انتهى.

وثبت رسول الله ﷺ حين انكَشفُوا عنه، وثبت معه من أصحابه أربعة عشر رجلاً من المهاجرين، فيهم أبو بكر الصديق وسبعة من الأنصار.

وفي البخاري: لم يبق معه- عليه الصلاة والسلام- إلا اثنا عشر رجلاً، فأصابوا منا سبعين. وكان- عليه الصلاة والسلام- وأصحابه أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيرًا وسبعينَ قتيلاً، فقال أبو سفيان: أفى القوم محمد؟ ثلاث مرات، فنهاهم النبي ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاث مرات، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء، فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه أن قال: كذبتَ يا عدُوَّ الله، إنَّ الذين عددتَّ لأحياء كلهم، وقد بقى لك ما يسوءك فقال: يوم بيوم [(٢)].

وتوجه ﷺ يلتمس أصحابه، فاستقبله المشركون، فرموا وجهه، فأدموه وكسروا رباعيته، والذي جرح وجهه عبد الله بن قمئة، وعتبة بن أبي وقاص أخو سعد هو

= سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري . . . فذكره وفيه قصة والقصة ذكرها أيضًا الطبري في تاريخه (٢/ ٥١٦-٥١٧)، وابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٢٠).

(١) ينظر: السيرة النبوية (٣/ ١٨).

(٢) تقدم تخريجه وهو جزء من حديث البراء بن عازب.

الذي كسر رباعيته؛ ومن ثم لم يولد له ولد من نسله فيبلغ الحنث، إلا وهو أبخَرُ أو أهشَمُ، أي: مكسور الثنايا من أصلها يعرف ذلك في عقبه.

وقال ابن هشام، في حديث أبي سعيد الخدري: إن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ، فكسر رباعيته اليمنى السفلَى، وجرح شفته السفلى، وإن عبد الله بن هشام الزهري شجه في جبهته، وإن ابن قمئة جرح وجنته، فدخلَتْ حلقتان من المغفر في وجنته، ووقع ﷺ في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق يكيد بها للمسلمين.

وفي رواية: وهشموا البيضة على رأسه- أي: كسروا الخوذة- ورموه بالحجارة حتى سقَطَ في حفرة من الحفر التي حفرها أبو عامر، فأخذه عليٌ بيده، واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائمًا، ونشبتْ حلقتا المغفر في وجنته، وامتصَّ مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته، ثم ازدرده، فقال- عليه الصلاة والسلام- من أصاب دمي دمه، لم تصبه النار(١)؛ وسيأتي إن شاء الله تعالى حكم دمه، عليه السلام.

وفي الطبراني من حديث أبي أمامة قال: رمى عبد الله بن أبي قمئة رسول الله ﷺ يوم أحد، فشج وجهه وكسر رباعيته، فقال: خذها وأنا ابن قمئة، فقال رسول الله ﷺ: أقمأك الله- وهو يمسح الدم عن وجهه- فسلَّط الله عليه تيس جبل، فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة(٢).

وروى ابن إسحاق، عن حميد الطويل، عن أنس قال: كسرتْ رباعيته ﷺ يوم أحد، وشج وجهه، فجعل الدم يسيل على وجه، وجعل يمسحه ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم؟! فأنزل الله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٨] ورواه أحمد والترمذي والنسائي من طريق حميد(٣).

---

(١) ينظر: البداية والنهاية (٤/ ٢٧).

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ١٢٠) وقال: رواه الطبراني وفيه حفص بن عمر العبدري وهو ضعيف.

(٣) ذكره البخاري تعليقًا في صحيحه (٨/ ١٢٢) كتاب المغازي (٦٤) باب (٢٢) وأخرجه الترمذي (٥/ ٢٢٦) كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب «ومن سورة آل عمران» حديث رقم =

وعند ابن عائذ من طريق الأوزاعى: بلغنا أنه لما جرح ﷺ يوم أحد، أخذ شيئًا ينشف دمه وقال: لو وقع منه شيء على الأرض، لنزل عليهم العذاب من السماء، ثم قال: اللهم، اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون (١).

وروى عبد الرزّاق، عن معمر، عن الزهري قال: ضُرِبَ وجهُ النبيِّ ﷺ يومئذ بالسيف سبعين ضربة، ووقاه الله شرَّها كلها، قال في فتح الباري: وهذا مرسل قوى، ويحتمل أن يكون أراد بالسبعين حقيقتها أو المبالغة. انتهى (٢).

وقاتلتْ أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد فيما قاله ابن هشام (٣)، فخرجت أول النهار حتى انتهت إلى رسول الله ﷺ، قالت: فقمت أباشر القتال، وأذبُّ عنه بالسيف، وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراحة، إلى أن أصابني ابن قمئة- أقمأه الله! - لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ، أقبل يقول: دلوني على محمد، فلا نجوتُ إن نجا. قالت: فاعترضْتُ له فضربني هذه الضربة، ولكن

= (٣٠٠٢،٣٠٠٣) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢/ ١٣٣٦) كتاب الفتن (٣٦) باب (٢٣) حديث (٤٠٢٧)، وأحمد في مسنده (٣/ ٩٩، ١٧٨، ١٧٩، ٢٠١، ٢٠٦)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣١٤) كتاب التفسير باب (٦٧) حديث (١١٠٧٧)، وأبو يعلى في مسنده (٦/ ٣٩١) (٣٧٣٨)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٥٣٦)(٦٥٧٤) والبغوي في شرح السنة (٧/ ٩٣-٩٤) (٣٦٤٢). والطبري في تاريخه (٢/ ٥١٥)، وفي تفسيره (٣/ ٤٣١) (٧٨٠٤، ٧٨٠٥،٧٨٠٦، ٧٨٠٧) والواحدي في أسباب النزول ص(١٢٣) رقم(٢٤٢) كلهم من طرق عن حميد عن أنس قال... قلت: وحميد الطويل مدلس وقد عنعن. وقال أبو عبيدة عن شعبة: لم يسمع حميد من أنس إلا أربعة وعشرين حديثًا، والباقي سمعها من ثابت أو ثبته فيها ثابت ينظر تهذيب الكمال (٧/ ٣٦٠) (١٥٢٥) قلت: ولذا قال الحافظ العلائي في جامع التحصيل ص١٦٨ترجمة ١٤٤ فعلى تقدير أن يكون مراسيل قد تبين الواسطة فيها وهو ثقة محتج به وقد جاء الحديث من طريق ثابت عن أنس ذكره البخاري في صحيحه معلقًا (٨/ ١١٢) كتاب المغازي (٦٤) باب (٢٢) وأخرجه مسلم في صحيحه (٦/ ٣٨٩) كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب غزوة أحد (٣٧) (١٧٩١)، وأحمد(٣/ ٢٥٣،٢٨٨)، وأبو يعلى (٦/ ٥٥-٥٦) (٣٣٠١)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٥٣٧) (٦٥٧٥)، وعبد ابن حميد ص٣٦٢ (١٢٠٤)، وأبو عوانة (٤/ ٣٠٩)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٦٢)، والبغوي في شرح السنة (٧/ ٩٤)، والواحدي في أسباب النزول (١٢٥/ ٢٤٤) من طرق عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس به، وللحديث شواهد بدون ذكر الآية.

(١) ذكره الحافظ في الفتح (٨/ ١٢٣) وعزاه لابن عائذ عن الأوزاعي.

(٢) ينظر: الفتح (٨/ ١٢٢).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٣/ ٢٩).

ضربته ضرباتٍ على ذلك، ولكن عدو الله عليه درعان، قالت أم سعد بن الربيع: فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور [(١)].

وتَرَّسَ دون رسول الله ﷺ- فيما قاله ابن إسحاق- أبو دجانة بنفسه، يقع النبل في ظهره وهو ينحني عليه حتى كثر عليه النبل وهو لا يتحرك [(٢)].

ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ، قال سعد: فلقد رأيته يناولنى النبل، ويقول: ارم سعد، فداك أبي وأمي، حتى إنه يناولنى السهم ما له نصل، فيقول: ارم به، فيعود منصلاً [(٣)].

وأصيبت عين قتادة بن النعمان حتى وقعتْ على وجنته، فأتى بها إلى رسول الله ﷺ، فأخذها رسول الله ﷺ بيده وردها إلى موضعها، وقال: اللهم، اكسه جمالاً، فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما نظرًا. ورواه الدارقطنى بنحوه [(٤)].

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٣٠٣) من طريق محمد بن عمر حدثنا يعقوب بن محمد عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قال: قالت أم عمارة . . . فذكره قلت: ومحمد بن عمر - هو الواقدي - متروك. والخبر ذكره الذهبي في السير (٢/ ٢٧٩)، وابن حجر في الإصابة (٨/ ٤٤٢) ت(١٢١٨٢).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٣/ ٣٠).

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ١٠٣-١٠٤) كتاب المغازي باب ﴿ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ حديث (٤٠٥٥-٤٠٥٧- ٤٠٥٩)، ومسلم (٨/ ١٩٧-النووي) كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حديث (٤١/ ٢٤١١).

(٤) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (٣/ ١٢٠) (١٥٤٩) وعنه ابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ٣٧١)، من طريق يحيى بن عبد الحميد الحماني ثنا عبد الرحمن بن سليمان بن غسيل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه يعني عن قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر، فسالت حدقته. قلت: ويحيى بن عبد الحميد، قال البخاري: كان أحمد وعلى يتكلمان في يحيى الحماني وقال في موضع آخر رماه أحمد بن حنبل وابن نمير. التاريخ الكبير (٨/ ٣٥٣٧)، والصغير (٢/ ٣٥٧) وعن ابن نمير في رواية أنه قال: ثقة. وعن ابن معين : صدوق ثقة. وقال النسائي في الضعفاء ت(٦٢٥) ضعيف، وقال ابن عدي : ليحيى الحماني مسند صالح، ولم أر في مسنده وأحاديثه أحاديث مناكير، وأرجو أنه لا بأس به. تهذيب الكمال (٣١/ ٤٣٣) ت(٦٨٦٨)، وقال الحافظ في التقريب (٢/ ٣٥٢) حافظ إلا أنهم اتهموه بسرقة الحديث قلت: ووجدت متابعًا ليحيى أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٢٥١-٢٥٢) من طريق مالك بن إسماعيل قال: حدثنا ابن الغسيل به ومالك بن إسماعيل النهدي أبو غسان ثقة متقن صحيح الكتاب كما في التقريب (٢/ ٢٢٣) لكن ابن الغسيل واسمه عبد الرحمن بن سليمان أبو سليمان الداراني صدوق يخطئ (١/ ٤٨٢) ووقع هنا أن ذلك كان في غزوة =

ورمى أبو رهم الغفارى كلثوم بن الحصين بسهم، فوقع في نحره، فبصق عليه ﷺ فبرئ.

وانقطع سيف عبد الله بن جحش، فأعطاه ﷺ عرجونًا، فعاد في يده سيفا فقاتل به، وكان ذلك السيف يُسَمَّى العرجون [١]، ولم يزل يتوارثُ حتى بيع من بُغا التركيِّ من أمراء المعتصم بالله في بغداد بمائتى دينار. وهذا نحو حديث عكاشة السابق في غزوة بدر، إلا أن سيف عكاشة كان يسمى العَوْن.

واشتغَلَ المشركون بقتلى المسلمين يمثِّلون بهم، ويقطعون الآذان والأنوف والفروج، ويبقرون البطون، وهم يظنون أنهم أصابوا رسول الله ﷺ وأشراف أصحابه، وكان أول من عرف رسول الله ﷺ كعب بن مالك، قال: عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتى: يا معشر المسلمين، هذا رسول الله ﷺ، فلما عرفوه، نهضوا ونهض معهم نحو الشعب معه أبو بكر وعمر وعلى ورهط

= بدر ولكن سيأتي روايات أخرى تثبت أن ذلك وقع يوم أحد. قلت: أخرجه أيضًا الطبراني في الكبير (١٩/ ٨/ ١٢) وعنه أبو نعيم في الدلائل (٢/ ٤٨٤) رقم (٤١٧) من حديث قتادة ابن النعمان قال: أهدى إلى رسول الله ﷺ قوس فدفعها يوم أحد. وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١١٦) فيه من لا أعرفه وأخرجه أيضًا ابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٤٦)، والطبرى في تاريخه (٢/ ٥١٦)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٥١)، وابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ٣٧١) كلهم من طريق ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ رمى. . . قلت: وهذا إسناد ضعيف لإرساله وعنعنة ابن إسحاق وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٣٧)، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٣٨) من طريق مالك بن أنس عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد عن أخيه قتادة ابن النعمان قال أصيبت عيناي يوم بدر. . . وقال أبو نعيم: غريب من حديث مالك تفرد به محمد بن أبي عثمان، وإنما يعرف من حديث ابن إسحاق وابن الغسيل عن عاصم ابن عمر بن قتادة عن أبيه وقال ابن إسحاق: يوم أحد اهـ. وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٢٥٣) من طريق إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة يحدث عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن أبي سعيد به قلت: وإسحاق بن عبد الله بن أبي فروة متروك كما في التقريب (١/ ٥٩) (ت٤١٥) وله شاهد آخر من حديث عبد الرحمن بن الحارث بن عبيد عن جده. أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ٣٧١) وفي سنده: عبد العزيز بن عمران قال الحافظ في التقريب (١/ ٥١١) (١٢٤٢) متروك وفي الباب حديث عن جابر بن عبد الله أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه. . ذكره ابن كثير في البداية (٤/ ٣٨) ولم أقف عليه، والقصة ذكرها الحاكم أيضًا في مستدركه بدون إسناد (٣/ ٢٩٥). قلت: فالقصة بهذه الطرق التي أوردناها حسنة إن شاء الله لا سيما وأن الطريق الأول إسناده حسن.

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٣٠٧-٣٠٨) وفي الدلائل (٣/ ٢٥٠).

من المسلمين، فلما أسند رسول الله ﷺ في الشعب، أدركه أبيُّ بن خلف وهو يقول: أين محمد؟! لا نجوت إن نجا، فقالوا: يا رسول الله، يعطف عليه رجل منا؟! فقال ﷺ: دعوه، فلما دنا، تناول- عليه الصلاة والسلام- الحربة من الحارث بن الصِّمَّة، فلما أخذها- عليه الصلاة والسلام- انتفض بها انتفاضَةً تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله- عليه الصلاة والسلام- فطعنه طعنة وقع بها عن فرسه، ولم يخرج له دم، فكسر ضلعًا من أضلاعه، فلما رجع إلى قريش قال: قتلني محمد والله، قالوا: ليس عليك يا أبا على من بأس، فقال: أليس كان قد قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله، لو بصق على لقتلني.

قلت: نعم قد كان أبيٌّ هذا يلاقي النبي ﷺ بمكة، فيقول له: إن معي فرسًا أعلفه كل يوم فرقًا من ذرة أقتلك عليه، فيقول- عليه الصلاة والسلام- له: بل أنا أقتلك عليه، فذلك قول أبيٍّ: أليس قد قال لي. . . إلى آخره. فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة. رواه البيهقي وأبو نعيم، ولم يذكر: فكسر ضلعًا من أضلاعه[1].

قال الواقدي: وكان ابن عمر يقول: مات أبيٌّ بن خلف ببطن رابغ؛ فإني لأسير ببطن رابغ بعد هويٍّ من الليل إذ نار تأجج لي فهبتها، وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها يصيح: العطش! وإذا رجل يقول: لا تسقه؛ فإن هذا قتيل رسول الله ﷺ؛ هذا أبيٌّ بن خلف. ورواه البيهقي[2].

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب، ملأ على بن أبي طالب درقته من المهراس- وهو صخرة منقورة تسع كثيرا من الماء. فجاء به إلى رسول الله ﷺ، وغسل عن وجهه الدم، وصب على رأسه وهو يقول: اشتدَّ غضب الله على من أدمى وجه نبيه [3]، وصلى النبي- عليه الصلاة والسلام- يومئذ الظهر قاعدًا من الجراح

---

(١) ينظر: الدلائل (٣/ ٢٥٨-٢٥٩)، وسبل الهدى والرشاد (٤/ ٢٠٨).
(٢) ينظر: المغازي للواقدي (١/ ٢٥٠) ودلائل النبوة (٣/ ٢٥٩).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٢٢) كتاب المغازي (٦٤) باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد رقم (٤٠٧٤، ٤٠٧٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٦٢) من طريق عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: اشتد غضب. . وأخرجه أحمد (١/ ٢٨٨)، والحاكم (٢/ ٢٩٦-٢٩٧)، وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٣٦٥) (١٠٧٣١) من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن =

التي أصابته، وصلى المسلمون خلفه قعودًا.

قال ابن إسحاق: ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثِّلْنَ بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ، يخلعْنَ الآذان والأنوف، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها، فلم تستطعْ أن تسيغها فلفظتها [(١)].

ولما أراد أبو سفيان الانصرافَ، أشرف على الجبل، ثم صرخ بأعلى صوته: أنعمت فعال؛ إن الحرب سجال، يوم بيوم بدر، اعْلُ هبل، اعْلُ هبل، وكان أبو سفيان حين أراد الخروج إلى أحد، كتب على سهم: « نعم »، وعلى الآخر: « لا »، وأجالهما عند هبل، فخرج سهم، « نعم »، فخرج إلى أحد، ولما قال: اعل هبل، أي: زد علوًّا، قال رسول الله ﷺ لعمر: « أجبه »، فقال: الله أعلى وأجل، لا سواء؛ قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار، فقال: إن لنا عُزَّى ولا عُزَّى لكم، فقال- عليه الصلاة والسلام-: « قولوا: الله مولانا، ولا مولى لكم ».

ولما انصرف أبو سفيان وأصحابه، نادى أبو سفيان بأعلى صوته: إن موعدكم بدر العام القابل، فقال:- عليه الصلاة والسلام- لرجل من أصحابه: قل له: نعم، هو بيننا وبينكم موعد [(٢)].

وذكر الطبراني: أنه لما انصرف المشركون، خرج النساء إلى الصحابة يعنّهم، فكانت فاطمة فيمن خرج، فلما لقيت النبي ﷺ، اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته بالماء فيزداد الدم، فلما رأت ذلك، أخذت شيئًا من حصير، فأحرقته بالنار، وكمدته به حتى لصق بالجرح، فاستمسك الدم، ثم أرسل- عليه الصلاة والسلام- محمد بن مَسْلمة- كما ذكره الواقدي- فنادى في القتلى: يا سعد بن الربيع- مرة بعد أخرى- فلم يجبه، حتى قال: إن رسول الله ﷺ أرسلني أنظر ما صنعت؟ فأجاب بصوتٍ

= عبد الله عن ابن عباس فذكره وفيه قصة طويلة وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١١٤) رواه أحمد وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وقد وثق على ضعفه وقال ابن كثير في التفسير (١/ ٤١٢) هذا حديث غريب وسياق عجيب وهو من مرسلات ابن عباس فإنه لم يشهد أحدًا ولا أبوه. . ولبعضه شواهد في الصحاح وغيرها. اهـ. قلت: وله شاهد من حديث الزبير بن العوام، أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٤٣٦) (٦٩٧٩) وعزاه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٤/ ٢٢٠) (٤٣١٦) لإسحاق بن راهويه. وصحح سنده البوصيري.

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/ ٤١).

(٢) هذا جزء من حديث البراء بن عازب وقد تقدم تخريجه وينظر السيرة النبوية (٣/ ٤٥).

ضعيفٍ، فوجدته جريحًا في القتلى وبه رمق، فقال سعد: أبلغ رسول الله ﷺ مني السلامَ وقل له: يقول لك: جزاك الله عنا خَيْرَ ما جزى نبيًّا عن أمته، وأبلغْ قومك عني السلام، وقل لهم: لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف، ثم مات [١].

وقتل أبو جابر، فما عرف إلا ببنانه، أي: أصابعه، وقيل: أطرافها، واحدها بنانة.

وخرج رسول الله ﷺ يلتمسُ حمزة، فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده، ومثِّلَ به، فجدع أنفه وأذناه، فنظر- عليه الصلاة والسلام- إلى شيء لم ينظر إلى شيء أوجع لقلبه منه، فقال: رحمة الله عليك، لقد كنت فعولاً للخير، وصولاً للرحم، أما والله، لأمثلن بسبعين منهم مكانك، قال: فنزلت عليه خواتيم سورة النحل: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ . . . . ﴾ إلى آخر الآية [النحل: ١٢٦] فصبر، وكفَّر

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٥٢٨)، والحاكم في مستدركه (٣/ ٢٠١) وعنه البيهقي في الدلائل (٣/ ٢٨٥)، وذكره الذهبي في السير (١/ ٣١٨) وابن حجر في الإصابة (٣/ ٤٩) ت (٣١٦٠)، وابن كثير في البداية (٤/ ٤٤) كلهم من طريق محمد بن إسحاق أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني به وسكت عنه الحاكم، وقال الذهبي مرسل وقال الحافظ في الإصابة: وفي الصحيح من حديث أنس ما يشهد لبعضه. وله شاهد من حديث زيد بن ثابت: أخرجه الحاكم (٣/ ٢٠١) من طريق مخرمة بن بكير عن أبيه عن أبي حازم عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لطلب سعد بن الربيع ومخرمة بن بكير: قال النسائي: ليس به بأس، وضعفه يحيى بن معين وقال حديثه عن أبيه كتاب ولم يسمعه منه، وقال أحمد بن حنبل: هو ثقة ولم يسمع من أبيه شيئاً إنما يروى من كتاب أبيه. تهذيب الكمال (٢٧/ ٣٢٤) ت (٥٨٢٩) وقال الحافظ في التقريب (٢/ ٢٣٤) (٩٧٢) صدوق، وروايته عن أبيه وجادة من كتابه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وفيه نظر. فالحديث بإسناده السابق حسن فحسب. وله شاهد مرسل: أخرجه مالك (٢/ ٢١) الجهاد باب الترغيب في الجهاد، عن يحيى ابن سعيد، ومن طريق مالك أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٩٦) وابن الأثير في أسد الغابة (٢/ ٤٣٢ - ٤٣٣)، وهو في الاستيعاب (٤/ ١٤٥ ، ١٤٦) وقال ابن عبد البر: هكذا ذكر مالك هذا الخبر، ولم يسم الرجل الذي ذهب ليأتي بخبر سعد بن الربيع وهو أبي بن كعب . . . وقال: ولا أعرفه مسنداً وهو محفوظ عند أهل السير. وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٤٤): كان الرجل الذي التمس سعداً في القتلى محمد بن سلمة فيما ذكره محمد بن عمر الواقدي . . . وقال الشيخ أبو عمر في الاستيعاب: كان الرجل الذي التمس سعداً أبي بن كعب. فالله أعلم.

عن يمينه، وأمسك عما أراد [1] .

ومن مثل به كما مثل بحمزة: عبد الله بن جحش ابن أخت حمزة، ولذا يعرف بالمجدَّع في الله، وكان حين قتل ابن بضع وأربعين سنة، ودفن مع حمزة في قبر واحد .

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٥٢٩) وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٤٤ ، ٤٥) من طريق ابن إسحاق قال: أخبرني بريدة بن سفيان به قلت: وهذا إسناد ضعيف، فإن بريدة بن سفيان: قال البخاري: فيه نظر. وقال النسائي، ليس بالقوى في الحديث، وقال أبو حاتم الرازي: ضعيف الحديث، وقال الدارقطني متروك، تهذيب الكمال (٤/ ٥٥ - ٥٦) (٦٦٢) وللحديث طرق أخرى عن ابن عباس: أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٦٢) (١١٠٥١)، قال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٢٣) وفيه أحمد بن أيوب بن راشد وهو ضعيف وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٢٨٨) وفيه يحيى بن عبد الحميد متهم بسرقة الحديث. وللحديث شاهد من حديث أبي بن كعب: أخرجه الترمذي (٥/ ٢٩٩) كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٧) رقم (٣١٢٩)، وقال: حديث حسن غريب، وأحمد (٥/ ١٣٥) والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٨٦) كتاب التفسير سورة النحل (١١٢٧٩) وابن حبان في صحيحه (٢/ ٢٣٩) (٤٨٧)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٥٩) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٨٩) والطبراني في الكبير (٣/ ١٥٧) (٢٩٣٧) كلهم من طريق الربيع بن أنس حدثني أبو العالية عن أبي بن كعب قال: لما كان يوم أحد، أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً . . . وزاد نسبته في الدر المنثور (٤/ ٢٥٥) لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه. وأبو العالية هو رفيع بن مهران ثقة كما في التقريب (١/ ٢٥٢) (١٠٥)، والربيع بن أنس البكري، قال العجلي صدوق، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال أبو حاتم صدوق تهذيب الكمال (٩/ ٦١) ت (١٨٥٣) وقال الحافظ في التقريب (١/ ٢٤٣) صدوق له أوهام. قلت: فمثل هذا حديثه حسن إن شاء الله لاسيما وللحديث شواهد تقويه تقدمت ومنها أيضاً حديث أبي هريرة أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٢٨٨)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٩١) وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٢٢) للبزار والطبراني وقال: وفيه صالح بن بشير المري وهو ضعيف. ا. هـ ووقع تصحيف في المجمع " صالح بن بشير المزني" والصحيح ما أثبتناه قلت: وبعد ثبوت صحة حديث أبي بن كعب وما سقناه من الشواهد، يعلم أن قول ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٤٥) هذه الآية مكية؛ أي قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا ﴾ وقصة أحد بعد الهجرة بثلاث سنين فكيف يلتئم ذلك - فيه نظر - فلينتبه وقال القرطبي في تفسيره (١٠/ ٢٠١): أطبق جمهور أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة يوم أحد وقال الواحدي في الوسيط (٣/ ٩١): نزلت لما نظر النبي - صلى الله عليه وسلم إلى حمزة يوم أحد، وقد مثل به فقال والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك، فنزل جبريل والنبي - صلى الله عليه وسلم - واقف بعد، بخواتيم سورة النحل فصبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمسك عما أراد، وهذا قول عامة المفسرين.ا.هـ.

ولما أشرف- عليه الصلاة والسلام- على القتلى قال: أنا شهيد على هؤلاء، ما من جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه، اللون لون الدم، والريح ريح المسك [(١)].

وفي رواية عبد الله بن ثعلبة: قال- عليه الصلاة والسلام- لقتلى أحد: زملوهم بجراحهم [(٢)].

وروى أبو بكر بن مردويه: أن رسولَ الله ﷺ قال: يا جابرُ، ألا أخبرك؟ ما كلم الله أحدًا قطُّ إلا من وراء حجاب، وإنه كلَّم أباك كفاحًا فقال: سلني أعطك، قال: أسألك أن أرد إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية، فقال الرب عزَّ وجلَّ: إنه سبق مني أنهم لا يرجعون إلى الدنيا، قال: أي رب، فأبلغ من ورائي، فأنزل الله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ .... ﴾ [(٣)] الآية [آل عمران: ١٦٩].

وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخوانَنا يعلمون ما صنع الله بنا؛ لئلاَّ يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب، قال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله- عز وجل- هذه الآيات: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ ... ﴾ [آل عمران: ١٦٩] رواه أحمد [(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٣١) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٩٠) من طريق ابن إسحاق حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير، به. قلت: وهذا إسناد حسن وابن إسحاق صرح بالتحديث وعبد الله بن ثعلبة ويكنى أبا محمد وهو حليف بني زهرة صحابي جليل ولدقبل الهجرة بأربع سنوات. ينظر ترجمته في الإصابة ت (٤٥٩٤)، والاستيعاب ت (١٤٩٦) وأسد الغابة لابن الأثير ت (٢٨٤٩). والحديث عن أبي هريرة عند مسلم في الإمارة رقم (١٠٥/ ١٨٧٦).

(٢) ينظر السابق.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٠١٠) وابن ماجه (١٩٠، ٢٨٠٠) وابن أبي عاصم في السنة رقم (٦٠٢) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٩٨ - ٢٩٩) من حديث جابر وقال الترمذي: حسن غريب وحسنه أيضا الألباني.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٦) وأبو داود (٢٥٢٠) من طريق محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد عن أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، به وأخرجه أحمد (١/ ٢٦٥) وعبد بن حميد (٦٧٩) من طريق محمد بن إسحاق عن إسماعيل عن أبي الزبير عن ابن عباس ليس فيه ذكر لسعيد بن جبير.

قال بعض من تكلم على هذا الحديث: قوله ثَمَّ: «تأوي إلى قناديل» مصداقه قوله: ﴿ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ ﴾ [الحديد:١٩] وإنما تأوي إلى تلك القناديل ليلاً، وتسرح نهارًا، وبعد دخول الجنة في الآخرة لا تأوى إلى تلك القناديل، وإنما ذلك في البرزخ.

وقال مجاهد: الشهداء يأكلون من ثمار الجنة. وقد ورد هذا القول؛ ويشهد له: ما وقع في مسند ابن أبي شيبة وغيره؛ أن رسول الله ﷺ قال: الشهداء بنهر- أو على نهر- يقال له: بارق، عند باب الجنة في قباب خضر، يأتيهم رزقهم منها بكرةً وعشيًا (١).

قال الحافظ عماد الدين بن كثير: الشهداء أقسام، منهم من تسرح أرواحهم في الجنة، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر، فيجتمعون هنالك، ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح.

قال: وقد روينا في مسند الإمام أحمد حديثًا فيه بشرى لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة- أيضًا- وتسرح فيها، وتأكل من ثمارها، وترى ما فيها من النضرة والسرور، وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة. قال: وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم، اجتمع فيه غير واحد من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتسعة؛ فإن الإمام أحمد رواه عن الشافعي، عن مالك بن أنس، عن الزهري، عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك، عن أبيه يرفعه: «نسمة المؤمن طائر تعلقُ في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه» (٢)، وقوله «تعلق» أى: تأكل؛ وفي هذا الحديث أن روح المؤمن تكون على شكل طائرٍ في الجنة. وأما أرواح الشهداء ففي حواصل طير خضر، فهى كالراكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين، فإنها تطير بأنفسها؛ فنسأل الله الكريم المنان أن يميتنا على الإيمان.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٦) وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢٩٠) والطبراني (١٠/ ٤٠٥) رقم (١٠٨٢٥) والحاكم (٢/ ٧٤) وابن حبان (١٦١١ - موارد) من طريق محمد بن إسحاق حدثنا الحارث بن فضيل الأنصاري عن محمود بن لبيد عن ابن عباس وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي ومحمد بن إسحاق لم يحتج به مسلم وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٩٨): رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات.

(٢) أخرجه مالك (١/ ٢٤٠) رقم (٤٩) وأحمد (٣/ ٤٥٦) والنسائي (٤/ ١٠٨) وابن ماجه (٤٢٧١) وابن حبان (٧٣٤) من حديث كعب بن مالك وهو حديث صحيح.

وقد استشهد يوم أحد من المسلمين سبعون؛ فيما قاله مغلطاى وغيره، وقيل: خمسة وستون أربعة من المهاجرين، وروى ابن منده من حديث أبي بن كعب قال: استشهد من الأنصار يوم أحد أربعة وستون، ومن المهاجرين ستة، وصححه ابن حبان من هذا الوجه [١].

وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون رجلًا، وقَتل- عليه السلام- بيده أبيَّ بن خلف، وحضرت المَلائكة يومئذ، ففي حديث سعد بن أبي وقاص عند مسلم في صحيحه: أنه رأَى عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض، قال: ما رأيتهما قبل ولا بعد- يعني جبريل وميكائيل- يقاتلان كأشد القتال [٢]، وفيه كما قدمناه في غزوة بدر أن قتال الملائكة معه ﷺ لا يختصُّ بيوم بدر؛ خلافًا لمن زعمه؛ كما نص عليه النووي في شرح مسلم [٣] كما قدمته، والله أعلم.

ولما بكى المسلمون على قتلاهم سُرَّ المنافقون وظهر فسق اليهود.

تنبيه: ذكر القاضي عياض في الشفاء، عن القاضي أبي عبد الله بن المرابط من المالكية؛ أنه قال: من قال: «إن النبيَّ ﷺ هزم» يستتاب، فإن تاب وإلا قتل لأنه تنقصه؛ إذ لا يجوز ذلك عليه في خاصَّته؛ إذ هو على بصيرة من أمره ويقين عصمته انتهى. وهذا موافق لمذهبنا، لكن قال العلامة البساطى من المالكية: هذا القائل إن كان يخالف في أصل المسألة- أعني: حكم التائب- فله وجه، وإن وافق على أن التائب لا تقبل توبته، فمشكل. انتهى [٤].

وقد كان في قصة أحد: وما أصيب به المسلمون من الفوائد والحكم الربانية أشياء عظيمة: منها تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية، وشؤْمَ ارتكاب المنهى؛ لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ ألاَّ يبرحوا منه.

ومنها عادة الرسل أن تبتلى وتكون لهم العاقبة، والحكمة أن لو انتصروا دائما،

---

(١) تقدم تخريجه قريبا.
(٢) أخرجه البخاري (٤٠٥٤) ومسلم (٤٦، ٢٣٠٦/٤٧) وأحمد (١/ ١٧١) من حديث سعد بن أبي وقاص .
(٣) ينظر صحيح مسلم بشرح النووي (٨/ ٧٣ - ٧٤) .
(٤) ينظر الشفا (١/ ٩٤٣) نحوه.

لدخل في المسلمين من ليس منهم، ولم يتميز الصادق من غيره، ولو انكسروا دائما لم يحصل المقصود من البعثة، فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين؛ ليتميز الصادق من الكاذب، وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفيًا عن المسلمين، فلما جرت هذه القصة، وأظهر أهل النفاق ما أظهروا من الفعل والقول، عاد التلويح تصريحًا، وعرف المسلمون أن لهم عدوًا في دورهم، واستعدوا لهم وتحرزوا منهم.

ومنها: أن في تأخير النصر في بعض المواطن هَضْمًا للنفس وكسرًا لشماختها، فلما ابتلى المسلمون، صَبَرُوا وجزع المنافقون.

ومنها: أن الله تعالى هيأ لعباده المؤمنين منازلَ في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم، فقيض لهم أسبابَ الابتلاءِ والمحنِ ليصلوا إليها.

ومنها: أنه أراد هلاك أعدائه، فقيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك من كُفرهم وبغيهم وطغيانهم في أذى أوليائه، فمحص ذنوب المؤمنين ومحق بذلك الكافرين.

وكان مما قيل من الشعر في يوم أحد قول هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ ابن [عبد بن عمران] (١) بن مخزوم، قال ابن هشام: عائذ بن [عمران](٢) بن مخزوم: [من البسيط]

مَا بَالُ هَمٍّ عَمِيدٍ بَاتَ يَطْرُقُنِي ... بِالْوُدِّ مِنْ هِنْدَ إِذْ تَعْدُو عَوَادِيهَا
بَاتَتْ تُعَاتِبُنِي هِنْدٌ وَتَعْذِلُنِي ... وَالْحَرْبُ قَدْ شُغِلَتْ عَنِّي مَوَالِيهَا
مَهْلاً فَلاَ تَعْذِلِينِي؛ إِنَّ مِنْ خُلُقِي ... مَا قَدْ عَلِمْتِ، وَمَا إِنْ لَسْتُ أُخْفِيهَا
مُسَاعِفٌ لِبَنِي كَعْبٍ بِمَا كَلِفُوا ... حَمَّالُ عِبْءٍ وأَثْقَالٍ أُعَانِيهَا
وَقَدْ حَمَلْتُ سِلاَحِي فَوْقَ مُشْتَرِفٍ ... سَاطٍ سَبُوحٍ إِذَا يَجْرِي يُبَارِيهَا
كَأَنَّهُ إِذْ جَرَى عَيْرٌ بِفَدْفَدَةٍ ... مُكَدَّمٌ لاَحِقٌ بِالْعُونِ يَحْمِيهَا
مِنْ آلِ أَعْوَجَ يَرْتَاحُ النَّدِيُّ لَهُ ... كَجِذْعِ شَعْرَاءَ مُسْتَعْلٍ مَرَاقِيهَا
أَعْدَدْتُهُ وَرُقَاقَ الْحَدِّ مُنْتَخَلاً ... وَمَارِنًا لِخُطُوبٍ قَدْ أُلاَقِيهَا

(١) في ط: عبد الرحمن بن عمرو والمثبت من السيرة.
(٢) في ط: عمرو. والمثبت من السيرة وهو الصواب. وينظر نسب قريش لأبي مصعب (٣٩، ٣٤٤).

هَذَا وَبَيْضَاءَ مِثْلَ النِّهْى مُحْكَمَةً لُطَّتْ[1] عَلَيَّ فَمَا تَبْدُو مَسَاوِيهَا
سُقْنَا كِنَانَةَ مِنْ أَطْرَافِ ذِي يَمَنٍ عُرْضَ الْبِلَادِ عَلَى مَا كَانَ يُزْجِيهَا
قَالَتْ كِنَانَةُ: أَنَّى تَذْهَبُونَ بِنَا؟ قُلْنَا: النَّخِيلَ؛ فَأَمُّوهَا وَمَنْ فِيهَا
نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْجَرِّ مِنْ أُحُدٍ هَابَتْ مَعَدٌّ، فَقُلْنَا: نَحْنُ نَأْتِيهَا
هَابُوا ضِرَابًا وَطَعْنًا صَادِقًا خَذِمًا مِمَّا يَرَوْنَ وَقَدْ ضُمَّتْ قَوَاصِيهَا
ثُمَّتَ رُحْنَا كَأَنَّا عَارِضٌ بَرِدٌ وَقَامَ هَامُ بَنِي النَّجَّارِ يَبْكِيهَا
كَأَنَّ هَامَهُمُ عِنْدَ الْوَغَى فِلَقٌ مِنْ قَيْضِ رُبْدٍ نَفَتْهُ عَنْ أَدَاحِيهَا
أَوْ حَنْظَلٌ زَعْزَعَتْهُ الرِّيحُ فِي غُصُنٍ بَالٍ تَعَاوَرُهُ مِنْهَا سَوَافِيهَا
قَدْ نَبْذُلُ الْمَالَ سَحًّا لاَ حِسَابَ لَهُ وَنَطْعُنُ الْخَيْلَ شَزْرًا فِي مَآقِيهَا
وَلَيْلَةٍ يَصْطَلِي بِالْفَرْثِ جَازِرُهَا يَخْتَصُّ بِالنَّقَرَى الْمُثْرِينَ دَاعِيهَا
وَلَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أَنْدِيَةٍ جَرْبَا جُمَادِيَّةٍ قَدْ بِتُّ أَسْرِيهَا
لاَ يَنْبَحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ مِنَ الْقَرِيسِ وَلاَ تَسْرِي أَفَاعِيهَا
أَوْقَدْتُ فِيهَا لِذِي الضَّرَّاءِ جاحمة كَالْبَرْقِ ذَاكِيَةَ الأَرْكَانِ أَحْمِيهَا
أَوْرَثَنِي ذَاكُمُ عَمْرٌو وَوَالِدُهُ مِنْ قَبْلِهِ كَانَ بِالْمَثْنَى يُغَالِيهَا
كَانُوا يُبَارُونَ أَنْوَاءَ النُّجُومِ فَمَا دَنَّتْ عَنِ السُّورَةِ الْعلْيَا مَسَاعِيهَا[2]

فأجابه حسان بن ثابت فقال: [من البسيط]

سُقْتُمْ كِنَانَةَ جَهْلاً مِنْ سَفَاهَتِكُمْ إِلَى الرَّسُولِ فَجُنْدُ الله مُخْزِيهَا
أَوْرَدْتُمُوهَا حِيَاضَ الْمَوْتِ ضَاحِيَةً فَالنَّارُ مَوْعِدُهَا وَالْقَتْلُ لاَقِيهَا
جَمَعْتُمُوهُمْ أَحَابِيشًا بِلاَ حَسَبٍ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ غَرَّتْكُمْ طَوَاغِيهَا
أَلاَّ اعْتَبَرْتُمْ بِخَيْلِ الله إِذْ قَتَلَتْ أَهْلَ الْقَلِيبِ وَمَنْ أَلْقَيْنَهُ فِيهَا؟!
كَمْ مِنْ أَسِيرٍ فَكَكْنَاهُ بِلاَ ثَمَنٍ وَجَزِّ نَاصِيَةٍ كُنَّا مَوَالِيهَا[3]

قال ابن هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك، قال: وبيت هبيرة ابن أبي وهب وهو: [من البسيط]

---

(١) في السيرة: نيطت عَلَيَّ.
(٢) ينظر السيرة النبوية (٣/ ٨٣ - ٨٧) والبداية والنهاية (٤/ ٦٠ - ٦١) .
(٣) ينظر السيرة النبوية (٣/ ٨٧ - ٨٨) والبداية والنهاية (٤/ ٦١) وسبل الهدى والرشاد (٤/ ٢٣٢) .

وَلَيْلَةٍ يَصْطَلِي بِالْفَرْثِ جَازِرُهَا ... يَخْتَصُّ بِالنَّقَرَى الْمُثْرِينَ دَاعِيهَا

يروى لجنوب أخت عمرو ذي الكلب الهذلي في أبيات لها في غير يوم أحد [(١)].

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك، يجيب هبيرة بن أبي وهب: [من الطويل]

أَلاَ هَلْ أَتَى غَسَّانَ عَنَّا وَدُونَهُمْ ... مِنَ الأَرْضِ خَرْقٌ سَيْرُهُ مُتَنَعْنِعُ؟

صَحَارٍ وَأَعْلاَمٌ كَأَنَّ قَتَامَهَا ... مِنَ الْبُعْدِ نَقْعٌ هَامِدٌ مُتَقَطِّعُ

تَظَلُّ بِهِ الْبُزْلُ الْعَرَامِيسُ رُزَّحًا ... وَيَخْلُو بِهِ غَيْثُ السِّنِينَ فَيُمْرِعُ

بِهِ جِيَفُ الْحَسْرَى يَلُوحُ صَلِيبُهَا ... كَمَا لاَحَ كَتَّانُ التِّجَارِ الْمُوَضَّعُ

بِهِ الْعِينُ وَالآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً ... وَبِيضُ نَعَامٍ قَيْضُهُ يَتَفَلَّعُ

مُجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا كُلُّ فَخْمَةٍ ... مُذَرَّبَةٍ فِيهَا الْقَوَانِسُ تَلْمَعُ

وَكُلُّ صَمُوتٍ فِي الصِّوَانِ كَأَنَّهَا ... إِذَا لُبِسَتْ نِهْيٌ مِنَ الْمَاءِ مُتْرَعُ

وَلَكِنْ بِبَدْرٍ سَائِلُوا مَنْ لَقِيتُمُ ... مِنَ النَّاسِ، وَالأَنْبَاءُ بِالْغَيْبِ تَنْفَعُ

وَإِنَّا بِأَرْضِ الْخَوْفِ لَوْ كَانَ أَهْلُهَا ... سِوَانَا لَقَدْ أَجْلَوْا بِلَيْلٍ فَأَقْشَعُوا

إِذَا جَاءَ مِنَّا رَاكِبٌ كَانَ قَوْلُهُ ... أَعِدُّوا لِمَا يُزْجِي ابْنُ حَرْبٍ وَيَجْمَعُ

فَمَهْمَا يُهِمُّ النَّاسَ مِمَّا يَكِيدُنَا ... فَنَحْنُ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَوْسَعُ

فَلَوْ غَيْرُنَا كَانَتْ جَمِيعًا تَكِيدُهُ الْـ ... ـبَرِيَّةُ قَدْ أَعْطَوْا يَدًا وَتَوَرَّعُوا

نُجَالِدُ لاَ تَبْقَى عَلَيْنَا قَبِيلَةٌ ... مِنَ النَّاسِ إِلاَّ أَنْ يُهَانُوا وَيُفْظَعُوا

وَلَمَّا ابْتَنَوْا بِالْعِرْضِ قَالَ سَرَاتُنَا ... عَلاَمَ إِذَا لَمْ نَمْنَعِ الْعِرْضَ نَزْرَعُ؟!

وَفِينَا رَسُولُ اللهِ نَتْبَعُ أَمْرَهُ ... إِذَا قَالَ فِينَا الْقَوْلَ لاَ نَتَظَلَّعُ

تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ... يُنَزَّلُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ وَيُرْفَعُ

نُشَاوِرُهُ فِيمَا نُرِيدُ وَقَصْرُنَا ... إِذَا مَا اشْتَهَى أَنَّا نُطِيعُ وَنَسْمَعُ

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ لَمَّا بَدَوْا لَنَا: ... ذَرُوا عَنْكُمُ هَوْلَ الْمَنِيَّاتِ وَاطْمَعُوا

وَكُونُوا كَمَنْ يَشْرِي الْحَيَاةَ تَقَرُّبًا ... إِلَى مَلِكٍ يُحْيَا لَدَيْهِ وَيُرْجَعُ

وَلَكِنْ خُذُوا مِيثَاقَكُمْ وَتَوَكَّلُوا ... عَلَى اللهِ؛ إِنَّ الأَمْرَ للهِ أَجْمَعُ

فَسِرْنَا إِلَيْهِمْ جَهْرَةً فِي رِحَالِهِمْ ... ضُحَيًّا عَلَيْنَا الْبِيضُ لاَ نَتَخَشَّعُ

---

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/ ٨٨).

بِمَلْمُومَةٍ فِيهَا السَّنَوَّرُ وَالْقَنَا … إِذَا ضَرَبُوا أَقْدَامَهَا لاَ تُوَرَّعُ

فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسْطَهُ … أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ

ثَلاَثَةُ آلاَفٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةٌ[1] … ثَلاَثُ مِئِينَ إِنْ كَثُرْنَا فَأَرْبَعُ

نُغَاوِرُهُمْ تَجْرِي الْمَنِيَّةُ بَيْنَنَا … نُشَارِعُهُمْ حَوْضَ الْمَنَايَا وَنَشْرَعُ

تَهَادَى قِسِيُّ النَّبْعِ فِينَا وَفِيهِمُ … وَمَا هُوَ إِلاَّ الْيَثْرِبِيُّ الْمُقَطَّعُ

وَمَنْجُوفَةٌ حِرْمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةٌ … يُذَرُّ عَلَيْهَا السَّمُّ سَاعَةَ تُصْنَعُ

تَصُوبُ بِأَبْدَانِ الرِّجَالِ وَتَارَةً … تَمُرُّ بِأَعْرَاضِ الْبِصَارِ تَقَعْقَعُ

وَخَيْلٌ تَرَاهَا بِالْفَضَاءِ كَأَنَّهَا … جَرَادُ صَبًا فِي قَرَّةٍ يَتَرَيَّعُ

فَلَمَّا تَلاَقَيْنَا وَدَارَتْ بِنَا الرَّحَا … وَلَيْسَ لأَمْرٍ حَمَّهُ اللهُ مَدْفَعُ

ضَرَبْنَاهُمُ حَتَّى تَرَكْنَا سَرَاتَهُمْ … كَأَنَّهُمُ بِالْقَاعِ خُشْبٌ مُصَرَّعُ

لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى اسَتَفَقْنَا عشيةً … كَأَنَّ ذَكَانَا حَرُّ نَارٍ تَلَفَّعُ

وَرَاحُوا سِرَاعًا مُوجَعِينَ كَأَنَّهُمْ … جَهَامٌ هَرَاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مُقْلِعُ

وَرُحْنَا وَأُخْرَانَا بِطَاءٌ كَأَنَّنَا … أُسُودٌ عَلَى لَحْمٍ بِبِيشَةَ ضُلَّعُ

فَنِلْنَا وَنَالَ الْقَوْمُ مِنَّا وَرُبَّمَا … فَعَلْنَا وَلكِنْ ما لَدَى اللهِ أَوْسَعُ

وَدَارَتْ رَحَانَا وَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمُ … وَقَدْ جَعَلُوا كُلٌّ مِنَ الشَّرِّ يَشْبَعُ

وَنَحْنُ أُنَاسٌ لاَ نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً … عَلَى كُلِّ مَنْ يَحْمِي الذِّمَارَ وَيَمْنَعُ

جِلاَدٌ عَلَى رَيْبِ الْحَوَادِثِ لاَ نَرَى … عَلَى هَالِكٍ عَيْنًا لَنَا الدَّهْرَ تَدْمَعُ

بَنُو الْحَرْبِ لاَ نَعْيَا بِشَيْءٍ نَقُولُهُ … وَلاَ نَحْنُ مِمَّا جَرَّتِ الْحَرْبُ نَجْزَعُ

بَنُو الْحَرْبِ إِنْ نَظْفَرْ فَلَسْنَا بِفُحَّشٍ … وَلاَ نَحْنُ مِنْ أَظْفَارِهَا نَتَوَجَّعُ

وَكُنَّا شِهَابًا يَتَّقِي النَّاسُ حَرَّهُ … وَيفْرُجُ عَنْهُ مَنْ يَلِيهِ وَيسْفَعُ

فَخَرْتَ عَلَيَّ ابْنَ الزِّبَعْرَى وَقَدْ سَرَى … لَكُمْ طَلَبٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُتْبعُ

فَسَلْ عَنْكَ فِي عَلْيَا مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا … مِنَ النَّاسِ: مَنْ أَخْزَى مَقَامًا وَأَشْنَعُ؟!

ومَنْ هُوَ لَمْ تَتْرُكْ لَهُ الْحَرْبُ مَفْخَرًا؟! … وَمَنْ خَدُّهُ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ أَضْرَعُ؟!

شَدَدْنَا بِحَوْلِ اللهِ وَالنَّصْرِ شَدَّةً … عَلَيْكُمْ، وَأَطْرَافُ الأَسِنَّةِ شُرَّعُ

---

(١) في ط: عصابة. والمثبت من السيرة، والبداية والنهاية. ونصية: خيار القوم.

فَكُرُ الْقَنَا فِيكُمْ كَأَنَّ فُرُوعَهَا عَزَالَى مَزَادٍ مَاؤُهَا يَتَهَزَّعُ
عَمَدْنَا إِلَى أَهْلِ اللِّوَاءِ وَمَنْ يَطِرْ بِذِكْرِ اللِّوَاءِ فَهْوَ فِي الْحَمْدِ أَسْرَعُ
فَخَانُوا وَقَدْ أَعْطَوْا يَدًا وَتَخَاذَلُوا أَبَى اللهُ إِلاَّ أَمْرَهُ وَهْوَ أَصْنَعُ[١]

قال ابن هشام: وكان كعب قد قال: «مجالدنا عن جذمنا كل فخمة» [٢]، فقال رسول الله ﷺ: «أيصلح أن تقول: مجالدنا عن ديننا؟» فقال كعب: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «فهو أحسن» فقال كعب: «مجالدنا عن ديننا» [٣].

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن الزبعرى فى يوم أحد: [من الرمل]

يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتَ فَقُلْ إِنَّمَا تَنْطِقُ شَيْئًا قَدْ فُعِلْ
إِنَّ لِلْخَيْرِ وَلِلشَّرِّ مَدًى وَكِلاَ ذَلِكَ وَجْهٌ وَقَبَلْ
والْعَطِيَّاتُ خِسَاسٌ بَيْنَنَا[٤] وَسَوَاءٌ قَبْرُ مُثْرٍ وَمُقِلْ
كُلُّ عَيْشٍ وَنَعِيمٍ زَائِلٌ وَبَنَاتُ الدَّهْرِ يَلْعَبْنَ بِكُلّ
أَبْلِغَا حَسَّانَ عَنِّي آيَةً فَقَرِيضُ الشِّعْرِ يَشْفِي ذَا الْغُلَلْ
كَمْ تَرَى بِالْجَرِّ مِنْ جُمْجُمَةٍ وَأَكُفٌّ قَدْ أُتِرَّتْ وَرِجِلْ
وَسَرَابِيلَ حِسَانٍ عَرِيَتْ عَنْ كُمَاةٍ أُهْلِكُوا فِي الْمُنْتَزَلْ
كَمْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ سَيِّدٍ مَاجِدِ الجَدَّيْنِ مِقْدَامٍ بَطَلْ
صَادِقِ النَّجْدَةِ قَرْمٍ بَارِعٍ غَيْرِ مُلْتَاثٍ لَدَى وَقْعِ الأَسَلْ
فَسَلِ الْمِهْرَاسَ مَا سَاكِنُهُ بَيْنَ أَقْحَافٍ وَهَامٍ كَالْحَجَلْ
لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الأَسَلْ
حِينَ حَكَّتْ بِقُبَاءٍ بَرْكَهَا واسْتَحَرَّ الْقَتْلُ فِي عَبْدِ الأَشَلْ
ثُمَّ خَفُّوا عِنْدَ ذَاكُمْ رُقَّصًا رَقَصَ الْحَفَّانِ يَعْلُو فِي الْجَبَلْ
فَقَتَلْنَا الضِّعْفَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَدْرٍ فَاعْتَدَلْ
لاَ أَلُومُ النَّفْسَ إِلاَّ أَنَّنَا لَوْ كَرَرْنَا لَفَعَلْنَا الْمُفْتَعَلْ

---

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/ ٨٨ - ٩٥) والبداية (٤/ ٦١ - ٦٣) وسبل الهدى والرشاد (٤/ ٢٣٢)
(٢) جذمنا: أصلنا. والفخمة: الكتيبة الضخمة.
(٣) ينظر السيرة النبوية (٣/ ٩٥ - ٩٦) وسبل الهدى والرشاد (٤/ ٢٣٣).
(٤) في البداية والنهاية: بينهم.

بِسُيُوفِ الْهِنْدِ تَعْلُو هَامَهُمْ عَلَلًا تَعْلُوهُمُ بَعْدَ نَهَلْ[١]

فأجابه حسان بن ثابت: [من الرمل]

ذَهَبَتْ يَابْنَ الزِّبَعْرَى وَقْعَةٌ كَانَ مِنَّا الْفَضْلُ فِيهَا لَوْ عَدَلْ

وَلَقَدْ نِلْتُمْ وَنِلْنَا مِنْكُمْ وَكَذَاكَ الْحَرْبُ أَحْيَانًا دُوَلْ

نَضَعُ الأَسْيَافَ فِي أَكْتَافِكُمْ حَيْثُ نَهْوَى عَلَلًا بَعْدَ نَهَلْ

نُخْرِجُ الأَضْبَحَ مِنْ أَسْتَاهِكُمْ كَسُلَاحِ النيبِ يَأْكُلْنَ الْعَصَلْ

إِذْ تُوَلُّونَ عَلَى أَعْقَابِكُمْ هَرَبًا فِي الشِّعْبِ أَشْبَاهَ الرَّسَلْ

إِذْ شَدَدْنَا شَدَّةً صَادِقَةً فَأَجَأْنَاكُمْ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلْ

بِخَنَاطِيلَ كَأَشْدَافِ[٢] المَلَا مَنْ يُلَاقُوهُ مِنَ النَّاسِ يُهَلْ

ضَاقَ عَنَّا الشِّعْبُ إِذْ نَجْزَعُهُ وَمَلأْنَا الْفُرْطَ مِنْهُ وَالرِّجَلْ

بِرِجَالٍ لَسْتُمُ أَمْثَالَهُمْ أُيِّدُوا جِبْرِيلَ نَصْرًا فَنَزَلْ

وَعَلَوْنَا يَوْمَ بَدْرٍ بِالتُّقَى طَاعَةَ الله وَتَصْدِيقِ الرُّسُلْ

وَقَتَلْنَا كُلَّ رَأْسٍ مِنْهُمُ وَقَتَلْنَا كُلَّ جَحْجَاحٍ رفل

وَتَرَكْنَا فِي قُرَيْشٍ عَوْرَةً يَوْمَ بَدْرٍ وَأَحَادِيثَ الْمَثَلْ

وَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا شَاهِدٌ يَوْمَ بَدْرٍ وَالتَّنَابِيلُ الْهُبَلْ

في قريش مِنْ جُمُوعٍ جَمَّعُوا مِثْلَ ما يُجْمَعُ في الخِصْبِ الهمَلْ

نَحْنُ لا أَمْثَالُكُمْ وِلْدَ اسْتِهَا نَحْضُرُ البَأْسَ إِذَا البَأْسُ نَزَلْ[٣]

قال ابن هشام: وأنشدني أبو زيد الأنصاري: «وأحاديث المثل»، والبيت الذي قبله. وقوله: «في قريش من جموع جمعوا» عن غير ابن إسحاق [٤].

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبد المطلب وقتلى أحد

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٣/ ٩٦ ، ٩٧)، والبداية والنهاية (٤/ ٦٣ - ٦٤) .

(٢) فى ط، والبداية: أشداق. والمثبت كما في السيرة. ويروى: كأمذاق. والخناطيل: الجماعات. والأمذاق: أخلاط الناس. والأشدفي الفرس العظيم. والملا: ما اتسع من الأرض.

(٣) ينظر السيرة النبوية (٣/ ٩٨ - ١٠٠) والبداية والنهاية (٤/ ٦٤ - ٩٥) وسبل الهدى والرشاد (٤/ ٢٣٤ - ٢٣٥) .

(٤) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٠٠).

من المسلمين: [من المتقارب]

نَشَجْتَ وَهَلْ لَكَ مِنْ مَنْشَجِ وَكُنْتَ مَتَى تَذَّكِرْ تَلْجَجِ
تَذَكُّرَ قَوْمٍ أَتَانِي لَهُمْ أَحَادِيثُ فِي الزَّمَنِ الأَعْوَجِ
فَقَلْبُكَ مِنْ ذِكْرِهِمْ خَافِقٌ مِنَ الشَّوْقِ والحُزْنِ المُنْضَجِ
وَقَتْلاَهُمُ في جِنَانِ النَّعِيمِ كِرَامُ المَدَاخِلِ والمخرَجِ
بِمَا صَبَرُوا تَحْتَ ظِلِّ اللِّوَاءِ لواءِ الرَّسُولِ بِذي الأَضْوُجِ
غَدَاةَ أَجَابَتْ بِأَسْيَافِهَا جميعًا بَنُو الأَوْسِ والخزرجِ
وأشياع أحْمَدَ إذْ شايعوا عَلَى الحق ذِي النُّورِ والمنْهجِ
فَمَا بَرِحُوا يَضْرِبُونَ الكُمَاةَ وَيَمْضُونَ في القَسْطَلِ المُرْهَجِ
كَذَلِكَ حَتَّى دَعَاهُمْ مَلِيكٌ إِلَى جَنَّةٍ دَوْحَةِ المَوْلِجِ
فَكُلُّهُمُ مَاتَ حُرَّ البَلاَءِ عَلَى مِلَّةِ اللهِ لَمْ يَحْرَجِ
كَحَمْزَةَ لمَّا وَفَى صَادِقًا بِذِي هَبَّةٍ صَارِمٍ سَلْجَجِ
فَلاَقَاهُ عَبْدُ بَنِي نَوْفَلٍ يُبَرْبِرُ كالجَمَلِ الأَدْعَجِ
فأَوجَرَهُ حَرْبَةً كالشِّهَابِ تَلَهَّبُ في اللهَبِ المُوهَجِ
وَنُعمانُ أوْفى بميثَاقِهِ وَحَنْظَلَةُ الخيرِ لم يُحْنَجِ
عن الحَقِّ حتَّى غَدَتْ رُوحُهُ إِلَى مَنْزِلٍ فَاخِرِ الزِّبْرِجِ
أولئك لاَ مَنْ ثوى مِنْكُمُ مِنَ النَّارِ في الدَّرْكِ المُرْتَجِ[1]

فأجابه ضرار بن الخطاب الفهري: [من المتقارب]

أَيَجْزَعُ كَعْبٌ لأشياعِهِ ويبكي من الزمن الأعوج؟!
عَجِيجَ المُذَكِّي رَأَى إِلْفَهُ تَرَوَّحَ فِي صَادِرٍ مُحْنَجِ
فَرَاحَ الرَّوَايَا وَغَادَرْنَهُ يُعَجْعِجُ قَسْرًا وَلَمْ يُحْدَجِ
فَقُولاَ لِكَعْبٍ: يُثَنِّ البُكَا وَلِلنيءِ مِنْ لَحْمِهِ يَنْضجِ
لِمَصْرَعِ إِخْوَانِهِ في مَكَرٍّ مِنَ الخيل ذِي قَسْطَلٍ مُرْهجِ
فَيَا لَيْتَ عَمْرًا وَأَشْيَاعَهُ وَعُتْبَةَ في جَمْعِنَا السَّوْرَجِ
فَيَشْفُوا النُّفُوسَ بِأَوْتَارِهَا بِقَتْلَى أُصِيبَتْ مِن الخَزْرَجِ

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٠٠ - ١٠٢) والبداية والنهاية (٤/ ٦٥ - ٦٦).

وَقَتْلَى من الأوْسِ في مَعْرَكٍ أُصيبوا جميعًا بِذِي الأضْوَجِ
وَمَقْتلِ حَمْزَةَ تَحْتَ اللِّوَاءِ بِمُطَّرِدٍ مَارِنٍ مُخْلَجِ
وَحَيْثُ انْثَنَى مُصْعَبٌ ثَاوِيًا بِضَرْبَةِ ذِي هَبَّةٍ سَلْجَجِ
بِأُحْدٍ، وأَسْيَافُنَا فِيهِمُ تَلَهَّبُ كَاللَّهَبِ المُوهِجِ
غَدَاةَ لقيناكُمُ في الحَديدِ كَأُسْدِ البَرَاحِ فَلَمْ تُعْنَجِ
بِكُلِّ مُجَلَّحَةٍ كَالعُقَابِ وَأَجْرَدَ ذِي مَيْعَةٍ مُسْرَجِ
فَدُسْنَاهُمُ ثَمَّ حَتَّى انْثَنَوْا سِوَى زَاهِقِ النَّفْسِ أَوْ مُحْرَجِ[1]

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرُ هذا لضرار، وقول كعب: «ذي النور والمنهج» عن أبي زيد الأنصاري.

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن الزبعرى في يوم أحد: [من الطويل]

ألاَ ذَرَفَتْ مِنْ مقلَتَيْكَ دُمُوعُ وَقَدْ بَانَ مِنْ حَبْلِ الشَّبَابِ قُطُوعُ؟!
وشَطَّ بِمَنْ تَهْوَى المزَارُ وَفَرَّقَتْ نَوَى الحيِّ دَارٌ بِالحَبِيبِ فَجُوعُ
وَلَيْسَ لِمَا وَلَّى عَلَى ذي حَرَارَةٍ وَإِنْ طَالَ تَذْرَافُ الدُّمُوعِ رُجُوعُ
فَذَرْ ذَا، وَلَكِنْ هَلْ أَتَى أُمَّ مَالِكٍ أَحَادِيثُ قَوْمِي، والحدِيثُ يشيعُ
وَمَجْنَبُنَا جُرْدًا إِلَى أَهْلِ يثْرِبٍ عَنَاجِيجَ مِنْهَا مُتْلَدٌ وَنَزِيعُ
عَشيَّةَ سِرْنَا فِي لهامٍ يَقُودنا ضَرُورُ الأَعَادِي للصديقِ نَفُوعُ
نَشُدُّ عَلَيْنَا كُلَّ زَغْفٍ كَأَنَّهَا غَدِيرٌ بِضَوْجِ الوَادِيَيْنِ نَقِيعُ
فَلَمَّا رَأَوْنَا خَالَطَتْهُمْ مَهَابَةٌ وَعَايَنَهُمْ أَمْرٌ هُنَاكَ فَظِيعُ
وَوَدُّوا لَو انَّ الأَرْضَ يَنْشَقُّ ظَهْرُهَا بِهِمْ وَصَبُورُ القَوْمِ ثَمَّ جَزُوعُ
وَقَدْ عُرِّيَتْ بِيضٌ كَأَنَّ وَمِيضَهَا حَرِيقٌ تَرَقَّى فِي الأَبَاءِ سَرِيعُ
بِأَيْمَانِنَا نَعْلُو بِهَا كُلَّ هَامَةٍ وَمِنْهَا سِمَامٌ لِلْعَدُوِّ ذَرِيعُ
فَغَادَرْنَ قَتْلَى الأَوْسِ عَاصِبَةً بِهِمْ ضِبَاعٌ وَطَيْرٌ يَعْتَفِينَ وقُوعُ
وَجَمْعُ بَنِي النَّجَّارِ فِي كُلِّ تَلْعَةٍ بِأَبْدَانِهِمْ مِنْ وَقْعِهِنَّ نَجِيعُ
وَلَوْلاَ عُلُوُّ الشِّعْبِ غَادَرْنَ أَحْمَدًا وَلَكِنْ عَلاَ، والسَّمْهَرِيُّ شَرُوعُ
كَمَا غَادَرَتْ في الكرِّ حَمْزَةَ ثَاوِيًا وفِي صَدْرِهِ مَاضِي الشَّبَاةِ وَقِيعُ

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٠٢ - ١٠٤).

وَنُعْمَانَ قَدْ غَادرْنَ تَحتَ لِوَائِهِ عَلَى لَحْمِهِ طَيْرٌ يَجِفْنَ وُقُوعُ
بِأُحْدٍ وَأَرْمَاحُ الكُمَاةِ يَرُدْنَهُمْ كَمَا غَالَ أَشْطَانَ الدِّلَاءِ نُزُوعُ[1]

فأجابه حسان بن ثابت فقال: [من الطويل]

أَشَاقَكَ مِنْ أُمِّ الوليدِ ربُوعُ بلاَقِعُ مَا مِنْ أَهْلِهِنَّ جَمِيعُ؟
عَفَاهُنَّ صَيْفِيُّ الرِّيَاحِ وَوَاكِفٌ مِنَ الدَّلْوِ رَجَّافُ السَّحَابِ هَمُوعُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَوْقِدُ النَارِ حَوْلَهُ رَوَاكِدُ أَمثَالُ الحمام كنوعُ
فَدَعْ ذِكْرَ دَارٍ بددتْ بَيْنَ أَهْلِهَا نَوًى لِمَتيناتِ الحبَالِ قَطُوعُ
وَقُلْ إِنْ يَكُنْ يَوْمٌ بِأُحْدٍ يَعُدُّهُ سَفِيهٌ فَإِنَّ الحَقَّ سَوْفَ يَشيعُ
فَقَدْ صَابَرَتْ فِيهِ بَنُو الأَوْسِ كُلُّهُمْ وَكَانَ لَهُمْ ذِكْرٌ هُنَاكَ رَفِيعُ
وَحَامى بَنُو النَّجَّارِ فِيهِ وَصَابرُوا وَمَا كَانَ مِنْهُمْ في اللقَاءِ جزوعُ
أمام رسُولِ اللهِ لا يخذلُونه لَهُمْ نَاصِرٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَشَفِيعُ
وَفَوْا إِذْ كَفَرْتُمْ- يا سَخِينَ- بِرَبِّكُمْ وَلاَ يَسْتَوِي عَبْدٌ وَفَى وَمُضِيعُ
بِأَيْدِيهِمُ بيضٌ إِذَا حَمِشَ الوَغَى فَلاَ بُدَّ أَنْ يَرْدَى لَهُنَّ صَرِيعُ
كَمَا غَادَرَتْ في النَّقْعِ عُتْبَةَ ثَاوِيًا وسَعْدًا صَرِيعًا، والوَشِيجُ شُروعُ
وَقَدْ غَادَرَتْ تَحتَ العَجَاجَةِ مُسْنَدًا أُبيًّا وَقَدْ بَلَّ القَمِيصَ نَجِيعُ
بِكَفِّ رَسُولِ الله حَيْثُ تَنَصَّبَتْ عَلَى القَومِ مِمَّا قَدْ يُثِرْنَ نُقُوعُ
أُولئِكَ قَوْمٌ سَادَةٌ مِنْ فُرُوعِكُمْ وَفِي كُلِّ قَوْمٍ سَادَةٌ وَفُرُوعُ
بِهِنَّ نُعِزُّ الله حَتَّى يُعِزَّنَا وَإِنْ كَانَ أَمْرٌ- يَا سَخِينَ- فظيعُ
فَلاَ تَذْكُرُوا قَتْلَى وَحَمْزَةُ فِيهِمُ قَتِيلٌ ثَوَى لِلَّهِ وَهْوَ مُطِيعُ
فَإِنَّ جِنَانَ الخُلْدِ مَنْزِلَةٌ لَهُ وَأَمْرُ الَّذِي يَقْضِي الأُمُورَ سَرِيعُ
وَقَتْلاَكُمُ فِي النَّارِ أَفْضَلُ رِزْقِهِمْ حَمِيمٌ مَعًا في جَوْفِهَا وضَرِيعُ[2]

قال ابن إسحاق: وقال عمرو بن العاص في يوم أحد: [من الطويل]

خَرَجْنَا مِنَ الفيفا عليهم كأَنَّنَا مَعَ الصُّبْحِ مِنْ رَضْوَى الحبيكُ المنطقُ
تَمَنَّتْ بَنُو النَّجَّارِ جَهْلاً لِقَاءنَا لَدَى جَنْبِ سَلْعٍ، وَالأَمَانِيُّ تَصْدُقُ

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٠٤ - ١٠٧).
(٢) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٠٧ - ١١٠).

فَمَا رَاعَهُمْ بِالشَّرِّ إِلاَّ فُجَاءَةً كَرَادِيسُ خَيْلٍ فِي الأَزِقَّةِ تَمْرُقُ
أَرَادُوا لِكَيْمَا يَسْتَبِيحُوا قِبَابَنَا وَدُونَ القِبَابِ اليَوْمَ ضَرْبٌ مُحَرِّقُ
وكانَتْ قِبَابًا أومنَتْ قبْلَ مَا تَرَى إِذَا رَامَهَا قَوْم أُبِيحُوا وأُخْنِقُوا
كأن رءوس الخزرجيين غُدْوَةً وَأَيمَانَهُمْ بِالمَشْرفِيَّةِ بَرْوَقُ[1]

فأجابه كعب بن مالك فيما ذكر ابن هشام فقال: [من الطويل]

ألا أبلغا فهرًا عَلَى نَأْيِ دَارِهَا وعنْدَهُمْ مِنْ عِلْمنَا اليَوْمَ مَصْدَقُ
بِأَنَّا غَدَاةَ السَّفحِ مِنْ بَطْنِ يَثْرِبٍ صَبَرْنَا، وَرَايَاتُ المَنِيَّةِ تَخْفِقُ
صَبَرْنَا لَهُمْ والصَّبْر مِنَّا سَجِيَّةٌ إِذَا طَارَتِ الأَبْرَامُ نَسْمُو وَنَرْتُقُ
عَلَى عَادَةٍ تِلْكُمْ جَرَيْنَا بِصَبْرِنَا وَقِدْمًا لَدى الغَايَاتِ نَجْرِي فَنَسْبِقُ
لَنَا حَوْمَةٌ لاَ تُسْتَطَاعُ يَقُودُهَا نَبِيٌّ أَتَى بِالحَقِّ عَفٌّ مُصَدَّقُ
أَلاَ هَلْ أَتَى أَفْنَاءَ فِهْرِ بْن مَالِكٍ مُقَطَّعُ أَطْرَافٍ وَهَامٌ مُفَلَّقُ؟![2]

وقال عمرو بن العاص: [من مجزوء الكامل]

لَمَّا رَأَيْتُ الحرْبَ يَنْـ ـزُو شَرّهَا بِالرَّضْفِ نَزْوَا
وَتَنَازَلَتْ[3] شَهْبَاءُ تَلْـ ـحُو النَّاسَ بِالضَّرَّاءِ لَحْوَا
أَيْقَنْتُ أَنَّ المَوتَ حَقْـ ـقٌ، وَالحياةُ تَكُونُ لَغْوَا
حَمَّلْتُ أَثْوَابِي عَلَى عَتَدٍ يَبُذُّ الخيْلَ رَهْوَا
رَبِذٍ كَيَعْفُورِ الصَّرِيـ ـمةِ رَاعَهُ الرَّامُونَ دَحْوَا
شَنِجٍ نَسَاهُ ضَابِطٍ لِلْخَيْلِ إِرْخَاءً وَعَدْوَا
فَفِدًى لَهُمْ أُمِّي غَدَا ةَ الرَّوْعِ إِذْ يَمْشُونَ قَطْوَا
سَيْرًا إِلَى كَبْشِ الْكَتِيـ ـبَةِ إِذْ جَلَتْهُ الشَّمْسُ جَلْوَا[4]

قال ابن إسحاق: فأجابه كعب بن مالك فقال: [من البسيط]

أَبْلِغْ قُرَيْشًا وَخَيْرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ وَالصِّدْقُ عِنْدَ ذَوِي الأَلْبَابِ مَقْبُولُ
أَنْ قَدْ قَتَلْنَا بِقَتْلاَنَا سَرَاتَكُمْ أَهْلَ اللِّوَاءِ فَفِيمَا يَكْثُرُ القِيلُ

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١١٠ - ١١١).
(٢) ينظر المصدر السابق (٣/ ١١١ - ١١٢).
(٣) في السيرة: وتناولت.
(٤) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١١٦، ١١٧).

وَيَوْمَ بَدْرٍ لقينَاكُمْ لَنَا مَدَدٌ فِيهِ مَعَ النَّصْرِ مِيكَالٌ وَجِبْرِيلُ
إِنْ تَقْتُلُونَا فَدِينُ الحقِّ فِطْرَتُنَا والقتْلُ فى الحقِّ عِنْدَ اللَّهِ تَفْضِيلُ
وَإِنْ تَرَوْا أَمْرَنَا فِي رَأْيِكُمْ سفهًا فَرَأْىُ مَنْ خَالَفَ الإِسْلاَمَ تَضْلِيلُ
فَلاَ تَمَنَّوْا لِقَاحَ الحربِ واقْتَعِدُوا إِنَّ أَخَا الحربِ أَصْدى اللَّوْنِ مَشْغُولُ
إِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا ضَرْبًا تُرَاحُ لَهُ عُرْجُ الضِّبَاعِ لَهُ خَذْمٌ رَعَابِيلُ
إِنَّا بَنُو الحرْبِ نَمْرِيهَا وَنَنْتُجُهَا وَعِنْدَنَا لِذوِى الأَضْغَانِ تَنْكِيلُ
إِنْ يَنْجُ مِنْهَا ابْنُ حَرْبٍ بَعْدَ مَا بَلَغَتْ مِنْهُ التَّرَاقِي وَأَمْرُ اللهِ مَفْعُولُ
فَقَدْ أَفَادَتْ لَهُ حِلْمًا وَمَوعظَةً لِمَنْ يكُونُ لَهُ لُبٌّ وَمَعْقُولُ
وَلَوْ هَبَطْتُمْ بِبَطْنِ السَّيْلِ كَافَحَكُمْ ضَرْبٌ بِشَاكِلَةِ البَطْحَاءِ تَرعِيلُ
تَلْقَاكُمُ عُصَبٌ حَوْلَ النَّبِيِّ لَهُمْ مِمَّا يُعِدّونَ لِلْهَيْجَا سَرَابِيلُ
مِنْ جِذْمِ غَسَّانَ مُسْتَرْخٍ حَمَائِلُهُمْ لاَ جُبَنَاءُ وَلاَ مِيلٌ مَعَازِيلُ
يَمْشُونَ تَحتَ عَمَايَاتِ القِتَالِ كَمَا تَمْشِي المصَاعِبَةُ الأُدْمُ المَرَاسِيلُ
أَوْ مِثْلِ مشي أُسُود الطلِّ أَلْثَقَهَا يَوْمُ رَذَاذٍ مِنَ الجَوْزَاءِ مَشْمُولُ
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ كَالنِّهْي مُحْكَمَةٍ قِيَامُهَا فَلَجٌ كَالسَّيْفِ بُهْلُولُ
تَرُدُّ حَدَّ قِرَانِ النَّبْلِ خَاسِئَةً وَيَرْجعُ السَّيْفُ عَنْهَا وَهْوَ مَفْلُولُ
وَلَوْ قَذَفتمْ بِسَلْعٍ عَنْ ظُهُورِكُمُ وَلِلْحَيَاةِ وَدَفْع الموْتِ تَأْجِيلُ
مَا زَالَ فِي القَوْمِ وَتْرٌ منكُمُ أَبَدًا تَعْفُو السلاَمُ عَلَيْهِ وَهْوَ مَطْلُولُ
عَبْدٌ وَحُرٌّ كَرِيمٌ مُوثَقٌ قَنَصًا شَطْرَ المَدِينَةِ مَأْسُورٌ وَمَقْتُولُ
كُنَّا نُؤَمِّلُ أُخْرَاكُمْ فَأَعجَلَكُمْ مِنَّا فَوَارِسُ لاَ عُزْلٌ وَلاَ مِيلُ
إِذَا جَنَى فِيهِمُ الجَانِي فَقَدْ عَلِمُوا حَقًّا بِأَنَّ الَّذِي قَدْ جَرَّ مَحْمُولُ
مَا يَجْنِ لاَ يَجْنِ[١] مِنْ إِثْمٍ مُجَاهَرَةً وَلاَ مَلُومٌ وَلاَ فِي الغُرْمِ مَخْذُولُ[٢]

وقال حسان بن ثابت يذكر عدة أصحاب اللواء يوم أحد [من الخفيف]:

مَنَعَ النَّوْمَ بِالعِشَاءِ الهُمُومُ وَخَيَالٌ إِذَا تَغُورُ النُّجُومُ
مِنْ حَبِيبٍ أَصَابَ[٣] قَلْبَكَ مِنْهُ سَقَمٌ فَهْوَ دَاخِلٌ مَكْتُومُ

(١) في ط: ما نحن لا نحن والمثبت كما في السيرة.
(٢) ينظر السيرة النبوية (٣/١١٧ - ١٢١).
(٣) في السيرة: أضاف.

يَالَقَوْمِي هَلْ يَقْتُلُ المرءَ مِثْلي وَاهِنُ البَطْشِ والعِظَام سَئُومُ؟
لَوْ يَدِبُّ الحولِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّرْ رِعَلَيْهَا لَأَنْدَبَتْهَا الكُلُومُ
شَأْنُهَا العِطْرُ والفِراشُ وَيَعْلُو هَا لُجينٌ وَلُؤلُؤٌ مَنْظُومُ
لَمْ تَفُتْهَا شَمْسُ النَّهَارِ بشيءٍ غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ لَيْسَ يَدُومُ
إنَّ خَالِي خَطِيبُ جَابِيَةِ الجو لاَنِ [عِنْدَ النُّعْمَانِ حِينَ يَقُومُ
وأَنَا الصَّقْرُ عِنْدَ بَابِ ابْنِ سَلْمَى يَوْمَ نُعْمَانُ فى الكُبُولِ سَقِيمُ][1]
فَأُبِي وَوَاقِدٌ أُطْلِقَا لِي يَوْمَ رَاحَا وَكَبْلُهُ مَحْطُومُ
وَرَهَنْت اليَدَين عَنْهُم جميعًا كُلُّ كَفّ جُزءٌ لَهَا مَقْسُومُ
وَسَطَتْ نِسْبَتِي الذَّوَائِبَ مِنْهُمْ كُلُّ دَارٍ فِيهَا أَبٌ لِي عَظِيمُ
وَأَبِي في سُمَيْحَة القَائِلُ الْفَا صِلُ يَوْمَ الْتَقَتْ عَلَيْهِ الْخُصُومُ
تِلْكَ أَفْعَالُنَا وَفِعْلُ الزِّبَعْرَى خَامِلٌ فِي صَدِيقِهِ مَذْمُومُ
رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ المَا لِ، وَجَهْلٍ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِيمُ!
إنَّ دَهْرًا يَبُورُ فِيهِ ذَوُو الْعِلْـ مِ لَدَهْرٌ هُوَ الْعَتُوُّ الزَّنِيمُ
لاَ تَسُبَّنَّنِي فَلَسْتَ بِسِبِّي إنَّ سِبِّي مِنَ الرِّجَالِ الْكَرِيم
مَا أُبَالِي أَنَبَّ بِالْحَزْنِ تَيسٌ أَمْ لَحَانِي بِظَهْرِ غَيْبٍ لَئِيمُ
وَلِيَ الْبَأْسُ مِنْكُمْ إِذْ رَحَلْتُمْ أُسْرَةٌ مِنْ بَنِي قُصَيٍّ صَمِيمُ
تِسْعَةٌ تَحْمِلُ اللِّوَاءَ وَطَارَتْ فِي رعَاعٍ مِنَ الْقَنَا مَخْزُومُ
وَأَقَامُوا حَتَّى أُبِيحُوا جَمِيعًا فِي مَقَامٍ وَكُلُّهُمْ مَذْمُومُ
بِدَمِ عَانِكٍ وَكَانَ حِفَاظًا أَنْ يُقِيمُواْ إِنَّ الْكَرِيمَ كَرِيمُ
وَأَقَامُوا حَتَّى أُزِيرُوا شَعُوبًا وَالْقَنَا فِي نُحُورِهِمْ مَحْطُومُ
وَقُرَيْشٌ تَفِرُّ مِنَّا لِوَاذًا أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَّ مِنْهَا الْحُلُومُ
لَمْ تطِقْ حَمْلَهُ الْعَوَاتِقُ مِنْهُمْ إِنَّمَا يَحْمِلُ اللوَاءَ النُّجُومُ[2]

قال ابن هشام: وأنشدني أبو عبيدة للحجاج بن علاط السلمي يمدح على بن أبي طالب - رضي الله عنه - ويذكر قتله طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار صاحب لواء المشركين يوم أحد: [من الكامل]

(١) المثبت من السيرة .
(٢) ينظر: السيرة النبوية (٣/ ١٢١ - ١٢٥).

لِـلـه أَيُّ مُـذَبِّـبٍ عَـنْ حُـرْمَـةٍ ... أَعْنِي ابْنَ فَاطِمَةَ الْمُعِمَّ الْمُخْوِلاَ
سَبَقَتْ يَدَاكَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ ... تَرَكَتْ طُلَيْحَةَ لِلْجَبِينِ مُجَدَّلاَ
وَشَدَدْتَ شَدَّةَ بَاسِلٍ فَهَزَمْتَهُمْ (١) ... بِالْجَرِّ إِذْ يَهْوُونَ أَخْوَلَ أَخْوَلاَ(٢)

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يبكى حمزة بن عبد المطلب، ومن أصيب من أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد [من مجزوء الكامل]:

يَـامَـيُّ قُـومِـي فَـانْـدُبِـنْ ... نَ بِسُحْرَةٍ شَجْوَ النَّوَائِحْ
كَالْحَامِلاَتِ الْوَقْرَ بِالثِّـ ... ـقْلِ الْمُلِحَّاتِ الدَّوَالِحْ
أَلْـمُـعْـوِلاَتِ الْـخَـامِشَـا ... تِ وُجُوهَ حُرَّاتٍ صَحَائِحْ
وَكَأَنَّ سَيْلَ دُمُوعِهَا الْـ ... أَنْصَابُ تُخْضَبُ بِالذَّبَائِحْ
يَـنْـقُـضْـنَ أَشْـعَـارًا لَـهُـنْ ... نَ هُنَاكَ بَادِيَةَ الْمَسَائِحْ
وَكَـأَنَّـهَـا أَذْنَـابُ خَـيْـ ... ـلٍ بالضُّحَى شُمْسٍ رَوَامِحْ
مِنْ بَيْنِ مَشْرُورٍ ومَجْـ ... ـزُورٍ يُـذَعْـذَعُ بِـالْـبَـوَارِحْ
يَـبْـكِـيـنَ شَـجْـوَ مُـسَـلَّـبَـا ... تٍ كَـدَّحَـتْـهُـنَّ الْـكَـوَادِحْ
وَلَـقَـدْ أَصَـابَ قُـلُـوبَـهَـا ... مَجْلٌ لَهُ جُلَبٌ قَوَارِحْ
إِذْ أَقْـصَـدَ الْـحِـدْثَـانُ مَـنْ ... كُنَّا نُرَجِّي إِذْ نُشَايِحْ(٣)
أَصْـحَـابَ أُحْـدٍ غَـالَـهُـمْ ... دَهْـرٌ أَلَـمَّ لَـهُ جَـوَارِحْ
مَـنْ كَـانَ فَـارِسَـنَـا وَحَـا ... مِينَا إِذَا بُعِثَ الْمَسَالِحْ
يَـا حَـمْـزَ، لاَ وَالـلـه لاَ ... أَنْسَاكَ مَا صُرَّ اللقَائِحْ
لِـمُـنَـاخِ أَيْـتَـامٍ وَأَضْـ ... ـيَافٍ وَأَرْمَـلَـةٍ تُـلاَمِـحْ
وَلِـمَـا يَـنُـوبُ الـدَّهْـرُ فِـي ... حَرْبٍ لحَرْبٍ وَهْيَ لاَقِحْ
يَـا فَـارِسًـا يَـا مِـدْرَهًـا ... يَا حَمْزَ قَدْ كُنْتَ الْمُصَامِحْ
عَـنَّـا شَـدِيـدَاتِ الْـخُـطُـو ... بِ إِذَا يَنُوبُ لَهُنَّ فَادِحْ
ذَكَّـرْتَـنِـي أَسَـدَ الـرَّسُـو ... لِ وَذَاكَ مِدْرَهُنَا الْمُنَافِحْ
عَـنَّـا وَكَـانَ يُـعَـدُّ إِذْ ... عُدَّ الشَّرِيفُونَ الْجَحَاجِحْ

(١) في السيرة: فكشفتهم.
(٢) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٢٥).
(٣) نشايح: نحذر.

يَـعْـلُـو الْـقَـمَـاقِـمَ جَـهْـرَةً سَبْطَ الْيَدَيْنِ أَغَرَّ وَاضِحْ
لاَ طَـائِـشٌ رَعِـشٌ وَلاَ ذُو عِلَّةٍ بِالْحَمْلِ آنِخْ
بَـحْـرٌ فَلَيْسَ يُغِبُّ جَا رًا مِنْهُ سَيْبٌ أَوْ مَنَادِحْ
أَوْدَى شَبَابُ أُولِي الْحَفَا ئِظِ وَالثَّقِيلُونَ الْمَراجِحْ
أَلْمُطْعِمُونَ إِذَا الْمَشَا تِي مَا يُصَفِّقُهُنَّ نَاضِحْ
لَـحْـمَ الْـجِـلاَدِ وَفَـوْقَـهُ مِنْ شَحْمِهِ شُطَبٌ شَرَائِحْ
لِيُدَافِعُوا عَنْ جَارِهِمْ مَا رَامَ ذُو الضِّغْنِ الْمُكَاشِحْ
لَـهْـفِـي لِـشُـبَّـانٍ رُزِئْـ نَاهُم كَأَنَّهُم الْمَصَابِحْ
شُـمٌّ بَـطَـارِقَـةٍ غَـطَـا رِفَةٍ خَضَارِمَةٍ مَسَامِحْ
أَلْمُشْتَرُونَ الْحَمْدَ بِالْـ أَمْوَالِ إِنَّ الْحَمْدَ رَابِحْ
وَالْجَامِزُونَ بِلُجْمِهِمْ يَوْمًا إِذَا مَا صَاحَ صَائِحْ
مَنْ كَانَ يُرْمَى بِالنَّوَا قِرِ مِنْ زَمَانٍ غَيْرِ صَالِحْ
مَـا إِنْ تَـزَالُ رِكَـابُـهُ يَرْسِمنْ فِي غُبْرٍ صَحَاصِحْ
رَاحَتْ تَبَارَى وَهْوَ فِي رَكْبٍ صُدُورُهُمْ رَوَاشِحْ
حَتَّى تَئُوبَ لَهُ الْمَعَا لِي لَيْسَ مِنْ فَوْزِ السَّفَائِحْ
يَاحَمْزَ، قَدْ أَوْحَدْتَنِي كَالْعُودِ شَذَّبَهُ الْكَوَافِحْ
أَشْكُو إِلَيْكَ وَفَوْقَكَ التُّـ ـرْبُ الْمُكَوَّرُ وَالصَّفَائِحْ
مِنْ جَنْدَلٍ يُلْقِيهِ فَوْ قَكَ إِذْ أَجَادَ الضَّرْحَ ضَارِحْ
فِي وَاسِعٍ يَحْشُونَهُ بِالتُّرْبِ سَوَّتْهُ الْمَمَاسِحْ
فَعَزَاؤُنَا أَنَّا نَقُو لُ وَقَوْلُنَا بَرْحٌ بَوَارِحْ:
مَنْ كَانَ أَمْسَى وَهْوَ عَمْـ ـمَا أَوْقَعَ الْحِدْثَانُ جَانِحْ
فَلْيَأْتِنَا فَلْتَبْكِ عَيْـ ـنَاهُ لِهَلْكَانَا النَّوَافِحْ
أَلْقَائِلِينَ الْفَاعِلِيـ ـنَ ذَوِي السَّمَاحَةِ وَالْمَمَادِحْ
مَنْ لاَ يَزَالُ نَدَى يَدَيْـ ـهِ لَهُ طِوَالَ الدَّهْرِ مَائِحْ

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان، وبيته: «المطعمون إذا المشاتى»، وبيته: «والجامزون بلجمهم»، وبيته: «من كان يرمى بالنواقر» عن غير

ابن إسحاق [(١)].

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت - أيضًا - يبكى حمزة بن عبد المطلب:

[من السريع]

أَتَعْرِفُ الدَّارَ عَفَا رَسْمَهَا بَعْدَكَ صَوْبُ الْمُسْبِلِ الْهاطِلِ
بَيْنَ السَّرَادِيحِ فَأُدْمَانَةٍ فَمَدْفَعِ الرَّوْحَاءِ فِي حَائِلِ
سَأَلْتُهَا عَنْ ذَاكَ فَاسْتَعْجَمَتْ لَمْ تَدْرِ مَا مَرْجُوعَةُ السَّائِلِ
دَعْ عَنْكَ دَارًا قَدْ عَفَا رَسْمُها وَابْكِ عَلَى حَمْزَةَ ذِي النَّائِلِ
أَلْمَالِئِ الشِّيزَى إِذَا أَعْصَفَتْ غَبْرَاءُ فِي ذِي الشَّبِمِ الْمَاحِلِ
والتَّارِكِ الْقِرْنَ لَدَى لِبْدَةٍ يَعْثُرُ فِي ذِي الْخُرُصِ الذَّابِلِ
وَاللَّابِسِ الْخَيْلَ إِذَا أَحْجَمَتْ كَاللَّيْثِ فِي غَابَتِهِ الْبَاسِلِ
أَبْيَضُ فِي الذِّرْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَمْ يَمْرِ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ
مَالَ شَهِيدًا بَيْنَ أَسْيَافِكُمْ شَلَّتْ يَدَا وَحْشِيِّ مِنْ قَاتِلِ
أَيَّ امْرِئٍ غَادَرَ فِي أَلَّةٍ مَطْرُورَةٍ مَارِنَةِ الْعَامِلِ
أَظْلَمَتِ الأَرْضُ لِفِقْدَانِهِ وَاسْوَدَّ نُورُ الْقَمَرِ النَّاصِلِ
صلَّى عَلَيْهِ الله فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ مُكْرَمَةِ الدَّاخِلِ
كُنَّا نَرَى حَمْزَةَ حِرْزًا لَنَا فِي كُلِّ أَمْرٍ نَابَنَا نَازِلِ
وَكَانَ فِي الإِسْلَامِ ذَا تُدْرَإٍ يَكْفِيكَ فَقْدَ الْقَاعِدِ الْخَاذِلِ
لاَ تَفْرَحِي يَا هِنْدُ وَاسْتَحْلِبِي دَمْعًا وَأَذْرِي عَبْرَةَ الثَّاكِلِ
وَابْكِي عَلَى عُتْبَةَ إِذْ قَطَّهُ بِالسَّيْفِ تَحْتَ الرَّهَجِ الْجَائِلِ
إِذْ خَرَّ فِي مَشْيَخَةٍ مِنْكُمُ مِنْ كُلِّ عَاتٍ قَلْبُهُ جَاهِلِ
أَرْدَاهُمُ حَمْزَةُ فِي أُسْرَةٍ يَمْشُونَ تَحتَ الْحَلَقِ الْفَاضِلِ
غَدَاةَ جِبْرِيلُ وَزِيرٌ لَهُ نِعْمَ وَزِيرُ الفَارِسِ الْحَامِلِ [(٢)]

وقال كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبد المطلب: [من الكامل]

طَرَقَتْ هُمُومُكَ فَالرُّقَادُ مُسَهَّدُ وَجَزِعْتَ أَنْ سُلِخَ الشَّبَابُ الأَغْيَدُ

---

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٢٦ - ١٣٢).
(٢) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٣٢ - ١٣٥). وسبل الهدى والرشاد (٤/ ٢٣٨).

وَدَعَتْ فُؤَادَكَ لِلْهَوَى ضَمْرِيَّةٌ فَهَوَاكَ غَوْرِيٌّ وَصَحْبُكَ مُنْجِدُ
فَدَعِ التَّمَادِي فِي الْغَوَايَةِ سَادِرًا قَدْ كُنْتَ فِي طَلَبِ الْغَوَايَةِ تُفْنَدُ
وَلَقَدْ أَنَى لَكَ أَنْ تَنَاهَى طَائِعًا أَوْ تَسْتَفِيقَ إِذَا نَهَاكَ الْمُرْشِدُ
وَلَقَدْ هُدِدْتَ لِفَقْدِ حَمْزَةَ هَدَّةً ظَلَّتْ بَنَاتُ الْجَوْفِ مِنْهَا تُرْعَدُ
وَلَوَ انَّهُ فُجِعَتْ حِرَاءُ بِمِثْلِهِ لَرَأَيْتَ رَاسِيَ صَخْرِهَا يَتَبَدَّدُ
قِرْمٌ تَمَكَّنَ فِي ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ حَيْثُ النُّبُوَّةُ وَالنَّدَى وَالسُّؤْدَدُ
وَالْعَاقِرُ الْكُومِ الْجِلاَدِ إِذَا غَدَتْ رِيحٌ يَكَادُ الْمَاءُ مِنْهَا يَجْمُدُ
وَالتَّارِكُ الْقِرْنَ الْكَمِيَّ مُجَدَّلاً يَوْمَ الْكَرِيهَةِ وَالْقَنَا يَتَقَصَّدُ
وَتَرَاهُ يَرْفُلُ فِي الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ ذُو لِبْدَةٍ شَثْنُ الْبَرَاثِنِ أَرْبَدُ
عَمُّ النَّبِي مُحَمَّدٍ وَصَفِيُّهُ وَرَدَ الْحِمَامَ فَطَابَ ذَاكَ الْمَوْرِدُ
وَأَتَى الْمَنِيَّةَ مُعْلَمًا فِي أُسْرَةٍ نَصَرُوا النَّبِيَّ وَمِنْهُمُ الْمُسْتَشْهِدُ
وَلَقَدْ إِخَالُ بِذَاكَ هِنْدًا بُشِّرَتْ لِتُمِيتَ دَاخِلَ غُصَّةٍ لاَ تَبْرُدُ
مِمَّا صَبَحْنَا بِالْعَقَنْقَلِ قَوْمَهَا يَوْمًا تَغَيَّبَ فِيهِ عَنْهَا الأَسْعَدُ
وَبِبِئْرِ بَدْرٍ إِذْ يَرُدُّ وُجُوهَهُمْ جِبْرِيلُ تَحْتَ لِوَائِنَا وَمُحَمَّدُ
حَتَّى رَأَيْتُ لَدَى النَّبِيِّ سَرَاتَهُمْ قِسْمَيْنِ: نَقْتُلُ مَنْ نَشَاءُ وَنَطْرُدُ
فَأَقَامَ بِالْعَطَنِ الْمُعَطَّنِ مِنْهُمُ سَبْعُونَ عُتْبَةُ مِنْهُمُ وَالأَسْوَدُ
وَابْنَ الْمُغِيرَةِ قَدْ ضَرَبْنَا ضَرْبَةً فَوْقَ الْوَرِيدِ لَهَا رَشَاشٌ مُزْبِدُ
وَأُمَيَّةُ الْجُمَحِيُّ قَوَّمَ مَيْلَهُ عَضْبٌ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ مُهَنَّدُ
فَأَتَاكَ فَلُّ الْمُشْرِكِينَ كَأَنَّهُمْ - وَالْخَيْلُ تَثْفُنُهُمْ - نَعَامٌ شُرَّدُ
شَتَّانَ مَنْ هُوَ فِي جَهَنَّمَ ثَاوِيًا أَبَدًا وَمَنْ هُوَ فِي الْجِنَانِ مُخَلَّدُ(١)

وقال كعب - أيضا - يبكى حمزة بن عبد المطلب: [من المتقارب]

صَفِيَّةُ قُومِي وَلاَ تَعْجِزِي وَبَكِّي النِّسَاءَ عَلَى حَمْزَةِ
وَلاَ تَسْأَمِي أَنْ تُطِيلي الْبُكَا عَلَى أَسَدِ اللهِ فِي الْهِزَّةِ
فَقَدْ كَانَ عِزًّا لأَيْتَامِنَا وَلَيْثَ الْمَلاَحِمِ فِي الْبِزَّةِ

---

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/١٣٦-١٣٩) وسبل الهدى والرشاد (٤/٢٣٨-٢٣٩).

يُـرِيـدُ بِـذَاكَ رِضَـا أَحْـمَـدِ ... وَرِضْوَانَ ذِي الْعَرْشِ وَالْعِزَّةِ[١]

وقال كعب - أيضًا - فى يوم أحد: [من المتقارب]

إِنَّـكِ عَـمْـرَ أَبِـيـكِ الْـكَـرِيـ ... ـم إِنْ تَسْأَلِي عَنْكِ مَنْ يَجْتَدِينَا

فَـإِنْ تَـسْـأَلِـي ثُـمَّ لاَ تُـكْـذَبِـي ... يُخَبِّرْكِ مَنْ قَدْ سَأَلْتِ الْيَقِينَا

بِـأَنَّـا لَـيَـالِـيَ ذَاتِ الْـعِـظَـا ... م كُنَّا ثِمَالاً لِمَنْ يَعْتَرِينَا

تَـلُـوذُ الـنُّـجُـودُ بِـأَذْرَائِـنَـا ... مِنَ الضُّرِّ فِي أَزَمَاتِ السِّنِينَا

بِجَدْوَى فُضُولِ أُولِي وُجْدِنَا ... وَبِالصَّبْرِ وَالْبَذْلِ فِي الْمُعْدِمِينَا

وَأَبْـقَـتْ لَـنَـا جَـلَـمَـاتُ الْـحُـرُو ... بِ مما نُوَازِي لَدُنْ أَنْ بُرِينَا

مَعَاطِنَ تَهْوِي إِلَيْهَا الْحُقُو ... قُ يَحْسَبُهَا مَنْ رَآهَا الْفَتِينَا

تُـخَـيَّـسُ فِـيـهَـا عِـتَـاقُ الْـجِـمَـا ... لِ صُحْمًا دَوَاجِنَ حُمْرًا وَجُونَا

وَدُفَّـاعَ رَجْـلٍ كَـمَـوْجِ الْـفُـرَا ... تِ يَقْدُمُ جَأْوَاءَ جُولاً طَحُونَا

تَـرَى لَـوْنَـهَـا مِـثْـلَ لَـوْنِ الـنُّـجُـو ... م رَجْرَاجَةً تُبْرِقُ النَّاظِرِينَا

فَإِنْ كُنْتَ عَنْ شَأْنِنَا جَاهِلاً ... فَسَلْ عَنْهُ ذَا الْعِلْمِ مِمَّنْ يَلِينَا

بِنَا كَيْفَ نَفْعَلُ إِنْ قَلَّصَتْ ... عَوَانًا ضَرُوسًا عَضُوضًا حَجُونَا

أَلَسْنَا نَشُدُّ عَلَيْهَا الْعِصَا ... بَ حَتَّى تَدِرَّ وَحَتَّى تَلِينَا؟!

وَيَـوْمٍ لَـهُ رَهَـجٌ دَائِـمٌ ... شَدِيدِ التَّهَاوُلِ حَامِي الْإِرِينَا

طَـوِيـلٍ شَـدِيـدِ أُوَارِ الْـقِـتَـا ... لِ تَنْفِي قَوَاحِزُهُ الْمُقْرِفِينَا

تَـخَـالُ الْـكُـمَـاةَ بِـأَعْـرَاضِـهِ ... ثِمَالاً عَلَى لَذَّةٍ مُتْرَفِينَا

تَـعَـاوَرُ أَيْـمَـانُـهُـمْ بَـيْـنَـهُـمْ ... كُئُوسَ الْمَنَايَا بِحَدِّ الظُّبِينَا

شَهِدْنَا فَكُنَّا أُولِي بَأْسِهِ ... وَتَحْتَ الْعَمَايَةِ وَالْمُعْلَمِينَا

بِخُرْسِ الْحَسِيسِ حِسَانٍ رِوَاءٍ ... وَبُصْرِيَّةٍ قَدْ أَجِمْنَ الْجُفُونَا

فَمَا يَنْفَلِلْنَ وَمَا يَنْحَنِينَ ... وَمَا يَنْتَهِينَ إِذَا مَا نُهِينَا

كَبَرْقِ الْخَرِيفِ بِأَيْدِي الْكُمَاةِ ... يُفَجِّعْنَ بِالظِّلِّ هَامًا سُكُونَا

وَعَـلَّـمَـنَـا الـضَّـرْبَ آبَـاؤُنَـا ... وَسَوْفَ نُعَلِّمُ أَيْضًا بَنِينَا

جِـلاَدَ الْـكُـمَـاةِ وَبَـذْلَ الـتِّـلاَ ... دِ عَنْ جُلِّ أَحْسَابِنَا مَا بَقِينَا

---

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٣٩ - ١٤٠).

إِذَا مَـرَّ قِـرْنٌ كَـفَـى نَـسْـلُـهُ ... وَأَوْرَثَـهُ بَـعْـدَهُ آخَـرِيـنَـا
نَـشِـبُّ وَتَـهْـلِـكُ آبَـاؤُنَـا ... وَبَيْـنَـا نُـرَبِّي بَنِينَا فَنِينَا
سَأَلْتُ بِكَ ابْنَ الزِّبَعْرَى فَلَمْ ... أُنَبَّأْكَ فِي الْقَوْمِ إِلاَّ هَجِينَا
خَبِيثًا تُطِيفُ بِكَ الْمُنْدِيَاتُ ... مُقِيمًا عَلَى اللؤْمِ حِينًا فَحِينَا
تَبَجَّسْتَ تَهْجُو رَسُولَ الْمَلِيـ ... ـكِ قَاتَلَكَ الله جِلْفًا لَعِينَا
تَقُولُ الْخَنَا ثُمَّ تَرْمِي بِهِ ... نَقِيَّ الثِّيَابِ تَقِيًّا أَمِينَا

قال ابن هشام: أنشدنى بيته: «بنا كيف نفعل»، والبيت الذي يليه، والبيت الثالث منه، وصدر الرابع منه، وقوله: «نشب وتهلك آباؤنا»، والبيت الذى يليه، والثالث منه - أبو زيد الأنصارى (١).

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك - أيضًا - في يوم أحد [من البسيط]:

سَائِلْ قُرَيْشًا غَدَاةَ السَّفْحِ من أُحُدٍ ... مَاذَا لَقِينَا وَمَا لاَقَوْا مِنَ الْهَرَبِ؟!
كُنَّا الأُسُودَ وَكَانُوا النُّمْرَ إِذْ زَحَفُوا ... ما إِنْ نُرَاقِبُ مِنْ إِلٍّ وَلاَ نَسَبِ
فَكَمْ تَرَكْنَا بِهَا مِنْ سَيد بَطَلٍ ... حَامِي الذِّمَارِ كَرِيم الْجَدِّ وَالْحَسَبِ
فِينَا الرَّسُولُ شِهَابٌ ثُمَّ نَتْبَعُهُ ... نُورٌ مُضِيءٌ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الشُّهُبِ
أَلْحَقُّ مَنْطِقُهُ وَالْعَدْلُ سِيرَتُهُ ... فَمَنْ يُجِبْهُ إِلَيْهِ يَنْجُ مِنْ تَبَبِ
نَجْدُ الْمُقَدَّمِ مَاضِي الْهَمِّ مُعْتَزِمٌ ... حِينَ الْقُلُوبُ عَلَى رَجْفٍ مِنَ الرُّعُبِ
يَمْضِي وَيَذْمُرُنَا مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ... كَأَنَّهُ الْبَدْرُ لَمْ يُطْبَعْ عَلَى الْكَذِبِ
بَدَا لَنَا فَاتَّبَعْنَاهُ نُصَدِّقُهُ ... وَكَذَّبُوهُ فَكُنَّا أَسْعَدَ الْعَرَبِ
جَالُوا وَجُلْنَا فَمَا فَاءُوا ولا رَجَعُوا ... وَنَحْنُ نَثْفِنُهُمْ لَمْ نَأْلُ فِي الطَّلَبِ
لَيْسَا سَوَاءً وَشَتَّى بَيْنَ أَمْرِهِمَا ... حِزْبُ الإِلَهِ وَأَهْلُ الشِّرْكِ وَالنُّصُبِ

قال ابن هشام: أنشدني من قوله: «نمضي ويذمرنا» إلى آخرها - أبو زيد (٢).

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن رَواحة يبكى حمزة بن عبد المطلب- قال ابن هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصاريُّ لكعب بن مالك-: [من الوافر]

بَكَتْ عَيْنِي وحقَّ لَهَا بُكَاهَا ... وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلاَ العَوِيلُ

---

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٤٠ - ١٤٦).
(٢) ينظر :السيرة النبوية (٣/ ١٤٦ - ١٤٧).

عـلَـى أَسَـدِ الإِلَـهِ غَـدَاةَ قَـالُـوا أَحَـمْزَةُ ذَاكُـمُ الرَّجُلُ الْقَتِيلُ؟!
أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعًا هُنَاكَ وَقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ
أَبَا يَعْلَى لَكَ الأَرْكَانُ هُدَّتْ وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرُّ الْوَصُولُ
عَلَيْكَ سَلاَمُ رَبِّكَ فِي جِنَانٍ مُخَـالِـطُـهَـا نَـعِـيـمٌ لاَ يَـزُولُ
أَلاَ يَا هَاشِمُ الأَخْيَارُ صَبْرًا فَكُلُّ فعَالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيلُ
رَسُولُ الله مُـصْـطَـبِـرٌ كَـرِيـمٌ بِـأَمْـرِ الله يَـنْـطِـقُ إِذْ يَـقُـولُ:
أَلاَ مَـنْ مُـبْـلِـغٌ عَـنِّـى لُـؤَيًّـا فَـبَـعْـدَ الْـيَـوْم دَائِـلَـةٌ تَـدُولُ
وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَا عَرَفُوا وَذَاقُوا وَقَائِعنَا بِهَا يُشْفَى الْغَلِيلُ
نَسِيتُمْ ضَرْبَنَا بِقَلِيبِ بَدْرٍ غَدَاةَ أَتَاكُمُ الْمَوتُ الْعَجِيلُ
غَدَاةَ ثَوَى أَبُو جَهْلٍ صَرِيعًا عَلَيْهِ الطَّيْرُ حَائِمَةً تَجُولُ
وَعُـتْـبَـةُ وَابْـنُـهُ خَرًّا جَـمِـيـعًـا وَشَيْبَةُ عَضَّهُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ
وَمَـتْـرَكُـنَـا أُمَـيَّـةَ مُـجْـلَـعِـبًّـا وَفِـي حَـيْـزُومِـهِ لَـدْنٌ نَـبِـيـلُ
وَهَـام بَـنِـي رَبِـيـعَـةَ سَـائِـلُـوهَـا فَفِـي أَسْـيَـافِـنَـا مِـنْـهَـا فُـلُـولُ
أَلاَ يَا هِنْدُ لاَ تُبْدِي شَمَاتًا بِـحَـمْـزَةَ إِنَّ عِـزَّكُـمْ ذَلِـيـلُ
أَلاَ يَا هِنْدُ فَابْكِي لاَ تَمَلِّي فَأَنْتِ الْوَالِهُ الْعَبْرَى الْهَبُولُ[1]

قال ابن إسحاق: وقال كعب أيضًا [من المتقارب]:

أَبْـلِـغْ قُـرَيْـشًـا عَـلَـى نـأْيِـهَـا أَتَـفْـخَـرُ مِـنَّـا بِـمَـا لَـمْ تَـلِ؟!
فَـخَـرْتُـمْ بِـقَـتْـلَـى أَصَـابَـتْـهُـمُ فَـوَاضِـلُ مِـنْ نِـعَـم الْـمُـفْـضِـلِ
فَـحَـلُّـوا جِـنَـانًـا وَأَبْـقَـوْا لَـكُـمْ أُسُـودًا تُـحَـامِـي عَـنِ الأَشْـبُـلِ
تُـقَـاتِـلُ عَـنْ دِيـنِـهَـا وَسْـطَـهَـا نَـبِـيٌّ عَـنِ الْـحَـقِّ لَـمْ يَـنْـكُـلِ
رَمَـتْـهُ مَـعَـدٌّ بِـعُـورِ الْـكَـلاَم وَنَـبْـلِ الْـعَـدَاوَةِ لاَ تَـأْتَـلِـي[2]

قال ابن إسحاق: وقال ضرار بن الخطاب في يوم أحد: [من البسيط]

مَا بَالُ عينك قَدْ أَزْرَى بِهَا السُّهُدُ كَأَنَّمَا جَالَ فِي أَجْفَانِهَا الرَّمَدُ
أَمِنْ فِرَاقِ حَبِيبٍ كُنْتَ تَأْلَفُهُ قَدْ حَالَ مِنْ دُونِهِ الأَعْدَاءُ والْبُعُدُ؟!

---

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/١٤٨ - ١٤٩) والبداية والنهاية (٤/٦٨).
(٢) ينظر السيرة النبوية (٣/١٤٩).

أَمْ ذَاكَ مِنْ شَغْبِ قَوْمٍ لاَ جَدَاءَ بِهِمْ ... إِذَا الْحرُوبُ تَلَظَّتْ نَارُهَا تَقِدُ؟!
مَا يَنْتَهُونَ عَنِ الْغَيِّ الَّذِي رَكِبُوا ... وَمَا لَهُمْ مِنْ لُؤَيٍّ وَيْحَهُمْ عَضُدُ
وَقَدْ نَشَدْنَاهُمُ بِاللهِ قَاطِبَةً ... فَمَا تَرُدُّهُمُ الأَرْحَامُ وَالنِّشَدُ
حَتَّى إِذَا مَا أَبَوْا إِلاَّ مُحَارَبَةً ... وَاسْتَحْصَدَتْ بَيْنَنَا الأَضْغَانُ والْحِقَدُ
سِرْنَا إِلَيْهِمْ بِجَيْشٍ فِي جَوَانِبِهِ ... قَوَانِسُ الْبِيضِ وَالْمَحْبُوكَةُ السُّردُ
وَالْجُرْدُ تَرْفُلُ بِالأَبْطَالِ شَازِبَةً ... كَأَنَّهَا حِدَأٌ فِي سَيْرِهَا تُؤَدُ
جَيْشٌ يَقُودُهُمُ صَخْرٌ وَيَرْأَسُهُمْ ... كَأَنَّهُ لَيْثُ غَابٍ هَاصِرٌ حَرِدُ
فأَبْرَزَ الْحَيْنُ قَوْمًا مِنْ مَنَازِلِهِمْ ... فَكَانَ مِنَّا وَمِنْهُمْ مُلْتَقًى أُحُدُ
فَغُودِرَتْ مِنْهُمُ قَتْلَى مُجَدَّلَةً ... كَالْمَعْزِ أَصْرَدَهُ بِالصَّرْدَحِ الْبَرَدُ
قَتْلَى كِرَامٌ بَنُو النَّجَّارِ وَسْطَهُمُ ... وَمُصْعَبٌ مِنْ قَنَانَا حَوْلَهُ قِصَدُ
وَحَمْزَةُ الْقَرْمُ مَصْرُوعٌ تُطِيفُ بِهِ ... ثَكْلَى وَقَدْ حُزَّ مِنْهُ الأَنْفُ وَالْكَبِدُ
كَأَنَّهُ حِينَ يَكْبُو فِي جَدِيَّتِهِ ... تَحْتَ الْعَجَاجِ وَفِيهِ ثَعْلَبٌ جَسِدُ
حُوَارُ نَابٍ وَقَدْ وَلَّى صَحَابَتُهُ ... كَمَا تَوَلَّى النَّعَامُ الْهَارِبُ الشُّرُدُ
مُجَلِّحِينَ وَلاَ يَلْوُونَ قَدْ مُلِئُوا ... رُعْبًا فَنَجَّتْهُمُ الْعَوْصَاءُ والْكُؤُدُ
تَبْكِي عَلَيْهِمْ نِسَاءٌ لاَ بُعُولَ لَهَا ... مِنْ كُلِّ سَالِبَةٍ أَثْوَابُهَا قِدَدُ
وَقَدْ تَرَكْنَاهُمُ لِلطَّيْرِ مَلْحَمَةً ... وَلِلضِّبَاعِ إِلَى أَجْسَادِهِمْ تَفِدُ(١)

وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة بن عبد المطلب [من الطويل]:

أَسَائِلَةٌ أَصْحَابَ أُحْدٍ مَخَافَةً ... بَنَاتُ أَبِي مِنْ أَعْجَمٍ وَخَبِيرِ
فَقَالَ الْخَبِيرُ: إِنَّ حَمْزَةَ قَدْ ثَوَى ... وَزِيرُ رَسُولِ اللهِ خَيْرُ وَزِيرِ
دَعَاهُ إِلَهُ الْحَقِّ ذُو الْعَرْشِ دَعْوَةً ... إِلَى جَنَّةٍ يَحْيَا بِهَا وَسُرُورِ
فَذَلِكَ مَا كُنَّا نُرَجِّي وَنَرْتَجِي ... لِحَمْزَةَ يَوْمَ الْحَشْرِ خَيْرَ مَصِيرِ
فَوَاللهِ لاَ أَنْسَاكَ مَا هَبَّتِ الصَّبَا ... بُكَاءً وَحُزْنًا مَحْضَرِي ومَسِيرِي
عَلَى أَسَدِ اللهِ الَّذِي كَانَ مِدْرَهًا ... يَذُودُ عَنِ الإِسْلاَمِ كُلَّ كَفُورِ
فَيَا لَيْتَ شِلْوِي عِنْدَ ذَاكَ وَأَعْظُمِي ... لَدَى أَضْبُعٍ تَعْتَادُنِي وَنُسُورِ
أَقُولُ وَقَدْ أَعْلَى النَّعِيَّ عَشِيرَتِي: ... جَزَى اللهُ خَيْرًا مِنْ أَخٍ وَنَصِيرِ

---

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٥٠ - ١٥٣).

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالشعر قولها: «بكاء وحزنا محضرى ومسيرى» [(١)].

وقالت نعم امرأة شماس بن عثمان تبكي شماسًا، وأصيب يوم أحد، فقالت [من البسيط]:

يَا عَيْنُ جُودِي بِفَيْضٍ غَيْرِ إِبْسَاسِ ... عَلَى كَرِيمٍ مِنَ الْفِتْيَانِ لَبَّاسِ [(٢)]
صَعْبِ الْبَدِيهَةِ مَيْمُونٍ نَقِيبَتُهُ ... حَمَّالِ أَلْوِيَةٍ رَكَّابِ أَفْرَاسِ
أَقُولُ لَمَّا أَتَى النَّاعِي لَهُ جَزَعًا: ... أَوْدَى الْجَوَادُ وَأَوْدَى الْمُطْعِمُ الْكَاسِي
وَقُلْتُ لَمَّا خَلَتْ مِنْهُ مَجَالِسُهُ: ... لاَ يُبْعِدُ اللهُ عَنَّا قُرْبَ شَمَّاسِ

فأجابها أخوها وهو أبو الحكم بن سعيد بن يربوع يعزيها فقال: [من البسيط]

إِقْنَىْ حَيَاءَكِ فِي سِتْرٍ وَفِي كَرَمٍ ... فَإِنَّمَا كَانَ شَمَّاسٌ مِنَ النَّاسِ
لاَ تَقْتُلِي النَّفْسَ إِذْ حَانَتْ مَنِيَّتُهُ ... فِي طَاعَةِ اللهِ يَوْمَ الرَّوْعِ وَالْبَاسِ
قَدْ كَانَ حَمْزَةُ لَيْثَ اللهِ فَاصْطَبِرِي ... فَذَاقَ يَوْمَئِذٍ مِنْ كَأْسِ شَمَّاسِ

وقالت هند بنت عتبة حين انصرف المشركون عن أحد: [من الطويل]

رَجَعْتُ وَفِي نَفْسِي بَلاَبِلُ جَمَّةٌ ... وَقَدْ فَاتَنِي بَعْضُ الَّذِي كَانَ مَطْلَبِي
مِنَ اصْحَابِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ ... بَنِي هَاشِمٍ مِنْهُمْ وَمِنْ أَهْلِ يَثْرِبِ
وَلَكِنَّنِي قَدْ نِلْتُ شَيْئًا وَلَمْ يَكُنْ ... كَمَا كُنْتُ أَرْجُو فِي مَسِيرِي ومَرْكَبِي [(٣)]

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالشعر قولها: «وقد فاتني بعض الذي كان مطلبي» وبعضهم ينكرها لهند [(٤)].

* * *

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/١٥٦- ١٥٧) وسبل الهدى والرشاد (٤/ ٢٣٩) والبداية والنهاية (٤/ ٦٨ - ٦٩).
(٢) صيغة مبالغة من « اللبس » تريد أنه يلبس أداة الحرب .
(٣) تنظر السيرة النبوية (٣/ ١٥٨ - ١٥٩) والبداية والنهاية (٤/ ٦٩).
(٤) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٥٩).

ومنها: غزوة (حمراء الأسد)[1]

أقام بها يطلب العدو الاثنين والثلاثاء، ورجع بعد خمس للمدينة، وهى على ثمانية أميال عن المدينة عن يسار الطريق إذا أردت الحليفة، وكانت صبيحة يوم أحد لست عشرة مضت، أو لثمان خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرًا من الهجرة؛ لطلب عدوهم بالأمس، ونادى مؤذن رسول الله ﷺ ألاَّ يخرج معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس، أى: من شهد أحدًا. وإنما خرج - عليه السلام - مرهبًا للعدو؛ ليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوَّةً، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم، وظفر - عليه الصلاة والسلام - في مخرجه ذلك بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص، فأمر بضرب عنقه صبرًا [2].

قال الحافظ مغلطاى: وحرمت الخمر في شوال، ويقال: سنة أربع. انتهى.

قال أبو هريرة، فيما رواه أحمد: حرمت الخمر ثلاث مرات، قدم رسول الله ﷺ المدينة، وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر، فسألوا رسول الله ﷺ عنهما؟ فأنزل الله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ . . . ﴾ إلى آخر الآية [البقرة: ٢١٩]، فقال الناس: ما حرم علينا، إنما قال فيهما إثم كبير، وكانوا يشربون الخمر حتى كان يومًا من الأيام، صلى رجل من المهاجرين أَمَّ أصحابه فى المغرب، فخلط في قراءته، فأنزل الله آية أغلَظَ منها: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء: ٤٣]، وكان الناس يشربون، ثم نزلت آية أغلظ من ذلك: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ . . . . . ﴾ إلى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠]، قالوا: انتهينا ربنا [3]. والميسر: القمار وغيره.

---

(١) ينظر: المغازي للواقدي (١/ ٣٣٤ - ٣٤٠) تاريخ الطبري (٢/ ٥٣٤ - ٥٣٦) المغازي لعروة (١٧٤) الطبقات الكبرى (٢/ ٣٧) الدرر (١٦٧) جوامع السيرة (١٧٥) الكامل في التاريخ (٢/ ١٦٤ - ١٦٥) نهاية الأرب (١٧/ ١٢٦ - ١٢٧) البدء والتاريخ (٤/ ٢٠٥) الروض الأنف (٣/ ١٨٠) المنتظم (٣/ ١٧٢) تاريخ الإسلام (٢٢٣ - المغازي) سبل الهدى والرشاد (٤/ ٣٠٨- ٣١٦).

(٢) ينظر السيرة النبوية (٣/ ٥٢).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥١) قال: حدثنا سريج بن النعمان ثنا أبو معشر عن أبي وهب مولى أبي هريرة عن أبي هريرة به وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ٥٤): رواه أحمد وأبو وهب مولى أبي هريرة لم يجرحه أحد ولم يوثقه أحد وأبو نجيح ضعيف لسوء حفظه وقد وثقه غير =

وولد الحسن بن على في هذه السنة[١] .

ومنها: سرية محمد بن مَسْلمة في أربعة إلى كعب بن الأشرف اليهودى الشاعر رابعَ عَشَرَ ربيع، فقتله الله في داره ليلاً [٢].

وسرية زيد بن حارثة هلال جمادى الآخرة في مائة راكب إلى القَردة؛ يعترض عيرًا لقريش، فيها صفوان بن أمية، فأصابوها، فبلغ خمسها عشرين ألف درهم [٣].

* * *

= واحد، وسريج ثقة.

(١) ينظر تاريخ الطبري (٢/ ٥٣٧).

(٢) تقدم الكلام على قتل كعب بن الأشرف.

(٣) تقدم الكلام على هذه الغزوة في حوادث السنة الثالثة.

حوادث السنة الرابعة

فيها غزوة بني النَّضير - بفتح النون، وكسر الضاد المعجمة المبسوطة -: قبيلة كبيرة من اليهود، في ربيع الأول سنة أربع، وذكرها ابن إسحاق في الثالثة [١].

قال السهيلي: وكان ينبغي أن يذكرها بعد بدر؛ لما روى عقيل بن خالد وغيره، عن الزهري قال: كانت غزوة بني النضير بعد بئر معونة، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٢٦] [٢]، قال الحافظ أبو الفضل بن حجر: وهو استدلالٌ واهٍ؛ فإن الآية نزلت في شأن بني قريظة؛ فإنهم الذين ظاهروا الأحزاب، وأما بنو النضير، فلم يكن لهم في الأحزاب ذِكْر، بل كان من أعظم الأسباب في جمع الأحزاب ما ذكر من إجلائهم؛ فإنه كان من رءوسهم حُيَيُّ بن أخطب، وهو الذي حَسَّنَ لبني قريظة الغدر وموافقة الأحزاب، حتى كان من هلاكهم ما كان؛ فكيف يصير السابقُ لاحقًا؟! انتهى [٣].

وقد تقدم أن عامر بن الطفيل أعتَقَ عمرو بن أمية، لما قتل أهل بئر معونة، عن رقبة عن أمه، فخرج عمرو إلى المدينة، فصادف رجلين من بني عامر معهما عَقْدٌ وعهد من رسول الله ﷺ لم يشعر به عمرو، فقال لهما عمرو: من أنتما؟ فذكرا له أنهما من بني عامر، فتركهما حتى ناما، فقتلهما عمرو، وظَنَّ أنه ظفر ببعض ثأر أصحابه، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال: لقد قتلتَ قتيلين [لأَدِيَنَّهُمَا] [٤].

قال ابن إسحاق: وخرج - عليه الصلاة والسلام - إلى بني النضير يستعين بهم في دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية للجوار الذي كان ﷺ عقده لهما، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف، فلما أتاهم - عليه السلام - يستعينهم في ديتهما، قالوا: يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببْتَ مما استعنْتَ بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إِنَّكُمْ لن تجدوه على مثل هذا الحال - وكان رسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم - قالوا: مَن رجل يعلو هذا البيتَ، فيلقي هذه الصخرة عليه، فيقتله ويريحنا منه؟! فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب،

---

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٩١).
(٢) ينظر الروض الأنف (٣/ ٢٥٠).
(٣) ينظر الفتح (٨/ ٦٨ - ٦٩).
(٤) ذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ١٣٢) وعزاه للطبراني وقال: رجاله ثقات.

فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقى عليه الصخرة - ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى - رضي الله عنهم [(١)] - قال ابن سعد: فقال سلام بن مشكم لليهود لا تفعلوا، والله ليُخْبَرَنَّ بما هممتم، وإنه لنقضٌ للعهد الذي بيننا وبينه [(٢)].

قال ابن إسحاق: وأتى رسولَ الله ﷺ الخَبَرُ من السماء بما أراد القوم، فقام - عليه الصلاة والسلام - مظهرًا أنه يقضي حاجة، وترك أصحابه في مجلسهم، ورجع مسرعًا إلى المدينة. واستبطأ النبيَّ ﷺ أصحابه، فقاموا في طلبه حتى انتهوا إليه، فأخبرهم بما أرادت اليهود من الغدر به [(٣)].

قال ابن عقبة: ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ .... ﴾ الآية [المائدة: ١١] [(٤)].

قال ابن إسحاق: فأمر - عليه الصلاة والسلام - بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم، قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، ثم سار بالناس حتى نزل بهم، فحاصرهم ست ليال.

قال ابن إسحاق: فتحصنوا منه بالحصون، فقطع النخل وحرقها وخرب، فنادوه: يا محمد، قد كنت تنهَى عن الفساد، وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتخريبها؟! [(٥)].

قال السهيلي: قال أهل التأويل: وقع في نفوس بعض المسلمين من هذا الكلام شيء، حتى أنزل الله: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ ... ﴾ الآية [الحشر: ٥]، واللينة أَلْوَانُ التمر ما عدا العجوة والبرنيّ؛ ففي هذه الآية: أنه ﷺ لم يقطع من نخلهم إلا ما ليس بقوت للناس، وكانوا يقتاتون العجوة، وفي الحديث: «العجوة من الجنة، وتمرها يغذو أحسن غذاء» [(٦)]، والبرنيُّ - أيضًا - كذلك؛ ففي قوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٩١).
(٢) ينظر الطبقات الكبرى (٢/ ٤٢).
(٣) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٩١ - ١٩٢) المغازي للواقدي (١/ ٣٥٣) تاريخ الطبري (٢/ ٥٥٠- ٥٥٥) البداية والنهاية (٤/ ٨٥ - ٨٧).
(٤) ينظر دلائل النبوة (٣/ ١٧٦، ٣٥٤ - ٣٥٥).
(٥) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٩٢).
(٦) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠١، ٣٠٥، ٤٨٨) والترمذي (٢٠٦٨) وابن ماجه (٣٤٥٥) من حديث أبي هريرة.

لِّينَةٍ . . . ﴾ [الحشر: ٥] - ولم يقل: «من نخلة» على العموم -: تنبيهٌ على كراهة قطع ما يقتات، ويغذو من شجر العدو إذا رجي أن يصل إلى المسلمين [(١)].

قال ابن إسحاق: وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج، منهم عبد الله بن أبيّ ابن سلول بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا؛ فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم، خرجنا معكم، فتربصوا، فقذف الله في قلوبهم الرعب، فلم ينصروهم، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم عن أرضهم، ويكف عن دمائهم [(٢)].

وعن ابن سعد: أنهم حين همُّوا بغدره ﷺ، وأعلمه الله بذلك بعث إليهم محمد ابن مَسلمة أن اخرجوا من بلدي، فلا تساكنوني بها وقد هممتم بما هممتم من الغدر، وقد أجلتكم عشرًا، فمن رئى منكم بعد ذلك، ضربت عنقه، فمكثوا على ذلك أيامًا يتجهزون، وتكاروا من الناس إبلاً، فأرسل إليهم عبد الله بن أبي أن لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حصونكم؛ فإن معي أَلفين من قومي من العرب يدخلون حصنكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان. فطمع حُيَيٌّ بما قال ابن أبي، فأرسل إلى رسول الله ﷺ: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك. فأظهر ﷺ التكبير وكَبَّر المسلمون بتكبيره، وسار إليهم - عليه الصلاة والسلام - في أصحابه، فصلى العصر بفِناء بني النضير، وعليٌّ يحمل رايته. فلما رأوا رسول الله ﷺ، قاموا على حصونهم معهم النبل والحجارة، واعتزلهم ابن أبي ولم يعنهم، وكذا حلفاؤهم من غطفان، فيئسوا من نصرهم، فحاصرهم ﷺ وقطع نخلهم، وقال لهم - عليه السلام-: « اخرجوا منها، ولكم دماؤكم وما حملَتِ الإبلُ إلا الحلْقَةَ » وهى بإسكان اللام، قال فى القاموس: الدرع. فنزلت اليهود على ذلك.

وكان حاصرهم خمسة عشر يومًا، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم، ثم أجلاهم عن المدينة.

قال محمد بن مسلمة: وحملوا النساء والصبيان، وتحملوا على ستمائة بعير، فلحقوا بخيبر، وحزن المنافقون عليهم حزنًا شديدًا، وقبض ﷺ الأموال، ووجد من الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفًا، وكانت بنو النضير

---

(١) ينظر الروض الأنف (٣/ ٢٥٠).
(٢) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٩٢).

صفيًا لرسول الله ﷺ حبسًا لنوائبه، ولم يسهمْ منها لأحد من المسلمين؛ لأنهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب، وإنما قذف الله في قلوبهم الرعب، وجلوا من منازلهم إلى خيبر، ولم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم، فقسمها - عليه الصلاة والسلام - بين المهاجرين؛ ليرفع بذلك مؤنتهم عن الأنصار؛ إذ كانوا قد قاسموهم الأموال والديار، غير أنه أعطَى أبا دجانة، وسهل بن حنيف لحاجتهما[١]، وفي الإكليل: وأعطى سعد بن معاذ سيفَ ابن أبي الحقيق، وكان سيفًا له ذِكْرٌ عندهم.

غزوة بدر الأخيرة[٢]

وهى الصغرى، وتسمى: بدر الموعد، وكانت في شعبان بعد ذات الرقاع؛ كذا فى المواهب.

قال الحافظ شرف الدين البرماوى: هلال ذى القعدة؛ وذلك أن أبا سفيانِ قال يوم أحد: الموعدُ بيننا وبينكم رأس الحول، فقال النبي ﷺ: نعم، فخرج، ومعه ألف وخمسمائة، فأقاموا بها ثلاثة أيام، وباعوا ما معهم من التجارة، فربحوا الدرهم درهمَيْنِ، وخرج أبو سفيان إلى مَرِّ الظهران، فرجع؛ لأنه كان عام جدب، فنزل في حق المؤمنين: ﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ... ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٤].

قال ابن إسحاق [٣]: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة ذات الرقاع، أقام بها جمادى الأولى إلى آخر رجب، ثم رجع في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان، ويقال: كانت في هلال ذي القعدة، فخرج - عليه السلام - ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه، وعشرة أفراس، واستخلف على المدينة عبد الله بن رَواحة، وأقاموا على بدر ينتظرون أبا سفيان، وخرج أبو سفيان حتى نزل مَجَنَّة من ناحية مر

---

(١) ينظر الطبقات الكبرى (٢/ ٤٤ - ٤٥).

(٢) ينظر المغازي لعروة (١٨٣) وللواقدي (١/ ٣٨٤ - ٣٩١) والدرر (١٧٧) جوامع السيرة (١٨٤) تاريخ الطبري (٢/ ٥٥٩) البدء والتاريخ (٤/ ٢١٣ - ٢١٤) الكامل في التاريخ (٢/ ١٧٥) نهاية الأرب (١٧/ ١٥٤ - ١٥٧) تاريخ الإسلام (٢٤٩ - المغازي) البداية والنهاية (٤/ ١٠٠ - ١٠٢) سبل الهدى والرشاد (٤/ ٣٣٧).

(٣) ينظر السيرة النبوية (٣/ ٢٢١ - ٢٢٢).

الظهران، ويقال: عسفان، ثم بدا له الرجوع، فقال: يا معشر قريش، إنه لا يصلحكم إلا عامٌ خصبٌ ترعونَ فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عامُ جدب، وإني راجع فارجعوا، فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق، يقولون: إنما خرجتهم تشربون السويق، وأقام - عليه الصلاة والسلام - ببدرٍ ثمانية أيام، وباعوا ما معهم من التجارة، فربحوا الدرهم درهمين، وأنزل الله في المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ...﴾ إلى قوله: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ...﴾ الآية [آل عمران: ١٧٢: ١٧٤]، والصحيحُ أن هذه الآية نزلت في حمراء الأسد؛ كما نصَّ عليه العماد بن كثير (١).

وفيها غزوة ذات الرقاع عاشر المحرم (٢)؛ لما بلغه ﷺ أن أنمار جمعوا الجموع، فخرج في أربعمائة، فوجدوا أعرابًا هربوا في الجبال، وغاب خمسة عشر يومًا، وصلى بها صلاة الخوف.

واختلف فيها متى كانَتْ؟ فعند ابن إسحاق: بعد بني النضير، سنة أربع، في شهر ربيع وبعض جمادى (٣)، وعند ابن سعد وابن حبان في المحرَّم سنة خمس (٤)، وجزم أبو معشر بأنها بعد بني قريظة في ذي القعدة سنة خمس، فتكونُ ذات الرقاع فى آخر السنة وأول التي تليها.

وقد جنح البخاري (٥) إلى أنها كانت بعد خيبر؛ واستدلَّ لذلك بأمور، ومع ذلك ذكرها قبل خيبر؛ فلا أدرى هل تعمد ذلك؛ تسليمًا لأصحاب المغازي أنها كانت قبلها، أو أن ذلك من الرواة عنه، وأشار إلى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسمًا لغزوتَيْن مختلفتين؛ كما أشار البيهقي إليه (٦).

---

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٣٠).
(٢) ينظر المغازي للواقدي (١/ ٣٩٥ - ٤٠٢) تاريخ الطبري (٢/ ٥٥٥ - ٥٥٩) الطبقات الكبرى (٢/ ٤٦ - ٤٧) البدء والتاريخ (٤/ ٢١٣) الكامل في التاريخ (٢/ ١٧٤ - ١٧٥) نهاية الأرب (١٧/ ١٥٨ - ١٥٩) الروض الأنف (٣/ ٢٥٣ - ٢٥٨) وتاريخ الإسلام (٢٤٦ - المغازي).
(٣) ينظر السيرة النبوية (٣/ ٢١٤).
(٤) ينظر الطبقات الكبرى (٢/ ٤٦ - ٤٧).
(٥) ينظر الفتح (٨/ ١٧٩).
(٦) ينظر دلائل النبوة (٣/ ٣٦٩ - ٣٧٢).

على أن أصحاب المغازي مع جزمهم بأنها كانَتْ قبل خيبر مختلفون في زمانها. انتهى.

والذي جزم به ابن عقبة تقدمها، لكن تردد فى وقتها، فقال: لا ندري كانت قبل بدر أو بعدها، أو قبل أحد أو بعدها. وهذا التردد لا حاصل له، بل الذي ينبغي الجزم به أنها بعد غزوة بني قريظة؛ إذ صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت، وقد ثبت وقوع صلاة الخوف في ذات الرقاع؛ فدل على تأخيرها بعد الخندق.

ثم قال عند قول البخاري: وهى بعد خيبر؛ لأن أبا موسى جاء بعد خيبر، وإذا كان كذلك وثبت أن أبا موسى شهد غزوة ذات الرقاع، لزم أنها كانت بعد خيبر، قال: وعجيبٌ من ابن سيد الناس كيف قال: جعل البخاري حديث أبي موسى هذا حجة في أن غزوة ذات الرقاع متأخرة عن خيبر، قال: وليس في خبر أبي موسى ما يدل على شيء من ذلك. انتهى كلام ابن سيد الناس [(١)].

قال: وهذا النفى مردود، والدلالة من ذلك واضحة.

قال: وأما الدمياطى، فادعى غلط الحديث الصحيح، وأن جميع أهل السير على خلافه، وقد تقدم أنهم مختلفون في زمانها، فالأولى الاعتماد على ما ثبت في الحديث الصحيح.

وأما قول الغزالي: إنها آخر الغزوات، فهو غلطٌ واضحٌ، وقد بالغ ابن الصلاح في إنكاره، وقال بعض من انتصر للغزالي: لعلَّه أراد آخر غزوة صليت فيها صلاة الخوف، وإنما أسلم أبو بكرة بعد غزوة الطائف بالاتفاق. انتهى.

وأما تسميتها بذات الرقاع: فلأنهم رقعوا فيها راياتهم؛ قاله ابن هشام [(٢)].

وقيل: الشجرة في ذلك الموضع، يقال لها: ذات الرقاع [(٣)].

وقيل: الأرض التي نزلوا بها فيها بقع سود وبقع بيض؛ كأنها مرقعة برقاعٍ مختلفةٍ، فسميتْ ذات الرقاع لذلك، وقيل: إن خيلهم كان بها سوادٌ وبياضٌ؛ قاله ابن حبان [(٤)].

---

(١) ينظر عيون الأثر (٢/ ٧٢).
(٢) ينظر السيرة النبوية (٣/ ٢١٤).
(٣) ينظر المصدر السابق.
(٤) ينظر الفتح (٨/ ١٨١).

وقال الواقدي: سميت بجبل هناك فيه بقع [١].

قال الحافظ ابن حجر: وهذا لعله مستند ابن حبان، ويكون قد تصحف عليه بخيل. قال: وأغرب الداودى، فقال: سميت ذات الرقاع؛ لوقوع صلاة الخوف فيها؛ فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها. انتهى [٢].

قال السهيلي [٣]: وأصحُّ من هذه الأقوال كلها ما رواه البخارى عن أبي موسى الأشعرى قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، ونحن ستة نفر، بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدماى، وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع؛ لما نعصب من الخرق على أرجلنا [٤].

وكان من خبر هذه الغزوة - كما قاله ابن إسحاق - أنه ﷺ غزا نجدًا، يريد: بني محارب وبني ثعلبة - بالمثلثة - من غطفان بفتح الغين المعجمة والطاء المهملة؛ لأنه - عليه الصلاة والسلام - بلغه أنهم جمعوا الجموع، فخرج في أربعمائة من أصحابه، وقيل: سبعمائة، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان، وقيل: أبا ذر الغفاري، حتى نزلَ نخلاً - بالخاء المعجمة، موضعًا من نجد من أراضي غطفان[٥]- قال ابن سعد: فلم يجد في محالِّهم إلا نسوة فأخذهنَّ [٦]. وقال ابن إسحاق: فلقي جمعا منهم، فتقارب الناس، ولم يكن بينهم حرب، وقد أخاف الناس [٧] بعضهم بعضًا حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف، ثم انصرف الناس.

قال ابن سعد: وكان ذلك أول ما صلاها، وقد رويت صلاة الخوف من طرق كثيرة - وسيأتي الكلام، إن شاء الله تعالى، على ما تيسر منها - وكانت غيبته ﷺ في هذه الغزوة خمس عشرة ليلة [٨].

---

(١) ينظر المغازي للواقدي (١/ ٣٩٥).
(٢) ينظر الفتح (٨/ ١٨١ - ١٨٢).
(٣) ينظر الروض الأنف (٣/ ٢٥٣).
(٤) أخرجه البخاري (٨/ ١٧٩) كتاب المغازي: باب غزوة ذات الرقاع حديث (٤١٢٨).
(٥) ينظر السيرة النبوية (٣/ ٢١٤).
(٦) ينظر الطبقات الكبرى (٢/ ٤٧).
(٧) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٥٥).
(٨) ينظر الطبقات الكبرى (٢/ ٤٧).

وفي البخاري: عن جابر قال: كنا مع النبي ﷺ بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرة ظليلة، تركناها للنبي ﷺ، فجاء رجل من المشركين وسيف النبي ﷺ معلَّقٌ بالشجرة، فاخترطه - يعنى: سَلَّهُ من غمده - فقال: تخافنى؟ قال: لا، قال: من يمنعك منى؟ قال: الله، وفي رواية أبي اليمان عند البخاري في الجهاد قال: من يمنعك مني؟ ثلاث مرات، وهو استفهامٌ إنكاريٌّ، أى: لا يمنعك مني أحد، وكان الأعرابي قائمًا على رأسه والسيف في يده والنبيُّ ﷺ جالس لا سيف معه [(١)].

ويؤخذ من مراجعة الأعرابي له في الكلام: أن الله سبحانه منع نبيه، وإلا فما الذي أحوجه إلى مراجعته مع احتياجه إلى الحظوة عند قومه بقتله. وفي قوله ﷺ: «الله يمنعني منك» إشارة إلى ذلك؛ ولذلك لما أعادها الأعرابي، لم يزده على ذلك الجواب. وفي ذلك غاية التَّهَكُّم وعدم المبالاة به.

وذكر الواقدي [(٢)] في نحو هذه القصة: أنه أسلم، ورجع إلى قومه، فاهتدى به خلق كثير. وقال فيه: إنه رمي بالزُّلَّخَة حين همَّ بقتله ﷺ، فندر السيف من يده، وسقط إلى الأرض. والزُّلَّخَة - بضم الزاى المشددة، وتشديد اللام، والخاء المعجمة -: وجع يأخذ في الصلب.

وقال البخاري: قال مسدد، عن أبي عوانة، عن أبي بشر: اسم الرجل غورث بن الحارث [(٣)]، أى: على وزن جعفر. وحكى الخطابى فيه «غويرث» بالتصغير، وقد تقدم في غزوة غطفان، وهى غزوة ذى أمر بناحية نجد مثل هذه القصة لرجلٍ اسمه دعثور، وأنه قام على رأسه ﷺ بالسيف، فقال: من يمنعك مني؟ فقال - عليه الصلاة والسلام -: الله. ودفع جبريل صدره، فوقع السيف من يده، وأنه أسلم.

قال في عيون الأثر: والظاهر أن الخبرين واحدٌ. وقال غيره من المحققين: والصواب أنهما قصتان في غزوتين.

وفي هذه القصة فرط شجاعته، وقوة يقينه، وصبره على الأذى، وحلمه على

---

(١) تقدم تخريجه، وهو عند البخاري (٤١٣٦).
(٢) ينظر المغازي (١/ ١٩٤ - ١٩٥).
(٣) علقه البخاري بعد رقم (٤١٣٦) وعزاه الحافظ في الفتح (٨/ ١٩٣) إلى الحربي في غريب الحديث.

الجهال[1].

وفي انصرافه ﷺ من هذه الغزوة أبطأ جمل جابر بن عبد الله، فنخسه - عليه الصلاة والسلام - فانطلق متقدمًا بين يدي الركاب، ثم قال: أتبيعنيه؟ فابتاعه منه، وقال: لك ظهره إلى المدينة، فلما وصلها، أعطاه الثمن وأرجح، ووهب له الجمل. والحديث أصله في البخاري [2]؛ ولا حجة فيه لجواز بيع وشرط؛ لما وقع فيه من الاضطراب، وقيل غير ذلك مما يطول ذكره.

وفيها غزوة دومة الجندل لخمس بقين من ربيع الأول [3]؛ لما بلغه أن بها جمعًا كثيرًا يظلمون الناس، فلم يجدوا بها إلا نعمًا وشاءً، فأصاب من ذلك وأقام أيامًا. وهى بضم الدال، مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال، وبُعدها من المدينة خمس عشرة، أو ست عشرة ليلة.

قال أبو عبيدة والبكرى: سُمِّيَتْ بدوم بن إسماعيل كان نزلها [4]، وكانت على رأس تسعة وأربعين شهرًا من الهجرة.

وكان سببها أنه بلغه ﷺ أن بها جمعًا كثيرًا يظلمون من مرَّ بهم، فخرج - عليه الصلاة والسلام - لخمس ليال بقين من ربيع، في ألف من أصحابه؛ فكان يسير الليل، ويكمن النهار، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة، فلما دنا منهم لم يجد إلا النعم والشاء، فهجم على ماشيتهم ورعاتهم، فأصاب من أصاب، وهرب من هرب في كل وجه، وجاء الخبر أهل دُومة، فتفرَّقوا. ونزل - عليه الصلاة والسلام - بساحتهم، فلم يلق بها أحدًا، فأقام بها أيامًا وبثَّ السرايا وفرَّقها، فرجعوا

---

(١) ينظر الفتح (٨/ ١٩٣)، وما بين المعكوفين من الفتح ووقع في ط: غزوتان في قصتين، والمثبت من الفتح أنسب وأصوب.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٤٥) كتاب البيوع، باب شراء الإمام الحوائج بنفسه، الحديث (٢٠٩٧) من طريق وهب بن كيسان عن جابر قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة فأبطأ بي جملي وأعيا . . . الحديث ومن هذه الطريق أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠٨٩) رقم (١٤٦٦/ ٥٧) وأحمد في المسند (٣/ ٣٧٥) والحديث ورد من طرق عن جابر بعضها مطول وبعضها مختصر.

(٣) ينظر عن الغزوة: الطبقات الكبرى (٢/ ٦٢ - ٦٣)، مغازي الواقدي (١/ ٤٠٢ - ٤٠٤) تاريخ الطبري (٢/ ٥٦٤)، الكامل في التاريخ (٢/ ١٧٧)، وعيون التواريخ (١/ ١٩٤)، والبداية والنهاية (٤/ ١٠٥).

(٤) ينظر: الروض الأنف (٣/ ٢٧٦).

ولم يصبْ منهم أحد.

ودخل المدينة في العشرين من ربيع الآخر.

وفيها سرية أبي سلمة هلال المحرم إلى قطن (١)، في مائة وخمسين، يطلب طليحة، وسلمة ابني خويلد، فلم يجدوهما ووجدوا إبلاً وشاء، فأصابوا منها، ولم يلق كيدًا.

وعبد الله بن أنيس وجهه إلى سفيان بن خالد الهذلي بعرنة (٢)، وهو وادي عرفة، خامس المحرم؛ لما بلغه ﷺ أنه يجمع لحربه، فقال له عبد الله: جئتك لأكون معك. ثم اغترهُ فقتله.

والمنذر بن عمرو إلى بئر معونة في صفر (٣)، ومعه القراء، وهم سبعون، فقتلهم رِعْلٌ وذكوان وعُصَيَّة فقنت ﷺ يدعو عليهم شَهْرًا (٤)

ومرثد بن أبي مرثد الغنوى إلى الرجيع بين مكة وعسفان في صفر في عشر أو ستة على الخلاف، لما سأله عضل والقارة أن يرسل معهم من يعلمهم شرائع الإسلام، فأرسل مرثدًا، وعاصم بن ثابت، وخبيب ابن عدي، وزيد بن الدثنة، وخالد بن أبي البكير، وعبد الله بن طارق، وأخاه لأمه مغيث بن عبيد، فغدروا بهم فقتلوهم، إلا خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة، فأسروهما وباعوهما في مكة، فقتلوهما، وصلى خبيبٌ قبل أن يقتل ركعتين، فهو أول من سن ذلك.

وفيها رجم اليهودي واليهودية اللذين زنيا (٥).

---

(١) ينظر: مغازي الواقدي (١/ ٣٤٠)، والطبقات (٢/ ٣٨).

(٢) ينظر الطبقات الكبرى (٢/ ٣٩)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٤٠) والبداية والنهاية (٤/ ١٦٠).

(٣) ينظر طبقات ابن سعد (٢/ ٣٩ - ٤٠)، مغازي الواقدي (١/ ٣٤٦) تاريخ الطبري (٢/ ٥٤٥ - ٥٥٠)، ودلائل النبوة (٣/ ٣٣٨) والمنتظم (٣/ ١٩٨) وعيون التواريخ (١/ ١٨٤) وتاريخ الإسلام (ص ٢٣٥ - مغازي) والبداية والنهاية (٤/ ٨١ ، وما بعدها).

(٤) أخرجه أبو داود (١٤٤٣)، وأحمد (١/ ٣٠١ - ٣٠٢)، من حديث ابن عباس وعند مسلم نحوه من حديث أنس برقم (٣٠٤ / ٦٧٧).

(٥) أخرجه مالك (٢/ ٨١٩) كتاب الحدود: باب ما جاء في الرجم حديث (١) والبخاري (٦/ ٦٣١) كتاب المناقب: باب قول الله تعالى: ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم . . .﴾ حديث (٣٦٣٥) ومسلم (٣/ ١٣٢٦) كتاب الحدود: باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى حديث (٢٦/ ١٦٩٩) وأبو داود (٢/ ٥٥٨) كتاب الحدود: باب في رجم اليهوديين حديث (٤٤٤٦) والترمذي (٤/ ٤٣) كتاب الحدود: باب ما جاء في رجم أهل الكتاب حديث (١٤٣٦) =

وقصرت الصلاة إن قلنا: كان فرضها أربعًا.

وفرض التيمم: لكن نصَّ الشافعيُّ في «الأم» أنه في المصطلق، وذلك إما في الخامسة أو السادسة أو الرابعة.

وخسف القمر، وزلزلت المدينة، وسابق بين الخيل [١].

* * *

= وابن ماجه (٢/ ٨٥٤) كتاب الحدود: باب رجم اليهودي واليهودية حديث (٢٥٥٦) والدارمي (٢/ ١٧٨ - ١٧٩) كتاب الحدود: باب في الحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إلى حكام المسلمين، والشافعي (٢/ ٨١) كتاب الحدود: باب الزنا حديث (٢٦٤) وأحمد (٢/ ٥، ٧، ١٧، ٦٢، ٦٣، ٧٦، ١٢٦) وعبد الرزاق في المصنف (٧/ ٣١٨) رقم (١٣٣٣١، ١٣٣٣٢) وابن الجارود في المنتقى رقم (٨٢٢) وأبو داود الطيالسي (١/ ٣٠١ - منحة) رقم (١٥٣٠) والحميدي (٢/ ٣٠٦) رقم (٦٩٦) والبيهقي (٨/ ٢٤٦) كتاب الحدود: باب ما جاء في حد الذميين، والبغوي في شرح السنة (٥/ ٤٦٢ - بتحقيقنا) كلهم من طريق نافع عن ابن عمر قال: إن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ قالوا: نفضحهم ويجلدون قال عبد الله بن سلام: كذبتم إن فيها لآية الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال عبد الله بن سلام ارفع يدك فإذا فيها آية الرجم فقال: صدقت يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما قال عبد الله بن عمر: فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة قال الترمذي حسن صحيح.

(١) ذكر ابن الجوزي في المنتظم (٣/ ٢٤٠) في حوادث سنة خمسة في حوادث شهر ذي الحجة من هذه السنة قال: وفي هذا الشهر: رجفت المدينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله مستعتبكم فأعتبوا».

حوادث السنة الخامسة

فيها غزوة المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق [١]، ثاني شعبان، خرج ﷺ ومعه كثير بشر، وثلاثون فرسًا، فحملوا على القوم حملة واحدة، فما انفلك منهم إنسان، بل قتل عشرة وأسر سائرهم، وغاب ثمانية وعشرين يومًا. وكان فيها قصة الإفك، والنهي عن العزل.

قال في المواهب: والمُصْطَلِق: بضم الميم، وسكون الصاد المهملة، وفتح الطاء المشالة المهملة، وكسر اللام بعدها قاف، وهو لقب، واسمه جذيمة بن سعد ابن عمرو بطن من خزاعة. وكانت يوم الاثنين، لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس. وفي البخاري: قال ابن إسحاق: سنة ست. وقال موسى بن عقبة: سنة أربع [٢]. انتهى.

وسببها: أنه بلغه - عليه الصلاة والسلام - أن رئيسهم الحارث بن أبي ضرار سار في قومه ومن قدر عليه من العرب، فدعاهم إلى حرب رسول الله ﷺ، فأجابوه وتهيَّئوا للمسير، فبعث - عليه الصلاة والسلام - بريدة بن الخصيب الأسلمي يعلم علم ذلك، فأتاهم، ولقي الحارث بن أبي ضرار، فكلَّمه ورجع إلى رسول الله ﷺ. وخرج - عليه الصلاة والسلام - مسرعًا في بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزوة قَطُّ مثلها، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة، وقادوا الخيل، وكانت ثلاثين فرسًا، وخرجت عائشة وأم سلمة. وبلغ الحارث ومن معه مسيره - عليه الصلاة والسلام - فسيء بذلك هو ومن معه، وخافوا خوفًا شديدًا، وتفرَّقَ عنهم من كان معهم من العرب، وبلغ - عليه الصلاة والسلام - المريسيع، وصفَّ أصحابه، ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر، وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة، وتراموا بالنبل ساعة، ثم أمر - عليه الصلاة والسلام - فحملوا حملة رجل واحد، وقتلوا عشرة، وأسروا سائرهم، وسبوا النساء والرجال والذرية، والنعم والشاء، ولم يقتل من

---

(١) ينظر: مغازي الواقدي (١/ ٤٠٤)، طبقات ابن سعد (٢/ ٤٨) وسيرة ابن هشام (٣/ ٢٣٥) وتاريخ الطبري (٢/ ٦٠٤) والكامل في التاريخ (٢/ ١٩٥- ١٩٩) وتاريخ الإسلام للذهبي (ص ٣٤٩ - مغازي) والمنتظم (٣/ ٢١٨) والبداية والنهاية (٤/ ١٧٨).

(٢) ينظر صحيح البخاري مع فتح الباري (٨/ ١٩٤).

المسلمين إلا رجل واحد. كذا ذكره ابن إسحاق [١].

والذي في صحيح البخاري، من حديث ابن عمر: يدل على أنه أغار عليهم على حين غفلة منهم، فأوقع بهم؛ ولفظه: أغار على بني المصطلق، وهم غارون، وأنعامهم تسقى على الماء، فقتل مقاتلهم، وسبى ذراريهم وهم على الماء [٢]، فيحتملُ أن يكون حين الإيقاع بهم سبوا قليلاً، فلما كثر عليهم القتال، انهزموا بأن يكون لما دهمهم وهم على الماء، وتصافوا، ووقع القتال بين الطائفتين، ثم بعد ذلك وقعت الغلبة عليهم.

قيل: وفي هذه الغزوة نزلت آية التَّيَمُّمِ، قال في «فتح الباري» قوله: «في بعض أسفاره»، قال ابن عبد البر في «التمهيد»: يقال: إنه كان في غزوة بني المصطلق، وجزم بذلك في «الاستذكار»، وسبقه إلى ذلك ابن سعد وابن حبان.

وغزوة المصطلق هي غزوة المريسيع، وفيها كانت قصة الإفك لعائشة، وكان ابتداء ذلك بسبب وقوع عقْدها أيضًا، فإن كان ما جزموا به ثابتًا، حمل على أنه سقط منها في تلك السفرة مرتين؛ لاختلاف القصتين؛ كما هو بين في سياقهما.

قال: واستبعد بعض شيوخنا ذلك؛ لأن المريسيع من ناحية مكة بين قُديد والسَّاحِلِ؛ وهذه القصة كانت من ناحية خيبر؛ لقولها في الحديث: «حتى إذا كنا في البيداء، أو بذات الجيش» [٣]، وهما بين المدينة[٤] وخيبر؛ كما جزم به النووي.

---

(١) ينظر سيرة ابن هشام (٣/ ٢٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ١٧٠) كتاب العتق باب من ملك من العرب رقيقاً حديث (٢٥٤١) ومسلم (٣/ ١٣٥٦): كتاب الجهاد والسير باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم الدعوة حديث (١/ ١٧٣٠) من حديث ابن عمر قال أغار رسول الله صلى الله عليه وسلم على بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وأصاب يومئذ جويرية بنت الحارث، وأخرجه مالك (٢/ ٤٦٨): كتاب الجهاد باب ما جاء في الخيل والمسابقة حديث (٤٨) وأحمد (٣/ ١٦٣ - ١٦٤) والبخاري (٦/ ١١١) كتاب الجهاد باب دعاء النبي الناس إلى الإسلام حديث (٢٩٤٥) ومسلم (٣/ ١٤٢٧): كتاب الجهاد باب غزوة خيبر حديث (١٢١/ ١٣٦٥) من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى خيبر، أتاها ليلاً وكان إذا أتى قوما بليل لم يغر حتى يصبح. فلما أصبح خرجت يهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوه قالوا: محمد والله محمد والخميس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٣٤)، ومسلم (١٠٨/ ٣٦٧).

(٤) في ط: مكة. والمثبت من الفتح، وهو الصواب.

قال: وما جزم به مخالفٌ لما جزم به ابن التين؛ فإنه قال: «البيداء هو ذو الحليفة بالقرب من المدينة من طريق مكة، وذات الجيش وراء ذي الحليفة». وقال أبو عبيد البكري في «معجمه»: أدنى إلى مكة من ذي الحليفة، ثم ساق حديث عائشة هذا، ثم قال: وذات الجيش من المدينة على بريد، قال: وبينها وبين العقيق سبعة أميال، والعقيق من طريق مكة لا من طريق خيبر، فاستقام ما قاله ابن التين[(١)].

وقد قال قوم بتعدُّد ضياع العقد، ومنهم: محمد بن حبيب الإخباري، فقال: سقط عقد عائشة في غزوة ذات الرقاع، وفي غزوة بني المصطلق.

واختلف أهل المغازي في أي هاتين الغزوتين كانت أولاً، قال الداودي: كانت قصة التيمم في غزاة الفتح. ثم تردَّد في ذلك. وروى ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة قال: لما نزلت آية التيمم لم أدرِ كيف أصنعُ؛ فهذا يدلُّ على تأخرها عن غزوة بني المصطلق؛ لأن إسلام أبي هريرة كان في السنة السابعة وهي بعدها بلا خلاف، وكان البخاري يرى أن غزوة ذات الرقاع كانت بعد قدوم أبي موسى، وقدومه كان وقت إسلام أبي هريرة. ومما يدلُّ على تأخر القصة - أيضًا - عن قصة الإفك: ما رواه الطبراني، من طريق يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة قالت: لما كان من أمر عقدي ما كان، وقال أهل الإفك ما قالوا، خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة أخرى، فسقط عقدي حتى حبس الناس على التماسه، فقال لي أبو بكر: يا بنية، في كل سفرة تكونين عناءً وبلاءً على الناس؟! فأنزل الله الرخصة في التيمم، فقال أبو بكر: إنك لمباركة[(٢)]. وفي إسناده محمد بن حميد الرازي، وفيه مقال.

وفي سياقه من الفوائد بيان عتاب أبي بكر الذي أبهم في حديث الصحيح، والتصريح بأن ضياع العقد كان مرتين في غزوتين. انتهى.

---

(١) ينظر فتح الباري (١/ ٥٧٤ - ٥٧٥).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣/ ١٢١ - ١٢٢) رقم (١٥٩) حدثنا القاسم بن عباد الخطابي ثنا محمد بن حميد الرازي ثنا سلمة بن الفضل وإبراهيم بن المختار عن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عبَّاد به كما حكاه المصنف، ومحمد بن حميد الرازي فيه كلام كثير قال الحافظ (٥٨٧١) حافظ ضعيف وكان ابن معين حسن الرأي فيه، قال الذهبي في الميزان (٦/ ١٢٦): من بحور العلم وهو ضعيف.

وفي هذه الغزوة قال ابن أبيٍّ: لئن رجعنا إلى المدينة، ليخرجنَّ الأعز منها الأذلَّ، فسمعه زيد بن أرقم ذو الأذن الواعية، فحدث رسول الله ﷺ بذلك، فأرسل إلى ابن أبيّ وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ. . . ﴾ [المنافقون: ١] فقال له رسول الله ﷺ: إن الله صدقك يا زيد [(١)]، رواه البخاري.

وكانت غيبته في هذه الغزوة ثمانية وعشرين يومًا. ثم قال حسان بن ثابت يعتذر من الذي كان قال في شأن عائشة - رضي الله عنها -: [من الطويل]

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ
عَقِيلَةُ حَيٍّ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ كِرَامِ المَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ
مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللهُ خِيمَهَا وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُمُ فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ أَنَامِلِي
وَكَيْفَ وَوُدِّي مَا حَيِيتُ وَنُصْرَتِي لِآلِ رَسُولِ اللهِ زَيْنِ المحافِلِ
لَهُ رَتَبٌ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ تَقَاصَرَ عَنْهُ سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ
فَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَائِطٍ وَلَكِنَّهُ قَوْلُ امْرِئٍ بِيَ مَاحِلِ

قال ابن هشام: بيته «عقيلة حي»، والبيت الذي بعده، وبيته: «له رتب عال» عن أبي زيد الأنصاري.

وحدثني أبو عبيدة: أن امرأة مدحت بنت - أو ببيت - حسان بن ثابت عند عائشة، فقالت: [من الطويل]

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لحُومِ الغَوَافِلِ

فقالت عائشة: لكن أبوها [(٢)].

فمن روى « ببيت حسان » يقول: « أبوها »، أي: أبوا هذه الصفة أن يقولوها

(١) ذكره البخاري في صحيحه تعليقاً بعد حديث (٤٩٠٢) ووصله في كتاب التفسير (٤٩٠٢)، (٤٩٠٣) ومسلم في صحيحه (٢٧٧٢) والترمذي (٣٣١٢، ٣٣١٣، ٣٣١٤) والنسائي في التفسير (٦١٤) وأحمد في مسنده (٤/٣٧٣، ٣٦٨، ٣٧٠) وعبد بن حميد (٢٦٢ - منتخب) والطبراني في الكبير (٤٩٧٩) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٣٥) وزاد نسبته إلى ابن سعد وابن جرير الطبري وابن المنذر وابن مردويه.
(٢) ينظر سيرة ابن هشام (٣/٣٥٢ - ٣٥٣) والبداية والنهاية (٤/١٨٧).

حينئذ، ومن روى « بنت حسان » فمعنى « أبوها » أنه ليس مثلها.

قال ابن إسحاق: وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه في فريتهم على عائشة: [من الطويل]

لَقَدْ ذَاقَ حَسَّانُ الَّذِي كَانَ أَهْلَهُ وَحَمْنَةُ إِذْ قَالُوا هَجِيرًا وَمِسْطَحُ

تَعَاطَوْا بِرَجْمِ الْغَيْبِ زَوْجَ نَبِيِّهِمْ وَسَخْطَةَ ذِي الْعَرْشِ الْكَرِيمِ فَأُبْرِحُوا

وَآذَوْا رَسُولَ الله فِيهَا فَجُلِّلُوا مَخَازِيَ تَبْقَى عَمَّمُوهَا وَفُضِّحُوا

وَصُبَّتْ عَلَيْهِمْ مُحْصَدَاتٌ كَأَنَّهَا شَآبِيبُ قَطْرٍ مِنْ ذُرَى الْمُزْنِ تَسْفَحُ [1]

وفيها **غزوة الخندق** وهي الأحزاب في ذي القعدة [2]. كان المسلمون ثلاثة آلاف، والمشركون عشرة آلاف مع أبي سفيان، فحفر ﷺ وأصحابه الخندق بإشارة سلمان الفارسي على عادة بلاده، وتداعوا للبراز نحو أربعة عشر يومًا، فأرسل الله ريحًا هزمت الكفار.

فلما انصرف، جاءه جبريل، فقال: إن الملائكة ما وضعت السلاح بعدُ، وإن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة، فمضى فحاصرهم خمسة عشر يومًا، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ، وكان ضعيفًا، فحكم بقتل الرجال وسبي الذراري والنساء، فقال ﷺ: حكمت فيهم بحكم الله. وفرغ من ذلك خامس ذي الحجة.

وفيها فرض الحج، أو في السادسة، ورجح أو في الثامنة، أو التاسعة، أو العاشرة، أو قبل الهجرة، أو غير ذلك: أقوال.

وفيها نزلت آية الحجاب.

قال في المواهب: هي الأحزاب، جمع حزب، أي طائفة، فأما تسميتها بالخندق، فلأجل الخندق الذي حفر حول المدينة بأمره - عليه الصلاة والسلام - ولم يكن اتخاذ الخندق من شأن العرب، ولكنه من مكايد الفرس، وكان الذي أشار

---

(١) ينظر الأبيات في سيرة ابن هشام (٣/ ٢٥٣) ونقلها أيضا ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ١٨٦).

(٢) ينظر عن الغزوة: مغازي الواقدي (٢/ ٤٤٠ - ٤٩٦)، والطبقات الكبرى (٢/ ٥٠ وما بعدها) وسيرة ابن هشام (٣/ ١٦٥)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣٩٢ وما بعدها)، والمنتظم (٣/ ٢٦٧)، وتاريخ الإسلام للذهبي (ص ٢٨٣ - مغازي)، والبداية والنهاية (٤/ ١٠٦)، وعيون التواريخ (١/ ١٩٤).

بذلك سلمان الفارسي، فقال: يا رسول الله، إنا كنا بفارس إذا حُصِرْنَا خندقنا علينا، فأمر النبي ﷺ بحفره، وعمل فيه بنفسه ترغيبًا للمسلمين.

فأما تسميتها بالأحزاب، فلاجتماع طوائف المشركين على حرب المسلمين، وهم قريش وغطفان واليهود ومن معهم، وقد أنزل الله فيه هذه القصة صدرًا من سورة الأحزاب.

واختلف في تاريخها، فقال موسى بن عقبة: كانت في شوال سنة أربع [١]، وقال ابن إسحاق: في شوال سنة خمس [٢]، وبذلك صرح غيره من أهل المغازي، ومال البخاري إلى قول موسى بن عقبة، وقواه بقول ابن عمر: إن رسول الله ﷺ عرضه يوم أحد، وهو ابن أربع عشرة؛ فلم يجزه، وعرضه يوم الخندق، وهو ابن خمس عشرة، فأجازه [٣]؛ فيكون بينهما سنة واحدة. وأُحدٌ كانت سنة ثلاث؛ فيكون الخندق سنة أربع، ولا حجة فيه إذا ثبت لنا أنها كانت سنة خمس؛ لاحتمال أن يكون ابن عمر في أحد كان أول ما طعن في الرابعة عشرة، وكان في الأحزاب استكمل الخمس عشرة؛ وبهذا أجاب البيهقي [٤]، وقال الشيخ ولي الدين بن العراقي: والمشهور أنها في السنة الرابعة.

وكان من حديث هذه الغزوة: أن نفرًا من يهود خرجوا حتى قدموا على قريش مكة، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله. فاجتمعوا لذلك، واستعدوا له،

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣٩٣).

(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ١٦٦).

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ٣٩٢) كتاب المغازي: باب غزوة الخندق حديث (٤٠٩٧) ومسلم (٣/ ١٤٩٠) كتاب الإمارة: باب بيان سن البلوغ حديث (٩١/ ١٨٦٨) وأبو داود (٤/ ٥٦١) كتاب الحدود باب الغلام يصيب الحد حديث (٤٤٠٦) والترمذي (٤/ ٢١١) كتاب الجهاد: باب حد بلوغ الرجل حديث (١٧١١) وابن ماجه (٢/ ٨٥٠) كتاب الحدود: باب من لا يجب عليه الحد حديث (٢٥٤٣) وأحمد (٢/ ١٧) من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة فلم يجزه وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه.

(٤) قال البيهقي في الدلائل (٣/ ٣٩٦): «فيحتمل أن ابن عمر كان قد طعن في الرابعة عشر يوم أحد فلم يجزه في القتال حين عرض عليه وكان قد استكمل خمس عشرة سنة وزاد عليها عام الخندق فأجازه حين عرض عليه إلا أنه نقل الخمس عشرة لتعلق الحكم بها دون الزيادة. . .» اهـ.

ثم خرج أولئك اليهود حتى جاءوا غَطَفَانَ من قيس عيلان، فدعوهم إلى حربه - عليه الصلاة والسلام - وخبروهم أنهم سيكونون معهم عليهم، وأن قريشًا قد بايعوهم على ذلك، واجتمعوا معهم، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عُيينة بن حصن في فَزَارَةَ، والحارث بن عوف المريّ في مرة، وكانت عدتُهُم فيما ذكره ابن إسحاق عشرة آلاف، والمسلمون ثلاثة آلاف [١]، وقيل غير ذلك.

وذكر ابن سعد: أنه كان مع المسلمين ست وثلاثون فرسًا.

ولما سمع رسول الله ﷺ بالأحزاب، وبما أجمعوا عليه من الأمر، ضرب على المسلمين الخندق، فعمل فيه - عليه الصلاة والسلام - ترغيبًا للأجر، وعمل معه المسلمون، فدأب ودأبوا، وأَبطَأَ على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين في عملهم ذلك ناسٌ من المنافقين، وجعلوا يورون بالضعف عن العمل.

وفي البخاري: عن سهل بن سعد قال: كنا مع النبي ﷺ في الخندق، وهم يحفرون، ونحن ننقل التراب على أكتادنا، فقال رسول الله ﷺ:

اللهُمَّ لاَ عَيْشَ إلاَّ عَيشُ الآخِرَهْ ... فَاغْفِر للأنْصَارِ والمهَاجِرَهْ

والأكتاد - بالمثناة الفوقية -: جمع كَتِد، بفتح أوله وكسر المثناة، وهو ما بين الكاهل إلى الظهر، وفي بعض نسخ البخاري: أكبادنا بموحدة، وهو موجه على أن يكون المراد به ما يلي الكبد من الجنب [٢].

وفي البخاري - أيضًا - عن أنس: فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال:

اللهُمَّ لاَ عَيْشَ إلاَّ عَيشُ الآخِرَهْ ... فَاغْفِر للأنْصَارِ والمهَاجِرَهْ

فقالوا مجيبين له: [من الرجز]

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدا ... عَلَى الجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدا [٣]

---

(١) ينظر سيرة ابن هشام (٣/ ١٦٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٧٩٧)، (٣٠٩٨)، (٦٤١٤) ومسلم في صحيحه (١٨٠٤) والنسائي في فضائل الصحابة رقم (٢٠٧) وأحمد (٥/ ٣٣٢) من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد . . . به.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٣٤) وأطرافه في (٢٨٣٥، ٢٩٦١، ٣٧٩٥، ٤٠٩٩، ٤١٠٠، ٦٤١٣، ٧٢٠١) ومسلم (١٨٠٥) والترمذي (٣٨٥٧) والنسائي في فضائل الصحابة=

قال ابن بطال: وقوله: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة» هو من قول ابن رَوَاحَةَ تمثل به - عليه الصلاة والسلام - وعند الحارث بن أبي أسامة من مرسل طاوس زيادة في آخر الرجز: [من الرجز]

وَالْعَنْ إِلَهِي عُضَلًا والقَارهْ هُمْ كَلَّفُونَا ثِقَلَ الحجَارَهْ

وفي البخاري من حديث البراء قال: لما كان يوم الأحزاب، وخندق ﷺ، رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه، وكان كثير الشَّعْرِ، فسمعته يرتجز بشعر ابن رَواحة وهو ينقل التراب ويقول: [من الرجز]

اللهم لَوْلاَ أَنتَ مَا اهْتَدَيْنَا
وَلاَ تَصَدَّقْنَا ولاَ صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا
وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

قال: يمد بها صوته. وفي رواية له أيضًا:

إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوا عَلَيْنَا
إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا(١)

وفي حديث سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، أنه ﷺ حين ضرب في الخندق، قال:

بِسْمِ الإِلَهِ وَبِهِ بَدِينَا
وَلَوْ عَبَدْنَا غَيْرَهُ شَقِينَا
حَبَّذَا رَبًّا وَحَبَّذَا دِينَا(٢)

قال فى « النهاية »: يقال: بَدِيت بالشيء - بكسر الدال - أى: ابتدأتُ به، فلما

= (٢٠٩ - ٢١٣) وأحمد في مسنده (٣/ ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٨٧ ، ٢٠٥ ، ١٦ ، ٢٧٦، ٢٨٨) من طرق عن أنس به بألفاظ متقاربة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٣٧) وأطرافه في (٢٨٣٦ ، ٣٠٣٤، ٤١٠٤، ٤١٠٦، ٦٦٢٠، ٧٢٣٦) ومسلم (١٨٠٣) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١٨٧٥) وفي عمل اليوم والليلة (٥٣٣) وأحمد (٤/ ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٩١) .

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٤١٤) من طريق زياد بن زياد عن أبي عثمان عن سلمان أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب في الخندق وقال: باسم الله وبه هدينا ولو عبدنا غيره شقينا. فأحب ربا وأحب دينا).

خففت الهمزة كُسِرَت الدال فانقلبت الهمزة ياءً، وليست من بنات الياء[١]، انتهى.

وقد وقع فى حفر الخندق آياتٌ من أعلام نبوته - عليه الصلاة والسلام -.

منها: ما فى الصحيح عن جابر، قال: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية شديدة - وهى بضم الكاف وتقديم الدال المهملة على التحتانية، وهى: القطعة الصلبة - فجاءوا إلى النبى ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت فى الخندق، فقام وبطنُه مشدود بحجر، ولنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا، فأخذ النبى ﷺ المعول فضرب، فعاد كثيبًا أهيل، أو: أهيم؛ كذا بالشك من الراوى[٢].

وفى رواية الإسماعيلى باللام من غير شك[٣].

والمعنى: أنه صار رملاً يسيل فلا يتماسك، وأهيم: بمعنى أهيل، وقد قيل فى قوله: ﴿ فَشَـٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾ [الواقعه: ٥٥] المراد: الرمال التى لا يرويها الماء.

وقد وقع عند أحمد والنسائى، فى هذه القصة، زيادة بإسناد حسن، من حديث البراء قال: لما أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، عرضت لنا فى بعض الخندق صخرة لا تأخذ منها المعاول، فاشتكينا ذلك لرسول الله ﷺ، فجاء فأخذ المعول فقال: «باسم الله»، فضرب ضربة فنثر ثلثها، وقال: «الله أكبر! أعطيت مفاتيح الشام، والله إنى لأبصر قصورها الحمر الساعة!» ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر، فقال: «الله أكبر! أعطيت مفاتيح فارس، وإنى والله لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن» ثم ضرب الثالثة فقال: «باسم الله»، فقطع بقية الحجر فقال: «الله أكبر! أعطيت مفاتيح اليمن، والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة!»[٤].

ومن أعلام نبوته ﷺ: ما ثبت فى الصحيح فى حديث جابر، من تكثير الطعام القليل يوم حفر الخندق؛ كما سيأتى، إن شاء الله تعالى.

وقد وقع عند موسى بن عقبة، أنهم أقاموا فى عمل الخندق قريبًا من عشرين

---

(١) النهاية لابن الأثير (١/ ١٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤١٠١).

(٣) ينظر فتح الباري (٨/ ١٥٣).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٠٣) والنسائي في الكبرى (٥/ ٢٦٩ - ٢٧٠) رقم (٨٨٥٨) من طرق عن عوف عن ميمون عن البراء بن عازب به وحسن الحافظ إسناده في فتح الباري (٨/ ١٥٤).

ليلة، وعند الواقدى: أربعًا وعشرين، وفى «الروضة» للنووى: خمسة عشر يومًا، وفى «الهدى النبوى» لابن القيم: أقاموا شهرا.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجمع السيول، فى عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بنى كنانة وتهامة، ونزل عيينة بن حصن فى غَطَفان، ومن تبعهم من أهل نجد إلى جانب أحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون، حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع، وكانوا ثلاثة آلاف رجل، وضرب هنالك عسكره، والخندقُ بينه وبين القوم؛ وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة، ولواء الأنصار بيد سعد بن عبادة؛ وكان ﷺ يبعث الحرس إلى «المدينة» خوفًا على الذرارى من بنى قريظة.

قال ابن إسحاق: وخرج عدو الله حُيى بن أخطب، حتى أتى كعبَ بن أسد القرظى صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم، وكان وَادَعَ رسولَ الله ﷺ على قومه وعاقده، فأغلق كعب دونه باب حصنه، وأبى أن يفتح له، وقال: ويحك يا حيى، إنك امرؤ مشئوم، وإنى قد عاهدتُ محمدًا؛ فلستُ بناقض ما بينى وبينه؛ فإنى لم أر منه إلا وفاء وصدقًا. فقال: ويلك افتح! فلم يزل به حتى فتح له، فقال: يا كعب، جئتك بعز الدهر، جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال، ومن دونهم غطفان، وقد عاهدونى على ألاَّ يبرحوا؛ حتى يستأصلوا محمدا ومن معه. فلم يزل به حتى نقض عهده، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ[١].

وعن عبد الله بن الزبير، قال: كنتُ يوم الأحزاب أنا وعمرو بن أبى سلمة، مع النساء فى أطم حسان، فنظرتُ فإذا الزبير على فرسه يختلف إلى بنى قريظة مرتين أو ثلاثًا، فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف. قال: رأيتنى يا بنى؟ قلت: نعم. قال: كان رسول الله ﷺ قال: «من يأتى بنى قريظة فيأتينى بخبرهم»، فانطلقتُ، فلما رجعتُ جمع لى رسول الله ﷺ أبويه فقال: «فداك أبى وأمى». أخرجه الشيخان[٢]، وقال الترمذى: حديث حسن.

(١) ينظر: سيرة ابن هشام مختصرا (٣/ ١٧٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٧٢٠) ومسلم (٢٤١٦) والترمذي (٣٧٤٣) وابن ماجه (١٢٣) والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١) وفي فضائل الصحابة (١٠٩، ١١٠).

وفى رواية أصحاب المغازى: فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، ومعهما ابن رواحة وخوّات بن جبير؛ ليعرفوا الخبر، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم: نالوا من رسول الله ﷺ وتبرءوا من عقده وعهده، ثم أقبل السعدان، ومن معهما على رسول الله ﷺ وقالوا: عضل والقارة، أى: كغدرهما بأصحاب الرجيع، فعظم عند ذلك البلاءُ واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم؛ حتى ظن المؤمنون كلَّ ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين، وأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: ١٢] الآيات، وقال رجال ممن معه: ﴿ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾ [الأحزاب: ١٣]، وقال أوس بن قيظى: إن بيوتنا عورة من العدو؛ فَأْذَنْ لنا نرجع إلى ديارنا فإنها خارج المدينة[(١)].

قال ابن عائذ: وأقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى على فرس له؛ ليوثبه الخندق، فوقع فى الخندق فقتله الله، وكَبُر ذلك على المشركين، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: إنا نعطيكم الدية على أن تدفعوه إلينا فندفنه، فرد إليهم ﷺ: «إنه خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم أن تدفنوه، ولا أَرَبَ لنا فى ديته»[(٢)].

وأقام - عليه الصلاة والسلام - والمسلمون، وعدوهم يحاصرهم، ولم يكن بينهم قتال؛ إلا مراماة بالنبل؛ لكن كان عمرو بن عبد ود العامرى اقتحم هو ونفر معه، بخيولهم من ناحية ضيقة من الخندق، حتى صاروا بالسبخة، فبارزه علىٌّ فقتله، وبرز نوفل بن عبد الله بن المغيرة فقتله الزبير، وقيل: قتله على[(٣)]، ورجعت بقية الخيول منهزمةً، ورُمى سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحل وهو - بفتح الهمزة والمهملة، بينهما كاف ساكنة -: عِرْقٌ فى وسط الذراع؛ قال الخليل: هو عرق الحياة، يقال: إن فى كل عضو منه شعبة، فهو فى اليد: الأكحل، وفى الظهر: الأبهر، وفى الفخذ: النسا؛ إذا قطع لم يرقأ الدم. وكان الذى رَمَى سعدًا ابنُ العرقة

(١) ينظر سيرة ابن هشام (٣/ ١٧٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (ص ٢٨٨ - ٢٨٩ - مغازي) وينظر أيضاً دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٤٣٠).

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٤٣٧) ونقله ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ١٢٣).

(٣) راجع مقتل عمرو بن عبد ود في سيرة ابن هشام (٣/ ١٧٦)، ودلائل النبوة (٣/ ٤٣٧- ٤٣٩)، وتاريخ الإسلام للذهبي (ص٢٩٠ - مغازي) والبداية والنهاية (٤/ ١٢١ -١٢٢).

أحد بنى عامر بن لؤى، قال: خذها وأنا ابن العرقة، فقال له سعد: عرق الله وجهك فى النار. ثم قال سعد: اللهم إن كنت أبقيتَ من حربِ قريشٍ فأبقنى لها؛ فإنى لا قَوْمَ أحب إلىَّ أن أجاهد، من قومٍ آذوا رسولك وكذبوه [وأخرجوه][1].

وأقام - عليه الصلاة والسلام - وأصحابه بضع عشرة ليلة، فمشى نعيم بن مسعود الأشجعى وهو مخف إسلامه، فثبط قومًا عن قوم، وأوقع بينهم شرًّا؛ لقوله له - عليه الصلاة والسلام -: «الحرب خدعة» فاختلفت كلمتهم.

وروى الحاكم عن حذيفة، قال: لقد رأيتنا - ليلة الأحزاب - وأبو سفيان ومن معه من قومنا وقريظة أسفل منا، نخافهم على ذرارينا، وما أتت علينا ليلةٌ أشد ظلمة ولا ريحا منها، فجعل المنافقون يستأذنون، ويقولون: بيوتنا عورة؛ فمر بى النبى ﷺ وأنا جاثٍ على ركبتى، ولم يبق معه إلا ثلاثمائة فقال: «اذهب فَأْتِنى بخبر القوم». قال: فدعا لى؛ فأذهبَ الله عنى القر والفزع، فدخلت عسكرهم، فإذا الريح فيه تجاوز شبرا، فلما رجعت رأيت فوارسَ فى طريقى، فقالوا: أخبر صاحبك أن الله كفاه القوم.

وفى رواية: أن حذيفة لما أرسله - عليه الصلاة والسلام - ليأتيه بالخبر، سمع أبا سفيان يقول: يا معشر قريش، إنكم - والله - ما أصبحتم بدار مقام، ولقد هلك الخف والكُراع، واختلفنا وبنو قريظة، ولقينا من هذه الريح ما ترون؛ فارتحلوا فإنى مرتحلٌ، ووثب على جمله، فما حل عقال يده إلاَّ وهو قائم[2].

---

(١) روى ابن إسحاق قصة مقتل سعد كما في سيرة ابن هشام (٣/ ١٧٧) حدثني أبو ليلى عبد الله ابن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري أخو بني حارثة: أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق وكان من أحرز حصون المدينة قال: وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن، فقالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب: فمر سعد وعليه درع له مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربته يرفل بها ويقول:

لَبِّث قليلاً يشهد الهيجا جمل لا بأس بالموت إذا حان الأجلْ

قال: فقالت له أمه: الحق أي بني فقد والله أخرت ... القصة وعنه نقلها الذهبي في تاريخ الإسلام (ص٢٩١ - مغازي)، وابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ١٢٣ - ١٢٤). والزيادة من السيرة، والبداية والنهاية.

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٤٥١ - ٤٥٢) عن الحاكم به ولم أقف عليه في المستدرك بهذا اللفظ وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ١٣١) وعزاه إلى الحاكم والبيهقي في الدلائل ورواه ابن إسحاق في السيرة (٣/ ١٨٢) حدثني يزيد بن زياد عن محمد =

ووقع فى البخارى: أنه - عليه الصلاة والسلام - قال يوم الأحزاب: «من يأتينا بخبر القوم» فقال الزبير: أنا. ثم قال: «من يأتينا بخبر القوم ؟» فقال الزبير: أنا؛ قالها ثلاثًا[١].

وقد أشكل ذكر الزبير فى هذه، فقال ابن الملقن: وقع هنا أن الزبير هو الذى ذهب، والمشهور: أنه حذيفة بن اليمان.

قال الحافظ ابن حجر: هذا الحصر مردود؛ فإن القصة التى ذهب [الزبير] لكشفها، غير القصة التى ذهب حذيفة لكشفها؛ فقصة الزبير كانت لكشف بنى قريظة، هل نقضوا العهد بينهم وبين المسلمين، ووافقوا قريشًا على محاربة المسلمين؟ وقصة حذيفة كانت لما اشتد الحصار على المسلمين بالخندق، وتمالأت عليه الطوائف، ثم وقع بين الأحزاب الاختلاف، وحذرت كل طائفة من الأخرى، وأرسل الله عليهم الريح واشتد البرد تلك الليلة فانتدب - عليه الصلاة والسلام - من يأتيه بخبر قريش؛ فانتدب له حذيفة بعد تكراره طلبَ ذلك، وقصته فى ذلك مشهورة، لما دخل بين قريش فى الليل وعرف قصتهم[٢].

وفى البخارى، من حديث عبد الله بن أبى أوفى، قال: دعا رسولُ الله ﷺ على الأحزاب، فقال: «اللهم منزل الكتاب، سريعَ الحساب، اهزمِ الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم»[٣].

وروى أحمد عن أبى سعيد، قال: قلنا يوم الخندق: يا رسول الله، هل من شيء تقوله؛ فقد بلغت القلوبُ منا الحناجر ؟ قال: نعم «اللهم استر عوراتنا، وآمن

= بن كعب القرظي قال: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان ... فذكره، ومن طريق ابن إسحاق رواه الطبري في تاريخه (٢/ ٥٧٩ - ٥٨٠)، ونقله أيضا الذهبي في تاريخ الإسلام (ص٢٩٥ - مغازي) عن ابن إسحاق وقصة حذيفة هذه رواها أيضاً الحاكم (٣/ ٣١) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٤٥٠ - ٤٥١) من طريق بلال العبسي عن حذيفة به .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤١١٣).

(٢) ينظر فتح الباري (٨/ ١٦٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٩٣٣)، (٢٩٦٥)، (٣٠٢٥)، (٤١١٥)، (٦٣٩٢)، (٧٤٨٩) ومسلم (٢١، ٢٢/ ١٧٤٢)، والترمذي (١٦٧٨)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٦٠٢) وابن ماجه (٢٧٩٦) وابن خزيمة (٢٧٧٥) من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي أوفى به .

روعاتنا» قال: وضرب الله وجوهَ أعدائنا بالريح[(١)].

وفى «ينبوع الحياة» لابن ظفر: قيل: إنه ﷺ دعا فقال: «يا صريخَ المكروبين، يا مجيبَ المضطرين، اكشف هَمِّى وغمى وكربى، فإنك ترى ما نزل بى وبأصحابى». فأتاه جبريل فبشره بأن الله يرسل عليهم ريحًا وجنودًا، فأعلم أصحابه ورفع يديه قائلاً: «شكرًا شكرًا». وهبت ريح الصبا ليلا، فقلعت الأوتاد، وألقت عليهم الأبنية، وكفأت القدور، وسفت عليهم التراب، ورمتهم بالحصباء، وسمعوا فى أرجاء عسكرهم التكبير وقعقعة السلاح؛ فارتحلوا هربًا فى ليلتهم، وتركوا ما استثقلوه من متاعهم؛ قال: فذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا . . .﴾ [الأحزاب: ٩].

وفى البخارى: عن على، أن رسول الله ﷺ قال يوم الخندق: «ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا؛ كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس»[(٢)] ومقتضى هذا: أنه استمر اشتغاله بقتال المشركين حتى غابت الشمس.

ويعارضه ما فى «صحيح مسلم» عن ابن مسعود، أنه قال: حبس المشركون

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/٣) حدثنا أبو عامر حدثنا الزبير بن عبد الله حدثني ربيح بن أبي سعيد عن أبيه به قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٣٩): رواه أحمد والبزار وإسناد البزار متصل ورجاله ثقات وكذلك رجال أحمد إلا أن في نسختي من المسند عن ربيح بن أبي سعيد عن أبيه وهو في البزار عن أبيه عن جده اهـ.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ١٢٤) في الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة (٢٩٣١)، (٧/ ٤٦٧) في المغازي، باب غزوة الخندق (٤١١١)، (٨/ ٤٣) في التفسير، باب ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ (٤٥٣٣)، (١١/ ١٩٧) في الدعوات، باب الدعاء على المشركين (٦٣٩٦) ومسلم في المساجد، باب التغليظ في تفويت صلاة العصر (٦٢٧)، وأبو داود (١/ ١٦٥) في الصلاة، باب في وقت صلاة العصر (٤٠٩)، والدارمي (١/ ٢٨٠) في الصلاة، باب في الصلاة الوسطى، وأبو يعلى (٣٨٥) عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي أن رسول الله ﷺ قال يوم الخندق: «شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا» وكذا أخرجه أحمد (١/ ١٢٢، ١٤٤). وأخرجه مسلم في المساجد، باب الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصر (٢٠٣/ ٦٢٧)، والترمذي (٥/ ٢٠٢) في التفسير، باب «ومن سورة البقرة» (٢٩٨٤)، والنسائي (١/ ٢٣٦) في الصلاة، باب المحافظة على صلاة العصر، وأحمد (١/ ٧٩، ١٣٥، ١٣٧، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤)، وأبو يعلى (٣٨٤) عن قتادة عن أبي حسان الأعرج عن عبيدة السلماني عن علي. . وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

رسول الله ﷺ عن صلاة العصر، حتى احمرت الشمس أو اصفرت، فقال رسول الله ﷺ: «شغلونا عن الصلاة الوسطى....»[(١)] الحديث. ومقتضى هذا: أنه لم يخرج الوقت بالكلية.

قال الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد - مشيرا إلى الجمع بين ما فى «البخارى» وما فى «مسلم»-: فلا تعارض، الحبس انتهى ذلك الوقت إلى الحمرة ولم تقع الصلاة إلا بعد المغرب، انتهى.

وفى البخارى: عن عمر بن الخطاب، أنه جاء يوم الخندق بعدما [غربت الشمس، فجعل يسب كفار قريش، وقال: ما كدتُ أصلى العصر حتى] كادت الشمس تغرب، فقال رسول الله ﷺ: «والله ما صليتها». فنزلنا مع النبى ﷺ بطحان، فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها، فصلى العصر بعد ما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب[(٢)]، وقد يكون ذلك للاشتغال بأسباب الصلاة وغيرها.

ومقتضى هذه الرواية المشهورة: أنه لم يفت غير العصر، وفى «الموطأ»: الظهر والعصر، وفى «الترمذى» عن ابن مسعود: أن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ عن أربع صلوات يوم الخندق، وقال: ليس بإسناده بأس؛ إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من عبد الله[(٣)]، فمال ابن العربى إلى الترجيح وقال: الصحيح أن التى اشتغل عنها ﷺ

(١) أخرجه مسلم (١/ ٤٣٧) كتاب المساجد باب التغليظ في تفويت صلاة العصر (٦٢٨)، والترمذي (١/ ٣٤٠) في أبواب الصلاة، باب ما جاء في صلاة الوسطى أنها العصر (١٨١)، وفي التفسير (٢/ ٢٠٣) باب «ومن سورة البقرة» (٢٩٨٥)، وابن ماجة (٦٨٦)، وأحمد (١/ ٣٩٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٥٦)، والطيالسي (١/ ٧١) برقم (٢٨٠)، وأبو يعلى (٥٠٤٤)، والبيهقي (٩/ ٤٦٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٧٥)، وابن حبان (١٧٣٧) عن محمد بن طلحة عن زبيد عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال: حبس المشركون رسول الله ﷺ عن صلاة العصر حتى اصفرت الشمس-أو احمرت- فقال: «شغلونا عن صلاة الوسطى ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارًا، أو حشا الله أجوافهم وقبورهم نارًا» وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وله طريق آخر عن ابن مسعود عند الخطيب في تاريخ بغداد (١٤/ ٦٦).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٤١١٢).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٥)، والترمذي (١/ ١١٥) كتاب الصلاة، باب الرجل تفوته الصلوات، الحديث (١٧٩)، (٢/ ١٧)، كتاب الأذان، باب الاجتزاء للفائت من الصلوات بأذان واحد، والبيهقي (١/ ٤٠٣)، كتاب الصلاة، باب الأذان والإقامة للجمع بين الصلوات الفائتات، من طريق أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ عن أربع صلوات يوم الخندق حتى ذهب من الليل ما شاء، فأمر بلالا فأذن ثم أقام فصلى الظهر، ثم =

واحدة، وهى العصر.

وقال النووى: طريق الجمع بين هذه الروايات: أن وقعة الخندق بقيت أيامًا، فكان هذا فى بعض الأيام وهذا فى بعضها.

قال: وأما تأخيره - عليه الصلاة والسلام - صلاة العصر حتى غربت الشمس، فكان قبل نزول صلاة الخوف.

قال العلماء: يحتمل أنه أخرها نسيانًا لا عمدًا؛ وكان السبب فى النسيان الاشتغال بأمر العدو. ويحتمل أنه أخرها عمدًا للاشتغال بالعدو؛ فكان هذا عذرًا فى تأخير الصلاة قبل نزول صلاة الخوف، وأما اليوم فلا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها بسبب العدو والقتال؛ بل يصلى صلاة الخوف على حسب الحال.

وقد اختلف فى المراد بالصلاة الوسطى، وجمع الحافظ الدمياطى فى ذلك مؤلفًا مفردًا سماه «كشف المغطى، عن الصلاة الوسطى» فبلغ تسعة عشر قولاً، وهى: الصبح، والظهر، والعصر، والمغرب، أو جميع الصلوات - وهو يتناول الفرائض والنوافل، واختاره ابن عبد البر - والجمعة - وصححه القاضى حسين فى صلاة الخوف من تعليقته - والظهر فى الأيام والجمعة يوم الجمعة، والعشاء؛ لأنها بين صلاتين لا تقصران، والصبح والعشاء، أو الصبح والعصر؛ لقوة الأدلة: فظاهر القرآن: الصُّبْح، ونص السنة: العصر، وصلاة الجماعة، أو الوتر وصلاة الخوف، أو صلاة عيد الأضحى، أو الفطر، أو صلاة الضحى، أو واحدة من الخمس غير معينة، أو الصبح أو العصر على الترديد، وهو غير القول السابق، أو التوفيق، انتهى.

= أقام فصلى العصر ثم أقام فصلى المغرب ثم أقام فصلى العشاء. وقال الترمذي: حديث عبد الله ليس بإسناده بأس إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من عبد الله. اهـ. وللحديث طريق آخر عن ابن مسعود أيضًا أخرجه أبو يعلى (٥/ ٣٩) رقم (٢٦٢٨) من طريق يحيى بن أبي أنيسة عن زبيد الأيامي عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عبد الله بن مسعود قال: شغل المشركون رسول الله ﷺ عن الصلوات: الظهر والعصر والمغرب والعشاء حتى ذهب ساعة من الليل ثم أمر رسول الله ﷺ بلالا فأذن وأقام ثم صلى الظهر ثم أمره فأذن وأقام فصلى العصر ثم أمره فأذن وأقام فصلى المغرب ثم أمره فأذن وأقام فصلى العشاء. والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٧) وقال: رواه أبو يعلى وفيه يحيى بن أبي أنيسة وهو ضعيف عند أهل الحديث إلا أن ابن عدي قال: وهو مع ضعفه يكتب حديثه. اهـ. ويحيى روى له الترمذي وقال الحافظ في «التقريب» (٢/ ٣٤٣): ضعيف.

وانصرف ﷺ من غزوة الخندق، يوم الأربعاء، لسبع ليال بقين من ذى القعدة، وكان قد أقام بالخندق خمسة عشر يومًا، وقيل: أربعة وعشرين يومًا، وقال - عليه الصلاة والسلام -: «لن تغزوكم قريشٌ بعد عامكم هذا» وفى ذلك علمٌ من أعلام النبوة؛ فإنه - عليه الصلاة والسلام - اعتمر فى السنة السادسة فصدته قريش عن البيت، ووقعت الهدنة بينهم إلى أن نقضوها، وكان ذلك سبب فتح مكة، فوقع الأمر كما قال - عليه الصلاة والسلام - وسيأتى ذلك، إن شاء الله تعالى.

وقد أخرج البزار من حديث جابر، بإسناد حسن، شاهدًا لهذا، ولفظه: «أن النبى ﷺ قال يوم الأحزاب - وقد جمعوا له جموعًا كثيرة -: «لا يغزونكم بعدها أبدًا، ولكن أنتم تغزونهم»[1].

ولما دخل ﷺ «المدينة» يوم الأربعاء هو وأصحابه، ووضعوا السلاح، جاءه جبريل - عليه السلام - معتجرًا بعمامة من إستبرق، على بغلة عليها قطيفة ديباج، وفى البخارى، من حديث عائشة: أنه لما رجع ﷺ ووضع السلاح، اغتسل، وأتاه جبريل، فقال: «قد وضعت السلاح؟! والله ما وضعناه؛ اخرج إليهم» وأشار إلى بنى قريظة[2].

وعند ابن إسحاق: «إن الله يأمرك، يا محمد، بالمسير إلى بنى قريظة، فإنى عامد إليهم فمزلزلٌ بهم»، فأمر رسول الله ﷺ مؤذنًا فأذّن فى الناس: من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا ببنى قريظة[3].

وعند ابن عائذ: «قم فشد عليك سلاحك؛ فوالله لأدقنهم دق البيض على الصفا». وبعث يومئذ مناديا ينادى: يا خيل الله، اركبى.

---

(١) أخرجه البزار في مسنده كما في كشف الأستار (١٨١٠) حدثنا محمد بن عمر بن هياج ثنا يحيى بن عبد الرحمن الأرحبي ثنا عبيدة بن الأسود عن مجالد عن عامر عن جابر بن عبد الله به قال البزار: قد اختلفوا في إسناده فرواه زكريا بن أبي زائدة عن الشعبي عن الحارث بن البرصاء وقال: مجالد عن الشعبي عن جابر ولا نعلم أحدًا رواه عن جابر إلاَّ عبيدة والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٤٢) وقال: «رواه البزار ورجاله ثقات». اهـ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤١١٧) (٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩)، وأبو داود (٣١٠١)، والنسائي (٢/ ٤٥)، وأحمد في مسنده (٦/ ٥٦، ١٣١، ٢٨٠)، وعبد بن حميد (١٤٨٨).

(٣) ينظر سيرة ابن هشام (٣/ ١٨٣-١٨٤)، ورواه ابن جرير الطبري في تاريخه (٢/ ٥٨١) بإسناده إلى ابن إسحاق وقد نقله ابن كثير -رحمه الله- في البداية والنهاية (٤/ ١٣٣-١٣٤).

وعند الحاكم والبيهقى: وبعث عليا على المقدمة، وخرج ﷺ فى أثره[١].

وعند ابن سعد[٢]: ثم سار إليهم فى المسلمين، وهم ثلاثة آلاف، والخيل ستة وثلاثون فرسًا. قال: وذلك يوم الأربعاء لسبع بقين من ذى القعدة، واستعمل على «المدينة» ابن أم مكتوم، على ما قاله ابن هشام، ونزل - عليه الصلاة والسلام - على بئر من آبار بنى قريظة، وتلاحق به الناس، فأتى رجالٌ بعد العشاء الآخرة، ولم يصلوا العصر؛ لقوله ﷺ: «لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة»[٣] فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة، فما عابهم الله تعالى بذلك ولا عنفهم به رسول الله ﷺ.

وفى البخارى، عن ابن عمر: أدرك بعضهم العصر فى الطريق، فقال بعضهم: «لا نصلى حتى نأتيها»، وقال بعضهم: «بل نصلى، لم يرد منا ذلك». فذكر ذلك للنبى ﷺ فلم يعنف واحدًا منهم.

كذا وقع فى جميع النسخ من البخارى أَنَّهَا العَصْرُ، واتّفقَ جميع أهل المغازى، ووقع في مسلم أَنَّهَا الظُّهْرُ، مع اتِّفَاقِ البخاري ومسلم على روايته عن شيخٍ واحد بإسناد واحد؛ ووافق مسلمًا أبو يعلى وآخرون[٤].

وجمع بين الروايتين: باحتمال أن يكون بعضهم - قبل الأمر - كان صلى الظهر

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٤) عن الحاكم به وفيه «. . . فرجع رسول الله ﷺ فلبس لأمته وأذن بالخروج وأمرهم أن يأخذوا السلاح ففزع الناس للحرب فبعث على بن أبي طالب -رضي الله عنه- على المقدمة ودفع إليه اللواء وأمره أن ينطلق حتى يقف بهم إلى حصن بني قريظة ففعل وخرج رسول الله ﷺ على آثارهم . . .» وقد أشار إليه ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ١٣٧).

(٢) ينظر: طبقات ابن سعد (٢/ ٥٧).

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٥٠٦) في الخوف باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء (٩٤٦)، (٧/ ٤٧١) في المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب (٤١١٩)، ومسلم (٣/ ١٣٩١) في الجهاد والسير، باب المبادرة بالغزو (٦٩/ ١٧٧٠)، والبيهقي في السنن (١٠/ ١١٩)، وفي الدلائل (٤/ ٧)، والبغوي (٧/ ١٣٤) برقم (٣٦٩٢) عن عبد الله بن محمد بن أسماء نا جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها وقال بعضهم: بل نصلي؛ لم يرد منا ذلك. فذكر للنبي ﷺ فلم يعنف واحدًا منهم. واللفظ للبخاري أما عند الآخرين: أن لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة.

(٤) ينظر: الفتح (٧/ ٤٧١-٤٧٢).

وبعضهم لم يصلها، فقيل لمن لم يصلها: لا يصلين أحد الظّهر، ولمن صلاها: لا يصلين أحد العصر.

وجمع بعضهم: باحتمال أن تكون طائفةٌ منهم راحت بعد طائفة، فقيل للطائفة الأولى: الظهر وللطائفة التى بعدها: العصر، والله أعلم.

قال ابن إسحاق: وحاصرهم - عليه الصلاة والسلام - خمسًا وعشرين ليلة، حتى أجهدهم الحصار[١] وعند ابن سعد: خمس عشرة[٢]، وعند ابن عقبة: بضع عشرة ليلة[٣]- وقذف الله فى قلوبهم الرعب، فعرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد أن يؤمنوا، فقال لهم: «يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإنى أعرض إليكم خلالاً ثلاثًا؛ فخذوا أيها شئتم»، قالوا: «وما هى؟» قال: «نبايع هذا الرجل ونصدقه؛ فوالله لقد تبين أنه نبى مرسل، وأنه الذى تجدونه فى كتابكم، فتأمنون به على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم» فأبوا.

قال: «فإذا أبيتم علىَّ هذه، فَهَلُمَّ نقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيوف، لم نترك وراءنا ثقلاً؛ حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلِكْ نهلك ولم نترك وراءنا ما نخشى عليه». فقالوا: «أى عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا؟!».

قال: «فإن أبيتم علىَّ هذه، فإن الليلة ليلة السبت، وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب [من] محمد وأصحابه غرة». قالوا: «نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا، إلا من علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ؟!».

وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: «أن ابعث إلينا أبا لبابة - وهو رفاعة بن عبد المنذر - نستشره فى أمرنا»؛ فأرسله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه، فرقَّ لهم وقالوا: «يا أبا لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟» قال: «نعم». وأشار بيده أنه الذبح.

---

(١) ينظر: السيرة (٣/ ١٨٦).
(٢) ينظر: الطبقات (٢/ ٥٧).
(٣) نقل ذلك عنه البيهقي في الدلائل (٤/ ١٣).

قال أبو لبابة: فوالله «ما زالت قدماى من مكانهما، حتى عرفت أنى خنت الله ورسوله !».

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه، فلم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عمده، وقال: «لا أبرح من مكانى هذا، حتى يتوب الله عليَّ مما صنعت». وعاهد الله: « ألاَّ يطأ بنى قريظة أبدًا، ولا أرى فى بلد خنتُ الله ورسوله فيه أبدًا».

فلما بلغ رسول الله ﷺ خبرُه - وكان قد استبطأه - قال: «أما لو جاءنى لاستغفرتُ له، وأما إذ فعل ما فعل، فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه». قال: وأقام أبو لبابة[1].

وقال أبو عمر: وروى وهب، عن مالك، عن عبد الله بن أبى بكر: أن أبا لبابة ارتبط بسلسلة ثقيلة بضع عشرة ليلة، حتى ذهب سمعه فكاد لا يسمع، وكاد يذهب بصره، وكانت ابنته تحله إذا حضرت الصلاة، أو أراد أن يذهب لحاله؛ فإذا فرغ أعادته.

وعن عبد الله بن قسط أن توبة أبى لبابة نزلتْ على رسول الله ﷺ وهو فى بيت أم سلمة، قالت أم سلمة: فسمعتُ رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك، قالت: فقلت: «ممَّ تضحك، أضحك الله سنك؟!» قال: «تيب على أبى لبابة». قالت: «أفلا أبشره، يا رسول الله!» قال: «بلى، إن شئت». قال: فقامت على باب حجرتها - وذلك قبل أن يضرب الحجاب - فقالت: «يا أبا لبابة، أبشر! فقد تاب الله عليك». قالت: «فثار الناس إليه ليطلقوه» فقال: «لا والله، حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يطلقنى بيده». فلما مر عليه خارجًا إلى صلاة الصبح أطلقه[2].

وروى البيهقى فى دلائله، بسنده عن مجاهد، فى قوله تعالى: ﴿ ٱعْتَرَفُوا۟

---

(١) ينظر: سيرة ابن هشام (٣/ ١٨٦-١٨٧)، والبداية والنهاية (٤/ ١٣٨).

(٢) رواه ابن إسحاق في السيرة (٣/ ١٨٧-١٨٨) حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط به ومن طريقه أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه (٢/ ٥٨٥) والبيهقي في الدلائل (٤/ ١٧) وعن ابن إسحاق نقله أيضًا الذهبي في تاريخ الإسلام (٣١٣-مغازي) وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ١٣٨)، ونقله أيضا الصالحي في سبل الهدى (٥/ ٩-بتحقيقنا) وينظر الاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ٣٠٤).

بِذُنُوبِهِمْ . . .﴾ [التوبة: ١٠٢] قال: هو أبو لبابة؛ إذ قال لقريظة ما قال، وأشار إلى حلقه بأن محمدًا يذبح إن نزلتم على حكمه.

وقد روينا عن ابن عباس، ما دل على أن ارتباطه بسارية المسجد، كان بتخلفه عن غزوة تبوك - كما قال ابن المسيب - قال: وفى ذلك نزلت هذه الآية[(١)].

ولما اشتد الحصار ببنى قريظة أذعنوا أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فحكَّم فيهم سعد بن معاذ، وكان قد جعله فى خيمةٍ فى المسجد الشريف لامرأة من أسلم، يقال لها: رفيدة، وكانت تداوى الجرحى، فلما حكَّمه أتاه قومُه فحملوه على حمارة وقد وطئوا له بوسادة من أدم، وكان رجلاً جسيمًا، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ، فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين قال - عليه الصلاة والسلام - «قوموا إلى سيدكم». فأما المهاجرون من قريش فيقولون: إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار، وأما الأنصار فيقولون: عم بها رسول الله ﷺ المسلمين، فقالوا: إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم. فقال سعد: «فإنى أحكم فيهم أن يقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذرارى والنساء»؛ فقال - عليه الصلاة والسلام -: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»[(٢)]. والرقيع: السماء، سميت بذلك؛ لأنها رُقعت بالنجوم.

ووقع فى البخارى قال: «قضيتَ فيهم بحكم الله». وربما قال: «بحكم الملِكِ» بكسر اللام.

وفى رواية محمد بن صالح: «لقد حكمت اليوم فيهم بحكم الله الذى حكم به من فوق سبع سموات».

وفى حديث جابر، عن ابن عائذ فقال: «احكم فيهم يا سعد». فقال: «الله

---

(١) ينظر: البيهقي في الدلائل (٥/ ٢٧١)، وينظر أيضًا الاستيعاب (٤/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ١٩١)، كتاب الجهاد والسير، باب إذا نزل العدو على حكم رجل، رقم (٣٠٤٣)، ومسلم (٣/ ١٣٨٩)، كتاب: الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم رقم (١٧٦٨)، وأحمد (٣/ ٢٢-٧١)، وأبو داود في السنن (٢/ ٧٧٦) كتاب: الأدب، باب ما جاء في القيام رقم (٥٢١٥-٥٢١٦)، وابن حبان (١٥/ ٤٩٦) كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة باب ذكر سعد بن معاذ الأنصاري رقم (٧٠٢٦).

ورسوله أحق بالحكم». قال: «قد أمرك الله أن تحكم فيهم»[(١)].

وفى هذه القصة جواز الاجتهاد فى زمنه ﷺ، وهى مسألة اختلف فيها أهل أصول الفقه، والمختار: الجواز، سواء كان فى حضرته أم لا؛ وإنما استبعد المانعُ وقوعَ الاعتماد على الظن مع إمكان القطع، ولا يضر ذلك؛ لأنه بالتقرير يصير قطعيًا؛ وقد ثبت وقوع ذلك بحضرته ﷺ؛ كما فى هذه القصة وغيرها.

وانصرف ﷺ يوم الخميس لسبع ليال - كما قاله الدمياطى أو لخمس، كما قاله مغلطاى - خلون من ذى الحجة.

وأمر - عليه الصلاة والسلام - ببنى قريظة فأدخلوا «المدينة»، وحفر لهم أخدود فى السوق، وجلس - ﷺ - ومعه أصحابه، وأُخرجوا إليه فضربت أعناقهم، فكانوا ما بين ستمائة إلى سبعمائة.

وقال السهيلى: المكثر يقول: إنهم ما بين الثمانمائة إلى التسعمائة[(٢)].

وفى حديث جابر، عند الترمذى والنسائى وابن حبان، بإسناد صحيح: إنهم كانوا أربعمائة مقاتل، فيحتمل - فى طريق الجمع - أن يقال: إن الباقين كانوا أتباعًا، واصطفى ﷺ لنفسه الكريمة ريحانة فتزوجها، وقيل: كان يطؤها بملك اليمين، وأمر بالغنائم فجمعت، فأخرج الخمس من المتاع والسبى، ثم أمر بالباقى فبيع ممن يريده، وقسمه بين المسلمين؛ فكانت على ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهمًا، للفرس سهمان، ولصاحبه سهم، وصار الخمس إلى محمية بن جزء الزبيدى، فكان النبى ﷺ يعتق منه ويهب ويُخدم منه من أراد، وكذلك بما صار إليه من الرثة، وهو: السقط من المتاع.

وانفجر جرحُ سعد بن معاذ، فمات شهيدا. وفى البخارى: أنه دعا: «اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلىّ أن أجاهدهم فيك، من قوم كذبوا رسولك، اللهم إِنى

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٥/ ٦٣)، كتاب المناقب، باب مناقب سعد بن معاذ حديث (٨٢٢٣)، والبيهقي (٩/ ٦٣) كتاب السير: باب ما يفعله بذراري من ظهر عليه، من طريق محمد بن صالح التمار عن سعد بن إبراهيم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أن سعد ابن معاذ حكم على بني قريظة أن يقتل منهم كل من جرى عليه المواسى وأن تقسم أموالهم وذراريهم فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «لقد حكم اليوم فيهم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبع سموات».

(٢) ينظر: الروض الأنف (٣/ ٢٧٠)، وهناك القول لابن إسحاق في السيرة.

أظن أنك قد وضعتَ الحرب، فافجرها واجعل موتى فيها، فانفجرت من ليلته، فلم يرعهم إلا الدم يسيل إليهم، فقالوا: «يا أهل الخيمة، ما هذا الذى يأتينا من قبلكم؟ فإذا جرح سعد يغذو - أى: يسيل، يقال غذا الجرح: إذا سال ما فيه دما - فمات منها[١].

وقد كان ظنُّ سعد مصيبا، ودعاؤه فى هذه القصة مجابا؛ وذلك أنه لم يقع بين المسلمين وبين قريش - من بعد وقعة الخندق - حربٌ يكون ابتداء القصد فيها من المشركين؛ فإنَّهُ ﷺ تجهز إلى العمرة فصدوه عن دخول «مكة»، وكاد الحرب أن يقع بينهم، فلم يقع؛ كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفتح: ٢٤]. ثم وقعت الهدنة واعتمر - عليه الصلاة والسلام - من قابل، واستمر ذلك إلى أن نقضوا العهد، فتوجه إليهم غازيا ففتحت «مكة» فعلى هذا فالمراد بقوله: «أظن أنك قد وضعت الحرب» أى: لن يقصدونا محاربين، وهو كقوله - عليه الصلاة والسلام -: «تغزونهم ولا يغزونكم» كما تقدم.

وقد بين سبب انفجار جرح سعد، فى مرسل حميد بن هلال عند ابن سعد، ولفظه: أنه مرت به عنز وهو مضطجع، فأصاب ظلفُها موضعَ النحر، فانفجرت حتى مات[٢]. وحضر جنازته سبعون ألف ملك، واهتز لموته عرش الرحمن؛ رواه الشيخان[٣].

قال النووى: اختلف العلماء فى تأويله، فقالت طائفة: هو على ظاهره، واهتزاز العرش: تحركه فرحًا بقدوم روح سعد، وجعل الله تعالى فى العرش تمييزًا حصل به هذا، ولا مانع منه؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٧٤]، وهذا القول هو ظاهر الحديث، وهو المختار.

قال المازرى[٤]: قال بعضهم: وهو على حقيقته وإن العرش تحرك لموته؛ قال:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤١٢٢)، ومسلم في صحيحه رقم (٦٧/ ١٧٦٩).
(٢) تنظر وفاة سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٣٢٥-٣٢٦).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦)، وابن ماجه (١٥٨)، وأحمد (٣/ ٣١٦) من حديث جابر.
(٤) فى ط: الماوردى، وهو تصحيف، والمثبت من شرح النووى على مسلم

وهذا لا ينكر من جهة العقل؛ لأن العرش جسم من الأجسام؛ يقبل الحركة والسكون، قال: لكن لا تحصل فضيلة سعد بذلك؛ إلا أن يقال: إن الله تعالى جعل حركته علامة للملائكة على موته.

وقال آخرون: المراد بالاهتزاز: الاستبشار والقبول، ومِنْهُ قول العرب: فلان يهتز للمكارم، لا يريدون: اضطرابَ جسمه وحركته، وإنما يريدون: ارتياحه إليها وإقباله عليه.

قال الحربي: وهو كنايةٌ عن تعظيم شأنِ وفاته، والعرب تنسبُ الشيء المعظم إلى أعظم الأشياء، فيقولون: أظلمتْ لموت فلان الأرض، وقامت له القيامة.

وقال جماعة: المراد: اهتزاز سرير الجنازة، وهو النعش، وهذا القول باطلٌ يرده صريح الروايات التي ذكرها مسلم، والله أعلم، انتهى[١].

وقيل: المراد باهتزاز العرش: اهتزاز حَمَلة العرش، وصحح الترمذيُّ من حديث أنس، قال: لما حملت جنازة سعد بن معاذ، قال المنافقون: ما أخف جنازته، فقال النبي ﷺ: «إن الملائكةَ كانت تحمله»[٢].

وعن البراء قال: أهديت لرسول الله ﷺ حلة حرير، فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها، فقال ﷺ: «أتعجبون من لين هذه ؟ لمَنَاديلُ سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين»[٣]. هذا لفظ رواية أبي نعيم في مستخرجه على مسلم.

والمناديل: جمع منديل - بكسر الميم في المفرد - وهو معروف.

قال العلماء: هذه إشارة إلى عظم منزلة سعد في الجنة، وأن أدنى ثيابه فيها خير من هذه؛ لأن المنديل أدنى الثياب؛ لأنه معدٌّ للوسخ والامتهان، فغيره أفضل منه، انتهى.

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم، من طريق محمد بن المنكدر، عن محمد بن شرحبيل بن حسنة، قال: قبض إنسان يومئذ من تراب قبره قبضة، فذهب بها، ثم

---

(١) ينظر شرح النووي (٨/ ٢٦١)، والروض الأنف (٣/ ٢٨٥، ٢٨٦)

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٤٩)، وعبد بن حميد (منتخب ١١٩٥) من طريق عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس به.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٨٠٢)، ومسلم (٢٤٦٨)، والترمذي (٣٨٤٧)، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١٨٥٠)، وأحمد (٤/ ٢٨٩، ٢٩٤، ٣٠١، ٣٠٢) من طرق عن أبي إسحاق به.

نظر إليها بعد ذلك فإذا هى مسك. قال: فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله! سبحان الله!» حتى عُرِفَ ذلك فى وجهه. فقال: «الحمد لله! لو كان أحد ناجيًا من ضمة القبر لنجا منها، ضُم ضَمَّة ثم فرج الله عنه»[١].

وأخرج ابن سعد عن أبى سعيد، قال: كنت فيمن حفر لسعد قبره، فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا[٢].

قال الحافظ مغلطاى، وغيره: فى هذه السنة فُرِضَ الحج. وقيل: سنة ست، وصححه غير واحد، وهو قول الجمهور. وقيل: سنة سبع. وقيل: سنة ثمان، ورجحه جماعة من العلماء، وسيأتى البحث فى ذلك، إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٢٩) موقوفًا على محمد بن شرحبيل أن رجلًا أخذ قبضة من تراب قبر سعد يوم دفن ففتحها بعد فإذا هى مسك ولم أجد الحديث عند أبي نعيم في الحلية فلعله في غيرها من مصنفات أبي نعيم -رحمه الله- وينظر البداية والنهاية (٤/ ١٤٧).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٢٩) أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني سعيد بن محمد ابن أبي زيد عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده قال: كنت أنا ممن حفر لسعد قبره بالبقيع وكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا قترة من تراب حتى انتهينا إلى اللحد. وربيح بن عبد الرحمن مقبول كما قال الحافظ في التقريب (١٨٩١) وأبوه ثقة كما في التقريب (٣٨٩٩)، لكن شيخ ابن سعد في هذا الإسناد هو الواقدي وهو متروك عند المحدثين.

حَوَادِثُ السَّنَةِ السَّادِسَةِ

فيها غزوة بنى لحيان فى ربيع الأول(١)، انتهى فيها ﷺ إلى غرّان - وادٍ عند عسفان - فى مائتى رجل فهربوا، فأقام يوما أو يومين، يبعث السرايا لكل ناحية فلم يجدوا أحدا، فرجع للمدينة بعد تسعة عشر يومًا قائلا: «آيبون تائبون لربنا حامدون».

وفى «المواهب»: لحيان؛ بكسر اللام وفتحها؛ لغتان - فى ربيع الأول سنة ست من الهجرة. وذكرها ابن إسحاق فى جمادى الأولى فى رأس ستة أشهر من قريظة.

قال ابن حزم: الصحيح أنها فى الخامسة.

قالوا وَجَدَ رسول الله ﷺ على عاصم بن ثابت وأصحابه وَجْدا شديدا، فأظهر أنه يريد «الشام»، وعسكر فى مائتى رجل، ومعهم عشرون فرسا، واستخلف على «المدينة» عبد الله بن أم مكتوم، ثم أسرع المسير؛ حتى انتهى إلى «بطن غران» - واد بين «أمج» و«عسفان» - وبينها وبين «عسفان» خمسة أميال، حيث مصاب أصحاب الرجيع الذين قتلوا بـ«بئر معونة»، فترحَّم عليهم ودعا لهم، فسمعتْ به بنو لحيان، فهربوا فى رءوس الجبال، فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يومًا أو يومين يبعث السَّرَايَا فى كل ناحيةٍ، ثم خرج؛ حتى أتى «عسفان»، فبعث أبا بكر فى عشرة فوارس؛ لتسمع به قريش فيذعرهم، فأتوا «كراع الغميم»، ثم رجعوا، ولم يلقوا أحدًا، وانصرف ﷺ ولم يلق كيدًا؛ وهو يقول: «آيبون تائبون عابدون، لربنا حامدون».

وغاب عن «المدينة» أربع عشرة ليلة.

وقيل: سبع عشرة ليلة.

وفيها غزوة «الغابة»(٢)؛ وهى غزوة «[ذى] قَرَدٍ» فى ربيع الأول فى خمسمائة؛

---

(١) ينظر عن الغزوة: مغازي الواقدي (٢/ ٥٣٥-٥٣٧)، وابن سعد في الطبقات (٢/ ٦٠) وابن هشام في السيرة (٣/ ٢٢٥) وابن جرير في تاريخه (٢/ ٥٩٥)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٣٦٤)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢٤٥-مغازي) والروض الأنف (٣/ ٣٠٥)، وعيون التواريخ (١/ ٢٢٣-٢٢٤) وسبل الهدى والرشاد (٥/ ٣٠)، والبداية والنهاية (٤/ ١٧٠).

(٢) ينظر: مغازي الواقدي (٢/ ٥٣٧-٥٤٩)، والطبقات الكبرى (٢/ ٦١-٦٥)، وتاريخ الطبري (٢/ ٥٩٦-٦٠٤)، وسيرة ابن هشام (٣/ ٢٢٧)، والكامل في التاريخ (٢/ ١٨٨-١٩١)، وعيون التواريخ (١/ ٢٢٤-٢٢٧) وتاريخ الإسلام للذهبي (٣٣٣-٣٤٠)، وابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ١٧٠)، والروض الأنف (٤/ ١٤-١٧).

غاب خمس ليال، وصلَّى صلاة الخوف أيضًا.

وقَرَد بفتح القاف والراء، وبالدال المهملة، وهو ماء على بَرِيدٍ من «المدينة»، قبل «الحديبية».

وعند البخارى: أنها كانت قبل «خيبر» بثلاثة أيام، وفى مسلم نحوه[١].

قال مغلطاى: وفى ذلك نظر؛ لإجماع أهل السير على خلافها. انتهى.

قال القرطبى شارح مسلم: لا يختلف أهل السير؛ أن غزوة «ذى قرد» كانت قبل «الحديبية».

وقال الحافظ ابن حجر: ما فى الصحيح من التاريخ لغزوة «ذى قرد» أصح مما ذكره أهل السِّير. انتهى[٢].

وسببها: أنه كان لرسول الله ﷺ عشرون لقحة؛ وهى ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة؛ ترعى بالغابة، وكان ابن أبى ذَرٍّ فيها، فأغار عليهم عيينة بن حصن الفِزَارى ليلة الأربعاء فى أربعين فارسًا، فاستاقوها، وقتلوا ابن أبى ذر.

وقال ابن إسحاق: كان فيهم رجلٌ من غفار وامرأة، فقتلوا الرجل، وسبوا المرأة، فركبت ناقة ليلاً حين غفلتهم؛ تريد النبى ﷺ، ونذرت؛ لئن نجت، لتنحرنها، فلما قدمت على النبى ﷺ أخبرته بذلك، فقال: «لا نذر فى معصية، ولا لأحد فيما لا يملك»[٣].

ونودى: يا خيل الله اركبى، وكان أول ما نودى بها.

وركب رسول الله ﷺ فى خمسمائة، وقيل: سبعمائة، واستخلف على «المدينة»

---

(١) ينظر صحيح البخاري مع الفتح (٨/ ٢٣٣) قال البخاري: «وهى الغزوة التي أغاروا على لقاح النبي ﷺ قبل خيبر بثلاث» ولم أجد مثل هذا في صحيح مسلم والإمام مسلم رحمه الله لم يضع تراجم لأبواب كتابه.

(٢) ينظر: فتح الباري (٨/ ٢٣٤).

(٣) ينظر: السيرة (٣/ ٢٢٧). والحديث أخرجه أحمد (٤/ ٤٣٠، ٤٣٣، ٤٣٤)، ومسلم (٦/ ١١١-نووي) كتاب النذر، باب لا وفاء لنذر في معصية الله حديث (٨/ ١٦٤١). وأبو داود (٣/ ٢٣٩) كتاب الأيمان والنذور، باب في النذر فيما لا يملك حديث (٣٣١٦)، والشافعي (٢/ ١٢١-١٢٢) في كتاب الجهاد. والحميدي (٢/ ٣٦٥-٣٦٦) برقم (٨٢٩)، وابن الجارود برقم (٩٣٣). وسعيد بن منصور (٢/ ٣٩٦-٣٩٧) برقم (٢٩٦٧)، والبيهقي (١٠/ ٧٥) كتاب النذور باب ما يوفى به من النذر وما لا يوفى.

ابن أم مكتوم، وخلف سعد بن عبادة فى ثلاثمائة يحرسون «المدينة»، وقد كان عقد للمقداد بن عمرو لواء فى رمحه، وقال له: «امض؛ حتى تلحقك الخيول، وأنا على أثرك»، فأدرك أخريات العدو، وقتل أبو قتادة مسعدة[١] فأعطاه رسول الله ﷺ فرسه وسلاحه، وقتل عكاشة بن محصن أبان بن عمرو، وقتل من المسلمين محرز بن نضلة قتله مسعدة.

وأدرك سلمة بن الأكوع القوم؛ وهو على رجليه، فجعل يرميهم بالنبل، ويقول: [من الرجز]

خذها وانا ابن الأكوع والـيـوم يـوم الـرضـع

يعنى: يوم هلاك اللئام،

من قولهم: لئيم راضع؛ أى: رضع اللؤم فى بطن أمه.

وقيل: معناه: اليوم يعرف من أرضعته الحرب من صغره، وتدرب بها، ويعرف غيره.

ولحق رسول الله ﷺ الناس والخيول عشاء.

قال سلمة: فقلت: يا رسول الله؛ إن القوم عطاش، فلو بعثتنى فى مائة رجل؛ استنقذتُ ما فى أيديهم من السرح، وأخذت بأعناق القوم، فقال ﷺ: «ملكتَ فأسجح»؛ وهى بهمزة قطع، ثم سين مهملة، ثم جيم مكسورة، ثم حاء مهملة؛ أى: فارفق وأحسن، والسَّجَاحة السهولة؛ أى: لا تأخذ بالشدة، بل ارفق، فقد حصلت النكاية فى العدو، ولله الحمد. ثم قال: «إنهم الآن ليقرون فى غطفان».

وذهب الصريخ إلى بنى عمرو بن عوف، فجاءت الأمداد، فلم تزل الخيل تأتى، والرجال على أقدامهم، وعلى الإبل؛ حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ بـ«ذى قرد»، فاستنقذوا عشر لقاح، وأفلت القوم بما بقى؛ وهى عشر، وصلَّى رسول الله ﷺ بـ«ذى قرد» صلاة الخوف، وأقام يومًا وليلة، ورجع وقد غاب خمس ليال، وقسم فى كل مائة من أصحابه جَزورًا ينحرونها[٢].

---

(١) في ط: سعد. والصواب ما أثبت وينظر سبل الهدى والرشاد (٥/ ١٠١).

(٢) ينظر القصة في صحيح مسلم رقم (١٣١/ ١٨٠٦)، والسبل (٥/ ٩٨، ٩٩)، والبداية والنهاية (٤/ ١٧٢-١٧٣).

وفيها غزوة «الحديبية»[١]؛ هلال ذى القعدة فى ألف وأربعمائة، وبايع «بيعة الرضوان» تحت الشجرة على الموت؛ حين أرسل عثمان، فحبسوه فى «مكة» ثلاثة أيام، ثم جاء سهيل بن عمرو فى الصلح، فواعدهم ﷺ عشر سنين، فأقام بضعة عشر يومًا هناك؛ وهو معتمر، فتحلَّل من عمرته ورجع، فنزلت عليه في الطريق سورة «الفتح».

وفى «المواهب»: «الحديبية» - بتخفيف الياء، وتشديدها -: بئر سمى المكان بها.

وقيل: شجرة وقال المحبُّ الطبرى: قرية قريبة من «مكة» أكثرها فى الحرم، وهى على تسعة أميال من «مكة»، خرج - عليه السلام - من «المدينة» يوم الاثنين هلال ذى القعدة سنة ست من الهجرة للعمرة، وأخرج معه زوجته أم سلمة، فى ألف وأربعمائة، ويقال: وخمسمائة، وقيل: ألف وثلاثمائة، والجمع بين هذه الأقوال أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، فمن قال: ألف وخمسمائة، جبر الكسر، ومن قال: وأربعمائة، ألغاه، ويؤيده رواية البراء: «ألف وأربعمائة أو أكثر»، واعتمد على هذا الجمع النووى[٢].

وأما رواية: «ألف وثلاثمائة»؛ فيمكن حَمْلُها على ما اطلع عليه، واطلع غيره على زيادة مائتين؛ لم يطلع هو عليهم، والزيادة من الثقة مقبولةٌ.

وأما قول ابن إسحاق: «إنهم كانوا سبعمائة»؛ فلم يوافقه أحدٌ عليه؛ قاله استنباطًا من قول جابر: «نحرنا البدنة عن عشرة، وكانوا نحروا سبعين بدنة»؛ وهذا لا يدل على أنهم لم ينحروا غير البدن، مع أن بعضهم لم يكن أحرم أصلاً.

وجزم موسى بن عقبة؛ أنهم كانوا ألفًا وستمائة[٣].

وعند ابن أبى شيبة من حديث سلمة بن الأكوع: «ألف وسبعمائة»[٤].

---

(١) ينظر: مغازي الواقدي (٢/ ٥٧١-٦٣٣)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٧٢ وما بعدها) وسيرة ابن هشام (٣/ ٢٥٥وما بعدها)، وفتح الباري (٨/ ٢٠٦). وتاريخ الطبري (٢/ ٦٢٠-٦٣٩)، والكامل (٢/ ٢٠٠-٢٠٦) وعيون التواريخ (١/ ٢٣٨-٢٤٧)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣٦٣-٣٩٣) والبداية والنهاية (٤/ ١٨٨-٢٠٢)، وسبل الهدى والرشاد (٥/ ٣٣-٦٩).

(٢) ينظر: السبل (٥/ ٦٩).

(٣) ينظر: سبل الهدى والرشاد (٥/ ٧١).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٣٨٤) (٣٦٨٤٦) من طريق إياس بن سلمة عن أبيه =

وحكى ابن سعد ألفًا وخمسمائة وخمسة وعشرين[١]. واستخلف على «المدينة» ابن أم مكتوم، ولم يخرج معه بسلاحٍ، إلا سلاح المسافر؛ السيوف فى القرب.

وفى «البخارى» فى «المغازى»: عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم قال: خرج رسول الله ﷺ عام «الحديبية» فى بضع عشرة مائة من أصحابه، فلما كان بـ«ذى الحليفة» قلد الهدى وأشعر، وأحرم منها.

وفى رواية: «أحرم منها بعمرة، وبعث عينًا له من خزاعة»، وسار النبى ﷺ حتى إذا كان بغدير «الأشطاط» أتاه عينه، فقال: إن قريشًا جمعوا لك جموعًا، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك، وصادُّوك عن البيت ومانعوك. فقال: «أشيروا علىَّ أيها الناس؛ أترون أن أميل إِلى عيالهم، وذرارى هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت؟»[٢] فقال أبو بكر: يا رسول الله؛ خرجت عامدًا لهذا البيت؛ لا تريد قتال أحد، ولا حرب أحد، فتوجَّه له، فمن صدنا عنه، قاتلناه. قال: «امضوا على اسم الله»[٣].

وروى أحمد: كان أبو هريرة يقول: ما رأيت أحدًا قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ.

وفى رواية للبخارى: حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النبى ﷺ: «إن خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين»[٤]. فوالله ما شعر بهم خالد؛ حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيرًا لقريش، وسار النبى ﷺ حتى إذا كان بالثَّنية التى يهبط عليهم منها، بركت راحلته، فقال الناس: حل حل. فألحت، يعنى: تمادتْ على عدم القيام، فقالوا: خلأت القصوى، خلأت القصوى. فقال النبى ﷺ: «ما خلأت القصوى[٥]، وما ذاك لها بخلق، ولكن

= قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية فنحر مائة بدنة ونحن سبع عشرة مائة ومعهم عدة السلاح والرجال والخيل... » الحديث.

(١) ينظر الطبقات (٢/ ٧٣)، وانظر السبل (٥/ ٧١).

(٢) بعدها في البخاري: «فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عينا من المشركين وإلا تركناهم محرومين ...».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٦٩٤، ١٦٩٥)، (١٨١١) (٢٧١١، ٢٧١٢)، (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، (٤١٥٧، ٤١٥٨)، (٤١٧٩، ٤١٨٠، ٤١٨١).

(٤) في البخاري: ذات الغميم.

(٥) في البخاري: القصواء.

حبسها حابس الفيل»؛ أى: حبسها الله عن دخول «مكة»؛ كما حبس الفيل عن دخولها(١).

ومناسبة ذلك: أن الصحابة لو دخلوا «مكة» على تلك الصورة، وصدهم قريش - لوقع بينهم القتال المفضى إلى سفك الدماء، ونهب الأموال؛ كما لو قدر دخول الفيل، لكن سبق فى علم الله؛ أنه سيدخل فى الإسلام منهم خَلْقٌ كثير، وسيخرج من أصلابهم ناسٌ يسلمون ويجاهدون.

ثم قال ﷺ: «والذى نفسى بيده، لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله، إلا أعطيتهم إيَّاهَا». ثم زجرها، فوثبت.

قال: فعدل عنهم؛ حتى نزل بأقصى «الحديبية» على ثمد قليل الماء - يعنى: حفرة فيها ماء قليل - يتبرضه الناس تبرضًا؛ أى: يأخذونه قليلاً قليلاً، فلم يلبث الناس؛ حتى نزحوه، وشُكِيَ إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهمًا من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش بالرى؛ حتى صدروا عنه.

فبينما هم كذلك، إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعى فى نَفَرٍ من قومه من خزاعة، وكانوا عيبة نصح لرسول الله ﷺ من أهل «تهامة»، فقال: إنى تركت كعب بن لؤى، وعامر بن لؤى نزلوا أعداد مياه «الحديبية» معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت. والعُوذ - بالذال المعجمة -: جمع عائذ؛ وهى الناقة ذات اللبن، والمطافيل: الأمهات التى معها أطفالُهَا؛ يريد: أنهم خرجوا لهم بذوات الألبان من الإبل؛ ليرووا بألبانها، ولا يرجعوا؛ حتى يمنعوه، أو كنى بذلك عن النساء معهن الأطفال، والمراد: أنهم خرجوا بنسائهم وأولادهم؛ لإرادة طول المقام؛ ليكون أدعى إلى عدم الفرار، فقال رسول الله ﷺ: «إنا لم نأت لقتال أحدٍ، ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشًا قد نهكتهم الحرب، فأضرت بهم، فإن شاءوا ماددتهم مدة، ويخلُّوا بينى وبين الناس، فإن أظهر؛ فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس، فعلوا، وإلا فقد جموا - يعنى: استراحوا - وإن أبوا، فوالذى نفسى بيده؛ لأقاتلنهم على أمرى؛ حتى تنفرد سالفتى - أى: صفحة العنق؛ كنى بذلك عن القتل - أو لينفذن الله أمره». فقال بديل: سأبلغهم ما تقول. فانطلق؛ حتى أتى

(١) ينظر الحديث قبل السابق.

قريشًا، فقال: إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً؛ فإن شئتم أن نعرضه عليكم، فعلنا، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشىء. وقال ذوو الرأى منهم: هات ما سمعته. فقال: سمعته يقول كذا وكذا. فحدثهم بما قال النبى ﷺ.

فقام عروة بن مسعود، فقال: أى قوم، ألستم بالوالد ؟ قالوا: بلى. قال: أولست بالولد ؟ قالوا: بلى. قال: فهل تتهمونى ؟ قالوا: لا. قال: ألستم تعلمون؛ أنى استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علىَّ - أى: تمنعوا من الإجابة - جئتكم بأهلى وولدى، ومن أطاعنى. قالوا: بلى. قال: إن هذا قد عرض عليكم خطة رشد - أى: خصلة خير وصلاح - اقبلوها، ودعونى آته. فأتاه؛ فجعل يكلم النبى ﷺ، فقال النبى ﷺ نحوًا من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك: أى محمد؛ أرأيت إن استأصلتَ قومك، هل سمعتَ بأحدٍ من العرب اجتاح أصله قبلك ؟ وإن تكن الأخرى، فإنى والله لا أرى وجوهًا، وإنى لأرى أشوابًا - يعنى: أخلاطًا - من الناس خليقًا أن يفرُّوا ويدَعوك. فقال له أبو بكر - رضى الله عنه -: امصص بظر اللات، أنحن نفر عنه، أو ندعه ؟ قال العلماء: وهذا مبالغةٌ من أبى بكر فى سَبِّ عروة، فإنه أقام معبود عروة؛ وهو صنمه مقام أمه، وحمله على ذلك ما أغضبه به من نِسْبته الفرار إليهم.

والبَظْر - بالموحدة المفتوحة، والظاء المعجمة الساكنة -: قطعة تبقى بعد الختان فى فرج المرأة، واللات: اسم صنم؛ والعرب تطلق هذا اللفظ فى معرض الذم. انتهى.

فقال عروة: من هذا ؟ فقالوا: أبو بكر. فقال: أما والذى نفسى بيده، لولا يد كانت لك عندى؛ لم أجزك بها، لأجبتك. قال: وجعل يكلِّم النبى ﷺ، فكلما تكلَّم، أخذ بلحيته ﷺ - والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبى، ومعه السيف، وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبى ﷺ ضرب يده بنعل السيف، وقال: اكفف يدك عن لحية النبى ﷺ.

قال العلماء: وقد كانت عادةُ العرب؛ أن يتناول الرجل لحية من يكلمه، لاسيما عند الملاطفة، وفى الغالب إنما يصنع ذلك النظير بالنظير، فكان النبى ﷺ يفضى

لعروة؛ استمالةً وتأليفًا، والمغيرة يمنعه؛ إجلالاً للنبى ﷺ وتعظيمًا.

قال: فرفع عروة رأسه، فقال: من هذا ؟ قال: المغيرة بن شعبة. فقال: أى غُدَر، ألست أسعى فى غدرتك ؟ وكان المغيرة صحب قومًا فى الجاهلية، وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم. فقال النبى ﷺ: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه فى شيء». ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبى ﷺ بعينه؛ فيرى أنهم ما تنخَّم رسول الله ﷺ نخامة، إلا وقعتْ فى يد رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإِذا أمرهم أمرًا، ابتدروا لأمره، وإِذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم، خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدُّون إِليه النظر تعظيمًا له.

قال فى «فتح البارى»: فيه إشارةٌ إلى الرد على ما خشيه من فرارهم؛ فكأنهم قالوا بلسان الحال: من يحبه هذه المحبة، ويعظمه هذا التعظيم؛ كيف يظن به أنه يفر عنه، ويسلمه لعدوه، بل هم أشد اغتباطًا به وبدينه ونصره. من هذه القبائل التى تداعى بعضها لمجرد الرحم. والله أعلم. انتهى.

قال: فرجع عُروة إِلى أصحابه، فقال: أى قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى، والله إنْ رأيتُ ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ محمدًا، والله إن يتنخم نخامة، إلا وقعتْ فى كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإِذا أمرهم، ابتدروا أمره، وإذا توضَّأ، كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلَّم، خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدُّون إِليه النظر تعظيمًا له، وإِنه قد عرض عليكم خطة رشد، فاقبلوها.

فقال رجل من بنى كنانة: دعونى آته. فقالوا: ائته. فلما أشرف على النبى ﷺ قال رسول الله ﷺ: هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البُدْنَ، فابعثوها له. فبعثوها له، واستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت. فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد أعلمت، وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت.

فقام رجل منهم يقال له: مِكْرَزُ بن حفص - بكسر الميم، وسكون الكاف، وفتح الراء بعدها زاى - فقال: دعونى آته. فلما أشرف عليهم، قال النبى ﷺ: «هذا مكرز، وهو رجل فاجر». فجعل يكلم النبى ﷺ، فبينما هو يكلمه؛ إذ جاء سهيلُ

ابن عمرو، قال معمر: فأخبرنى أيوب عن عكرمة؛ أنه لما جاء سهيل قال النبى ﷺ: «إنه قد سهل من أمركم ما صعب»[١].

وفى رواية ابن إسحاق: فأرسلت قريش سهيل بن عمرو، فقالت: اذهب إلى هذا الرجل، فصالحه. فقال النبى ﷺ: قد أرادت قريش الصلح حين بعثت هذا. فلما انتهى إلى النبى ﷺ جرى بينهما القول؛ حتى وقع بينهما الصلحُ على أن توضع الحربُ بينهم عشر سنين، وأن يأمن بعضهم بعضًا، وأن يرجع عنهم عامهم هذا[٢].

وقال معمر: قال الزهرى فى حديثه: فجاء سهيل بن عمرو، فقال: هات اكتب بيننا وبينك كتابًا. فدعا النبى ﷺ عليًا، وقال: «اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم». فقال سهيل: أما الرحمن الرحيم؛ فوالله ما أدرى ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللهم؛ كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم. فقال النبى ﷺ: «اكتب: باسمك اللهم». ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله[٣].

وفى حديث عبد الله بن مغفل عند الحاكم: فكتب: هذا ما صالح محمد رسولُ الله أهل «مكة». . . الحديث[٤].

فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسولُ الله ما صددناك، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله. فقال النبيُّ ﷺ: والله إنى لرسول الله، وإن كذَّبتمونى.

وفى رواية له - يعنى: البخارى ولمسلم: فقال النبى ﷺ لعليٍّ: «امحه»، فقال: ما أنا بالذى أمحاه[٥]؛ وهى لغة فى «أمحوه».

قال العلماء: وهذا الذى فعل علىٌ من باب الأدب والمستحب؛ لأنه لم يفهم من النبى ﷺ تحتم محو عليٍّ نفسه، ولهذا لم ينكر عليه، ولو حتم محوه لنفسه، لم يجز لعلى تركه. انتهى. ثم قال ﷺ: «أرنى مكانها». فأراه مكانها، فمحاها،

---

(١) تقدمت القصة عند البخاري، وانظر البداية والنهاية (٤/ ١٩٧-٢٠٠).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٦٣).

(٣) راجع تخريج حديث المسور ومروان وهذه الرواية فى البخارى (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٤) ينظر المستدرك (٢/ ٤٦٠-٤٦١)، والحديث أخرجه أحمد (٤/ ٨٧)، والبيهقي (٦/ ٣١٩)، وانظر سبل الهدى والرشاد (٥/ ٥٤).

(٥) هو نفس حديث المسور ومروان السابق.

وكتب: «ابن عبد الله».

وفى رواية البخارى فى «المغازى»: فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب، وليس يحسن أن يكتب، فكتب مكان رسول الله ﷺ : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله[1].

قال فى «فتح البارى»: وقد تَمسك بظاهر هذه الرواية أبو الوليد الباجيُّ، وادعى أنَّ النبيَّ ﷺ كتب بيده بعد أن لم يكن يُحْسن أن يكتب، فشنع عليه علماء «الأندلس» فى زمانه، ورموه بالزندقة، وأن الذى قاله يخالف القرآن؛ حتى قال قائلهم شعرًا: [من البسيط]

بَرِئْتُ مِمَّنْ شَرَى دُنْيَا بِآخِرَةٍ   وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ قَدْ كَتَبَا

فجمعهم الأمير، فاستظهر الباجيّ عليهم بما لديه من المعرفة، وقال: هذا لا ينافى القرآن، بل يؤخذ من مفهوم القرآن؛ أنه قيد النفى بما قبل ورود القرآن. قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨] وبعد أن تحققت أمنيته، وتقررت بذلك معجزته، وأمن الارتياب فى ذلك - لا مانع من أن يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم؛ فتكون معجزة أخرى.

وذكر ابن دحية: أن جماعة من العلماء وافقوا الباجى على ذلك؛ منهم شيخه: أبو ذر الهروى، وأبو الفتح النيسابورى، وآخرون من علماء «إفريقية».

واحتج بعضهم لذلك بما أخرجه ابن أبى شيبة من طريق مُجَالد، عن عون بن عبد الله: ما مات رسول الله ﷺ حتى كتب، وقرأ.

قال مجاهد: فذكرته للشعبى، فقال: صدق، قد سمعت من يذكر ذلك.

وقال القاضى عياض: وردت آثارٌ تدل على معرفته حروف الخط، وحسن تصورها؛ كقوله لكاتبه: «تضع القلم على أذنك، فإنه أذكر لك، وقوله لمعاوية: «ألق الدواة، وحرف القلم، وفرق السين ولا تعور الميم» إلى غير ذلك.

قال: وهذا وإن لم يثبت أنه كتب، فلا يبعد أن يرزق علم وضع الكتابة، فإنه أوتى علم كل شىء.

وأجاب الجمهور بضعف هذه الأحاديث، وعن قصة الحديبية بأن القصة واحدة،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٩٨)، ومسلم (١٧٨٣)، وأبو داود (١٨٣٢)، من حديث البراء بن عازب به.

والكاتب فيها هو على بن أبى طالب، وقد صرح فى حديث المسور بن مخرمة؛ بأن عليًا هو الذى كتب؛ فيحمل على أن النكتة فى قوله: «فأخذ الكتاب، وليس يحسن أن يكتب»؛ لبيان أن قوله: «أرنى إياها» أنه إنما احتاج إلى أن يريه موضع الكلمة التى امتنع عليٌّ من محوها؛ لكونه كان لا يحسن الكتابة، وعلى أن قوله بعد ذلك: «فكتب» فيه حذف تقديره: فمحاها فأعادها لعليٍّ فكتب، أو أطلق «كتب» بمعنى: أمر بالكتابة؛ وهو كثير؛ كقوله: كتب إِلى كسرى وقيصر.

وعلى تقدير حمله على ظاهره، فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف فى ذلك اليوم؛ وهو لا يحسن الكتابة؛ أن يصير عالمًا بالكتابة، ويخرج عن كونه أميًا؛ ككثير من الملوك.

ويحتمل أن يكون جرب يده بالكتابة حينئذ، وهو لا يحسن، فخرج المكتوب على وفقِ المراد؛ فيكون معجزة أخرى فى ذلك الوقت خاصًا، ولا يخرج بذلك عن كونه أميا.

وبهذا أجاب أبو جعفر السمنانى أحد أئمة الأصول من الأشاعرة، وتبعه ابن الجوزى، وتعقب ذلك السهيلى وغيره؛ بأن هذا وإن كان ممكنًا، ويكون آية أخرى، لكنه يناقض كونه أميًا لا يكتب، وهى الآية التى قامت بها الحجة، وأفحم الجاحد، وانحسمت الشبهة، فلو جاز أن يصير يكتب بعد ذلك، لعادت الشبهة.

وقال المعاند: كان يحسن يكتب، لكنه كان يكتم ذلك، [قال السهيلي][(١)]: والمعجزات يستحيلُ أن يدفع بعضها بعضًا، والحق أن معنى قوله: «فكتب»: أمر عليًا أن يكتب. انتهى.

قال: وفى دعوى أن كتابة اسمه الشريف فقط على هذه الصورة يستلزم مناقضة المعجزة، ويثبت كونه غير أمى - نظر كبير. والله أعلم. انتهى[(٢)].

وأما قوله: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»، وقوله: «أما الرحمن الرحيم، فوالله ما أدرى ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم... إلى آخره - فقال العلماء: وافقهم - عليه الصلاة والسلام - فى ترك كتابة: بسم الله الرحمن الرحيم، وكتب: باسمك اللهم، وكذا وافقهم فى: محمد بن عبد الله، وترك كتابة: رسول الله؛

---

(١) المثبت من الفتح.
(٢) هذا الكلام نقله من الفتح (٨/ ٢٩٠) بطوله.

للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح؛ مع أنه لا مفسدة فى هذه الأمور، أما البسملة، وباسمك اللهم فمعناهما واحدٌ، وكذا قوله: محمد بن عبد الله هو أيضًا رسوله، وليس فى ترك وصف الله - تعالى - فى هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفى ذلك، ولا فى ترك وصفه ﷺ هنا بالرسالة ما ينفيها، فلا مفسدة فيما طلبوه، وإنما كانت المفسدة تكون لو طلبوا أن يكتب ما لا يحل من تعظيم آلهتهم، ونحو ذلك. انتهى.

قال فى رواية البخارى: فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله. فقال ﷺ: على أن يخلوا بيننا وبين البيت؛ فنطوف به، فقال سهيلٌ: والله لا تتحدَّث العرب؛ أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل. فكتب. فقال سهيلٌ: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل؛ وإن كان على دينك، إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله! كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلمًا[1]؟ الضُّغطة - بالضم - قال فى «القاموس»: الضيق والإكراه. انتهى.

فإن قلت: ما الحكمة فى كونه - عليه الصلاة والسلام - وافق سهيلًا؛ على أنه لا يأتيه منهم رجل؛ وإن كان على دين الإسلام، إلا يرده إلى المشركين ؟.

فالجواب: أن المصلحة المترتبة على هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة، وفوائده الظاهرة التى كانت عاقبتها فتح «مكة»، وإسلام أهلها كلهم، ودخول الناس فى دين الله أفواجًا، وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين، ولا تتظاهر عندهم أمور النبى ﷺ كما هى، ولا يخلون بمن يعلمهم بها مفصَّلة، فلما حصل صلح «الحديبية»، اختلطوا بالمسلمين، وجاءوا إلى «المدينة»، وذهب المسلمون إلى «مكة»، وخلوا بأهليهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونه، وسمعوا منهم أحوال النبى ﷺ ومعجزاته الظاهرة، وأعلام نبوته المتظاهرة، وحسن سيرته، وجميل طريقته، وعاينوا بأنفسهم كثيرًا من ذلك، فمالت نفوسُهم إلى الإيمان؛ حتى بادر خلقٌ كثير منهم إلى الإسلام قبل فتح «مكة»؛ فأسلموا بين صلح «الحديبية» وفتح «مكة»، وازداد الآخرون ميلًا إلى الإسلام، فلما كان يوم الفتح، أسلموا كلهم، لما كان قد تمهد لهم من الميل، وكانت العرب غير قريش فى

(١) جزء من حديث المسور ومروان السابق.

البوادى؛ قال الله - تعالى -: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴾ [النصر: ١، ٢]، فالله ورسوله أعلم. انتهى.

قال فى رواية البخارى: فبينماهم كذلك؛ إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده؛ قد خرج من أسفل «مكة»؛ حتى رمى بنفسه: بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إِلىَّ، فقال ﷺ: «إنا لم نمض الكتاب بعد»، قال: فوالله إِذن لا أصالحك على شيء أبدًا. قال النبيُّ ﷺ: فأجزه إِلى، قال: ما أنا بمجيزه لك. قال: بلى فافعل. قال: ما أنا بفاعلٍ. قال مكرز: بلى، قد أجزنا ذلك.

قال أبو جندل: أى معشر المسلمين [أُرَدُّ] إِلى المشركين، وقد جئت مسلمًا؛ ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان عُذِّبَ فى الله عذابًا شديدًا.

زاد ابن إسحاق: فقال النبى ﷺ: يا أبا جندل، اصبر، واحتسب؛ فإِنا لا نغدر، وإِن الله جاعلٌ لك فرجًا ومخرجًا. ووثب عمر يمشى إِلى جنبه، ويقرب منه قائم السيف، ويقول: اصبر؛ فإِنما هم المشركون، وإِن دم أحدهم كدم الكلب. يعرِّض له بقتل أبيه، فلما لم يفعل، قال عمر: ضنَّ الرجل بأبيه[١].

قال الخطَّابى: تأوَّل العلماءُ ما وقع فى قصة أبى جندل على وجهين:

أحدهما: أن الله قد أباح التقية للمسلم؛ إذا خاف الهلاك، ورخَّص له أن يتكلَّم بالكفر مع إضمار الإِيمان، إن لم يمكنه التورية، فلم يكن رده إِليهم إسلامًا لأبى جندل إِلى الهلاك مع وجود السبيل إِلى الخلاص من الموت بالتقية.

والوجه الثانى: أنه إنما رده إِلى أبيه، والغالب أن أباه لم يبلغ به إِلى الهلاك، وإِن عذبه، أو سجنه، فله مندوحة بالتقية أيضًا.

وأما مايخاف عليه من الفتنة: فإِن ذلك امتحان من الله يبتلى به صبر عباده المؤمنين[٢].

واختلف العلماء: هل يجوز الصلح مع المشركين؛ على أن يرد إِليهم من جاء مسلمًا من عندهم أم لا ؟

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٢٦٥)، والبداية والنهاية (٤/ ١٩٨-٢٠٠)، وتقدمت عند البخاري.
(٢) ينظر معالم السنن (٢/ ٣٣١)، وسبل الهدى والرشاد (٥/ ٧٧).

فقيل: نعم على ما دلَّت عليه قصة أبى جندل، وأبى بصير.

وقيل: لا وأن الذى وقع فى القصة منسوخ، وأن ناسخه حديث: «أنا برىء من مسلم بين المشركين»[١]؛ وهو قول الحنفية.

والشافعية تفصل بين العاقل، والمجنون والصبى؛ فلا يُرَدّان.

وقال بعض الشافعية: مناط جواز الرد أن يكون المسلم؛ بحيث لا تجب عليه الهجرة من دار الحرب. والله أعلم[٢].

قال فى «فتح البارى»: قال فى رواية البخارى: فقال عمر بن الخطّاب: فأتيت النبى ﷺ فقلت: ألستَ نبى الله حقًّا؟ قال: بلى. قلت: ألستَ على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطى الدَّنية فى ديننا إذن؟ قال: إنى رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصرى. قلت: أو لست كنت تحدثنا؛ أنا نأتى البيت، فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتيه ومطوف به. قال: فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبيَّ الله حقًّا؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطى الدنية فى ديننا إذن؟ قال: أيها الرجل؛ إنه رسول الله ﷺ وليس يعصى ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه؛ فوالله إنه على الحق. قلت: أو ليس كان يحدثنا؛ أنا سنأتى البيت، فنطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنا نأتيه العام؟ قلت: لا. قال: إنك آتيه فمطوف به[٣].

قال العلماء: لم يكن سؤال عمر - رضى الله عنه - وكلامه المذكور شَكًّا، بل طلبًا لكشف ما خفى عليه، وحثًّا على إِذلال الكفار، وإظهار الإِسلام؛ كما عرف فى خلقه، وقوته فى نصرته الدين، وإِذلال المبطلين. وأما جواب أبى بكر لعمر - رضى الله عنهما - بمثل جواب النبى ﷺ فهو من الدلائل الظاهرة على عظم فضله،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤)، وابن ماجه كما في تلخيص الحبير (٤/ ٢١٨) من حديث جرير وفيه قصة قال الحافظ في التلخيص: «وصحح البخاري وأبو حاتم وأبو داود والترمذي والدارقطني إرساله إلى قيس بن أبي حازم ورواه الطبراني ... موصولاً» قلت هو في الكبير للطبراني (٢/ ٣٠٣-٣٠٤) رقم (٢٢٦٤، ٢٢٦٥).

(٢) ينظر سبل الهدى والرشاد (٥/ ٧٨).

(٣) جزء من حديث المسور ومروان المتقدم.

وبارع علمه، وزيادة عرفانه ورسوخه وزيادته فى كل ذلك على غيره.

وكان الصلح بينهم مدة عشر سنين؛ كما فى «السير»، وأخرجه أبو داود من حديث ابن عمر[١].

ولأبى نعيم فى مسند عبد الله بن دينار: كانت أربع سنين؛ وكذا أخرجه الحاكم فى البيع من «المستدرك»، والأول أشهر.

وكان الصلح على وضع الحرب؛ بحيث يأمن الناس، ويكف بعضهم عن بعض، وألا يدخل البيت إلا العام القابل ثلاثة أيام، ولا يدخلوها إلا بجلبان السلاح؛ وهو القراب بما فيه. والجلبان - بضم الجيم، وسكون اللام -: شبه الجراب؛ من الأدم؛ يوضع فيه السيف مغمودًا.

ورواه القتيبى: بضم الجيم واللام وتشديد الباء، وقال: هى أوعية السلاح بما فيها. وفى بعض الروايات: إلا بجلبان السلاح: السيف، والقوس وإنما اشترطوا ذلك؛ ليكون علمًا وأمارة السلم؛ إذ كان دخولهم صلحًا[٢].

وقال مكِّى بن أبى طالب القيروانى فى «تفسيره»: وبعث - عليه الصلاة والسلام - بالكتاب إليهم مع عثمان بن عفان، وأمسك سهيل بن عمرو عنده، فأمسك المشركون عثمان، فغضب المسلمون.

وقال مغلطاى: فاحتبسته قريش عندها، فبلغ النبى ﷺ أن عثمان قد قتل، فدعا الناس إلى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت.

وقيل: على ألاَّ يفروا. انتهى.

ووضع النبى ﷺ شماله فى يمينه، وقال: هذه عن عثمان.

وفى البخارى: فقال ﷺ بيده اليمنى: «هذه بيعة عثمان»؛ فضرب بها على يده... الحديث[٣].

---

(١) أخرج أبو داود عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، أنهم اصطلحوا على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيهن الناس وعلى أن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال.

(٢) انظر النهاية (١/ ٢٨٢) لابن الأثير.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٦٩٩) من حديث ابن عمر ولفظه فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «هذه يد عثمان» فضرب بها على يده فقال: «هذه لعثمان» والحديث رواه أيضًا الترمذي (٣٧٠٦)، وأحمد (٢/ ١٠١، ١٠٨، ١٢٠).

ولما سمع المشركون بهذه، خافوا فبعثوا بعثمان وجماعة من المسلمين. وفى هذه البيعة نزل قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: ١٠] وقوله - تعالى -: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية [الفتح: ١٨].

وحلق الناس مع النبى ﷺ ونحروا هداياهم بـ«الحديبية».

قال مغلطاى: وأرسل الله ريحًا، فحملت شعورهم، فألقتها فى الحرم، وأقام ﷺ بـ«الحديبية» بضعة عشر يومًا، وقيل: عشرين يومًا، ثم قفل، وفى نفوس بعضهم شيء؛ فأنزل الله - تعالى - سورة الفتح يسليهم بها، ويذكرهم نعمة الله، فقال - تعالى -: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح: ١]، قال ابن عباس، وأنس، والبراء بن عازب: الفتح هنا فتح «الحديبية»(١)، ووقوع الصلح بعد أن كان المنافقون يظنون أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدًا؛ أى: حسبوا ألا يرجعوا، بل يقتلون كلهم.

وأما قوله - تعالى -: ﴿ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨]، فالمراد فتح «خيبر»؛ على الصحيح؛ فإنها وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين.

وقد روى أحمد، وأبو داود، والحاكم، عن مجمع بن حارثة؛ قال: شهدنا «الحديبية»، فلما انصرفنا، وجدنا رسول الله ﷺ واقفًا عند كراع الغميم، وقد جمع الناس قرأ عليهم: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح: ١] «الحديبية»، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وتبايعوا بيعة الرضوان، وأطعموا نخيل «خيبر»، وظهرت الروم على فارس، وفرح المسلمون بنصر الله.

وأما قوله - تعالى -: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ [النصر: ١] وقوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح» ففتح «مكة» بالاتفاق(٢).

---

(١) روى البخاري (٤٨٣٤) عن أنس -رضي الله عنه-: ﴿إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا﴾ قال: الحديبية. وروى البخاري أيضًا (٤١٥٠) عن البراء قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحًا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية. . . الحديث.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٧٣٦)، (٣٠١٥)، وأحمد (٣/ ٤٢٠)، والحاكم (٢/ ٤٥٩)، والبيهقي في الدلائل (٤/ ١٥٦)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٧-٥٨) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه.

قال الحافظ ابن حجر: فبهذا يرتفع الإِشكال، وتجتمع الأقوال، والله أعلم. ثم رجع ﷺ إلى «المدينة»[(١)].

وفى هذه السَّنة: كسفت الشمس، وظَاهَرَ أوس بن الصامت من امرأته خَوْلَةَ.

وفيها: استسقى فى رمضان، ومطر الناس، فقال النبى ﷺ: «أصبح من الناس: مؤمن بالله، وكافر بالكواكب»[(٢)] قاله مغلطاى.

وجزم الدمياطى فى «سيرته»؛ بأن تحريم الخمر كان فى سنة «الحديبية»، وذكر ابن إسحاق أنه كان فى وقعة بنى النضير، وهى بعد «أحد»؛ وذلك سنة أربع؛ على الراجح[(٣)].

وفيه نظر؛ لأن أنسًا كان الساقى يوم حرمت، وأنه لما سمع المنادى بتحريمها، بادر فأراقها، ولو كان سنة أربع، لكان أنس يصغر عن ذلك.

وأخرج النسائى والبيهقى بسندٍ صحيحٍ، عن ابن عباس: إِنما نزل تحريم الخمر فى قبيلتين من الأنصار شربوا، فلما ثمل القوم، عبث بعضهم ببعض، فلما أن صحوا، جعل الرجل يرى فى وجهه ورأسه الأثر، فيقول: صنع هذا أخى فلان؛ وكانوا إخوة ليس فى قلوبهم ضغائن فيقول: والله لو كان بى رحيمًا ما صنع بى هذا؛ حتى وقعت فى قلوبهم الضغائن؛ فأنزل الله - تعالى - هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ ﴾ إلى ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١]، فقال ناسٌ من المتكلفين: هى رجس؛ وهى فى بطن فلان وفلان، وقد قتل يوم «أحد»؛ فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾ إلى ﴿ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[(٤)] [المائدة: ٩٣]، وآية تحريم الخمر نزلت فى عام الفتح قبل الفتح. والله أعلم.

---

(١) انظر: فتح الباري (٨/ ٢٠٩-٢١٠).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٩٢) من حديث زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل... الحديث ومن طريق مالك أخرجه البخاري (٨٤٦)، (١٠٣٨)، ومسلم (٧١)، وأبو داود (٣٩٠٦)، وأبو عوانة (١/ ٢٦)، والبغوي (١١٦٩)، وأخرجه البخاري (٤١٤٧)، (٧٥٠٣)، والنسائي (٣/ ١٦٥)، وأبو عوانة (١/ ٢٧)، من غير طريق مالك به.

(٣) ينظر وقعة بني النضير فيما تقدم.

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٣٣٧) رقم (١١١٥١)، والبيهقي (٨/ ٢٨٥).

وفيها: سرية محمد بن مَسْلمة[١] فى ثلاثين راكبًا إلى القرطاء من بنى بكر بن كلاب بـ«ضرية»، وهى على سبع ليال من «المدينة»، عاشر المحرم، فلما أغاروا عليهم، هربوا فغنم، وجاء آخر المحرم، ومعه ثمامة بن أثال أسيرًا.

وعكاشة بن محصن الأسدى فى ربيع الأول إلى ماء لبنى أسد[٢]؛ يقال له: عمرة مرزوق ،فى أربعين، فغنم، ولم يلق كيدًا.

ومحمد بن مسلمة أيضًا إلى ذى القصَّة[٣] فى ربيع الأول معه عشرة إلى بنى ثعلبة، وهم مائة فقتلوا، إلا ابن مسلمة. فبعث إليهم أبا عبيدة فى ربيع الآخر بأربعين رجلًا، فغنموا نعمًا وشاءً، وأسروا رجلًا فأسلم.

وزيد بن حارثة فى ربيع الآخر إلى بنى سليم بـ«الجموع»[٤]، فغنموا نعمًا وشاء.

ثم إلى العيص[٥] فى جمادى الأولى، ومعه مائة وسبعون راكبًا يعترض عيرًا لصفوان بن أمية، فأسر منهم ناسا، منهم أبو العاص بن الربيع، فأجارته زوجته: زينب ابنة رسول الله ﷺ.

ثم إلى الطَّرَف، ماء على ستة وثلاثين ميلًا من «المدينة» فى جمادى الآخرة بخمسة عشر لبنى ثعلبة، فأصاب نعمًا وشاء.

ثم إلى «حسمى»[٦] وراء «وادى القرى» فى جمادى الآخرة إلى قوم من جذام، قطعوا الطريق على دحية، فقتل منهم قتلًا ذريعا، وأصاب مغانم كثيرة، ثم ردها عليهم ﷺ جميعها لما جاءه زيد بن رفاعة، وسأله فى ذلك، وأسلم.

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٢/ ٦٠)، ودلائل النبوة (٤/ ٧٨)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣٥٠-مغازي).

(٢) ينظر: مغازي الواقدي (٢/ ٥٥٠)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٨٢-٨٣)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣٥٢-مغازي)، والبداية والنهاية (٤/ ٢٠٢).

(٣) انظر مغازي الواقدي (٢/ ٥٥١-٥٥٢)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٦٥)، وتاريخ الإسلام (٣٥٣-مغازي).

(٤) ينظر البداية والنهاية (٤/ ٢٠٣).

(٥) انظر: مغازي الواقدي (٢/ ٥٥٣)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٦٦)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣٥٤-مغازي)، وعيون التواريخ (١/ ٢٤٨)، والبداية والنهاية (٤/ ٢٠٣).

(٦) انظر: طبقات ابن سعد (٢/ ٦٧)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣٥٤-مغازي)، تاريخ الطبري (٢/ ٦٤١-٦٤٢)، عيون التواريخ (١/ ٢٤٩).

ثم إلى وادى القرى فى رجب[١]، فقتل من المسلمين قتلى، وارتث زيد.

ثم إلى أم قرفة فاطمة بنت ربيعة الفزارية بناحية وادى القرى، فربطها بين بعيرين حتى ماتت.

وفى مسلم: أن أمير هذه السرية أبو بكر.

وعبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل فى شعبان[٢] يدعو أهلها إلى الإسلام، فأسلم كثير بن الأصبغ بن عمر الكلبى، وكان نصرانيًا، فتزوج عبد الرحمن ابنته تماضر، فولدت له أبا سلمة بن عبد الرحمن. وضرب الجزية على من لم يسلم.

وعلى بن أبى طالب إلى بنى سعد بفدك[٣]، فغنم نعمًا وشاءً.

وعبد الله بن عتيك لقتال أبى رافع عبد الله - أو سلام - ابن أبى الحقيق[٤]، على الخلاف فيه، فى رمضان، ومعه أربعة نفر، فقتلوه فى داره بخيبر.

وعبد الله بن رَواحة فى ثلاثين رجلًا إلى أسير بن رزام اليهوديّ بخيبر[٥]، فقتل، وقتل معه نحو الثلاثين.

وكرز بن جابر فى عشرين رجلًا إلى العرنيين الذين اجتووا المدينة، فأمر النبى ﷺ أن يشربوا من لقاحه ويتداووا، فلما أصبحوا، قتلوا راعِىَ النبيِّ ﷺ يسارًا النوبى، واستاقوا اللقاح، فأتى بهم فقطع أيديهم وسمل أعينهم وكانوا ثمانية، ونزل: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ... ﴾ الآية[٦] [المائدة: ٣٣].

وعمرو بن أمية الضمرى، انظر ومعه سلمة بن أسلم؛ ليصادفا غرة من أبى سفيان

---

(١) انظر: مغازي الواقدي (٢/ ٥٦٢)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٦٨)، وتاريخ الطبري (٣/ ١٥٥)، تاريخ الإسلام (٣٥٥-مغازي)، والبداية والنهاية (٤/ ٢٠٣).

(٢) انظر: مغازي الواقدي (٢/ ٥٦٠)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٦٨)، وتاريخ الطبري (٣/ ١٥٨)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣٥٦-مغازي).

(٣) انظر: مغازي الواقدي (٢/ ٥٦٢)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٦٩)، وتاريخ الطبري (٣/ ١٥٤).

(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ٧٠) وانظر تفاصيل قتله في تاريخ الإسلام للذهبي (٣٤١-مغازي).

(٥) انظر مغازي الواقدي (٢/ ٥٦٦) وطبقات ابن سعد (٢/ ٧٠)، وتاريخ الطبري (٣/ ١٥٥)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣٦١-٣٦٢-مغازي).

(٦) انظر مغازي الواقدي (٢/ ٥٦٨)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٧١)، وصحيح البخاري (٨/ ٢٣٠) كتاب المغازي، باب قصة عكل وعرينة، وعيون التواريخ (١/ ٢٥٣)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣٥٦-مغازي).

بن حرب، فيقتلاه، ففطن لذلك وهرب[١].

وسبب ذلك: أن أبا سفيان أرسل إلى النبى ﷺ من يقتله غدرًا، فأقبل الرسول[٢] ومعه خنجر ليغتاله[٣]، فلما رآه النبى ﷺ قال: إن هذا ليريدُ غدرًا، فجذبه أسيد بن الحضير بداخلة إزاره، فإذا بالخنجر فسقط فى يده، فقال ﷺ: اصدقنى ما أنت ؟ قال: وأنا آمن ؟ قال: نعم، فأخبره بخبره، فخلى عنه ﷺ.

وبعث عمرو بن أمية، ومعه سلمة بن أسلم، ويقال: جبار بن صخر إلى أبى سفيان، وقال: إن أصبتما منه غرة فاقتلاه.

ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلاً، فرآه معاوية بن أبى سفيان، فأخبر قريشًا بمكانه، فخافوا وطلبوه، وكان فاتكًا فى الجاهلية، فحشد له أهل مكة وتجمَّعوا، فهرب عمرو وسلمة، فلقى عمرو عبيد الله بن مالك التميمى فقتله وقتل آخر، ولقى رسولَيْنِ لقريش بعثا يتجسَّسان الخبر، فقتلَ أحدهما وأسر الآخر، فقدم به المدينة، فجعل عمرو يخبر رسول الله ﷺ، وهو - عليه الصلاة والسلام - يضحك.

* * *

(١) انظر طبقات ابن سعد (٢/ ٧٢).
(٢) المقصود به رسول أبي سفيان.
(٣) ليغتاله: أي يغتال النبي ﷺ .

حوادث السنة السابعة

فيها غزوة خيبر فى جمادى الأولى[١]، وقاتل بها ﷺ أشد القتال، وقتل من أصحابه خمسة، ومن اليهود ثلاثة وتسعون، وفتحها الله عليه حصنًا حصنًا.

وفيها حرم لحوم الحمر الأهلية، ونهى عن أكل كل ذى ناب من السباع، وعن بيع المغانم حتى تقسم، وألاَّ توطأ جارية حتى تستبرأ، وعن متعة النساء. ووضعت له السم فى الشاة زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم، فأخبرته الذراع بذلك.

وفتح وادى القرى فى جمادى الآخرة بعد ما حاصرهم أربعًا أو أكثر، وصالحه أهل تيماء على الجزية.

قال فى المواهب: هى مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام.

قال ابن إسحاق: خرج ﷺ فى بقية المحرم سنة سبع، فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها[٢].

وقيل: كانت فى آخر سنة ست، وهو منقول عن مالك، وبه جزم ابن حزم.

قال الحافظ ابن حجر[٣]: والراجح ما ذكره ابن إسحاق.

ويمكن الجمع: بأن من أطلق سنة ست، بناه على أن ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقى، وهو ربيع الأول.

وأغرب ابن سعد وابن أبى شيبة، فرويا من حديث أبى سعيد الخدرى: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر لثمان عشرة من رمضان[٤]، وإسناده حسن؛ لكنه خطأ، ولعلها كانت إلى حنين فتصحفت.

---

(١) انظر مغازي الواقدي (٢/ ٦٣٣)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٨١)، وتاريخ الطبري (٣/ ٩-١٦)، والكامل في التاريخ (٢/ ٢١٦-٢٢٤)، والروض الأنف (٤/ ٥٩-٦٦) وعيون التواريخ (١/ ٢٦٤-٢٧٠)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٤٠٣-مغازي).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٧٥).

(٣) انظر فتح الباري (٨/ ٢٣٩).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٨٣) وابن أبي شيبة (٧/ ٣٩٤) رقم (٣٦٨٨٠) والذي عند ابن أبي شيبة «خرجنا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى خيبر في ثنتي عشرة بقيت من رمضان . . .» وذكره الحافظ في الفتح (٨/ ٢٣٩).

وتوجيهه: بأن غزوة خيبر كانت ناشئة عن غزوة الفتح، وغزوة الفتح خرج ﷺ فيها فى رمضان جزمًا.

قال: وذكر الشيخ أبو حامد فى التعليقة أنها كانت سنة خمس، وهو وهم، ولعله انتقال من الخندق إلى خيبر[١].

وكان معه - عليه الصلاة والسلام - ألف وأربعمائة راجل، ومائتا فارس، ومعه أم سلمة زوجته.

وفى البخارى: من حديث سلمة بن الأكوع قال: خرجنا مع النبى ﷺ إلى خيبر، فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر، هل تسمعنا من هنيهاتك ؟ وكان عامرٌ رجلاً شاعرًا، فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَاغْفِرْ فِدَاءً لَكَ مَا أبقينَا ... وَثَبِّت الأَقدامَ إِنْ لاَقَيْنَا

وَأَلْقِيَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَتَيْنَا

وَبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا

وفى رواية إياس بن أبى سلمة، عن أبيه، عن أحمد فى هذا الرجز زيادة:

إِنّ الذِينَ قَدْ بَغُوا عَلَيْنَا ... إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا استغنَيْنَا

فقال رسول الله ﷺ كما فى رواية البخارى: من هذا السائق ؟ قالوا: عامر بن الأكوع، قال: يرحمه الله، قال رجل من القوم: وجبت يا نبىَّ الله، لولا أمتعتنا به... الحديث[٢].

وفى رواية أحمد: فجعل عامر يرتجز ويسوقُ الركابَ، وهذه كانت عادتهم إذا أرادوا تنشيط الإبل فى السير، ينزل بعضهم فيسوقها ويحدو فى تلك الحال[٣].

وقوله: «اللهم لولا أنت ما اهتدينا» كذا الرواية، قالوا: وصوابه فى الوزن «لاهُمَّ»، أو «تَاللهِ» كما فى الحديث الآخر.

---

(١) فتح الباري (٨/ ٢٣٩).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤١٩٦)، ومسلم (١٢٣/ ١٨٠٢).
(٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٤٧، ٤٨، ٥٠).

وقوله: «فداء لك» قال المازنى: هذه اللفظة مشكلة؛ فإنه لا يقال للبارى سبحانه: فديتك؛ لأن ذلك إنما يستعمل فى مكروه يتوقَّع حلوله بالشخص؛ فيختار شخص آخر أن يحل ذلك به ويفديه منه.

قال: ولعل هذا وقع من غير قصد إلى حقيقة معناه؛ كما يقال: قاتله الله، ولا يريد بذلك حقيقة الدعاء عليه، وكقوله - عليه الصلاة والسلام -: تربتْ يداك، وتربتْ يمينُكَ. وفيه كله ضرب من الاستعارة؛ لأن المفادِىَ مبالغ فى طلب رضا المفادَى حين بذل نفسه عن نفسه للمكروه؛ فكأن مراد الشاعر: إنى أبذل نفسى فى رضاك. وعلى كل حالٍ فإن المعنى وإن أمكن صرفه إلى جهة صحيحة - فإطلاق اللفظ واستعارته والتجوز فيه يفتقر إلى ورود الشرع بالإذن فيه.

قال: وقد يكون المراد بقوله: «فداء لكَ» رجلًا يخاطبه، وفصل بين الكلام بذلك، ثم عاد إلى تمام الأول، فقال: ما أبقينا.

قال: وهذا تأويلٌ يصحُّ معه اللفظ والمعنى، لولا أن فيه تعسفًا اضطررنا إليه لتصحيح الكلام • انتهى.

فقيل: إنه يخاطب بهذا الشعر النبيَّ ﷺ، والمعنى لا تؤاخذنا بتقصيرنا فى حقك ونصرك؛ وعلى هذا فقوله: «اللهم» لم يقصدْ بها الدعاء، وإنما افتتح بها الكلام، والمخاطب بقول الشاعر: «لولا أنت» النبى ﷺ، لكن يعكرُ عليه بعد ذلك:

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا   وثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

فإنه دعاء لله تعالى، ويحتمل أن يكون: فاسأل ربك أن ينزل ويثبت، والله أعلم.

وقوله: «إذا صيح بنا أتينا» أى: إذا صيح بنا للقتال ونحوه من المكاره، وفى رواية: «أبينا» بالموحدة بدل المثناة، أى: أبينا الفرار.

وقوله: «وبالصياح عولوا علينا» أى: استغاثوا بنا، واستفزعونا للقتال، وقيل: هو من التعويل على الشىء، وهو الاعتماد عليه، وقيل: هو من العويل، وهو الصوت.

وقوله: «من هذا السائق ؟ قالوا: عامر، قال: يرحمه الله، قال رجل من القوم: وجبَتْ» أى: ثبتت له الشهادة، وستقع قريبًا، وكان معلومًا عندهم أن من دعا له النبيُّ ﷺ هذا الدعاء فى هذا الموطن استشهدَ، فقالوا: هلا أمتعتنا به ؟ أى: وددنا

أنك أخرت الدعاء له بهذا إلى وقت آخر لتتمتع بمصاحبته ورؤيته مدة[١].

وفى البخارى من حديث أنس: أنه ﷺ أتى خيبر ليلاً، وكان إذا أتى قومًا بليل لم يغزهم[٢] حتى يصبح، فلما أصبح، خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوه قالوا: محمد، واللهِ محمد والخميسُ، فقال النبى ﷺ: خربت خيبرُ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذَرِينَ[٣]. وفى رواية: «فرفع يده، وقال: الله أكبر، خربت خيبر». والخميس: الجيش، سمى به، لأنه مقسومٌ بخمسة أقسام: المقدمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب، ومحمد: خبر مبتدأ، أى: هذا محمد.

قال السهيلى: ويؤخذ من هذا الحديث التفاؤُلُ؛ لأنه - عليه الصلاة والسلام - لما رأى آلة الهدم، تفاءل أن مدينتهم ستخرب[٤]. انتهى.

ويحتمل كما قاله فى «فتح البارى»: أن يكون قال: «خربت خيبر» بطريق الوحى؛ ويؤيده قوله بعد ذلك: «إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذَرين. وفى رواية: أنه ﷺ صلى الصبح قريبًا من خيبر بغلس، ثم قال: «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذرين»[٥].

وقال مغلطاى وغيره: وفرق - عليه الصلاة والسلام - الرايات، ولم تكنِ الراياتُ إلا بخيبر، وإنما كانت الألوية.

وقال الدمياطى: وكانت راية النبى ﷺ السوداء من برد لعائشة.

وفى البخاريّ وكان على بن أبى طالب تخلَّفَ عن النبى ﷺ، وكان رمدًا فلحق، فلما بتنا الليلة، قال: «لأعطينَّ الراية غدًا - أو ليأخذن الراية غدًا - رجلاً يحبُّ الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله عليه». فلما أصبح الناس، غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين على بن أبى طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكى عينيه، فأرسل إليه[٦]، فأتى به، فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه، ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكنْ به وجع، فأعطاه الراية، فقال على: يا رسول

---

(١) هذا الكلام للحافظ في الفتح (٨/ ٢٣٩-٢٤٠) بتصرف في شرح الحديث (٤١٩٦).
(٢) لفظ البخاري: لم يقربهم.
(٣) أخرجه البخاري (٤١٩٧)، ومسلم (١٢٠/ ١٣٦٥).
(٤) الروض الأنف (٤/ ٥٨).
(٥) الفتح (٨/ ٢٤٤).
(٦) لفظ البخاري: فأرسلوا إليه.

الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال: اتئذ[١] على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله، لأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم. . . الحديث[٢].

ولما أن تصافَّ القوم، كان سيف عامر قصيرًا، فتناول ساق يهوديٍّ ليضربه، فرجع ذباب سيفه، فأصاب عين ركبة عامر، فمات منه، فلما قفلوا، قال سلمة: قلت: يا رسول الله، فداك أبي وأمي، زعموا أن عامرا حبطَ عمله عليه، قال ﷺ: كذب من قال، وإن له أجرين - وجمع بين إصبعيه - إنه لجاهد مجاهد. رواه البخاري أيضًا[٣].

وعن يزيد بن أبي عبيدة قال: رأيت ضربة بساق سلمة، فقلت: ما هذه الضربة ؟ قال: هذه ضربة أصابنيها يوم خيبر، فأتيت النبي ﷺ، فنفث فيها ثلاث نفثات، فما اشتكيتها حتى الساعة. أخرجه البخاري[٤].

وعنده - أيضًا - عن أبي هريرة: شهدنا خيبر، فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدَّعِي الإسلام: هذا من أهل النار، فلما حضر القتال، قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت فيه الجراحة، فكاد بعض الناس يرتاب، فوجد الرجل ألم الجراحة، فأهوى بيده إلى كنانته، فاستخرج منها سهمًا، فنحر نفسه، فاشتدَّ رجالٌ من المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، صدَّقَ الله حديثك، انتحر فلان فقتل نفسه، فقال: قُمْ يا فلان فأذن: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر[٥].

وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة»[٦].

---

(١) لفظ البخاري: انفذ على رسلك.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (٤٢٠٩، ٤٢١٠) في المغازي وأخرجه أيضًا في فضائل عليٍّ رقم (٣٧٠٢) من حديث سلمة.

(٣) نفس حديث سلمة السابق وهو في البخاري بهذا اللفظ رقم (٤١٩٦).

(٤) أخرجه البخاري رقم (٤٢٠٦).

(٥) أخرجه البخاري رقم (٤٢٠٤).

(٦) انظر السابق.

وقاتل النبى ﷺ أهل خيبر، وقاتلوه أشدَّ القتال، واستشهد من المسلمين خمسة عشر، وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون، وفتحها الله عليه حصنًا حصنًا، وهى النطاة، وحصن الصعب، وحصن ناعم، وحصن قلعة الزبير، والشق، وحصن أبى، وحصن البراء، والقموص، والوطيح، والسلالم، وهو حصن بنى الحقيق الذى كان لهم به كنز فى مسك الحمار، وكانوا قد غيبوه فى خربة؛ فدل الله رسوله عليه فاستخرجه، وقلع علىٌّ باب خيبر، ولم يحركه سبعون رجلاً إلا بعد جهد.

وفى رواية ابن إسحاق سبعة، وأخرجه من طريقه البيهقى فى «الدلائل»[1]، ورواه الحاكم وعنه البيهقى من جهة ليث بن أبى سليم، عن أبى جعفر محمد بن على بن حسين، عن جابر؛ أن عليًا حمل الباب يوم خيبر، وأنه جرب بعد ذلك، ولم يحمله أربعون رجلاً[2]، وليث ضعيف.

وفى رواية البيهقى: أن عليًا لما انتهى إلى الحصن، اجتبذ أحد أبوابه فألقاه فى الأرض، فاجتمع عليه بعده منا سبعون رجلاً، وكان جهدًا أن أعادوا الباب مكانه[3].

قال شيخنا: وكلها واهية، ولذا أنكره بعض العلماء. انتهى.

وفى البخارى: وتزوج - عليه الصلاة والسلام - بصفية بنت حُيَيِّ بْنِ أخطب، وكان قد قتل زوجها كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، وكانت عروسًا، فذكر له جمالها فاصطفاها لنفسه، فخرج بها حتى إذا بلغت سد الضهباء، حلت له، يعنى: طهرت من الحيض، فبنى بها - عليه الصلاة والسلام - فصنع حيسًا فى نطع صغير، ثم قال لأنس: آذن من حولك؛ فكانت وليمته على صفية.

قال: ثم خرجنا إلى المدينة، فرأيت النبى ﷺ يحوى لها، وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيره، فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبتيه حتى تركب[4]، وفى رواية: فقال المسلمون: إحدى أمهات المؤمنين، أو ما ملكَتْ يمينه ؟ قالوا: إن حجبها، فهى إحدى أمهات المؤمنين، وإن لم يحجبها، فهى ما ملكت يمينه، فلما

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٢٨٤)، ومن طريقه البيهقي في الدلائل (٤/ ٢١٢).
(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٤/ ٢١٢) عن الحاكم به.
(٣) ينظر: الفتح (٨/ ٢٥٧).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٢١١).

ارتحل، وطأ لها ومد الحجاب[١].

وفى رواية: أنه ﷺ قتل المقاتلة، وسبى الذرية، وكان فى السبى صفية، فصارت إلى دحية الكلبى، ثم صارت إلى النبى ﷺ، فجعل عتقها صداقها، وفى رواية: فأعتقها، وفى رواية: قال ﷺ لدحية: خذ جارية من السبى غيرها[٢]. وفى رواية لمسلم: أنه ﷺ اشترَى صفية منه بسبعة أرؤس، وإطلاق الشراء على ذلك على سبيل المجاز، وليس فى قوله: «بسبعة أرؤس»[٣] ما ينافى قوله فى رواية البخارى: «خذ جارية من السبى غيرها»؛ إذ ليس هنا دلالة على نفى الزيادة. والله أعلم.

وإنما أخذ ﷺ صفية؛ لأنها بنت ملك من ملوكهم، وليست ممن توهب لدحية؛ لكثرة من كان من الصحابة مثل دحية وفوقه، وقلة من كان فى السبى مثل صفية فى نفاستها، فلو خصه بها، لأمكن تغير خاطر بعضهم؛ فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه، واختصاصُهُ - عليه الصلاة والسلام - بها، فإنَّ فى ذلك رضَا الجميع، وليس ذلك من الرجوع فى الهبة فى شيء. انتهى.

وقال مغلطاى وغيره: كانت صفية قبل، رأتْ أن القمَرَ سقَطَ فى حجرها؛ فتؤول بذلك.

قال الحاكم: وكذا جرى لجويرية[٤].

وفيها حرم ﷺ لحوم الحمر الأهلية كما فى البخاريِّ: ولفظه: فلما أمسى الناس مساء اليوم الذى فتحت عليهم - يعنى: خيبر - أوقدوا نيرانًا كثيرة، فقال ﷺ: ما هذه النيران، على أى شيء توقدون ؟ قالوا: على لحم، قال: على أى لحم ؟ قالوا: لحم الحمر الأنسية، فقال النبى ﷺ: أهريقوها واكسروها، فقال رجل: يا رسول الله، أو نهريقها ونغسلها ؟ قال: أو ذاك[٥]؛ والمشهور فى الإنسية: كسر

---

(١) البخاري (٤٢١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧١)، ومسلم (٨٤-١٣٦٥)، وأبو داود (٢٩٩٨)، والنسائي (٦/ ١٣٢، ١٣٣).

(٣) أخرجه مسلم رقم (٨٧/ ١٣٦٥).

(٤) تقدم ذلك في أزواج النبي ﷺ .

(٥) أخرجه البخاري (٤١٩٦) من حديث سلمة بن الأكوع.

الهمزة، منسوبة إلى الإنس، وهم بنو آدم، وحكى ضم الهمزة ضد الوحشية، ويجوز فتحها والنون - أيضًا - مصدر: أنست به آنس أنسًا وأنسة.

وفى رواية: «نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية، ورخص فى الخيل»، قال ابن أبى أوفى: فتحدثنا أنه إنما نهى عنها؛ لأنها لم تخمس(١).

وقال بعضهم: نهى عنها ألبتة؛ لأنها كانت تأكل العذرة(٢).

قال العلماء: وإنما أمر بإراقتها؛ لأنها نجسة محرمة، وقيل: إنما نهى عنها للحاجة إليها، وقيل: لأخذها قبل القسمة.

وهذان التأويلان للقائلين بإباحة لحومها، والصواب ما قدمنا.

وأما قوله ﷺ: «اكسروها» فقال رجل: أو نهريقها ونغسلها؟ قال: أو ذاك. فهذا محمول على أنه ﷺ اجتهد فى ذلك فرأى كسرها، ثم تغير اجتهاده، وأوحى إليه بغسلها.

وأما لحوم الخيل: فاختلف العلماء فى إباحتها:

فمذهب الشافعى والجمهور من السلف والخلف: أنه مباح لا كراهة فيه؛ وبه قال عبد الله بن الزبير، وأنس بن مالك، وأسماء بنت أبى بكر.

وفى صحيح مسلم عنها: «نحرنا فرسًا على عهد رسول الله ﷺ، فأكلناه ونحن بالمدينة»(٣).

وفى رواية الدارقطنى: «فأكلناه نحن وأهل بيت النبى ﷺ»(٤).

قال فى فتح البارى: ويستفاد من قولها: «ونحن بالمدينة» أن ذلك بعد فرض الجهاد فيرد على من استدل فى منع أكلها لعلة أنها من آلة الجهاد. وقولها: «وأهل بيت النبى ﷺ» رد على من زعم أنه ليس فيه أن النبى ﷺ اطلع على ذلك، مع أن ذلك لو لم يرد لم يظنّ بآل أبى بكر أنهم يقدمون على فعل شيء فى زمنه ﷺ إلا وعندهم العلم بجوازه؛ لشدة اختلاطهم به - عليه الصلاة والسلام - وعدم

---

(١) حديث النهي هذا أخرجه البخاري (٣١٥٥)، (٤٢٢٠)، (٤٢٢٢)، (٤٢٢٤)، (٥٥٢٦) وعبارة ابن أبي أوفى بعد رقم (٣١٥٥) في كتاب فرض الخمس.

(٢) انظر صحيح البخاري الحديث (٤٢٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (٥٥١١)، ومسلم في صحيحه (١٩٤٢).

(٤) أخرجه الدارقطني في سننه (٤/ ٢٩٠) رقم (٧٧).

مفارقتهم له، وهذا مع توفر داعية الصحابة إلى سؤاله - عليه الصلاة والسلام - عن الأحكام؛ ومن ثم: كان الراجح أن الصحابى إذا قال: «كنا نفعل كذا على عهد رسول الله ﷺ» كان له حكم الرفع؛ لأن الظاهر اطلاعه ﷺ على ذلك وتقريره، وإذا كان ذلك فى مطلق الصحابى، فكيف بآل أبى بكر؟!(١).

وقال الطحاوى: ذهب أبو حنيفة: إلى كراهة أكل الخيل، وخالفه صاحباه وغيرهما، واحتجوا بالأخبار المتواترة فى حلها. انتهى(٢).

وقد نقل بعض التابعين الحل عن الصحابة مطلقًا من غير استثناء أحد؛ فأخرج ابن أبى شيبة، بسند صحيح على شرط الشيخين، عن عطاء، قال: «لم يزلْ سلفك يأكلونها»، قال ابن جريج: قلت: أصحاب رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم.

وأما ما نقل فى ذلك عن ابن عباس - من كراهتها - فأخرجه ابن أبى شيبة، وعبد الرزاق، بسندين ضعيفين.

وقال أبو حنيفة فى الجامع الصغير: أكره لحوم الخيل؛ فحمله أبو بكر الرازى على التنزيه، وقال: لم يطلق أبو حنيفة فيه التحريم، وليس هو عنده كالحمار الأهلى. وصحَّح أصحاب «المحيط» و«الهداية» و«الذخيرة» عنه التحريم، وهو قول أكثرهم.

وقال القرطبى فى شرح مسلم: مذهب مالك الكراهة، وقال [الفاكهى](٣): المشهور عند المالكية الكراهة. والصحيح عندَ المحققين منهم التحريم.

وقال [الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة](٤): الدليل على الجواز مطلقًا واضحٌ؛ لكن سبب كراهة مالك لأكلها كونها تستعمل غالبًا فى الجهاد، فلو انتفت الكراهة لكثر استعمالها، ولو كثر لأفضى إلى فنائها، فيئول إلى النقص من إرهاب العدو الذى وقع الأمر به فى قوله تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فعلى هذا: فالكراهة لسبب خارج وليس البحث فيه؛ فإن الحيوان المتفق على

(١) انظر: فتح الباري (١١/ ٨٢).
(٢) نقل ذلك عنه الحافظ في فتح الباري (١١/ ٨٢، ٨٣).
(٣) في ط: الفاكهاني. والمثبت من فتح الباري.
(٤) في ط: ابن حمزة. والمثبت من فتح الباري، وهو الصواب.

إباحته لو حدث أمر يقتضى أن لو ذبح لأفضى إلى ارتكاب محذور، لامتنع، ولا يلزم من ذلك القول بتحريمه انتهى.

وأما قول بعض المانعين: لو كانت حلالاً، لجازت الأضحية بها فمنتقض بحيوان البر؛ فإنه مأكول ولم تشرع الأضحية به.

وأما حديث خالد بن الوليد، عند أبى داود والنسائى: «نهى رسول الله ﷺ عن لحوم الخيل والبغال والحمير»[(١)] فإنه ضعيف، ولو سلم لا ينهض معارضًا لحديث جابر الدالّ على الجواز، وقد وافقه حديث أسماء، وقد ضعف حديث خالد بن الوليد أحمد، والبخارى، والدارقطنى، والخطابى، وابن عبد البر، وعبد الحق، وآخرون.

وزعم بعضهم: أن حديث جابر دالٌّ على التحريم لقوله: «رخص»[(٢)]؛ لأن الرخصة استباحة المحظور مع قيام المانع؛ فدل على أنه رخص. لهم بسبب المخمصة التى أصابتهم بخيبر؛ فلا يدل ذلك على الحل المطلق.

وأجيب بأن أكثر الروايات جاء بلفظ الإذن، كما رواه مسلم، وفى رواية له: «أكلنا زمن خيبر الخيل وحمر الوحش، ونهانا النبى ﷺ عن الحمر الأهلية وأمر بلحوم الخيل»؛ فدلَّ على أن المراد بقوله: «رخص» أذن.

ونوقض - أيضًا - بالإذن فى أكل الخيل، ولو كانت رخصة لأجل المخمصة، لكانت الحمر الأهلية أولى بذلك؛ لكثرتها وعزة الخيل حينئذ؛ فدلَّ على أن الإذن فى كل الخيل إنما كان للإباحة لا لخصوص الضرورة.

وقد نقل عن مالك وغيره من القائلين بالتحريم: أنهم احتجوا للمنع بقوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [النحل: ٨] وقرروا ذلك بأوجه:

أحدها: أن اللام للتعليل؛ فدل على أنها لم تخلق لغير ذلك؛ لأن العلة

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ١٥١) كتاب الأطعمة: باب في أكل لحوم الخيل، رقم (٣٧٩٠)، والنسائي (٧/ ٢٠٢)، وابن ماجه رقم (٣١٩٨)، والدارقطني (٤/ ٢٨٧)، وأحمد (٤/ ٨٩)، والبغوي في شرح السنة (٦/ ٤٧)، من حديث خالد بن الوليد قال البغوي: وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٥٥٢٠)، ومسلم رقم (٣٦/ ١٩٤١)، والبغوي في شرح السنة (٦/ ٤٧ -بتحقيقنا)، من حديث جابر بلفظ: نهى النبي ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر، ورخص في لحوم الخيل.

المنصوصة تفيد الحصر، فإباحة أكلها تقتضى خلاف ظاهر الآية.

ثانيها: عطف البغال والحمير؛ فدل على اشتراكها معهما فى حكم التحريم؛ فيحتاج من أفرد حكم ما عطف عليها إلى دليل.

ثالثها: أن الآية سيقت مساق الامتنان؛ فلو كان ينتفع بها فى الأكل لكان الامتنان به أعظم، والحكيم لا يمتنُّ بأدنى النعم وبترك أعلاها، لا سيما وقد وقع الامتنان بالأكل فى المذكورات قبلها.

رابعها: لو أبيح أكلها، لفاتت المنفعة بها فيما وقع به الامتنان من الركوب والزينة:

وأجيب: بأن آية النحل مكية اتفاقًا، والإذن فى أكل الخيل كان بعد الهجرة من مكة بأكثر من ست سنين، فلو فهم النبى ﷺ من الآية المنع، لما أذن فى الأكل.

وأيضًا: فآية النحل ليست نصًا فى منع الأكل، والحديث صريح فى جوازه.

وأيضًا: فلو سلمنا أن اللام للتعليل، لم نسلم إفادة الحصر فى الركوب والزينة؛ فإنه ينتفع بالخيل فى غيرها وفى الأكل اتفاقًا، وإنما ذكر الركوب والزينة؛ لكونهما أغلب ما تطلب له الخيل، ونظيره حديث البقرة المذكور فى الصحيحين، خاطبت راكبها، فقالت: «لم أخلق لهذا، وإنما خلقت للحرث»؛ فإنه مع كونه أصرح فى الحصر ما يقصد به إلا الأغلب، وإلا فهى تؤكل وينتفع بها فى أشياء غير الحرث اتفاقًا.

وقال البيضاوى: واستدلّ بها - أى بآية النحل - على حرمة لحومها، ولا دليل فيها؛ إذ لا يلزم من تعليل العقل بما يقصد منه غالبًا ألاَّ يقصد منه غيره أيضًا. انتهى.

وأيضًا: فلو سلم الاستدلال، للزم منع حمل الأثقال على الخيل والبغال والحمير، ولا قائل به.

وأما عطف البغال والحمير: فدلالة العطف إنما هى وضعية، وهى ضعيفة.

وأما أنها سيقت مساق الامتنان: فالامتنان إنما قصد به غالب ما يقع به انتفاعهم بالخيل، فخوطبوا بما ألفوا وعرفوا، ولم يكونوا يعرفون أكل الخيل لعزتها فى بلادهم؛ بخلاف الأنعام فإن أكثر انتفاعهم بها كان بحمل الأثقال والأكل؛ فاقتصر فى كل من الصنفين على الامتنان بأغلب ما ينتفع به، فلو لزم من ذلك الحصر فى هذا الشق لأضرَّ.

وأما قولهم: «لو أبيح أكلها؛ لفاتت المنفعة بها...» إلى آخره. فأجيب عنه: بأنه لو لزم من الإذن فى أكلها أن تفنى، للزم مثله فى البقر وغيرها مما أبيح أكله ووقع الامتنان به.

وإنما أطلت فى ذلك لأمر اقتضاه، والله أعلم[(١)].

وفيها - أيضًا - نهى [النبى] ﷺ عن أكل كل ذى ناب من السباع[(٢)]، وعن بيع المغانم حتى تقسم[(٣)]، وألاَّ توطأ جارية حتى تستبرأ[(٤)].

(١) الكلام السابق كله نقله المصنف بتصرف من فتح الباري (١١/ ٨٢-٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٤٣)، كتاب الصيد والذبائح باب تحريم أكل كل ذي ناب حديث (١٦/ ١٩٣٤)، وأبو داود (٢/ ٣٨٣) كتاب الأطعمة، باب النهي عن أكل السباع حديث (٣٨٠٣)، والدارمي (٢/ ٨٥) كتاب الأضاحي، باب ما لا يؤكل من السباع، وأحمد (١/ ٢٤٤، ٢٨٩، ٣٠٢، ٣٧٣)، وابن الجارود (٨٩٢)، وابن حبان (٥٢٥٦-الإحسان)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ١٩٠)، والبيهقي (٩/ ٣١٥) كتاب الضحايا، باب ما يحرم من جهة ما لا تأكل العرب، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٩٥)، والبغوي في شرح السنة (٦/ ٣٢- بتحقيقنا) من طريق أبي بشر والحكم عند بعضهم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس به. وقد رواه ميمون بن مهران عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أخرجه أبو داود (٢/ ٣٨٣) كتاب الأطعمة، باب النهي عن أكل السباع حديث (٣٨٠٥)، والنسائي (٧/ ٢٠٦)، كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة أكل لحوم الدجاج، وابن ماجه (٢/ ١٠٧٧) كتاب الصيد، باب أكل كل ذي ناب من السباع حديث (٣٢٣٤)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ١٩٠)، وأحمد (١/ ٣٣٩)، والبيهقي (٩/ ٣١٥) كتاب الضحايا، باب ما يحرم من جهة ما لا تأكل العرب، وابن الجارود (٨٩٣) من طريق علي بن الحكم عن ميمون بن مهران عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وفي الباب عن جماعة من الصحابة منهم: أبو هريرة، وأبو ثعلبة الخشني، وخالد بن الوليد، وغيرهم.

(٣) أخرجه أبو داود رقم (٣٣٦٩)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٨٧)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٤٣٤).

(٤) ورد ذلك من حديث أبي سعيد الخدري، وابن عباس وأبي هريرة والعرباض بن سارية، وعلى بن أبي طالب، ورويفع بن ثابت وأبي أمامة وابن عمر ورجل ثقة. حديث أبي سعيد الخدري: أخرجه أحمد (٣/ ٨٧)، وأبو داود (٢/ ٦١٤) كتاب النكاح باب في وطء السبايا حديث (٢١٥٧)، والحاكم (٢/ ١٩٥)، كتاب النكاح، والبيهقي (٩/ ١٢٤) كتاب السير باب المرأة تسبى مع زوجها وفي (٧/ ٤٤٩) كتاب العدد، باب استبراء من ملك الأمة، عنه أن النبي ﷺ قال في سبي أوطاس: «لا توطأ حامل حتى تضع ولا غير حامل حتى تحيض حيضة» وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. وحديث ابن عباس أخرجه ابن الجارود (٢٤٤) كتاب النكاح، الحديث (٧٣٢) وأبو يعلى (٤/ ٣٧٣-٣٧٤) رقم (٢٤٩١) من طريق الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر وعن كل ذي ناب من السباع وأن توطأ السبايا حتى يضعن». وأخرجه النسائي (٧/ ٣٠١) =

وفيها: سمت النبى ﷺ زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم؛ كما فى البخارى من حديث أبى هريرة، ولفظه: «لما فتحت خيبر، أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم، فقال رسول الله ﷺ: اجمعوا لى من كان هاهنا من اليهود، فجمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ: إنى سائلكم عن شيء، فهل أنت صادقونى عنه؟

= والدارقطني (٣/ ٦٩) كتاب البيوع حديث (٢٦٠)، وأبو يعلى (٤/ ٣٠٤) رقم (٢٤١٤)، والحاكم (٢/ ١٣٧) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس به وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وأخرجه الدارقطني (٣/ ٢٥٧) كتاب النكاح، باب المهر (٥٠) من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن مسلم الجندي عن عكرمة عن ابن عباس قال: نهى رسول الله ﷺ أن توطأ حامل حتى تضع أو حائل حتى تحيض. وذكره الهيثمي بهذا اللفظ في «المجمع» (٥/ ٧) وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. وذكره الهيثمي أيضًا بلفظ آخر عنه قال: نهى رسول الله ﷺ يوم حنين عن بيع الخمس حتى يقسم وعن أن توطأ النساء حتى يضعن ما في بطونهن إن كن حبالى. وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عصمة بن المتوكل وهو ضعيف. حديث أبي هريرة أخرجه الطبراني في الصغير (١/ ٩٥) من طريق بقية بن الوليد عن إسماعيل بن عياش عن الحجاج ابن أرطأة عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «أنه نهى في وقعة أوطاس أن يقع الرجل على حامل حتى تضع» وقال الهيثمي (٥/ ٧): رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه بقية والحجاج وكلاهما مدلس. حديث العرباض بن سارية أخرجه الترمذي (٤/ ١٣٣) كتاب السير، باب ما جاء في كراهية وطء الحبالى من السبايا حديث (١٥٦٤) من طريق أبي عاصم النبيل عن وهب بن خالد عن أم حبيبة بنت العرباض بن سارية أن أباها أخبرها: «أن رسول الله ﷺ نهى أن توطأ السبايا حتى يضعن ما في بطونهن» ثم قال الترمذي: «غريب» حديث رويفع بن ثابت أخرجه أحمد (٤/ ١٠٨-١٠٩) وأبو داود (٢/ ٦١٥-٦١٦) كتاب النكاح، باب في وطء السبايا الحديث (٢١٥٨)، والترمذي (٣/ ٤٣٧) كتاب النكاح باب ما جاء في الرجل يشتري الجارية وهي حامل الحديث (١١٣١)، وابن الجارود ص (٢٤٤) كتاب النكاح الحديث (٧٣١)، والبيهقي (٩/ ١٢٤) كتاب السير، باب المرأة تسبى مع زوجها وفي (٧/ ٤٤٩) كتاب العدد باب استبراء من ملك الأمة عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم حنين: «لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقع على امرأة من السبي حتى يستبرئها» بلفظ أبي داود. وقال الترمذي: حديث حسن وقد روى من غير وجه عن رويفع بن ثابت. وحديث أبي أمامة رواه الطبراني كما في المجمع (٤/ ٣٠٣) عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر أن توطأ الحبالى حتى يضعن» وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح. وحديث ابن عمر رواه الطبراني كما في المجمع (٤/ ٣٠٣) ولفظه «كل جارية بها حبل حرام على صاحبها حتى تضع ما في بطنها» وقال الهيثمي: وفيه يحيى بن عبد الله البابلتي وهو ضعيف. حديث الثقة: أخرجه أبو يعلى كما في المطالب العالية (٢/ ٧٢) حديث (١٦٨٣) من حديث يحيى بن سعد بن دينار مولى آل الزبير قال: أخبرني الثقة أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر أن يوقع على الحبالى وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٣٠٣) رواه أبو يعلى ويحيى لا أعرفه.

فقالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: من أبوكم؟ قالوا: أبونا فلان، فقال لهم رسول الله ﷺ: كذبتم، بل أبوكم فلان، فقالوا: صدقت وبررت، قال: هل أنتم صادقونى عن شيء إن سألتكم؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته فى أبينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: من أهل النار؟ فقالوا: نكون فيها يسيرًا ثم تخلفوننا فيها، فقال رسول الله ﷺ: اخسئوا فيها، والله، لا نخلفكم فيها أبدًا، ثم قال: هل أنتم صادقونى عن شيء إن سألتكم عنه؟ فقالوا: نعم، فقال: هل جعلتم فى هذه الشاة سُمًّا؟ فقالوا: نعم، فقال: ما حملكم على ذلك؟ فقالوا: أردنا إن كنت كذابًا أن نستريح منك، وإن كنت نبيًّا لم يضرَّكَ[(١)].

وفى حديث جابر عند أبى داود: أن يهوديةً من أهل خيبر سمت شاة مصلية، ثم أهدتها إلى رسول الله ﷺ، فأخذها رسول الله ﷺ يأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه، فقال رسول الله ﷺ: ارفعوا أيديكم، وأرسل إلى اليهودية فقال: سممت هذه الشاة؟ فقالت: من أخبرك؟ قال: أخبرتنى هذه فى يدى - للذراع - قالت: نعم، قلت: إن كان نبيًّا فلم يضره، وإن لم يكن نبيًّا استرحنا منه، فعفا عنها ﷺ ولم يعاقبها، وتوفى أصحابه الذين أكلوا من الشاة.

واحتجم رسول الله ﷺ على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة[(٢)]. وفى رواية: «جعلت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم تسأل: أى الشاة أحب إلى محمد؟ فيقولون الذراع، فعمدت إلى عنز لها فذبحتها وصلتها، ثم عمدت إلى سم لا يطنى، يعنى: لا يلبث أن يقتل من ساعته، وقد شاورت يهود فى سموم، فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه، فسمَّت الشاة وأكثرت فى الذراعين والكتف، فوضعت بين يديه ومن حضر من أصحابه، وفيهم بشر بن البراء، وتناول ﷺ الذراع، وانتهش منها، وتناول بشر بن البراء عظمًا آخر، فلما ازدرد ﷺ لقمته ازدرد بشر بن البراء ما فى فيه وأكل القوم، فقال ﷺ: ارفعوا أيديكم؛ فإن هذا الذراع تخبرنى أنها مسمومة، وفيه أن بشر بن البراء مات، وفيه: أنه ﷺ دفعها إلى أولياء بشر بن البراء،

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٩)، (٤٢٤٩)، (٥٧٧٧) مع اختلاف في بعض الألفاظ، وأبو داود (٤٥١٢).

(٢) سنن أبي داود (٤٥١٠) وهو جزء من الحديث السابق.

فقتلوها[١]. رواه الدمياطى.

وقد اختلف، هل عاقبها ﷺ؟ فعند البيهقى، من حديث أبى هريرة: فما عرض لها[٢]، ومن طريق أبى نضرة، عن جابر: نحوه، قال: فلم يعاقبها[٣]، وفيه قول صاحب الهمزية: [من الخفيف]

وبخلْقٍ من النَّبِىِّ كريم   لم تُقَاصَصْ بِجُرْحِهَا العَجْمَاءُ

وقال الزهرى: أسلمت فتركها. قالَ البيهقى: يحتمل أنه تركها أولاً، ثم لما مات بشر بن البراء من الأكلة قتلها[٤]. وبذلك أجاب السهيلى، وزاد: أنه تركها؛ لأنه كان لا ينتقم لنفسه، ثم قتلها ببشر قصاصًا.

ويحتمل أن يكون تركها؛ لكونها أسلمت، وإنما أخر قتلها حتى مات بشر؛ لأن بموته يتحقق وجوب القصاص بشرطه.

وفى مغازى سليمان التيمى: أنها قالت: إن كنت كاذبًا أرحت الناس منك، وقد استبان لى الآن أنك صادق، وأنا أشهدك ومن حضر أنى على دينك، وأن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله. قال: فانصرف عنها حين أسلمت، وفيه موافقة الزهرى على إسلامها. فالله أعلم.

وفيها - أيضًا - نام ﷺ عن صلاة الفجر لما وكل به بلالاً؛ كما فى حديث أبى هريرة عند مسلم؛ أن رسول الله ﷺ حين قفل من غزوة خيبر، سار ليله حتى إذا أدركه الكرى عرَّس، وقال لبلال: اكلأ لنا الليل، فصلى بلال ما قدر له، ونام ﷺ وأصحابه، فلما قارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجه الفجر، فغلبت بلالاً عيناه، وهو مستند إلى راحلته، فلم يستقيظْ ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتَّى ضربتهم الشمس، فكان ﷺ أولهم استيقاظًا فقال: أى بلال، فقال بلال: أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك، بأبى أنت وأمى يا رسول الله! قال: اقتادوا، فاقتادوا رواحلهم شيئًا، ثم توضأ ﷺ، وأمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلى بهم الفجر، فلما

---

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/ ٢٨٧)، وتاريخ الطبري (٣/ ١٥)، والبداية والنهاية (٤/ ٢٤٠)، والسبل (٥/ ١٣٣-١٣٤).

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٤/ ٢٦٠).

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل (٤/ ٢٦٠).

(٤) انظر دلائل النبوة (٤/ ٢٦٢).

قضى الصلاة قال: من نسى الصلاة، فليصلها إذا ذكرها. فإن الله تعالى قال: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه: ١٤][١].

وفيها قدم جعفر ومن معه من الحبشة.

واختلف فى فتح خيبر، هل كان عنوة أو صلحًا؛ وفى حديث عبد العزيز بن صهيب، عن أنس: التصريحُ بأنه كان عنوة، وبه جزم ابن عبد البر[٢]، ورد على من قال: فتحت صلحًا، قال: وإنما دخلت الشبهة على من قال: فتحت صلحًا

(١) أخرجه مسلم (١/ ٤٧١) كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة (٣٠٩/ ٦٨٠)، وأبو داود (١/ ١٧٢) كتاب الصلاة، باب من نام عن صلاة أو نسيها (٤٣٥) والنسائي (١/ ٢٩٦) كتاب المواقيت، باب إعادة من نام عن الصلاة لوقتها من الغد وابن ماجه (١/ ٢٢٧-٢٢٨) كتاب الصلاة، باب من نام عن الصلاة أو نسيها (٦٩٧)، وأبو عوانة (٢/ ٢٥٣)، والبيهقي (٢/ ٢١٧) من طرق عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها فإن الله تعالى قال: أقم الصلاة لذكري». وفي الباب عن جماعة من الصحابة منهم: أنس وعبد الرحمن بن سمرة، وأبي بكرة: فحديث أنس أخرجه البخاري (٢/ ٧٠) كتاب المواقيت، باب من نسي صلاة ... (٥٩٧)، ومسلم (١/ ٤٧٧) كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة (٣١٤/ ٦٨٤)، وأبو داود (١/ ١٧٤) كتاب الصلاة، باب من نام عن صلاة أو نسيها (٤٤٢)، والترمذي (١/ ٣٣٥-٣٣٦) كتاب الصلاة، باب ما جاء في الرجل ينسى الصلاة (١٧٨)، والنسائي (١/ ٢٩٣) كتاب المواقيت، باب فيمن نسي الصلاة (٦١٣)، وابن ماجه (١/ ٢٢٧) كتاب الصلاة، باب من نام عن الصلاة أو نسيها (٦٩٥-٦٩٦)، والدارمي (١/ ٢٨٠) كتاب الصلاة، باب من نام عن صلاة أو نسيها، وأبو عوانة (٢/ ٢٦٠-٢٦١)، وابن أبي شيبة (١/ ١٨٩)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٢/ ٢٣٠)، وأحمد (٣/ ٢١٦، ٢٤٣، ٢٦٧، ٢٨٢)، والبيهقي (٢/ ٢١٨)، وابن خزيمة (٢/ ٩٧) رقم (٩٩٣) من طرق عن قتادة عن أنس مرفوعًا ولفظ مسلم «من نسي صلاة أو نام عنها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها» ولفظ البخاري: «من نسي صلاة فليصل إذا ذكر لا كفارة لها إلا ذلك» وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وحديث عبد الرحمن بن سمرة أخرجه أحمد (٥/ ٢٢) من طريق بشر بن حرب عن سمرة قال بشر: أحسبه مرفوعًا «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها» وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٣٢٦) وقال: وبشر بن حرب ضعفه ابن المديني وجماعة ووثقه ابن عدي وقال لم أر له حديثا منكرًا. اهـ وقال الحافظ في «التقريب» (١/ ٩٨): بشر بن حرب الأزدي أبو عمرو الندبي: صدوق فيه لين. وحديث أبي بكرة أخرجه البزار (١/ ١٩٩-كشف) رقم (٣٩٤) من طريق إسماعيل بن علية عن عيينة عن أبيه عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من نسي صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها». قال البزار: لا نعلمه عن أبي بكرة إلا من هذا الوجه ولم يحدث به عن ابن علية إلا أحمد بن المقدام وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٣٢٧) وقال: رواه البزار ورجاله موثقون.

(٢) ينظر: الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر (٢١٤)، في غزوة خيبر.

بالحصنين اللذين أسلمهما أهلهما؛ لتحقن دماؤهم، وهو ضرب من الصلح؛ لكن لم يقع ذلك إلا بحصار وقتال.

وفيها سرية أبى بكر إلى بنى كلاب[١]، فسبى منهم وقتل.

وبشير بن سعد إلى بنى مرة بفدك[٢]، فى شعبان، فى ثلاثين فقتلوا، وارتثَّ بشير.

وأيضًا إلى يمن وجبار فى شوال[٣]، ومعه ثلاثمائة فهربوا، وغنم منهم، وأسر رجلين فأسلما.

والأخرم بن أبى العوجاء السلمى إلى بنى سليم فى ذى الحجة[٤]، ومعه خمسون رجلاً، فأحدق بهم الكفار فقتلوهم.

وخرج ابن أبى العوجاء، وغالب بن عبد الله الليثى إلى الميفعة ناحية نجد فى رمضان، فقتل أسامة نهيك بن مرداس بعد قوله: لا إله إلا الله[٥]، وقيل: إنما كان ذلك سنة ثمان، استاقوا نعمًا وشاء إلى المدينة.

وفيها **عمرة القضية**، ويقال: القضاء والقصاص[٦] هلال ذى الحجة، ومعه ﷺ ألفان، وأقام بمكة ثلاثة أيام، وبنى بميمونة بسرف.

قال فى المواهب: وتسمى عمرة القضاء؛ لأنه قاضى فيها قريشًا، لا لأنها قضاء عن العمرة التى صد عنها؛ لأنها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها، بل كانت عمرة

---

(١) انظر مغازي الواقدي (٢/ ٧٢٢) طبقات ابن سعد (٢/ ٩٠) تاريخ الإسلام للذهبي (ص٤٤٦- مغازي).

(٢) انظر مغازي الواقدي (٢/ ٧٢٣)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٩١)، وتاريخ الطبري (٣/ ٢٢)، عيون التواريخ (١/ ٢٧١) وتاريخ الإسلام للذهبي (ص٤٤٨ - مغازي).

(٣) انظر سرية بشير بن سعد في: مغازي الواقدي (٢/ ٧٢٧)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٩١) وتاريخ الطبري (٣/ ٢٣).

(٤) انظر مغازي الواقدي (٢/ ٧٤١)، والطبقات الكبرى (٢/ ٩٤) وتاريخ الطبري (٣/ ٢٦)، وتاريخ الإسلام (ص ٤٦٩ - مغازي) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٢٦٩)، (٦٨٧٢) ، ومسلم (٩٧) وأحمد (٥/ ٢٠٠)، أبو داود (٢٦٤٣) من حديث أسامة بن زيد وفيه أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله .

(٦) مغازي الواقدي (٢/ ٧٣١ - ٧٤١) والطبقات الكبرى (٢/ ٩٢) وسيرة ابن هشام (٤/ ٥)، وتاريخ الطبري (٣/ ٢٣-٢٦) والكامل في التاريخ (٢/ ٢٢٧ - ٢٢٨) وعيون التواريخ (١/ ٢٧٢) وتاريخ الإسلام (ص ٤٥٩ - مغازي).

تامة، ولهذا عدوا عمر النبى ﷺ كما سيأتى، إن شاء الله تعالى.

وقال آخرون: بل كانت قضاء عن العمرة الأولى، وعدوا عمرة الحديبية فى العمر؛ لثبوت الأجر فيها، لا لأنها كملت.

وهذا الخلاف مبنى على الاختلاف فى وجوب القضاء على من اعتمر فصدَّ عن البيت.

فقال الجمهور: يجب عليه الهدى ولا قضاء عليه.

وعن أبى حنيفة عكسه. وعن أحمد: رواية أنه لا يلزمه هدى ولا قضاء، وأخرى: يلزمه القضاء والهدى.

فحجة الجمهور: قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ [البقرة: ١٩٦] وحجة أبى حنيفة: أن العمرة تلزم بالشروع، فإذا حصر صار له تأخيرها، فإذا زال الحصر أتى بها، ولا يلزم من التحلل بين الإحرامين سقوط القضاء.

وحجة من أوجبها ما وقع للصحابة؛ فإنهم نحروا الهدى حيث صدوا، فاعتمروا من قابل وساقوا الهدى، وحجة من لم يوجبها: أن تحللهم بالحصر لم يتوقف على نحر الهدى، بل أمر من معه هدى أن ينحره، ومن ليس معه هدى أن يحلوا. انتهى.

قال الحاكم فى الإكليل: تواترت الأخبار أنه ﷺ لما أهل ذو القعدة - يعنى سنة سبع - أمر أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التى صدهم المشركون عنها بالحديبية، وألا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية، فلم يتخلف منهم إلا رجال استشهدوا بخيبر ورجال ماتوا.

وخرج معه ﷺ من المسلمين ألفان، واستخلف على المدينة أبا رهم الغفارى، وساق - عليه الصلاة والسلام - ستين بدنة، وحمل السلاح والبيض والدروع والرماح، وقاد مائة فرس، فلما انتهى إلى ذى الحليفة، قدم الخيل أمامه عليها محمد ابن مسلمة، وقدم السلاح، واستعمل عليه بشر بعد، وأحرم ﷺ، ولبى [و] المسلمون يلبون معه، ومضى محمد بن مسلمة فى الخيل إلى مر الظهران، فوجد بها نفرًا من قريش، فسألوه فقالوا: هذا رسول الله ﷺ يصبحُ هذا المنزل غدا - إن شاء الله تعالى - فأتوا قريشًا فأخبروهم ففزعوا. ونزل رسول الله ﷺ بمر الظهران، وقدم السلاح إلى بطن ياجج كيسمع وينصر ويضرب موضع بمكة، حيث ينظر إلى

أنصاب الحرم، وخلف عليه أوس بن خولى الأنصارى فى مائتى رجل، وخرجت قريش من مكة إلى رءوس الجبال، وقدم رسول الله ﷺ الهدى أمامه، فحبس بذى طوى، وخرج ﷺ على راحلته القصوى، والمسلمون متوشحون السيوف، محدقون برسول الله ﷺ يلبون، فدخل من الثنية التى تطلعه على الحجون. وابن رواحة آخذ بزمام راحلته(١). وفى رواية الترمذى، من حديث أنس أنه ﷺ دخل مكة فى عمرة القضاء، وابن رواحة يمشى بين يديه وهو يقول: [من الرجز]

خَلُّوا بَنِى الكُفَّار عَنْ سَبِيلِهِ
أليَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَربًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ
ويُذْهِلُ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فقال له عمر: يا بن رواحة، بين يدى رسول الله ﷺ [وفي حرم الله](٢) تقول شعرًا؟! فقال ﷺ: خَلِّ عنه يا عمر، فلهى أسرع فيهم من نضح النبل(٣). ورواه عبد الرزاق من حديث أنس - أيضًا - من وجهين بلفظ: [من الرجز]

خَلُّوا بَنِى الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ
قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فى تَنْزِيلِهِ
بِأَنَّ خَيْرَ الْقَتْلِ فِى سَبِيلِهِ
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تنْزِيلِهِ
ضَربًا يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ
ويُذْهِلُ الخَلِيلَ عن خَلِيلِهِ
يَا رب إنِّى مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ

وعند ابن عقبة فى المغازى بعد قوله:

قَدْ أنزَلَ الرَّحمنُ فِى تَنْزِيلِهِ

---

(١) ينظر سبل الهدى والرشاد (٥/ ١٨٩ - ١٩١).
(٢) الزيادة من الترمذي .
(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٨٤٧) ورواه أيضاً في الشمائل (٢٤٦) والنسائي (٥/ ٢٠٢،٢١١) وابن خزيمة (٢٦٨٠) ، وانظر سبل الهدى والرشاد (٥/ ١٩١، ١٩٢).

فِى صُحُفٍ تُتْلَىٰ عَلَى رَسُولِهِ[١]

وزاد ابن إسحاق بعد قوله: [من الرجز]

يَـا رَبِّ إِنِّـى مُـؤْمِـنٌ بِـقِـيـلِـهِ

إِنِّـى رَأَيْـتُ الـحَـقَّ فِـى قَـبُـولِـهِ[٢]

وقال ابن هشام : إن قوله: «نحن ضربناكم على تنزيله» إلى آخر الشعر من قول عمار بن ياسر؛ قاله يوم حنين[٣].

قالوا ولم يزل رسول الله ﷺ يلبى حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعًا بثوبه، وطاف على راحلته، والمسلمون يطوفون معه، وقد اضطبعوا بثيابهم.

وفى البخارى، عن ابن عباس: قال المشركون: إنه يقدم عليكم وفد قد وهنتهم حمى يثرب، فأمرهم ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا بين الركنين، ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم[٤].

وفى رواية قال: ارملوا؛ ليرى المشركون قوتكم. والمشركون من قبل قعيقعان. ومعنى قوله: الإبقاء عليهم» أى: لم يمنعه من أمرهم بالرمل فى جميع الأوقات إلا

(١) ينظر هذا الشعر في السيرة النبوية (٤/ ٧) ، والبداية والنهاية (٤/ ٢٥٨) ، وسبل الهدى والرشاد (٥/ ١٩١).

(٢) في السيرة، والبداية والنهاية: أعرف حق الله في قبوله.

(٣) انظر سيرة ابن هشام (٤/ ٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٩٢١، ٩٢٢): كتاب الحج: باب استحباب الرمل في الطواف والعمرة، وفي الطواف الأول من الحج، حديث (٢٣٧/ ١٢٦٤) ، وأبو داود (٢/ ٤٤٤): كتاب المناسك (الحج) باب في الرمل، حديث (١٨٨٥)، وابن ماجه (٢/ ٩٨٤): كتاب المناسك: باب الرمل حول البيت. حديث (٢٩٥٣)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٢/ ١٨٠): كتاب مناسك الحج: باب الرمل في الطواف، والبيهقي (٥/ ١٠٠): كتاب الحج: باب الطواف راكبا، والطيالسي (١/ ٢٠٧): كتاب الحج والعمرة: باب حديث أبي الطفيل عن ابن عباس المتضمن أسرار الحج، حديث (٩٩٢). وأحمد (١/ ٢٢٩)، من طرق عن أبي الطفيل، قال : قلت لابن عباس: زعم قومك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رمل بالبيت وأنها سنة. قال: صدقوا وكذبوا. قد رمل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالبيت ، وليس بسنة، ولكن قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة والمشركون من قِبَل قعيقعان، وبلغه أنهم يقولون: إن به وبأصحابه هزالاً، فقال لأصحابه: ارملوا، أروهم أن بكم قوة، فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرمل من الحجر الأسود إلى الركن اليماني، فإذا توارى عنهم مشى. وقعيقعان جبل مشهور بمكة.

الرفق بهم والإشفاق عليهم.

ثم طاف رسول الله ﷺ بين الصفا والمروة على راحلته، فلما كان الطواف السابع عند فراغه، وقد وقف الهدى عند المروة، قال: هذا المنحر(١)، وكل فجاج مكة منحر، فنحر عند المروة وحلق هناك، وكذلك فعل المسلمون.

وأمر رسول الله ﷺ ناسًا منهم إلى أصحابهم ببطن ياجج، فيقيموا على السلاح، ويأتى الآخرون، فيقضوا نسكهم، ففعلوا، فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثًا.

وفى البخارى، من حديث البراء: فلما دخلها - يعنى مكة - ومضى الأجل، أتوا عليًا، وقالوا: قل لصاحبك يخرج عنا، فقد مضى الأجل. فخرج النبى ﷺ، فتبعته ابنة حمزة تنادى: يا عم يا عم، فتناولها على، فأخذ بيدها، وقال لفاطمة: دونك بنت عمك، فحملتها فاختصم فيها على وزيد وجعفر، قال على: أنا أخذتها وهى ابنة عمى، وقال جعفر: ابنة عمى وخالتها تحتى، وقال زيد: بنت أخى، فقضى بها النبى ﷺ لخالتها، وقال الخالة بمنزلة الأم(٢). الحديث.

وإنما أقرهم النبى ﷺ على أخذها مع اشتراط المشركين ألاَّ يخرج بأحد من أهلها أراد الخروج؛ لأنهم لم يطلبوها.

وقوله: «الخالة بمنزلة الأم» أى: فى هذا الحكم الخاص؛ لأنها تقرب منها فى الحنية والشفقة والاهتداء إلى ما يصلح الولد.

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٨٨٦، ٨٩٢) كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، حديث (١٤٧/ ١٢١٨)، وغيره من حديث جابر في حديثه الطويل في صفة حج النبي ﷺ المعروف من رواية محمد بن علي عن جابر وورد ذلك في حديث آخر له أيضًا من رواية عطاء عنه: أخرجه أبو داود (٢/ ٤٧٨، ٤٧٩) كتاب المناسك (الحج)، باب الصلاة بجمع، حديث (١٩٣٧)، وأحمد (٣/ ٣٢٦)، والدارمي (٢/ ٥٦، ٥٧) كتاب المناسك، باب عرفة كلها موقف، والبيهقي (٥/ ١٢٢) كتاب الحج، باب حيثما وقف من المزدلفة أجزأه، ولفظه أن رسول الله ﷺ قال: «كل عرفة موقف، وكل مزدلفة موقف، ومنى كلها منحر، وكل فجاج مكة طريق ومنحر» وورد أيضا من حديث علي أخرجه أبو داود (٢/ ٤٧٨)، كتاب المناسك (الحج)، باب الصلاة بجمع (١٩٣٥)، والترمذي (٣/ ٢٣٢)، كتاب الحج، باب ما جاء أن عرفة كلها موقف حديث (٨٨٥)، وابن ماجه (٢/ ١٠٠١) كتاب المناسك، باب الموقف بعرفات، حديث (٣٠١٠)، والبيهقي (٥/ ١٢٢)، كتاب الحج، باب حيثما وقف من المزدلفة أجزأه، وأحمد (١/ ٧٦). وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) تقدم تخريجه في الجزء الأول.

ويؤخذ منه: أن الخالة فى الحضانة مقدَّمة على العمة؛ لأن صفية بنت عبد المطلب كانت موجودة حينئذ، وإذا قدمت على العمة مع كونها أقرب من العصبات من النساء، فهى مقدمة على غيرها.

ويؤخذ منه: تقديم أقارب الأم على أقارب الأب. انتهى.

قال ابن عباس: وتزوج ﷺ ميمونة وهو محرم، وبنى بها وهو حلال[١]. وقد استدرك ذلك على ابن عباس، وعُدَّ من وهمه، قال سعيد بن المسيب: وَهِلَ ابن عباس، وإن كانت خالته، ما تزوَّجها ﷺ إلا بعد ما حل. ذكره البخاري. وَهِلَ - بكسر الهاء - أي غلط. وقال يزيد بن الأصم، عن ميمونة: تزوجنى رسول الله ﷺ ونحن حلالان بسرف[٢]. رواه مسلم.

وسيأتى فى الخصائص: أن له ﷺ النكاحَ فى حالِ الإحرام؛ على أصحِّ الوجهين عند الشافعية.

وفى هذه السنة: قدم حاطب من عند المقوقس ملك مصر جريج بن مينا، ومعه الهدايا[٣].

وفيها: رد رسول الله ﷺ ابنته زينب على زوجها أبى العاص بن الربيع[٤]، وأخرج عمارة - أو فاطمة أو غير ذلك على الخلاف فى اسمها - بنت حمزة من عند المشركين - أو علىّ بإذنه، فاختصم فيها زيد وجعفر وعلى فى الحديث المشهور[٥]. وأرسل الرسل إلى الملوك أول المحرم، وقيل: آخر سنة ست: عبد الله ابن حذافة السهمى إلى كسرى، فمزق كتابه فدعا عليه بتمزيق ملكه، فملكهم لا يزال ممزقًا، وعمرو بن العاص إلى ملكَىْ عُمَان عبد وجيفر ابنى الجلندى، فأسلما، وسليط بن عمرو إلى هوذة بن على باليمامة، وشجاع بن وهب إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك البلقاء، والعلاء الحضرمى إلى المنذر بن ساوى بالبحرين فأسلم، وأبا موسى الأشعرى ومعاذاً إلى اليمن، وعمرًا الضمرى إلى مسيلمة،

---

(١) تقدم تخريجه في باب أزواج النبي.
(٢) أخرجه مسلم رقم (٤٨/ ١٤١١)، وأبو داود (١٨٤٣)، والترمذي (٨٤٥)، وابن ماجه (١٩٦٤).
(٣) انظر: تاريخ الطبري (٣/ ٢١).
(٤) تقدم في باب ذكر أولاده عليه الصلاة والسلام عند ذكر زينب.
(٥) تقدم قريبًا.

وعياش بن الربيعة إلى الحارث، ومسروح ونعيم بن عبد كلال، ودحية الكلبى بكتابه إلى هرقل ليدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى هرقل، وحديثه الصحيح مشهور، إلى جماعة كثيرة[١].

وفيها: لبس الخاتم[٢]، أو فى آخر السادسة.

* * *

(١) انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٥٠١-مغازي).

(٢) رواه البخاري (٦٥) من حديث أنس قال: كتب النبي ﷺ كتابًا -أو أراد أن يكتب- فقيل له: إنهم لا يقرءون كتابًا إلا مختومًا فاتخذ خاتمًا من فضة نقشه محمد رسول الله كأني أنظر إلى بياضه في يده وأطرافه في (٢٩٣٨)، (٥٨٧٠)، (٥٨٧٢)، (٥٨٧٤)، (٥٨٧٧)، (٧١٦٢). ورواه مسلم (٢٠٩٤)، وأبو داود (٤٢١٤، ٤٢١٥)، والترمذي (٢٧١٨)، والنسائي (٨/ ١٧٤).

حوادث السنة الثامنة

فيها: **غزوة مُؤْتَةَ**[١]، بضم الميم وسكون الواو، بغير همز لأكثر الرواة، وبه جزم المبرد، وجزم ثعلب والجوهرى وابن فارس بالهمز، وحكى غيرهم الوجهين، وهى من عمل البلقاء بالشام، فى جمادى الأولى، وهى سرية أمر فيها ﷺ زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف رجل، وقال: إن قتل فجعفر، فإن قتل فعبد الله بن رَواحة، فإن قتل فليرتض المسلمون برجل منهم. فقتلوا كذلك، فأخذ الراية ثابت بن أقرم العجلانى إلى أن اصطلحوا على خالد، ففتح الله به، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأخذ غنيمة كثيرة؛ وذلك أن رسول الله ﷺ كان أرسل الحارث بن عمير الأزدى بكتاب إلى ملك بصرى، فلما نزل مؤتة، عرض له شرحبيل الغسانى، فقتله، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره، فأمر رسول الله ﷺ زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف، وقال: إن قتل... إلى آخر ما تقدم.

وفى حديث عبد الله بن جعفر: عند أحمد والنسائى بإسناد صحيح: إن قتل زيد فأميركم جعفر... الحديث[٢].

قالوا: وعقد لهم ﷺ لواء أبيض، ودفعه إلى زيد بن حارثة، وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم. وخرج مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع، فوقف فودعهم، فلما ساروا، نادى والمسلمون: دفع الله عنكم، وردكم سالمين غانمين، فقال ابن رواحة: [من البسيط]

لَكـنَّنِى أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً ... وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا

فلما فصلوا من المدينة، سمع العدو بمسيرهم فجمعوا لهم، وقام فيهم شرحبيل ابن عمرو، فجمع أكثر من مائة ألف، وقدم الطلائع أمامه، وقد نزل المسلمون مَعَان - بفتح الميم - موضع من أرض الشام، وبلغ الناس كثرة العدو وتجمعهم،

(١) انظر: مغازي الواقدي (٢/ ٧٥٥-٧٦٩)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٩٧)، وسيرة ابن هشام (٤/ ١١)، وتاريخ الطبري (٣/ ٣٦-٤٢)، والكامل في التاريخ (٢/ ٢٣٤-٢٣٨)، وتاريخ الإسلام (٤٧٩-مغازي)، والبداية والنهاية (٤/ ٢٧٥)، وعيون التواريخ (١/ ٢٧٩-٢٨٥).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٠٤)، والنسائي (٨/ ١٨٢) من حديث الحسن بن سعد عن عبد الله بن جعفر.

وأن هرقل نزل بأرض البلقاء فى مائة ألف من المشركين، فأقاموا ليلتين لينظروا فى أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره الخبر، فشجعهم عبد الله بن رواحة على المضئ، فمضوا إلى مؤتة، ووافاهم المشركون فجاء منهم ما لا قِبَلَ لأحد به من العدد والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب.

والتقى المسلمون والمشركون، فقاتل الأمراء يومئذ على أرجلهم، فأخذ اللواء زيد بن حارثة، فقاتل وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى قتل طعنًا بالرماح، ثم أخذ الراية جعفر بن أبى طالب، فنزل عن فرس له شقراء، وقاتل حتى قتل، ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين، فوجد فى أحد نصفيه بضعة وثمانون جرحًا، وفيما أقبل من بدنه اثنتان وسبعون ضربة بسيف وطعنة برمح، قال فى رواية البخارى: ووجدنا فى جسده بضعًا وتسعين من طعنة ورمية[1]، وفى رواية: أن ابن عمر وَقَفَ على جعفر يومئذ وهو قتيل، قال: فعددت به خمسين بين طعنة وضربة، ليس فيها شيء فى دبره[2].

وذكر ابن إسحاق بإسناد حسن، وهو عند أبى داود من طريقه، عن رجل من مرة قال: والله، لكأنى أنظر إلى جعفر بن أبى طالب حين اقتحم عن فرس له شقراء، فعقرها ثم تقدَّم، فقاتل حتى قتل[3].

قالوا: ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة، فقاتل حتى قتل، فأخذ اللواء ابن أقرم العجلانى، إلى أن اصطلح الناس على خالد بن الوليد، فأخذ اللواء وانكشف الناس فكانت الهزيمة، فتبعهم المشركون فقتل من قتل من المسلمين.

وقال الحاكم: قاتلهم خالد بن الوليد، فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة.

وقال ابن سعد: إنما انهزم بالمسلمين[4].

وقال ابن إسحاق: انحازت كل طائفة من غير هزيمة[5].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٢٦١) من حديث عبد الله بن عمر.
(٢) البخاري في صحيحه (٤٢٦٠).
(٣) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٤/ ١٦) وهو عند أبي داود في سننه (٢٥٧٣)، والطبراني في الكبير (١٤٦٢)، والطبري في تاريخه (٣/ ٣٩).
(٤) انظر: طبقات ابن سعد (٢/ ٩٨).
(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ١٩).

ورفعت الأرض لرسول الله ﷺ حتى نظر إلى معترك القوم.

وعن عبد الله بن الزبير قال: حدثنى أبى الذى أرضعنى - وكان أحد بنى مرة - قال: شهدت مؤتة مع جعفر بن أبى طالب وأصحابه، فرأيت جعفرًا حين التحم القتال، اقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقرها، وقاتل القوم حتى قتل[١]. خرجه البغوى فى معجمه، وقطعت فى تلك الوقعة يداه جميعًا، ثم قتل، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء» خرجه أبو عمرو[٢].

وفى البخارى، عن عائشة - رضى الله عنها -: لما جاء قتل ابن رواحة وابن حارثة وجعفر بن أبى طالب، جلس رسول الله ﷺ يعرف منه الحزن... الحديث[٣]. وأخرج الطبرانى بإسناد حسن، عن عبد الله بن جعفر قال: قال رسول الله ﷺ: «هنيئًا لك أبوك يطير مع الملائكة فى السماء»[٤]. وعن أبى هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت جعفر بن أبى طالب يطير مع الملائكة»[٥] أخرجه الترمذى والحاكم، وفى إسناده ضعف؛ لكن له شاهد من حديث على عند ابن سعد[٦].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أيضا، عن النبي ﷺ قال. " مرّ بى جعفر الليلة فى ملأ من الملائكة. وهو مخضب الجناحين بالدم»[٧] أخرجه الترمذى والحاكم بإسناده على شرطه.

وأخرج - أيضًا - هو والطبرانى، عن ابن عباس مرفوعًا: «دخلت البارحة الجنة، فرأيت فيها جعفر بن أبى طالب يطير مع الملائكة[٨]. وفى طريق أخرى عنه:

---

(١) تقدم قريبًا.
(٢) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١/ ٣١٣-بتحقيقنا).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٢٦٣).
(٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٧٦)، وقال: «رواه الطبراني وإسناده حسن». اهـ
(٥) أخرجه الترمذي (٣٧٦٣)، والحاكم (٣/ ٢٠٩)، وصححه الحاكم لكن تعقبه الذهبي بقوله: المديني واه قلت: يعني عبد الله بن جعفر المديني أبو الإمام الحافظ علي بن المديني ضعفه الحافظ في التقريب (٣٢٧٢).
(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ ٢٩).
(٧) أخرجه الحاكم (٣/ ٢١٢) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، ولم أجده عند الترمذي بهذا اللفظ لكن باللفظ الذي تقدم قبل حديث وإن كان الحافظ قد عزاه له في الفتح (٦/ ٤٤١).
(٨) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٠٩)، والطبراني في الكبير (١٤٦٦).

أن جعفرًا يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه. وإسناد هذا جيد. فقد عوَّضه الله عن قطع يديه فى هذه الوقعة حيث أخذ اللواء بيمينه فقطعت، ثم أخذه بشماله فقطعت، ثم احتضنه فقتل.

قال السهيلى: «له جناحان» ليس كما يسبق إلى الفهم كجناحى الطير وريشه؛ لأن الصورة الآدمية أشرف الصور كلها، فالمراد بالجناحين: صفة ملكية وقوة روحانية. وقال العلماء فى أجنحة الملائكة: إنها صفات ملكية لا تفهم إلا بالمعاينة. فقد ثبت أن لجبريل ستمائة جناح ولا يعهد للطير ثلاثة أجنحة فضلاً عن أكثر من ذلك، وإذا لم يثبت خبر فى بيان كيفيتها، فنؤمنُ بها من غير بحث عن حقيقتها(١).

قال الحافظ ابن حجر: وهذا الذى جزم به فى مقام المنع، والذى حكاه عن العلماء ليس صريحًا فى الدلالة على ما ادعاه، ولا مانع من الحمل على الظاهر إلا من جهة ما ذكره من المعهود، وهو قياس الغائب على الشاهد، وهو ضعيفٌ، وكون الصور البشرية أشرف الصور لا يمنعُ من حَمْلِ الخبر على ظاهره؛ لأن الصور باقية. وقد روى البيهقى فى الدلائل من مرسل عاصم بن عمر بن قتادة؛ أن جناحى جعفر من ياقوت، وجاء فى جناحى جبريل أنهما من لؤلؤ. أخرجه ابن منده فى ترجمة ورقة(٢).

وذكر موسى بن عقبة فى المغازى: أن يعلى بن أمية قدم بخبر أهل مؤتة، فقال له رسول الله ﷺ: إن شئتَ فأخبرنى، وإن شئتَ فأخبرتك، قال: أخبرنى فأخبره خبرهم، فقال: والذى بعثك بالحق، ما تركْتَ من حديثهم حرفًا لم تذكره. وعند الطبرانى من حديث أبى اليسر الأنصارى؛ أن أبا عامر الأشعرى هو الذى أخبر النبى ﷺ بمصابهم(٣).

وفيها: (**فتح مكة**) فى رمضان(٤)، لنقض قريش العهد؛ فخرج ﷺ ومعه عشرة

---

(١) ينظر الروض الأنف (٤/ ٨٠).

(٢) انظر فتح الباري (٨/ ٣٠٦).

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٦٤) وقال: «رواه الطبراني وفيه ثابت بن دينار أبو حمزة وهو ضعيف». اهـ

(٤) انظر: مغازي الواقدي (٢/ ٨٧٠-٨٧١)، وطبقات ابن سعد (٢/ ١٠٢-١١٠)، تاريخ الطبري (٣/ ٤٢-٦٥)، والكامل في التاريخ (٢/ ٢٣٩-٢٥٥)، وعيون التواريخ (١/ ٢٨٨-٣١٣)، والروض الأنف (٤/ ٩٥ - ١٢١) والبداية والنهاية (٤/ ٣١٧)، وتاريخ الإسلام (٥٢١-مغازي).

آلاف، يوم الأربعاء بعد العصر لعشر مضين من رمضان، ففتحها صلحًا أو عنوة على الخلاف.

وخرج سادس شوال إلى (حنين)[١]، فهزمهم وقتل من المشركين أكثر من سبعين واستشهد من المسلمين أربعة، ونادى مناديه: من قتل قتيلاً فله سلبه. وأخذ منها غنائم فقسمها بالجعرانة.

وهو كما قال فى زاد المعاد: الفتح الأعظم المبين، الذى أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحرمه[٢] الأمين، واستنقذ به بلده[٣] وبيته الذى جعله هدى للعالمين، من أيدى الكفار والمشركين، وهو الفتح الذى استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس [به] فى دين الله أفواجًا، وأشرَقَ به وجه الأرض[٤] ضياءً وابتهاجًا. خرج له ﷺ بكتائب الإسلام وجنود الرحمن، لنقض قريش العهد الذى وقع بالحديبية؛ لأنه كان قد وقع الشرط أن من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله ﷺ وعهده فعل، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فعل. فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله ﷺ وعهده، وكان بين بنى بكر وخزاعة حروب وقتلى فى الجاهلية، فتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الإسلام. فلما كانت الهدنة، خرج نوفل بن معاوية الديلى، من بنى بكر، فى بنى الديل، حتى بيَّتَ خزاعة، وهم على ماء لهم يقال له: الوتير، فأصاب منهم رجلاً يقال له منبه، واستيقظت لهم خزاعة، فاقتتلوا إلى أن دخلوا الحرم، ولم يتركوا القتال. وأمدت قريش بنى بكر بالسلاح، وقاتل بعضهم معهم ليلاً فى خفية. وخرج عامر الخزاعى فى أربعين راكبًا من خزاعة، فقدموا على رسول الله ﷺ يخبرونه بالذى أصابهم ويستنصرونه، فقام وهو يجرُّ رداءه ويقول: لا نصرت إن لم أنصركم بما أنصر به نفسى[٥].

---

(١) مغازي الواقدي (٢/ ٨٨٥)، وطبقات ابن سعد (٢/ ١١٤)، وسيرة ابن هشام (٤/ ٨١)، والكامل في التاريخ (٢/ ١٨٧)، وتاريخ الطبري (٣/ ٧٠) وتاريخ الإسلام (٥٧١-مغازي)، والروض الأنف (٤/ ١٣٨).

(٢) في زاد المعاد: وحزبه.

(٣) في ط: نبيه. والمثبت من زاد المعاد.

(٤) في ط: الدهر. والمثبت من زاد المعاد.

(٥) ينظر: زاد المعاد (٣/ ٣٩٤-٣٩٥) بتصرف.

وفى المعجم الصغير للطبرانى(١)، من حديث ميمونة: أنها سمعته ﷺ يقول فى متوضئه ليلاً: لبيك لبيك (ثلاثًا)، نصرت نصرت (ثلاثًا)، فقالت: كأنك تكلِّم إنسانًا، فهل كان معك أحد ؟ فقال ﷺ: هذا راجز بنى كعب يستصرخنى، ويزعم أن قريشًا أعانَتْ عليهم بنى بكر.

ثم خرج - عليه الصلاة والسلام - فأمر عائشة أن تجهزه ولا تُعْلِم أحدًا. قالت: فدخل عليها أبو بكر فقال: يا بنية، ما هذا الجهاز ؟ فقالت: ما أدرى، فقال: والله، ما هذا زمان غزو بنى الأصفر، فأين يريد رسول الله ﷺ ؟ قالت: والله لا علم لى، قالت: فأقمنا ثلاثًا، ثم صلى [الصبح] بالناس، فسمعت الراجز ينشد [من الرجز] :

يَا رَبِّ إِنِّى نَاشِدٌ مُحَمَّدَا
حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا
إِنَّا وَلَدْنَاكَ فَكُنْتَ الوَلَدَا
ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا
إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا
وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
وزعَمُوا أنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا
فَانْصُرْ هَدَاكَ اللَّهُ نصْرًا أَيِّدَا
وادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا(٢) مَدَدَا
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا
أَبْيَضَ كَالْبَدْرِ تَنَمَّىٰ صُعُدَا
إن سِيمَ خَسْفًا وَجْهُهُ تَرَبَّدَا

قال فى القاموس: وتربد بالراء تغير. انتهى.

وزاد ابن إسحاق:

هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٦٦-١٦٧) وقال: رواه الطبراني في الصغير والكبير وفيه يحيى بن سليمان بن نضلة وهو ضعيف. اهـ

(٢) في مجمع الزوائد: تدعوا.

وقَــتَّــلُــونَــا رُكَّــعًــا وسُــجَّــدا
وَزَعَــمُــوا أَنْ لَــسْــتَ تَــدْعُــو أَحَــدَا
وَهُــمْ أَذَلُّ وَأَقَــلُّ عَــدَدَا[1]

فقال له رسول الله ﷺ: نصرت يا عمرو بن سالم، فكان ذلك ما هاج فتح مكة. وقد ذكر البزار من حديث أبى هريرة بعض الأبيات.

وقدم أبو سفيان بن حرب على رسول الله ﷺ المدينة يسأله أن يجدد العهد ويزيد فى المدة، فدخل على ابنته رملة زوج النبى ﷺ، فذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ، فقالت: مكانك، فطوته عنه، وقالت: إنك رجس، فقال لها: لقد أصابك بعدى شَرٌّ يا بنية، فلما أتى رسول الله ﷺ، سأله فيما جاء لصدده، فأبى عليه ولم يجبه، فكلم أبا بكر، ثم عمر، ثم عليًا، فلم يجبه أحد منهم، فدخل بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فقال لها: يابنة محمد، إنى داخل على ابنك الحسن أن يجير بين الناس، فقالت: ما بلغ ابنى أن يجير بين الناس، فقال لعلى: إنك أمسُّ القوم بى رحمًا فما تشير به علىّ ؟ فقال له على: إنك سيد كنانة، وما أرى لك إلا أن تقوم فتجير بين الناس، وما أراه مجديًا شيئًا. فغدا على الناس فى المسجد، فقال: أيها الناس، إنى قد أجرت بين الناس، ثم ركب ناقته فعاد إلى مكة، فقالوا: ماذا صنعت ؟ فأخبرهم بما كان، فقالوا: أفأجاز ذلك محمد وأبو بكر وعمر ؟ فقال: لا، فقالوا: ما زدت على أن لعب بك ابن أبى طالب.

وتجَّهزَ رسولُ الله ﷺ من غير إعلام أحد بذلك، فكتب حاطب كتابًا، وأرسله إلى مكة يخبر بذلك، فأطلع الله نبيه على ذلك، فقال - عليه الصلاة والسلام - لعلى بن أبى طالب والزبير والمقداد: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ: فإن بها ظعينةً معها كتاب فخذوه منها، قال: فانطلقنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا: أخرجى الكتاب، قالت: ما معى كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقينَّ الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال: يا حاطب، ما هذا ؟ قال: يا رسول الله، لا تعجَلْ علىّ، إنى كنت امرأً ملصقًا فى

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (٤/ ٣٥)، مع تقديم وتأخير.

قريش - يقول: كنت حليفًا، ولم أكن من أنفسها - وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدًا يحمون قرابتى، ولم أفعله ارتدادًا عن دينى ولا رِضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: أما إنه قد صدقكم، فقال عمر: يا رسول الله، دعنى أضرب عنق هذا المنافق، فقال: إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرًا، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ - إلى قوله - ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الممتحنه: ١]، قال فى فتح البارى: وإنما قال عمر - رضى الله عنه -: دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، مع تصديق رسول الله ﷺ لحاطب فيما اعتذر به، لما كان عند عمر من القوة فى الدين وبغض المنافقين، فظنَّ أنَّ من خالف ما أمر به النبى ﷺ استحق القتلَ، لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن فى قتله، وأطلق عليه منافقًا؛ لكونه أبطن خلاف ما أظهر. وعذر حاطب ما ذكره؛ فإنه صنع ذلك متأولاً أن لا ضرر فيه.

وعند الطبرى، من طريق الحارث، عن على فى هذه القصة: فقال: أليس قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فأرشد إلى علة ترك قتله[١].

وعند الطبرى - أيضًا - عن عروة: فإنى غافر لكم؛ وهذا يدل على أن المراد بقوله: «غفرت»: أغفر على طريق التعبير عن الآتى بالواقع مبالغةً فى تحققه. قال: والذى يظهر أن هذا الخطاب خطاب إكرام وتشريف، تضمن أن هؤلاء حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة، وتأهلوا أن يغفر لهم ما يستأنف من الذنوب اللاحقة، وقد أظهر الله صدق رسوله فى كل ما أخبر عنه بشيء من ذلك؛ فإنهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة إلى أن فارقوا الدنيا، ولو قدر صدور شيء من أحدهم، لبادر إلى التوبة ولازم الطريقة المثلى؛ يعلم ذلك من أحوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم؛ قاله القرطبى.

---

(١) قصة حاطب بن أبي بلتعة عند البخاري برقم (٤٢٧٤)، وانظر هذه الآثار في الفتح (٨/ ٣١١،٣١٢)، وسبل الهدى والرشاد (٥/ ٢٠٩-٢١١).

وذكر بعض أهل المغازى - وهو فى تفسير يحيى بن سلام - أن لفظ الكتاب الذى كتبه حاطب: أما بعد، يا معشر قريش، فإن رسول الله ﷺ جاءكم بجيش كالليل، يسير كالسيل، فوالله لو جاءكم وحده، لنصره الله وأنجز له، فانظروا لأنفسكم. كذا حكاه السهيلى[(١)].

وروى الواقدى بسند مرسل؛ أن حاطبًا كتب إلى سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة؛ أن رسول الله ﷺ أَذَّنَ فى الناس بالغزو، لا أراه يريد غيركم، فأحببت أن تكون لى عندكم يد. انتهى[(٢)].

وبعث رسول الله ﷺ إلى من حوله من العرب فجلبهم: أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم؛ فمنهم من وافاه بالمدينة، ومنهم من لحقه بالطريق؛ فكان المسلمون فى غزوة الفتح عشرة آلاف، وفى الإكليل وشرف المصطفى: اثنا عشر ألفًا، ويجمع بينهما بأن العشرة آلاف خرج بها من نفس المدينة ثم تلاحق به الألفان.

واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وقيل: أبا رهم الغفارى.

وخرج - عليه الصلاة والسلام - يوم الأربعاء، لعشر خلون من رمضان، بعد العصر، فى ثمان من الهجرة. قاله الواقدى[(٣)].

وعند أحمد بإسناد صحيح، عن أبى سعيد قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الفتح، لليلتين خلتا من شهر رمضان[(٤)]. فما قاله ليس بقوى لمخالفته ما هو أصحُّ.

وفى تعيين هذا التاريخ أقوال أخر، منها عند مسلم: لست عشرة، ولأحمد: ثمانى عشرة، وفى أخرى: لثنتى عشرة، والذى فى المغازى لابن عقبة لتسع عشرة مَضَتْ، وهو محمول على الاختلاف فى أول الشهر. ووقع فى أخرى: تسع عشرة، أو سبع عشرة على الشك.

ولما بلغ ﷺ الكدِيد - بفتح الكاف - الماء الذى بين قديد وعسفان، أفطر، فلم

---

(١) انظر: الروض الأنف (٤/ ٩٧).

(٢) انظر: المغازي (٢/ ٧٩٨).

(٣) انظر: مغازي الواقدي (٢/ ٧٩٩).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٨٧) وأصل الحديث رواه أحمد (٣/ ٢٩)، والترمذي (١٦٨٤)، وابن خزيمة (٢٠٣٨) من حديث قزعة بن يحيى عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

يزل مفطرًا حتى انسلخ الشهر. رواه البخارى[1]. وفى أخرى له: أفطر وأفطروا... الحديث.

وكان العباس قد خرج قبل ذلك بأهله وعياله مسلمًا مهاجرًا، فلقى رسول الله ﷺ بالجحفة، وكان قبل ذلك مقيمًا بمكة على سقايته، ورسولُ الله ﷺ عنه راض، وكان ممن لقيه بالطريق أبو سفيان بن الحارث ابن عمه - عليه الصلاة والسلام - وأخوه من إرضاع حليمة السعدية، ومعه ولده جعفر بن أبى سفيان، وكان أبو سفيان يألفُ رسول الله ﷺ، فلما بعث، عاداه وهجاه، وكان لقاؤهما له - عليه الصلاة والسلام - بالأبواء، وأسلما قبل دخول مكة، وقيل: بل لقيه هو وعبد الله بن أبى أمية ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب بين السقيا والعرج، فأعرض ﷺ عنهما؛ لما كان يلقى منهما من شدة الأذَى والهَجْوِ، فقالت له أم سلمة: لا يكنِ ابن عمك وابن عمتك أشقى الناسِ بك، وقال على لأبى سفيان فيما حكاه ابن عمرو وصاحب ذخائر العقبى: ائت رسول الله ﷺ من قبل وجهه، فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ [يوسف: ٩١]، فإنه لا يرضى أن يكون أَحَدٌ أحسنَ منه قولاً، ففعل ذلك أبو سفيان، فقال ﷺ: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩٢]، ويقال: إنه ما رفع رأسه إلى رسول الله ﷺ منذ أسلم؛ حياء منه.

قالوا: ثم سار رسول الله ﷺ، فلما كان بقديد، عقد الألوية والرايات، ودفعها إلى القبائل، ثم نزل مر الظهران عشاء، فأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار. ولم يبلغ قريشًا مسيره، وهم مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم، فبعثوا أبا سفيان بن حرب، وقالوا: إن لقيت محمدًا، فخذ لنا منه أمانًا. فخرج أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء، حتى أتوا مر الظهران، فلما رأوا العسكر أفزعهم، قال البخارى: فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة، فقال أبو سفيان: ما هذه؛ كأنها نيران عرفة ؟! فقال بديل بن ورقاء: نيران بنى عمرو، فقال أبو سفيان: بنو عمرو أَقَلُّ من ذلك، فرآهم ناس من حَرَسِ رسول الله ﷺ، فأدركوهم فأخذوهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٤٤)، (١٩٤٨)، (٢٩٥٣)، (٤٢٧٥)، (٤٢٧٦)، (٤٢٧٧)، (٤٢٧٨)، (٤٢٧٩).

فأتوا بهم إلى رسول الله ﷺ، فأسلم أبو سفيان، فلما سار، قال للعباس: احبس أبا سفيان عند حطم الخيل حتى ينظر إلى المسلمين، فحبسه العباس، فجعلت القبائل تمر مع النبى ﷺ كتيبة كتيبة على أبى سفيان، فمرت كتيبة فقال: يا عباس، من هذه ؟ قال: هذه غفار، قال: ما لى ولغفار، ثم مرت جهينة، فقال مثل ذلك، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها، قال: من هذه ؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية، فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحلُّ الحرمة، فقال أبو سفيان: يا عباس، حبذا يوم الذِّمَار. بالمعجمة المكسورة، أى: الهلاك:

قال الخطابى: تمنى أبو سفيان أن يكون له يد فيحمى قومه ويدفع عنهم.

وقيل: هذا يوم الغضب للحريم والأهل والانتصار لهم ممن قدر عليه.

وقيل: هذا يوم يلزمك فيه حفظى وحمايتى من أن ينالنى مكروه.

وقال ابن إسحاق: زعم بعض أهل العلم أن سعدًا قال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحلُّ الحرمة، فسمعها رجل من المهاجرين، فقال: يا رسول الله، ما آمَنُ أن يكون لسعد فى قريش صولة، فقال لعلى: أدركه، فخذ الراية منه، فكنْ أنْتَ الذي تدخلُ بها[1].

وقد روى الأموى فى المغازى: أن أبا سفيان قال للنبى ﷺ لما حاذاه: أمرتَ بقتل قومك ؟ قال: لا، فذكر له ما قال سعد بن عبادة، ثم ناشده الله والرَّحِمَ، فقال: يا أبا سفيان، اليوم يوم المرحمة، اليوم يوم يعز الله قريشًا. وأرسل إلى سعد، فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه قيس.

وعند ابن عساكر، من طريق أبى الزبير، عن جابر قال: لما قال سعد بن عبادة ذلك، عارضت امرأة من قريش رسول الله ﷺ، فقالت: [من الخفيف]

يا نبيَّ الهُدَى إليك لَجَا ... حَيّ قُرَيشٍ، وَلاتَ حِينَ لجاءِ
حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ سَعَةُ الأَرْ ... ضِ وَعَادَاهُمْ إلهُ السَّمَاءِ
التقَتْ حَلْقَتَا البِطَانِ عَلَى القَوْ ... مِ ونُودُوا بالصَّيْلَمِ الصَّلْعَاءِ
إنَّ سَعْدًا يُرِيدُ قاصمة الظَّهْ ... رِ بأَهْلِ الحجُونِ والبطحاءِ

(١) انظر: السيرة النبوية (٤/٤٨)، وتاريخ الطبري (٣/٥٦).

خَزْرَجِىٌّ لَوْ يَسْتَطِيعُ مِنَ الغَيْـ ظِ رَمَانَا بِالنَّسْرِ والعوَّاءِ
وَغِرُ الصَّدْرِ لا يَهِمُّ بِشَىءٍ غَيْرِ سَفْكِ الدما وسَبْىِ النِّسَاءِ
قد تلظَّى عَلَى البِطَاحِ وجاءَتْ عِنْدَ هِنْدٍ بالسَّوْأَةِ السَّوْدَاءِ
إِذْ يُنَادِى بِذُلِّ حَىِّ قُرَيْشٍ وابْنُ حَرْبٍ بِذَا مِنَ الشُّهَدَاءِ
فَلَئِنْ أَقْحَمَ اللوَاء ونَادَى يا حمَاةَ اللِّواءِ[1] أَهْلَ اللِّواءِ
ثم ثابَتْ إِليه مَنْ بهمُ الخَزْ رجُ والأوسُ أَنْجُمُ الهَيْجَاءِ
لتَكُونن بالبِطَاحِ قُرَيْشٌ فقعة القَاعِ فِى أَكُفِّ الإِمَاءِ
فَانْهَيَنْهُ فإِنهُ أَسَدُ الأُسْـ ـد لَدَى الغَابِ والغَا في الدِّمَاءِ
إِنَّهُ مُطْرِقٌ يُدِيرُ لَنَا الأمْـ ـرَ سكونًا كالحيَّةِ الصَّمَّاءِ[2]

قلت: وفى سيرة ابن سيد الناس عزوا هذا الشعر لضرار بن الخطاب الفهرى.

فلما سمع هذا الشعر، دخلته رأفة لهم ورحمة، فأمر بالراية، فأُخذَتْ من سعد، ودفعت إلى ابنه قيس.

وعند أبى يعلى، من حديث الزبير: أن النبيَّ ﷺ دفعها إليه، فدخل مكة بلواءين[3]، وإسناده ضعيف جدًّا.

لكنْ جزم موسى بن عقبة فى المغازى، عن الزهرى: أنه دفعها إلى الزبير بن العوام[4].

فهذه ثلاثة أقوال فيمن دفعت إليه الراية التى نزعت من سعد.

والذى يظهر فى الجمع: أن عليًّا أرسل بها لينزعها ويدخل بها، ثم خشى تغير خاطر سعد، فأمر بدفعها إلى ابنه قيس، ثم إن سعدًا خشى أن يقع من ابنه شئ ينكره ﷺ، فسأل النبى ﷺ أن يأخذها منه، فأخذها الزبير حينئذ.

---

(١) في السبل: الأدبار.

(٢) ينظر: سبل الهدى والرشاد (٥/ ٢٢٢)، والبيت الأخير فيه:

إنه مطرق يريد لنا الأمـ ـر سكوتًا كالحيَّة الصمَّاء

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦٨٤) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٦٩) وقال: «رواه أبو يعلى وفيه محمد بن الحسن بن زبالة وهو ضعيف جدا». اهـ وأورده الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» برقم (٤٣٥٧) ونسبه إلى أبي يعلى وقال: «فيه ضعيف جدا».

(٤) ينظر: سبل الهدى والرشاد (٥/ ٢٢٢).

قال فى رواية البخارى: ثم جاءَتْ كتيبة فيها رسول الله ﷺ وأصحابه، وراية النبى ﷺ مع الزبير، فلما مر رسول الله ﷺ بأبى سفيان، قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ قال: ما قال ؟ قال: قال كذا وكذا، فقال: كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة، قال: وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون، قال: وقال عروة: وأخبرنى نافع بن جبير بن مطعم، قال: سمعت العباس يقول للزبير بن العوام: يا أبا عبد الله، ها هنا أمرك رسول الله ﷺ أن تركز الراية ؟ قال: نعم، وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كَدَاء بالفتح والمد، ودخل النبى ﷺ من كُدَى بالضم والقصر، فقتل من خيل خالد يومئذ رجلان: حبيش بن الأشقر، وكرز بن جابر الفهرى(١). قال الحافظ ابن حجر: وهذا مخالف للأحاديث الصحيحة الآتية أن خالدًا دخل من أسفل مكة، والنبى ﷺ من أعلاها(٢)، يعنى: حديث ابن عمر أنه ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفًا أسامة بن زيد(٣)، وحديث عائشة أنه ﷺ دخل عام الفتح من كداء التى بأعلى مكة(٤)، وغيرهما قال: وقد ساق ذلك موسى بن عقبة سياقًا واضحا فقال: وبعث رسول الله ﷺ الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم، وأمرهنَّ يدخلْنَ من كداء من أعلى مكة، وأمره أن يغرز رايته بالحجون، ولا يبرح حتى يأتيه. وبعث خالد بن الوليد فى قبائل قضاعة وسُلَيْم وغيرهم وأمره أن يدخل من أسفل مكة، وأن يغرز رايته عند أدنى البيوت، وبعث سعد بن عبادة فى كتيبة الأنصار فى مقدمة رسول الله ﷺ، وأمرهم أن يكفوا أيديهم عن القتال، ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم واندفع خالد بن الوليد حتى دخل من أسفل مكة، وقد تجمع بنو بكر وبنو الحارث بن عبد مناف وناس من هذيل ومن الأحابيش، الذين استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالدًا، فقاتلهم فانهزموا، وقتل من بنى بكر نحو من عشرين رجلاً، ومن هذيل ثلاثة أو أربعة، حتى انتهى بهم القتل إلى الحزورة إلى باب المسجد حتى دخلوا الدور، فارتفعت طائفة منهم على الجبال، وصاح أبو سفيان: من دخل دار

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٢٨٠).
(٢) انظر: فتح الباري (٨/ ٣٢٢).
(٣) أخرجه البخاري (٤٢٨٩).
(٤) أخرجه البخاري (٤٢٩٠).

أبى سفيان فهو آمن، فقالت له زوجته هند بنت عتبة وأخذت بشاربه: اقتلوا الحميت الدسم الأحمش، قُبِّحتَ من طليعة قوم، وما تغنى دارك ؟ ثم قال: ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه وكف يده فهو آمن. قال: ونظر رسول الله ﷺ إلى البارقة، فقال: ما هذا، وقد نهيت عن القتال ؟ فقالوا: نظن أن خالدًا قوتل وبدئ بالقتال، فلم يكن له بد من أن يقاتلهم، قال: وقال رسول الله ﷺ - بعد أن اطمأن - لخالد بن الوليد: لم قاتلتَ، وقد نهيتك عن القتال ؟ فقال: هم بدءونا بالقتال، وقد كففت يدى ما استطعتُ، فقال: قضاء الله خير[١].

وعند ابن إسحاق: فلما نزل ﷺ مر الظهران، رقت نفس العباس لأهل مكة، فخرج ليلاً راكبًا بغلة النبى ﷺ لكى يجد أحدًا؛ فيعلم أهل مكة بمجئ النبى ﷺ فيستأمنوه - فلما بلغ الأراك، سمع صوت أبى سفيان بن حرب وحكيم بن حزام يتناجيان، فقال العباس: أبا حنظلة ؟ فقال أبو سفيان: أبا الفضل ؟ فتلاقيا، فقال أبو سفيان: واصباح قريش، إن دخلها عليهم عنوة، فأردف أبا سفيان خلفه، وأتى به النبى ﷺ وانصرف الآخران؛ ليعلما أهل مكة.

روى أن عمر بن الخطاب لما رأى أبا سفيان رديف العباس، قال: أبو سفيان عدو الله ؟ الحمد لله الذى أمكن منك من غير عقد ولا عهد. قال العباس: ثم عدا، فركضتُ البغلة، فسبقته بما تسبق البغلة الرجل البطئ، فدخل به على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنى قد أجرته، فقال ﷺ: اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فَأْتِنى به، فذهب فلما أصبح، غدا به على رسول الله ﷺ، فوقف عمر بن الخطاب على رأسه، وقال: دعنى يا رسول الله أضرب عنقه، فقال العباس: أما إنه لو كان من آل الخطاب لما قُلْتَ هذا، فقال له رسول الله ﷺ: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟! فقال: بأبى أنت وأمى ما أحلمَكَ وأكرمك وأوصَلَكَ، قال: ويحك، يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ فقال: بأبى أنت وأمى ما أحلمَكَ وأكرمَكَ وأوصَلَكَ، أما هذه ففى النفس منها شىء، فقال له العباس: ويحك أسلم، واشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله قبل أن تضربَ عنقك. فأسلم وشهد شهادة الحق، وفى رواية: أن أبا سفيان قال للنبى ﷺ

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٥/ ٣٩-٤٨) بسنده إلى موسى بن عقبة مطولاً.

حينئذ: فما أصنع بالعُزَّى ؟ فقال له عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -: تخرأ عليها، فقال له أبو سفيان: إنك يا بن الخطاب رجلٌ فاحشٌ، ولم أخاطبك، إنما أخاطب ابن عمى، فقال العباس: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئًا، قال: نعم، وأمر ﷺ فنادى مناديه: من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن[1]، إلا المستثنين، وهم كما قاله مغلطاى وغيره: عبد الله بن سعد بن أبى سرح أسلم، وابن خَطَلٍ قتله أبو برزة، وقينتاه، وهما: فَرْتَنَا، بالفاء المفتوحة والراء الساكنة والمثناة الفوقية والنون، وقُلَيْبَة، بالقاف والموحدة مصغرًا، أسلمت إحداهما، وقتلت الأخرى، وسَارَة مولاة لبنى المطلب، ويقال: كانت مولاة عمر بن ضبع بن هشام، وأَرْنَب علم امرأة، وقرينة قتلت، وعكرمة بن أبى جهل أسلم، والحارث بن نفيل قتله على، ومقيس بن صُبَابة، بمهملة مضمومة وموحدتين، الأولى خفيفة، قتله نميلة الليثى، وهبار بن الأسود أسلم، وهو الذى عرض لزينب بنت رسول الله ﷺ حين هاجرت، فنخس بعيرها حتى سقطَتْ على صخرة، وأسقطت جنينها، وكعب بن زهير أسلم، وهند بنت عتبة أسلمت، ووحشى بن حرب أسلم. انتهى.

وابن خَطَلٍ: بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة، وابن نُقَيْدٍ: بضم النون وفتح القاف وسكون المثناة التحتية آخره دال مهملة.

وقد جمع الواقدى عن شيوخه أسماء من لم يؤمنْ يوم الفتح، وأمر بقتل عشرة أنفس: ستة رجال، وأربع نسوة. روى أحمد ومسلم والنسائى، عن أبى هريرة، قال: أقبل رسول الله ﷺ وقد بعث على إحدى المجنبتين خالد بن الوليد، وبعث الزبير على الأخرى، وبعث أبا عبيدة على الحُسَّر - بضم المهملة وتشديد السين المهملة - أى: الذين بغير سلاح، فقال لى: يا أبا هريرة، اهتف لى بالأنصار، فهتفتُ بهم، فجاءوا فطافوا به، فقال لهم: ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم، فقال - بإحدى يديه على الأخرى - احصدوهم حصدًا حتى توافونى بالصفا، قال أبو هريرة: فانطلقنا فما نشاء أن نقتل أحدًا منهم إلا قتلناه، فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله، أُبيحت خضراء قريش، لا قريشَ بعد اليومِ، فقال ﷺ: من أغلق بابه

---

(١) نقلًا عن سيرة ابن إسحاق (٤/ ٤٢-٤٤) بتصرف.

فهو آمن[١].

قال فى فتح البارى: وقد تمسك به من قال: إن مكة فتحت عنوة، وهو قول الأكثر.

وعن الشافعى - وهو رواية عن أحمد - إنها فتحت صلحًا؛ لما وقع من هذا التأمين، ولإضافة الدور إلى أهلها؛ لأنها لم تقسم، ولأن الغانمين لم يملكوا دورها، وإلا لجاز إخراج أهل الدور منها.

وحجة الأولين ما وقع التصريح به من الأمر بالقتال، ووقوعه بخالد بن الوليد، وبتصريحه - عليه الصلاة والسلام - بأنها أحلَّتْ له ساعة من نهار، ونهيه عن التأسى به فى ذلك، وأجابوا عن ترك القسمة: بأنها لا تستلزم عدم القسمة، وقد تفتح البلد عنوة ويمنُّ على أهلها وتترك لهم دورهم. قال: وأما قول النووى: واحتج الشافعئ بالأحاديث المشهورة أن النبيَّ ﷺ صالحهم على مر الظهران قبل دخول مكة، ففيه نظر؛ لأن الذى أشار إليه إن كان مراده ما وقع من قوله ﷺ: من دخل دار أبى سفيان فهو آمن؛ كما تقدم، وكذا من دخل المسجد؛ كما عند ابن إسحاق؛ فإن ذلك لا يسمى صلحًا إلا إذا التزم من أشار إليه بذلك الكف عن القتال، والذى ورد فى الأحاديث الصحيحة ظاهر فى أن قريشًا لم يلتزموا ذلك؛ لأنهم استعدوا للحرب. وإن كان مراده بالصلح وقوعَ عقده، فهذا لم ينقل، وما أظنه عنى إلا الاحتمال الأول، وفيه ما ذكرته. انتهى[٢].

ثم دخل ﷺ فى كتيبته الخضراء، وهو على ناقته القصواء بين أبى بكر وأسيد بن حضير، فرأى أبو سفيان ما لا قبل له به، فقال للعباس: يا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيمًا، فقال العباس: ويحك، إنه ليس بملكٍ، ولكنها النبوة، قال: نعم.

روى أنه ﷺ وضع رأسه تواضعًا لله، لما رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن رأسه ليكاد يمسُّ مقدم رحله، شكرًا وخضوعًا لعظمته؛ إذ أحل له بلده، ولم يحله

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٨٠)، وأبو داود (١٨٧١)، (١٨٧٢)، (٣٠٢٤)، والنسائي في الكبرى كما في التحفة (١٣٥٦١)، وابن خزيمة (٢٧٥٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٩٢، ٥٣٨).

(٢) انظر فتح الباري (٨/ ٣٢٤-٣٢٥) بتصرف.

لأحد قبله ولا لأحد بعده.

وفى البخارى، من حديث أنس: أن النبيَّ ﷺ دخل مكة يوم الفتح، وعلى رأسه المِغْفَرُ[(١)]- بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء - زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس. وفى المحكم: هو ما يجعل من فضل درع الحديد على الرأس مثل القلنسوة.

فلما نزعه، جاءه رجل، فقال: ابن خطل متعلِّق بأستار الكعبة، فقال: اقتله، وفى حديث سعيد بن يربوع عند الدارقطنى والحاكم: أن رسول الله ﷺ قال: أربعة لا نؤمنهم لا فى حل ولا فى حرم: الحويرث بن نُقيد، وهلال بن خطل، ومقيس بن صُبَابة، وعبد الله بن أبى سرح، قال: فأما هلال بن خطل فقتله الزبير... الحديث[(٢)]، وحديث سعد بن أبى وقاص عند البزار والحاكم والبيهقى فى الدلائل نحوه، قال: أربعة نفر وامرأتان، وقال: اقتلوهم، وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة، فذكره. لكن قال: عبد الله بن خطل، بدل هلال، وقال: عكرمة، بدل الحويرث، ولم يسم المرأتين، وقال فأما عبد الله بن خطل، فأدرك وهو متعلِّق بأستار الكعبة، فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر، فسبق سعيدٌ عمارًا، وكان أشبَّ الرجلين فقتله، الحديث[(٣)]، وروى ابن أبى شيبة من طريق أبى عثمان النهدى؛ أن أبا برزة الأسلمى قتل ابن خطل، وهو متعلِّق بأستار الكعبة[(٤)]، وإسناده صحيح مع إرساله. ورواه أحمد من وجه آخر، وهو أصحُّ ما ورد فى تعيين قاتله، وبه جزم البلاذرى وغيره[(٥)] من أهل الأخبار، وتحمل بقية الروايات على أنهم ابتدروا قتله، وكان المباشر له منهم أبو برزة، ويحتمل أن يكون غيره شاركه فيه، فقد جزم ابن هشام فى السيرة: بأن سعيد بن حريث

(١) أخرجه البخاري (٤٢٨٦)، (١٨٤٦)، (٣٠٤٤)، (٥٨٠٨)، ومسلم (١٣٥٧)، وأبو داود (٢٦٨٥)، والترمذي (١٦٩٣)، وفي الشمائل (١١٢)، والنسائي (٥/ ٢٠٠)، وابن ماجه (٢٨٠٥)، وأحمد (٣/ ١٠٩، ١٦٤، ١٨٠) من طريق الزهري عن أنس به.

(٢) أخرجه الدارقطني في سننه (٢/ ٣٠١)، والحديث أخرجه أيضًا أبو داود في سننه (٢٦٨٤).

(٣) أخرجه البزار (كشف-١٨٢١)، والحاكم (٢/ ٥٤)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٥٩) من حديث مصعب بن سعد عن أبيه قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٦٨): «رواه أبو داود وغيره باختصار. رواه أبو يعلى والبزار... ورجالهما ثقات». اهـ

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٠٥) (٣٦٩١٥) حدثنا معتمر بن سليمان التيمي عن أبي عثمان أن أبا برزة قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة.

(٥) انظر: أنساب الأشراف للبلاذري (١/ ٣٦٠) رقم (٧٤٩).

وأبا برزة الأسلمى اشتركا فيه[١].

وإنما أمر بقتل ابن خطل؛ لأنه كان مسلمًا، فبعثه ﷺ مصدِّقًا - يعنى لأخذ الصدقات - وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى يخدمه وكان مسلمًا ونزل منزلاً، فأمر المولى أن يذبح تيسًا ويصنع له طعامًا ونام، فاستيقظ ولم يصنعْ له شيئًا، فعدا عليه فقتله ثم ارتدَّ مشركًا، وكانت له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ.

وأما الجمع بين الأقوال فى اسمه: أنه كان يسمى عبد العزى، فلما أسلم سمى عبد الله، وأما من قال: هلال، فألبس عليه بأخ له اسمه هلال. وفى رواية أبى داود من حديث مصعب: لما كان يوم الفتح، أمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر، فذكرهم.

ثم قال: وأما ابن أبى سرح، فاختبأ عند عثمان بن عفان - رضى الله عنه - فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة، جاء به حتى أوقفه على رسول الله ﷺ، فقال: يا نبى الله، بايع عبد الله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثًا، كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث. ثم أقبل على أصحابه، فقال: أما كان رجل رشيد يقوم إلى هذا حين كففت عن بيعته يقتله ؟ فقالوا: يا رسول الله، ما ندرى ما فى نفسك ألا أومأت إلينا ؟ قال: إنه لا ينبغى لنبى أن تكون له خائنة الأعين. . . الحديث[٢].

قال مالك - كما فى رواية البخارى -: ولم يكن رسول الله ﷺ فيما نرى يومئذ محرمًا[٣]. انتهى.

وقول مالك هذا رواه عبد الرحمن بن مهدى، عن مالك جازمًا به. أخرجه الدارقطنى فى الغريب؛ ويشهد له ما رواه مسلم من حديث جابر: دخل ﷺ يوم فتح مكة وعليه عمامةٌ سوداءُ بغير إحرامٍ[٤].

وروى ابن أبى شيبة بإسناد صحيح، عن طاوس، قال: لم يدخل النبى ﷺ مكة إلا محرمًا، إلا يوم فتح مكة[٥].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٥٢-٥٣).
(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٨٣) من حديث مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه.
(٣) هو عند البخاري عقب الحديث (٤٢٨٦).
(٤) أخرجه مسلم (١٣٥٨)، ورواه أيضًا أبو داود (٤٠٧٦)، والترمذي (١٦٧٩)، (١٧٣٥)، وابن ماجه (٢٨٢٢، ٣٥٨٥) وغيرهم.
(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ١٢٠)، رقم (١٣٥٢٣).

وقد اختلف العلماء هل يجبُ على من دخل مكة الإحرام أم لا ؟.

فالمشهور من مذهب الشافعى: أن من قصدها لغير النسك لا يجبُ عليه الإحرام مطلقًا. وفى قول: يجب إن لم يتكرر دخوله؛ كحطاب وحشاش وصياد.

والمشهور عن الأئمة الثلاثة: الوجوب. وفى رواية عن كل منهم: لا يجب، وجزم به الحنابلة باستثناء ذوى الحاجات المتكررة، واستثنى الحنفية من كان داخل الميقات. والله أعلم.

وقد زعم الحاكم فى الإكليل: أن بين حديث أنس فى المغفر، وبين حديث جابر فى العمامة السوداء مُعَارضة.

وتعقبوه باحتمال أن يكون أول دخوله كان على رأسه المغفر، ثم أزاله ولبس العمامة بعد ذلك، فحكى كل منهما ما رآه؛ ويؤيده: أن فى حديث عمرو بن حريث: أنه خطب الناس، وعليه عمامة سوداء[1]. أخرجه مسلم أيضًا. وكانت الخطبة عند باب الكعبة، وذلك بعد تمام الدخول؛ وهذا الجمع للقاضى عياض.

وقال غيره: يجمع: بأن العمامة السوداء كانت ملفوفة فوق المغفر، وكانت تحت المغفر وقاية لرأسه الشريف من صدأ الحديد، فأراد أنس بذكر المغفر كونه دخل متأهبًا للحرب، وأراد جابر بذكر العمامة كونه دخل غير محرم.

وفى البخارى: عن أسامة بن زيد، أنه قال زمن الفتح: يا رسول الله، أين تنزل بنا غدًا؟ قال ﷺ: وهل ترك لنا عَقِيلٌ من منزل ؟! وفى رواية: هل ترك لنا عَقِيلٌ من رباع أو دور؟! وكان عقيلٌ ورث أبا طالب وطالبًا، ولم يرثْ على ولا جعفر شيئًا؛ لأنهما كانا مسلمين، وكان عقيل وطالب كافرينِ إذ ذاك، فكان عمر بن الخطاب يقول: لا يرث الكافر المؤمن، ولا المؤمن الكافر[2].

وفى رواية أخرى له قال - عليه الصلاة والسلام -: منزلنا إن شاء الله - إذا فتح

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٥٩)، ورواه أيضًا الحميدي (٥٦٦)، وأحمد (٤/٣٠٧)، وأبو داود (٤٠٧٧)، والنسائي (٨/ ٢١١)، والترمذي في الشمائل (١١٥)، (١١٦) من طريق جعفر ابن عمرو بن حريث عن أبيه.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٨٨)، (٣٠٥٨)، (٤٢٨٢)، (٦٧٦٤)، ومسلم (١٣٥١)، وابن ماجه (٢٧٣٠)، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١١٤) من حديث عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد.

الله الخيف حيث تقاسموا على الكفر، يعنى به: المحصب؛ وذلك أن قريشًا وكنانة تحالفت على بنى هاشم والمطلب - ألاَّ يناكحوهم، ولا يبايعوهم، حتى يسلموا إليهم النبى ﷺ - كما تقدم.

وفى رواية أخرى له: أن يوم فتح مكة، اغتسل فى بيت أم هانئ ثم صلى الضحى ثمانى ركعات، قالت: لم أره صلى صلاة أخف منها غير أنه يتمُّ الركوع والسجود. وأجارَتْ أم هانئ حموين لها، فقال النبى ﷺ: قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ. والرجلان الحارث بن هشام، وزهير بن أمية بن المغيرة؛ كما قال ابن هشام. وقد كان أخوها على بن أبى طالب أراد أن يقتلهما، فأغلقتْ عليهما باب بيتها، وذهبت إلى النبى ﷺ[١].

ولما كان الغد من يوم الفتح، قام - عليه الصلاة والسلام - خطيبًا فى الناس، فحمد الله وأثنى عليه ومجده بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرضَ، فهى حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا أو يَعْضُدَ بها شجرة، فإن أحد ترخص فيها لقتال، فقولوا: إن الله أذن لرسوله، ولم يأذن لكم، وإنما أحلَّتْ لى ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب[٢]، ثم قال: يا معشر قريش، ما ترون أنى فاعل فيكم ؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، أى: الذين أطلقوا؛ فلم يسترقوا ولم يؤسروا، والطليق: الأسير إذا أطلق.

والمراد بالساعة التى أحلَّتْ له - عليه الصلاة والسلام -: ما بين أول النهار ودخول العصر؛ كذا قاله فى فتح البارى[٣].

قال فى المواهب: ولقد أجاد العلامة أبو محمد السرقسطى حيث يقول فى قصيدته المشهورة: [من البسيط]

ويوم مكَّة إذْ أشرفْتَ فى أممٍ ... يضيقُ عنها فِجَاجُ الوَعْثِ والسهلِ

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (٤/ ٥٣) وهذه القصة مشهورة أخرجها البخاري وغيره.

(٢) حديث أبي شريح العدوي أخرجه البخاري في صحيحه (٤٢٩٥). وانظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٥٧-٥٨).

(٣) فتح الباري (١/ ٢٦٨) كتاب العلم، باب: ليبلغ العلم الشاهد الغائب.

خوافقٌ ضَاقَ ذَرْعُ الخافقَيْنِ بهَا ... فى قائم من عَجَاجِ الخَيلِ والإبلِ
وَجَحْفَلٍ قَذَفَ الأرْجَاءَ ذِى لَجَبٍ ... عَرَمرَمٍ كَزُهَاءِ الليلِ مُنسَحِلِ
وأنتَ صلَّى عليكَ الله تقدمُهُمْ ... فى بَهْوِ إشراقِ نورٍ منك مُكْتَمِلِ
تنيرُ فوقَ أغرِّ الوجهِ منتجبٍ ... متوَّجٍ بعزيزِ النَّصْرِ مُقْتبلِ
تسمو أمامَ جنودِ الله مُرْتديًا ... ثوبَ الوَقَارِ لأمرِ اللهِ ممتثلِ
خَشَعْتَ تحتَ بهاء العزِّ حين سمَتْ ... بكَ المهابةُ فعلَ الخائفِ الوَجِلِ
وقد تباشرْنَ أملاكُ السماءِ بما ... مَلَكْتَ إذ نلْتَ منه غايةَ الأملِ
والأرضُ تَرْجُفُ من زَهْوٍ ومن فَرَقٍ ... والجوُّ يُزْهِرُ إشراقًا من الجَذَلِ
والخيلُ تَخْتَالُ زهوًا فى أعِنَّتها ... والعيشُ يَنْثَالُ زَهْوًا فى ثنى الجدلِ
لولا الذى خطَّتِ الأقلامُ من قدرٍ ... وسابقٍ مِنْ قضاءٍ غيرِ ذى حولِ
أهلَّ ثهلانُ بالتهليلِ من طربٍ ... وذابَ يذبلُ تهليلاً من الذبلِ
المُلكُ لله، هذا عزّ من عقدَتْ ... له النبوَّةُ فوقَ العرشِ فى الأزلِ
شعبتَ صدْعَ قريشٍ بعد ما قذفَتْ ... بهمْ شعوبٌ شعابَ السهلِ والقللِ
قالوا محمدُ قد زارَتْ كتائبهُ ... كالأسْدِ تزأرُ فى أنيابِهِ العصلِ
فويلَ مكَّةَ من آثارِ وطأتِهِ ... وويلَ أم قريشٍ من جوى الهبلِ
فجدت عفوًا بفضلِ العفوِ منكَ ولمْ ... تلممْ ولا بأليمِ اللومِ والعذلِ
ضربْتَ بالصفحِ صفحًا عن غوائِلِهِمْ ... طولاً أطالَ مقيلَ النومِ فى المقلِ
رحمتَ واشجَ أرحامٍ أتيحَ لها ... تحتَ الوشيجِ نسيجُ الروعِ والوجلِ
عاذوا بظلِّ كريمِ العفوِ ذى لطفٍ ... مباركِ الوجْهِ بالتوفيقِ مشتملِ
أزكى الخليقةِ أخلاقًا وأطْهرها ... وأكْرَمِ الناسِ صفحًا عن ذوى الزللِ
وطفْتَ بالبيت محبورًا وطافَ به ... مَنْ كانَ عنه قبيلَ الفتحِ فى شغلِ[1]

والجحفل: الجيش العظيم، قذف الأرجاء، أى: متباعدها، واللجب - بالجيم - الضجة من كثرة الأصوات، والعرمرم: الضخم الكثير العدد، وقوله: «كزهاء الليل» شبهه بالليل فى سده الأفق، واسوداده بالسلاح، والمنسحل - بالحاء المهملة -: الماضى فى سيره يتبع بعضه بعضًا. قوله: «فى بهو إشراق نور» شبه

(١) ينظر: سبل الهدى والرشاد (٥/ ٢٦٤-٢٦٥).

الذى يغشاه - عليه الصلاة والسلام - ببهو أحاط به، والبهو: البناء العالى كالإيوان ونحوه، والمنتجب: المتخير من أصل نجيب كريم، المقتبل: المستقبل، ترجف: تهتزُّ، والزهو: الخفة من الطرب، يعنى: أن الأرض اهتزت فرحًا بهذا الجيش، وفرقًا من صولته، أي: كادت تهتز؛ قال تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ [الأحزاب: ١٠]، أي: كادت تبلغ، الجدل: جمع جديل، وهو الزمام المضفور، وثنى الجدل ما انثنى على أعناق الإبل، أي: انعطف. وثهلان: جبل معروف، وأَهَلَّ: رفع صوته. ويذبلُ: جبل أيضًا، والذبل: الرماح الذوابل، وهى التى لم تقطع من منابتها حتى ذبلت، أي: جفت ويبست، وتهليلاً، أي: جبنًا وفزعًا، يعنى: لولا ما سبق من تقدير الله أن الجبال لا تنطق، لرفع ثهلان صوته، وهلل من الطرب، ولذاب يذبل من الجزع والفرق.

وقوله: «شعبت» أي: جمعت وأصلحت. وقذفت، أي: فرقت بهم مخافة شعوب، وشعوب: اسم للمنية؛ لأنها تفرق الجماعات؛ من شعبت، أي: فرقت، وهو من الأضداد. والشعاب الطرق فى الجبال. والسهل: خلاف الجبل، والقلل: رءوس الجبال. يعنى أنه ﷺ، عفا عنهم بعدما تصدعوا أي: تفرقوا، وهربوا من خوفه إلى كل سهل وجبل.

وقوله: «كالأسد تزأر فى أنيابها العصل» أي: المعوجة. والله أعلم.

ولما فتح الله مكة على رسوله ﷺ، قال الأنصار فيما بينهم: أَتَرَوْنَ أن رسول الله ﷺ إذْ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيمُ بها ؟ وكان - عليه الصلاة والسلام - يدعو على الصفا، رافعًا يديه، فلما فرغ من دعائه، قال: ماذا قلتم ؟ قالوا: لا شيء يا رسول الله، فلم يزلْ بهم حتى أخبروه، فقال ﷺ: معاذ الله، المحيا محياكم، والمماتُ مماتكم[(١)]. وهَمَّ فضالة بن عمير بن الملوح أن يقتل رسول الله ﷺ وهو

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤/٥٨-٥٩) وفي حديث عبد الله بن رباح عن أبي هريرة المتقدم قريبًا قال للأنصار: «قلتم أمَّا الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته ورغبة في قريته ألا فما اسمي إذن (ثلاث مرات) أنا محمد عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم» قالوا: والله ما قلنا إلا ضنًا بالله ورسوله قال: «فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم» وهذا لفظ مسلم رقم (٨٦/ ١٧٨٠).

يطوف بالبيت، فلما دنا منه، قال له رسول الله ﷺ: أفضالة ؟! قال: نَعَمْ يا رسول الله، قال: ماذا كنت تحدِّثُ به نفسك ؟ قال: لا شىء، كنت أذكر الله، فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: استغفر الله، ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه، وكان فضالة يقول: واللهِ، ما رفع يده عن صدرى حتى ما خلق الله شيئًا أحبَّ إلىَّ منه[1].

وطاف ﷺ بالبيت يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان.

وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنمًا، فكلَّما مر بصنم، أشار إليه بقضيبه، وهو يقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا؛ فيقع الصنم لوجهه. رواه البيهقى[2].

وفى رواية أبى نعيم: قد ألزقها الشياطين بالرصاص والنحاس.

وفى تفسير العلامة ابن النقيب المقدسى: أن الله تعالى لما أعلمه بأنه قد أنجز له وعده بالنصر على أعدائه، وفتحه مكة، وإعلائه كلمة دينه، أمره إذا دخل مكة أن يقول: «وقل جاء الحق وزهق الباطل»؛ فصار ﷺ يطعن الأصنام التى حول الكعبة بمحجنه، ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، فيخر الصنم ساقطًا، مع أنها كانت كلها مثبتة بالحديد والرصاص، وكانت ثلاثمائة وستين صنمًا بعدد أيام السنة.

قال: وفى معنى الحق والباطل لعلماء التفسير أقوال:

قال قتادة: جاء الحق: القرآن، وذهب الشيطان[3].

وقال ابن جريج: جاء الجهاد، وذهب الشرك[4].

وقال مقاتل: جاءت عبادة الله، وذهبت عبادة الشيطان.

وقال ابن عباس: وجد رسول الله ﷺ يوم الفتح حول البيت ثلاثمائة وستين صنما، كانت لقبائل العرب يحجون إليها وينحرون لها، فشكا البيت إلى الله تعالى، فقال: أىْ ربِّ، حتى متى تعبد هذه الأصنام حولى دونك ؟! فأوحى الله إليه إنى

---

(١) سيرة ابن هشام (٤/ ٥٩-٦٠).

(٢) رواه البيهقي في الدلائل (٥/ ٧١-٧٢) من حديث ابن عباس وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٧٦)، وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات ورواه البزار باختصار.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ١٣٨) رقم (٢٢٦٦٠، ٢٢٦٦١)، وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٣٦٠) وزاد نسبته إلى عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ١٣٨) رقم (٢٢٦٦٢).

سأحدث لك نوبةً جديدةً يدفُّونَ إليك دفوف النسور ويحنُّون إليك حنين الطير إلى بيضها، لهم عجيج حولك بالتلبية، قال: ولما نزلت الآية يوم الفتح، قال جبريل - عليه الصلاة والسلام - لرسول الله ﷺ: خذ مخصرتك ثم ألقها. فجعل يأتى الصنم، فيطعن فى عينه أو بطنه بمخصرته، ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، فينكبُّ الصنم لوجهه، حتى ألقاها جميعًا، وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة، وكان من قوارير صفر، فقال: يا على، ارمِ به، فحمله على حتى صعد ورمَى به وكسره، فجعل أهل مكة يتعجَّبون منه[١]. انتهى.

وعن ابن عباس قال: لما قدم ﷺ، أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجَتْ، فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل فى أيديهما الأزلام - يعنى: القداح التى كانوا يستقسمون بها - فقال رسول الله ﷺ: قاتلهم الله، أما والله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قطُّ. فدخل البيت وكبر فى نواحيه ولم يصل، رواه الترمذى[٢].

وعن ابن عمر قال: أقبل رسول الله ﷺ عام الفتح على ناقته القَصْوَاء، وهو مردفٌ أسامة حتى أناخ بفناء الكعبة، ثم دعا عثمان بن طلحة فقال: ائتنى بالمفتاح، فذهب إلى أمه، فأبت أن تعطيه، فقال: لتعطينه أو ليخرجنَّ هذا السيف من صلبى، فأعطته إياه، فجاء به إلى النبى ﷺ فدفعه إليه، ففتح الباب[٣]. رواه مسلم.

وروى الفاكهىُ من طريق ضعيفة، عن ابن عمر أيضًا قال: كان بنو طلحة يزعمون أنه لا يستطيع أحد فتح الكعبة غيرهم، فأخذ رسول الله ﷺ المفتاح ففتحها بيده[٤].

وعثمان المذكور هو: عثمان بن طلحة بن أبى طلحة بن عبد العزى، ويقال له: الحَجَبى بفتح المهملة والجيم، وبنوه يعرفون الآن بالشيبيين نسبة إلى شيبة بن عثمان ابن أبى طلحة، وهو ابن عم عثمان، وعثمان هذا لا وَلَدَ له، وله صحبة ورواية، واسم أم عثمان: سُلَافَة، بضم السين المهملة، وتخفيف الفاء.

---

(١) تقدم قريبًا.
(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه (١٦٠١) ورواه أيضًا أبو داود (٢٠٢٧)، وأحمد (١/ ٣٣٤، ٣٦٥) من طريق عكرمة عن ابن عباس به ولم أجده عند الترمذي بهذا السياق.
(٣) أخرجه مسلم (٣٩٠/١٣٢٩)، وسبل الهدى والرشاد (٥/ ٢٣٦، ٢٣٧).
(٤) ينظر سبل الهدى والرشاد (٥/ ٢٣٧).

وفى الطبقات لابن سعد: عن عثمان بن طلحة قال: كنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الإثنين والخميس، فأقبل النبى ﷺ يومًا يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فأغلظتُ له ونلت منه، فحلم على، ثم قال: يا عثمان، لعلك سترى هذا المفتاح يومًا بيدى أضعه حيث شئتُ، فقلت: لقد هلكَتْ قريش يومئذ وذلَّت، قال: بل عمرت وعزت يومئذ، ودخل الكعبة، فوَقعت كلمته منى موقعًا ظننت أن الأمر يومئذ سيصير إلى ما قال، فلما كان يوم الفتح قال: يا عثمان، ائتنى بالمفتاح، فأتيته به، فأخذه منى ثم دفعه إليَّ وقال: خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان، إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف، فلما وليت نادانى، فرجعت إليه فقال: ألم يكن الذى قلت لك ؟ قال: فذكرت قوله لى بمكة قبيل الهجرة: «لعلك سترى هذا المفتاح يومًا بيدى أضعه حيث شئت» قلت: بلى، أشهد أنك رسول الله[1].

وفى التفسير: أن هذه الآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨]، نزلت فى عثمان بن طلحة الحجبى، أمره - عليه الصلاة والسلام - أن يأتيه بمفتاح الكعبة، فأبى عليه وأغلق باب البيت وصعد إلى السطح، وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه. فلوى عليٌّ يده، وأخذ منه المفتاح، وفتح الباب.

قلت: يتعين أن يكون المراد بالبيت فى: «وأغلق باب البيت» بيتَ نفسِهِ؛ إذ لو كان المراد بالبيت الكعبة لا يمكن عليًا - كرم الله وجهه - لَيُّ يده. وأما فى بيت نفسه، فيمكن ذلك بنحو قلع الباب أو كسره، والله أعلم.

فدخل ﷺ البيت، فلما خرج، سأله العباس أن يعطيه المفتاح، ويجمع له بين السقاية والسدانة، فأنزل الله الآية. وأمر ﷺ عليًا أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه، ففعل ذلك عليٌّ فقال: أكرهت وآذيت، ثم جئت ترفق، فقال عليٌّ: لقد أنزل الله فى شأنك. . . وقرأ عليه الآية، فقال عثمان: أشهد أن محمدًا رسول الله، فجاء جبريل فقال: ما دام هذا البيت أو لبنة من لبناته قائمة، فإن المفتاح والسدانة فى أولاد عثمان، فكان المفتاح معه، فلما مات دفعه إلى شيبة، فالمفتاح والسدانة فى

(١) انظر: سبل الهدى والرشاد (٥/ ٢٤٤)، والبداية والنهاية (٤/ ٣٠١) وأصله في البخاري رقم (٤٢٨٩).

أولادهم إلى يوم القيامة[١].

قال ابن ظفر فى ينبوع الحياة: قوله: «ولو أعلم أنه رسول الله لم أمنعه»، هذا وهم؛ لأنه كان ممن أسلم، فلو قال هذا كان مرتدًا. وعن الكلبى: لما طلب - عليه الصلاة والسلام - المفتاح من عثمان، مدَّ به يده إليه، فقال العباس: يا رسول الله، اجعلها مع السقاية، فقبض عثمان يده بالمفتاح، فقال له ﷺ: إن كنت يا عثمان تؤمن بالله واليوم الآخر فهاته. فقال: هاكه بالأمانة، فأعطاه إياه، ونزلت الآية. قال ابن ظفر: وهذا أولى بالقبول.

وفى رواية لمسلم: دخل رسول الله ﷺ هو وأسامة بن زيد، وبلال وعثمان بن طلحة الحجبى، فأغلقوا عليهم الباب، قال ابن عمر: فلما فتحوا، كنت أول من ولج، فلقيت بلالاً فسألته: هل صلى فيه رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم، بين العمودين اليمانيين، وذهب عنى أن أسأله كم صلى[٢]. وفى روايات البخارى: جعل عمودًا عن يساره، وعمودًا عن يمينه، وثلاثة أعمدة وراءه. وليس بين الروايتين مخالفة؛ لكن قوله فى الرواية الأخرى: «وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة» كأنه يشعر بكون ما عن يمينه أو يساره كان اثنين، ولهذا أعقبه البخارى برواية إسماعيل بن أبى أويس التى قال فيها عمودين عن يمينه.

ويمكن الجمع بين الروايتين: بأنه حيث ثَنَّى، أشار إلى ما كان عليه البيت فى زمنه ﷺ، وحيث أفرد، أشار إلى ما صار إليه بعد ذلك، ويرشد إليه قوله: «وكان البيت يومئذ...»؛ لأن فيه إشعارًا بأنه تغير عن هيئته الأولى.

ويحتمل أن يقال: لم تكن الأعمدة الثلاثة على سمت واحد، بل اثنان على سمت، والثالث على غير سمتهما. ولفظ المتقدمين فى إحدى روايات البخارى مشعر بذلك.

وفى رواية لمسلم: «جعل عمودين عن يساره وعمودًا عن يمينه» عكس رواية إسماعيل. وكذلك قال الشافعى وبشر بن عمرو فى إحدى الروايتين عنهما.

وجمع بعض المتأخرين بين هاتين الروايتين: باحتمال تعدد الواقعة، وهو بعيد؛

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣١٢)، وانظر سبل الهدى والرشاد (٥/ ٢٤٤-٢٤٥).
(٢) تقدم تخريجه.

لاتحاد مخرج الحديث.

وقد جزم البيهقى بترجيح رواية إسماعيل، ووافقه عليه ابن العربى، والقعنبى، وأبو مصعب، ومحمد بن الحسن، وأبو حذافة؛ وكذلك الشافعى وابن مهدى فى إحدى الروايتين عنهما. انتهى ملخصًا من فتح البارى[(١)].

وقد بين موسى بن عقبة فى روايته، عن نافع؛ أن بين موقفه ﷺ وبين الجدار الذى استقبله قريب من ثلاثة أذرع، وجزم برفع هذه الزيادة مالك، عن نافع فيما أخرجه الدارقطنى فى الغزو، ولفظه: «وصلى بينه وبين القبلة ثلاثة أذرع». وفى كتاب مكة للفاكهى والأزرقى: أن معاوية سأل ابن عمر: أين صلى رسول الله ﷺ ؟ فقال: اجعل بينك وبين الجدار ذراعين أو ثلاثة؛ فعلى هذا: ينبغى لمن أراد الاتباع فى ذلك أن يجعل بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع؛ فإنه تقع قدماه فى مكان قدميه ﷺ إن كان ثلاثة سواء، وتقع ركبتاه أو يداه أو وجهه فى محلهما إن كان أقلَّ من ثلاثة أذرع. والله أعلم.

وفى رواية، عن ابن عباس قال: أخبرنى أسامة أنه - عليه الصلاة والسلام - لما دخل البَيْتَ، دعا فى نواحيه كلها، ولم يصلِّ فيه حتى خرج، فلما خرج، ركع قبل البيت ركعتين، فقال: هذه القبلة. رواه مسلم[(٢)]. والجمع بينه وبين حديث ابن عمر: أن أسامة أخبره أن النبى ﷺ صلى فى الكعبة؛ كما رواه أحمد والطبرانى بأن أسامة حيث أثبتها اعتمد فى ذلك على غيره، وحيث نفاها أراد ما فى علمه؛ لكونه لم يره حين صلى، وبكون ابن عمر ابتدأ بلالاً بالسؤال، ثم أراد زيادة الاستثبات فى مكان الصلاة، فسأل أسامة أيضًا.

وقال النووى: قد أجمع أهل الحديث على الأخذ برواية بلال؛ لأنه مثبت، فمعه زيادة علم؛ فوجب ترجيحه.

قال: وأما نفى أسامة: فيشبه[(٣)] أنهم لما دخلوا الكعبة، أغلقوا الباب، واشتغلوا بالدعاء، فرأى أسامة النبى ﷺ يدعو، ثم اشتغل أسامة فى ناحية من نواحى البيت،

---

(١) ينظر فتح الباري (٤/ ٢٦٣-٢٦٥).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٩٥/ ١٣٣٠).
(٣) في شرح النووي: فسببه.

والنبيُّ ﷺ فى ناحية أخرى، وبلال قريبٌ منه، ثم صلى النبيُّ ﷺ فرآه بلال لقربه منه، ولم يره أسامة لبعده واشتغاله، وكانت صلاته - عليه الصلاة والسلام - خفيفة؛ فلم يرها أسامة؛ لإغلاق الباب مع بعده واشتغاله بالدعاء، وجاز له نفيها عملاً بظنه. وأما بلال: فتحققها وأخبر بها. انتهى(١).

وتعقَّبوه بما يطول ذكره، وأقرب ما قيل فى الجمع: أنه ﷺ صلى فى الكعبة لما غاب عنه أسامة من الكعبة؛ لأمر ندبه إليه، وهو أن يأتى بماء يمحو به الصور التى كانت فى الكعبة؛ فأثبت الصلاة بلال؛ لرؤيته لها، ونفاها أسامة؛ لعدم رؤيته.

ويؤيده: ما رواه أبو داود والطيالسى، عن أسامة بن زيد، قال: دخلت على رسول الله ﷺ فى الكعبة، ورأى صورة، فدعا بدلو من ماء، فأتيته به، فجعل ﷺ يمحوها، ويقول: «قاتل الله قومًا يصوِّرُونَ ما لا يخلقون»(٢) ورجاله ثقات. وأفاد الأزرقى فى تاريخ مكة: أن خالد بن الوليد كان على باب الكعبة يذبُّ عنه ﷺ الناس.

وفى البخارى: أنه ﷺ أقام خمس عشرة ليلة، وفى رواية: تسع عشرة(٣)، وفى رواية أبى داود: سبع عشرة(٤)، وعند الترمذى: ثمانى عشرة(٥)، وفى الإكليل: أصحها بضع عشرة يقصر الصلاة.

وقال الفاسى فى تاريخ مكة: كان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان، وكان مما قيل من الشعر فى ذلك قول حسان بن ثابت الأنصارى: [من الوافر]

عَفَتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجِوَاءُ ... إِلَى عَذْرَاءَ مَنْزِلُهَا خَلَاءُ
دِيَارٌ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفْرٌ ... تُعَفِّيهَا الرَّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ
وَكَانَتْ لاَ يَزَالُ بِهَا أَنِيسٌ ... خِلَالَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وَشَاءُ
فَدَعْ هَذَا وَلَكِنْ مَنْ لِطَيْفٍ ... يُؤَرِّقُنِى إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ
لِشَعْثَاءَ الَّتِى قد تَيَّمَتْه ... فَلَيْسَ لِقَلْبِه مِنْهَا شِفَاءُ
كَأَنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ ... يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (٥/ ٩٦).
(٢) أخرجه الطيالسي في مسنده (١٨٥٢-منحة).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٢٩٨ ، ٤٢٩٩)، وأبو داود (١٢٣١)، من حديث ابن عباس.
(٤) أخرجه أبو داود (١٢٣٢).
(٥) أخرجه الترمذي رقم (٥٥٠)، من حديث البراء بن عازب قال: صحبت رسول الله ﷺ ثمانية عشر سفرًا، فما رأيته ترك الركعتين إذا زاغت الشمس قبل الظهر.

عَلَى أنيابها أو طعم غضّ … من التفاحِ هصَّره الجناء
إِذَا مَا الأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا … فَهُنَّ لِطَيِّبِ الرَّاحِ الْفِدَاءُ
نولِّيهَا الْمَلاَمَةَ إِنْ أَلَمْنَا … إِذَا مَا كَانَ مَغْثٌ أَوْ لِحاءُ
وَنَشْرَبُهَا فَتَتْرُكنَا مُلُوكًا … وَأُسْدًا مَا يُنَهْنِهُنَا اللِّقَاءُ
عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا … تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ
يُنَازِعْنَ الأَعِنَّةَ مُصْغِيَاتٍ … عَلَى أَكْتَافِهَا الأَسَلُ الظِّمَاءُ
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ … يُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ
فَإِمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا … وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وَإِلاَّ فَاصْبِرُوا لِجِلاَدِ يَوْمٍ … يُعِزُّ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللهِ فِينَا … وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
وَقَالَ اللهُ: قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا … يَقُولُ الْحَقَّ إِنْ نَفَعَ الْبَلاَءُ
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صَدِّقُوهُ … فَقُلْتُمْ: لاَ نَقُومُ وَلاَ نَشَاءُ
وَقَالَ اللهُ: قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا … هُمُ الأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ … سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
فَنُحْكِمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا … وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدِّمَاءُ
أَلاَ بَلِّغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي … مُغَلْغَلَةً فَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ
بِأَنَّ سُيُوفَنَا تَرَكَتْكَ عَبْدًا … وَعَبْدُ الدَّارِ سَادَتُهَا الإِمَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا وَأَجَبْتُ عَنْهُ … وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ؟! … فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ
هَجَوْتَ مُبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا … أَمِينَ اللهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ
أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ … وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءٌ؟!
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي … لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ
لِسَانِي صَارِمٌ لاَ عَيْبَ فِيهِ … وَبَحْرِي لا تُكَدِّرُهُ الدِّلاَءُ

قال ابن هشام: قالها حسان قبل الفتح، وبلغنى عن الزهرى: أن رسول الله ﷺ لما رأى النساء يلطمْنَ الخيل بالخمر تبسم إلى أبى بكر الصديق[1].

---

(١) سيرة ابن هشام (٤/ ٦٦)، وسبل الهدى والرشاد (٥/ ٢٦٢-٢٦٣).

قال ابن إسحاق [١]: وقال أنس بن زنيم الديلى يعتذر إلى رسول الله ﷺ مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعى [من الطويل]

أأنتَ الَّذِى تُهْدَى مَعَدٌّ بِأَمْرِهِ بَلِ اللهُ يَهْدِيهِمْ وَقَالَ لَكَ اشْهَدِ
وَمَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوقَ رَحْلِهَا أَبَرَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدِ
أَحَثَّ عَلَى خَيْرٍ وَأَسْبَغَ نَائِلاً إِذَا رَاحَ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ الْمُهَنَّدِ
وَأَكْسَى لِبُرْدِ الْخَالِ قَبْلَ ابْتِذَالِهِ وَأَعْطَى لِرَأْسِ السَّابِقِ الْمُتَجَرِّدِ
تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي وَأَنَّ وَعِيدًا مِنْكَ كَالأَخْذِ بِالْيَدِ
تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ صِرْمٍ مُتْهِمِينَ وَمُنْجِدِ
تَعَلَّمْ بِأَنَّ الرَّكْبَ رَكْبَ عُوَيْمِرٍ هُمُ الْكَاذِبُونَ الْمُخْلِفُو كُلِّ مَوْعِدِ
وَنَبَّوْا رَسُولَ اللهِ أَنِّى هَجَوْتُهُ فَلاَ حَمَلَتْ سَوطِى إِلَيَّ إِذَنْ يَدِى
سِوَى أَنَّنِى قَدْ قُلْتُ وَيْلُ امِّ فِتْيَةٍ أُصِيبُوا بِنَحْسٍ لاَ بِطَلْقٍ وَأَسْعُدِ
أَصَابَهُمُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ كِفَاءً فَعَزَّتْ عَبْرَتِى وَتَبَلُّدِى
فَإِنَّكَ قَدْ أَخْفَرْتَ إِنْ كُنتَ سَاعِيًا بِعَبْدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ وَابْنَةِ مَهْوَدِ
ذُوَيْبٌ وَكُلْثُومٌ وَسَلْمَى تَتَابَعُوا جَمِيعًا فَإِلاَّ تَدْمَعِ الْعَيْنُ أَكْمَدِ
وَسَلْمَى وَسَلْمَى لَيْسَ حَيٌّ كَمِثْلِهِ وَإِخْوتُهُ وَهَلْ مُلُوكٌ كَأَعْبُدِ ؟!
فَإِنِّى لاَ دِينًا فَتَقْتُ وَلاَ دَمًا هَرَقْتُ تَبَيَّن عَالِمَ الْحَقِّ وَاقْصِدِ

فأجابه بُدَيل بن عبد مناف بن أم أصرم، فقال [من الطويل]

بَكَى أَنَسٌ رَزْنًا فَأَعْوَزَهُ الْبُكَا فَأَلاَّ عَدِيًّا إِذْ تُطَلُّ وَتَبْعُدُ
بَكَيْتَ أَبَا عَبْسٍ لِقُرْبِ دِمَائِهَا فَتُعْذِرَ إِذْ لا يُوقِدُ الْحَرْبَ مُوقِدُ
أَصَابَهُمُ يَومَ الْخَنَادِمِ فِتْيَةٌ كِرَامٌ فَسَلْ، مِنْهُمْ نُفَيْلٌ وَمَعْبَدُ
هُنَالِكَ إِنْ تُسْفَحْ دُمُوعُكَ لاَ تُلَمْ عَلَيْهِمْ وإِن لَمْ تَدْمَعِ الْعَيْنُ فَاكْمَدُوا

قال ابن هشام: وهذه الأبيات فى قصيدة له[٢].

قال ابن إسحاق: وقال بُجَيْرُ بن زهير بن أبى سلمى فى يوم الفتح : [من الوافر]

نَفَى أَهْلَ الْحَبلَّقِ[٣] كُلَّ فَجٍّ مُزَيْنَةُ غُدْوَةً وَبَنُو خُفَافِ

(١) انظر المصدر السابق.
(٢) انظر سيرة ابن هشام (٤/٦٧)، وسبل الهدى والرشاد (٥/٢٦٣-٢٦٤).
(٣) الحبلق: أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس، وهو أيضًا: الغنم الصغار.

ضَرَبْنَاهُمْ بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتْحِ النَّـ ... نَبِيِّ الْخَيْرِ بِالْبِيضِ الْخِفَافِ
صَبحنَاهُمْ بِسَبْعٍ مِنْ سُلَيْمٍ ... وَأَلْفٍ مِنْ بَنِى عُثْمَانَ وَافِى
نَطَا أَكْتَافَهُمْ ضَرْبًا وَطَعْنًا ... وَرَشْقًا بِالْمُرَيَّشَةِ اللِّطَافِ
تَرَى بَيْنَ الصُّفُوفِ لَهَا حَفِيفًا ... كَما انْصَاعَ الْفُوَاقُ مِنَ الرِّصَافِ
فَرُحْنَا وَالْجِيَادُ تَجُولُ فِيهِمْ ... بِأَرْمَاحٍ مُقَوَّمَةِ الثِّقَافِ
فَأُبْنَا غَانِمِينَ بِمَا اشْتَهَيْنَا ... وَآبُوا نَادِمِينَ عَلَى الْخِلَافِ
وَأَعْطَيْنَا رَسُولَ اللهِ مِنَّا ... مَوَاثِقَنَا عَلَى حُسْنِ التَّصَافِي
وَقَدْ سَمِعُوا مَقَالَتَنَا فَهَمُّوا ... غَدَاةَ الرَّوْعِ مِنَّا بِانْصِرافِ[١]

وفيها: (**غزوة حُنَيْنٍ**)[٢] بالتصغير، وهو واد فوق ذى المجاز، وقيل: بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب الطائف، وتسمى: (غزوة هوازن)؛ وذلك أن النبيَّ ﷺ لما فرغ من فتح مكة وتمهيدها، وأسلم عامة أهلها، مشت أشراف هوازن وثقيف بعضهم إلى بعض، وحشدوا، وقصدوا محاربة المسلمين، وكان رئيسهم مالك بن عوف النصرى، فخرج إليهم رسول الله ﷺ من مكة يوم السبت لست ليال خلون من شوال فى اثنى عشر ألفًا من المسلمين: عشرة آلاف من أهل المدينة، وألفان ممن أسلم من أهل مكة، وهم الطلقاء: يعنى: الذين خلى عنهم يوم فتح مكة، وأطلقهم فلم يسترقَّهم، واحدهم: طليق، فعيل: بمعنى مفعول، وهو الأسير إذا أطلق سبيله كما تقدم.

واستعمل ﷺ على مكة عتاب بن أسيد، وخرج معه ﷺ ثمانون من المشركين، منهم صفوان بن أمية، وكان ﷺ استعار منه مائة درع بأداتها، فوصل إلى حنين ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال، فبعث مالك بن عوف ثلاثة نفر يأتونه بخبر أصحاب رسول الله ﷺ، فرجعوا إليه وقد تفرقَتْ أوصالهم من الرعب.

ووجَّه رسول الله ﷺ عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى، فدخل عسكرهم، فطاف به، وجاء بخبرهم.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٦٧-٦٨).
(٢) انظر: مغازي الواقدي (٣/ ٨٨٥)، وطبقات ابن سعد (٢/ ١١٤) وسيرة ابن هشام (٤/ ٨١)، وتاريخ الطبري (٣/ ٧٠)، وعيون التواريخ (١/ ٣٢١)، والروض الأنف (٤/ ١٣٨).

وفى حديث سهل بن الحنظلية عند أبى داود، بإسناد حسن: أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ فأطنبوا السير، فجاء رجل فقال: انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشياههم، اجتمعوا إلى حنين، فتبسم ﷺ وقال: تلك غنيمة المسلمين إن شاء الله تعالى(١).

وقوله: «عن بكرة أبيهم» كلمة للعرب يريدون بها الكثرة وتوفر العدد، وليس هناك بكرة فى الحقيقة، وهى التى يستقى عليها الماء، فاستعيرَتْ هنا.

وقوله: «بظعنهم» أى: بنسائهم، واحدتها: ظعينة، وأصل الظعينة: الراحلة التى ترحل ويظعن عليها، أى: يسار، وقيل للمرأة: ظعينة؛ لأنها تظعن مع زوجها حيث ما ظعن، أو لأنها تحمل على الراحلة إذا ظعنت.

وقيل: الظعينة المرأة فى الهودج، ثم قيل للمرأة بلا هودج، وللهودج بلا امرأة: ظعينة. انتهى.

روى يونس بن بكير فى زيادة المغازى، عن الربيع قال: قال رجل يوم حنين: «لن نُغلب اليوم من قِلَّة»، فشقَّ ذلك على النبى ﷺ، ثم ركبَ ﷺ بغلته البيضاء الدلدل، ولبس درعين والمغفر والبيضة، فاستقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قَطُّ من السواد والكثرة، وذلك فى غبش الصبح، وخرجت الكتائب من مضيق الوادى، فحملوا حملة واحدة، فانكشفت خيل بنى سليم مولية، وتبعهم أهل مكة والناس، فقال أخو صفوان بن أمية: غلبت هوازن، لا يرد هاربهم إلا البحر. فقال له صفوان أخوه: بفيكَ الكِثْكِثُ، لأَنْ يَرُبَّنى رجل من قريش خير لى من أن يربنى رجل من هوازن رئيسهم مالك بن عوف، ولم يثبت معه ﷺ يومئذ إلا العباس بن عبد المطلب، وعلى بن أبى طالب، والفضل بن العباس، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأبو بكر، وعمر، وأسامة بن زيد فى أناس من أهل بيته وأصحابه.

قال العباس: وأنا آخذ لجام بغلته أَكُفُّها مخافة أن تصل إلى العدو؛ لأنه ﷺ كان يتقدم فى نحر العدو، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركابه، وجعل - عليه الصلاة والسلام - يقول للعباس: ناد يا معشر الأنصار، يا أصحاب السَّمُرَةِ، يعنى: شجرة بيعة الرضوان التى بايعوه تحتها ألاَّ يفروا عنه، فجعل ينادى تارة: يأهل السمرة،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٠١) مطولاً.

وتارة: يا أصحاب سورة البقرة، وكان العباس رجلاً صيتًا، فلما سمع المسلمون نداء العباس، أقبلوا كأنهم الإبل إذا حنت على أولادها يقولون: يا لبيك يا لبيك، فتراجعوا إلى رسول الله ﷺ، حتى إن الرجل منهم إذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع، انحدر عنه وأرسله، فرجع بنفسه إلى رسول الله ﷺ، فأمرهم - عليه الصلاة والسلام - أن يصدقوا الحملة، فاقتتلوا مع الكفار، فأشرف رسول الله ﷺ فنظر إلى قتالهم، فقال: الآنَ حَمِىَ الوَطِيسُ، وهو التنُّورُ، ولم تسمع من أحد قبل النبى ﷺ. وتناول ﷺ حصيات من الأرض، ثم قال: شاهت الوجوه، أى: قبحت، ورمى بها فى وجه المشركين، فما خلق الله منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه من تلك القبضة. وفى رواية مسلم: قبضة من تراب من الأرض[1].

فيحتمل أنه رمى بذا مرة، وبالأخرى أخرى، ويحتمل أن يكون أخذ قبضةً واحدةً مخلوطة من حصى وتراب.

ولأحمد وأبى داود والدارمى، من حديث أبى عبد الرحمن الفهرى، فى قصة حنين: فولى المسلمون مدبرين؛ كما قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥]، فقال رسول الله ﷺ: أنا عبد الله، أنا عبد الله ورسوله. ثم اقتحَمَ عن فرسه، وأخذ كَفًّا من تراب، قال: فأخبرنى الذى كان أدنى إليه منى أنه ضرب وجوههم، وقال: شاهت الوجوه، فهزمهم الله تعالى[2].

قال يعلى بن عطاء، راويه عن أبى همام، عن أبى عبد الرحمن الفهرى، فحدثنى أبناؤهم عن آبائهم قالوا: لم يبق منا أحد إلا امتلأتْ عيناه وفمه ترابًا، وسمعنا صلصلةً من السماء كإمرار الحديد على الطست الجديد - بالجيم[3]- قال فى النهاية: وصف الطست وهى مؤنثة بالجديد، وهو مذكر: إما لأن تأنيثها غير حقيقى، فأوله على الإناء والظرف، أو لأن فعيلاً يوصف به المؤنث بلا علامة تأنيث؛ كما يوصف به المذكر، نحو امرأة قتيل. انتهى.

ولأحمد والحاكم، من حديث ابن مسعود: فحادَتْ به ﷺ بغلته، فمال السرج،

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٧٧/٨١)، وانظر السيرة النبوية (٨٦/٤)، وسبل الهدى والرشاد (٥/ ٣٢٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢٨٦/٥)، وأبو داود (٥٢٣٣)، والدارمي رقم (٢٤٥٦-ط هاشمي).

(٣) انظر السابق.

فقلت: ارتفعْ رفعَكَ الله، فقال: ناولنى كَفًّا من تراب، فضرب وجوههم، وامتلأت أعينهم ترابًا، وجاء المهاجرون والأنصار سيوفهم بأيمانهم كأنها الشهب، فولى المشركون الأدبار(١).

وروى أبو جعفر بن جرير، بسنده عن عبد الرحمن مولى [أم برثن]، عن رجل كان فى المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين، لم يقوموا لنا حلب شاة، فلما لقيناهم، جعلنا نسوقهم فى آثارهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء، فإذا هو رسول الله ﷺ، قال: فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان، فقالوا لنا: شاهت الوجوه، ارجعوا، قال: فانهزمنا وركبوا أكتافنا(٢).

وفى سيرة الدمياطى: كان سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمراء أَرْخَوْهَا بين أكتافهم.

وفى البخارى، عن البراء سأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله ﷺ ؟ فقال: لكن رسول الله ﷺ لم يفرَّ، كان هوازن رماة، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم، فاستقبلنا بالسهام، ولقد رأيت النبى ﷺ على بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها يوكلها فيدفعها فى نحر العدو، وهو يقول: [من مجزوء الرجز]

أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ(٣)

وهذا إشارة إلى أن صفة النبوة يستحيل معها الكذب، فكأنه قال: أنا النبيُّ والنبيُّ لا يكذب، فلستُ بكاذب فيما أقول حتى انهزموا، بل أنا متيقِّنٌ أن الذى وعدنى الله به من النصر حق؛ فلا يجوز علىَّ الفرار.

وأما ما فى رواية مسلم، عن سلمة بن الأكوع من قوله: فارجع منهزمًا، إلى قوله: مررت على رسول الله ﷺ منهزمًا، فقال: لقد رأى ابن الأكوع فزعًا(٤) فقال

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٥٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١١٧) وصححه لكن تعقبه الذهبي بقوله: «الحارث وعبد الله ذوا مناكير هذا منها ثم فيه إرسال». اهـ

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٤٣) رقم (١٦٥٩٦، ١٦٦٠١)، والمثبت بين المعكوفين من التفسير وقال: مولى أم برثن أو أم برثمة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٣١٥،٤٣١٦، ٤٣١٧)، ومسلم (٧٩/ ١٧٧٦)، وانظر تفسير ابن جرير (٦/ ٣٤٢-٣٤٣)، وسبل الهدى والرشاد (٥/ ٣٢٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٧٧) مطولاً.

العلماء: قوله: «منهزمًا» حال من ابن الأكوع؛ كما صرح أولاً بانهزامه، ولم يرد أن النبى ﷺ انهزَمَ. وقد قالت الصحابة كلهم: إنه - عليه الصلاة والسلام - ما انهزم، ولم ينقل أحد قط: أنه انهزم فى موطن من المواطن. وقد نقلوا إجماع المسلمين على أنه لا يجوز أن يُعتقد انهزامه ﷺ، ولا يجوز ذلك عليه، بل كان العباس وأبو سفيان بن الحارث آخذين ببغلته يَكُفَّانها عن إسراع التقدم إلى العدو(١).

وقد تقدم فى غزوة أحد ما نسب لابن المرابط من المالكية مما حكاه القاضى عياض فى الشفاء؛ أن من قال: إن النبى ﷺ هزم - يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وإن العلامة البساطى تعقبه بما لفظه: هذا القائل إن كان يخالف فى أصل المسألة - يعنى حكم السابِّ - فله وجه، وإن وافق على أن الساب لا تقبل توبته، فمشكل. انتهى.

قال بعضهم: وقد كان ركوبه - عليه الصلاة والسلام - البغلة فى هذ المحل الذى هو موضع الحرب والطعن والضرب - تحقيقًا لنبوته؛ لما كان الله تعالى خصه به من مزيد الشجاعة وتمام القوة؛ وإلا فالبغال عادة من مراكب الطمأنينة ولا يصلح لموطن الحرب فى العادة إلا الخيل؛ فبين - عليه الصلاة والسلام - أن الحرب عنده كالسلم قوةَ قلب، وشجاعة نَفسٍ، وثقةً وتوكلاً على الله تعالى. وقد ركبت الملائكة فى الحرب معه - عليه الصلاة والسلام - على الخيل لا غير؛ لأنها بصدد ذلك عرفًا دون غيرها من المركوبات، ولهذا لا يُسْهَمُ فى الحرب إلا للخيل، والسر فى ذلك أنها المخلوقة للكر والفر بخلاف البغال والإبل. انتهى(٢).

وعند ابن أبى شيبة، من مرسل الحكم بن عتيبة: لم يبق معه - عليه الصلاة والسلام - إلا أربعة نفر، ثلاثة من بنى هاشم، ورجلا من غيرهم: على، والعباس بين يديه، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بالركاب، وابن مسعود من الجانب الآخر، وليس يقبل نحوه أحد إلا قتل(٣).

وفى الترمذى بإسناد حسن من حديث ابن عمر: لقد رأيتنا يوم حنين وإن الناس لمولون وما مع رسول الله ﷺ مائة رجل(٤).

---

(١) نقل ذلك المصنف عن النووي في شرح مسلم (٦/ ٣٦٤) بتصرف يسير.

(٢) انظر كلامًا نحو هذا في شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ٣٦٠)، والفتح (٨/ ٣٤٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٤١٧-٤١٨) رقم (٣٦٩٩٤).

(٤) أخرجه الترمذي (١٦٨٩) بلفظ: «لقد رأيتنا يوم حنين وإن الفئتين لموليتين وما مع رسول الله ﷺ مائة رجل».

وفى شرح مسلم للنووى: إنه ثبت معه - عليه الصلاة والسلام - اثنا عشر رجلًا، وكأنه أخذه من قول ابن إسحاق[١]. ووقع فى شعر العباس بن عبد المطلب: أن الذين ثبتوا معه كانوا عشرة فقط، وذلك لقوله: [من الطويل]

نَصَرْنَا رَسُولَ اللهِ فِى الْحَرْبِ تِسْعَةً ... وَقَدْ فَرَّ مَنْ قَدْ فَرَّ عَنْهُ فَأَقْشَعُوا

وَعَاشِرُنَا لاَقَى الحِمَامَ بِنَفْسِهِ ... لِمَا مَسَّهُ فِى اللهِ لاَ يَتَوَجَّعُ

وقد قال الطبرانى: الانهزام المنهيُّ عنه هو ما وقع على غير نية العود، وأما الاستطراد للكرة فهو كالتحيز إلى فئة.

وأما قوله - عليه الصلاة والسلام -: [من مجزوء الرجز]

أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ ... أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ

فقال العلماء: إنه ليس بشعر؛ لأن الشاعرإنما سمى شاعرًا؛ لوجوه: منها: أنه شعر المقول وقصده واهتدى إليه وأتى به كلامًا موزونًا على طريقة العرب مقفًّى، فإن خلا من هذه الأوصاف أو بعضها لم يكن شعرًا ولم يكن قائله شاعرًا، والنبى ﷺ لم يقصدْ بكلامه ذلك الشعر ولا أراده، فلا يعد شعرًا وإن كان موزونًا.

وأما قوله - عليه الصلاة والسلام -: «أنا ابن عبد المطلب، ولم يقل: أنا ابن عبد الله: فأجيب بأن شهرته بجده كانت أكثر من شهرته بأبيه؛ لأن أباه توفى فى حياة أبيه عبد المطلب قبل مولده - عليه الصلاة والسلام - وكان عبد المطلب مشهورًا شهرة ظاهرة شائعة، وكان سيد قريش، وكان كثير من الناس يدعون النبى ﷺ ابن عبد المطلب، ينسبونه إلى جده لشهرته، ومنه حديث ضمام بن ثعلبة فى قوله: أيكم ابن عبد المطلب ؟ وقيل غير هذا.

وأمر ﷺ أن يقتل من قدر عليه، وأفضى المسلمون فى القتل إلى الذرية، فنهاهم - عليه الصلاة والسلام - عن ذلك، وقال: «من قتل قتيلًا له عليه بينة، فله سلبه[٢]»، واستلبَ طلحة وحده ذلك اليومَ عشرينَ رجلًا[٣].

---

(١) انظر السيرة النبوية (٤/ ٨٦، ٨٧) ولم أجده في شرح النووي وانظر شرحه لصحيح مسلم (٦/ ٣٥٩-٣٦٤). وانظر سبل الهدى والرشاد (٥/ ٣٢٩-٣٣٠).

(٢) السَّلب: مايأخذه أحد القرنين من الآخرفى الحرب من سلاح وثياب ودابة ونحوه قاله فى النهاية ٢/ ٣٨٧

(٣) انظر شرح مسلم للنووي (٦/ ٣٦٢-٣٦٣)، وفتح الباري (٨/ ٣٤٨).

قال ابن القيم فى الهدى النبوى: كان الله تعالى وعد رسوله إذا فتح مكة، دخل الناس فى دين الله أفواجًا، ودانت له العرب بأسرها. فلما تم الفتح المبين، اقتضت حكمتة أن أمسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الإسلام وأن يتجمعوا ويتألبوا لحربه - عليه الصلاة والسلام - ليظهر أمره تعالى وتمام إعزازه لرسوله ونصره لدينه، ولتكون غنائمهم شكرانًا لأهل الفتح، وليظهر الله تعالى رسوله وعباده، وقهره لهذه الشوكة العظيمة التى لم يلق المسلمون قبلها مثلها، ولا يقاومهم بعدُ أَحَدٌ من العرب، فاقتضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عَدَدِهم وعددِهِم وقوة شوكتهم ليطامن رءوسًا رفعت بالفتح، ولم تدخل بلده وحرمه كما دخل - عليه الصلاة والسلام - واضعًا رأسه منحنيًا على مركوبه؛ تواضعًا لربه وخضوعًا لعظمته؛ أن أحل له بلده ولم يحله لأحد قبله ولا لأحد بعده؛ ليبينَ سبحانه لمن قال: «لن نُغلب اليوم من قلة»: أن النصر إنما هو من عند الله تعالى، وأنه من ينصره فلا غالبَ له، ومن يخذله فلا ناصر له، وأنه سبحانه هو الذى تولَّى نصر رسوله ودينه، لا كثرتكم التى أعجبتكم، فإنها لن تغنى عنكم شيئًا، فوليتم مُدبرين. فلما انكسرَتْ قلوبهم، أرسلت خلع الجبر من بريد: ﴿ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة: ٢٦]، وقد اقتضت حكمته تعالى أنَّ خِلَعَ النصرِ وجوائزه إنما تفاض على أهل الانكسار: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٥].

قال: وبهاتين الغزاتين - أعنى حنينا وبدرًا - قاتلت الملائكة بأنفسها مع المسلمين ورمى رسول الله ﷺ وجه المشركين فيهما - انتهى[1].

وأمر ﷺ بطلب العدو، فانتهى بعضهم إلى الطائف نحو نخلة، وقوم منهم إلى أوطاس اسم مكان، وقتل من المشركين [أكثر] من سبعين قتيلاً.

ومما قيل من الشعر فى غزوة حنين قول العباس بن مرداس، يذكر قارب بن الأسود وفراره من بنى أبيه، وذا الخمار وحبسه قومه للموت [من الوافر]

أَلاَ مَنْ مُبْلِغ غَيْلاَنَ عَنِّي ... وَسَوْفَ إِخَالُ يَأْتِيهِ الْخَبِيرُ
وَعُـرْوَةَ إِنَّمَا أُهْدِى جَوَابًا ... وقَوْلاً غَيْرَ قَوْلِكُمَا يَسِيرُ

(١) انظر زاد المعاد (٣/ ٤٧٧-٤٧٩).

بِأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدٌ رَسُولٌ ... لِرَبٍّ لاَ يَضِلُّ وَلاَ يَجُورُ
وَجَدْنَاهُ نَبِيًّا مِثْلَ مُوسى ... فَكُلُّ فَتَى يُخَايِرُهُ مَخِيرُ
وَبِئْسَ الأَمْرُ أَمْرُ بَنِى قَسِيٍّ ... بِوَجٍّ إِذْ تُقُسِّمَتِ الأُمُورُ
أَضَاعُوا أَمْرَهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ ... أَمِيرٌ وَالدَّوَائِرُ قَدْ تَدُورُ
فَجِئْنَا أُسْدَ غَابَاتٍ إِلَيْهِمْ ... جُنُودُ اللهِ ضَاحِيَةً تَسِيرُ
نَؤُمُّ الْجَمْعَ جَمْعَ بَنِى قَسِيٍّ ... عَلَى حَنَقٍ نَكَادُ لَهُ نَطِيرُ
وَأُقْسِمُ لَوْ هُمُو مَكَثُوا لَسِرْنَا ... إِلَيْهِمْ بِالْجُنُودِ ولَمْ يَغُورُوا
فَكُنَّا أُسْدَ لِيَّةَ ثَمَّ حَتَّى ... أَبَحْنَاهَا وأُسْلِمتِ النُّصُورُ
وَيَوْمٌ كَانَ قَبْلُ لَدَى حُنَيْنٍ ... فَأَقْلَعَ وَالدِّمَاءُ بِهِ تَمُورُ
مِنَ الأَيَّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيَوْمٍ ... وَلَمْ يَسْمَعْ بِهِ قَوْمٌ ذُكُورُ
قَتَلْنَا فِى الْغُبَارِ بَنِى حُطَيْطٍ ... عَلَى رَايَاتِهَا وَالْخَيْلُ زُورُ
وَلَمْ يَكُ ذُو الْخِمَارِ رَئِيسَ قَوْمٍ ... لَهُمْ عَقْلٌ يُعَاتِبُ أَوْ نَكِيرُ[1]
أَقَامَ بِهِمْ عَلَى سَنَنِ الْمَنَايَا ... وَقَدْ بَانَتْ لمبْصِرِهَا الأُمُورُ
فَأَفْلَتَ مَنْ نَجَا مِنْهُمْ جَرِيضًا ... وَقُتِّلَ مِنْهُمُ بَشَرٌ كَثِيرُ
وَلاَ يُغْنِى الأُمُور أَخُو التَّوَانِي ... وَلاَ الْغَلِقُ الصُّرَيِّرَةُ الْحَصُورُ
أَحَانَهُمُ وَحَانَ وَمَلَّكُوهُ ... أُمُورَهُمُ وَأَفْلَتَتِ الصُّقُورُ
بَنُو عَوْفٍ تَمِيحُ بِهِم جِيَادٌ ... أُهِينَ لهَا الْفَصَافِصُ وَالشَّعِيرُ
فَلَوْلاَ قَارِبٌ وَبَنُو أَبِيهِ ... تُقُسِّمَتِ الْمَزَارِعُ وَالْقُصُورُ
وَلكِنَّ الرِّيَاسَةَ عُمِّمُوهَا ... عَلَى يُمْنٍ أَشَارَ بِهِ الْمُشِيرُ
أَطَاعُوا قَارِبًا وَلَهُمْ جُدُودٌ ... وَأَحْلاَمٌ إِلَى عِزٍّ تَصِيرُ
فَإِنْ يُهْدَوْا إِلَى الإِسْلاَمِ يُلْفَوْا ... أُنُوفَ النَّاسِ مَا سَمَرَ السَّمِيرُ
وَإِنْ لَمْ يُسْلِمُوا فَهُمُ أَذَانٌ ... بِحَرْبِ اللهِ لَيْسَ لَهُمْ نَصِيرُ
كَمَا حَكَّتْ بَنِى سَعْدٍ وَحَرْبٌ ... بِرَهْطِ بَنِى غَزِيَّةَ عَنْقَفِيرُ
كَأَنَّ بَنِى مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ ... إِلَى الإِسْلاَمِ ضَائِنَةٌ تَخُورُ
فَقُلْنَا: أَسْلِمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ ... وَقَدْ بَرِئَتْ مِنَ الإِحَنِ الصدُورُ

---

(١) في السيرة: يعاقب أو مكير. وفي السبل: يعاقب أو نكير.

كَـأَنَّ الْـقَـومَ إِذْ جَـاءُوا إِلَـيْـنَـا   مِنَ الْبَغْضَاءِ بَعْدَ السِّلْمِ عُورُ[١]

قال ابن هشام: غيلان: غيلان بن سلمة الثقفى، وعروة: عروة بن مسعود الثقفى.

قال ابن إسحاق[٢]: ولما انهزم المشركون، أتوا الطائف، ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس، وتوجه بعضهم نحو نخلة، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف، وتبعت خيل رسول الله ﷺ من سلك فى نخلة من الناس، ولم تتبع من سلك الثنايا، فأدرك ربيعةُ بن رفيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة ابن يربوع بن سماك بن عوف بن امرئ القيس - وكان يقال له ابن الدغنة، وهى أمه، فغلبت على اسمه، ويقال: ابن لذغة فيما قاله ابن هشام - دُرَيْد بْن الصمةِ، فأخذ بخطام جمله، وهو يظن أنه امرأة، وذلك أنه فى شجار له فإذا هو برجل، فأناخ به فإذا شيخ كبير، فإذا هو دريد بن الصمة، فتعرفه الغلام، فقال له دريد: ماذا تريد بى ؟ قال: أقتلك، قال: ومن أنت ؟ قال: أنا ربيعة بن رفيع السلمى، ثم ضربه بسيفه، فلم يُغْنِ فيه شيئًا، فقال: بئسما سلحتك أمك، خذ سيفى هذا من مؤخر الرحل، ثم اضرب به، وارفع عن العظام، واخفض عن الدماغ؛ فإنى كذلك كنت أضرب الرجال. ثم إذا أتيت أمك، فأخبرها أنك قد قتلت دريد بن الصمة، فَرُبَّ يوم قد منعت فيه نساءك. فزعم بنو سليم أن ربيعة قال: لما ضربته فوقع تكشف فإذا عجانه وبطون فخذيه مثل القرطاس من ركوب الخيل إعراء. فلما رجع ربيعة إلى أمه، أخبرها بقتله إياه، فقالت: أما واللهِ لقد أعتَقَ أمهاتٍ لكَ ثلاثًا.

وقالت عمرة بنت دريد فى قتل ربيعة دريدًا[٣]: [من الوافر]

لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ عَلَى دُرَيْدٍ   بِبَطْنِ سُمَيْرَةٍ جَيْشَ الْعَنَاقِ
جَزَى عنه الْإِلهُ بَنِى سُلَيم   وَعَقَّتْهُمْ بِمَا فَعَلُوا عَقَاقِ
وَأَسْقَانَا إِذَا قُدْنَا إِلَيْهِمْ   دِمَاءَ خِيَارِهِمْ عِنْدَ التَّلَاقِي
فَرُبَّ عَظِيمَةٍ دَافَعْتَ عَنْهُمْ   وَقَدْ بَلَغَتْ نُفُوسُهُمُ التراقِي
وَرُبَّ كَرِيمَةٍ أَعْتَقْتَ مِنهُمْ   وَأُخْرَى قَدْ فَكَكْتَ مِنَ الْوَثَاقِ

(١) انظر الشعر وقول ابن هشام في السيرة (٤/ ٩٤-٩٦)، وسبل الهدى والرشاد (٥/ ٣٤١-٣٤٢).
(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٩٦).
(٣) انظر: السيرة (٤/ ٩٦-٩٧).

وَرُبَّ مُنَوِّهٍ بِكَ مِنْ سُلَيْمٍ أَجَبْتَ وَقَدْ دَعَاكَ بِلاَ رِمَاقِ
فَكَانَ جَزَاؤُنَا مِنهُمْ عُقُوقًا وَهَمًّا مَاعَ مِنْهُ مُخُّ سَاقِي
عَفَتْ آثَارُ خَيلِكَ بَعْدَ أَيْنٍ بِذِى بَقَرٍ إِلَى فَيْفِ النُّهَاقِ

وقال عباس بن مرداس[1]: [من الطويل]

تَقَطَّعَ بَاقِى وَصْلِ أُمِّ مُؤَمَّلٍ بِعَاقِبَةٍ وَاسْتَبْدَلَتْ نِيَّةً خُلْفَا
وَقَدْ حَلَفَتْ بِاللهِ لاَ تَقْطَعُ الْقُوَى فَمَا صَدَقَتْ فِيهِ وَلاَ بَرَّتِ الْحَلْفَا
خُفَافِيَّةٌ بَطْنُ الْعَقِيقِ مَصِيفُهَا وَتَحْتَلُّ فِى الْبَادِينَ وَجْرَةَ فَالْعُرْفَا
فإِنْ تَتْبَعِ الْكُفَّارَ أُمُّ مُؤَمَّلٍ فَقَدْ زَوَّدَتْ قَلْبِى عَلَى نَأْيِهَا شَغْفَا
وَسَوْفَ يُنَبِّيهَا الْخَبِيرُ بأَنَّنَا أَبَيْنَا وَلَمْ نَطْلُبْ سِوَى رَبِّنَا حِلْفَا
وَأَنَّا مَعَ الْهَادِى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَفَيْنَا وَلَمْ يَسْتَوْفِهَا مَعْشَرٌ أَلْفَا
بِفِتْيَانِ صِدْقٍ مِنْ سُلَيْمٍ أَعِزَّةٍ أَطَاعُوا فمَا يَعْصُونَ مِنْ أَمْرِهِ حَرْفَا
خُفَافٌ وَذَكْوَانٌ وَعَوْفٌ تَخَالُهُمْ مَصَاعِبَ زَافَتْ فِى طَرُوقَتِهَا كُلْفَا
كَأَنَّ النَّسِيجَ الشُّهْبَ وَالْبِيضَ مُلْبَسٌ أُسُودًا تَلاَقَتْ فِى مَرَاصِدِهَا غُضْفَا
بِنَا عَزَّ دِينُ اللهِ غَيْرَ تَنَحُّلٍ وَزِدْنَا عَلَى الْحَيِّ الَّذِى مَعَهُ ضِعْفَا
بِمَكَّةَ إِذْ جِئْنَا كَأَنَّ لِوَاءَنَا عُقَابٌ أَرَادَتْ بَعْدَ تَحْلِيقِهَا خَطْفَا
عَلَى شُخَّصِ الأَبْصَارِ تَحْسِبُ بَيْنَهَا إِذَا هِىَ جَالَتْ فِى مَرَاوِدِهَا عَزْفَا
غَدَاةَ وَطِئْنَا الْمُشْرِكِينَ وَلَمْ نَجِدْ لِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ عَدْلاً وَلاَ صِرْفَا
بِمُعْتَرَكٍ لاَ يَسْمَعُ الْقَوْمُ وَسْطَهُ لَنَا زَجْمَةً[2] إِلاَّ التَّذَامُرَ والنَّقْفَا
بِبِيضٍ نُطِيرُ الْهَامَ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا وَنَقْطِفُ أَعْنَاقَ الْكُمَاةِ بِهَا قَطْفَا
وَكَائِنْ تَرَكْنَا مِنْ قَتِيلٍ مُلَحَّبٍ وَأَرْمَلَةٍ تَدْعُو عَلَى بَعْلِهَا: لَهْفَا
رِضَا اللهِ نَنْوِى لاَ رِضَا النَّاسِ نَبْتَغِي وَللهِ مَا يَبْدُو جَمِيعًا وَمَا يَخْفَى

وقال مالك بن عوف يعتذر من فراره يومئذ[3] [من الكامل]

مَنَعَ الرُّقَادَ فَمَا أُغَمِّضُ سَاعَةً نَعَمٌ بِأَجْزَاعِ الطَّرِيقِ مُخَضْرَمُ

---

(١) انظر شعر العباس هذا في السيرة (٤/١٠٦-١٠٧).
(٢) الزجمة: الصوت.
(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٤/١١٣).

سَائِلْ هَوَازِنَ هَلْ أَضرَّ عَدُوَّهَا وَأُعِينُ غَارِمَهَا إِذَا ما يَغْرَمُ ؟
وَكَتِيبَةٍ لَبَّسْتُهَا بِكَتِيبَةٍ فِئَتَيْنِ مِنْهَا حَاسِرٌ وَمُلأَّمُ
وَمُقَدَّمٍ تَعْيَا النُّفُوسُ لِضِيقِهِ قَدَّمْتُهُ وَشُهُودُ قَوْمِى أَعْلَمُ
فَوَرَدْتُهُ وَتَرَكْتُ إِخْوَانًا لَهُ يَرِدُونَ غَمْرَتَهُ وغَمْرَتُهُ الدَّمُ
فَإِذَا انْجَلَتْ غَمَرَاتُهُ أَوْرَثْنَنِي مَجْدَ الْحَيَاةِ وَمَجْدَ غُنْمٍ يُقْسَمُ
كَلَّفْتُمُونِى ذَنْبَ آلِ مُحَمَّدٍ وَاللهُ أَعْلَمُ مَنْ أَعَقُّ وَأَظْلَمُ
وَخَذَلْتُمُونِى إِذْ أُقَاتِلُ وَاحِدًا وَخَذَلْتُمُونِى إِذْ تُقَاتِلُ خَثْعَمُ
وَإِذَا بَنَيْتُ الْمَجْدَ يَهْدِمُ بَعْضُكُمْ لاَ يَسْتَوِى بَانٍ وَآخَرُ يَهْدِمُ
وَأَقَبَّ مِخْمَاصِ الشِّتَاءِ مُسَارِعٍ فِى الْمَجْدِ يُنْمَى لِلْعُلاَ مُتَكَرِّمِ
أَكْرَهْتُ فِيهِ أَلَّةً يَزَنِيَّةً سَحْمَاءَ يَقْدُمُهَا سِنَانٌ سَلْجَمُ
وَتَرَكْتُ حَنَّتَهُ تَرُدُّ وَلِيَّهُ وَتَقُولُ: لَيْسَ عَلَى فُلاَنَهَ مُقْدَمُ
وَنَصَبْتُ نَفْسِى لِلرِّمَاحِ مُدَجَّجًا مِثْلَ الدريئَةِ تُسْتَحَلُّ وَتُشْرَمُ

وفيها: (**غزوة الطائف**)(١)، خرج ﷺ فى شوال فحاصرهم ثمانية عشر يومًا أو ثلاثين، بل فى مسلم عن أنس: حاصرهم أربعين ليلة، ونصب عليهم المنجنيق، واستشهد من المسلمين اثنا عشر، وقاتل بنفسه، ولم يؤذن له فى فتحه، فرجع إلى المدينة بعد غيبة شهرين وستة عشر يومًا، فقدم عليه بَعْدُ وفْدُهُمْ، فأسلموا.

ولما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى الطائف حين فرغ من حنين، قال كعب بن مالك: [من الوافر]

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةَ كُلَّ رَيْبٍ وَخَيْبَرَ ثُمَّ أَجْمَمْنَا السُّيُوفَا
نُخَبِّرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعُهُنَّ دَوْسًا أَوْ ثَقِيفَا
فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ إِنْ لَم تَرَوْهَا بِسَاحَةِ دارِكُمْ مِنَّا أُلوفا
وَنَنْتَزِعُ الْعُرُوشَ بِبَطْنِ وَجٍّ وَتُصْبِحُ دُورُكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفَا
وَيَأْتِيكُمْ لَنَا سَرَعَانُ خَيْلٍ يُغَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعًا كَثِيفَا
إِذَا نَزَلُوا بِسَاحَتِكُمْ سَمِعْتُمْ لَهَا مِمَّا أَنَاخَ بِهَا رَجِيفَا

(١) انظر: مغازي الواقدي (٣/ ٩٢٢) وطبقات ابن سعد (٢/ ١٢٠)، وسيرة ابن هشام (٤/ ١١٧)، وتاريخ الطبري (٣/ ٨٢)، وتاريخ الإسلام (٥٩١-مغازي)، والكامل في التاريخ (٢/ ٢٦٦) وعيون التواريخ (١/ ٣٣٣).

بِأَيْدِيهِمْ قَوَاضِبُ مُرْهَفَاتٌ يُزِرْنَ الْمُسْطَلِينَ بِهَا الْحُتُوفَا
كَأَمْثَالِ العَقَائِقِ أَخْلَصَتْهَا قُيُونُ الْهِنْدِ لَمْ تُضْرَبْ كَتِيفَا
تَخَالُ جَدِيَّةَ الأَبْطَالِ فِيهَا[1] غَدَاةَ الزَّحْفِ جَادِيًّا مَدُوفَا
أَجِدَّهُمُ أَلَيْسَ لَهُمْ نَصِيحٌ مِنَ الأَقْوَامِ كَانَ بِنَا عَرِيفَا
يُخَبِّرُهُمْ بِأَنَّا قَدْ جَمَعْنَا عِتَاقَ الْخَيْلِ وَالنُّجُبَ الطُّرُوفَا
وَأَنَّا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِزَحْفٍ يُحِيطُ بِسُورِ حِصْنِهِمُ صُفُوفَا
رَئِيسُهُمُ النَّبِيُّ وَكَانَ صُلْبًا نَقِيَّ الْقَلْبِ مُصْطَبِرًا عَزُوفَا
رَشِيدَ الأَمْرِ ذَا حُكْمٍ وَعِلْمٍ وَحِلْمٍ لَمْ يَكُنْ نَزِقًا خَفِيفَا
نُطِيعُ نَبِيَّنَا وَنُطِيعُ رَبًّا هُوَ الرَّحْمنُ كَانَ بِنَا رَءُوفَا
فَإِنْ تُلْقُوا إِلَيْنَا السِّلْمَ نَقْبَلْ وَنَجْعَلْكُمْ لَنَا عَضُدًا وَرِيفَا
وَإِنْ تَأْبَوْا نُجَاهِدْكُمْ وَنَصْبِرْ وَلاَ يَكُ أَمْرُنَا رَعِشًا ضَعِيفَا
نُجَالِدُ مَا بَقِينَا أَوْ تُنِيبُوا إِلَى الإِسْلاَمِ إِذْعَانًا مُضِيفَا
نُجَاهِدُ ما نُبَالِى مَنْ لَقِينَا أَأَهْلَكْنَا التِّلاَدَ أَمِ الطَّرِيفَا
وَكَمْ مِنْ مَعْشَرٍ أَلَبُوا عَلَيْنَا صَمِيمَ الْجِذْمِ مِنْهُمْ وَالْحلِيفَا
أَتَوْنَا لاَ يَرَوْنَ لَهُمْ كِفَاءً فَجَدَّعْنَا الْمَسَامِعَ وَالأُنُوفَا
بِكُلِّ مُهَنَّدٍ لَيْنٍ صَقِيلٍ نَسُوقُهُمُ بِهَا سَوْقًا عَنِيفَا
لِأَمْرِ اللهِ وَالإِسْلاَمِ حَتَّى يَقُومَ الدِّينُ مُعْتَدِلاً حَنِيفَا
وَتُنْسَى[2] اللاتُ وَالْعُزَّى وَوَدٌّ وَنَسْلُبُهَا الْقَلاَئِدَ وَالشُّنُوفَا
فَأَمْسَوْا قَدْ أَقَرُّوا وَاطْمَأَنُّوا وَمَنْ لاَ يَمْتَنِعْ يَقْبَلْ خُسُوفَا[3]

قال فى «المواهب» بعد ذكر أن الطائف على ثلاث مراحل أو اثنتين من مكة من جهة المشرق كثير الأعناب والفواكه، قيل: إن أصلها أن جبريل اقتلع الجنة التى كانت لأصحاب الصريم، فسار بها إلى مكة، فطاف بها حول البيت، ثم أنزلها هناك فسمى الموضع بها، وكانت أولاً بنواحى صنعاء. واسم الأرض «وجٌّ» بتشديد الجيم.

(١) في السيرة: فيهم.
(٢) في السبل: وتفنى.
(٣) انظر سيرة ابن هشام (٤/١١٨-١١٩)، وسبل الهدى والرشاد (٥/٤٠٧-٤٠٨).

وسار إليها النبى ﷺ فى شوال سنة ثمان، حين خرج من حنين، وحبس الغنائم بالجعرَّانة، وقدَّم خالد بن الوليد على مقدمته، وكانت ثقيف لما انهزموا من أوطاس؛ دخلوا حصنهم بالطائف، وأغلقوه عليهم؛ بعد أن أدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة وتهيئوا للقتال.

ولما سار ﷺ مرَّ فى طريقه بقبر أبى رغال، وهو أبو ثقيف فيما يقال، فاستخرج منه غصنا من ذهب، ونزل قريبا من الحصن وعسْكَرَ هناك، فرموا المسلمين بالنبل رميًا شديدًا كأنه رَجل جراد؛ حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة، وقتل منهم اثنا عشر رجلا، فيهم عبد الله بن أبى أمية، ورمى عبد الله بن أبى بكر الصديق يومئذ بجرح، فاندمل، ثم نقض عليه بعد ذلك؛ فمات منه فى خلافة أبيه.

وارتفع ﷺ إلى موضع مسجد الطائف اليوم، وكان معه من نسائه أم سلمة، وزينب، فضرب لهما قبتين، وكان يصلى بين القبتين حصار الطائف كله، فحاصرهم ثمانية عشر يوما، ويقال خمسة عشر يومًا، ونصب عليهم المنجنيق، وهو أول منجنيق رمى به فى الإسلام، وكان قدم به الطفيل الدوسى معه لما رجع من سرية ذى الكفين، ووضع المسلمون الرايات بأصل الحصن، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد المحماة وهى أخشاب متسعة الأجواف، تدفع فى جدار الحصون، فيدخلها الرجال؛ لنقب جدارها - فرمتهم ثقيف بالنبل؛ فقتل منهم رجال، فأمر ﷺ بقطع أعناقهم وتحريقها، فقطعها المسلمون قطعًا ذريعًا، ثم سألوه أن يدعها لله وللرَّحم، فقال - عليه الصلاة والسلام -: إنى أدعها؛ لله وللرحم، ثم نادى مناديه - عليه الصلاة والسلام -: أيُّما عبد نزل من الحصن، وخرج إلينا، فهو حر، قال الدمياطى: فخرج منهم بضعة عشر رجلاً، منهم أبو بكرة، وعند مغلطاى: ثلاثة وعشرون عبدًا.

وفى «البخارى» عن عثمان النهدى قال: سمعت سعدًا، وأبا بكرة، عن النبى ﷺ. قال عاصم: «لقد شهد عندى رجلان: أما أحدهما: فأول من رمى بسهم فى سبيل الله، وأما الآخر: فنزل إلى النبى ﷺ ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف...» الحديث[١].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٣٢٦، ٤٣٢٧).

وأعتق ﷺ من نزل منهم، ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يمونه؛ فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة ولم يؤذن له ﷺ فى فتح الطائف، وأمر عمر بن الخطاب؛ فأذَّن فى الناس بالرحيل؛ فضج الناس من ذلك وقالوا: نرحل ولم تفتح علينا الطائف ؟! فقال ﷺ: فاغدوا على القتال؛ فغدوا فأصاب المسلمين جراحات، فقال ﷺ: إنا قافلون غدا - إن شاء الله - فسروا بذلك، وأذعنوا، وجعلوا يرحلون، ورسول الله ﷺ يضحك[١].

قال النووى: قصد ﷺ الشفقة عليهم، والرفق بالرحيل عن الطائف؛ لصعوبة أمره، وشدة الكفار الذين فيه، وتقويهم بحصنهم، مع أنه ﷺ علم أو رجا أنه سيفتحه بعد هذا بلا مشقة، فلما حرص الصحابة على المقام، والجهاد أقام وجدّ فى القتال، فلما أصابتهم الجراح رجع إلى ما كان قصده أولا من الرفق، وفرحوا بذلك لما رأوا من المشقة الظاهرة، ووافقوا على الرحيل، فضحك ﷺ؛ تعجبا من تغير رأيهم[٢]، وفقئت عين أبى سفيان صخر بن حرب يومئذ، فذكر ابن سعد: أن النبى ﷺ قال له - وهى فى يده -:

أيهما أحب إليك: عين فى الجنة، أو أدعو الله أن يردها عليك ؟ فقال: بل عين فى الجنة، فرمى بها، وشهد اليرموك فقاتل، وفقئت عينه الأخرى يومئذ. ذكره الحافظ زين الدين العراقى فى «شرح التقريب».

وقال ﷺ للصحابة: قولوا لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، فلما ارتحلوا قال: قولوا آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده[٣].

فانظر كيف كان ﷺ إذا خرج للجهاد يعتد لذلك بجمع الصحابة، واتخاذ الخيل، والسلاح، وما يحتاج إليه من آلات الجهاد، والسفر، ثم إذا رجع - عليه الصلاة والسلام - يتعرى من ذلك، ويرد الأمر كله لمولاه - عز وجل - لا لغيره؛ لقوله: آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٧٨).
(٢) هنا انتهى كلام النووي انظر شرح مسلم له (٦/ ٣٦٥).
(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ١٢١) بهذا اللفظ.

وانظر إلى قوله - عليه الصلاة والسلام -: «وهزم الأحزاب وحده» فنفى ﷺ ما تقدم ذكره، وهذا هو معنى الحقيقة؛ لأن الإنسان وفعله خلق لربه - عز وجل - فهو لله - سبحانه وتعالى - الذى خلق، ودبر، وأعان، وأجرى الأمور على يد من شاء، ومن اختار من خلقه، فكل منه وإليه، ولو شاء الله أن يبيد أهل الكفر من غير قتال - لفعل، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ [محمد: ٤] ليثبت الصابرين ويجزى الثواب للشاكرين، قال - تعالى -: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: ٣١] فعلى المكلف الامتثال فى الحالتين، أى امتثال تعاطى الأسباب؛ تأدبا مع الربوبية، كما فعل ذلك ﷺ أولاً؛ تأدبا مع الربوبية، وتشريعا لأمته، ثم يظهر الله ما يشاء من قدرته الغامضة التى ادخرها له - عليه الصلاة والسلام - قاله ابن الحاج فى «المدخل».
ولما قيل له: يا رسول الله، ادع على ثقيف، قال: «اللهم اهد ثقيفا وائت بهم»[(١)].

وكان - عليه الصلاة والسلام - قد أمر أن يجمع السبى، والغنائم مما أفاء الله على رسوله يوم حنين، فجمع ذلك كله إلى الجعرَّانة، فكان بها إلى أن انصرف - عليه الصلاة والسلام - من الطائف، وكان السبى ستة آلاف رأس، والإبل أربعة وعشرين ألف بعير، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية فضة، واستأنى ﷺ بـ«هوازن» أى انتظر - وتربص أن يقدموا عليه مسلمين بضع عشرة، ثم بدأ يقسم الأموال.

وفى البخارى: وطفق ﷺ يعطى رجالاً المائة من الإبل، منهم: أبو سفيان، وعيينة بن حصن الفزارى، والأقرع بن حابس التميمى، وأعطى العباس بن مرداس السلمى ستين، فسخطها، ثم أتى إليه - عليه الصلاة والسلام - فأنشد: [من المتقارب]

أتجْعَلُ نَهْبِى ونَهْبَ العَبِيـ ـدِ بيـن عُـيَـيْـنَـةَ والأقْـرَعِ
فَمَـا كَـانَ حِـصْنٌ ولاَ حَـابِسٌ يَفُـوقَـانِ مِرْدَاسَ فِـى مَجْمَعِ[(٢)]

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٩٤٢)، وأحمد في المسند (٣/٣٤٣) من حديث عبد الرحمن بن سابط وأبي الزبير عن جابر به.
(٢) في صحيح مسلم: المجمع.

وَمَا كُنْتُ دُون امرِئٍ مِنهُمَا وَمَنْ تَضَعِ[١] اليَوْمَ لاَ يُرْفَعِ

فقال - عليه الصلاة والسلام -: لعلى «اقطع لسانه عنى»؛ فأكمل له مائة؛ فقال ناس من الأنصار: يغفر الله لرسول الله، يعطى قريشًا، ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، قال أنس: فحدث رسول الله ﷺ بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم فى قبة من أدم، ثم قال لهم: أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال، والشاء، والبعير، وتذهبون بالنبى إلى رحالكم؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به، قالوا: يا رسول الله قد رضينا[٢].

وعن جبير بن مطعم قال: بينما أنا مع النبى ﷺ ومعه الناس مقفلون من حنين، علقت برسول الله ﷺ الأعراب حتى اضطرته إلى سمرة، فخطفت رداءه، فوقف ﷺ فقال: أعطونى ردائى، فلو كان لى عدد العضاه نعمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدونى: بخيلاً، ولا كذوبًا، ولا جبانًا. رواه ابن جرير فى تهذيبه.

وذكر محمد بن سعد - كاتب الواقدى - عن ابن عباس أنه لما قدم رسول الله ﷺ من الطائف نزل الجعرانة، فقسم الغنائم، ثم اعتمر منها وذلك لليلتين بقيتا من شوال[٣]، قال ابن سيد الناس: وهذا ضعيف.

والمعروف عند أهل السير أن النبى ﷺ انتهى إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذى القعدة، فأقام بها ثلاث عشرة ليلة، فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج ليلة الأربعاء، لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ليلاً، فأحرم بعمرة، ودخل مكة. وفى «تاريخ الأزرقى» عن مجاهد أنه - عليه الصلاة والسلام - أحرم من وراء الوادى حيث الحجارة المنصوبة. وعند «الواقدى» من المسجد الأقصى، الذى تحت الوادى بالعدوة القصوى من الجعرانة، فكانت صلاته - عليه الصلاة والسلام - إذا كان بالجعرانة به، والجعرَّانةُ موضعٌ بينه وبين مكة بريد - يعنى اثنى عشر ميلاً - كما قاله الفاكهى، وقال الباجى: ثمانية عشر ميلاً، وسمى بامرأة تلقب بالجعرانة، كما ذكره السهيلى، أخذها السيل، فوصل بها

(١) في صحيح مسلم: تخفض.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٣٣١) من حديث أنس بن مالك ولم يذكر الشعر لكن روى مسلم (١٠٦٠) نحوه من حديث رافع بن خديج وذكر فيه الشعر.
(٣) انظر سبل الهدى والرشاد (٥/٤٠٦-٤٠٧).

إلى هذا المحل، فوجدت ثمة، فسمى المحل بها.

قالوا: وقدم ﷺ المدينة، وقد غاب عنها شهرين وستة عشر يومًا.

قال ابن هشام[1]: ولما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى فى قريش، وقبائل العرب، ولم يعط الأنصار شيئًا، قال حسان بن ثابت، يعاتبه فى ذلك: [من البسيط]

سَحًا إذا حَفَلَتْهُ عَبْرَةٌ دررُ	زار الهُمُومُ[2] فماءُ العَيْن مُنْحَدِرُ
هَيْفَاءُ لاَ دَنَسٌ فِيهَا ولا خَوَرُ	وجدًا بِشَيماءَ إذْ شَيماءُ بَهْكَنَةٌ
نَزْرًا وَشَرُّ وِصَالِ الوَاصِلِ النَّزِرُ	دَعْ عَنْكَ شيماء إِذْ كَانَتْ مَوَدَّتُهَا
للمُؤْمنينَ إِذَا مَا عُدِّدَ البَشَرُ	وائتِ الرَّسُولَ فَقُلْ يَا خَيْرَ مُؤْتَمن
قُدَّامَ قَوْمٍ هَمُ آووا وَهُم نَصَرُوا ؟!	عَلامَ تُدْعَىٰ سُلَيْمٌ وَهْىَ نَازِحَةٌ
دينَ الهُدَىٰ وعَوَانُ الحَرْبِ تَسْتَعِرُ	سمَّاهُمُ اللَّهُ أَنْصَارًا بِنَصْرِهِمُ
للنَّائباتِ ومَا خَامُوا ومَا ضَجرُوا	وسَارَعُوا فى سَبيلِ اللَّه واعْتَرفُوا
إلاَّ السيُوف وأَطْرَافُ القَنَا وزرُ	والناسُ إِلْبٌ علينَا فيكَ لَيْسَ لَنَا
وَلا نُضَيِّعُ مَا تُوحِى بِهِ السُّوَرُ	نجالد النَّاسَ لا نُبقِي عَلَىٰ أَحَدِ
ونحْنُ حينَ تلظَّىٰ نَارُهَا سعر	وَلا تهرُّ جُنَاةُ الحربِ نادينَا
أَهْلَ النِّفَاقِ وَفينَا يَنْزِلُ الظَّفَرُ	كَمَا رَدَدْنَا ببدرِ دَونَ مَا طَلَبُوا
إذ حَزَّبَتْ بَطَرًا أَحْزَابَهَا مُضَرُ	ونَحنُ جُنْدُكَ يوم النَّعْفِ من أُحُدٍ
منَّا عثَارًا وكل النَّاسِ قَدْ عَثَرُوا[3]	فَمَا وَنَيْنَا ومَا خمْنَا وما خبرُوا

* * *

(١) انظر سيرة ابن هشام (٤/ ١٣٧).

(٢) في السيرة: زادت هموم - وفي البداية والنهاية: ذر.

(٣) ينظر: الشعر في السيرة النبوية (٤/ ١٣٧)، والبداية والنهاية (٤/ ٤١٥).

حوادث السنة التاسعة

فيها (**غزوة تبوك**)[١]- وهى العسرة والفاضحة - فى رجب، لما بلغه أن الروم تجمعت فى الشام مع هرقل، وقد اشتملت على أمور للمنافقين فضحوا بها؛ وفيها تاب الله على الثلاثة الذين خُلفوا: كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وأقام ﷺ بضع عشرة ليلة وانصرف ولم يلق كيدا.

قال فى «المواهب»: وكانت يوم الخميس، فى رجب، سنة تسع من الهجرة بلا خلاف، وذكرُ البخارى لها بعد حجة الوداع[٢] لعله خطأ من النساخ. وكان يومئذ حر شديد وجدب؛ فلذلك لم يُوَرِّ عنها كعادته فى سائر الغزوات. وفى تفسير عبد الرزاق عن معمر قال: خرجوا فى قلة من الظهر، وفى حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير، فيشربون ما فى كرشه من الماء، فكان ذلك عسرة فى الماء، وفى الظهر، والنفقة[٣]، فسميت (غزوة العسرة).

وسببها أنه بلغه ﷺ من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة - أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل، فندب ﷺ الناس إلى الخروج، وأعلمهم بالمكان الذى يريد ليتأهبوا لذلك[٤]، وروى الطبرانى من حديث عمران بن الحصين قال: كانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل: إن هذا الرجل الذى خرج يدعى النبوة قد أصابتهم سنون، فهلكت أموالهم. فبعث رجلاً من عظمائهم، وجهز معه أربعين ألفًا، فبلغ ذلك النبى ﷺ، ولم يكن للناس قوة، وكان عثمان قد عير إلى الشام فقال: يا رسول الله، هذه مائتا بعير بأقتابها، وأحلاسها، ومائتا أوقية، قال فسمعته يقول: لا يضر عثمان ما عمل بعدها[٥]. وروى عن قتادة أنه قال: حمل عثمان فى

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٤/ ١٦٩)، والمغازي للواقدي (٣/ ٩٨٩)، تاريخ خليفة (٩٢)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٢٥)، وتاريخ الطبري (٣/ ١٠٠)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٦٢٧-المغازي).

(٢) الحديث (٤٤١٥) وقال الحافظ في الفتح (٨/ ٤٤٩) وهو خطأ، وما أظن ذلك إلا من النساخ، فإن غزوة تبوك كانت في شهر رجب من سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٩٠)، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ١٢٦) من طريق معمر.

(٤) ينظر: مغازي الواقدي (٣/ ٩٩١)، وطبقات ابن سعد (٢/ ١٢٥).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨/ ٢٣١-٢٣٢) رقم (٥٧٧). قال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٩٤): فيه الفضل بن العباس الأنصاري، وهو ضعيف.

جيش العسرة على ألف بعير، وسبعين فرسًا[١]. وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان بن عفان بألف دينار فى كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره ﷺ، فرأيته ﷺ يقلبها فى حجره، ويقول: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم. أخرجه الترمذى[٢] وقال: حسن غريب. وعند الفضائلى، والملا فى سيرته كما ذكره الطبرى فى الرياض النضرة من حديث حذيفة: بعث عثمان - يعنى فى جيش العسرة - بعشرة آلاف دينار إلى رسول الله ﷺ [فكان ﷺ] يقول بيده ويقلبها ظهرا ببطن ويقول: غفر الله لك يا عثمان، ما أسررت، وما أعلنت، وما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يبالى ما عمل بعدها[٣].

ولما تأهب ﷺ للخروج، قال قوم من المنافقين: لا تنفروا فى الحرِّ، فنزل قوله - تعالى - ﴿ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨١] وأرسل - عليه الصلاة والسلام - إلى مكة، وقبائل العرب، يستنفرهم، وجاء البكاءون يستحملونه، فقال - عليه الصلاة والسلام -: لا أجد ما أحملكم عليه، وهم: سالم بن عمير، وعلبة بن زيد، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب المازنى، والعرباض بن سارية، وهرم بن عبد الله، وعمرو بن عتمة، وعبد الله ابن مغفل، وعبد الله بن عمرو المزنى، وعمرو بن الحمام، ومغفل المزنى، وحضرمى بن مازن، والنعمان، وسويد، ومعقل وعقيل، وسنان، وعبد الرحمن، وهند، بنو مقرن، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة: ٩٢] قاله مغلطاى[٤].

وفى البخارى عن أبى موسى قال: «أرسلنى أصحابى إلى رسول الله ﷺ أسأله الحملان لهم، فقلت: يا نبى الله إن أصحابى أرسلونى إليك؛ لتحملهم، فقال: والله لا أحملكم على شيء، فرجعت حزينا من منع النبى ﷺ ومن مخافة أن يكون النبى

---

(١) ذكر الطبري في تاريخه (٣/ ١٠٢) أن عثمان بن عفان أنفق في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد أعظم من نفقته.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٠١)، والحاكم (٣/ ١٠٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٢١٥).

(٣) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٦١٨٩) وعزاه لابن عدي والدارقطني وأبي نعيم في فضائل الصحابة، وابن عساكر، وانظر الرياض النضرة للطبري (٣/ ١٧).

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/ ٢١٨) من طريق ابن إسحاق.

ﷺ وجد فى نفسه على، فرجعت إلى أصحابى فأخبرتهم الذى قال النبى ﷺ، فلم ألبث إلا سويعة إذ سمعت بلالاً ينادى: أين عبد الله بن قيس؟ فأجبته، فقال: أجب رسول الله ﷺ يدعوك، فلما أتيته قال: خذ هاتين القرينتين، وهاتين القرينتين - لستة أبعرة ابتاعها حينئذ من سعد - فانطلق بهما إلى أصحابك، فقل: إن الله وإن رسول الله يحملكم على هؤلاء فاركبوهن...» الحديث[١]. وقام علبة بن زيد، فصلى من الليل، وبكى وقال: اللهم إنك أمرت بالجهاد، ورغَّبْتَ فيه، ثم لم تجعل عندى ما أتقوى به مع رسولك، ولم تجعل فى يد رسولك ﷺ ما يحملنى عليه، وإنى أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابنى فى مال أو جسد أو عرض، ثم أصبح مع الناس، فقال النبى ﷺ: أين المتصدق فليقم، فأقوم إليه فأخبره، فقال ﷺ: أبشر، فوالذى نفس محمد بيده لقد كتبت فى الزكاة المتقبلة. رواه يونس كما ذكره السهيلى فى الروض والبيهقى فى الدلائل[٢].

وجاء المعذرون من الأعراب، ليؤذن لهم فى التخلف، فأذن لهم، وهم اثنان وثمانون رجلاً، وقعد الذين كذبوا الله ورسوله، واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة[٣]. قال الدمياطى: وهو عندنا أثبت ممن قال غيره انتهى.

وقال الحافظ زين الدين العراقى - فى ترجمة على بن أبى طالب من شرح التقريب -: لم يتخلف عن المشاهد إلا فى تبوك، فإن النبى ﷺ خلَّفه على المدينة، وعلى عياله، وقال له يومئذ: أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى[٤]، وهو فى الصحيحين من حديث سعد بن أبى وقاص[٥]، ورجَّحه ابن عبد البر، وقيل: استخلف سباع بن عرفطة[٦].

وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب، منهم كعب بن مالك، ومرارة ابن الربيع، وهلال بن أمية، وفيهم نزل ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ ﴾ [التوبة: ١١٨]

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٥)، ومسلم (٨-١٦٤٩) مع اختلاف في اللفظ.
(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/ ٢١٨-٢١٩) من طريق ابن إسحاق. وينظر ترجمة علبة بن زيد في الإصابة (٤/ ٤٤٩-٤٥١).
(٣) ينظر: السيرة النبوية (٤/ ١٥٩).
(٤) شرح التقريب (١/ ٨٥-٨٦).
(٥) أخرجه البخاري (٣٧٠٦)، ومسلم (٣٠، ٣١، ٣٢-٢٤٠٤).
(٦) ينظر: السيرة النبوية (٤/ ١٥٩)، وتاريخ الطبري (٣/ ١٠٣).

وأبو ذر، وأبو خيثمة، ثم لحقاه بعد ذلك. ولما رأى - عليه الصلاة والسلام - أبا ذر الغفارى وكان - عليه الصلاة والسلام - نزل فى بعض الطريق، قال: يمشى وحده، ويعيش وحده، ويموت وحده، فكان كذلك[١]، وأمر ﷺ لكل بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواء وراية، وكان معه - عليه الصلاة والسلام - ثلاثون ألفًا، وعند أبى زرعة سبعون ألفا، وفى رواية عنه - أيضًا - أربعون ألفا، وكانت الخيل عشرة آلاف فرس.

ولما مر - عليه الصلاة والسلام - بالحجر - بكسر الحاء وسكون الجيم - بديار ثمود قال: لا تشربوا من مائها شيئًا، ولا يخرجن أحد منكم إلا ومعه صاحب له، ففعل الناس، إلا أن رجلين من بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجة، وخرج الآخر لطلب بعيره، فأما الذى خرج لحاجته، فخنق على مذهبه، وأما الذى خرج لطلب بعيره، فاحتملته الريح حتى طرحته بجبل «طيئ»، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فقال: ألم أنهكم ؟! ثم دعا للذى خنق على مذهبه، فشفى، وأما الآخر فأهدته «طيئ» لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة[٢].

وفى صحيح مسلم من حديث أبى حميد: انطلقت حتى قدمنا تبوك، فقال رسول الله ﷺ: تهبُّ الليلة عليكم ريح شديدة، فلا يقم أحد منكم، فمن كان له بعير فليشد رحله، فهبت ريح شديدة، فقام رجل، فحملته الريح حتى ألقته بجبل «طيئ»[٣]. وروى الزهرى: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر سَجَّى ثوبه على وجهه، واستحثَّ راحلته، ثم قال: لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا أنفسهم إلا وأنتم باكون، خوفًا أن يصيبكم ما أصابهم. رواه الشيخان[٤].

ولما كان ﷺ ببعض الطريق ضلت ناقته، فقال زيد بن لصيب[٥]، وكان منافقًا: أليس محمد يزعم أنه نبى، ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدرى أين ناقته؟! فقال رسول الله ﷺ: إن رجلاً يقول مقالة، وإنى والله لا أعلم إلا ما علمنى الله،

---

(١) أخرج قصة أبي ذر الحاكم (٣/ ٥٠-٥١)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٢٢١-٢٢٢).
(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/ ٢٤٠).
(٣) أخرجه مسلم (١١-١٣٩٢).
(٤) أخرجه البخاري (٢٩٨٠)، ومسلم (٣٩/ ٢٩٨٠). من حديث ابن عمر.
(٥) في السيرة النبوية : زيد بن اللُّصَيْت. قال ابن هشام: ويقال: ابن لُصَيْب بالباء.

وقد دلنى الله عليها وهى فى هذا الوادى فى شعب كذا وكذا، وقد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتونى بها، فانطلقوا فجاءوا بها. رواه البيهقى وأبو نعيم[(١)].

وفى صحيح مسلم من حديث معاذ بن جبل «أنهم وردوا عين تبوك، وهى تبض بشيء من ماء، وأنهم غرفوا منها قليلاً قليلاً حتى اجتمع فى شيء، ثم غسل ﷺ وجهه، ويديه، ثم أعاده فيها، فجرت بماء كثير فاستقى الناس. . .» الحديث[(٢)].

ولما انتهى ﷺ إلى تبوك أتاه صاحب «أيلة» فصالحه، وأعطاه الجزية، وأتاه أهل «جربا» بالجيم «وأذرح» بالذال المعجمة، والراء والحاء المهملة - بلدين بالشام بينهما ثلاثة أيام - فأعطوه الجزية وكتب لهم ﷺ كتابًا، ووجد هرقل بحمص فأرسل خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك النصرانى وكان ملكًا عظيمًا بـ «دومة الجندل» فى أربعمائة وعشرين فارسًا فى رجب سرية، وقال له - عليه الصلاة والسلام -: إنك ستجده ليلا يصيد البقر، فانتهى إليه خالد، وقد خرج من حصنه فى ليلة مقمرة إلى بقر يطاردها هو وأخوه حسان، فشدت عليه خيل خالد فاستأسر أكيدر، وقتل أخوه حسان، وهرب من كان معهما فدخل الحصن، ثم أجار خالد أكيدر من القتل؛ حتى يأتى به رسول الله ﷺ على أن يفتح له «دومة الجندل»، ففعل، وصالحه على ألفى بعير، وثمانمائة فرس، وأربعمائة درع، وأربعمائة رمح[(٣)].

وفى هذه كتب ﷺ كتابًا فى تبوك إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، فقارب الإجابة ولم يجب، رواه ابن حبان فى صحيحه من حديث أنس[(٤)]. وفى مسند أحمد: أن هرقل كتب من تبوك إلى النبى ﷺ [إني مسلم][(٥)]، فقال النبى ﷺ: كذب، هو على نصرانيته[(٦)]. وفى كتاب الأموال لأبى عبيدة بسند صحيح من مرسل بكر بن

---

(١) ذكره ابن إسحاق (٤/ ١٦٣) ومن طريقه البيهقي في الدلائل (٥/ ٢٣٢). وينظر تاريخ الطبري (٣/ ١٠٦)، ومغازي الواقدي (٣/ ١٠١٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٠-٧٠٦) كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ.

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/ ٢٥٠)، وفي السنن (٩/ ١٨٧) من حديث يزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر وانظر السيرة النبوية (٤/ ١٦٥-١٦٧)، والبداية والنهاية (٥/ ٢١).

(٤) هو حديث متفق عليه أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (٧٤-١٧٧٣) وهو عند ابن حبان (٦٥٥٥).

(٥) زيادة من الفتح (١/ ٥٥).

(٦) ينظر: الفتح (١/ ٥٥).

عبد الله نحوه ولفظه: فقال كذب عدو الله، ليس بمسلم[(١)].

ثم انصرف ﷺ من تبوك بعد أن أقام بضع عشرة ليلة، وقال الدمياطى - ومن قبله ابن سعد[(٢)]- عشرين ليلة، يصلى بها ركعتين، ولم يلق بها كيدا، وبنى فى طريقه مساجد. وأقبل - عليه الصلاة والسلام - حتى إذا نزل بـ «ذى أوان» بفتح الهمزة بلفظ الأوان للحين، وبينها وبين المدينة ساعة جاءه خبر مسجد الضرار من السماء، فدعا مالك بن الدخشم، ومعن بن عدى العجلانى، فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه، وحرقاه، فخرجا فحرقاه وهدماه، وذلك بعد أن أنزل الله فيه ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا ﴾ [التوبة: ١٠٧] الآية[(٣)].

قال الواحدى قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة أهل التفسير: إن الذين اتخذوا مسجد الضرار قالوا: نقيل فيه فلا نحضر خلف محمد، قال المفسرون: ولما بنوا ذلك؛ لأغراضهم الفاسدة عند ذهاب رسول الله ﷺ إلى تبوك: قالوا: يا رسول الله بنينا مسجدًا، لذى العلة، والليلة المطيرة، ونحن نحب أن تصلى فيه، وتدعو لنا بالبركة فقال - عليه الصلاة والسلام - إنى على جناح سفر، وإذا قدمنا إن شاء الله - تعالى - صلينا فيه - فلما قفل من غزوة تبوك، سألوه إتيان المسجد فنزلت هذه الآية[(٤)].

ولما دنا ﷺ خرج الناس لتلقيه، وخرج النساء، والصبيان، والولائد يقلن: [من مجزوء الرمل]

طَلَعَ البَدرُ علينَا ... مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَدَاع

وَجَبَ الشُّكرُ عَلَيْنَا ... مَا دَعَا لِلَّهِ دَاع[(٥)]

وقد وهم بعض الرواة - كما قدمته - إذ قال: إنما كان هذا عند مقدمه المدينة، وهو وهم ظاهر؛ لأن ثنيات الوداع إنما هى من ناحية الشام، لا يراها القادم من مكة

---

(١) أخرجه أبو عبيد في كتاب الأموال الحديث (٦٢٨).

(٢) الطبقات (٢/ ١٢٧).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٤/ ١٧١)، ودلائل النبوة (٥/ ٢٥٩).

(٤) ينظر أسباب النزول للواحدي (٢٦٥) والدر المنثور (٣/ ٤٩٤-٤٩٥).

(٥) ينظر: الدلائل (٥/ ٢٦٦)، والبداية والنهاية (٥/ ٢٨-٢٩) وسبل الهدى والرشاد، (٥/ ٤٦٩).

إلى المدينة ولا يراها إلا إذا توجه إلى الشام.

وفى «البخارى» لما رجع ﷺ من غزوة تبوك، فدنا من المدينة قال: إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم، حبسهم العذر[(١)]، وهو يؤيد معنى ما روى «نية المرء خير من عمله»[(٢)] فإن نية هؤلاء أبلغ من عملهم، فإنها بلغت بهم مبلغ أولئك العاملين بأبدانهم، وهم على فرشهم فى بيوتهم، والمسابقة إلى الله - تعالى - إلى الدرجات العلا بالنيات، والهمم، لا بمجرد الأعمال.

ولما أشرف ﷺ على المدينة، قال: هذه طابة، وهذا أحد، جبل يحبنا، ونحبه[(٣)].

ولما دخل قال العباس: يا رسول الله، ائذن لى أمتدحك، قال: «قل لا يفضض الله فاك»[(٤)]. وقد تقدم ذكرها، وتبيين غريب ألفاظها، ومعانيها.

وجاءه ﷺ من كان تخلف عنه، فعذرهم، واستغفر لهم، وأرجأ أمر كعب، وصاحبيه حتى نزلت توبتهم فى قوله تعالى: ﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ إلى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١١٧، ١١٨] والثلاثة هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة[(٥)].

وعند البيهقى فى الدلائل من مرسل سعيد بن المسيب، «أن أبا لبابة لما أشار لبنى قريظة بيده إلى حلقه، أنه الذبح فأخبر عنه رسول الله ﷺ بذلك، فقال له ﷺ: أحسبت أن الله غفل عن يدك حيث تشير إليهم بها إلى حلقك. فلبث حينا، ورسول الله عاتب عليه، ثم غزا تبوكا، فتخلف عنه أبو لبابة فيمن تخلف، فلما قفل رسول الله ﷺ منها جاء أبو لبابة يسلم عليه، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ففزع أبو لبابة فارتبط

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٣٩) من حديث أنس.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦٨٥٩) عن أنس وقال: هذا إسناد ضعيف. وقد تقدم تخريجه في الجزء الأول وأخرجه الطبراني في الكبير (٥٩٤٢) ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٥٥) وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٢٣٧) من طريق آخر من حديث سهل بن سعد.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٢٢) من حديث أبي حميد الساعدي، ومسلم في الحج (٥٠٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٦٦)، وفي السنن (٦/ ٣٧٢)، وانظر السبل (٥/ ٤٦٩).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٦٤)، والحاكم (٣/ ٣٢٦-٣٢٧)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٢٦٧) من حديث خريم بن أوس بن حارثة بن لام. وانظر سبل الهدى والرشاد (٥/ ٤٦٩).

(٥) أخرجه مطولاً البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٥٣-٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك.

بسارية التوبة سبعًا، وقال: لا يزال هذا مكانى حتى أفارق الدنيا، أو يتوب الله على...» الحديث[١]. وعنده - أيضًا - من حديث ابن عباس من قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ [التوبة: ١٠٢] قال: «كانوا عشرة تخلفوا عن النبى ﷺ فى غزوة تبوك، فلما رجع ﷺ، أوثق سبعةٌ منهم أنفسهم بسوارى المسجد، وكان ممر النبى ﷺ إذا رجع فى المسجد عليهم، فقال: من هؤلاء؟ قالوا أبو لبابة، وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله حتى تطلقهم، وتعذرهم، قال: أقسم بالله لا أطلقهم، ولا أعذرهم حتى يكون الله الذى يطلقهم، رغبوا عنى، وتخلفوا عن الغزو، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ [التوبة: ١٠٢] فلما نزلت أرسل إليهم النبى ﷺ فأطلقوا، وعذروا...» الحديث[٢].

قالوا: ولما قدم عليه الصلاة والسلام من تبوك وجد عويمر العجلانى امرأته حبلى؛ فلاعن عليه الصلاة والسلام بينهما[٣].

وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ. وقال حسان بن ثابت، يعدد أيام الأنصار مع رسول الله ﷺ، ويذكر مواطنهم معه فى أيام غزوه: [من البسيط]

أَلَسْتَ خَيْرَ مَعَدٍّ كلِّهَا نفرًا ... ومَعْشَرًا إنْ هُم عُمُّوا وإنْ حُصِلُوا
قَومٌ هُمُ شَهِدُوا بَدْرًا بأَجْمَعِهِمْ ... مَعَ الرَّسُولِ فَمَا أَلَوْا وَمَا خَذَلُوا
وَبَايَعُوهُ فَلَمْ يَنْكُثْ بِهِ أَحَدٌ ... منهُمْ وَلَمْ يَكُ فِى إِيمَانِهِمْ دَخَلُ
ويومَ صَبَّحَهُمْ فِى الشِّعْبِ مِنْ أُحُدٍ ... ضَرْبٌ رَصِينٌ كَحَرِّ النَّارِ مُشْتَعِلُ
ويوم ذِى قَرَدٍ يومَ استَثَارَ بهمْ ... عَلَى الجِيادِ فَمَا خَامُوا وما نَكَلُوا
وذَا العُشَيرةِ جاسُوها بخَيْلِهِمُ ... مَعَ الرسولِ عليهَا البيضُ والأَسَلُ
ويومَ ودَّانَ أَجْلَوا أهلَهُ رَقَصًا ... بالخَيْلِ حتَّى نَهَانا الحزنُ والجبلُ
وليلَةً طلَبُوا فيها عدُوَّهُمُ ... للَّه واللهُ يجْزِيهمْ بِمَا عَمِلُوا
وغزوةً يَومَ نَجْدٍ ثم كانَ لَهُمْ ... مَعَ الرَّسُولِ بهَا الأَسْلابُ والنَّفَلُ

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/ ٢٧٠-٢٧١).
(٢) أخرجه الطبري (٦/ ٤٦٠) رقم (١٧١٥٢)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٢٧٢)، وابن أبي حاتم، وابن مردويه كما في الدر المنثور (٣/ ٤٨٨).
(٣) حديث الملاعنة متفق عليه أخرجه البخاري (٥٢٥٩)، ومسلم (١-١٤٩٢).

وليلةَ بحنينٍ جَالدُوا معهُ فيها يعلهم بالحربِ إذْ نهَلُوا
وغَزْوةَ القَاعِ فرقْنَا العدوَّ بهِ كَمَا تَفرَّق دون المشربِ الرَّسَلُ
ويومَ بُويعَ كانُوا أَهْلَ بيعَتِهِ عَلى الجِلَادِ فآسَوْهُ ومَا عَدَلُوا
وَغزوةَ الفتْحِ كانُوا في سريَّتِهِ مُرَابطِين فَمَا طاشُوا ومَا عَجِلُوا
ويومَ خَيْبرَ كانُوا فِى كَتيبَتِهِ يَمْشُونَ كلُّهُمُ مستبسِلٌ بَطَلُ
بالبيضِ تُرعَشُ فى الأيمَانِ عَارِيةً تعوجُ فى الضَّربِ أحيانًا وتعتَدلُ
ويومَ سارَ رَسولُ اللَّهِ محتَسِبًا إلى تبوكَ وهمْ راياتُه الأولُ
وسَاسَةُ الحربِ إنْ حربٌ بدَتْ لهمُ حتَّىٰ بَدَا لَهُمُ الإقْبَالُ والقَفَلُ
أولئكَ القومُ أنصَارُ النبيِّ وهم قَوْمِى أَصِيرُ إليهم حينَ أتَّصِلُ
ماتُوا كِرامًا ولمْ تُنْكَثْ عهُودُهمُ وقَتْلُهم فى سبيل اللَّه إذْ قتلُوا[1]

وقال حسان بن ثابت أيضًا: [من الطويل]

وكنَّا ملوكَ الناسِ قبلَ محمَّدٍ فلمَّا أَتىٰ الإِسلامُ كانَ لنَا الفضْلُ
وأكرمنَا اللَّهُ الذى ليسَ غيرُه إله بأيامِ مَضتْ مَا لها شَكْلُ
بنصرِ الإلٰهِ والرَّسولِ ودينِهِ وألبسنَاهُ اسمًا مَضَى مَا له مِثْلُ
أولئك قومِى خيرُ قَومٍ بأسرهم فَمَا عُدَّ من خَيْرٍ فقومِى لهُ أهلُ
يَرُبُّونَ بالمعروفِ معروفَ من مَضَىٰ وليسَ عليهم دُونَ معروفِهم قفلُ
إذا اختبُطوا لمْ يفحِشُوا في نديِّهم وليسَ عَلَى سُؤالهم عِنْدهم بخلُ
وإنْ حَارَبُوا أَوْ سَالموا لَمْ يشبهُوا فحربُهُمُ حتْفٌ وسَلْمُهُمُ سَهْلُ
وَجَارهُمُ موفٍ بعلْيَاء بَيْتُهُ لَهُ ما ثوىٰ فينَا الكَرامةُ والبَذْلُ
وحامِلُهم موفٍ بكلِّ حَمَالةٍ تحمَّل لا غرمٌ عليه ولا خَذْلُ
وقائلُهم بالحقِّ إن قَال قَائِلٌ وحِلْمُهُمُ عَوْدٌ وحكْمُهُمُ عَدْلُ
ومنَّا أمينُ المسلِمينَ حياتَهُ وَمنْ غسلتْهُ مِنْ جَنابَتِهِ الرّسْلُ[2]

وقال أيضًا: [من المتقارب]

قَومى أولئِكَ إنْ تَسألِى كرامٌ إذا الضَّيفُ يومًا ألَم

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٤/ ١٩٩-٢٠٠)، والبداية والنهاية (٥/ ٤٣-٤٤).
(٢) ينظر: السيرة النبوية (٤/ ٢٠٠).

عِظَامُ القُدُورِ لأَيْسَارِهِم ... يكبُونَ فيها السَّمينَ السَّنِمْ[١]
يُواسُونَ جَارهُمُ فِى الغِنَىٰ ... ويَحْمُونَ مَوْلاَهُمُ إن ظُلِمْ
فكَانُوا مُلُوكًا بَأَرضيهِمُ ... ينادون غُضبًا بِأمْرٍ غشِمْ
مُلوكًا عَلَىٰ النَّاسِ لَمْ يُملَكُوا ... مِنَ الدَّهرِ يَوْمًا كحِلِّ القَسَمْ
فَأَنبَوْا بِعَادٍ وأَشْيَاعِها ... ثَمُود وبعض بَقَايَا إرَمْ
بيثْرِبَ قَدْ شيدُوا في النَّخِيل ... حُصونًا ودُجنَ فيها النَّعَمْ
نَواضِحَ قَدْ علَّمَتْهَا اليهو ... دُ علّ[٢] إليكَ وَقَوْلاً هَلُمّ
وفيها اشْتَهوا مِنْ عصِير القِطَافِ ... وعيش رخى[٣] عَلَىٰ غيرِهِمْ
فَسِرْنَا إِلَيْهِم بأثْقَالِنَا ... عَلَىٰ كلِّ فَحْلٍ هِجَانٍ قِطِمْ
جَنَبْنَا بهن جِيَادَ الخيو ... لِ والزحفُ مِنْ خَلْفِهِم قَدْ دهَمْ[٤]
فَطَارُوا سَراعًا وقَدْ أُفزِعُوا ... وجِئْنَا إلَيْهِمْ كَأُسْدِ الأَجَمْ
عَلَى كُلِّ سَلْهَبَةٍ فى الصِّيَا ... ن[٥] لاَ تَشْتَكِينَ لطُولِ السَّأَمْ[٦]
وكل كميت مُطَارِ الفُؤَاد ... أمينِ الفُصوصِ كمِثْلِ الزُّلَمْ
عَلَيْهَا فوارسُ قَدْ عوِّدُوا ... قِرَاعَ الكمَاةِ وضرْبَ البُهَمْ
ملوكٌ إِذَا غَشَمُوا فى البِلاَ ... دِ لاَ يَنكلُونَ ولكِنْ قُدُمْ
فأُبْنَا بِسَادَاتِهم والنِّسَاء ... وَأولادهُم فيهِمُ تقْتَسِمْ
ورِثنا مسَاكنهُم بعدَهُم ... وكنَّا ملوكًا بِهَا لم نرِمْ
فلمَّا أتانَا الرسولُ الرشيـ ... ـدُ بالحقِّ والنُّورِ بعْدَ الظُّلَمْ
فَقُلْنَا صَدَقْتَ رَسُولَ المليكِ ... هلُم إلينا وفينَا أَقِمْ

---

(١) في السيرة: المُسِنّ. والسنم: عظيم السنام.
(٢) علّ: كلمة تزجر بها الإبل.
(٣) في السيرة النبوية: والعيش رخوًا.
(٤) في السيرة النبوية: قد جللوها جلال الأدم. وجللوها: غطوها. وفيها بعد هذا البيت:
فلما أناخوا بجنبي صدار ... وشدوا السروج بلى الحزم
فما راعهم غير معج الخيو ... ل والزحف من خلفهم قد دهم.
(٥) في السيرة: الصبان. والسلهبة: الفرس السريعة.
(٦) في السيرة: تشتكين نحول السأم.

فَنَشْهَدُ أنَّكَ عبدُ الإلـ ... ـه أُرْسِلتَ نورًا بدِينِ قيِمْ
فَإنَّا وَأولادنَا جُنَّةٌ ... نَقِيكَ وفى مَالِنَا فاحْتَكِمْ
فَنَحْنُ ولاتكَ[1] إنْ كذبُوك ... فناد نِدَاء ولا تَحتشِمْ
ونادِ بمَا كنتَ أخفَيْتَهُ ... نداءً جهارًا ولا تَكتتِمْ
فَسَار الغواةُ بأسيَافِهم ... إليه يظنُّونَ أن يخْترمْ
فقُمْنَا إليهم بأسْيَافِنَا ... نجالدُ عنه بُغَاةَ الأمَمْ
بكلِّ صقيلٍ لهُ مَيْعَةٌ ... رقيق الذُّبابِ عَضُوضٍ خَذِمْ
إذا مَا يصادفُ صمَّ العظَا ... م لَمْ ينبُ عَنْهَا ولم ينثَلِمْ
فَذلك مَا ورَّثَتْنَا القرو ... مُ مَجْدًا تليدًا وعزًّا أشم
إذا مرَّ نَسْلٌ كَفَىٰ نسلَهُ ... وغَادَرَ نَسْلاً إذا مَا انفصمْ
فَمَا إنْ من النَّاسِ إلا لَنَا ... عليه وإنْ خَاسَ فضل النعَمْ[2]

وفيها بنى ﷺ فى طريقه مساجد حين رجع من تبوك[3]، وقدم فى رمضان، وأمر بمسجد الضرار أن يحرق، واشترى ﷺ جمل جابر مرجعه، فلما قدموا إلى المدينة أعطاه الجمل والثمن، كما تقدم ذكر ذلك.

وفيها بعث المصدقين لأخذ الصدقات: عيينة بن حصن إلى بنى تميم كغيرهم، والوليد بن عقبة إلى بنى المصطلق؛ ليأخذ الصدقة، فخرجوا بالسلاح، فرحا به، فولّى راجعًا، وأخبر بمنعهم فهم ﷺ أن يبعث لهم جيشا، فنزل ﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ٦].

وفيها سرية عبد الله بن عوسجة إلى بني حارثة، مستهل صفر يدعوهم إلى الإسلام فرقعوا بالصحيفة أسفل دلوهم، وأبوا الإجابة، فدعا ﷺ عليهم بذهاب عقلهم فهم إلى اليوم فى رعدة، وعجلة، واختلاط كلام.

وقطبة بن عامر إلى خثعم بناحية بيشة من مخاليف «مكة» فى صفر فى عشرين رجلاً، فقتلوا منهم، وغنموا.

---

(١) في السيرة: أولئك.
(٢) ينظر: السيرة النبوية (٤/ ٢٠٠-٢٠٢).
(٣) ينظر: السيرة النبوية (٤/ ١٧٢).

وعلقمة بن محرز المدلجى إلى الحبشة فى ثلاثمائة، لما تراءى أهل جدة ناسًا من الحبشة، فخاض إليهم فهربوا، فلما رجعوا، وكان أمره على من تعجل فى الرجوع - ومعه عبد الله بن حذافة السهمى، أو هو الأمير كما فى بعض الروايات، فأجج نارًا وأرادهم على الوثوب، ثم كف عن ذلك، فبلغه ﷺ ذلك فقال: من أمركم بمعصية فلا تطيعوه.

وعليا إلى القلس صنم لطيئ فى مائة وخمسين، أو مائتين، فهدمه، وغنم غنائم من آل حاتم، ثم لما ظفروا بهدمه هرب عدى بن حاتم إلى الشام ، وكلم النبيّ ﷺ أخت عدى سفانة بنت حاتم أن يمن عليه فمن عليه، ثم قدم وأسلم.

وعكاشة بن محصن إلى الحباب أرض عذرة، وبلي، وغطفان، أو فزارة، وكلب، ولعذرة فيها شركة.

وأبا سفيان، والمغيرة؛ لهدم الطاغية، وغيرها، فهدماها وأخذا مالها.

وفيها قدم وفد بنى أسد فقالوا: جئنا قبل أن ترسل إلينا فنزل ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ﴾ [الحجرات:١٧] الآية. وتتابعت الوفود: تميم، وعبس، وفزارة، وغيرهم مما لا ينحصر(١).

وفيها حج أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - بالناس فى ثلاثمائة رجل، ومعه عشرون بدنة. وبعث عليا خلفه بسورة براءة، لينبذ إلى كل ذى عهد عهده، وألاَّ يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، فأدركه عليٌّ بالعرج مبلغًا لا أميرًا(٢)، وكان حجهم فى ذلك العام فى ذى القعدة.

وفيها مات النجاشى، فخرج ﷺ إلى المصلى، والناس معه، فصلوا عليه(٣)، ومات عبد الله بن أبى، المنافق، فصلى عليه فنزل ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ [التوبه: ٨٤]، وآلى من نسائه شهرًا. ولاعن بين عويمر العجلانى، أو هلال ابن أمية، وامرأته خولة بنت عاصم، أو بنت قيس، أو غير ذلك - على الاختلاف - لما رماها بشريك بن السحماء فى شعبان عند قدومه من تبوك فوجدها حبلى ونزلت

(١) ينظر: مغازي الواقدي (٣/ ١٠٧٦)، وتاريخ الطبري (٣/ ١٢٢).
(٢) ينظر: السيرة النبوية (٤/ ١٨٩)، ودلائل النبوة (٥/ ٢٩٥).
(٣) ينظر: تاريخ الطبري (٣/ ١٢٢)، والبداية والنهاية (٥/ ٤٧).

حينئذ آية اللعان.

قال فى المواهب: حجة أبى بكر الصديق سنة تسع فى ذى القعدة، كما ذكره ابن سعد[(١)]، وغيره بسند صحيح عن مجاهد، ووافقه عكرمة بن خالد فيما أخرجه الحاكم فى الإكليل، وقال قوم: فى ذى الحجة، وبه قال الداودى والثعلبى والماوردى؛ ويؤيده أن ابن إسحاق صرح بأن النبى ﷺ أقام بعدما رجع من تبوك رمضان، وشوالاً، وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر أميرًا على الحج، فهو ظاهر فى أن بعث أبى بكر كان بعد انسلاخ ذى القعدة، فيكون حجه فى ذى الحجة على هذا، والله أعلم.

وكان مع أبى بكر ثلاثمائة رجل من المدينة، وعشرون بدنة.

وفى البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن أبا بكر بعث فى الحجة التى أمره رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع فى رهط يؤذن فى الناس يوم النحر ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ثم أردف النبى ﷺ بعلى بن أبى طالب وأمره أن يؤذن ببراءة، فأذَّن معلنًا فى أهل منى ببراءة، وألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، قال فنبذ أبو بكر إلى الناس فى ذلك العام، فلم يحج فى العام القابل الذى حج فيه رسول الله ﷺ حجة الوداع - مشرك، فأنزل الله تعالى فى العام الذى نبذ فيه أبو بكر إلى المشركين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ ﴾ [التوبة: ٢٨] الآية[(٢)]. وقد دلت هذه الآية الكريمة على نجاسة المشرك يعنى نجاسة اعتقاده، وأما نجاسة بدنه: فالجمهور على أنه ليس بنجس البدن، والذات، وذهب بعض الظاهرية إلى نجاسة أبدانهم، وهذا ضعيف؛ لأن أعيانهم لو كانت نجسة كالكلب والخنزير لما طهرهم الإسلام، ولاستوى فى النهى عن دخول المشركين المسجدُ الحرام، وغيره من المساجد، فالمراد نجاسة الخبث لما فيهم من خبث الظاهر بالكفر، وخبث الباطن بالعداوة، قاله مقاتل.

---

(١) في المطبوع من طبقات ابن سعد (٢/ ١٢٧): في ذي الحجة سنة تسع من مهاجر رسول الله ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٥٥، ٤٦٥٦)، ومسلم (٤٣٥-١٣٤٧) وهذا لفظ البخاري.

وروى النسائى عن جابر أن النبى ﷺ لما رجع من عمرة الجعرانة بعث أبا بكر على الحج، فأقبلنا معه حتى إذا كنا بالعرج، ثوّب بالصبح، فلما استوى للتكبير، سمع الرغوة وراء ظهره، فوقف عن التكبير فقال: هذه رغوة ناقة رسول الله ﷺ الجدعاء، لقد بدا لرسول الله ﷺ فى الحج، فلعله أن يكون رسول الله ﷺ فنصلى معه، فإذا علىٌّ عليها، فقال له أبو بكر: أمير أم رسول؟ قال: رسول، أرسلنى رسول الله ﷺ ببراءة، أقرأها على الناس فى مواقف الحج. فقدمنا مكة، فلما كان قبل التروية بيوم، قام أبو بكر، فخطب الناس، فحدثهم عن مناسكهم حتى إذا فرغ، قام على، فقرأ على الناس براءة حتى ختمها. ثم إذا كان يوم النحر، فأفضنا، قام أبو بكر، فخطب الناس، فحدثهم عن إفاضتهم، وعن نحرهم، وعن مناسكهم، فلما فرغ قام على، فقرأ على الناس براءة حتى ختمها. فلما كان يوم النفر، فأفضنا، قام أبو بكر، فخطب الناس، فحدثهم كيف ينفرون، وكيف يرمون، ويعلمهم مناسكهم، فلما فرغ قام على، فقرأ على الناس براءة حتى ختمها(١). وهذا السياق فيه غرابة من جهة أن أمير الحج سنة الجعرانة إنما هو عتاب بن أسيد، فأما أبو بكر - رضى الله عنه - فإنما كان سنة تسع، واستدل بهذه القصة على أن فرض الحج كان قبل حجة الوداع، والأحاديث فى ذلك شهيرة كثيرة. وذهب جماعة إلى أن حج أبى بكر هذا لم يسقط عنه الفرض، بل كان تطوعًا قبل فرض الحج، ولا يخفى ضعفه.

وفى هذه السنة مات عبد الله بن أبىّ ابن سلول، فجاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه، ثم سأله أن يصلى عليه، فقام عمر - رضى الله عنه - فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، تصلى عليه، وقد نهاك ربك أن تصلى عليه؟! فقال ﷺ إنما خيرنى الله عز وجل قال: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾ [التوبه: ٨٠] وسأزيد على السبعين، قال: إنه منافق، فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبه: ٨٤] رواه الشيخان(٢).

(١) أخرجه النسائي (٥/ ٢٤٧-٢٤٨) وضعفه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٣/ ٢٧٧٤)، والنسائي (٤/ ٣٦)، والترمذي (٣٠٩٨)، وابن ماجه (١٥٢٣)، وأحمد (٢/ ١٨) من حديث ابن عمر.

وفيها آلى من نسائه ﷺ شهرًا.

وجحش شقه أى خدش، وجلس فى مشربة له لها درج من جذوع، فأتاه أصحابه؛ يعودونه، فصلى بهم جالسًا وهم قيام، فلما سلم قال: إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا صلى قائمًا؛ فصلوا قيامًا، وإن صلى قاعدًا؛ فصلوا قعودًا، ولا تركعوا حتى يركع، ولا ترفعوا حتى يرفع.

ونزل لتسع وعشرين، فقالوا: يا رسول الله إنك آليت شهرًا فقال: إن الشهر يكون تسعًا وعشرين(١).

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٧٨)، من حديث حميد الطويل عن أنس بن مالك، دون تحديد السنة وأطرافه (٦٨٩، ٧٣٢، ٨٠٥، ١١١٤، ١٩١١، ٥٢٠١، ٦٦٨٤) وقال الحافظ في الفتح (٢/ ٤٠): وآلى من نسائه، أي: حلف لا يدخل عليهن شهرًا. وليس المراد الإيلاء المتعارف بين الفقهاء.

حوادث السنة العاشرة

فيها سرية خالد فى ربيع الأول إلى بنى عبد المدان بنجران، فأسلموا[١]، وجرير ابن عبد الله البجلى فى رمضان فى مائة وخمسين إلى ذى الخلصة - بيت أصنام لدوس، وخثعم، وبجيلة، ومن ببلادهم - وحديثه فى البخارى، قال جرير: فكسرناه، وقتلنا من وجدناه عنده، فدعا ﷺ لنا، ولأحمس[٢].

وفيها **حجة الوداع**[٣]، وتسمى: حجة البلاغ، وحجة الإسلام، خرج يوم الخميس لست بقين - أو يوم الجمعة، أو يوم السبت لخمس بقين - من ذى القعدة، ومعه ﷺ تسعون ألفا أو مائة وأربعة عشر ألفا، ووقف فيها يوم الجمعة، ونزل ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣] الآية.

ورجع من حجة الوداع لثلاث بقين من ذى الحجة، وفيها نزل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النور: ٥٨] الآية، وكانوا لا يفعلونه قبل ذلك.

وقدم وفد نجران فى اثنى عشر راكبًا، أميرهم العاقب عبد المسيح، والسيد إمامهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة أسقفهم، صالحوه عن أهل نجران.

قال فى المواهب: وكره ابن عباس أن يقال: حجة الوداع[٤].

وكان ﷺ قد أقام بالمدينة يضحى كل عام، ويغزو المغازى، فلما كان فى ذى القعدة سنة عشر من الهجرة - أجمع الخروج إلى الحج. قال ابن سعد: ولم يحج غيرها منذ تنبأ إلى أن توفاه الله تعالى[٥].

وفى البخارى عن زيد بن أرقم أن النبى ﷺ حج بعد ما هاجر حجة واحدة لم يحج بعدها، وهى حجة الوداع[٦]. قال ابن إسحاق: وبمكة أخرى، قيل: حج

(١) ينظر: السيرة النبوية (٤/ ٢٣٥)، وتاريخ الطبري (٣/ ١٢٦)، والبداية والنهاية لابن كثير (٥/ ١١٤).
(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥٥)، ومسلم (١٣٦-٢٤٧٦).
(٣) ينظر: السيرة النبوية (٤/ ٢٤٥)، والمغازي للواقدي (٣/ ١٠٨٨)، وطبقات ابن سعد (٢/ ١٣٠)، وتاريخ الطبري (٣/ ١٥٩)، والبداية والنهاية لابن كثير (٥/ ١٢٧).
(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ١٤٤)، وفيه قال: فقلت حجة الإسلام؟ قال: نعم حجة الإسلام.
(٥) طبقات ابن سعد (٢/ ١٣١).
(٦) أخرجه البخاري (٤٤٠٤)، ومسلم (٢١٨-١٢٥٤).

بمكة حجتين، هذا بعد النبوة، وقبلها لا يعلمه إلا الله[١]. فخرج ﷺ من المدينة يوم السبت لخمس ليال بقين من ذى القعدة، وجزم ابن حزم بأن خروجه كان يوم الخميس، وفيه نظر؛ لأن أول ذى الحجة كان يوم الخميس قطعًا، لما ثبت، وتواتر أن وقوفه بعرفة كان يوم الجمعة[٢]. لكن ثبت فى الصحيحين عن أنس: صلينا مع النبى ﷺ الظهر بالمدينة أربعًا، والعصر بذى الحليفة ركعتين[٣]، فدل على أن خروجهم لم يكن يوم الجمعة. ويحمل قول من قال لخمس بقين، أى: إن كان الشهر ثلاثين، فاتفق أن جاء تسعًا وعشرين، فيكون يوم الخميس أول ذى الحجة بعد مضى أربع ليال، لا خمس، وبها الأخبار.

هكذا جمع الحافظ عماد الدين بن كثير الروايات[٤]، وقوى هذا الجمع بقول جابر: إنه خرج لخمس بقين من ذى القعدة، أو أربع[٥]، وصرح به الواقدى: بأن خروجه - عليه الصلاة والسلام - كان يوم السبت لخمس بقين من ذى القعدة، وكان خروجه من المدينة بين الظهر[٦]، والعصر، وكان دخوله مكة صبح رابعه، كما ثبت فى حديث عائشة[٧]، وذلك يوم الأحد، وهذا يؤيد أن خروجه من المدينة كان يوم السبت، كما تقدم، فيكون مكث فى الطريق ثمان ليال، وهى المسافة

(١) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٤٤٥) في شرحه لحديث زيد: بل الذي لا أرتاب فيه أنه لم يترك الحج وهو بمكة قط، لأن قريشًا في الجاهلية لم يكونوا يتركون الحج، وإنما يتأخر منهم عنه من لم يكن بمكة أو عاقه ضعف.

(٢) أخرج البخاري (٤٥)، ومسلم (٥-٣٠١٥) عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرءونها لو أنزلت علينا معشر اليهود، لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا. قال: أيُّ آية؟ قال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم جمعة.

(٣) أخرجه البخاري (١٥٥١)، ومسلم (١٠-٦٩٠) وهذا لفظ البخاري.

(٤) ينظر: البداية والنهاية (٥/ ١٢٨-١٢٩).

(٥) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/ ٤٣٢)، وهذا الحديث أصله في مسلم (١٤٧-١٢١٨).

(٦) ينظر: مغازي الواقدي (٣/ ١٠٨٩).

(٧) أخرج البخاري (١٧٠٩)، ومسلم (١٢٥-١٢١١) من طريق عمرة عن عائشة قالت: «خرجنا مع رسول الله ﷺ لخمس بقين من ذي القعدة. . .» الحديث. وأخرج مسلم (١٣٠-١٢١١) عن ذكوان مولى عائشة عن عائشة قالت: «قدم رسول الله ﷺ لأربع مضين من ذي الحجة أو خمس. . .» الحديث.

الوسطى، وخرج معه - عليه الصلاة والسلام - تسعون ألفًا، ويقال: مائة ألف وأربعة عشر ألفا، ويقال : أكثر من ذلك، كما حكاه البيهقى، ورجع - عليه الصلاة والسلام - من حجة الوداع لثلاث بقين من ذى الحجة.

* * *

حوادث السنة الحادية عشرة من الهجرة

فيها سرية أسامة بن زيد إلى أهل أُبنى بالسراة ناحية البلقاء[١]، يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر؛ لغزو الروم، مكان قتل أبيه زيد، ومعه أبو بكر، وعمر، وغيرهما. فمرض ﷺ، فعوقهم ذلك، وثقل ﷺ، فجعل يقول: أنفذوا بعث أسامة، ودخل عليه أسامة يوم الاثنين، وقد أصبح مفيقًا، فقال له: اغد على بركة الله، فودَّعه، وخرج، ثم تأخر حتى توفى رسول الله ﷺ، فخرج حتى وصل إلى أهل أبنى فى عشرين ليلة، فشن عليهم الغارة، وكان شعارهم: يا منصور أمت. فقتل، وحرق، وغنم[٢].

وقبل وفاته - عليه الصلاة والسلام - بسبع ليال، أو ثلاث ليال، أو ثلاث ساعات، أو بأحد وثمانين يومًا، أو عشرين، أو غير ذلك على الخلاف - نزل قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨١] فهى آخر آية نزلت[٣]. وفى البخارى عن ابن عباس: إن آية الربا آخر آية نزلت[٤]. والجمع ممكن[٥]، وفى آخر ما نزل أقوال غير ذلك[٦]. وأما أول ما نزل ف﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق: ١] الآيات الخمس. قال القشيرى: ثم نون والقلم، ثم المزمل، ثم المدثر، ثم تبت، ثم كذا إلى آخر ما ذكر من الترتيب، ولبسط ذلك، وتمييز المدنى من المكى تآليف مخصوصة لسنا بصددها.

فصل فى صفاته الحسية ﷺ

كان ربعة، بعيد ما بين المنكبين، أبيض اللون، مشربا بحمرة، رجل الشعر

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٤/ ٢٥٣)، ومغازي الواقدي (٣/ ١١١٧) وطبقات ابن سعد (٢/ ١٤٥)، وتاريخ الطبري (٣/ ١٨٤).

(٢) ينظر الخبر بطوله في مغازي الواقدي (٣/ ١١١٧-١١٢٤)، وطبقات ابن سعد (٢/ ١٤٥-١٤٧).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٣٠٧) رقم (١١٠٥٨)، والطبراني في الكبير (١١/ ٣٧١) رقم (١٢٠٤٠)، والطبري (٣/ ١١٥) رقم (٦٣٠٨)، والبيهقي في الدلائل (٧/ ١٣٧) من حديث ابن عباس. وقال الهيثمي (٦/ ٣٢٧): رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما ثقات.

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٤٤).

(٥) ينظر في ذلك فتح الباري (٩/ ٦٦).

(٦) ينظر: دلائل النبوة (٧/ ١٣٦-١٣٩).

أسوده، يبلغ شحمة أذنيه إذا طال، ونصف ذلك إذا قصر،لم يبلغ الشيب فى رأسه، ولحيته عشرين شعرة، واسع الجبين، أزجّ الحواجب، فى غير قرن، أدعج العينين، أقنى العرنين، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، حلو المنطق، يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر، حسن الخلق معتدله، عريض الصدر، موصول ما بين لبته وسرته بشعر يجرى كالخط، أشعر الذراعين، والمنكبين، وأعالى الصدر، عالى اليدين، والبطن فيما سوى ذلك، أجلَّ الناس، وأبهاه من بعيد، وأحسنه، وأحلاه من قريب ، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما، وعلاه البهاء، بين كتفيه خاتم النبوة مثل بيضة الحمامة، لونه لون جسده عليه خيلان، روى أنه مكتوب فى باطنه: الله وحده لا شريك له، وفى ظاهره: توجه حيث شئت، فإنك منصور. ويروى - أيضًا - أن المكتوب فيه: محمد رسول الله، وقيل: غير ذلك. يقول واصفه ﷺ: لم أر قبله مثله، ولا بعده مثله(١).

فصل فى صفاته المعنوية وأخلاقه ﷺ

قالت عائشة: كان خلقه القرآن(٢)؛ يغضب لغضبه، ويرضى لرضاه.

وكان أحلم الناس، قيل له: ألا تدعو على المشركين؟ قال: إنما بعثت رحمة، ولم أبعث عذابًا(٣).

وكان أشجع الناس، قال على: كنا إذا حمى(٤) البأس، والتقى القوم - اتقينا برسول الله ﷺ(٥).

وأعدل الناس، القريب والبعيد، والقوى والضعيف عنده سواء.

---

(١) ينظر: دلائل النبوة (١/ ٢٦٨)، وتاريخ الطبري (٣/ ١٧٩)، والبداية والنهاية (٦/ ١٣،٤-٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٩-٧٤٦)، وأبو داود (١٣٤٢)، والنسائي (٣/ ١٩٩).

(٣) أخرجه مسلم (٨٧-٢٥٩٩) عن أبي هريرة به ولفظه «إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة».

(٤) في شرح السنة وفي صحيح مسلم (احمرّ) والمعنى: اشتد الحرب. وانظر شرح السنة (٧/ ٤٧).

(٥) ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (٤٦٢-السيرة) وأبو الشيخ في أخلاق النبي ((٥٨)، والبغوي في شرح السنة (٧/ ٤٧-بتحقيقنا) وله شاهد من حديث البراء عند مسلم (٧٩/ ١٧٧٦)، وأبو الشيخ في الأخلاق (٥٨)، ولفظه: «إذا احمرّ البأس».

وأعف الناس، وأسخاهم، لا يسأل شيئًا إلا أعطاه، لا يبيت عنده دينار، ولا درهم، فإن فضل، ولم يجد من يعطيه، وفجأه الليل لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ مما أعطاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد، ويضع سائر ذلك فى سبيل الله، ثم يعود على قوت عامه، فيؤثر منه.

وكان أشد حياء من العذراء فى خدرها، لا يثبت نظره فى وجه أحد، غاض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظ، وأكثر تواضعًا: يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويفليه - قلت: معنى يفليه ليس من القمل كما هو المتبادر؛ لأن القمل لا يلحق جسده الشريف، وإنما المراد بالتفلية: التنقية من نحو قشة، أو غبار، وما أشبهها - ويخيطه، ويخدم فى مهنة أهله ، ويقطع اللحم معهن، ويجيب دعوة الحرّ، والعبد، ويقبل الهدية وإن قلت، ويكافىء عليها، ويأكلها، ولا يأكل الصدقة.

تستتبعه الأمة والمسكين فيتبعهما حيث دعواه، ويجيب الفقراء، والمساكين، ويجالسهم، ويواكلهم، وأصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، وأرحمهم، يصغى الإناء للهرة فما يرفعه حتى تروى؛ رحمة لها. وأشدهم إكرامًا لأصحابه، لا يمد رجله بينهم، ويوسع عليهم إذا ضاق المجلس، ويتفقدهم ويسأل عنهم: من مرض عاده، ومن غاب دعا له، ومن مات استرجع، وأتبع ذلك بالدعاء له، ومن تخوف أنه وجد فى نفسه انطلق حتى يأتيه فى منزله.

ويقبل معذرة المعتذر، ويخرج إلى بساتين أصحابه، ويأكل من ضيافتهم، ولا يطوى بشره عن أحد، ولا يدع أحدًا يمشى خلفه، ويقول: خلوا ظهرى للملائكة، ولا يدع أحد يمشى معه، وهو راكب حتى يحمله، فإن أبى قال: تقدمنى، إلى المكان الذى تريد.

وأمر فى سفره بإصلاح شاة فقال رجل: عليّ ذبحها، وآخر عليّ سلخها، وآخر عليّ طبخها، فقال ﷺ: وعليّ جمع الحطب، فقالوا: نحن نكفيك، قال: قد علمت، ولكن أكره أن أتميز عليكم، فإن الله يكره من عبد أن يراه متميزًا بين أصحابه، وقام بجمع الحطب.

يخدم مَنْ خدمه، ما ضرب قط خادمه، ولا امرأة، ولا شيئًا إلا فى جهاد، ولا

يترفع على عبيده وإمائه فى مأكل، ولا ملبس. قال أنس: خدمته عشر سنين، فما قال لى قط أف، ولا لِمَ فعلت، ولا ألا فعلت[1].

أكثر الناس تبسمًا، وأحسنهم بشرًا، لا يهوله شيء من أمور الدنيا، لا يحقر فقيرًا لفقره، ولا يهاب ملكًا لملكه، يلبس ما وجد من مباح، ويركب ما تيسر من فرس، أو بعير، أو بغلة، أو حمار، ويردف خلفه عبده، أو غيره، وقد روى فيمن أردفه أكثر من ثلاثين، يمسح وجه فرسه بطرف كمه أو طرف ردائه، يحب الفأل، ويكره الطيرة. إن جاء ما يحب قال: الحمد لله رب العالمين، أو ما يكره قال: الحمد لله على كل حال. يحب الطيب، ويكره الريح الرديئة، يمزح، ولا يقول إلا حقًا، يبدأ من لقيه بالسلام، لا يجلس، ولا يقوم إلا على ذكر، يجلس حيث انتهى به المجلس، ويأمر بذلك، ولا يقوم عمن يجالسه حتى يقوم إلا أن يتعجله، أو يستأذنه. ولا يقابل أحدًا بما يكره، ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح. لا يذم شيئا قط، وما عاب طعاما قط، إن اشتهاه أكله، وإلا تركه، يحفظ جاره، ويكرم ضيفه، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما أو قطيعة رحم؛ فيكون أبعد الناس منه.

أكثر جلوسه للقبلة، آتاه الله مفاتيح خزائن الأرض فلم يقبل، واختار الآخرة.

يعصب الحجر على بطنه من الجوع، يبيت هو وأهله الليالى طاوين، ولم يشبع من خبز بر ثلاثا تباعًا، ولا من خبز الشعير حتى لقى الله - عز وجل - إيثارا على نفسه لا فقرا، ولا بخلا. يأتى على أهله الشهر والشهران لا يوقد فى بيت من بيوته نار، ولا يأكل متكئا، ولا على خوان. فراشه من أدم حشوه ليف. يلبس الصوف، وينتعل المخصوف. أحب اللباس إليه الحبرة من برود اليمن فيها حمرة وبياض، يلبس الإزار الواحد ليس عليه غيره، يعقد طرفيه بين كتفيه، ويلبس يوم الجمعة برده الأحمر، ويعتم، وكان يلبس خاتما فضة، نقش فصه «محمد رسول الله» فى خنصره الأيمن، وربما لبسه فى الأيسر، ويكثر دهن رأسه، ولحيته، ويتبخر بالعود، والكافور، ويكتحل بالإثمد، ويتطيب بالغالية، والمسك أو بالمسك وحده.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩)، والبغوي في شرح السنة (٧/ ٣٢-بتحقيقنا).

فصل فى خصائصه ﷺ

فمن الواجبات: المشاورة فى الأمور، وتخيير نسائه بين أن يبقين فى عصمته أو لا، ومصابرة العدو الكثير، وتغيير المنكر من غير قيد عدم الخوف، وقضاء دين الميت المعسر المسلم، وليس منها وجوب الضحى، ولا الأضحى، ولا الوتر، ولا السواك، ولا التهجد، ونحو ذلك خلافا لمن زعمه.

ومن المحرمات: أخذ الصدقة واجبة كانت أو تطوعًا، والشعر، والخط والأكل متكئًا، وأكل ذى ريح كريه فى رأى قوى، ونزع لأمته إذا لبسها حتى يلقى العدو، ومدّ عينيه لما متع به الناس، وخائنة الأعين؛ بأن يومئ إلى مباح على خلاف ما يظهر، والمن ليستكثر، وإمساك من كرهت نكاحه.

ومن المباحات: مواصلة الصوم، واصطفاء ما يختار من الغنيمة كأخذه صفية، وسيفه ذا الفقار، وكان له خمس الخمس من الفيء، والغنيمة، وأربعة أخماس من الفيء، ودخول مكة بلا إحرام، وإن اختلف فى غيره، وأبيح له القتال بها ساعة يوم الفتح، وكانت من ضحوة إلى بعد العصر، ويقضى بعلمه قطعا، ولنفسه ولو كره، ويشهد أيضا لنفسه وولده، ويقبل من يشهد لهما، ويحيى الموات لنفسه، ويأخذ الطعام، والشراب من المالك المحتاج لهما، ويمكث بالمسجد جنبا، ومن يختاره معه فى ذلك كما أشركه معه فى ذلك، ولا ينتقض وضوؤه بنومه: [من البسيط]

... ... فالعين نائمة والقلب يقظان

وله أن يزوج من نفسه، وممن شاء بلا إذن، ويتولى الطرفين، ويزيد على أربع زوجات، بل وعلى تسع اللاتى اتفق اجتماعهن وهو العدد الذى مات عنه - أيضا - وينكح بلا ولى، ولا شهود، وفى حالة إحرامه، وبلفظ الهبة من المرأة، وبلا مهر لا حالا ولا مآلا. وأكثر المباح له لم يقع منه ﷺ.

ومن الفضائل والكرامات: تحريم أزواجه اللاتى دخل بهن، وفارقهن بموت، أو غيره على من سواه، وإنما هن أمهات المؤمنين فى ذلك، وفى احترامهن لا فى نحو نظر وخلوة، وتحريم بناتهن، وأخواتهن، وكذا من لم يدخل بهن على ما نص عليه الشافعى؛ لظاهر القرآن. ونساؤه أفضل النساء، وأفضلهن خديجة وعائشة.

وأمته خير الأمم، ولا تجتمع على ضلالة، وصفوفهم كصفوف الملائكة.

وأصحابه خير القرون، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.

وشرعه مؤبد ناسخ لما خالفه من الشرائع، وكتابه معجز يحفظ من التحريف والتبديل، مستمر بعد نبوته، ومعجزات غيره من الأنبياء انقرضت، ونصر بالرعب مسيرة شهر، وجعلت له الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت له الغنائم، وأعطى الشفاعة، والمقام المحمود، وله خمس شفاعات، وأكثر منها: فله الشفاعة العظمى فى فصل الموقف، وهى الأولى، فيفزع الكل إليه بعد دلالة الرسل عليه، ولو بتوسط الدلالة على من دل عليه إظهارًا لعلو مقامه، وانفراده بتمامه؛ والشفاعة فى قوم يدخلون النار؛ فلا يدخلونها، وهى الثالثة؛ وفى ناس دخلوها، فيخرجون منها، وهى الرابعة، وفى رفع الدرجات فى الجنة وهى الخامسة.

وله غيرهن شفاعته لمن مات بالمدينة، وفى جمع من صلحاء المؤمنين أن يتجاوز عنهم ما لعلهم قصروا فيه، وفى تخفيف العذاب عن بعض أهل النار كما فى عمه أبى طالب، وفى تخفيف عذاب القبر كما فى حديث غرز الجريدتين فى القبرين[1]؛ وفى فتح باب الجنة والجواز على الصراط وغير ذلك.

وأرسل إلى الناس كافة، وهو سيد ولد آدم، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفع، وأول من يقرع باب الجنة، وأكثر الناس تبعا، وأعطى جوامع الكلم. وكان لا ينام قلبه، ويرى من وراء ظهره كما يرى من قدامه، وتطوعه بالصلاة قاعدا كتطوعه قائما وإن لم يكن له عذر. ولا يحل لأحد رفع صوته فوق صوته، ولا نداؤه من وراء الحجرة، ولا باسمه، بل يا نبى الله، يا رسول الله، ونحو ذلك، ومخاطبة المصلى بالسلام عليك أيها النبى، ولو خاطب غيره، بطلت، ويجب على المصلى إجابته إذا دعاه، ولا تبطل صلاته، وتحل له الهدية دون غيره من الحكام، ولا يجوز عليه، ولا على غيره من الأنبياء جنون، ولا احتلام. ومن استهان بأحد منهم كفر.

ولا يورث أحد منهم، بل ماله ﷺ صدقة على المسلمين، وأولاد بناته ينسبون إليه، ويجب بذل المهج لسلامة مهجته، فالنبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ومن رغب فيها وهى مزوجة، وجب على زوجها طلاقها.

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٦).

وفاته ركعتان بعد الظهر فقضاهما بعد العصر ثم واظب عليهما، وقال: تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى[(١)]، فقال الشافعى: ليس لأحد أن يكنى بأبى القاسم، وحمل نصه على حال حياته ﷺ. ومن رآه فى المنام فقد رآه حقا؛ فإن الشيطان لا يتمثل فى صورته، والأرض لا تأكل لحمه، ولا لحم أحد من الأنبياء. وكل نسب وسبب وصهر منقطع يوم القيامة إلا نسبه، وسببه، وصهره، وله غير ذلك مما لا ينحصر.

فصل فى معجزاته ﷺ

منها - وهو أعظمها - القرآن العظيم، الذى عجز الجن والإنس أن يأتوا بمثله، بل بعشر سور منه، بل بسورة، بل بحديث مثله، وانشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه؛ فشرب منه أهل العسكر، وتوضئوا، كل ذلك من قدح، ولا ماء فيه؛ فجاش بالماء حتى شرب الجيش، ورووا وهم ألوف وفاضت إلى اليوم، وبالحديبية مرة بالبئر فأروتهم، وهم ألف وأربعمائة أو أكثر، وأطعم جيش الخندق، وهم ثلاثة آلاف من تمرٍ أتت به ابنة بشير بن سعد إلى أبيها وخالها لم يملأ كفيه، فأكلوا منه حتى شبعوا، وفضلت فضلة.

ورمى يوم حنين جيش الكفار بقبضة من تراب فعميت عيونهم، وحن إليه الجذع الذى كان يخطب إليه حين عمل له المنبر، وكلمه الذراع المسموم بالشاة، كما سبق، وكان يخبر بالغيوب كقوله: إن عمارا تقتله الفئة الباغية[(٢)]؛ وإن عثمان تصيبه بلوى تكون بعدها الجنة[(٣)]؛ وإن الحسن بن على سيّد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين[(٤)]، فكان كذلك؛ وكان إخباره بقتل الأسود العنسى الكذاب، وهو بصنعاء وبمن قتله؛ وبموت النجاشى بالحبشة؛ وبترتيب المقتولين فى غزوة مؤتة كما مضى؛ وإخباره بقتل ابن خلف، ومصارع صناديد قريش، فكان كما قال.

وخرج وعلى بابه قوم ينتظرونه؛ ليؤذوه، فوضع التراب على رءوسهم، فلم يروه، ودعا شجرتين فأتتاه، فاجتمعتا، ثم أمرهما؛ فافترقتا، وزويت له الأرض

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٨٨)، ومسلم (٨-٢١٣٤) من حديث أبي هريرة.
(٢) أخرجه مسلم (٧٢-٢٩١٦) من حديث أم سلمة.
(٣) أخرجه البخاري (٣٦٩٥)، ومسلم (٢٨-٢٤٠٣) من حديث أبي موسى الأشعري.
(٤) أخرجه البخاري (٣٧٤٦).

فرأى مشارقها ومغاربها، وأخبر ببلوغ ملك أمته ما زوى له منها، فكان كذلك، فبلغ ملكهم من أول المشرق إلى آخر المغرب، ولم يتسعوا فى الجنوب، والشمال كما أخبر سواء بسواء، ومسح ضرع شاة لم ينز عليها الفحل؛ فدرت، وندرت عين قتادة فسقطت، فردها بيده الكريمة؛ فكانت أصح عينيه، وأحسنهما، وأحدّهما، وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه، والحصى بيديه، وسلم عليه الحجر والشجر ليالى بعث وغيرهما.

وكلمته الحيوانات: البعير، وغيره فى حاجاتها. ومنها إنبات النخلة فى سنام البعير، وإدراك ثمرها فى الحال، ففرقه على الحاضرين، فمن علم الله أن سيؤمن - كانت التمرة فى فمه تمرة كما هى؛ ومن علم عدم إيمانه - عادت التمرة فى فيه حجرًا، ذكر ذلك البيهقى، وغيره من أئمة الحديث، وغير ذلك مما لا يحصى.

وقد بلغ بمعجزاته - عليه الصلاة والسلام - بعض الأئمة ثلاثة آلاف وزيادة، غير القرآن العظيم؛ إذ كل حرف منه معجز، فمعجزاته ﷺ لا يدرك حصرها.

قال ابن إسحاق: فلما بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء، فحدثنى عبد الله بن أبى بكر، وحسين بن عبد الله، وغيرهما من أصحابنا أن على بن أبى طالب، والعباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، وقثم بن العباس، وأسامة بن زيد وشقران، مولى رسول الله ﷺ هم الذين تولوا غسله؛ وأن أوس بن خولى أحد بنى عوف بن الخزرج قال لعلى بن أبى طالب: أنشدك الله يا على، وحظنا من رسول الله ﷺ، وكان أوس من أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بدر، قال: ادخل، فدخل وجلس، وحضر غسل رسول الله ﷺ، فأسنده على بن أبى طالب إلى صدره، وكان العباس، والفضل، وقثم يقلبونه معه، وكان أسامة بن زيد، وشقران مولياه اللذان يصبان الماء عليه، وعلى يغسله قد أسنده إلى صدره، وعليه قميص يدلكه به من ورائه، ولا يفضى بيده إلى رسول الله ﷺ وعلى يقول: بأبى أنت وأمى ما أطيبك حيا وميتا. ولم يُر من رسول الله ﷺ شيء مما يرى من الميت(١).

---

(١) ينظر السيرة النبوية (٤/ ٣١٣)، وتاريخ الطبري (٣/ ٢١١، ٢٩٢)، وينظر طبقات ابن سعد (٢/ ٢١٣، ٢١٤)، والبداية والنهاية (٥/ ٢٨٠).

قال ابن إسحاق: وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، عن عائشة قالت: لما أرادوا غسل رسول الله ﷺ - اختلفوا فيه فقالوا: والله ما ندرى أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا، أو نغسله وعليه ثيابه ؟ قالت: فلما اختلفوا؛ ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم من رجل إلا ذقنه فى صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن غسلوا النبى ﷺ وعليه ثيابه. قالت: فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص، ويدلكونه، والقميص دون أيديهم[(١)].

قال: فلما فرغ من غسل رسول الله ﷺ كفن فى ثلاثة أثواب: ثوبين صحاريين، وبردة حبرة أدرج فيه إدراجا كما حدثنى جعفر بن محمد بن على بن حسين[(٢)]، وحدثنى حسين بن عبد الله، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ - وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذى كان يحفر لأهل المدينة، وكان يلحد - فدعا العباس رجلين، فقال لأحدهما: اذهب إلى أبى عبيدة بن الجراح، وقال للآخر اذهب إلى أبى طلحة، اللهم خره لرسول الله ﷺ[(٣)].

فلما فرغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء، وضع على سريره فى بيته، وقد كان المسلمون اختلفوا فى دفنه، فقال قائل: ندفنه فى مسجده، وقال قائل: بل ندفنه مع أصحابه، فقال أبو بكر: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما قبض نبى إلا دفن حيث قبض، فرفع فراش رسول الله ﷺ الذى توفى عليه، فحفر له تحته، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ؛ يصلون عليه أرسالا: فدخل الرجال حتى إذا فرغوا،

---

(١) أخرجه ابن إسحاق (٤/ ٣١٣-السيرة النبوية)، ومن طريقه أبو داود (٣١٤١)، وابن ماجه (١٤٦٤)، وأحمد (٦/ ٢٦٧)، والحاكم (٣/ ٥٩)، والبيهقي في الدلائل (٧/ ٢٤٢) وقال الذهبي: صحيح. ينظر تاريخ الإسلام (٥٧٥-السيرة النبوية).

(٢) أخرجه ابن إسحاق (٤/ ٣١٤-السيرة النبوية)، ومن طريقه الطبري (٣/ ٢١٢).

(٣) أخرجه ابن إسحاق (٤/ ٣١٤-السيرة النبوية،) ومن طريقه الطبري في التاريخ (٣/ ٢١٣) والبيهقي في الدلائل (٧/ ٢٥٢). قلت: فيه الحسين بن عبد الله وهو ضعيف كما في التقريب وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٢٨) من طريق الواقدي عن إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة به قلت: الواقدي متروك، وإبراهيم ضعيف، وداود ثقة إلا في عكرمة كما في التقريب.

دخل النساء، حتى إذا فرغن، دخل الصبيان، ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد؛ ثم دفن رسول الله ﷺ من وسط الليل ليلة الأربعاء(١).

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى بكر، عن امرأته فاطمة بنت عمارة، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة، عن عائشة قالت: ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحى من جوف الليل ليلة الأربعاء(٢).

قال محمد بن إسحاق: وكان الذين نزلوا فى قبر رسول الله ﷺ - على بن أبى طالب، والفضل بن عباس، وقثم بن عباس، وشقران مولى رسول الله ﷺ، وقد قال أوس بن خولى لعلى بن أبى طالب: أنشدك بالله، وحظنا من رسول الله ﷺ، فقال له: انزل، فنزل مع القوم. وقد كان شقران حين وضع رسول الله ﷺ فى حفرته، وبنى عليه قد أخذ قطيفة قد كان رسول الله ﷺ يلبسها، ويفترشها، فدفنها فى القبر، وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك أبدا. فدفنت مع رسول الله ﷺ(٣).

وسيأتى ذكر بدء مرضه - عليه الصلاة والسلام - فى أول خلافة الصديق - رضى الله تعالى عنه - .

ومما قيل من الرثاء لرسول الله ﷺ قول أبى بكر رضى الله تعالى عنه: [من الوافر]

أجدكَ ما لعينِكَ لا تنامُ ... كأنَّ جفونَهَا فيها كلامُ
بوقْعِ مصيبةٍ عظُمَتْ وجلَّتْ ... فدمعُ العينِ أهونُهُ انسجامُ
فُجعنا بالنبيِّ وكان فينا ... مقدَّمنا وسيدنا الإمامُ
وكان قوامنا والرأس فينا ... فنحنُ اليومَ ليس لنا قوامُ
ننوحُ ونشتكِى ما قد لَقِينا ... ويشكُو فقدَهُ البلدُ الحرامُ
كأنَّ أنوفنا لاقينَ جدعًا ... لفقدِ محمدٍ فيها اصطلامُ
لفقدِ أغرَّ أبيضَ هاشميٍّ ... إمام نبوَّةٍ وبه الختامُ

(١) أخرجه ابن إسحاق (٤/ ٣١٤-السيرة النبوية) ومن طريقه ابن ماجه (١٦٢٨)، والطبري (٣/ ٢١٣)، وأبو يعلى (٢٢، ٢٣)، والبيهقي في السنن (٣/ ٤٠٧)، وفي الدلائل (٧/ ٢٦٠)، قلت: هذا إسناد ضعيف، لضعف حسين بن عبد الله.

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٢١٣) من طريق ابن إسحاق. وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٣٢) من طريق الواقدي. وينظر البداية والنهاية (٥/ ٢٩١)، وتاريخ الإسلام (٥٨٢-السيرة).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٤/ ٣١٥)، وتاريخ الطبري (٣/ ٢١٣، ٢١٤)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٢٣٠-٢٣١).

أمينٌ مصطفًى للخيرِ يدعو كضوءِ البدرِ زايله الظلامُ
سأتبعُ هديهُ ما دمْتُ حيًّا طوالَ الدهرِ ما سجع الحمامُ
كأنَّ الأرضَ بعدك طارَ فيها فَأَشْعَلَهَا لساكنها ضرامُ
وفقد الوَحْى إذ وليت عنا وودعنا مِنَ اللهِ الكلامُ
سوَى أن قد تَرَكْت لنا سراجا تواريه القراطيسُ الكرامُ
لقد ورثتنا مِرآةَ صدقٍ عليكَ به التحيةُ والسلامُ
من الرحمنِ فى أعلَى جنانٍ من الفردوسِ طابَ بها المقامُ
رفيق أبيكَ إبراهيمَ فيه وما فى مِثْلِ صحبتِهِ ندامُ
وإسحاق وإسماعيل فيه بما صَلَّوْا لربهمُ وصاموا[١]

وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يرثى رسول الله ﷺ: [من الكامل]

ما زلتُ مذ وضع الفِرَاشَ لجنبه وَثوَى مريضًا خائفًا أتوقَّعُ
شفقًا عليه أن يزولَ مكانه عنَّا فنبقَى بعْدَهُ نتوجَّعُ
وإذا تحدّثنا الحوادثُ منْ لَنَا بالوحْيِ من ربٍّ رحيم يسمعُ
ليتَ السماءَ تفطَّرَتْ أكنافُهَا وتناثَرَتْ فيها النجومُ الطلعُ
لما رأيتُ الناسَ هدَّ جمعيهم صوتٌ ينادى بالنَّعِيِّ فيسمعُ
وسمعْتُ صوتًا قبلَ ذلك هدَّني عباس ينعاه بصوتٍ يقطعُ
فليبكِهِ أهلُ المدائنِ كلّها والمسلمونَ بكُلِّ أرضٍ تجدعُ

وقال على بن أبى طالب - كرم الله وجهه -: [من الطويل]

ألا طرق الناعِى بلَيْلٍ فراعَنِي وأرَّقنى لما استقلَّ مناديا
فقلتُ له لما رأيتُ الذى أتى أغَيْرَ رسولِ اللهِ إنْ كنتَ[٢] ناعِيا
فحققْت ما أشفقْتُ منهُ ولم ينلْ وكان خليلى عدَّةً وجماليَا[٣]
فواللهِ ما أنساكَ أحمَدُ ما مَشَتْ بِىَ العيسُ فى أرضٍ وجاوزْتَ واديَا

---

(١) ينظر: سبل الهدى والرشاد (١٢/ ٢٧٦، ٢٧٧).
(٢) في السبل: أصبحت.
(٣) ويروى هذا البيت في السبل هكذا:
فَحُقق ما أشفيت منه ولم يُبَل وكان خليلي عدتي وجماليا

وكنتُ متى أهبطْ من الأرضِ بقعةً أرَى أثرًا منه جديدًا وعافيًا(١)
مِنَ الأسدِ قد أخفى العرين مخافةً تهادى سباعُ الطيرِ مِنْهُ تَعَاديا(٢)
شديد حوىَ الصَّدْرِ مِنهُمْ مشددٌ هو المَوْتُ معديًا عليه وَعَادِيا(٣)

وقال حسان بن ثابت - رضى الله عنه -: [من الطويل]

بِطَيْبَةَ رَسْمٌ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ مُنِيرٌ وَقَدْ تَعْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمُدُ
وَلاَ تَنْمَحى الْآيَاتُ مِنْ دَارِ حرْمَةٍ بِهَا مِنْبَرُ الْهَادِى الَّذِى كَانَ يَصْعَد
وَوَاضِحُ آثَارٍ وَبَاقِى مَعَالِمٍ وَرَبْعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلًّى وَمَسْجِدُ
بِهَا حُجُرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسْطَهَا مِنَ اللهِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ
مَشَاهِدُ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيَهَا أَتَاهَا الْبِلَى فَالْآىُ مْنهَا تَجَدَّدُ
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ وَقَبْرًا بِهَا وَارَاهُ فِى التُّرْبِ مُلْحِدُ
ظَلِلْتُ بِهَا أَبْكِى الرَّسُولَ فَأَسْعَدَتْ عُيُونٌ وَمِثْلَاهَا مِنَ الْجَفْنِ تُسْعِدُ
يُذَكِّرْنَ آلاَءَ الرَّسُولِ وَمَا أرَى لَهَا مُحْصِيًا نَفْسِى فَنَفْسِى تَبَلَّدُ
مُفَجَّعَةٌ قَدْ شَفَّهَا فَقْدُ أحْمَدٍ فَظَلَّتْ لِآلاءِ الرَّسُولِ تُعَدِّدُ
وَمَا بَلَغَتْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عشيرهُ وَلكِنْ لِنَفْسِى بَعْدُ مَا قَدْ تَوَجَّدُ
أَطَالَتْ وُقُوفًا تَذْرِفُ الْعَيْنِ جَهْدَهَا عَلَى طَلَلِ الْقَبْرِ الَّذِى فِيهِ أحْمَدُ
فَبُورِكْتَ يَا قَبْرَ الرَّسُولِ وَبُورِكَتْ بِلاَدٌ ثَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمُسَدَّدُ
وَبُورِكَ لحدٌ مِنْكَ ضُمِّنَ طَيِّبًا عَلَيْهِ بِنَاءٌ مْن صَفِيحٍ مُنَضَّدُ
تَهِيلُ عَلَيْهِ التُّرْبَ أَيْدٍ وَأعْينٌ عَلَيْهِ وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْعُدُ
لَقَدْ غَيَّبُوا حِلمًا وَعِلْمًا وَحِكْمَةً عَشِيَّةَ عَلَّوْهُ الثَّرَى لاَ يُوَسَّدُ

---

(١) البيت في السبل:
وكنت متى أهبط من الأرض تلعة أجد أثرًا منه جديدًا وعافيا
وبعده في السبل:
جواد تشظى الخيل عنه كأنما يرين به ليثًا عليهن ضاريا
(٢) البيت في السبل:
من الأسد قد أحمى العرين مهابة تفادي سباع الأرض منه تفاديا
(٣) ويروى هذا البيت في السبل هكذا:
شديد جريُّ النفسِ نَهْدٌ مُصَدَّر هو الموت مغدوٌّ عليه وغاديا

وَرَاحُوا بِحُزْنٍ لَيسَ فِيهِمْ نَبِيُّهُمْ ... وَقَدْ وَهَنَتْ مِنهمْ ظُهُورٌ وَأَعْضُدُ
يُبَكُّونَ مَنْ تَبْكِى السَّمواتُ يَوْمَهُ ... وَمَنْ قَدْ بَكَتْهُ الْأَرْضُ فَالنَّاسُ أَكْمَدُ
وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيَّةُ هَالِكٍ ... رَزِيَّةَ يَوْم مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدُ؟!
تَقَطَّعَ فِيهِ منْزِلُ الْوَحْيِ عَنهُمُ ... وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ يَغُورُ وَيُنْجِدُ
يَدُلُّ عَلَى الرَّحمنِ مَنْ يَقْتَدِى بِهِ ... وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الْخَزَايَا وَيُرْشِدُ
إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِمُ الْحَقَّ جَاهِدًا ... مُعَلِّمُ صِدْقٍ إِنْ يُطِيعُوهُ يَسْعَدُوا
عَفُوٌّ عنِ الزَّلَّاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ ... وَإِنْ يُحْسِنُوا فَاللهُ بِالْخَيْرِ أَجْوَدُ
وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحَمْلِهِ ... فَمِنْ عِنْدِهِ تَيسِيرُ مَا يَتَشَدَّدُ
فَبَيْنَا هُمُ فِى نِعْمَةِ اللهِ بَيْنَهُمْ ... دَلِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيقَةِ يُقْصَدُ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَزِيغُوا عَنِ الْهُدَى ... حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا ويَهْتَدُوا
عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لاَ يُثَنِّى جَنَاحَهُ ... إِلَى كَنَفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْهَدُ
فَبَيْنَا هُمُ فِى ذلِكَ النُّورِ إِذْ غَدَا ... إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصِدُ
فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إِلَى اللهِ رَاجِعًا ... يُبَكِّيهِ جَفْنُ[1] الْمُرْسَلَاتِ وَيَحْمَدُ
وَأَمْسَتْ بِلَادُ الحُرْمِ وَحْشًا بِقَاعُهَا ... لِغَيْبَةِ مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحيِ تَعْهَدُ
قِفَارًا سِوَى مَعْمُورَةِ اللحْدِ ضَافَهَا ... فَقِيدٌ يُبَكِّيهِ بَلَاطٌ وَغَرْقَدُ
وَمَسْجِدُهُ فَالْمُوحِشَاتُ لِفَقْدِهِ ... خَلَاءٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ
وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى لَهُ ثَمَّ أَوْحَشَتْ ... دِيَارٌ وَعَرَصَاتٌ وَرَبْعٌ وَمَوْلِدُ
فَبَكِّى رَسُولَ اللهِ يَا عَيْن عَبْرَةً ... وَلاَ أَعْرِفَنْكِ الدَّهْرَ دَمْعُكِ يَجْمُدُ
وَمَالَكِ لاَ تَبْكِينَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي ... عَلَى النَّاسِ مِنهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ
فَجُودِى عَلَيْهِ بِالدُّمُوعِ وَأَعْوِلِي ... لِفَقْدِ الَّذِى لاَ مِثْلُهُ الدَّهْرَ يُوجَدُ
وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ ... وَلاَ مِثْلُهُ حَتَّى الْقِيامَة يُفْقَدُ
أَعَفَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً بَعْد ذِمَّة ... وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلًا لاَ يُنَكَّدُ
وَأَبْذَلَ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَتَالِدٍ ... إِذَا ضَنَّ مِعْطَاءٌ بِمَا كَانَ يُتْلِدُ
وَأَكْرَمَ صِيتًا فِى الْبُيُوتِ إِذَا انْتَمَى ... وَأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا يُسَوَّدُ
وَأَمْنَعَ ذِرْوَاتٍ وَأَثْبَتَ فِى الْعُلَا ... دَعَائِمَ عِزٍّ شَامِخَاتٍ تُشَيَّدُ

(١) في السيرة: حتى. وفي السبل: حق.

وَأَثْبَتَ فَرْعًا فِى الْفُرُوعِ وَمَنْبِتًا ... وَعُودًا غَذَاهُ الْمُزْنُ فَالْعُودُ أَغْيَدُ
رَبَاهُ وَلِيدًا فَاسْتَتَمَّ تَمَامُهُ ... عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْرَاتِ رَبٌّ مُمَجَّدُ
تَنَاهَتْ وَصَاةُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّهِ ... فَلاَ الْعِلْمُ مَحبُوسٌ وَلا الرَّأْىُ يُفْنَدُ
أَقُولُ وَلاَ يلْفَى لِقَوْلِيَ عَائِبٌ ... مِنَ النَّاسِ إلاَّ عَازِبُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ
وَلَيْسَ هَوَاى نَازِعًا عَنْ ثَنَائِهِ ... لَعَلِّى بِهِ فِى جَنَّةِ الْخُلْدِ أَخْلُدُ
مَعَ الْمُصْطَفَى أَرْجُو بِذَاكَ جِوَارَهُ ... وَفِى نَيْلِ ذَاكَ الْيَوْمِ أَسْعَى وأَجْهَدُ[١]

وقالت السيدة فاطمة - رضى الله عنها -: [من الكامل]

ماذا علَى مَنْ شمَّ تُرْبَةَ أحْمَدٍ ... أَلاَّ يشَمَّ من الزَّمَانِ غَوَالِيَا
صُبَّتْ عليَّ مَصَائبٌ لو أنَّهَا ... صُبَّتْ عَلَى الأَيَّامِ عُدْنَ ليالِيَا

وقالت عاتكة بنت عبد المطلب - رضى الله عنها -: [من البسيط]

عينيَّ جُودَا طوالَ الدَّهْرِ وانهَمِرَا ... سَكبًا وسَحًّا بدمْعٍ غيرِ تَقْديرِ[٢]
يا عينُ واستَخسِرِى[٣] بالدمعِ واحتَفِلِي ... حتَّى المَمَاتِ بسَجْلٍ غيرِ مَنْزورِ
يا عين وانهملِى بالدمعِ واجْتَهِدِي ... للمصطفَى دونَ خَلْقِ اللهِ بِالنُّورِ
بمستهلٍّ من الشؤبُوبِ ذى سَبَلٍ ... فقدْ رُزِئْت نبيَّ العدلِ والخيرِ
وكنتُ من حَذَرٍ للموتِ مشفقةً ... وللذى خُطَّ مِن تلكَ المقاديرِ
من فَقْدِ أزهَرَ ذى خلْقٍ وذى فخرٍ ... صافٍ من العَيْبِ والعاهاتِ والزورِ
فاذهَبْ حَمِيدًا جزَاكَ الله مَغْفرةً ... يومَ القيامةِ عِنْدَ النَّفْخِ فِى الصُّورِ

وقالت أروى - أختها - بنت عبد المطلب - رضى الله عنها -: [من الوافر]

ألا يَا عينُ ويحَكِ أسْعِدِينِي ... بدمْعٍ[٤] ما بقيتُ وطَاوِعِينِي
ألا يا عَين ويحكِ واستَهِلِّى ... على غيْثِ[٥] البلادِ وأسعِدِينِي
فَإِن عَذَلَتْكِ عَاذِلَةٌ فقولِي ... عَلامَ وفيمَ ويحَكِ تعذلينى

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٤/٣١٧-٣٢٠)، والبداية والنهاية (٥/٣٠١) وسبل الهدى والرشاد (١٢/٢٧٩-٢٨١).
(٢) في السبل: تعذير.
(٣) في السبل: فاسحنفري.
(٤) في السبل: بدمعك.
(٥) في السبل: نور.

عَلى نُور البِلادَ معًا جميعًا رَسُولِ اللهِ أحمَد فاتْرُكِينِي
وَإنْ لاَ تَقْصرِى بالعَذلْ عنِّي فَلُومى ما بَدَا لَكِ أو دَعِينِي
لأمرٍ هَدَّنِى وأدَكَّ[1] رُكْنِي وشَيَّبَ بَعْدَ جِدَّتها قُرُونِي[2]

وقالت صفية بنت عبد المطلب - رضى الله عنها -: [من الخفيف]

لهفَ قَلْبِى وبتُّ كالمسلوبِ أرق اللَّيلُ مُقْلَةَ المحرُوبِ[3]
مِنْ همومٍ وحَسْرةٍ وَقَذَتْنِي ليتَ أنِّى سبقْتُهَا لِشَعُوبِ[4]
حينَ قالوا إنَّ الرسُولَ قد امْسَى وافَقَتْهُ مَنِيَّةُ المكتوبِ
إذْ رأينا أنَّ النبيَّ صَرِيعٌ فأشَابَ القَذَالَ أىّ مَشِيبِ
إذْ رأينا بيوتَهُ مُوحِشَاتٍ ليس فيهنَّ بعد عَيْش حبيبِ
أورَثَ القلبَ ذاكَ حزنًا طويلا خالَطَ القلبَ فَهْوَ كالمرعُوبِ
ليتَ شِعْرِى وكْيفَ أُمسى[5] صحيحًا بعد أنْ بِينَ بالرَّسُولِ القريبِ
أعظم الناسِ فى البريَّةِ حَقًّا سيِّدُ الناسِ حبه فِى القُلُوبِ
فَإلى اللهِ ذاكَ أشكُو وحَسْبِى الـ لَّهُ مولى وحَوْبتِى ونَحِيبِى[6]

وقالت - أيضًا -: [من المتقارب]

أفاطِمُ فابْكِى ولا تَسْأَمِي بِصَحْبِكِ ما طَلَعَ الكوكَبُ
هو المرءُ يبكى بحقٍّ[7] البكا هو الماجِدُ السيِّدُ الطيبُ
فأوحشَتِ الأرضُ من فقْدِهِ وإنَّ البريةَ لا تنكبُ
فَمَا لىَ بَعْدَكَ حتى المما ت إلا الجَوَى الدَّاخِلِ المُنْصِبُ

---

(١) في السبل: وأذل.
(٢) ينظر: طبقات ابن سعد (٢/ ٢٤٧-٢٤٨)، وسبل الهدى والرشاد (١٢/ ٢٧٩-٢٨٤).
(٣) البيت في السبل:

لهف نفسي وبت كالمسلوب آرق الليل فعلة المحروب

(٤) البيت في السبل:

من هموم وحسرة ردفتني ليت أني سُقيتها بشعوب

(٥) في ط: يمسي. والمثبت من السبل.
(٦) ينظر: طبقات ابن سعد (٢/ ٢٤٩)، والسبل (٢/ ٢٨٥)، ورواية البيت الأخير في السبل: يعلم الله حويثي ونحيبي.
(٧) في السبل: وحق.

فَبَكَّى الرسولَ وحقَّتْ له ... شُهُودُ المدينةِ والغُيَّبُ
لِتَبْكِكَ شَمْطاءُ مَضْرورةٌ ... إذا حُجِبَ الناسُ لا تحجَبُ
ليبكِكَ شيخٌ أبو ولدةٍ ... يطوفُ بعقوتِهِ أشْهَبُ
ويبكك رَكْبٌ إذا أرمَلُوا ... فلم يكْفِ ما طلبِ المطلبُ
وتبكى الأباطحُ مِنْ فقدِهِ ... وتبكيه مَكَّةُ والأَخْشَبُ
وتبكى وُعَيْرَةُ مِنْ فَقْدِهِ ... بُحزْنٍ ويُسْعِدُهَا المِثيبُ[(١)]
أَعْيَنَيَّ ما لَكِ لا تَدْمَعِين ... وحقٌّ لدمْعِكِ ما يَسْكُبُ[(٢)]

صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه إلى يوم الدين، وسلم.

وقال أبو الفتح: فيا له - فى مثل ذلك - خطب جل عن الخطوب؛ ومصاب عَلم دمع العين كيف يصوب؛ ورزء غربت له النيرات، ولا تعلل بشروقها بعد الغروب.

وجاءت هجمة الموت؛ فلا نجاء منه لهارب، ولا فرار منه لمطلوب، ولا صباح له؛ فيجلو غياهبه الملمة ودياجيه المدلهمة، ولكل ليل إذا دجى صباح يئوب. ومن سر أهل الأرض، ثم بكى، سأبكى بعيون سرها، وقلوب.

فإنا لله، وإنا إليه راجعون من نار طويت عليها الأضالع، لا تخبو ولا تخمد، ومصيبة تستك منها المسامع، فلا يبلى على مر الجديدين حزنها المجدد.

* * *

(١) في ط:

وتبكيه عذراء من فقدها ... بحزن ويسعدها الشيب

والمثبت كما في الطبقات، وسبل الهدى والرشاد. ووعيرة، والمثيب: مواضع. ينظر اللسان (وثب) و(وعر).

(٢) ينظر طبقات ابن سعد (٢/ ٢٥٠)، والسبل (٢/ ٢٨٥، ٢٨٦) والبيت الأخير في الطبقات: وحق لدمعك يستسكب. وكذا في السبل.

المقصد الثالث
فى ذكر الخلفاء الأربعة
وذكر خلافة الحسن بن على رضى الله عنهم أجمعين
خلافة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه

قال ابن إسحاق: ابتدئ رسول الله ﷺ بشكواه التى قبضه الله - تعالى - فيها إلى ما أراد به من كرامته ورحمته، فى ليال بقين من صفر، أو فى أول شهر ربيع الأول، فكان أول ما ابتدأ به رسول الله ﷺ من ذلك - فيما ذكر لى -: أنه خرج إلى بقيع الغرقد من جوف الليل، فاستغفر لهم، ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح - ابتدئ بوجعه من يومه ذلك[1].

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن عمر، عن عبيد الله بن جبير مولى الحكم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبى مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال: بعث إلىَّ رسول الله ﷺ من جوف الليل، فقال: يا أبا مويهبة، إنى قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع، فانطلق معى؛ فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم، قال: السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه؛ أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، تتبع أخراها أولاها، الآخرة شر من الأولى؛ ثم أقبل علىّ فقال: يا أبا مويهة، إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا، والخلد فيها ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة. قال أبو مويهة: فقلت بأبى أنت وأمى، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا، والخلد فيها، ثم الجنة. قال: لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربى، والجنة؛ ثم استغفر لأهل البقيع، وانصرف؛ فبدأ به فى صبيحة ذلك اليوم وجعه الذى قبضه الله فيه[2].

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: لما رجع - عليه الصلاة والسلام - من البقيع وجدنى وأنا أجد صداعًا فى رأسى، وأنا أقول: وارأساه. فقال: بل أنا والله

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٤/ ٢٨٩)، وتاريخ الطبري (٣/ ١٨٨)، والبداية والنهاية (٥/ ٢٤٣).

(٢) أخرجه ابن إسحاق (٤/ ٢٨٩-السيرة النبوية) ومن طريقه أحمد (٣/ ٤٨٩)، والبزار (٨٦٣-كشف الأستار)، والحاكم (٣/ ٥٥-٥٦)، والبيهقي في الدلائل (٧/ ١٦٢) وقال الهيثمي (٣/ ٦٢) وإسناد أحمد والبزار كلاهما ضعيف. وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ١٥٧)، من طريق الواقدي.

وارأساه يا عائشة، ثم قال لى: وما ضرك لو متِّ قبلى، فقمت عليك، وكفنتك، وصليت عليك، ودفنتك. قالت: فقلت: والله لكأنى بك لو قد فعلتَ ذلك لقد رجعتَ إلى بيتى فأعرست فيه ببعض نسائك. قالت: فتبسم رسول الله ﷺ.

وتتام به وجعه وهو يدور على نسائه حتى استعزَّ به مرضه - يعنى اشتد - وهو فى بيت ميمونة؛ فدعا نساءه فاستأذنهن فى أن يمرّض فى بيتى، فأذنّ له، فخرج - عليه الصلاة والسلام - بين رجلين من أهله، أحدهما: الفضل بن العباس، ورجل آخر هو على بن أبى طالب عاصبًا رأسه، تخط قدماه حتى دخل بيتى[1].

ولما غمره الوجع قال: أريقوا علىّ من سبع قرب من آبار شتى، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم. قالت: فأقعدناه فى مخضب[2] لحفصة بنت عمر، فصببنا عليه الماء حتى طفق يقول حسبكم، حسبكم[3].

وقال الزهرى: حدثنى أيوب بن بشر: أنه - عليه الصلاة والسلام - خرج عاصبًا رأسه حتى جلس على المنبر، ثم كان أول ما تكلم به: أن صلى على أصحاب أحد، واستغفر لهم، وأكثر الصلاة عليهم، وقال: إن عبدًا خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله. قال: ففهمها أبو بكر - رضى الله عنه - وعرف أنه يريد نفسه؛ فبكى، وقال: بل نحن نفديك بأنفسنا، وأبنائنا. فقال: على رسلك يا أبا بكر، ثم قال: انظروا هذه الأبواب اللافظة فى المسجد فسدّوها إلا باب أبى بكر[4]. ثم استبطأ الناس فى بعث أسامة، فقال: أيها الناس، أنفذوا بعث أسامة

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (٤/ ٢٩٠) لابن هشام، ومن طريقه أخرجه أحمد (٦/ ٢٢٨)، وابن ماجه (١٤٦٥)، والدارمي (١/ ٣٧-٣٨)، والدارقطني (٢/ ٧٤) وابن حبان (٦٥٨٦)، والبيهقي في السنن (٣/ ٣٩٦)، وفي الدلائل (٧/ ١٦٩) عن يعقوب بن عتبة، عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن عائشة. وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث في رواية ابن هشام وفي رواية البيهقي في الدلائل، فالحديث حسن.

(٢) المخضب: إناء يغتسل فيه.

(٣) أخرجه البخاري (١٩٨)، وأطرافه (٦٦٤)، (٦٦٥)، (٦٨٣)، (٧١٣)، (٢٥٨٨)، (٣٣٨٤)، (٤٤٤٢). ومسلم (٩٢-٤١٨) من حديث عائشة بنحوه وهذا لفظ ابن إسحاق كما رواه ابن هشام (٤/ ٢٩٨).

(٤) أخرجه الطبري (٣/ ١٩٠)، والبيهقي في الدلائل (٧/ ١٧٧-١٧٨) من طريق ابن إسحاق وقال ابن كثير في البداية (٥/ ٢٤٩): هذا مرسل له شواهد كثيرة. وأصله في الصحيحين: أخرجه البخاري (٤٦٦)، ومسلم (٢/ ٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري.

بن زيد، فلعمرى، إن قلتم فى إمارته، لقد قلتم فى إمارة أبيه من قبله - وكان قد سمع قول الناس فى إمارة أسامة: أمَّر غلامًا حدثًا على جلة المهاجرين، والأنصار - وإنه لخليق بالإمارة، وإن كان أبوه لخليقا بها. ثم نزل عن المنبر، وانكمش الناس فى جهازهم، واستُعزَّ - أى اشتد - برسول الله ﷺ وجعه، فخرج أسامة، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجرف من المدينة على فرسخ، فضرب به عسكره، وتتام الناس، وثقل رسول الله ﷺ؛ فأقام أسامة والناس ينتظرون ما الله قاض فى رسوله[(١)].

ثم اجتمع إلى رسول الله ﷺ من نسائه أم سلمة، وميمونة، ونساء من نساء المسلمين، منهن: أسماء بنت عميس، وعنده العباس عمه، فأجمعوا أن يلدُّوه - واللد: رفع اللسان، وإدخال المسعط فى الحلق من وسط الفم، فإن كان من أحد الشقين فهو الإيجار، وأما اللدود، فهو الدواء نفسه - فلما أفاق - عليه الصلاة والسلام - قال: من وضع هذا بى ؟ قالوا: يا رسول الله، عمك. قال: هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض، وأشار نحو أرض الحبشة. قال: ولم فعلتم ذلك ؟ قال عمه: خشينا يا رسول الله، أن يكون بك داء الجنب. فقال: - عليه الصلاة والسلام -: إن ذلك لداء ما كان الله ليقذفنى به، أو ليعذبنى، وفى رواية إنها لم تسلط علىّ، لا يبقى أحد فى البيت إلا لدّ، إلا عَمِّى. فلقد لدت ميمونة، وإنها لصائمة، لقسم رسول الله ﷺ؛ عقوبة لهم بما صنعوا[(٢)].

ولما كان يوم الاثنين، الذى قبض فيه رسول الله ﷺ، خرج عاصبا رأسه إلى الصبح، وأبو بكر يصلى بالناس، فلما خرج تفرج الناس، فعرف أبو بكر أنه رسول الله ﷺ، فنكص عن مصلاه، فدفع - عليه الصلاة والسلام - فى ظهر أبى بكر، وقال: صل بالناس، وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه، فصلى قاعدًا عن يمين أبى بكر.

---

(١) أورده ابن هشام في السيرة النبوية (٤/ ٢٩٨)، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ١٩١) عن عروة، وينظر مغازي الواقدي (٣/ ١١١٧).

(٢) أخرجه الطبري في التاريخ (٣/ ١٩٥) من طريق ابن إسحاق من حديث عائشة، وأخرجه البخاري (٤٤٥٨) من حديثها. وأخرجه عبد الرزاق (٩٧٥٤) من حديث أسماء بنت عميس به وأخرجه من طريق عبد الرزاق أحمد (٦/ ٤٣٨)، والحاكم (٤/ ٢٠٢)، وقال الحافظ في الفتح (٨/ ٤٩٧) إسناده صحيح.

فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس، فكلمهم رافعًا صوته حتى خرج صوته من باب المسجد، يقول: أيها الناس، سعرت النار، وأقبلت الفتن كالليل المظلم، إنى والله ما تمسكون على بشىء، وإنى لم أحل إلا ما أحل القرآن، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن. فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه، قال له أبو بكر: يا رسول الله، إنى أراك قد أصبحت بنعمة من الله، وفضل كما تحب، واليوم يوم بنت خارجة - يعنى زوجته - أفآتيها ؟ قال: نعم. ثم دخل رسول الله ﷺ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسنح - بالسين المهملة المضمومة، والحاء المهملة آخر الحروف -: اسم مكان بالعالية[1].

قال: وخرج على بن أبى طالب يومئذ على الناس من عند رسول الله ﷺ، فقال له الناس: يا أبا الحسن كيف رسول الله ﷺ ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئا. قال فأخذ العباس بيد على ثم قال له: أنت والله عبد العصا بعد ثلاث، أحلف بالله، لقد رأيت[2] الموت فى وجه رسول الله ﷺ كما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب، فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه، وإن كان فى غيرنا أمرناه، فأوصى بنا الناس. فقال له على: إنى والله لا أفعل ذلك، والله [لئن منعناها لا يؤتيناها][3] أحد بعده.

فتوفى رسول الله ﷺ حين اشتد الضحى من ذلك اليوم[4].

وروى الزهرى، عن عروة، قال: قالت عائشة لما رجع - عليه الصلاة والسلام - ذلك اليوم من المسجد -: دخل إلىّ، فاضطجع فى حجرى، فدخل علىّ رجل من آل أبى بكر وفى يده سواك أخضر، فنظر رسول الله ﷺ إليه نظرا عرفت أنه يريده، فقلت: أتحب أن أعطيك هذا السواك ؟ قال: نعم. قالت: فأخذته، فمضغته حتى لينته، ثم أعطيته إياه، فاستن كأشد ما رأيته استن بسواك قط، ثم وضعه. ووجدته - عليه الصلاة والسلام - يثقل فى حجرى فذهبت أنظر

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٤/ ٣٠٤)، وتاريخ الطبري (٣/ ١٩٨)، ودلائل النبوة (٧/ ٢٠١).
(٢) في سيرة ابن هشام: عرفت.
(٣) في السيرة: لئن منعناه لا يؤتيناه.
(٤) ينظر: السيرة النبوية (٤/ ٣٠٥)، ودلائل النبوة (٧/ ٢٢٤)، وأصل الحديث في الصحيح أخرجه البخاري (٤٤٤٧).

في وجهه، فإذا بصره قد شخص، وهو يقول: بل الرفيق الأعلى من الجنة[١].

قال ابن إسحاق: وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال: سمعت عائشة - رضى الله عنها - تقول: مات رسول الله ﷺ بين سحرى ونحرى، وفى دولتى لم أظلم فيه أحدًا، فمن سفهى وحداثة سنى أن رسول الله ﷺ قبض وهو فى حجرى، ثم وضعت رأسه على وسادة، ثم قمت مع النساء: ألتدم، وأضرب وجهى[٢].

وعن سالم بن عبيد الأشجعى قال: لما مات رسول الله ﷺ صار عثمان يضرب على وجهه كالنساء، وأقعد على - رضى الله عنهما -، وأخذ عمر - رضى الله عنه - بقائم سيفه وقال: لا أسمع أحدا يقول: مات رسول الله ﷺ إلا ضربت عنقه بسيفى، ويقول: إنما أرسل إليه كما أرسل إلى موسى - عليه الصلاة والسلام - فلبث عن قومه أربعين ليلة، والله، إنى لأرجو أن يقطع أيدى رجال، وأرجلهم. فقال الناس: يا سالم، اطلب صاحب رسول الله ﷺ. قال: فخرجت من المسجد فإذا بأبى بكر، فلما رأيته أجهشت بالبكاء - فقال: مالك يا سالم، أمات رسول الله ﷺ ؟! فقلت: إن هذا عمر بن الخطاب يقول: لا أسمع أحدًا يقول: مات رسول الله ﷺ إلا ضربت عنقه بسيفى هذا، فأقبل أبو بكر حتى دخل، فلما رآه الناس سعوا إليه، فدخل على النبى ﷺ، وهو مسجى ببردة، فرفع البردة عن وجهه، ووضع فاه على فيه فقبله، فاستنشأ الريح، ثم سجاه. ثم صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: إن كان محمد إلهكم الذى تعبدونه، فإن إلهكم قد مات، وإن كان إلهكم الذى فى السماء، فإن إلهكم حى لا يموت. ثم تلا ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ إلى ﴿ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

قال الزهرى: فأخبرنى سعيد بن المسيب: أن عمر بن الخطاب قال: والله ما هو إلا أن تلاها أبو بكر حتى عقرت، وأنا قائم، وخررت إلى الأرض، وأثبتُّ حينئذ أن رسول الله ﷺ قد مات. قال: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى

---

(١) ينظر: السيرة (٤/٣٠٦) والحديث أخرجه البخاري (٤٤٤٩) من طريق آخر عن عائشة.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٢٧٤)، والطبري في التاريخ (٣/ ١٩٩) من طريق ابن إسحاق وقد صرح بالتحديث؛ فالحديث حسن.

تلاها أبو بكر - رضى الله عنه - يومئذ، فأخذها الناس عن أبى بكر، فإنما هى فى أفواههم(١).

وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر حدثه قال: أقبل أبو بكر من السنح منزله بالعالية - حين بلغه الخبر إلى بيت عائشة - رضى الله عنها - فأذنت له، فدخل، فكشف عن وجه رسول الله ﷺ، فجعل يقبله، ويبكى، ويقول: توفى والذى نفسى بيده، صلوات الله عليك يا رسول الله، ما أطيبك حيًا وميتا.

وفى رواية عن عائشة فوضع فاه بين عينيه، ووضع يديه على صدغيه، وقال: وانبياه، واخليلاه، واصفياه. أخرجه ابن عرفة العبدى. ثم خرج إلى المسجد فوجد عمر يكلم الناس، ويقول - وهو شاهر سيفه -: من قال: « إن محمدًا قد مات. . . » إلى آخره، فقال له: على رسلك يا عمر، أنصت، فأبى عمر إلا أن يتكلم، فلما رآه أبو بكر لا ينصت، جاء إلى المنبر، فقام عليه، ونادى: أيها الناس اجلسوا وأنصتوا، فجلسوا، وأنصتوا فتشهد شهادة الحق، ثم قال: إن الله - تعالى - نعى إليكم نبيكم، وهو حى بين أظهركم، ونعى لكم أنفسكم، وهو الموت حتى لا يبقى أحدا. ألا إن الله - تعالى - يقول: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ إلى قوله ﴿ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران - ١٤٤] وقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] وقال: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران - ١٨٥] وقال: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص : ٨٨] وقال: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٦، ٢٧]؛ ثم قال: إن الله - عز وجل عمّر محمدا، وأبقاه حتى أقام دين الله، وأظهر أمر الله، وبلغ رسالة الله، وجاهد أعداء الله حتى توفاه الله على ذلك، وترككم على الطريقة، فلا يهلك هالك إلا بعد التنبه، والشفاء، والنور، فمن كان الله ربه، فإن الله حى لا يموت؛ فليعبده، ومن كان يعبد محمدًا، أو يراه إلهًا، فقد هلك إلهه. فأقبلوا أيها الناس، واعتصموا بدينكم، وتوكلوا على ربكم، فإن دين الله قائم، وكلمته باقية، وإن الله ناصر دينه، ومعز أهله، وإن كتاب الله بين أظهركم، وهو النور والشفاء، وبه هدى الله محمدا ﷺ، وفيه حلال الله وحرامه،

(١) أخرجه بنحوه البخاري (١٢٤١، ١٢٤٢)، (٤٤٥٢ ، ٤٤٥٤) من حديث عائشة.

ولا والله ما نبالى من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوفنا مسلولة ما وضعناها بعد، ونجاهد من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله ﷺ، فلا يقين أحد إلا على نفسه[١].

قال ابن إسحاق: لما قبض - عليه الصلاة والسلام - انحاز هذا الحى من الأنصار بأجمعهم إلى سقيفة بنى ساعدة منزل سعد بن عبادة، واعتزل على بن أبى طالب، وبنو هاشم، والزبير، وطلحة بن عبيد الله وخالد بن سعيد بن العاص، وعمار بن ياسر، والمقداد بن عمرو البهرانى، وأبو سعيد الخدرى، وجماعة آخرون فى بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وانحاز المهاجرون ما عدا أولئك إلى أبى بكر الصديق، وانحاز معهم أسيد بن حضير فى بنى عبد الأشهل من الأنصار فانحازت إلى أبى بكر وعمر، فقال: إن هذا الحى من الأنصار مع سعد بن عبادة قد انحازوا إليه، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة، فأدركوا الناس قبل أن يتفاقم الأمر، ورسول الله ﷺ فى بيته لم يفرغ عن أمره، وقد أغلق دونه الباب أهله. قال عمر: فقلت لأبى بكر: انطلق بنا إلى إخواننا حتى ننظر ما هم عليه، فانطلقنا نؤمهم حتى لقيَنا رجلان صالحان، فذكرا لنا الذى صنع القوم، وقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلت: نريد إخواننا من الأنصار، فقالا: لا عليكم أن تقربوهم، واقضوا أمركم يامعشر المهاجرين، فقلت: والله لنأتينهم.

فانطلقنا حتى جئناهم فى سقيفة بنى ساعدة، فإذا هم مجتمعون، وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل، فقلت: ما هذا ؟! قالوا سعد بن عبادة، فقلت ما له ؟! قالوا وجع. فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله، وقال: أما بعد فنحن أنصار الله، وكتيبة الإسلام. وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا، وقد دفت دافة منكم - أى دبّ قوم منكم بالاستعلاء، والترفع - علينا تريدون أن تختزلونا من أصلنا، وتحضنونا من الأمر - أى تنحونا عنه - وتستبدوا به دوننا.

فلما سكت أردت أن أتكلم، وقد كنت زوّرت مقالة أعجبتنى، أردت أن أقولها بين يدى أبى بكر، فقال لى أبو بكر: على رسلك، فكرهت أن أعصيه، وكان أعلم منى، ثم تكلم، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتنى فى تزويرى إلا قالها فى بديهته، وأفضل.

---

(١) ينظر: دلائل النبوة (٧/ ٢١٧-٢١٨)، وسبل الهدى والرشاد (١٢/ ٣٠٠).

قال: أما بعد فما ذكرتم من خير فإنكم أهله، ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش، هم أوسط العرب نسبا ودارا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، أيهما شئتم - وأخذ بيدى، ويد أبى عبيدة - فلم أكره مما قال غيرها، وكان والله أن أقدَّم فتضرب عنقى - لا يقربنى ذلك من إثم - أحبَّ إلى من أن أتأمَّر على قوم فيهم أبو بكر.

فقال الحباب بن المنذر - من الأنصار -: أنا جُذيلها المحكَّك، وعُذَيقها المرجب، وقام يحجل بهذه الكلمة: منا أمير، ومنكم أمير يا معشر قريش، وقام رجل آخر منهم، فقال: إن رسول الله ﷺ كان إذا استعمل الرجل منكم يقرن معه رجلا منا، فنرى أن يلى هذا الأمر رجلان: منكم، ومنا. وتتابعت خطباؤهم على ذلك، وكثر اللغط، وارتفعت الأصوات حتى خشيت الاختلاف.

فقام زيد بن ثابت، فقال: يا معشر الأنصار، تعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وخليفته من المهاجرين، ونحن كنا أنصار الله فنكون أنصار خليفته، ثم أخذ بيد أبى بكر، فقال: هذا صاحبكم، فبايعه عمر، ثم بايعه المهاجرون، والأنصار، فقال قائل: قتلتم سعدا. فقال عمر: قتل الله سعدا(١).

قال عطاء بن السائب: لما استخلف أبو بكر أصبح وعلى رقبته أثواب يتجر فيها، فلقيه عمر، وأبو عبيدة، فكلماه، فقال: من أين أطعم عيالى ؟! قالا: انطلق حتى نفرض لك، قال ففرضوا له كل يوم شطر شاة، وماكسوه فى الرأس، والبطن(٢).

قال فى الرياض: قال ابن قتيبة: بويع أبو بكر الصديق بالخلافة يوم قبض عليه الصلاة والسلام فى سقيفة بنى ساعدة، وبويع بيعة العامة على المنبر فى الغد، يوم الثلاثاء.

قال أبو عمر: وتخلف عن بيعته: سعد بن عبادة، وطائفة من قومه الخزرج، وطائفة من قريش، ثم بايعوه بعد، غير سعد بن عبادة فإنه لم يبايعه(٣)، ولم يبايع بعده عمر إلى أن مات بحوران فى خلافة عمر، رضى الله عنهما.

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (٤/٣٠٨-٣١١)، وأخرجه بنحوه البخاري (٦٨٣٠).
(٢) ينظر: طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٧).
(٣) ينظر: الرياض النضرة (١/ ٢٣١)، في ذكر بيعة أبي بكر.

قال ابن شهاب - وهو الزهرى -: وغضب رجال من المهاجرين فى بيعة أبى بكر، منهم: على، والزبير، فدخلا فى بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ومعهما السلاح، فجاء عمر بن الخطاب فى عصابة من المسلمين، منهم: أسيد بن حضير، وسلمة بن وقش، وثابت بن قيس بن شماس الخزرجى، ومحمد بن مَسْلمة - ويقال كان فيهم عبد الرحمن بن عوف - فكلموهما، فأخذ أحدهم سيف الزبير، فضرب به الحجر حتى كسره، والضارب بسيف الزبير هو: محمد بن مسلمة، أخرجه موسى بن عقبة(١).

قال فى الرياض: وهو محمول - على تقدير صحته - على تسكين نار الفتنة، وإغماد سيفها لا على قصد إهانة الزبير. قلت: بل التحريك فى هذا التسكين.

تخلف عن بيعة أبى بكر يومئذ - سعد بن عبادة، وطائفة من الخزرج، وعلى بن أبى طالب، وابناه، والزبير، والعباس عم رسول الله ﷺ، وبنوه من بنى هاشم، وطلحة، وسلمان، وعمار، وأبو ذر، والمقداد، وغيرهم، وخالد بن سعيد بن العاص، ثم إنهم بايعوا كلهم، فمنهم من أسرع ببيعته، ومنهم من تأخر حينا، إلا ما روى عن سعد بن عبادة فإنه لم يبايع أبا بكر ولا عمر إلى أن مات كما تقدم آنفا.

وقال ابن سعد: أنبأنا محمد بن عمر: حدثنى محمد بن صالح، عن الزبير بن المنذر بن أبى أسيد الساعدى: أن أبا بكر بعث إلى سعد بن عبادة أن أقبل، فبايع، فقد بايع الناس، فقال: لا، والله لا أبايع حتى أراميكم بما فى كنانتى، وأقاتلكم بمن معى.

قال، فقال بشير بن سعد: يا خليفة رسول الله إنه أبى ولجّ، وليس بمبايعكم، أو يقتل، ولن يقتل حتى يقتل معه ولده وعشيرته، ولن يقتلوا حتى تقتل الخزرج؛ فلا تحركوه، فقد استقام لكم الأمر، وليس بضارّكم، وإنما هو رجل واحد ما تُرك. فقبل أبو بكر نصيحة بشير.

قال: فلما ولى عمر لقيه ذات يوم فقال: إيه يا سعد، فقال: إيه يا عمر، فقال عمر: أنت صاحب ما أنت صاحبه ؟ قال: نعم، وقد أفضى إليك هذا الأمر، وقد كان والله صاحبك أحب إلينا منك، وقد والله أصبحت كارها لجوارك، فقال عمر: إنه من كره جوار جاره تحوّل عنه، قال أما إنى غير مستسر بذلك، وأنا متحول إلى

(١) ينظر: البداية والنهاية (٦/ ٣٣٣-٣٣٤).

جوار من هو خير منك. فلم يلبث أن خرج مهاجرا إلى الشام، فمات بحوران لسنتين ونصف من خلافة عمر، سنة خمس عشرة من الهجرة(١).

وقال محمد بن عمر: حدثنا يحيى بن عبد العزيز بن سعد بن عبادة عن أبيه قال: ما علم بموت سعد حتى سمع بالمدينة غلمان فى بئر ممية أو بئر سكنهم، يقتحمون نصف النهار قائلا من البئر: [من الهزج]

قَتَلْنَا سَيِّدَ الخَزْرَ ... جِ سَعْدَ بْنَ عُبَادَهْ
رَمَيْنَاهُ بِسَهْمَيْنِ ... فَلَمْ نُخْطِئْ فُؤَادَهْ

فذعر الغلمان، فحفظ ذلك اليوم، فوجدوه اليوم الذى مات فيه. وإنما جلس يبول فى ثقب فقتل ساعته، ووجدوه قد اخضرّ جلده - رضى الله عنه - قال: وكان سعد لا يصلى بصلاتهم، ولا يصوم بصومهم، وإذا حج لم يفض بإفاضتهم.

عن محمد [بن سيرين]: لما بويع أبو بكر، وتخلف على - كرم الله وجهه - عن مبايعته، وجلس فى بيته بعث إليه أبو بكر: ما أبطأ بك عنى ؟! أكرهت إمارتى ؟! قال على: ما كرهت إمارتك، ولكنى آليت ألا أرتدى بردائى إلى الصلاة حتى أجمع القرآن. قال ابن سيرين: فبلغنى أنه كتبه علىّ على تنزيله، ولو أصيب ذلك الكتاب لوجد فيه علم كثير(٢).

وعن عائشة - رضى الله عنها - أن عليا مكث ستة أشهر حتى توفيت فاطمة - رضى الله تعالى عنها -، ثم بايع أبا بكر، ولم يبايع أحد من بنى هاشم حتى بايع على، رضى الله عنه وكرم وجهه(٣).

وفى البخارى من حديث عائشة أن فاطمة أرسلت إلى أبى بكر؛ تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ(٤)، قال الذهبى: قال الزهرى، عن عروة، عن عائشة: إن فاطمة سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ: أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه من المدينة، وفَدَك، وسهمه من خيبر، فقال لها: إن رسول الله

---

(١) ينظر: طبقات ابن سعد (٣/ ٤٦٣)، والرياض النضرة (١/ ٢٤١).
(٢) ينظر: الرياض النضرة (١/ ٢٤٢).
(٣) قال ابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٣٣٤): وأما ما يأتي من مبايعته إياه بعد موت فاطمة، وقد ماتت بعد أبيها عليه السلام بستة أشهر، فذلك محمول على أنها بيعة ثانية أزالت ما كان قد وقع من وحشة بسبب الكلام في الميراث.
(٤) تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين-٢١).

ﷺ قال: « لا نورث ما تركناه صدقة » فغضبت، وهجرت أبا بكر فلم تكلمه حتى توفيت، ودفنها على ليلا ولم يؤذِن بها أبا بكر[١]، وأرسل أزواج النبى ﷺ إلى أبى بكر، يسألنه ميراثهن مما أفاء الله على رسوله حتى كنت أنا رددتهن، فقلت لهن: ألا تتقين الله، ألم تسمعن من رسول الله ﷺ يقول « لا نورث، ما تركناه صدقة » وإنما يأكل آل محمد فى هذا المال كفافا »[٢].

وقال أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة يرفعه: أن رسول الله ﷺ قال: « لا يقتسم ورثتى دينارا، ولا درهما، ما تركت بعد نفقة نسائى، ومؤنة عيالى فهو صدقة »[٣].

وعن أبى صالح مولى أم هانئ: أن فاطمة دخلت على أبى بكر فقالت: يا أبا بكر أرأيت لو متَّ اليوم، من كان يرثك ؟ قال: أهلى، وولدى، فقالت: مالك ترث رسول الله ﷺ دون أهله، وولده ؟ قال: ما فعلت، يا بنة رسول الله، قالت: بلى، قد عمدت إلى فدك، وقد كانت صافية لرسول الله، فأخذت، وعمدت إلى ما أنزل الله من السماء، فرفعته منا! فقال: لم أفعل، حدثنى رسول الله ﷺ: أن الله يطعم النبى الطعمة ما كان حيًا، فإذا قبض رفعها. قالت أنت ورسول الله أعلم، ما أنا بسائلتك بعد مجلسى هذا[٤].

وعن أبى الطفيل: لما قبض النبى ﷺ أرسلت فاطمة إلى أبى بكر: أنت ورثتَ رسول الله ﷺ، أم أهله ؟! قال: لا، بل أهله! قالت: فأين سهمه ؟ قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ، يقول: « إن الله إذا أطعم نبيا طعمة، ثم قبضه جعلها للذى يقوم من بعده »، فرأيت أن أرده على المسلمين. قالت: أنت، وما سمعت من رسول الله - أعلم - رواه أحمد فى مسنده[٥].

وعن أنس - رضى الله عنه - أن فاطمة أتت أبا بكر، فقالت: قد علمنا الذى

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٤٠،٤٢٤١)، ومسلم (٥٢-١٧٥٩).
(٢) أخرجه البخاري (٤٠٣٤)، ومسلم (٥١-١٧٥٨) من حديث عائشة.
(٣) أخرجه البخاري (٣٠٩٦)، ومسلم (٥٥-١٧٦٠).
(٤) ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين-٢٢) من طريق محمد بن السائب عن أبي صالح به وقال الذهبي: محمد بن السائب متروك.
(٥) أخرجه أحمد (١/ ٤)، وأبو داود (٢٩٧٣). وقال الذهبي: منكر، وأنكر ما فيه قوله: «لا، بل أهله».

خلفنا عنه من الصدقات أهل البيت، ثم قرأت عليه: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الانفال : ٤١] إلى آخر الآية، فقال لها بأبى، وأمى أنت، ووالدك، وعلى السمع، والبصر كتاب الله وحق رسول الله، وحق قرابته، أنا أقرأ من كتاب الله مثل الذى تقرئين، ولا يبلغ علمى فيه أن لذى قرابة رسول الله ﷺ هذا السهم كله من الخمس يجرى بجملته عليهم قالت: أفلك هو، ولقرابتك ؟! قال: لا، وأنت عندى أمينة مصدقة، فإن كان رسول الله ﷺ عهد إليك فى ذلك عهدًا، أو وعدك موعدًا أوجبه لكم حقًّا صدقتك، وسلمته إليك. قالت: لا، إلا أن رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ذلك، قال: أبشروا آل محمد؛ فقد جاءكم الغنى - قال أبو بكر: صدقت فلك الغنى، ولم يبلغ علمى فيه، ولا لهذه الآية سهم أن يسلم هذا السهم كله كاملا، ولكن لكم الغنى الذى يغنيكم، ويفضل عنكم، فانظرى هل يوافقك على ذلك أحد منهم ؟ فانصرفت إلى عمر، فذكرت له كما ذكرت لأبى بكر، فقال لها مثل الذى راجعها به أبو بكر؛ فعجبت، فظنت أنهما قد تذاكرا ذلك، واجتمعا عليه(١).

قال أبو حمزة العسكرى، عن ابن أبى خالد، عن الشعبى قال: لما مرضت فاطمة - رضى الله عنها - أتاها أبو بكر، فاستأذن، فقال على: يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك، فقالت: أتحب أن آذن له ؟ قال: نعم، فأذنت له، فدخل عليها يترضاها، فقال: والله ما تركتُ الدار، والمال، والأهل، والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله، ورسوله، ومرضاتكم أهل البيت. ثم ترضاها حتى رضيت، رضى الله تعالى عنها(٢).

وعن الزهرى قال: حدثنى من سمع من ابن عباس يقول: كان عمر عرض علينا أن يعطينا من الفىء ما يرى أنه لنا من الحق، فرغبنا عن ذلك وقلنا له: ما سمى الله من حق ذى القربى، وهو خمس الخمس، فقال عمر: ليس لكم ما تدعون لكم حق، إنما جعل الله الخمس لأصناف سماهم، أسعدهم فيه حظا أشدهم فاقة، وأكثرهم

---

(١) ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين (٢٤).
(٢) ذكره الذهبي (عهد الخلفاء-٤٧) وذكره ابن كثير في البداية (٦/ ٣٦٦) وعزاه للبيهقي ونقل قوله: هذا مرسل حسن بإسناد صحيح.

عيالا. قال: فكان عمر يعطى من قبل منا من الخمس والفئ ما يرى أنه لنا، فأخذ منا ناس، وترك ناس[١].

وذكر أن مالك بن أوس بن الحدثان النضرى، قال: كنت عند عمر - رضى الله عنه - فأتاه حاجبه يرفأ، فقال: هل لك فى: عثمان، والزبير، وعبد الرحمن، وسعد يستأذنون ؟ قال: نعم، فدخلوا، وسلموا، وجلسوا، ثم لبث يرفأ قليلا، ثم قال لعمر: هل لك فى على، والعباس ؟ قال: نعم، فلما دخلا سلما، فجلسا. فقال العباس: يا أمير المؤمنين اقض بينى وبين هذا الظالم الفاجر الغادر الخائن - قلت: العلم أمانة، ولولا أن هذه الألفاظ مذكورة فى فتح البارى وغيره لما ذكرتها، رضى الله تعالى عنهما وأرضاهما - فاستبّا، فقال عثمان، وغيره: يا أمير المؤمنين، اقض بينهما، وأرح أحدهما من الآخر، فقال: أنشدكما بالله، هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركناه صدقة ؟ قالا: قد قال ذلك. قال فإنى أحدثكم عن هذا الأمر، إن الله كان قد خص رسوله فى هذا الفيء بشيء لم يعطه غيره، فقال - تعالى: ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحشر: ٦] فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ، وايمُ الله ما اختارها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، لقد أعطاكموها، وبثها فيكم حتى بقى منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يجعل ما بقى مجعل مال الله، أنشدكما بالله، هل تعلمان ذلك ؟ قالا: نعم. قال: ثم توفى الله نبيه، فقال أبو بكر: أنا ولى رسول الله ﷺ، وخليفته، فقبضها، وعمل فيها بما عمل به رسول الله ﷺ، وأنتما تزعمان أن أبا بكر فيها كاذب، فاجر، غادر، والله يعلم إنه فيها لصادق، بار، راشد، ثم توفاه الله، فقلت: أنا ولى رسول الله ﷺ، وولى أبى بكر، فقبضتها سنتين من إمارتى، أعمل فيها بعمله، وأنتما حينئذ - وأقبل على على والعباس - تزعمان أنى فيها كاذب، فاجر، غادر، والله يعلم أنى فيها لصادق، بار، راشد تابع للحق، ثم جئتمانى وكلمتكما واحدة، وأمركما جميع، فجئتنى تسألنى عن نصيبك يا عباس، من ابن أخيك، وجاءنى هذا - يشير إلى على - يسألنى عن نصيب امرأته من أبيها،

(١) ذكره الذهبي (عهد الخلفاء -٢٤).

فقلت لكما: إن رسول الله ﷺ قال « لا نورث، ما تركناه صدقة » فلما بدا لى أن أدفعها إليكما قلت: إذا شئت دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ، وبما عمل فيها أبو بكر، وإلا فلا تكلمانى، فقلتما: ادفعها إلينا بذلك؛ فدفعتها إليكما. أنشدكما بالله، هل دفعتها إليكما بذلك ؟ قالا: نعم. قال: أفتلتمسان منى قضاء غير ذلك ؟! فوالذى بإذنه تقوم السماء والأرض، لا أقضى فيها غير ذلك حتى تقوم الساعة، فإن عجزتما عنها؛ فادفعاها إليّ أكفيكماها[١]. فانصرفا. فكانت هذه الصدقة بيد على، غلب عليها العباس، ثم كانت بيد الحسين، ثم بيد على بن الحسين، والحسن المثنى ابن الحسن السبط، يتداولانها، ثم بيد زيد، وهى صدقة رسول الله ﷺ حقًا[٢].

قال العلامة السيوطى - رحمه الله تعالى - لما توفى رسول الله ﷺ اشرأب النفاق، وارتدت العرب، وانحازت الأنصار، واختلفوا أين يدفن رسول الله ﷺ، فما وجد عند أحد من ذلك علم، فقال أبو بكر - رضى الله عنه -: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من نبى يقبض إلا دفن تحت مضجعه الذى مات فيه »[٣]، واختلفوا فى ميراثه، فما وجدوا عند أحد علمًا من ذلك، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة »[٤].

قال بعض العلماء: هذا أول اختلاف وقع بين الصحابة.

ولما اشتهرت وفاته - عليه الصلاة والسلام - بالنواحى وارتدت طوائف من العرب، ومنعوا الزكاة؛ نهض أبو بكر الصديق إلى قتالهم، فقال عمر: فتر عن قتالهم، فقال أبو بكر: والله لو منعونى عقالاً - أو عناقًا - كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، فقال عمر: كيف نقاتلهم، وقد قال - عليه الصلاة والسلام -: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فمن قالها عصم منى ماله ودمه إلا بحقها، وحسابه على الله ؟! فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، وقد قال: « إلا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٩٤)، ومسلم (٤٩-١٧٥٧).
(٢) ذكره الذهبي (عهد الخلفاء الراشدين -٢٧).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) تقدم قريبًا.

بحقها »، قال عمر: فوالله ما هو، إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر - رضى الله عنه - للقتال؛ فعرفت أنه الحق[١].

وذكر جماعة من المؤرخين، وغيرهم: أن رسول الله ﷺ كان وجه أسامة بن زيد - رضى الله عنهما - فى سبعمائة رجل إلى الشام، فلما نزل بذى خُشب قبض رسول الله ﷺ، وارتدت العرب، فاجتمعت الصحابة - رضى الله عنهم - وقالوا للصديق: ردّ هؤلاء - يعنى أسامة وأصحابه - فقال: والله الذى لا إله إلا هو، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبى ﷺ ما رددت جيشًا جهزه رسول الله ﷺ، ولا حللت لواء عقده رسول الله ﷺ، وأمر أسامة أن يمضى لوجهه، وقال أبو بكر: أرأيت أن تأذن لعمر - رضى الله عنه - بالمقام عندى، أستأنس به، وأستعين برأيه؟ فقال أسامة - رضى الله عنه - قد فعلت.

وسار أسامة، فجعل لا يمر بقبيلة تريد الارتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هذا الجيش من عندهم، فلقوا الروم، فقاتلوهم، وهزموهم، ورجعوا سالمين[٢].

وكان لعلى من الناس وجه حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر عليّ وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبى بكر، ولم يكن بايع تلك الأشهر، فأرسل ابنه الحسن إلى أبى بكر: أن ائتنا، ولا يأتنا أحد معك، وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدته، فقال عمر: والله لا تدخل عليهم وحدك. فقال أبو بكر: والله لآتينهم وحدى، وما عسى أن يصنعوا بى؟! فانطلق أبو بكر حتى دخل على عليّ وقد جمع بنى هاشم عنده، فقام عليّ، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فإنه لم يمنعنا أن نبايعك إنكار لفضيلتك، ولا نفاسة عليك بخير ساقه الله إليك، ولكنا كنا نرى أن لنا فى هذا الأمر حقًا، فاستبديتم به علينا، ثم ذكر قرابته منه - عليه الصلاة والسلام - وحقه، فلم يزل على يذكر ذلك حتى بكى أبو بكر.

فلما صمت على - رضى الله عنه - تشهد أبو بكر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فوالله، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصلهم من قرابتى، والله

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٩، ١٤٠٠)، ومسلم (٣٢-٢٠) من حديث أبي هريرة.
(٢) ينظر البداية والنهاية (٦/ ٣٣٦).

ما آلوكم فى هذه الأحوال التى كانت بينى وبينكم من الخير، ولكنى سمعت من رسول الله ﷺ يقول: « لا نورث، ما تركناه صدقة، وإنما يأكل آل محمد من هذا المال. . . » إلى آخر ما تقدم.

وفى رواية: « أما بعد فوالله ما فعلت ذلك إلا أنى خشيت الفتنة. . . » إلى آخر ما تقدم من قوله لفاطمة فى السابق - « وإنى والله لا أذكر صنيعه فيه إلا صنعته »، إن شاء الله تعالى.

ثم قال عليّ: موعدك العشية للبيعة. فلما صلى أبو بكر الظهر أقبل على الناس، ثم عذر عليًا ببعض ما اعتذر به له، ثم قام عليّ، فعظم من حق أبى بكر، فذكر فضيلته وسابقته، ثم مضى إلى أبى بكر، فبايعه، وأقبل الناس على عليّ، فقالوا: أصبت، وأحسنت. هذا حديث صحيح، متفق عليه[1].

قال فى الرياض: قوله: « استبديتم » أو « استبددتم » أى انفردتم به دوننا. وقوله: « كنا نرى أن لنا فى هذا الأمر حقًا » المراد بالأمر: الخلافة، ويؤيده: أن عليًا بعث إلى أبى بكر؛ ليبايعه، فقدم العذر فى تخلفه أولاً، فقال: لم نمتنع نفاسة عليك، ولا كذا، ولا كذا ولكنا كنا نرى أن لنا فى هذا الأمر حقًا، فعلم بالضرورة أن الأمر المشار إليه بلام العهد هو: ما تضمنه الكلام الأول، فالمراد به حق فى الخلافة إما بمعنى الأحقية أى: كنا نظن أنا أحق منكم بهذا الأمر بقرابتنا من رسول الله ﷺ مضافًا إلى ما اجتمع فينا من أهلية الإمامة مما ساوينا فيه غيرنا، وإما بمعنى أنى أستحق استحقاقًا مساويا لاستحقاقكم على تقدير انضمام القرابة إليه إذ القرابة معنى تحصل به الراجحية وإنه ليس بأحق، ولا يلزم من تخلفه تلك المدة عدم صحة خلافة أبى بكر، ولا من سكوته عن الإنكار الإقرار على الباطل؛ لأنا نقول: إن تخلفه لرؤيته الأحقية له كان أول وهلة، وغاب عنه إذ ذاك ما كان يعلمه من حق أبى بكر[2]، وفيه من قول رسول الله ﷺ مما سيذكر فى فضائله من الأربعة عشر الحديث الدالة على خلافته ظاهرًا، بل وصريحًا إن صحت زيادة قوله فى الحديث: « وهو الخليفة من بعدى »[3]، فلما اجتمع الجم الغفير على ولاية أبى بكر - اتهم

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٤٠، ٤٢٤١)، ومسلم (٥٢-١٧٥٩)، وانظر الرياض النضرة (١/ ٢٤٣).
(٢) انظر في ذلك الرياض النضرة (١/٢٤٣- ٢٤٤).
(٣) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٢/ ٤٧) من حديث ابن عباس في فضل على بن أبي طالب، =

نظره فى حق نفسه، ثم إنه لم ير المبادرة إلى إظهاره والمطالبة بمقتضاه حتى بذل جهده فى التنقير والنظر وإمحاص الفكر، فإن ذلك من الوقائع العظيمة فى الدين، وفيه تفريق كلمة من أجمع من المسلمين، فلم يقنع فيه بتبادر النظر، خشية استمالة الهوى الجبلى، وحب الرياسة الطبيعى، ولا رأى الموافقة لما استقر فى ذهنه من رؤية أحقيته فيما يستحق به الإمامة، وتعين وجوب القيام بالأمر عليه لكونه أحق، وكان ذلك فى بادى النظر قبل الإمعان فيه، فتخلف عن الأمرين؛ سالكًا فى ذلك الطريق الورع والاحتياط فيما عنده، باذلاً جهده فى الاجتهاد والنظر تلك المدة مجتهدًا، فلما تبين له أحقية أبى بكر وفضيلته، بتذكر مقتضيات الأفضلية، ووافق ذلك موت فاطمة - رضى الله عنها - أرسل إلى أبى بكر، واعتذر إليه: بأنه استبان أحقيته، وسياق هذا اللفظ مشعر: بأن تلك الرؤية قد زالت، ولم يكن ذكره القرابة إقامة للحجة على أبى بكر، فإنه يعتذر، ولا تليق المحاجة بالمعتذر، وإنما كان إظهارًا لمستند تخلفه، وبيانًا لمعتمد تمسكه، لكيلا يظن فيه أن تخلفه كان لهوى متبع بغير هدى من الله تعالى لا عن اجتهاد ونظر، وإن لم يكن صحيحًا، إذ المجتهد معذور، وإن أخطأ، ولذلك كان له أجر.

وهذا التأويل مما يجب اعتقاده، وينبغى المصير إليه.

وما قاله بعضهم من أنه - رضى الله عنه - إما أن يعتقد صحة خلافة أبى بكر مع أحقيته فيكون تخلفه عن البيعة، ومفارقة الجماعة، ونزع ربقة الطاعة - عدولاً عن الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال، وهو مبرأ عن ذلك، ومنزه عنه، أو لا يعتقد صحتها؛ فيكون قد أقر على الباطل؛ لأنه - رضى الله عنه - قد أقر الطير على مكانها، ولم يظهر منه نكير على فعلهم لا بقول ولا بفعل مع قوة إيمانه، وشدة بأسه، وكثر ناصره، وكفى بفاطمة، والعباس عمه، وبنى هاشم بأجمعهم ومن معه من الصحابة ظهيرًا ونصيرًا مع ما أسس له - عليه الصلاة والسلام - من القواعد فى العقائد، وأن موالاته ومحبته، من محبته والدعاء لمن والاه وعلى من عاداه، ومع ذلك كله لم يظهر منه ما يقتضيه حال مثله من إنكار الباطل بحسب طاقته، فلو كان

= وفيه: وهو بابي الذي أوتى به، وهو خليفتي من بعدي. قلت: فيه داهر بن يحيى الرازي؛ قال ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٢١١): قال يحيى بن معين: داهر ليس بشيء يكتب عنه إنسان فيه خير.

باطلاً لزم تقريره الباطل، واللازم باطل كذلك، فالملزوم كذلك، فقد تقدم الجواب عنه آنفًا. والقول الذى تدعيه الروافض ومن نحا نحوهم: أن سكوته كان تقية، باطل غريق فى البطلان، فإن مقتضى ذلك: إما ضعف فى الدين، أو فى الحال.

فالأول: باطل اجماعًا، والثانى - أيضًا -: باطل لما قررنا آنفًا، ويؤيده قوله - عليه الصلاة والسلام - فى الحديث الذى رواه الحسن البصرى المتضمن نفى العهد إليه بالخلافة وفيه: « لو كان عندى عهد من النبى ﷺ فى ذلك ما تركت أخا [بنى] تيم بن مرة، وعمر بن الخطاب، يقومان على منبره، ولقاتلتهما [بيدى] ولو لم أجد إلا بردتى هذه » الحديث.

وهذا أدل دليل على أنه لم يسكت تقية، إذ لو علم بطلان ذلك وأنه المتصف بها دونه لتعين عليه القيام، وكان كالعهد إليه. وقد أخبر - رضى الله عنه - أنه لو تعين عليه بالعهد إليه لقاتل، ولقد أحسن الحسن بن الحسن بن على - رضى الله تعالى عنهم - حيث قال لبعض الروافض: « لو كان الأمر كما تقولون: أن النبى ﷺ اختار عليًا لهذا الأمر والقيام على الناس بعده - كان عليّ أعظم الناس جرمًا وخطيئة إذ ترك أمر رسول الله ﷺ أن يقوم به، ويُعذر إلى الناس ». فقال له الروافض: ألم يقل - عليه الصلاة والسلام -: « من كنت مولاه، فعليّ مولاه »[1] فقال الحسن: أما والله لو يعنى بها [رسول الله ﷺ] الأمر والسلطان لأفصح به كما أفصح بالصلاة، والزكاة، والحج، والصيام، ولقال: أيها الناس إنه الولى بعدى فاسمعوا له وأطيعوا. أخرجه ابن السمان فى الموافقة[2].

فإن قيل: ألا يجوز أن يكون المراد بالأمر فى قول عليّ الميراث، وبالحق حق الميراث، فيكون تقدير الكلام: كنا نظن أن لنا قسمًا خلفه رسول الله ﷺ حقًا، وأنك منعتنا إياه، وأصررت على المنع؛ فلم تصح لذلك خلافتك؛ فلذلك تخلفنا عن البيعة، ويدل على هذا جواب أبى بكر بنفى الميراث على الرواية الأولى، وإلا

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٧٠)، وفي الفضائل (١١٦٧)، والنسائي في الخصائص (٩٣)، وابن أبي عاصم في السنة (١٣٦٧)، وابن حبان (٦٩٣١) من حديث علي وزيد بن أرقم، وأخرجه الترمذي (٣٧١٣) من طريق شعبة عن سلمة بن كهيل قال سمعت أبا الطفيل يحدث عن أبي سريحة أو زيد بن أرقم شك شعبة عن النبي ﷺ قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٥٠).

(٢) ينظر: كلام صاحب الرياض بطوله في الرياض النضرة (١/ ٢٤٦-٢٤٧).

لما كان جوابًا، فوجب المصير إلى هذا المعنى صونًا لكلام هذا الفصيح عن الزلل، وهو من أفصح العرب وأعرفهم بما يقول ؟ قلنا: صورة الحال وسياق المقال يشهدان بخلافه، ويتبرآن منه. فإن اعتذار على - رضى الله عنه - إنما كان عن تخلفه عن البيعة، فقال: « لم يمنعنا أن نبايعك يا أبا بكر إنكار لفضيلتك، ولا نفاسة لخير ساقه الله إليك . . . » إلى آخره، ولم يجر فى حديثه ذكر الميراث، والمبادر منه إلى الفهم عند سماع هذا اللفظ ليس إلا الخلافة.

وجواب أبى بكر - رضى الله عنه - محمول على تقدم كلام آخر تركه الراوى ويكون لما فرغ على - رضى الله عنه - من قوله: كنا نظن أن لنا فى هذا الأمر حقًّا تعرض لذكر الميراث، ثم اعتذر عن المبايعة فأغنى أبا بكر عن الجواب عن قوله: كنا نرى، إذ يقتضى أن تكون تلك الرؤية سابقة، ثم انقطعت، وأن رؤيته الآن غير تلك. هذا هو المفهوم من سياق لفظه - كرم الله وجهه - فما عسى أن يقول له أبو بكر وقد دل كلامه على تغير نظره، والإجابة على مبايعته ورؤية الحق فى ذلك، فاستغنى أبو بكر عن جواب فصل البيعة، وعدل إلى جواب فصل الميراث. أو نقول: لم يجر للميراث فى هذا المجلس ذكر إلا أنه كان قد ذكر قبل ذلك، وجرى فى حديث فاطمة - رضى الله تعالى عنها - حين جاءت إلى أبى بكر، فطلبت الميراث، فلما كان ذلك المجلس المعقود لإزالة صورة الوحشة الظاهرة، والدخول فيما دخلت فيه الجماعة، واعتذر عليّ بما اعتذر به، وقبل أبو بكر عذره، ثم أنشأ أبو بكر ذكر الميراث معتذرًا مما توهم فيه أولاً نافياً له حالفًا على الاتصاف بخلافه، محتجًّا بالحديث الذى ذكره، وقصد بذلك إزالة بقايا الوحشة إن كانت حتى لا يبقى لها أثر.

وأما منع أبى بكر فاطمة عن الإرث، فادعت الرافضة أن فى ذلك منه احتجاجًا بخبر الواحد مع معارضته لآية المواريث التى استدلت بها فاطمة - رضى الله عنها - وليس ادعاؤهم صحيحًا، إذ هو - رضى الله تعالى عنه - لم يحكم بخبر الواحد الذى هو محل الخلاف، وإنما حكم بما سمعه من رسول الله ﷺ، وهو عنده قطعى، فيساوى آية المواريث فى قطعية المتن.

وأما حمله على ما فهم منه فلانتفاء الاحتمالات التى يمكن تطرقها إليه بقرينة

الحال، فصار عنده دليلاً قطعيًا مخصصًا لعموم تلك الآيات، مع أن أبا بكر - رضى الله تعالى عنه - لم ينفرد برواية هذا الحديث، فقد رواه: أمهات المؤمنين، وعليّ نفسه، والعباس، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وسعد، كلهم كانوا يعلمون ذلك، وإنما انفرد أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - باستحضاره أولاً ثم استحضره الباقون، وعلموا أنهم سمعوه منه ﷺ.

فالصحابة فى موافقتهم أبا بكر على حكمه لم يعملوا برواية أبى بكر وحدها، وإن كانت كافية أي كافية فى ذلك، وإنما عملوا بها وبما انضم إليها من علم أفاضلهم الذين ذكرناهم.

وأما عذر فاطمة - رضى الله عنها - فى طلبها مع روايته لها الحديث، فيحتمل أنه لكونها رأت أن خبر الواحد لا يخصص القرآن كما قيل به فاتضح عذره فى المنع وعذرها فى الطلب، فلا يشكل عليك ذلك. قاله العلامة ابن حجر. قلت: قد تقدم فيما نقله الذهبى، عن الزهرى برواية صالح مولى أم هانئ أن فاطمة قالت لأبى بكر بعد روايته الحديث لها: أنت ورسول الله أعلم، ما أنا بسائلتك بعد مجلسى هذا، فهجرته فلم تكلمه حتى ماتت، صريح كما ترى فى أنها لم تسأله بعد روايته الحديث، فلا حاجة إلى الاعتذار عنه بما ذكره. والله أعلم.

فعلم بما ذكرناه إجماع الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - على حقيقة خلافة الصديق، وأنه أهل لها، وذلك كاف، ولم يرد نص عليها بل الإجماع أقوى من النصوص التى لم تتواتر؛ لأن مفاده قطعى، ومفادها ظنى.

وحكى النووى بأسانيد صحيحة عن سفيان الثورى: من قال: إن عليًا كان أحق بالولاية من أبى بكر، فقد خطأ أبا بكر، وعمر، والمهاجرين، والأنصار، وما أراه يرتفع له مع هذا عمل إلى السماء.

وأخرج الدارقطنى عن عمار بن ياسر نحوه.

فإن قيل: الحديث الأول: يدل على أن سبب التخلف الألية على أنه لا يرتدى رداءه إلا إلى الصلاة حتى يجمع القرآن، وحديث الحسن فى دعائه أبا بكر يدل على أن التخلف كان لما رآه من أن له حقًا، فكيف يجمع بينهما ؟ أم كيف تكون الألية - يعنى القسم - عذرًا فى التخلف عن الأمر الواجب المتعين، والحنث لأجله واجب

كنظيره فى التخلف عن الصلاة الواجبة، قلنا: الجمع يمكن بأن يكون سبب الامتناع عن البيعة وتخلفه أولاً: ما ذكره من قوله كنا نظن، ثم خطر له - كرم الله وجهه - جمع القرآن، وهو فى مهلة النظر المتقدم ذكره فآلى تلك الألية، ثم أرسل إلى أبى بكر، ثم لقيه عمر، فقال له: تخلفت عن بيعة أبى بكر، فقال: « إنى آليت . . . » إلى آخره، ووافى ذلك ظهور أحقية أبى بكر عنده، فأرسل إليه معتذرًا فى التخلف، واقتضى نظره له إذ ذاك أن هذا القدر كاف فى الطواعية، والانقياد، والدخول فيما دخل فيه الجماعة، فلم ير الحنث مع البيعة؛ خشية أن ينقل عنه وينقسم نظره عند ملابسة الناس ومخالطتهم، فأقام إظهار عذره مقام حضوره إلا أنه رأى اليمين عذرًا؛ ولا أنه بقى على ما كان عليه من رؤية أحقيته. كذا فى الرياض[١].

رسالة أبى بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه -، واتباع سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه - إلى سيدنا على - كرم الله وجهه - مع سيدنا أبى عبيدة عامر بن الجراح - رضى الله تعالى عنه -، وجواب سيدنا على - كرم الله وجهه - عن ذلك، ومبايعته لأبى بكر - رضى الله تعالى عنهم أجمعين - عن أبى حيان على بن محمد التوحيدى البغدادى قال: سمرنا ليلة عند القاضى أبى حامد أحمد بن بشر المرورزى العامرى فى دار أبى حبشان فى شارع المازبان، فتصرف إلى الحديث كل متصرف، وكان أبو حامد - والله مفنًا، مِخْلطًا، مزيلاً، معنيا، غزير الرواية، لطيف الدراية، له فى كل جو متنفس، ومن كل نار مقتبس، فجرى حديث السقيفة وشأن الخلافة، فركب كل منا متنا، وقال قولاً، وعرض بشيء، ونزع إلى فن، فقال: هل فيكم من يحفظ رسالة سيدنا أبى بكر الصديق إلى سيدنا على، رضى الله تعالى عنهما، وجواب على- له ومبايعته إياه عقب تلك المناظرة. فقالت الجماعة التى بين يديه: لا والله. قال: هى من بنات الحقاق ومخبآت الصناديق فى الخزائن، ومذ حفظتها ما رويتها إلا للمهلبى أبى محمد فى وزارته، وكتبها عنى بعده فى خلوة، وقال: لا أعرف على وجه الأرض رسالة أعقل منها ولا أبين، وإنها لتدل على حكم: وعلم، وفصاحة، وفقاهة، ودهاء، ودين، وبعد غور، وشدة غوص. فقال له أبو بكر العبادانى: أيها القاضى، لو أتممت المنة

(١) فى ط: الروض . وينظر: الرياض النضرة (١/ ٢٥٠-٢٥١).

بروايتها سمعناها، ونحن أوعى لها عنك من المهلبى، وأوجب ذمامًا عليك، فاندفع فقال: حدثنا الخزاعى بمكة: حدثنا ابن أبى ميسرة قال: حدثنا محمد بن فليح، أنبأنا عيسى بن دأب، أنبأنا صالح بن كيسان، ويزيد بن رومان - وكان معلم عبد الملك بن مروان - قال: أنبأنا هشام بن عروة قال: أنبأنى أبو النفاخ مولى أبى عبيدة ابن الجراح، وروى هذا الحديث، وكان له عليه جراءة ظاهرة وكان من محفوظاته القديمة، فلما كان بعد ذلك بدهر - ذاكرنا بأحرف من هذه الرسالة ابن هارون، وكان نسيج وحده: حفظًا، وبيانًا، واتباعًا، فعرفناه أن الحديث عندنا من جهة أبى حامد، فزعم أن أستاذه ابن شجرة أحمد بن كامل القاضى سرده ولم يكن فيه صالح بن كيسان، وذكر مولى أبى عبيدة أبا النفاخ بالنون والفاء وخالف فى أحرف، وأنا أكرر عليه الرسالة والحديث بعد ذكرهما، وأسمى حرفًا حرفًا مما وقع فيه الخلاف على جهة التصحيف، أو على جهة التحريف. على أننى ما سمعت بحديث فى طوله وغرابته بأحسن سلامة منه؛ وإنما ذلك لأنه صار إلينا من رواية هذين الشيخين العلامتين، وكان سماعنا من أبى حامد سنة ستين، ومن أبى منصور سنة خمس وسبعين.

قال أبو حامد: قال أبو النفاخ سمعت أبا عبيدة بن الجراح يقول: لما استقرت الخلافة لأبى بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه - بين المهاجرين والأنصار، ولحظ بعين الهيبة والوقار، وإن كان لم يزل كذلك بعد هنية كاد الشيطان بها، فدفع الله شرها، ورحض عرها، ويسر خيرها، وأزاح ضيرها، ورد كيدها، وقصم ظهر النفاق والفسوق من أهلها؛ بلغ سيدنا أبا بكر الصديق عن سيدنا على بن أبى طالب تلكؤ وشماس، وتهمهم ونفاس، وكره أن يتمادى الحال، وتبدو العداوة، وتنفرج ذات البين ويصير ذلك دريئة لجاهل مغرور أو، عاقل ذى وهن، أو صاحب سلامة ضعيف القلب خوار العنان، دعانى، فحضرته وعنده سيدنا عمر بن الخطاب وحده، وكان يُدمن أرضه بالسرجين، وكان عمر قباله ظهيرًا معه يقتبس برأيه ويستملى على لسانه، فقال لى أبو بكر الصديق: يا أبا عبيدة ما أيمن ناصيتك، وأبين الخير بين [عينيك و] عارضيك، ولقد كنت من رسول الله ﷺ بالمكان المحوط والمحل المغبوط، ولقد قال فيك فى يوم مشهود « أبو عبيدة أمين هذه الأمة »[1]، وطال

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٤٤)، ومسلم (٥٣-٢٤١٩) من حديث أنس بن مالك.

ما أعز الله بك الإسلام، وأصلح فساده على يديك، ولم تزل: للدين ملجأ، وللمؤمنين دوحًا، ولأهلك ركنا، ولاخوانك ردءًا؛ قد أردتك لأمر له ما بعده، خطره مخوف، وصلاحه معروف؛ وإن لم يندمل جرحه بمسبرك، ولم تستجب حيته لرقيتك - فقد وقع اليأس، وأعضل البأس، واحتيج بعد ذلك إلى ما هو أمر من ذلك وأعلق، وأعسر منه وأغلق؛ والله أسأل تمامه بك، ونظامه على يديك؛ فتأت له يا أبا عبيدة، وتلطف فيه، وانصح لله تعالى ولرسوله ﷺ ولهذه العصابة غير آل جهدًا، ولا قال جدًا، والله كالئك وناصرك، وهاديك ومبصرك، وبه الحول والتوفيق امض إلى عليٍّ ، واخفض جناحك له، واغضض من صوتك عنده، واعلم أنه سلالة أبى طالب ومكانه ممن فقدناه بالأمس ﷺ مكانه، وقل له: البحر مغرقه، والبر مفرقه، والجو أكلف، والليل أغلف، والسماء جلواء، والأرض صلعاء، والصعود متعذر، والهبوط متعسر، والحق رءوف عطوف، والباطل شنوف عنوف، والضغن رائد البوار، والتعريض شجار الفتنة، القعة ثقوب العداوة، وهذا الشيطان متكىء على شماله، متحبل بيمينه، نافج حضنيه لأهله ينتظر بهم الشتات والفرقة، ويدبّ بين الأمة بالشحناء والعداوة، عنادًا لله - عز وجل - ولرسوله ﷺ ولدينه، ناكبًا يوسوس بالفجور، ويُدلى بالغرور، ويمنى أهل الشرور، ويزجى إلى أوليائه بالباطل، دأبًا له مذ كان على عهد أبينا آدم عليه الصلاة والسلام، وعادة منه منذ أهانه الله - عز وجل - فى سالف الدهر، لا ينجى منه إلا عض الناجذين على الحق، وغض الطرف عن الباطل والعاجل ووطء هامة عدوّ الله وعدوّ الدين بالأشد فالأشد والأحدّ فالأحدّ، وإسلام النفس لله - عز وجل - فيما حاز رضاه وجنب سخطه، ولابد الآن من قول ينفع إذا ضر السكوت وخيف غبّه، ولقد أرشدك من أفاد ضالتك، وصادقك من أحيا مودته لك بعتابك، وأراد الخير بك من آثر البقاء معك، ما هذا الذى تسول لك نفسك، ويدوى به قلبك، ويلتوى به عليك رأيك، ويتخاوص دونه طرفك، ويسرى فيه ظعنك، ويتراد معه نفسك، وتكثر معه صعداؤك، ولا يفيض به لسانك، أعجمة بعد إفصاح، أم تلبيس بعد إيضاح ؟! أدين غير دين الله - عز وجهه- أخُلق غير خُلق القرآن ؟! أهدى غير هدى النبى ﷺ ؟! أمثلى يمشى إليه الضراء، أو تدب إليه الخمراء ؟!! أم مثلك ينقبض عليه الفضاء،

أو تكسف فى عينه القمراء ؟! ما هذه القعقعة بالشنان، وما هذه الوعوعة بالشنآن؛ إنك جد عارف باستجابتنا لله - عز وجل - ولرسوله، وخروجنا عن: أوطاننا، وأموالنا، وأولادنا، وأحبتنا؛ هجرة إلى الله تعالى ذكره؛ ولنصرة نبيه ﷺ، فى زمان أنت فيه فى كن الصبا وخدر الغرارة، غافل عما يشبب ويربب، لا تعى ما يراد ويشاد، ولا تحصل ما يساق ويقاد، سوى ما أنت جار عليه إلى غايتك التى إليها عدى بك، وعندها حط رحلك، غير مجهول القدر، ولا مجحود الفضل، ونحن فى أثناء ذلك نعانى أحوالاً تزيل الرواسى، ونقاسى أهوالا تشيب النواصى، خائضين غمارها، راكبين تيارها، نتجرع صابها، ونشرح عيابها، ونكرع عبابها، ونحكم أساسها، ونبرم أمراسها، والعيون تحدج بالجد، والأنوف تعطس بالنكد، والصدور تستعر بالغيظ، والأعناق تتطاول بالفخر، والشفار تشحذ بالمكر، والأرض تميدُ بالخوف، ولا ننتظر عند المساء صباحًا، ولا عند الصباح مساء. ولا ندفع فى نحر أمر إلا أن نحسو الموت دونه، ولا نبلغ إلى شيء إلا بعد جرع الغصص معه، ولا نقوّم منآدًا إلا بعد اليأس من الحياة عنده؛ فادين فى كل ذلك لرسول الله ﷺ بالأب والأم، والخال والعم، والنشب والسبد واللبد، والهلة والبلة، والأهل والولد، بطيب نفس، وقرور عين، ورحب أعطان، وثبات عزائم، وصحة عقول، وطلاقة وجه، وذلاقة ألسن. هذا إلى خفيات أسرار ومكنونات أخبار، كنت عنها غافلاً، ولولا حداثة سنك لم تكن عن شيء منها ناكلاً، كيف وفؤادك مشهوم، وعودك معجوم، وغيبك مخبور، والقول فيك كثير، والآن قد بلغ الله بك، وأرهص الخير لك، وجعل لك مرادك بين يديك، وعقلك بين عينيك، وعن علم أقول ما تسمع، فارتقب زمانك، وقلص إليه أردانك، ودع التعبيس والتحبيس بمن لا يظلع لك إذا خطا، ولا يتزحزح عنك إذا عطا، والأمر غض، والنفوس فيها مض.

وإنك أديم هذه الأمة، فلا تحلم لجاجًا؛ وسيفها العضب، فلا تنبو اعوجاجًا؛ وماؤها العذب، فلا تحل أجاجا.

والله لقد سألت رسول الله ﷺ عن هذا الأمر، فقال لى: يا أبا بكر هو لمن يرغب عنه، لا لمن يرغب فيه، ويجاحش عليه؛ ولمن يتضاءل له، لا لمن ينتفجُ إليه، ولمن يقال له هو لك، لا لمن يقول هو لى.

والله لقد شاورنى رسول الله ﷺ فى الصهر، فذكر فتيانا من قريش، فقلت له: أين أنت من على ؟ فقال إنى لأكره لفاطمة ضيق شبابه، وحداثة سنه، فقلت له: متى كنفته يدك، ورعته عينك، حفت بهما البركة، وأسبغت عليهما النعمة، مع كلام كثير خطبت به عنك، ورغبت فيك، وما كنت عرفت منك فى ذلك حوجاء ولا لوجاء، فقلت ما قلت وأنا أرى مكان غيرك، وأجد رائحة سواك، وكنت لك إذ ذاك خيرًا منك الآن لى، ولئن كان عرَّض بك رسول الله ﷺ، فقد كنى عن غيرك، وإن كان قال فيك، فما سكت عن سواك، وإن يختلج فى نفسك شيء فهلم، فالحكم مرضي، والصواب مسموع، والحق مطاع.

ولقد نُقل رسول الله ﷺ إلى ما عند الله - عز وجل - وهو عن هذه العصابة راض، وعليها حَدِبٌ، يسره ما يسرها، ويكيده ما يكيدها، ويرضيه ما يرضيها، ويسخطه ما أسخطها، ألم تعلم أنه لم يدع أحدًا من: أصحابه، وخلطائه، وأقاربه، وشجرائه، إلا أبانه بفضيلة، وخصه بمكرمة، وأفرده بجلالة، لو أصفقت الأمة عليه لكان عنده: إيالتها، وكفالتها، وكرامتها، وغزارتها، أتظن أنه ﷺ ترك الأمة نشرًا سدى، بيد عدا، عباهل سباهل، طلاحى مباهل، مفتونة بالباطل، مغبونة عن الحق، لا رائد ولا ذائد، ولا سائق، ولا قائد، ولا حائط ولا واقى، ولا هادى ولا حادى ؟! كلا، والله ما اشتاق إلى ربه، ولا سأله المصير إلى رضوانه، حتى ضرب الصوى، وأوضح الهدى، وأمن المهالك والمطاوح، وسهل المبارك والمهايع، وإلا بعد أن شدخ يا فوخ الشرك بإذن الله - عز وجل - وشرم أنف النفاق لوجه الله تعالى جدُّه، وجدع أنف الفتنة فى ذات الله تبارك اسمه، وتفل فى وجه الشيطان بعون الله جل ذكره، وصدع بملء فيه ويده أمر الله عز وجل.

وبعد، فهؤلاء الأنصار والمهاجرون، عندك ومعك، فى دار واحدة، وبقعة جامعة، إن استقاموا بى لك، وأشاروا عندى بك، فأنا أول واضع يدى فى يدك، وصاير إلى رأيهم فيك، وإن تكن الأخرى فادخل فيما دخل فيه المسلمون، وكن العون على مصالحهم، والفاتح لمغالقهم، والمرشد لضالهم، والرادع لغاويهم، فقد أمر الله - عز وجل - بالتعاون على البر، وأهاب إلى التناصر على الحق، ودعنا نقضى هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغل، ونلقى الله - عز وجل - بقلوب

سليمة من الضغن.

وبعد، فالناس ثمامة، فارفق بهم، واحن عليهم، ولن لهم، ولا تشق نفسك بنا خاصة فيهم، واترك ناجم الحقد حصيدًا، وطائر الشر واقعًا، وباب الفتنة غلقًا، فلا قال ولا قيل، ولا لوم ولا تبيع، والله عز وجل على ما نقول شهيد، وبما نحن عليه بصير.

قال أبو عبيدة - رضى الله عنه -: فلما تهيأت للنهوض، قال لى عمر - رضى الله تعالى عنه -: كن لدى الباب هُنيهة، فلى معك ذوق من القول، فوقفت ولا أدرى ما كان بعدى، إلا أنه لحقنى ووجهه يبدو متهللاً، وقال: قل لعلى: الرقاد محلمة، واللجاج ملحمة، والهوى مقحمة، وما منا إلا له مقام معلوم، وحق مشاع أو مقسوم، ونبأ ظاهر أو مكتوم، وإن أكيس الكيس، من منح الشارد تألفًا، وقارب البعيد تلطفًا، ووزن كل امرئ بميزانه، ولم يخلط خبره بعيانه، ولم يجعل فتره مكان شبره، ولا خيره مكان شره، ولا خير فى معرفة مشوبة بنكرة، ولا علم معتل فى جهل: [من المتقارب]

وَلَسْنَا كَجِلْدَةِ رفع الْبَعِيـ ـرِ بَيْنَ الْعِجَانِ وَبَيْنَ الذَّنَبْ

وكل صال فبناره، وكل سيل فإلى قراره، وما كان سكوت هذه العصابة إلى هذه الغاية لِعى ولا سى، ولا كلامها اليوم لفتق ولا رتق، ولا فرق ولا رهق، قد جدع الله لمحمد ﷺ أنف كل ذى كبر، وقصم ظهر كل جبار، وقطع لسان كل كذوب، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ ما هذه الخنزوانة التى فى فراش رأسك، وما هذا الشجى المعترض فى مدارج أنفاسك، وما هذه الوحرة التى أكلت شراسيفك، والقذاة التى أعشت ناظريك، وما هذا الدحس والداسُ اللذان يدلان على ضيق الباع، وخور الطباع، وما هذا الذى لبست بسببه جلد النمر، واشتملت عليه بالشحناء والنكر، شذ ما استسعيت إليها، وسريت سرى ابن أنقد إليها.

إن العوان لا تعلم الخمرة، وإن الحصان لا تكلم لخبرة، ما أحوج الصلعاء إلى خال، وما أحوج الفرعاء إلى فال.

لقد خرج رسول الله ﷺ والأمر معبد محبس، ليس لأحد فيه ملمس ولا مأنس، لم يسير فيك قولاً، ولم يستنزل فيك قرآنًا، ولا عرف فى شأنك حكمًا. ولسنا فى كسروية كسرى، ولا قيصرية قيصر، ولا أخدان فارس، وأبناء الأصفر، قومًا جعلهم

الله جزرًا لسيوفنا وأرماحنا، ومزعًا لطعاننا، وتبعًا لسلطاننا، بل نحن فى نور نبوة، وضياء رسالة، وثمرة حكمة، وأثر رحمة، وعنوان نعمة، وظل عصمة، بين أمة مهدية بالحق والصدق، مأمونة على الفتق والرتق، لها من الله - عز وجل - قلب أبىّ، وساعد قوى، ويد ناصرة، وعين باصرة.

أتظن ظنًا أن أبا بكر الصديق وثب على هذا الأمر، مفتئتا على الأمة خادعًا لها، متسلطًا عليها ؟! أتراه امتلخ أحلامها، وأزاغ أبصارها، وحل عقدها ، وأحال عقولها، واستلب من صدورها حميتها، وانتزع من أكبادها عصبيتها، وانتكث رشاها، وانتضب ماءها، وأضلها عن هُداها، وساقها إلى رداها، وجعل نهارها ليلاً، ووزنها كيلاً، ويقظتها رقادًا، وصلاحها فسادًا.

إن كان هكذا إن سحره لمبين، وإن كيده لمتين؛ كلا والله بأى خيل ورجل؛ وبأى سنان ونصل، وبأى قوة ومنة، وبأى ذخر، وبأى أيد وشدة، وبأى عشيرة وأسرة، وبأى تدرع وبسطة.

لقد أصبح عندك؛ بما وسمته منيع الرقبة، رفيع العتبة. لا والله ولكن سلا عنها، فولهت به، وتطامن لها؛ فلصقت به، ومال عنها، فمالت إليه، واشتمل دونها؛ فاشتملت عليه. حبوة حباه الله بها، وعاقبة بلغه الله إياها، ونعمة سربله الله جمالها، ويد أوجب الله عليه شكرها، وأمة نظر الله به إليها، ولطالما حلقت فوقه فى أيام رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت لفتها، ولا يرتصد وقتها، والله أعلم بخلقه ، وأرأف بعباده، يختار ما كان لهم الخيرة.

وإنك بحيث لا يجهل موضعك من بيت النبوة، ومعدن الرسالة، وكهف الحكمة، ولا يجحد حقك فيما أتاك ربك، ولكن لك من يزاحمك بمنكب أضخم من منكبك، وقربى أمس من قرابتك، وسن أعلى من سنك، وشيبة أروع من شيبتك، وسيادة بها عرق من الجاهلية، وفرع من الإسلام والشريعة، ومواقف ليس لك فيها من جمل ولا ناقة، ولا تذكر منها فى مقدمة ولا ساقة، ولا تضرب فيها بذراع ولا إصبع، ولا تخرج منها ببازل ولا هُبع.

فإن عذرت نفسك فيما تهدر به شقشقتك من صاغيتك، فاعذرنا فيما تسمع منا فى لين وسكوت، مما لا تبعده منه، ولا تناضله عليه، ولئن حدبت بهذا نفسك،

لينتحين عليك ما ينسيك الأولى، ويلهيك عن الآخرة، ولو علم من ضننا به ما فى أنفسنا له وعليه؛ لما سكت ، ولا اتخذت أنت وليجة إلى بعض الأرب، فأما أبو بكر الصديق، فلم يزل حبة سويداء قلب رسول الله ﷺ، وعلاقة همه، وعيبة سره، ومثوى حربه، ومفزع رأيه ومشورته، وراحة كفه، ومرمق طرفه، وذلك كله بمحضر الصادر والوارد من المهاجرين والأنصار، شهرته مغنية عن الدلالة عليه.

ولعمرى إنك أقرب إلى رسول الله ﷺ قرابة، لكنه أقرب قربة، والقرابة لحم ودم، والقربة روح ونفس، وهذا فرق وقد عرفه المؤمنون؛ ولذلك صاروا أجمعين، ومهما شككت فيه، فلا تشك أن يد الله مع الجماعة، ورضوانه لأهل الطاعة، فادخل فيما هو خير لك اليوم، وأنفع لك غدا، والفظ من فيك ما تعلق بلهاتك، وانفث سخيمة صدرك عن ثفاتك، فإن يك فى الأمد طول، وفى الأجل فسحة فستأكله مريئا، أو غير مرىء، وستشربه هنيئًا، أو غير هنىء، حين لا راد لقولك إلا من كان منك، ولا تابع لك إلا من كان طامعًا فيك، يمض إهابك، ويفرى قادمتك، ويزرى على هديك.

هناك تقرع السن من ندم، وتجرع الماء ممزوجًا بدم، وحينئذ تيأس على ما مضى من عمرك، ودارج قومك، فتود أن لو سقيت بالكأس التى أبيتها، ورددت إلى الحال التى استبريتها، ولله تعالى فينا أمر هو بالغه، وغيب هو شاهده، وعاقبة هو المرجو لضرائِها، وهو الولى الحميد، الغفور الودود.

قال أبو عبيدة - رضى الله عنه -: فمشيت متزملا أتوجأ كأنما أخطو على أم رأسى؛ فرقا من الفرقة، وشفقا على الأمة، حتى وصلت إلى على - رضى الله تعالى عنه - فى خلاء، فأبثثته الكلام كله، وبرئت إليه منه، ورفقت به، فلما سمعها ووعاها، وسرت فى أوصاله حمياها.

قال: حلت معلوطة، وولت مخروطة، حل لا حليت التعبيس، أدنى لها من قول لعا.

إِحْدَى لَيَالِيكَ فَهيسِى هيسي   لا تَنْعَمِى بالنومِ والتَّعْرِيسِ

نعم يا أبا عبيدة أكل هذا فى أنفس القوم، يجتمعون إليه ويصطفقون.

قال أبو عبيدة فقلت لا جواب لك عندى إلا السكوت، إنما أنا قاض حق الدين،

وراتق فتق الإسلام، وساد ثلمة الأمة، يعلم الله ذلك من خلجان قلبى، وقرارة نفسى. قال على - رضى الله عنه -: والله ما كان قعودى فى كسر هذا البيت؛ قصدا للخلافة، ولا إنكارا للمعرفة، ولا زراية على مسلم، بل لما وقذنى به رسول الله ﷺ بفراقه، وأودعنى من الحزن بفقده، وذلك أنى لم أشهد بعده مشهدًا إلا جدد لى حزنا، وذكرنى شجوا، وإن الشوق إلى اللحاق به كاف عن الطمع فى غيره، فقد عكفت على عهد الله أنظر فيه، وأجمع ما تفرق منه، رجاء ثواب معد لمن أخلص عمله ونيته لربه.

على أنى ما علمت أن التظاهر علىّ واقع، ولا لى عن الحق الذى سيق إلىّ دافع، وإذا كان قد أفعم الوادى لى، وحشد النادى من أجلى، فلا مرحبًا بما ساء أحدا من المسلمين، وفى النفس كلام لولا سابق قول، وسالف عهد، لشفيت غيظى بخنصرى وبنصرى، وخضت لجتى بأخمصى ومفرقى، لكنى ملجم إلى أن ألقى ربى عز وجل، وعنده أحتسب ما نزل بى، وأنا عادل إلى جماعتكم، ومبايع لصاحبكم، وصابر على ما ساءنى، وسركم؛ ليقضى الله أمرًا كان مفعولا، وكان الله على كل شىء شهيدا.

قال أبو عبيدة - رضى الله تعالى عنه -: فعدت إلى أبى بكر وعمر - رضى الله تعالى عنهما - فقصصت القول على غره، ولم اختزل شيئًا من حلوه ومره. فلما كان صباح يومئذ وافى على - رضى الله عنه -، فخرق إلى أبى بكر الصفوف، وبايعه، وقال خيرًا، ووصف جميلا، وجلس زمنا، واستأذن فى القيام، ونهض، فتبعه عمر؛ تكرمة له، واستثارا لما عنده، فقال له على: ما قعدت عن صاحبكم؛ كارها له، ولا أتيته؛ فرقا منه، وإنما أقول ما أقول تعلة، وإنى لأعرف مسمى طرفى، ومخطى قدمى، ومنزع قوسى، وموقع سهمى، ولكنى قد أزمت على فاسى؛ ثقة بالله فى الأدالة فى الدنيا والآخرة. فقال عمر - رضى الله عنه -: كفكف غربك، واستوقف سربك، ودع العصا بلحائها، والدلاء برشائها، فإنا من خلفها؛ وورائها، إن قدحنا أورينا، وإن متحنا أروينا، وإن جرحنا أدمينا، وإن نصحنا أربينا، ولقد سمعت أمانيك التي لغوت بها عن صدر مقصور بالجوى، ولو شئت لقلت على مقالتك، ما إذا سمعته ندمت على ما قلته.

زعمت أنك قعدت فى كسر بيتك؛ لما وقذك به رسول الله ﷺ بفراقه، أفراق رسول الله ﷺ وقذك وحدك، ولم يقذ سواك، بل مصابه أعظم وأعز من ذلك، فإن من حق مصابه ألا يصدع شمل الجماعة بكلمة لا عصام لها، ولا يزرى على اختيارها، بما لا يؤمن كيد الشيطان فى عقباها.

هذه العرب حولنا والله لو تداعت علينا فى مصبح يوم؛ لم نلتق فى ممساه، وزعمت أن الشوق بك إلى اللحاق به كاف عن الطمع فى غيره، فمن الشوق إليه نصرة دينه، ومؤازرة أولياء الله تعالى جده، ومعاونتهم فيه؛ وزعمت أنك عكفت على عهد الله؛ تجمع ما تبدد منه، فمن العكوف على عهده: النصيحة لعباده، والرأفة على خلقه، وبذل ما يصلحون به، ويرشدون إليه. وزعمت أنك لم تعلم أن التظاهر عليك واقع، [ولك عن الحق الذى سبق إليك دافع!! فأى تظاهر وقع عليك، وأى حق لك ليطردونك]، قد علمت ما قالت الأنصار لك بالأمس سرًّا وجهرًا، وما تقلبت عليه بطنا وظهرا، فهل ذكرتك، أو أشارت بك، أووجدنا رضاها عندك ؟! هؤلاء المهاجرون، من الذى قال منهم بلسانه تصلح لهذا الأمر، أو أومأ بعينه، أو همهم فى نفسه ؟! أتظن أن الناس قد ضلوا من أجلك، وعادوا كفارا زهدًا فيك، وباعوا الله عز وجل ورسوله ﷺ؛ تحاملا عليك ؟! لا والله، ولكنك اعتزلت تنتظر الوحى، وتتوكف مناجاة الملك لك، ذاك أمر طواه الله - عز وجل - بعد نبينا محمد ﷺ.

أكان الأمر معقودا بأنشوطة، أو مسدودا بأطراف ليطة ؟! كلا والله، إن العناية لمحلقة، وإن الشجرة لمورقة، ولا عجماء بحمد الله إلا وقد أفصحت، ولا عجفاء إلا وقد سمنت، ولا شوكاء إلا وقد لقحت.

ومن أعجب شأنك قولك لولا سابق قول، وسالف عهد؛ لشفيت غيظى، وهل ترك الدين لأحد من أهله أن يشفى غيظه بيده ولسانه، تلك جاهلية قد استأصل الله شأفتها، ودفع عن الناس آفتها، واقتلع جرثومتها، وهور ليلها، وغور سيلها، وأبدل منها الروح والريحان، والهدى والبرهان.

وزعمت أنك ملجم، فلعمرى إن مَنْ اتقى الله عز وجل، وآثر رضاه، وطلب ما عنده، أمسك لسانه، وأطبق فاه، وجعل سعيه لما وراءه.

فقال على - رضى الله تعالى عنه وأرضاه -: والله ما بذلت ما بذلت وأنا أريد نكثه، ولا أقررت بما أقررت وأنا أبغى حولاً عنه، وإن أخسر الناس صفقة عند الله من آثر النفاق، واحتضن الشقاق، وبالله سلوة من كل كارث، وعليه التوكل فى جميع الحوادث. ارجع إلى منزلك يا أبا حفص، ناقع القلب، مبرود الغليل، فسيح البال، فليس وراء ما سمعته، وقلته إلا ما شد الأزر، ويضع الإصر والوزر، ويجمع الألفة، ويرفع الكلفة، ويوقع الزلفة، بمعونة الله عز وجل، وحسن توفيقه.

قال أبو عبيدة - رضى الله عنه -: فانصرف عمر - رضى الله عنه - وهذا أصعب ما مر بناصيتى بعد فراق رسول الله ﷺ.

قال أبو حيان: وروى لنا هذا كله أبو حامد، ثم أخرج لنا أصله، فقابلناه به فما كان غادر منه إلا ما لا بال له، فأما ما رواه أبو منصور الكاتب، فإنه خالف فى أحرف فى حواشى الكتاب كل حرف بإزاء نظيره الذى هو مبدل منه، وقد كان أبو منصور بلغة العرب أبصر، وفى غرائبها أنفذ، وإنما قدمت رواية أبى حامد؛ لأنه بشأن الشريعة أعلم، ولأعاجيبها أحفظ، وفيما أشكل منها أفقه، فكان إسناد الحديث من جهته.

وقال لنا أبو منصور الكاتب فى حديثه: ولما حضر على إلى أبى بكر - رضى الله تعالى عنهما - قال له أبو بكر - رضى الله عنه -: إن عصابة أنت فيها لمعصومة، وإن أمة أنت فيها لمرحومة، ولقد أصبحت عزيزا علينا، كريما لدينا، نخاف الله إذا سخطت، ونرجوه إذا رضيت، ولولا أنى شدهت لما أجبت لما دعيت إليه، ولقد حطَّ الله عن ظهرك ما أثقل به كاهلى، وما أسعد من نظر الله إليه بالكفاية، وإنا إليك محتاجون، وبفضلك عالمون، وإلى الله - عز وجل - بك فى جميع الأحوال راغبون.

شرح ما وقع فى هذه الرسالة من الغريب

المفن: الذى يتصرف فى كل فن. المخلط: الذى يخلط بعض الأمور ببعض. المزيل: الذى يفصل بعضها عن بعض. المعنى: الذى يتصرف فى المعانى. الجوى: الهوى. الجواء: الناحية. المتنفس: الاستراحة، والاتساع. السقيفة: سقيفة بنى ساعدة، التى اجتمع فيها الأنصار عند موت النبى ﷺ. الفن: النوع،

يجمع على فنون. المتن، فى الحديث: نصه على وجهه، وهو من كل شىء ظهره. الحقاق: جمع حقة، وهو وعاء يجعل فيه الطيب والأعلاق، والغوص: الدخول فى الشيء الغامض. نسيج وحده: أى فريد ما له نظير، وأصله فى الثوب الرفيع الذى لا مثال له يصنع له منسج وحده، لا ينسج عليه غيره، فاستعير ذلك للرجل الذى لا نظير له فى فنه. سرد الحديث: نصه، ووصل إسناده. الهنة: اللطيف من كل شيء. رحض عرها: أزال مكروهها، وأصله من العرّ، وهو: داء يأخذ الإبل، فيكوى غير المصاب به؛ فيشفى. قال الشاعر: [من الطويل]

... ... : كَذِى العرِّ يكْوى غَيْره وَهْوَ رَاتِعُ

التلكؤ: التأخر. الشماس: النفار. التهمهم، والهمهمة: كلام لا يصرح به. النفاس: المنافسة والحسد. ذات البين: الحال المتصلة، من قوله تعالى: ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ [الأنعام:٩٤] الظهير: المعين الذى يشد به الظهر. يُدمن أرضه بالسرجين أى: يصلحها به. مثاءة، والثأى: الفساد، وأصله فى الخرز، وهو: أن يثقب الخرزة؛ فيصير الاثنتين واحدة، يقال: أثأت الخرز؛ فهو مُثْأى. المغبوط: الذى يتنافس فيه. خوار العنان، يقال: فرس خوّار العنان، إذا كان راكبه يصرفه حيثما أراد؛ فضرب مثلا. الدوح: الشجر العظيم. الردء: العون. يندمل: يبرأ. السبر: إدخال فتيل فى الجرح؛ ليرى قدر عمقه. غير آل: أى مقصر، من الألو، وهو: التقصير. الجهد- بالضم -: الطاقة، وبالفتح: الغاية، وقد يسوى بينهما. القالى: المبغض الكاره. الجد: التشمير والاجتهاد. مغرقة: أى يغرق فيه. مفرقة: من الفرق، وهو: الفزع والروع، يقول: يفزع من السير فيه. الجوّ: الهواء. أكلف: أغبر. أغلف: شديد الظلمة. جلواء: ظاهرة النجوم. صلعاء: لا نبات فيها. الصعود: المرتفع، وبضم الصاد: المصدر، وكذلك الهبوط بالفتح: المكان المنحدر، وبالضم: المصدر. الشنوف: المبغض. العنوف: الشديد. الثالب: الطاعن. الضغن: العداوة. رائد البوار: قائد الهلاك. شجار الفتنة: الشجار: خشب الهودج، ضربه مثلا. يدلى بالغرور: الإدلاء: الإدخال فى الأمر، وأصله إدخال الدلو فى البئر. القعة: التأخر، والقعود عن الأمر، وهو مأخوذ من قولهم: وقع الرجل، فهو وقع؛ إذا اشتكى لحم قدميه، ولم يقدر على المشى. الثقوب: الناقة

الغزيرة اللبن، قال: والصواب ثقوب العداوة، والثقوب: الحطب، وما يهيج به النار. يزجى: يسير. الناجذ: آخر الأضراس. أقاد ضالتك: ردها. الحوص بالحاء المهملة: ضيق فى العين، وبالمعجمة غور فيها. الصعداء: النفس العالى، والغضب، والهم. ولا يغيص: أى ما يبين، ولا يفهم. الهدى الطريق المستقيم. الضراء من الشجر، وكذلك الخمر: يقال يمشى فلان لفلان الضراء، إذا كان يخفى له العداوة حتى يجد فرصة، قال الشاعر:

يـمـشـى الـضـراء ويـتـقـى

وأصله أن يستتر الصائد من الصيد حتى يرميه. ينقبض: أى يضيق. الفضاء: المتسع من الأرض. الشنان: جمع شنة، وهى القربة البالية اليابسة. القعقعة: صوتها إذا حركت للبعير الشارد سكن، يضرب مثلا لمن يهدد بما لا حقيقة له. الوعوعة: صوت الذئب. الشنآن: العداوة. يربب، ويشبب، وأصله من شب النار، إذا أوقدها. الغمار: الماء الكثير، وهو: جمع غمرة؛ لغمره من يدخل فيه. الأمراس: الحبال التى يستسقى بها. الصاب: الصبر. نكرع: نشرب. العُباب: الموج. العِياب، جمع عيبة: وعاء كبير. تحدج: تنظر. تشحذ: تحد. النشب: الضياع. السبد: الوبر، يعنى الإبل. اللبد: الصوف، يعنى الغنى، تقول العرب: ما له سبد، ولا لبد. الهلة: الفرحُ، وما يسر به الرجل. البلة: أصلها الرطوبة، ثم استعمل بمعنى الصلة. الرحب: السعة. الذلاقة: الفصاحة. المكنونات: المستورات. الأعطان: مبارك الإبل بعد الورد عند الماء. المخبور: المجرب. أرهص: قدم. وأصل قلص شمر. الأردان: الأكمام. يظلع: يعرج. عطا: تناول. المض، والمضض، والمضاضة: الحرقة، واللجاجة فى الأمر. الأجاج: ضد العذب. ولا تحلم: يقال: حلم الأديم إذا وقع فيه السوس. والعضب: القاطع. نبا ينبو: إذا ضرب؛ فلم يقطع. يجاحش: يدافع، يتضاءل، يتصاغر. ينتفج: أى يتفرشح. الحوجاء: الحاجة. اللوجاء: إتباع، وتداخل فى الأمر. التعريض: ضد التصريح، الكناية كذلك. يختلج: يضطرب. العصابة: الجماعة. حدب: مشفق، الشجراء: جمع شجير، وهو الصديق. أصفقت: اجتمعت. الإيالة: السياسة. نشرا: النشر: أن تنتشر الغنم فى المرعى؛ فتعدو عليها الذئاب. السدى: الشيء

المهمل. العدا: الأعداء. العرى: العريان. العباهل: الإبل التى لا حافظ لها. الطلاحى: التى كلت؛ فلم تقدر على النهوض. المباهل: الإبل التى لا تمنع أخلافها؛ فيحلبها كل من أراد. صدع بملء فيه: أظهر بكلامه، ودفاعه بيده أى: الذائد الدافع. الحائط: الحافظ الذى يحوط، وكذلك الواقى. الهادى الذى يمشى إلى الأمر الأسدّ. الحادى: الذى يمشى وراء الإبل. اليافوخ: أصل الدماغ. الصوى: علامة تجعل فى الطريق؛ يهتدى بها: أوضح: بين. الرادع: القامع. الغاوى: الضال المفسد. الضغن: العداوة. الغل: البغض. الثمام: شجر ضعيف. هنيهة: أى ساعة. ذوق من القول: أى طرف. المحلمة: أن يحلم فى أشياء لا حقيقة لها. الملحمة: موضع القتال. المقحمة: دخول الإنسان فيما لا ينبغى. التأليف: التعطيف، والتسكين. الفتر: ما بين السبابة والإبهام. مشوبة: أى ممزوجة. معتل: أى مستضعف. الرفغ: أصل الفخذ. الصالى: المتسخن بالنار. القرار: المكان الذى يستقر به الماء. لعىّ وسى: السى: إتباع العى، كقولهم حسن بسن، وشيطان ليطان، وجائع بائع. الرتق: ضد الفتق. الرهق: فساد الشيء. الخنزوانة: التكبر. الفراش: عظام رقاق. الشجا: ما يغص به من عود، وعظم، وشبهه. الوحرة: الحقد. الشراسيف: أطراف الضلوع. الدحس: ورم يصيب الدابة فى حافرها، شبه به الانتفاخ من الغضب. الداس البحث عن الأخبار، والتجسس. الخور: الضعف. لبست بسببه جلد النمر: يقال: لبس فلان لفلان جلد النمر، إذا تنكر، وتهيأ لحربه. الشحناء: العداوه. السرى: سير الليل. ابن أنقد - بالدال المهملة -: القنفذ. العوان: التى كان لها زوج. الخمرة: شد الخمار على الرأس. الحَصان: المرأة العفيفة. الخبرة: الاختبار. الفرعاء: الكثيرة الشعر. الخال: الحديدة التى يفرق بها الشعر. محتبس: مقيد. معبد: مذلل. ملمس، أي: ما يلمس. مانس: أى تأثير. المزع: القطع. الأثرة: أى ما يؤثر به الرجل دون غيره: أى يخص. مأمونة على الرتق، والفتق: يعنى الإصلاح، والفساد. مفتتتا: يعنى بغير اختيارهم. الحمية: الأنفة. انتكث رشاها نقض حبلها. انتضب ماؤها: يقال نضب الماء، إذا جف، وأنضبته أنا، وانتضبته. الأيد: القوة. بأى تدرع: من الدرع. ولهت: أى حنت. تطامن: انخفض. الحبوة: العطية سربله: ألبسه سربالها. قربى

أمسّ: أى ألصق. العرق: الأصل. البازل: الجمل المسن. الهبع: الصغير من أولاد الإبل، وهو الذى يولد فى آخر زمن النتاج، فإن ولد فى أوله، فهو رُبع. تهدر به شقشقتك: يقال هدر البعير، إذا صاح، والشقشقة: ما يخرج من حلقه عند هديره. الصاغية: القرابة. المناضلة: المراماة بالسهام. حدبت: أى أنفت، وقيل: خضعت، وهو لا معنى له هنا، والصواب الأول. الفظ: اطرح. السخيمة: العداوة. النفاث: ما ينفث به. يمض إهابك: أى يشق جلدك. ويفرى قادمتك: أى يقطع، والقادمة: ريش مقدم الجناح، جمعها قوادم. استبرأتها: أى تخليت منها. التزمل: الالتفاف. أتوجى: أتعارج. حلت معلوطة: أى نزلت، والمعلوطة: الناقة وسم عنقها بالنار، واسم تلك السمة العلاط. مخروطة: أى دقيقة المؤخر، وهو مكروه فى الإبل، ويقال للناقة إذا زجرت. حل حل: يقال حلحلت بالإبل، إذا قلت لها: حل حل، فإذا لم تزدجر يقال: حل لا حليت: أى لا ظفرت، ولا فزت. فهيسى هيسى: يضرب مثلا لمن وقع فى داهية، وأمر عظيم يحتاج إلى الانزعاج وترك الإخلاد إلى الراحة، وفى القاموس هيسى هيسى على الكسر: يضرب للتمكن من الأمر، والإغراء به انتهى. والهيس: السير الشديد، وأصل هذا المثل أن طسمًا أوقعت بجديس، وأبادتها بسبب قصة - أمرها يطول - جرت بينهما، فقال فى ذلك بعض الرجال هذا المثل الذى ضرب عليّ - رضى الله تعالى عنه - فى هذه الرسالة. لعًا: هذه كلمة تقال عند العرب للعاثر إذا عثر؛ دعاء له معناها: انتعش، وقم. على غره: يقال: طويت الثوب على غره - بفتح الغين المعجمة، وبالراء المهملة، والهاء -: أى على طيه الأول، يضرب مثلا للأمر الذى لم يغير عما كان عليه. مخطى قدمى: حيث تخطو قدمى. أزمت على فاسى: فاس اللجام: ما يدخل منه فى فم الفرس، يقال: أزم الفرس على فاس اللجام، إذا عض عليه استعارة للسكوت. الأدالة: هى انقلاب الأمور. الغرب: الحد. اللحاء: القشر. الرشاء: الحبل. أورينا: من أورى الزند، إذا ظهر منه النار. الماتح - في قوله: « وإن متحنا »: الذى يخرج الدلو، ومن أمثالهم: « أعرف من الماتح باست المائح ». مقصور: مقروح. الجوى: داء يعترى فى الجوف. العصام: حبل القربة، يضرب به مثلا. المؤازرة: المعاونة. تداعت: أى دعا بعضها بعضا.

العهد - هنا-: القرآن. الهمهمة: كلام لا يصرح به. الأنشوطة: العقدة التى تجبذ بطرفها؛ فتنحل. الليطة: قشر البيضة. الغيابة: ما أظل الإنسان فوق رأسه، كالسحابة أو الغبرة. محلقة: أى مستديرة. استأصلها: انتزعها من أصلها. الشأفة: قرحة تخرج فى القدم؛ فتكوى، يضرب بها مثلا. الجرثومة - بضم الجيم والثاء المثلثة الأصل، وجرثومة كل شيء: أصله، والجرثومة: ما يجتمع فى أصل الشجر. هوَّر ليلها: أصله من هور الرجل البنيان، إذا هدمه، فيريد أذهب ليلها. النكث: النقض. حولا: أى تحولا. احتضن: أى تأبط، والحضن: الإبط. الشقاق: الخلاف. ناقع القلب: أى يرتوى. مبرود الغليل: الغليل: حرقة العطش. الفسيح: الواسع. اللبان: الصدر. الأزر: القوة. الوزر: الثقل، وأراد هنا الإثم. الإصر: الثقل. شدهت: أى تحيرت. الكاهل: أعلى المنكبين.

انتهت الرسالة، وقد نقلتها من كتاب المسامرة للشيخ الأكبر العارف بربه: سيدى محيى الدين بن عربى، وقد بالغت فى تصحيحها وضبطها، وبذلت فى ذلك وسعى وجهدى، وقابلتها بنسخة أخرى؛ فصحت إن شاء الله تعالى، ولله الحمد والمنة.

قلت: هذه الرسالة وإن أوردها الإمام المذكور فى كتابه المزبور، فعندى فى صحة اتصالها لمن رويت عنه - وهو أبو النفاخ مولى أبى عبيدة، عن أبى عبيدة، رضى الله عنه - وَهمٌ بلا شك؛ إذ فيها ألفاظ نسبت إلى عمر - رضى الله عنه - تحيل العادة نطقه بها فى حق مثل على - رضى الله تعالى عنهما - خصوصًا قوله: ما هذه الخنزوانة التى فى فراش رأسك، وما هذا الشجا، وما هذه الوحرة، وما هذا الدحس والدلس، وما هذا الذى لبست؛ وقوله: يمض إهابك، ويفرى قادمتك؛ وقوله: تقرع السن من ندم، وتشرب الماء ممزوجا بدم، إلى غير ذلك من الألفاظ الفاضحة، والكلمات الجارحة، فحمى الله - تعالى - عمر أن يقول مثل هذه الألفاظ فى حق مثل عليّ الذى يقول هو فيه: لولا عليّ لهلك عمر، إذ مثل هذه الألفاظ ما صدرت من بعضهم لبعض فى زمن الجاهلية الجهلاء، فكيف بعد الإسلام، وامتلاء قلوبهم وأسماعهم بأنوار النبوة وأخبار السماء.

وكذلك ما فيها من قول على - رضى الله تعالى عنه -: « حلت معلوطة . . . » إلى آخر ما رواه عن على مما يشعر، بل يصرح بعدم رضاه بالبيعة لأبى بكر وسكوته،

وتمثيله بقوله: أزمت على فاسى، والتصريح بأن التظاهر واقع عليه، وأنه إنما ترك شفاء غيظه؛ لسابق قول وسالف عهد - يعنى من النبى ﷺ - بالوصية له بترك القتال كما تدعيه الروافض، وقوله: وإنى عادل إلى جماعتكم ومبايع لصاحبكم، وصابر على ما ساءنى وسركم، وغير ذلك من الألفاظ التى نسبت إليه مما تدل تعريضا وتصريحا على عدم رضاه بالبيعة لأبى بكر، وأنه مقهور عليها، مضطهد فيها، معدول عنه بها، مخذول فى أمرها كما هو عقدة عقيدة الروافض، فإنهم اعتقدوا ذلك، ولم يفطنوا لما يلزم على ذلك من نسبة القبائح والرذائل إلى الإمام المعصوم فى زعمهم التى لا تضاف إلى من له أدنى شهامة، ولا يرضى بها كريم ولا ذو كرامة: من اتصافه بالجبن والذلة، مع اتصافه بضدهما عند كل أهل ملة، بل وجميع بنى هاشم، ومن يليهم من جملة المهاجرين، ومن السكوت عن الحق، والإقرار على الظلم والعق، ومن تواطؤ الصحابة جميعهم على الحيف والظلم والجهالة: المنفى ذلك عنهم بشهادة: لا تجتمع أمتى على ضلاله.

فلا تغتر بما حوته هذه الرسالة المجهولة رجال الإسناد؛ فتعدل إليها عما تقدم مما روته أئمة الحديث الخبراء النقاد، وكان الصواب ألا تثبت فى إصدار ولا إيراد، ولكن جرى قلم التقدير بما أراد.

وقد اطلعت على قصيدة فى تفصيل ما يلزم من قال بعدم أهلية أبى بكر للخلافة، وأن عليًا منع عنها قهرًا؛ فسكت عجزا، وبايع قسرا، وهى للعلامة الفهامة الشيخ عبد الحى الشامى، نظمها فى ذيل كتاب صنفه الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي، نفع الله به في هذا المعنى، فاستكتب الشيخ المذكور الكتاب المذكور رجل من السادة الأشراف؛ فكتب له، وكتب هذه القصيدة فى ذيله من نظمه، وهى: [من الرجز]

مــحــاسـنٌ لـنَـشْـرهـا أَشَـمُّ ... فى طَيِّها طَوْدُ العُلَى الأشمُّ
مـعـارجٌ لـيسَ إلى سَـنَـامِـهَـا ... إلاَّ قَـوىُّ الـعـزمَـاتِ يَـسْـمُـو
أُقْعِدَ عَـنْـهَـا قـصـرًا أمـثـالُـنَـا ... ونَـالَـهَـا حـرُّ الأديـم شَـهْـمُ
صَاحبَهُ الـتوفيقُ فى سُلُوكِهِ ... فـهَـمُّـهُ الأهـمُّ فـالأهـمُّ
ونحنُ لا هذا ولا تِلْكَ ولا ... لنا بِمَا تَحْتَ النقابِ عِلْمُ
كـأنـما المقصودُ مِنْ وجودنا ... نـفـسٌ تـطـاعُ وهـوًى يـؤمُّ

نقرأ آثارَ الألَى بهم عَلاَ ... عنِ الحضيضِ فى الحظوظِ عَزْمُ
فنتمنَّى أن نفوزَ فوزَهُمْ ... بأنفسٍ بالفوزِ لا تهمُّ
تلكَ الأمانِى المصْدرات أَهْلها ... بالغُرْم مِنْ حيثُ يرجَّى الغُنْمُ
سبحانَكَ اللهُمَّ يا أولى بنا ... هَبْنَا لكَ اللهُمَّ يعفو الْجُرمُ
لا حولَ إلا بكَ أيّ مَهْرَبِ ... للعبْدِ عن حكم قضاه حَتْمُ
رُحْمَاكَ يا ذا الطولِ نرجو أبدًا ... فى كُلِّ ما يخُصُّ أو يعمُّ
فلا تَكلنَا للقوَى واسلُكْ بنا ... مَسْلَكَ قومٍ لرضاكَ أَمُّوا
ألقومُ خيرُ القومِ لا يشقى بهمْ ... جليسُهُمْ ولا يهيه هَمُّ
ألسادةُ الطهرُ مصابيحُ الدجَى ... بلِ الهدَى والجَهْل مُذلهمُّ
ألتائبونَ العابدونَ الحامِدُو ... ن الراكعونَ الساجدُونَ الرحْمُ
ألعارفونَ بالإلَهِ الغارفو ... نَ من عطاهُ الخائفونُ الكتْمُ
هُمُ الغياثُ للعبادِ وبهمْ ... تحيا البلادُ ويزولُ الغَمُّ
وهم محلُّ نظرِ الإله مِنْ ... عبادِهِ هم الرُّقى والسّمُّ
طوبَى لِمَنْ صفَتْ له قلوبُهُمْ ... وويحَ مَنْ له بسوءٍ هَمُّوا
إذ هُمْ على بينةٍ مِنْ ربِّهِمْ ... وَمَنْ عداهُمْ هَمجٌ وبَهْمُ
سارَتْ بهم نجائبُ القصْدِ على ... منهجِ صدقٍ ما نحاه فدْمُ(١)
فمنهمُ أهلُ القبابِ والألَى ... خاضو العبابَ حيْثُ ضَلَّ الفهْمُ
ومنهمُ الأفرادُ لم يعرِّجُوا ... على سوى التفريدِ مذ أَلَمُّوا
ومنهُمْ أهلُ الخفاءِ والفنا ... ومنهُمْ مَنْ بالظهورِ يَنْمُو
وَمِنْهُمْ أهلُ السطا مظاهرًا ... جلالَ عدلٍ يقتضيه الحكمُ
ومنهمْ مظاهرُ الرحمةِ والـ ... جمالِ فضلاً عَمَّ فيه الحلْمُ
كُلاًّ نمدُّ هؤلا وهَؤُلاَ ... ءِ مِنْ عطاهُ وعطاهُ الجَمُّ
وكُلُّهُمْ على افتراقِ حالِهِمْ ... يجمعُهُمْ مِنَ التصوُّفِ اسْمُ
فليتَ شعرى ما الذى ينكرُهُ ... مِنْ أمرِهِمْ قومٌ عَمُوا وصَمُّوا
أينكرونَ رفْضَهُمْ لذاتِهِمْ ... فِى اللهِ حتى ما بها مُلِمٌّ ؟!

---

(١) الفَدْم: الغليظ الجافي الأحمق. ترتيب القاموس (فدم).

أم قَطْعَهُمْ مألوفَهُمْ أم زهدهُمْ … فى الجاهِ والرتبةِ مهما تَسمو

أم دَفْنَهُمْ وجودَهُمْ فى تربةِ الـ … خُمُولِ عافٍ اسمُهُمْ والرسْمُ

أم صَبْرهم على الأذى أم صفحهُمْ … مع اقتدارٍ إنْ رُمُوا أن يُضمُوا

أم كونَهُمْ مذ بايَعُوا الله على … نفوسِهِمْ بشأنها ما اهتَمُّوا

قد استوَى عندهُم فى جَنْبِ مَرْ … ضاة الإلهِ مَدْحُهُمْ والذَّمُّ

تراهُمُ كالأرضِ يُلْقَى فوقها الْ … قُبْحُ فيبدى الحسنَ منها الكَتْمُ(١)

مآثِرٌ حباهُمُ الله بها … مِنْ دونِ عليا مستماها النجْمُ

ماذا عسَى يحصى المديح مِنْ ثنا … قوْمٍ لهم فى الذكْرِ ذكْرٌ ضَخْمُ

أَعَزَّهُمْ ذو العِزِّ أن يعرفَهُمْ … مَنْ لا له مِنَ اليقينِ سَهْمُ

فهُمْ خبايا فى زوايا غَيْرَةِ الـ … لَّهِ وفِى طرزِ الوجودِ رَقْمُ

حياهُمُ الله وأحيانا بِهِمْ … لَعَلَّنا إليهمُ نُضَمُّ

وقَدِّسِ اللهُمَّ رُو … حَ اليافعيِّ إنه بمثلِهِ يُؤْتَمُّ

جزاه مولانا الرِّضا فإنه … مُصَنِّف بحر حجى خِضَمُّ

قد قامَ بالله وقالَ الحق في … تأليفِهِ والحقُّ لا يغمُّ

فهو كتابٌ قد حوَى مباحثًا … يُلْقَمُ أحجارًا لديها الخصْمُ

ومن يكُنْ قيامه لله لا … لنفسِهِ فَدَسْتُهُ الأتمُّ

حبرته برسْم مولَى أصلُهُ … أزكَى الأصولِ فهو عنه يَسْمُو

فَرْعُ الذينَ هُمْ أئمة الورَى … وهُمْ معاقلُ الهُدَى والعصْمُ

بيتُ النبيِّ والذين حُبُّهُمْ … دِينِى وإيمانى به يتمُّ

كُلُّ كمالٍ فى الورَى فإنما … هم روحُهُ والعالمونَ جسْمُ

تَوارَثُوا ملكَ المعالِى خلفًا … عنْ سلفٍ كل أتاه قسمُ

ما نال مِنْ قربِ الإلهِ نائلٌ … إلا بهمْ وما مقالِى زَعْمُ

مدينةُ العلْم عليٌّ بابُها … نص به لدى الجدالِ حسْمُ

يَأَهْلَ بيتٍ لاَ يضامُ جارُهُمْ … إني بكُمْ يا قومُ مستذمُّ

وليسَ إلا أنتُمُ وَسِيلَتِي … يَوْمَ عَنِ الرضيعِ تسلو الأمُّ

---

(١) الكَتَمُ: نبت يخلط بالحِنَّاء ويخضب به الشعر فيبقى لونه. ترتيب القاموس (كتم).

أنـتُـمْ لـخـيـرِ عـدةٍ وعـدة إذا نبا السيفُ وطاش السهْمُ
أعظِمْ بكُمْ غوثًا إذا عظيمةٌ تـوهـن الجِـلْـد لـهـا والـعـظْـمُ
أنتمْ ضياءُ الكونِ كلَّ زمنٍ تـنـيـرُهُ مـنـكـم بُـدُور تِـمٌّ
كيفَ وشمسُ الفلواتِ جدكمْ لكُمْ تسامى عربها والعُجْمُ
لا والـذى أعـلـى بـه أقـدارَكُـمْ لأنتُمُ الأعلَوْنَ حقًّا فاسموا
هذا هو الفخر الذى لا يُدَّعَى حسْبُ الدَّعِيِّ خزيُهُ والإثْمُ
وما جرَى مِنَ العظائِمِ التى من كَيِّهَا على القلوبِ وسْمُ
تــلــكَ بــأمْــرِ اللهِ واللهُ لــه مـشـيـئـةٌ فـى خـلـقِـهِ وحُـكْـمُ
ما كانَ فى أمِّ الكتابِ مبرمًا فـمـسـتـحـيـلٌ حَـلُّـهُ والـبـرمُ
ومَنْ بهذا الفضْلِ أولَى منكُمُ والأمـثـلُـونَ لـلأشـدِّ سـمُّـوا
عـلـى لـسـانِ صادقٍ مُـنَـبـأ بالغيْبِ وحيًا ليس فيه رَجْمُ
هذا على أنّىَ كنتُ لم أطِق سماعَ مجرى الطَّفِّ[1] أو أصمُّ
كأنَّ وقْعَ ذكرِهِ فى مسمعِي وقْعُ الحسامِ بالحشا يحمُّ
حتَّى أريتُ ما به من حُكْمٍ عـن رُتَـبٍ لأهـلـهـا تـتـمُّ
سعادة قَعْسَاء دُونَ بعضها يَـهُـونُ كُـلُّ كـارثٍ يـهُـمُّ
نالَ بها جَهْدَ الشقاءِ أهلُهُ وفَازَ بالزلفَى ذووها العظْمُ
وهـذه الـدنـيـا أَقَـلُّ خـطـرًا مِنْ أن تكونَ للحَبيبِ قسْمُ
وأنتمُ الأحبابُ والحبُّ وما لـلـفضْـلِ غَـيْـر بيتكُـمْ ملمُّ
بـحـبِّـكُـمْ قُـدِّمَ من قـدَّمه الـ لَّـه عـلـى الأمَّـةِ فـهـو الـقـدْمُ
بـرغـم أنـفِ رافـضـيٍّ مُـفْـرِطٍ مـفـرِّطٍ فـيـمـا عـلـيـه الـجَـمُّ
عجبْتُ من عصبة إفْكٍ أبغضوا حبيبَ مَنْ إلى هواه انضمُّوا
وهو أحبُّ صاحبٍ إلى الإما مِ حسبما دَلَّ عليه العِلْمُ
قد نسبوا إلى عليٍّ نسبةً يَـجِـلُّ عـنـهـا قـدرُهُ وَيـسـمُـو
إذ يزعمونَ غَضْبَ قومٍ حقَّهُ وهْوَ كما علمْتُ ذاك القرْمُ

---

(١) الطف: ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، وبمعنى الجانب، والشاطئ، وسفح الجبل، وفناء الدار، والجمع (طفوف).

فأيُّ وجهٍ لسكوتِ مثلِهِ ... عَنْ مِثلِها إن صَحَّ هذا الزعْمُ
كيفَ نقول يا غلاة الأمْر فِي ... قَضيَّةٍ ما جَاءَ فيها حُكْمُ ؟!
أجاهلاً كانَ عليٌّ أن ما ... قَدْ تَمَّ بَغْيٌ ولديْكُمْ علْمُ ؟!
حاشا جنابَ باب حصْنِ العلم أنْ ... يجهَلَ أمرًا ضرُّهُ أَعَمُّ
أو قيلَ أغضَى عالمًا يلزمَكُمْ ... إقرارُهُ الظالمُ وهو ظُلْمُ
وهذه أدهَى من الألى استَحوا ... مِنَ الإمامِ ويَحَكُمْ وزمُّوا[1]
أعاجزًا كان عنِ الدفاعِ أَمْ ... خافَ المماتَ وهو ذاكَ الشهْمُ ؟!
رأتْ بنو هاشِمَ حقًّا دونه ... حيلَ وعَنْ صاحِبِهِمْ لم يَحْمُوا
جُبْنٌ بهم أم بالسيوفِ فللٌ ... أم بالرقَى قد حُلَّ منهم عَزْمُ ؟!
أم أجْمَعَ الكلُّ على الباطِلِ مِنْ ... أَجْلِ أبى بكْرٍ؟! لبئسَ الزعْمُ
أهكذا مَنْ حَبَّ قومًا ينتحِى ... تنقيصَهُمْ أينَ الذكا والفهْمُ ؟!
كيف يقالُ فى الصحابةِ الكِرا ... مِ إنهُمْ بغَيْرِ حقٍّ هَمُّوا
وهُمْ أجَلُّ رتبةً مما إلى ... جنابِهِمْ فى ضمْنِ ذا ينضمُّ
حاشا قلوبًا أرضعَتْ ثدْى الهُدَى ... فى مهْدِ قربِ الوحْيِ مما نمُّوا
لو علموا حَقِّيَّةَ الأمْرِ لَمَا ... خِيفَ لديهِمْ فى الإله خَصْمُ
بل عصبَةُ الجهلِ بحمْقِ رأيهِمْ ... قد حاولوا أن يَمْدَحُوا فذمُّوا
عَزَوْا إلى الكاملِ فى مِدْحتِهِمْ ... نقائصًا سماعُها يُصِمُّ
نبرأ مما هُمْ عليه جملةً ... إلى الذى إلَيْه فيه الحُكْمُ
ونرتجى منه هِدايَةً إلى ... مناهِجِ الحقِّ لها نَؤُمُّ
وبالرسولِ والذينَ مَعَهُ ... لقدْ تشفَّعْنَا لما يهمُّ
أوفِرْ لنا اللهُمَّ من حُبهِمُ ... حظًّا بهمْ لِشَمْلنا يَلُمُّ
واجعلْ لنا هذا الكتابَ حُجَّةً ... ومشرعًا له رضَاكَ خَتْمُ
وارحَمْ به مؤلفًا وكاتبًا ... وقارئًا وسامعًا يأتمُّ
واجزِ الجزاءَ الأوفر الأوفَى لِمَنْ ... بكتبه استَخْدَمَنَا لتَسْمُو
السَّيِّد ابْن السَّيِّد ابن سيدِ ... عقْد فخارٍ لم يشنهُ فَصْمُ

(١) زمُّوا: زَمَّ البعير: خطمه، وهو زجرٌ لهم عن التمادي في أمرهم.

عبد الكريم ابْن الكَرِيم صِنوه   فَخُلُقٌ ومَحْتِدٌ[١] وإسْمُ
بِسَجْدِهِ وجِدِّهِ وجُودِهِ   لُذْ واعتصِمْ واغْنَ عَدَاكَ العُدْمُ
خدمْتُ علياه به ممتثلاً   لأمْرِهِ وهْوَ عليٌّ حَتْمُ
أعملْتُ أقلامى به قامَتْ على   أُمِّ الرءوسِ طاعَةً تَؤُمُّ
لا بِدْعَ أن طابَتْ فمن تاريخِهِ   « محاسنٌ لنَشْرِها أَشَمُّ »
مَعَ اعترافِى بالقصُورِ راجيًا   منه الذى عَوَّدنِيهِ الحِلْمُ
حسْبُ الطروسِ[٢] مفخرًا أن نالها   بسَعْيها فى راحَتَيْكُمْ لَثْمُ
أو قصر المَدْح ففى تاريخِهِ   « محامدٌ لُحسْنِهِ تَتِمُّ »

والحاصل أنه وردت الأحاديث فى شأن خلافة أبى بكر الصديق، وهى الأحاديث الأربعة عشر الآتية المستدل على حقية خلافته، وأحقيته بها المصدر بها الأحاديث الآتية، فإنها تنبيه سابق منه - عليه الصلاة والسلام - وتقرير لاحق من الصحابة، وشهادة منهم بصحة خلافته، وأنها لم تكن إلا بحق، إذ بعضها مصرح بخلافته على الترتيب الواقع منه - عليه الصلاة والسلام - تارة من فهم الصحابة، خصوصًا أحاديث مرائيه ﷺ فإنها أحاديث متفق على صحتها[٣]، وكذلك حديث الأمر بالاقتداء بأبى بكر[٤] وفهم الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - من ذلك التنبيه على الخلافة، وحديث استخلافه - عليه الصلاة والسلام - لما ذهب ﷺ؛ ليصلح بين بنى عمرو بن عوف بقباء[٥]، وحديث استخلافه عليها - أيضا - فى مرض

---

(١) المحْتِدُ: الأَصْل والطبع. ترتيب القاموس (حتد).
(٢) واحدها طرس، والطرس: الصحيفة، أو التي مُحِيَتْ ثم كتبت. ترتيب القاموس (طرس).
(٣) منها حديث ابن عمر عند البخاري (٧٠٢٠)، ومسلم (١٩-٢٣٩٣)، وحديث أبي هريرة عند البخاري (٧٠٢١)، ومسلم (١٧، ١٨-٢٣٩٢). وقال الحافظ في الفتح (١٤/ ٤٥٠): وفي الحديثين أنه من رأى أنه يستخرج من بئر ماء أنه يلي ولاية جليلة، وتكون مدته بحسب ما استخرج قلة وكثرة. اهـ
(٤) أخرجه الترمذي (٣٦٦٣)، وابن ماجه (٩٧)، وأحمد في المسند (٥/ ٣٩٩)، وفي فضائل الصحابة (٤٧٩)، والحميدي (٤٤٩)، وابن حبان (٦٩٠٢) من حديث حذيفة قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فقال: «إني لا أدري ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي،» وأشار إلى أبي بكر وعمر.
(٥) أخرجه البخاري (٦٨٤)، ومسلم (١٠٢-٤٢١) من حديث سهل بن سعد الساعدي، وليس فيه أن النبيّ ﷺ استخلفه.

وفاته[١]، وهو من أوضح الأدلة، وعليه اعتمد عمر وعلى وغيرهما من الصحابة فى الاستدلال على خلافته، وعلى أحقيته بها، ووجهه أنه كان - عليه الصلاة والسلام - قد تأهب للنقلة إلى ربه، فعين أبا بكر - رضي الله تعالى عنه - للإمامة، ثم عورض بعرض غيره عليه لذلك؛ فمنع منه ثم لما تقدم غيره - كره ذلك، وصرح بالمنع، ثم أكده بتكرار المنع، فقال: لا، لا، لا، ثم أردف ذلك بما فيه تعريض بالخلافة بل تصريح بقوله: « يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر »[٢] فذكر ذلك بتكرار.

كل ذلك مع علمه ﷺ بأن ذلك مظنة الخلافة، فإنه كان - عليه الصلاة والسلام - إمامهم فى الصلاة والحاكم عليهم، فلمّا أقام أبا بكر ذلك المقام مع توفر هذه القرائن الحالية، والمقالية علم أنه أراد ذلك.

وفى قوله: « يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » إشارة، بل أفصح عبارة، ولولا اعتماده ﷺ على تلك الإشارة المصرحة بإرادة الخلافة؛ لما أهمل أمرها، وأشار إلى أن العدول عن أبى بكر إلى غيره من الوقائع العظيمة فى الدين بقوله: « يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » وإنما كان عدم التصريح بها منه ﷺ اكتفاء بنصبه إماما عند إرادة الانتقال عنهم وإحالته على فهم ذلك عنه، ولم يصرح بالتنصيص عليها لأنه ممتثل لما يوحى إليه، لا ينفذ شيئا إلا بأمر ربه بالتنصيص؛ لينفذ قضاؤه وقدره سبحانه فى ابتلاء قوم عميت أبصارهم بما ابتلاهم به، وليس فضل من انقاد للحق بزمام الإشارة، ودله نور بصيرته عليه كغيره، فإن من لم يعتقد ذلك بعد بلوغ هذه الأحاديث، والعلم بتلك القرائن الحالية والمقالية، فالظاهر عناده ورده للحق بعد تبيّنه.

ومنها حديث الحوالة - يعنى المرأة التى تعنى الموت - فقال: ائتى أبا بكر[٣]، وهو من أدل الأدلة وأوضحها، وحديثها من أصح الأحاديث، وإن صحت الزيادة على ما رواه مسلم، وهى قوله - عليه الصلاة والسلام -: « فإنه الخليفة بعدى »[٤]

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧)، ومسلم (٩-٤١٨) من حديث عائشة.

(٢) أخرجه مسلم (١١-٢٣٨٧)، وأحمد (٦/ ١٤٤) من حديث عروة عن عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر».

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٥٩)، ومسلم (١٠-٢٣٨٦) من حديث جبير بن مطعم. وفيه: «إن لم تجديني فأتي أبا بكر».

(٤) هذه الزيادة ليست عند مسلم، ولم أقف عليها، وانظر فتح الباري (٧/ ٣٧٣) وشرح النووي=

كان ذلك نصًا فى الباب.

وكحديث إرادة كتب العهد، وقوله ﷺ « فإنى أخاف أن يتمنى متمنّ، أو يقول قائل أنا أولى »، وفى رواية: « كيلا يطمع فى الأمر طامع، أو يتمنى متمن »، ثم قال: « ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر »، وفى رواية: « أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليه »[1] وهذا صريح فى الباب أنه نص على إمامته بتوليه من جهته ﷺ، وأنه لم يكتب بل عرف بأنه يكون الخليفة بعده، فجعل الله سبحانه ذلك بإجماع المسلمين، فعلم بما تقرر إجماع الصحابة ومن بعدهم على حقية خلافة الصديق، وأنه أهل لها، وذلك كاف لو لم يرد نص عليها، بل الإجماع أقوى من النصوص التى لم تتواتر لأن مفاده قطعى ومفادها ظنى، وحكى بأسانيد صحيحة عن سفيان الثورى: من قال إن عليًا كان أحق بالولاية من أبى بكر فقد خطَّأ المهاجرين والأنصار، وما أراه يرتقع له مع هذا عمل إلى السماء.

وأخرج الدارقطنى، عن عمار بن ياسر نحوه.

كيف والنصوص القرآنية والسنية ظاهرة، أما نصوص السنة الدالة على خلافته الواردة عنه ﷺ فقد ذكرنا بعضها هنا إجمالا، وسيأتى باقيها فى ذكر الأحاديث التى فى شأن أبى بكر، وهى الأربعة عشر حديثا التى فى أولها المستدل بها عليها.

وأما النصوص القرآنية فمنها قوله - تعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤] وذلك أنه لما ارتدت العرب بعد موته - عليه الصلاة والسلام - جاهدهم أبو بكر والصحابة حتى ردهم إلى الإسلام، كما سيأتى شرح ذلك قريبًا، ومنها قوله - تعالى -: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ إلى ﴿ أَلِيمًا ﴾ [الفتح: ١٦]

= لمسلم (٨/ ١٦٩).

(١) تقدم تخريج رواية مسلم وأخرجه أحمد (٦/ ٤٧)، وابن سعد في الطبقات (٣/ ١٣٤)، من طريق ابن أبي مليكة عن عائشة قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ دعا عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: «ائتني بكتفٍ حتى أكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه» فذهب عبد الرحمن ليقوم، فقال: «اجلس، أبى الله والمؤمنون أن يختلف على أبي بكر». وأخرجه البخاري (٥٦٦٦) عن القاسم بن محمد عن عائشة بلفظ: «لقد هممت - أو أردت - أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون».

أخرج ابن أبى حاتم عن جويرية أن هؤلاء القوم هم بنو حنيفة، ومن ثم قال ابن أبى حاتم، وابن قتيبة، وغيرهما: هذه الآية حجة على خلافة الصديق؛ لأنه الذى دعا إلى قتالهم.

وقال الشيخ أبو الحسن الأشعرى سمعت الإمام أبا العباس بن سريج يقول: خلافة الصديق فى القرآن فى هذه الآية، قال: لأن أهل العلم أجمعوا على أنه لم يكن بعد نزولها قتال دعوا إليه إلا دعاء أبى بكر لهم وللناس إلى قتال أهل الردة، ومن منع الزكاة، قال: فدل ذلك على وجوب خلافة أبى بكر الصديق، وافتراض طاعته؛ إذ أخبر الله أن المتولى عن ذلك يعذبه عذابًا أليمًا.

قال ابن كثير: ومن فسر القوم بأنهم فارس والروم، فالصديق هو الذى جهز الجيوش إليهم وتمام أمرهم كان على عهد عمر، وعثمان وهما فرعا الصديق - رضى الله تعالى عنهم - فإن قلت يمكن أن يراد بالداعى فى الآية النبى ﷺ أو على، رضى الله تعالى عنه قلت: لا يمكن ذلك مع قوله لن تتبعونا، ومن ثم لم يدعوا إلى محاربة لأولئك فى حياته ﷺ إجماعًا، وأما على فلم يتفق له فى خلافته قتال لطلب الإسلام أصلا بل لطلب الإمامة ورعاية حقوقها، وأما من بعده فهم عندنا ظلمة، وعند غيرنا كفار؛ فتعين أن ذلك الداعى الذى يجب باتباعه الأجر الحسن الموعود به فى الآية، وبعصيانه العذاب الأليم الموعود به فيها أيضا - أحد الخلفاء الثلاثة، وحينئذ فيلزم عليه خلافة أبى بكر على كل تقدير؛ لأن حقية خلافة الأخيرين فرع عن حقيّة خلافته؛ إذ هما فرعاها الناشئان عنها، المترتبان عليها.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ إلى قوله ﴿ لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٥٥] قال العلامة ابن كثير: هذه الآية منطبقة على خلافة الصديق، رضى الله تعالى عنه.

وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره عن عبد الرحمن بن عبد الحميد المهرى قال: إن خلافة أبى بكر، وعمر، فى كتاب الله بقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[1] [النور: ٥٥] الآية.

ومنها قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾ إلى قوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾

(١) ينظر: الدر المنثور (٥/ ١٠٠) وزاد نسبته لعبد بن حميد عن أبي العالية بنحوه.

[الحشر: ٨]، وجه الدلالة تسمية الله إياهم صادقين، ومن شهد له الله سبحانه بالصدق لا يكذب، فعلم أن ما أطبقوا عليه من قولهم لأبى بكر يا خليفة رسول الله، هم صادقون، فحينئذ كانت الآية شاهدة على خلافته، أخرجه الخطيب البغدادى عن الإمام أبى بكر بن عياش.

ومنها قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحه: ٦، ٧] قال الفخر الرازى: هذه الآية تدل على خلافة أبى بكر؛ لأن تقدير الآية اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم، والله تعالى بيّن فى الآية الأخرى الذين أنعم عليهم بقوله: ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النساء: ٦٩] ولا شك أن رأس الصديقين ورئيسهم - أبو بكر رضى الله تعالى عنه، فكان معنى الآية أن الله أمر أن نطلب الهداية التى كان عليها أبو بكر، وسائر الصديقين، ولو كان أبو بكر ظالمًا؛ لما جاز الاقتداء به، فثبت بما ذكرناه دلالة الآية على إمامة أبى بكر وحقيتها.

واعلم أنه ﷺ لم ينص بالخلافة على أحد بعينه عند الموت، وإنما وردت منه ظواهر تدل على أنه علم بإعلام الله - تعالى - له أنها لأبى بكر، فأخبر بتلك الظواهر، ولم يؤمر بالتنصيص على أحد بعينه، وقد مرت الإشارة إلى هذا المعنى فيما تقدم قريبًا، ولو وجب على الأمة مبايعة غير أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - لبالغ - عليه الصلاة والسلام - فى تبليغ ذلك الواجب إليهم، بأن ينص عليه نصًا جليا بنقل شهير حتى يبلغ الأمة ما لزمهم، فلما لم ينقل ذلك - مع توفر الدواعى إلى نقله - دل على أنه لا نص.

وتوهم أن عدم تبليغه للأمة؛ لعلمه بأنهم لا يأتمرون بأمره، فلا فائدة فى التبليغ باطل، فإن ذلك غير مسقط عنه وجوب التبليغ عليه الصلاة والسلام، ألا ترى أنه بلغ سائر التكاليف للآحاد الذين علم منهم أنهم لا يأتمرون، فلم يسقط العلم بعدم ائتمارهم التبليغ عنه، واحتمال أنه بلغ أمر الإمامة سرا للواحد والاثنين، وأنه نقل كذلك لا يفيد؛ لأن سبيل مثل هذه الشهرة؛ لصيرورته بتعدد التبليغ وكثرة المبلغين أمرًا مشهورا، إذ هو من أهمّ الأمور لما يتعلق به من مصالح الدين والدنيا، مع ما فيه من دفع ما قد يتوهم فيه من إثارة الفتنة، واحتمال أنه بلغ ذلك مشتهرًا، ولم ينقل،

أو نقل ولم يشتهر فيما بعد عصره باطل أيضا، إذ لو اشتهر لكان سبيله أن ينقل نقل الفرائض؛ لتوفر الدواعى على نقل مهمات الدين، فالشهرة هنا لازمة لوجود النص، فحيث لا شهرة لا نص بالمعنى المتقدم - يعنى على التعيين - لواحد بعينه لا لعلى، ولا لغيره؛ فلزم من ذلك بطلان ما تنقله الروافض وغيرهم من الأكاذيب، يسوّدون به أوراقهم من نحو أنت الخليفة من بعدى مخاطبا به عليا كرم الله تعالى وجهه، ومن خبر سلموا على عليّ بإمرة المؤمنين مما لا وجود له فضلا عن اشتهاره، كيف وما نقلوه من هذين الحديثين وما شابههما مما يرونه حديثا من قوله ﷺ لعلى أنت قاضى دِينى[(١)] بكسر الدال، وما يرونه حديثا - أيضا - من قوله ﷺ عليٌ خير البشر؛ فمن أبى فقد كفر[(٢)]، فهذه الأحاديث كذب، باطلة، موضوعة مفتراة عليه ﷺ، ألا لعنة الله على الكاذبين!! .

ولم ينقل أحد من أئمة الحديث أن شيئًا من هذه الأحاديث بلغ مبلغ الآحاد المطعون فيها، بل كلهم مجمعون على أنها افتراء، وكذب محض، وبناءٌ مرفض من أبناء رفض، فإن زعم هؤلاء الجهلة الكذبة على الله، ورسوله، وعلى أئمة الإسلام، ومصابيح الظلام أن هذه الأحاديث صحت عندهم - قلنا لهم: هذا محال؛ إذ كيف تنفردون بصحة تلك الأخبار مع أنكم لم تتصفوا قط برواية، ولا بصحبة محدث، ويجهل تلك الأحاديث مهرة الحديث، وسُياقه الذين أفنوا أعمارهم فى الرحلات والأسفار البعيدة، وبذلوا جهدهم فى طلبه وفى السعى إلى كل من ظنوا عنده قليلا منه، حتى جمعوا الأحاديث، ونقبوا عنها، وعلموا صحيحها من سقيمها، ودونوها فى كتبهم على غاية من الاستيعاب ونهاية من التحرير!! .

وكيف لا والأحاديث الموضوعات جاوزت مئات الألوف، وهم مع ذلك يعرفون واضع كل حديث منها، وسبب وضعه، والحامل لواضعه على الكذب، والافتراء

(١) أخرجه ابن حبان (٣/ ٥) ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات من حديث أنس بن مالك مرفوعًا: «إن أخي ووزيري وخليفتي من أهلي وخير من أترك بعدي، يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب». وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، وأقره السيوطي في اللآلئ (١/ ٣٢٦)، وابن عراق في التنزيه (١/ ٣٥٣)، والذهبي في الميزان (٦/ ٤٤٤)، والشوكاني في الفوائد (٣٤٦).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات عن علي وابن مسعود وجابر وأبي سعيد. وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ .

على رسول الله ﷺ، فجزاهم الله خير الجزاء، إذ لولا حسن صنعهم؛ لاستولى المبطلون والمتمردة المفسدون على الدين، وغيروا معالمه، وخلطوا الحق بكذبهم حتى لا يتميز عنه؛ فضلوا، وأضلوا ضلالا مبينا، لكن لما حفظ الله تعالى على نبيه شريعته من الزيغ والتبديل، وجعلوا من أكابر علماء أمته فى كل عصر طائفة على الحق لا يضرهم مَن خذلهم؛ لم يبال الدين بهؤلاء الكذبة المبطلين الجهلة؛ فلذلك قطعت العادة المطردة القطعية بكذبهم واختلاقهم فيما زعموه من نصّ على عليّ صح عندهم دون غيرهم، إن هذا إلا اختلاق، نعوذ بالله من مثله.

وأما قول عمر - رضى الله تعالى عنه - كانت بيعة أبى بكر فلتة، لكن وقى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه[1]، فهذه اللفظة مما تشبث به الروافض، وقالوا: إنها قادحة فى حقية خلافة أبى بكر - رضى الله تعالى عنه -؛ وذلك من غباوتهم وجهالاتهم؛ إذ لا دلالة فى ذلك لما زعموه؛ لأن معناه أن الإقدام على مثل ذلك من غير مشورة الغير، ومن غير حصول الاتفاق عليه مظنة للفتنة، فلا يقدمن أحد على مثل ذلك، على أنى أقدمت عليه، فسلمت على خلاف العادة ببركة صحة النية، وخوف الفتنة لو حصل توان فى هذا الأمر.

لا أنها فلتة بمعنى على غير الحق والصواب، فهذا شيء عجاب، وهذا أحد متعلقاتهم التى يعتمدونها، وعقائدهم التى يعتقدونها، وسيأتى بيانها قريبًا إن شاء الله تعالى.

فإن قيل ما ذكرتموه مما أوردتموه فى حق أبى بكر، واستدللتم به على أنه الخليفة بعد رسول الله ﷺ معارض بما جاء فى حق عليّ رضى الله عنه، فقد وردت أحاديث تدل على أنه الخليفة بعد رسول الله ﷺ، فمنها حديث سعد بن أبى وقاص، وابن عباس « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبى بعدى » قال له ذلك، وقد استخلفه لما ذهب إلى غزوة تبوك. أخرجه الشيخان، وأحمد فى مسنده[2]، والحافظ أبو القاسم الدمشقى فى الموافقات، وغيرهم؛ وجه الدلالة أن

(١) أخرجه البخاري (٦٨٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٣١-٢٤٠٤)، وأحمد (١/ ١٨٢)، والنسائي في الكبرى (٥/ ١٢٣) رقم (٨٤٤١) من طريق مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه به، وللحديث طرق أخرى في الصحيحين وغيرهما وأما حديث ابن عباس فرواه البزار والطبراني كما في =

موسى استخلف هارون عند ذهابه إلى ربه، فمقتضى التنظير بينهما أن يكون خليفته عند ذهابه إلى ربه كما كان هارون من موسى، وذلك ظاهر جلى.

ومنها حديث يوم غدير خُم « مَن كنت مولاه فعليّ مولاه. . .» إلى آخر الحديث. أخرجه أحمد، وأبو حاتم، والترمذى، والبغوى، وفى بعض طرقه « ألستم تعلمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال من كنت مولاه فإن هذا - يعنى عليًا - مولاه »[1] وجه الدلالة أن المولى فى اللغة: العتيق، والمعتق، وابن العم، والعصبة، ومنه: ﴿ خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى ﴾ [مريم: ٥] وسموا بذلك؛ لأنهم يلونه فى النسب من الولى، وهو القرب. ويطلق على الحليف، والجار، والناصر، ومنه قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد: ١١]، وفى قول ابن عرفة والولى، ومنه الآية، قال بعضهم: أى وليُّهم والقائم بأمرهم، وأما الكافر، فقد خذله، وعاداه ومنه أيضًا قوله ﷺ « أى امرأة نكحت بغير إذن مولاها فنكاحها باطل »[2].

فهذه ثمانية أوجه لا يصح الحمل على شيء من الأربعة الأول منها؛ إذ لا معنى له فى الحديث، وكذا لا يصح على المعنى الخامس إلا على وجه بعيد، فإنه يراد بالحليف الناصر والمتبادر إلى الذهن خلافه، إذ الحليف من وجدت منه صورة المحالفة حقيقة، والمجاز خلاف الظاهر، وكذا لا يصح الحمل على المعنى السادس، وهو الجار إلا أن يريد به المجير - بمعنى الناصر - ومنه: « وإنى جار لكم »: أى مجير فرجع إلى معنى الناصر، فتعين أحد المعنيين الناصر والمولى بمعنى المتولى، وأيا ما كان أفاد المقصود، إذ معناه من كنت متولى أمره، والناظر فى مصلحته، والحاكم عليه - فعليّ فى حقه كذلك.

ويقابل هذا المعنى بقوله « ألستم تعلمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم »

= مجمع الزوائد (٩/ ١١٢).

(١) تقدم قريبًا.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٨٣)، والترمذي (١١٠٢)، وابن ماجه (١٨٧٩)، وعبد الرزاق (١٠٤٧٢)، وأحمد (٦/ ٤٧، ١٦٥-١٦٦)، والدارمي (٢/ ١٣٧)، وابن حبان (٤٠٧٤)، وابن الجارود (٧٠٠)، والدارقطني (٣/ ٢٢١، ٢٢٥-٢٢٦)، والحاكم (٢/ ١٦٨)، والبيهقي (٧/ ١٠٥، ١١٣، ١٢٤-١٢٥)، والبغوي في شرح السنة (٢٢٥٥) من حديث عائشة وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم على شرط الشيخين.

وما ذاك إلا لما ذكرناه من النظر فيما يصلحهم وفى الأحكام عليهم، أو يكون معناه من كنت ناصره، ومنصفه ممن ظلمه، والآخذ له بحقه وبثأره - فعليّ من حقه كذلك، وقد تعذر وصفه بذلك فى حياة النبى ﷺ، فتعين أن يكون المراد به بعد وفاته.

ومنها وهو أقواها سندًا ومتنًا حديث عمران بن حصين « إن عليًّا منى، وأنا منه، وهو وليّ كل مؤمن بعدى ». أخرجه أحمد، والترمذى، وأبو حاتم[(١)]. وحديث بريدة « لا تقع فى عليّ؛ فإنه منى، وأنا منه، وهو وليكم بعدى » أخرجه أحمد[(٢)]. وحديثه الآخر « من كنت وليه فعلى وليُّه »[(٣)] وجه الدلالة أن الولى فى اللغة المولى، قاله الفراء، والمتولى، ومنه ﴿ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾ [يوسف: ١٠١] أى متولى أمرى فيهما، وضد العدو - يعنى - المحب والناصر. ولا يتجه حمله على المحب، ولا على المتولى؛ إذ لا يكون لتقييده بالبعدية معنى فى الحديثين الأولين، فإنه - رضى الله عنه تعالى - كان محبًّا متوليا للمؤمنين حياة المصطفى ﷺ، وبعد وفاته، والحديث الثالث محمول على الأولين فى إرادة البعدية حملاً للمطلق على المقيد، فتعين أحد المعانى الثلاثة، وأيًّا ما كان أفاد المقصود.

أما بمعنى الناصر، فقد تقدم توجيهه فى الحديث قبله.

وأما معنى الأول - فإن حمل المولى على معنى المحب، فلا تصح إرادته بمعنى المتولى فظاهر فى المقصود بل صريح، والله أعلم.

قلنا: الجواب من وجهين: أما الأول: فإن الأحاديث المعتمد عليها فى خلافة أبى بكر - رضى الله عنه - متفق على صحتها، وهذه الأحاديث غايتها أن تكون حسنة، وإن صح منها شيء عند بعضهم، فلا يصلح معارضًا، لما اتفق عليه.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٤٣٧-٤٣٨)، وفي الفضائل (١٠٣٥)، والترمذي (٣٧١٢)، والنسائي في الكبرى (٥/ ١٣٢) رقم (٨٤٧٤)، وابن حبان (٦٩٢٩)، والحاكم (٣/ ١١٠-١١١) من حديث عمران بن حصين.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٦) وفيه قصة وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٣١): رواه أحمد والبزار باختصار، وفيه الأجلح الكندي وثقه ابن معين وغيره وضعفه جماعة وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٠)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٤٥) رقم (٨١٤٤)، (٥/ ١٣٠) رقم (٨٤٦٥)، والبزار (٢٥٣٥)، وابن حبان (٦٩٣٠)، والحاكم (٢/ ١٣٠) وصححه الحاكم على شرط مسلم وأقره الذهبي وقد تقدم بلفظ أقرب لهذا اللفظ.

ومن عجيب أمر هؤلاء الجهلة أنا إذا استدللنا عليهم بالأحاديث الصحيحة الدالة صريحًا على خلافة أبى بكر - رضى الله تعالى عنه - كخبر: « اقتدوا باللذين من بعدى »[١]، وغيره من الأخبار الناصة على خلافته، قالوا: هذا خبر واحد، ولا يغنى فيما يطلب فيه اليقين. وإذا أرادوا أن يستدلوا على ما زعموه من النص على خلافة عليّ - أتوا بأخبار لا تدل على زعمهم، كخبر: « من كنت مولاه »[٢]، وخبر: « أنت منى بمنزلة هارون من موسى »[٣] مع أنها آحاد، وإما بأخبار باطلة كاذبة متيقنة البطلان واضحة الوضع والبهتان، لا تصل إلى درجة الأحاديث الضعيفة التى هى أدنى مراتب الآحاد، كخبر: « أنت الخليفة من بعدى »[٤]، وما بعده، مما تقدم ذكره آنفًا. فتأمل هذا التناقض الصريح والجهل القبيح.

لكنهم؛ لفرط جهلهم وعنادهم وميلهم عن الحق، يزعمون التواتر فيما يوافق مذهبهم الفاسد، وإن أجمع أهل الحديث والأثر على أنه كذب موضوع مختلق، ويزعمون فيما يخالف مذهبهم أنه آحاد بل وباطل - وإن اتفق أولئك على صحته وتواتر روايته - تحكما منهم وعنادًا، أو زيغًا عن الحق، فقوتلوا، وبكل شر قوبلوا.

الوجه الثانى: من وجهى الجواب تسليم صحتها، مع بيان أن لا دليل لهم فيها.

أما قوله فى الحديث الأول: « إن موسى استخلف هارون عند ذهابه إلى ربه. . . » إلى آخر ما قيل. قلنا: الجواب من وجهين: الأول - نقول: هذا عدول عما نطق به لسان الحال والمقال، فإنه عليه الصلاة والسلام - قال لعلى تلك المقالة حين استخلفه لما توجه إلى غزوة تبوك، وذلك استخلاف حال الحياة، فلما رأى تألمه، بسبب التخلف - إما أسفا منه على الجهاد، أو بسبب ما عرض له من أذى المنافقين على ما سنبينه إن شاء الله تعالى قريبًا - قال له تلك المقالة؛ إيذانا له بعلو مكانته منه إلى إقامته مقام نفسه، فالتنظير بينه وبين هارون إنما كان من استخلاف موسى له منضما إلى الأخوة، وشد الأزر، والعضدية، وكان ذلك كله حال الحياة مع قيام موسى فيما استخلفه بعد، يشهد بذلك صورة الحال، فليكن الحكم فى على

(١) تقدم.
(٢) تقدم.
(٣) تقدم.
(٤) تقدم.

كذلك منضمًّا إلى ما ثبت له من أخوة النبى ﷺ، وشد أزره وعضده به، غير أنه لا يشاركه فى النبوة كما شارك هارون موسى، فلذلك قال ﷺ: « إلا أنه لا نبيّ بعدى »، أو بعد بعثتى، على سبيل التنظير، ولا إشعار فى ذلك بما بعد الوفاة، لا بنفى، ولا بإثبات، بل نقول: ولو حمل على ما بعد الوفاة لم يصح تنزيل عليّ من النبى ﷺ منزلة هارون من موسى لانتفاء ذلك فى هارون فإنه لم يكن الخليفة بعد موسى هارون، وإنما كان الخليفة بعده يوشع بن نون، وأما هارون فقد مات فى حياة موسى، فعلم قطعًا أن المراد به الاستخلاف حال الحياة؛ لمكان التشابه، ولا يوجد إلا فى حال الحياة؛ لا يقال: عدم استخلاف موسى هارون بعد وفاته؛ إنما كان لفقد هارون حينئذ، ولو كان هارون حيًّا لاستخلفه، ولم يستخلف غيره؛ بخلاف على مع النبى ﷺ؛ وإنما يتم دليلكم أن لو كان هارون حيًّا بعد وفاته، واستخلف غيره - لأنا نقول: الكلام معكم فى تبيين أن المراد بهذا القول: الاستخلاف فى حال الحياة؛ لمكان التنزيل منزلة هارون من موسى، ومنزلة هارون من موسى فى الاستخلاف لم تتحقق إلا فى حال الحياة؛ فثبت أن المراد به ما تحقق، لا أمر آخر وراء ذلك. وإنما يتم متعلقكم منه أن لو حصل استخلاف هارون بعد وفاة موسى(١).

ثم نقول: هب أن المراد: الاستخلاف عند الذهاب إلى الرب، فلم قلتم: إن ذلك بالموت، وإنما يكون ذلك كذلك أن لو لم يكن إلا به، وهو ممنوع؛ إذ الذهاب المراد إلى الرب - سبحانه - فى الحياة أيضًا، وهل كان ذهابُ موسى إلى ربه إلا فى حال حياته ؟! والصلاة: مناجاة، والدعاء كذلك، والحجاج والعمار وفدُ الله تعالى؛ فهل الذهاب إلى شيء من ذلك إلا ذهابًا إلى الربّ حقيقة، ومطابقتها أوقع من مطابقة الذهاب بالموت؛ فكلٌّ ذاهب إلى طاعة ربه ذاهبٌ إلى ربه؛ لأنه متوجه إليه بها، وإن كان فى بعض التوجه أوقع منه فى غيره، وهذه كالأنواع منه؛

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/ ٤٣٨): واستدل بحديث الباب - أي حديث «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟» - على استحقاق علي للخلافة دون غيره من الصحابة، فإن هارون كان خليفة موسى. وأجيب بأن هارون لم يكن خليفة موسى إلا في حياته لا بعد موته، لأنه مات قبل موسى باتفاق. أشار إلى ذلك الخطابي، وقال الطيبي: معنى الحديث أنه متصل بي نازل مني منزلة هارون من موسى، وفيه تشبيه مبهم بينه بقوله: «إلا أنه لا نبي بعدي» فعرف أن الاتصال المذكور بينهما ليس من جهة النبوة، بل من تخصيص خلافة عليّ للنبي بحياته، والله أعلم.

فيكون النبى ﷺ استخلف عليًا وهو ذاهب إلى ربه، بالخروج إلى طاعته فى الجهاد؛ كما استخلف موسى هارون فى حال حياته ذاهبًا إلى ربه سبحانه، والله أعلم.

الوجه الثاني: أن سياق هذا القول خبر، ولو كان المراد به: ما بعد الوفاة، لوقع - لا محالة - كما وقع كل ما أخبر بوقوعه؛ فإن خبره ﷺ حق وصدق؛ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤] ولما لم يقع عُلِم قطعًا أنه لم يرد ذلك، وقوله - عليه الصلاة والسلام - « إنه لا ينبغى أن أذهب إلا وأنت خليفتى على أهلى »[1] فإنه ﷺ لم يستخلفه إلا عليهم، والقرابةُ مناسبة لذلك. وأما على المدينة فالمستخلف: محمد بن مسلمة، وقيل: سباع بن عرفطة، وذكره ابن إسحاق فقال: خَلَّفَ رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك عليًا على أهله وأمره بالإقامة فيهم، فأرجفَ المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استثقالاً. قال: فأخذ عليٌّ سلاحه وخرج، حتى لحق برسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف، فقال: يا نبى الله، زعم المنافقون أنك ما خلفتنى إلا أنك استثقلتنى، فتخففت منى[2]، فقال - عليه الصلاة والسلام -: « كذبوا، ولكنى خلفتك لما تركت ورائى؛ فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك؛ ألا ترضى - يا على - أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبى بعدى »[3].

أو يكون المعنى: إلا وأنت خليفتى فى أهلى فى هذه القضية، على تقدير عموم استخلافه فى المدينة؛ إن صح ذلك. ويكون ذلك لمعنى اقتضاه فى تلك المدة عَلِمَهُ رسول الله ﷺ وجهله غيره؛ يدل عليه: أنه ﷺ استخلف غيره - رضى الله تعالى عنه - فى قضايا كثيرة، ومرات عديدة.

أو يكون المعنى: الذى يقتضيه حالك وأمرك: ألا أذهب فى جهةٍ إلا وأنت خليفتى؛ لأنك منى بمنزلة هارون من موسى؛ لمكان قربك وأخذك عنى، لكن قد يكون شخوصُكَ معى فى وقتٍ أنفع لى من استخلافك، أو يكونُ الحال يقتضى أن

(١) أخرجه مطولاً أحمد (١/ ٣٣٠-٣٣١)، والنسائي في الكبرى (٥/ ١١٢) رقم (٨٤٠٩)، والطبراني في الكبير (١٢٥٩٣)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٣٢-١٣٤) من حديث ابن عباس نحوه. قال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٢٣): رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط باختصار، ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي بلج وهو ثقة وفيه لين.

(٢) في ط: بي.

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٤/ ١٥٩). وتاريخ الطبري (٣/ ١٠٣)، ودلائل النبوة (٥/ ٢٢٠)، والبداية والنهاية (٥/ ١١)، وقد تقدم تخريج الحديث.

المصلحةَ فى استخلافِ غيرك؛ فيتخلف حكم الاستخلاف عن مقتضاه، بمعارض أقوى منه يقتضى خلافه؛ وليس فى شيءٍ من هذا كلِّه دليلٌ على أنه الخليفةُ بعد موته ﷺ.

وأما الحديث الثانى: فقوله فيه: « فتعين أحد معنيين: إما الناصر، وإما المولى بمعنى المتولى »، فنحن نقول بموجبه، لا بالتقدير الذى قدروه، والمعنى الذى عليه نزلوه؛ لا بل يكون التقدير: من كنتُ ناصرَهُ فعليٌّ ناصرهُ؛ لأن عليًا جلَّى من الكروب فى الحروب ما لم يجله غيره، وفتح الله على يديه فى زمنه ﷺ ما لم يفتح على يد غيره؛ وشهرةُ ذلك تغنى عن الاستدلال عليه. والتطويل فيه. وإذا كان بهذه المثابة كان ناصرًا من كان النبى ﷺ ناصره؛ لما أشاد الله به من دعائم الإسلام المثبتة لربّها منه فى عنق الخاص والعام، بنصرة المسلمين وإشادة منار الدين؛ ويكون المعنى: من كنت ناصرَهُ فعلى ناصره، وإن كان ذلك واجبًا على كل أحد من الصحابة - بل من الأمة - لكن أثبت بذلك لعليٍّ نوع اختصاصٍ؛ لأنه أقربهم إليه، وأولاهم بالانتصار لمن نصره.

وهذا أولى من حمل الناصر على المعنى الذى ذكروه؛ لما يستلزم ذلك من المفسدة العظيمة والوصمة الفظيعة، فى جلة أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، على ما سنقرره فى الجواب عن الحديث الثالث، الذى أخرجه أحمد والترمذى، عن عمران بن حصين، مما يدل على أنه لا يجوز حمله، على معنى الاستخلاف بعده - عليه الصلاة والسلام - ولا على معنى المتولى؛ ليكون التقدير: فعليٌّ وليه، أى: متولى أمره بعدى، فلا يصح ذلك؛ إذ الإجماع منعقد على أنه لم يرد ﷺ ذلك فى الحالة الراهنة؛ فيكون هذا الحديث الثانى كالحديث الثالث، الذى سيأتى الكلام عليه مستوفى قريبًا.

على أنا نقول: لم لا يجوز أن يكون المراد: الولى المنعم؛ استعارة من مولى العتق، التفاتا إلى المعنى المتقدم آنفًا فى معنى الناصر؛ فيكون التقدير: من أنعم الله عليه بالهداية على يدى نبيه إلى الإسلام والإيمان، حتى اتصف النبيُّ ﷺ بأنه مولاه - فقد أنعم الله عليه - أيضًا - باستقامة أمر دينه، وأمانه من أعداء الدين وخذلانهم، وقوة الإسلام، وإشادة دعائمه - على يد عليٍّ بن أبى طالب، بما

اختصَّ به من دون غيره، مما تقدم بيانه، مما يصحح الاتصاف بأنه مولًى له أيضًا.

وقد حكى الهروى، عن أبى العباس: أن معنى الحديث: من أحبنى وتولانى، فليحب عليًا وليتولَّهُ.

قال فى «الرياض النضرة»: وفى هذا عندى بُعْدٌ - يعنى: ما حكاه الهروى - إذ كان قياسهُ على هذا التقدير أن يقول: من كان مولاى، فهو مولى على، ويكون المولى: بمعنى الولى، ضد العدو، فلما كان الإسناد إلى اللفظ على العكس من ذلك، بطل هذا المعنى. ولو [قال] [1] معناه: من كنت أتولاه وأحبه، فعلى يتولاه ويحبه؛ كان أنسبَ للفظ الحديث، وهو ظاهرٌ لمن تأمله.

نعم: يتجه ما ذكره الهروى من وجه آخر. بتقدير حذفٍ فى الكلام، على وجه الاختصار، تقديره: من كنت مولاه، فسبيلُ المولى - يعنى: وحقه - أن يحب ويتولى، فعلى - أيضًا - مولاه؛ لقربه منى ومكانته من تأييد الإسلام، فيحبه وليتوله كذلك.

وأما الحديث الثالث: فقولهم: «فيتعين حمل الولى على الناصر، أو المتولى...» إلى آخر ما قالوه. قلنا: الجواب عنه من وجهين - أيضًا -:

الأول: القول بالموجب على المعنيين، مع البيان بأنه لا دليل لكم فيه.

أما على معنى الناصر: فلما بيناه فى الحديث قبله.

وأما بمعنى المتولى: فقد كان ذلك؛ إذ قد تولى على - رضى الله عنه - أمر الأمة بالخلافة، وإن كان بَعْدَ من كان بعده؛ فقد صدق عليه - رضى الله تعالى عنه - أنه تولى الأمة بعده - عليه الصلاة والسلام - حقيقةً. ومثل هذا قد ورد، وسيأتى فى مناقب عثمان - رضى الله تعالى عنه - أنه ﷺ رأى فى منامه حوريةً فقال لها: لمن أنت ؟ فقالت: للخليفة من بعدك، عُثْمَانُ؛ وحينئذ فتكون فائدةُ ذكرِه ﷺ ذلك؛ للتنبيه على فضيلة عليٍّ - رضى الله تعالى عنه - والتمرنِ على محبته؛ فإنه سيلى [عليكم][2] ويتولى أمركم، ومن تتوقع إمرته فالأولى أن يمرن القلبُ على مودته ومحبته ومجانبة بغضه؛ ليكون أدعى إلى الانقياد، وأسرع للطواعية، وأبعد

(١) في ط: كان. والمثبت من الرياض النضرة.

(٢) المثبت من الرياض النضرة.

عن الخلف[١].

ويشهد لهذا المعنى وغيره. حثُّه ﷺ فى هذه الخطبة على أهل بيته عمومًا، وعلى عليٍّ خصوصًا. ويرشد إليه - أيضًا - ما ابتدأ به ﷺ هذا الحديث، ولفظه - عند الطبرانى، بسند صحيح -: « أنه ﷺ خطب بغدير خم، ثامن عشر ذى الحجة، مرجعه من حجة الوداع، تحت شجرات بُرِّح له ما تحتها بعد صلاة الظهر، فقال: « أيها الناس، إنه قد نبأنى اللطيفُ الخبير: أنه لم يُعَمر نبي إلا نصف عمر الذى يليه من قبله؛ وإنى لأظن أنى يوشك أن أُدْعى فأجيب، وإن مسئول وإنكم مسئولون، فماذا أنتم قائلون ؟ » قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وجهدت، ونصحت؛ فجزاك الله خيرًا. فقال: « ألستم[٢] تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن جنته حق، وناره حق، وأن الموت حق، وأن البعث بعد الموت حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور ؟! » قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: « اللهم، اشهد! ». ثم قال: « أيها الناس، إن الله مولاى، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم » وفى رواية « ألستم تعلمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ » قالوا: بلى. قال: « فمن كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وَالِ من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحقَّ معه أينما دار ». ثم قال: « أيها الناس، إنى فَرَطُكم، وإنكم واردون على الحوض، حوضًا عرضه كما بين بُصرى إلى صنعاء، فيه عدد نجوم السماء قِدْحانٌ من فضة، وإنى سائلكم حين تردون عليَّ، وإنى تارك فيكم الثقلين، فانظروا كيف تخلفونى فيهما: الثقل الأكبر: كتاب الله - عز وجل - سببٌ طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتى أهل بيتى؛ فإنه قد نبأنى اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض »[٣].

ويشهد له - أيضًا - أن سبَب ذلك - كما نقله الحافظ شمس الدين بن الجوزى،

---

(١) ينظر الرياض النضرة (١/ ٢٢٧، ٢٢٨).

(٢) في الطبراني: أليس.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٠٥٢) من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري بنحوه. وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٦٨): فيه زيد بن الحسن الأنماطي قال أبو حاتم: منكر الحديث، ووثقه ابن حبان، وبقية رجال أحد الإسنادين ثقات. وحديث الحوض عند البخاري (٤٠٤٢ ، ٦٤٢٦)، ومسلم (٢٢٩٦).

عن ابن إسحاق: أن عليًا - رضى الله تعالى عنه - تكلم فيه بعضُ من كان معه فى اليمن، فلما قضى ﷺ حجه، خطب هذه الخطبة؛ تنبيها على قدره، وردا على من تكلم فيه؛ كبريدة بن الحصيب؛ كما فى البخارى[١]: أنه كان يبغضه. وسبب ذلك: ما صححه الذهبى، أنه خرج معه إلى اليمن فرأى منه جفوةً فنقصه للنبى، فجعل وجه النبى ﷺ يتغير، فقال: « يا بريده! لا تقع فى عليّ؛ فإن عليا منى وأنا منه، وهو وليكم بعدى »[٢].

ولا يجوز حمله على أنه المولى عقبَ وفاته ﷺ فى الأحاديث كلها؛ لوجوه:

الأول: أن لفظ الحديث لفظ الخبر، ممن لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، ولو كان المراد به كذلك، لوقع لا محالة كما وقع كل ما أخبر عنه؛ فلما لم يقع ذلك دَلَّ على أن المراد به غيره.

لا يقال: لم لا يجوز أن يكون المراد بلفظ الخبر: الأمر ؟ لأنا نقول: يلزم على ذلك محذوران:

الأول: صرف اللفظ عن ظاهره، وذلك مرجوح، والظاهر راجح؛ فوجب العمل به.

الثانى: أن ذلك - يعنى: أمر الخلافة - أمرٌ عظيم مهم فى الدين، تتوفر عليه دواعى المسلمين، ومثل ذلك لا يكتفى فيه بالألفاظ المجملة؛ بل يجب فيه التصريح بنص الظاهر.

الوجه الثانى: لزوم مفسدة عظيمة فى الحمل على ذلك، هى: نسبةُ الأمة إلى الاجتماع على الضلالة، واعتقادُ خطأ جميع الصحابة باجتماعهم على تولية أبى بكر - رضى الله تعالى عنهم - وذلك منفيٌّ بقوله ﷺ: « لا تجتمع أمتى على ضلالة »[٣]. وما ذكرناه: فى المصير إليه دفعٌ لهذا المحذور، ونفى للظلم والخطأ

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥٠) وفيه قول النبي ﷺ لبريدة: لا تبغضه فإن له في الخمس أكثر من ذلك.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) أخرجه الترمذي (٢١٦٧) من حديث ابن عمر مرفوعاً إن الله لا يجمع أمتي. أو قال أمة محمد، على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار. وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه وله طرق عند الحاكم (١/ ١١٥ - ١١٦)، وأخرجه ابن ماجة (٣٩٥٠) من حديث أنس وقد ورد عن جماعة من الصحابة. ينظر المقاصد الحسنة (١٢٨٨)، وكشف الخفاء (٢/ ٤٨٨).

عن الجم الغفير، المشهود لهم بأنهم كالنجوم: من اقتدى بأيهم اهتدى؛ خصوصًا من أَمَرَ ﷺ بالاقتداء به من بعده وشهد بالرشد لمن أطاعه.

وما تدعيه الرافضة: من أن عليًا ومن تابعه فى ترك المبادرة إلى بيعة أبى بكر؛ إنما بايعوه بعد ذلك تقية؛ فلا إجماع على بيعة أبى بكر فى نفس الأمر - فهذا غايةُ الفساد؛ لما يلزم عليه من نسبة القبائح والرذائل. وقد قدمنا بيان ذلك وكيفية مبايعته؛ من إرسال ابنه الحسن إلى أبى بكر، وخطبة عليّ - كرم الله وجهه - واعتذاره بالعذر الحسن الجميل؛ فانظره فى أول خلافة الصديق، رضى الله تعالى عنه.

الثالث: أن الأحاديث الواردة فى أبى بكر، دلت على أنه الخليفةُ عقيب وفاته ﷺ، وقد بين وجه دلالتها - كما ستراها قريبًا - على خلافته، مصدرًا بها الأحاديث الواردة فى شأنه. وأحاديث عليّ - رضى الله تعالى عنه - مترددةٌ بين احتمالين، فى الحمل على أحدِهما توفيقٌ بين الأحاديث كلها، ونفى للمحذور اللازم فى حق الصحابة كما قررناه؛ وفى الحمل على الثانى إلغاء لبعضها وتقريرٌ لذلك المحذور؛ فكان الحمل على ما يحصل به التوفيق، وينفى به المحذور - أولى؛ عملاً بالأحاديث كلها، وكيف يتطرق خلافُ ذلك إلى الوهم، وقد روى عن على وغيره من الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - ما يشهد بصحته، وتتبادر الأفهام عند سماعه إلى أنه مانعٌ من تطرق تلك الأوهام » ؟! أم كيف يحل اعتقاد غير ذلك، والإجماعُ على خلافه؛ فالإجماع على خلافة أبى بكر قاضٍ بالقطع بحقيتها؛ لأن مفَادَ الإجماع القطعُ، ومفاد خبر الواحد ظنى؛ ولا تعارض بين قطعى وظنى؛ بل يعمل بالقطعى ويلغى الظنى، على أن الظنى لا عبرةَ به، جملةٌ كافية عند الشيعة.

فإن قيل: أى إجماعٍ انعقد، مع تخلف مثل: على، وطلحة، والزبير، وبنى هاشم أجمع، والمقدادِ، وخالد بن سعيد بن العاص، وابن عباس، وأبى ذر، وعمار بن ياسر، وهؤلاء من جِلَّةِ أهل العقد والحل ؟!.

قلنا: كان تأخرهُم: إما لتأثر خواطرهم بترك المشاورة فى أمر البيعة والاستبداد بها دونهم؛ فإن الزبير وطلحة قد أفصحا بذلك، وبادرا بالبيعة فى اليوم الثانى. وإما للتروى اجتهادًا منهم، فلما ظهر لهم الأمر بايعوا، والله أعلم بالحقائق سبحانه.

الوجه الثالث - من أوجه الجواب عن الحديث الثالث: لم لا يجوز أن يكون الولى هنا بمعنى: المحبُّ الموالى، ضد العدو ؟! والتقدير: وهو متوليكم ومحبكم بعدى، ويكون المراد بالبعدية هنا: البعدية فى الرتبة، لا بعدية وفاته ﷺ، أى: المتقدم فى تولى المسلمين ومحبتهم: [أنا]، ثم على فى الدرجة الثانية؛ لمكانته منى وقربه ومناسبته؛ فهو أولى بمحبة من أحبه، وتولى من أتولاه، ونصرة من أنصره، وإجارة من أجيره[1].

والحاصل: أن هذا الحديث - يعنى: حديث: « من كنت مولاه » - ليس نصًّا على إمامة على - كرم الله وجهه - وكيف يكون نصًّا ولم يحتج به هو، ولا العباس - رضى الله تعالى عنهما - ولا غيرهما وقت الحاجة إلى الاحتجاج؛ وإنما احتج به عليٌّ فى خلافته؛ يقول راوى ذلك، أبو الطفيل - كما عند أحمد والبزار: جمع عليٌّ الناس بالرحبة - يعنى: بالعراق - لما آلَتْ إليه الخلافةُ، فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال لهم: أُشْهِد الله من شهد يوم غدير خم إلا قام، ولا يقوم رجلٌ يقول: نبئت وبلغنى، إلا رجل سمعتْ أذناه ووعى قلبه؛ فقام سبعةَ عشرَ صحابيا - وفى رواية: - ثلاثون - فقال: هاتوا ما سمعتم، فذكروا الحديث المتقدم، ومن جملته: « من كنت مولاه فعلى مولاه »، فقال: صدقتم، وأنا عَلَى ذلك من الشاهدين[2]. فلو كان نصًّا لاحتج به ومنع غيره، كما منع أبو بكرٍ الأنصار بخبر: « الأئمة من قريش »[3] فأطاعوه، مع كونه خبرَ واحدٍ، وتركوا الإمامة وادعاءها

---

(١) ينظر الرياض النضرة (١/ ٢٢٩ - ٢٣٠).

(٢) أخرجه أحمد بنحوه (٦/ ٣٧٠) وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٠٧). رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة، وهو ثقة.

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي (٢/ ١٦٣- منحة) رقم (٢٥٩٦) والبزار (٣/ ٢٢٨ - كشف) رقم (١٥٧٨) وأبو يعلى (٦/ ٣٢١) رقم (٣٦٤٤) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٧١) والبيهقي (٨/ ١٤٤) كتاب قتال أهل البغي: باب الأئمة من قريش، كلهم من طريق إبراهيم بن سعد عن أبيه عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الأئمة من قريش إذا حكموا فعدلوا وإذا عاهدوا فوفوا وإذا استرحموا فرحموا وقال أبو نعيم: هذا حديث مشهور ثابت من حديث أنس وقال الحافظ في تخريج أحاديث المختصر (١/ ٤٧٤): هذا حديث حسن ا.هـ
وللحديث طرق أخرى عن أنس فأخرجه أحمد (٣/ ١٨٣) وابن أبي عاصم في السنة (١١٢٠) من طريق الأعمش عن سهل أبي الأسد عن بكير بن وهب الجزري عن أنس، به.
وأخرجه أحمد (٣/ ١٢٩) والنسائي في الكبرى (٣/ ٤٦٧ - ٤٦٨) كتاب القضاء: =

لأجله؛ فكيف - حينئذ - يتصور وجود نصٍّ جلى يقينى لعلى، وهو بين قوم لا يعصون خبرَ الواحد فى أمر الإمامة، وهم من الصلابة فى الدين بالمحل الأرفع؛ بشهادة بذلهِمُ الأنفسَ والأموالَ ومهاجرتهم الأهل والأوطانَ وقتلهم الأولاد والآباءَ فى نصرةِ الدين، ولم يحتج عليٌّ عليهم بذلك النص الجلى، بل ولا قال أحد منهم - عند طلع النزاع فى أمر الإمامة -: لم يتنازعون فيها، والنص الجلى قد عين فلانًا لها. فإن زعم زاعم أن عليًا قال لهم ذلك، فلم يطيعوه - كان جاهلاً ضالاً مفتريًا منكرًا للضروريات؛ فلا يلتفت إليه؛ فإنه لم يقله - كرم الله وجهه - إلا عندما آلت إليه الخلافة؛ بشهادة راويه أبى الطفيل، ولم يحتجَّ به عند وفاته ﷺ، فسكوتُه عن الاحتجاج به إلى أيام خلافته، قاض على من عنده أدنى فهم وعقل - بأنه عَلِمَ منه أنه لا نص فيه على خلافته عقيب وفاته ﷺ[1].

= باب الأئمة من قريش حديث (٥٩٤٢) من طريق شعبة عن علي أبي الأسد ثنا بكير بن وهب الجزري عن أنس به وقد اختلف في اسم أبي الأسد وقد رجح أبو حاتم الرازي أن اسمه سهل فقال ولده في العلل (٢/ ٤٣٠-٤٣١): سألت أبي عن حديث رواه أبو الجواب الأحوص بن جواب عن عمار بن رزيق عن الأعمش عن سهل بن بكير الجزري عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الأئمة من قريش ....» فسمعت أبي يقول: إنما هو الأعمش عن سهل أبي الأسد عن بكير الجزري عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم. ا. هـ وأخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٢٥٢) رقم (٧٢٥) من طريق ابن جريج عن حبيب بن أبي ثابت عن أنس بن مالك به وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٨) من طريق حماد بن أحمد بن حماد بن أبي رجاء المروزي قال: وجدت في كتاب جدي حماد بن أبي رجاء السلمي بخطه عن أبي حمزة السكري عن محمد ابن سوقة عن أنس، به. قال أبو نعيم: غريب من حديث محمد تفرد به حماد موجوداً في كتاب جده. وأخرجه الحاكم (٤/ ٥٠١) من طريق الصعق بن حزن ثنا على ابن الحكم عن أنس مرفوعاً بلفظ: الأمراء من قريش وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وأخرجه البزار (١٥٧٩) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن أنس بلفظ: الملك في قريش. والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٩٥) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط أتم منهما والبزار إلا أنه قال: الملك في قريش ورجال أحمد ثقات، وفي الباب عن علي وأبي برزة.

(١) قال البيهقي في الاعتقاد (ص٢٠٣): وأما حديث الموالاة فليس فيه - إن صح إسناده - نص على ولاية بعده، فقد ذكر من طرقه في كتاب الفضائل - ما دل على مقصود النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك. وهو أنه لما بعثه إلى اليمن كثرت الشكاة عنه، وأظهروا بغضه. فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يذكر اختصاصه به ومحبته إياه ويحثهم بذلك على محبته وموالاته وترك معاداته، فقال: من كنت وليه فعليّ وليه»... والمراد به ولاء الإسلام ومودته. وعلى المسلمين أن يوالي بعضهم بعضا، ولا يعادي بعضهم بعضًا ا هـ.

على أن عليًا نفسَهُ صرح بأنه ﷺ لم ينص عليه، ولا على غيره؛ كما سيأتى عنه.

وفى البخارى وغيره، حديث خروج على والعباس من عند النبى ﷺ، وقول العباس - وقد أخذ بيد على -: « إنك بعد ثلاث عبدُ العصا، والله لأرى أن رسول الله ﷺ متوفًى فى وجعه هذا، وإنى لأعرف الموت، فى وجوه بنى عبد المطلب؛ فلنذهب إلى رسول الله ﷺ نسأله: فيمن يكون هذا الأمر؛ فإن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان فى غيرنا أمرناه فأوصى بنا ». فقال على: « والله! إن سألناها رسول ﷺ فَمَنَعَنَاهَا، لا يعطيناها الناسُ أبدا »[1] فهذا صريح فيما ذكرناه، من أنه ﷺ لم ينص على أحد عند موته، وكل عاقل يجزم بأن حديث: « من كنت مولاه » ليس نصًا فى إمامة على؛ وإلا لَمْ يَحْتَجْ هو والعباس إلى مراجعته ﷺ المذكورة فى حديث البخارى، مع قرب العهد جدا بيومئذ بينهما نحو الشهرين، وتجويز النسيان على سائر الصحابة السامعين لخبر يوم الغدير، مع قرب العهد - وهم مَنْ هم فى الحفظ والذكاء والفطنة، وعدم التفريط والغفلة فيما سمعوه منه ﷺ - محالٌ عادى، يجزم العاقل بأدنى بديهة أنهم لم يقع منهم نسيان ولا تفريط، وبأنهم حالَ بيعتهم لأبى بكر، كانوا ذاكرين لذلك الحديث عالمين به وبمعناه؛ فزعم الشيعة والرافضة: أن الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - علموا هذا النص ولم ينقادوا له؛ عنادًا أو مكابرة بالباطل، وقولهم: « إنما تركها عليّ - رضوان الله عليه - تقية » كذب وافتراء أيضا؛ لما قدمناه فيما مرّ، ومنه: إنما كان فى منعةٍ من قومه وعشيرته، مع كثرتهم وشجاعتهم، وأنه احتج أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - على الأنصار لمّا قالوا: « منا أمير ومنكم أمير » بخبر: « الأئمة من قريش » فكيف سلموا له هذا الاستدلال، ولأى شيء لم يقولوا: ورد النص على إمامة عليّ، فكيف تحتج أنت بمثل هذا العموم ؟!.

وقد أخرج البيهقى عن أبى حنيفة النعمان بن ثابت - رضى الله تعالى عنه - أنه قال: « أصل عقيدة الشيعة: تضليل الصحابة، رضوان الله تعالى عليهم ». وإنما نبه على الشيعة؛ لأنهم أقل فحشا فى عقائدهم من الرافضة؛ وذلك لأن الرافضة يقولون بتكفير الصحابة؛ لأنهم عاندوا بترك النص على إمامة على - رضى الله تعالى عنه -

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٧)، وقد تقدم تخريج ذلك.

بل زاد أبو كامل، وهو من رءوسهم المتقدمين، فكفر عليا؛ زاعما أنه أعان الكفارَ على كفرهم، وأيدهم على كتمان ذلك، وعلى ستر ما لا يتم الدين إلا به؛ لأنه لم يرو عن على - كرم الله وجهه - أنه احتج بالنص على إمامته؛ بل تواتر عنه: « إن أفضلَ الأمةِ: أبو بكر وعمر »(١) فإنه قبل من عمر إدخاله إياه فى الشورى.

وقد اتخذ الملحدون كلام هؤلاء السِّفلة الكَذَبة ذريعةً لطعنهم فى الدين والقرآن، وقد تصدى بعض الأئمة للرد عليهم، ومن جملة ما قاله أولئك الملحدون: كيف يقول الله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقد ارتدوا بعد وفاة نبيهم، إلا نحو ستة أنفس منهم؛ لامتناعهم من تقديم أبى بكر وعدم رضاهم ببيعته ؟! فانظر إلى حجة الملحد تجدُها عينَ حجة الرافضة، قاتلهم الله تعالى أنى يؤفكون! بل هم أشد ضررا على الدين من اليهود والنصارى، وسائر فرق الضلال! كما صرح به على - رضى الله عنه - بقوله: « تفترق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، شرها: من ينتحل حبنا ويفارق أمرنا »(٢) ووجهه: ما اشتملوا عليه من افترائهم قبائحَ البدع وغاياتِ العناد والكذبَ، حتى تسلطت الملاحدةُ بسبب ذلك على الطعن فى الدين وأئمة المسلمين؛ بل قال القاضى أبو بكر الباقلانى: إن فيما ذهبت إليه الرافضةُ مما ذكر، إبطالاً للإسلام؛ لأنه إذا أمكن اجتماعُ الصحابة على الكتم للنصوص، أمكن فيهم الكذبُ والتواطؤ عليه لغرض؛ فيمكن أن سائر ما نقلوه من الأحاديث زور، ويمكن أن القرآن عُورضَ بما هو أفصح منه - كما تدعيه اليهود والنصارى فكتمته الصحابة؛ وكذا ما نقله سائر الأمم عن جميع الرسل: يجوز

(١) أخرج البخاري (٣٦٧١)، وأبو داود (٤٦٢٩). وابن أبي عاصم في السنة (١٢٠٦) عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي : أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من ؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين. وينظر باب ما روي عن علي رضي الله عنه من تفضيله أبا بكر وعمر، وإيمائه إلى عثمان بن عفان ثالثهم في الفضل من كتاب السنة لابن أبي عاصم الأحاديث (١٢٠٠ - ١٢٢١) .

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٩٩٥) عن علي بلفظ: تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وأنتم على ثلاث وسبعين، وإن من أضلها وأخبثها من يتشيع أو الشيعة والحديث فيه ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف أخرجه الذهبي في تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين - ٦٣٧ - ٦٤٢)، بطوله.

الكذب فيه والزور والبهتان؛ لأنهم أقروا ذلك فى هذه الأمة التى قد جاء القرآن بأنها خير أمة أخرجت للناس؛ فادعاؤهم إياه فى باقى الأمم أحرى وأولى. فتأمل المفاسد التى ترتبت على ما أَصَّلَهُ هؤلاء!.

وقد أخرج البيهقى عن الشافعى - رضى الله عنه - ما من أهل الأهواء أشد زورًا من الرافضة!.

وكان إذا ذكرهم عابهم بالرذالة والسقاطة، وأنهم لا يتوجه معهم خطاب، ولا يرجعون إلى رشد ولا إلى صواب.

وعن الحسن بن أبى الحسن البصرى، قال: لما قدم [على] - رضى الله عنه - البصرة فى أثر طلحة والزبير، يريد قتالهم؛ قال له ابن الكواء وقيس بن عباد: يا أمير المؤمنين، ألا تخبرنا عن مسيرك هذا الذى سرت فيه، ستتولى على الأمة وتضرب الناس بعضهم ببعض، أَعَهْدٌ من رسول الله ﷺ إليك، فحدثنا به؛ فأنت الموثوق به المأمون على ما سمعت ؟! قال: « أمَّا أن يكون عندى من رسول الله ﷺ عهد، فلا والله، لَئِنْ كنت أولَ من صدق به لا أكونُ أول مَنْ كذب عليه، ولو كان عندى من النبى ﷺ عهدٌ بذلك، ما تركت أخوى تيم وعدى يقومان على منبره، ولقاتلتهما لو لم أجد إلا بردى؛ ولكن رسول الله ﷺ لم يُقتل قتلاً ولم يمت فجأة، مكث فى مرضه أياما وليالى، يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر فيصلى بالناس وهو يرى مكانى، ولقد أرادتِ امرأة من نسائه صرفَهُ عن أبى بكر، فأبى وغضب، وقال: « أنتن صواحبُ يوسف! يظهرن خلاف ما يبدين؛ مروا أبا بكر فليصل بالناس » فلما قبض الله نبيه ﷺ وقعنا فى أمورنا، ثم اخترنا لدنيانا من رضِيَهُ رسولُ الله ﷺ لديننا، وكانت الصلاةُ أعظمَ أركان الإسلام وقواعِد الدين؛ فبايَعْنا أبا بكر فكان لذلك أهلا، لم يختلف عليه منا اثنان، فأديتُ إلى أبى بكر حقه، وعرفتُ له طاعته، وغزوتُ معه فى جنوده، وكنتُ آخذ إذا أعطانى وأغزو إذا أغزانى، وأضرب بين يديه الحدودَ بسوطى.

فلما قُبِضَ ولأَّها عمر، فأخذ بسنّة صاحبه وما يعرف من أمره، فبايعناه ولم يختلف عليه منا اثنان، فأديتُ إلى عمر حقه، وعرفت له طاعته، وغزوتُ معه فى جنوده، وكنت آخذ إذا أعطانى، وأغزو إذا أغزانى وأضرب بين يديه الحدودَ بسوطى.

فلما قبض تذكرتُ فى نفس قرابتى وسابقتى وفضلى، وأنا أظن أن لا يعدل بى،

ولكن خَشِيَ ألاَّ يعملُ الخليفةُ بعده ذنبًا إلا لحقه فى قبره؛ فأخرج منها نفسه وولده، ولو كانتْ محاباة منه لآثر ولده، ولكن برئ منها إلى ستةِ نفر من قريش أنا أحدهم.

فلما اجتمع الرهطُ تذكرتُ فى نفسى قرابتى وسابقتى، وأنا أظن أن لن يعدلوا بى، فأخذ عبدُ الرحمن بن عوف مواثيقَ على أن نسمع ونطيع لِمَنْ ولاه الله - عز وجل - أمرنا، ثم أخذ بيدِ عثمان فضربَ يده على يده، فنظرت فى أمرى فإذا طاعتى قد سبقت بيعتى، وإذا ميثاقى قد أُخِذَ لغيرى، فبايعنا عثمان، فأديتُ له حقَّهُ، وعرفتُ له طاعته، وغزوتُ معه فى جنوده، وكنتُ آخذ إذا أعطانى، وأغزو إذا أغزانى، وأضربُ بين يديه بسوطى.

فلما أصيب عثمان نظرتُ فى أمرى، فإذا الخليفتان اللذان أخذاها بعهد رسول الله ﷺ إليهما فى الصلاة قد مضيا، وهذا الذى أخذ له ميثاق قد أصيبَ، فبايعنى أهلُ الحرمين وأهلُ هذين المصرين ».

أخرجه أبو أحمد حمزة بن الحارث، وأبو الفضل ابن خيرون، والدارقطنى، وابن عساكر، والذهبى، وغيرهم، وابن السمان فى « الموافقة »، وزاد بعد قوله: « وأهل هذين المصرين » قوله: « ثم إن معاوية بن أبى سفيان جاء يضربنى بأهل الشام، فكنت - والله - أحق بها منه، والله لو أن أبا بكر حين بويع نازعوه لقاتل؛ ولو أن عمر نوزع حين بويع لقاتل » فقالا: صدقت، يا أبا الحسن، وبررت واحتججت، وكنت أحق بها منه. وفى رواية عبدة أنهما قالا له: أخبرنا عن قتالك هذين الرجلين - يعنيان: طلحة والزبير - وهما صاحباك فى الهجرة، وفى بيعة الرضوان، وفى الشورى، قال: « بايعانى بالمدينة، وخلعانى بالبصرة، ولو أن رجلا بايع أبا بكر ثم خلعه، قاتلناه؛ ألاَ ولو أن رجلا بايع عمر ثم خلعه، قاتلناه »[1].

قلت: كأنى أنظر وأسمع رافضيَّ الاعتقاد ينكر هذه الروايةَ ويبطل إسنادها، وينقض مبناها، ويقوّض عمادها؛ إلا قوله فيها: « وأنا أظن أن لا يعدلوا بى... » إلى قوله: « فبايعنا عثمان » فإنه يتخذ ذلك شبهةَ دليلٍ وبرهانٍ؛ لما يعتقده من الكذب والباطل والبهتان، عليه من الله ما يستحق!.

قلت: ومن جملة زعم الرافضة: أن عليًا إنما سكت عن النزاع والثيار فى أمر

---

(١) ينظر السابق (٦٤٢).

الخلافة وطلبها؛ لأن النبى ﷺ أوصاه ألا يوقع بعده فتنة ولا يسل سيفا. وسمعت من بعض غُلاَتِهِمْ: أن عليًا كان يتحدث مع فاطمة فى شأن الخلافة، وكأنها تلومه فى سكوته، فأذن المؤذن حينئذ، فقال لها عليّ - رضى الله عنه -: « لولا خوفى انقطاع هذا الصوت أو الذكر - مشيرًا إلى الأذان - لجعلتُ أرضها سماءها » فإن صح كلام هذا الغالى، فقد اختلفت العلتان عليهم: الوصية فى الأول، والخوف فى الثانى، وكلا العلتين معلولٌ بأنه افتراء وكذب وضلالة، وحمق وغباوة وجهالة عما يترتب على ذلك؛ إذ كيف يعقل مع هذا الذى زعموه أنه جعله إماما واليا على الأمة بعده، ومنعه من سل السيف على من امتنع من قبول الحق ولو كان ما زعموه صحيحا، لما سل - كرم الله وجهه - السيفَ فى حرب صفين وغيرها، وقاتل بنفسه وأهل بيته وشيعته، وبارز الألوفَ منهم وحده؛ أعاذه الله من مخالفة وصية رسول الله ﷺ!.

وأيضا، فكيف يتعقلون أنه ﷺ يوصيه بعدم سل السيف على مَنْ يزعمون فيهم أنهم مجاهرون بأقبح أنواع الكفر؛ من مخالفة أمره ﷺ، ودفع مَنْ نَصَّ على أنها له، والتمالؤِ والاجتماعِ على إعطائها لغير من هى له، ومنع فاطمة - رضى الله عنها - إرثها بغير دليل، فهما ومن نحا نحوهما عندهم مرتدون؛ حماهم الله من ذلك ورضى الله عنهم! فجهادُ مثل هؤلاء حتمٌ على الأمة عموما، وعلى الخليفة خصوصًا.

قال بعض أئمة أهل البيت النبوى من العترة الطاهرة: وقد تأملتُ كلماتِهم - يعنى الرافضة - فرأيت قومًا أَعْمَى اللهُ بصائرهم؛ فلم يبالوا بما يترتب على مقالتهم من المفاسد؛ ألا ترى إلى قولهم: إن عمر - رضى الله عنه - قاد عليًا بحمائل سيفه، وحصر فاطمة فهابت، فأسقطت ولدا اسمه المحسن، فقصدوا بهذه الفرية القبيحة، والغباوة التى أورثتهم العار والبوار والفضيحة؛ إيغارَ الصدور على عمر - رضى الله تعالى عنه - ولم يبالوا بما يترتب ويلزم على ذلك؛ من نسبةِ عليٍّ إلى الذلة والعجز والخَوَر؛ بل نسبة جميع بنى هاشم، وهم أهل النجدة والنخوة والأنفة، إلى ذلك العار الذى لا أقبحَ منه عليهم؛ بل نسبة جميع الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم-! إلى ذلك مع ما استفاض وتواتر عنهم من غيرتهم لنبيهم ودينهم، وشدة غضبهم عند

انتهاك حرماته، حتى قاتلوا فقتلوا الآباءَ والأبناءَ؛ فى طلبهم مرضاة الله تعالى، ومرضاة رسوله! لا يُتَوَهَّمُ إلحاقُ أدنى نقصٍ، أو السكوت على باطل من هؤلاء العصابة الكمل، الذين طهرهم الله من كل رجس ودنس ونقص، على لسان نبيه فى الكتاب والسنة، كما تقدم - بواسطة صحبتهم له ﷺ، وموته وهو راض عنهم، وبسبب صدقهم فى محبته واتباعه؛ إلا عبدٌ أضله الله وخذله؛ فباء منه تعالى بعظيم الخسار والبوار؛ وأحله نار جهنم وبئس القرار؛ نسأل الله السلامة من الموبقات، فى الحياة وبعد الممات! آمين!.

ولهذه الطائفةِ الرذلة شبهٌ، لا حاجةَ لنا إلى إيرادها؛ وتسويد الطِّرْس بسوادها، فقد ردها الأئمة المتقدمون والمتأخرون فى غير ما كتاب؛ وأماطوا عن مشوهاتها الخمار والنقاب.

وقد رَوَتْ أقاويلَ الأئمة المعتبرين من أهل البيت، فى الترضى عن الشيخين وتوليهما، والثناء عليهما - الأئمةُ الحفاظُ الذين عليهم المعوّل فى معرفة الحديث والآثار، وتمييز صحيحها من سقيمها بأسانيدهم المتصلة.

فمنها: ما أخرجه أبو نعيم عن الإمام الحسن المثنى ابن الحسن السبط، أنه لما قيل له ذلك - أى: أن خبر: « من كنت مولاه فعلى مولاه »[1] نصٌّ فى إمامة عليٍّ قال: أما والله، لو يعنى بذلك الإمارة والسلطان، لأفصح لهم به؛ فإن رسولَ الله ﷺ كان أنصحَ للمسلمين، ولقال لهم: يأيها الناس، هذا ولى أمرى، والقائم عليكم بعدى، فاسمعوا له وأطيعوا. ما كان من هذا شيء، فوالله! لئن كانَ الله ورسولُهُ اختارَا عليًّا لهذا الأمر والقيام به للمسلمين من بعده، ثم تَرَكَ عليٌّ أمر الله ورسوله أَنْ يقومَ به، أو يعذر فيه إلى المسلمين - إنْ كانَ أعظم الناس خطيئةً لَعَلِيٌّ؛ إذ ترك أمر الله ورسوله، وحاشاه من ذلك!.

وفى رواية عنه: ولو كان هذا الأمر كما تقول، وأن الله اختار عليا للقيام على الناس؛ لكان أعظم الناس خطيئةً؛ أَنْ ترك أمرَ رسول الله ﷺ ولم يقم به، فقال الرجل: ألم يقل رسول الله ﷺ: « من كنت مولاه » فقال الحسن ما تقدم ذكره.

وأخرج الدارقطنى عن الإمام أبى حنيفة - رضى الله تعالى عنه - أنه لما قدم

(١) تقدم.

المدينة سألَ أبا جعفر محمد الباقر عن أبى بكر وعمر، فترحم عليهما، فقال له أبو حنيفة: إنهم يقولون عندنا بالعراق: إنك تتبرأ منهما، فقال: معاذ الله! كذبوا ورب الكعبة. ثم ذكر لأبى حنيفة تزويجَ عليٍّ ابنتَه أمَّ كلثوم بنت فاطمة من عمر - رضى الله تعالى عنه - وأنه لو لم يكن لها أهلا لما زوجه إياها، فقال له أبو حنيفة: لو كتبت إليهم! فقال: لا يطيعوننى بالكتب. وتزويج عليٍّ أمَّ كلثوم لعمر - رضى الله عنه - يقطع ببطلان ما زعمته الرافضة فيه.

قلت: وجه القطع: ما يلزم أن عليًا زوج ابنته أمّ كلثوم من كافرٍ - على زعمهم الفاسد - معلومٍ كفرُه وسببُ كفره؛ فيبطلوا أصلَهم فى اعتقاد العصمةِ لواجبها؛ إذ تزويج الكافر بالمسلمة حرامٌ بنصٍّ: ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾[الممتحنة :١٠] وهذه الرواية عن الحسن وأشباهُها من الروايات زورٌ عندهم وافتراء، وكذب صراح لا شبهة فيه ولا مراء؛ لأنها تَفُتُّ فى أعضادهم وتنكث قواهم، وتبت قوتهم وتحل عراهم.

ومنها: ما أخرجه الدارقطنى، عن عبد الله المحض بن الحسن المتقدم ذكره، لقب بالمحض؛ لأنه أول من جمع ولادةَ الحسن والحسين؛ لأن أمه فاطمة بنت الحسين - رضى الله تعالى عنهم - وكان شيخَ بنى هاشم ورئيسهم -: أنه سئل: أتمسح على الخفين ؟ فقال: أمسح عليهما؛ قد مسح عمر - رضى الله تعالى عنه - فقال له السائل: إنما أسألك أنتَ، أتمسح عليهما ؟ قال: ذلك أعجزُ لك، أخبر عن عمر وتسألنى عن رأيى ؟! فعمر خيرٌ منى وملء الأرض من مثلى، فقيل له: هذا تقية ؟ فقال: نحن بين القبر والمنبر، اللهم هذا قولى فى السر والعلانية، فلا يسمع قولى أحدٌ بعدى. ثم قال: مَنْ هذا الذى يزعم أن عليًا كان مقهورا، وأن النبى ﷺ أمره بأمر، فلم ينفذه ؟! فكفى بهذا إزراء ومنقصة.

ومنها: ما أخرجه الدارقطنى، عن ولد عبد الله المحض، وهو السيد محمد الملقب بالنفس الزكية؛ أنه قال - لما سئل عن الشيخين -: لَهُمَا عندى أفضلُ من على.

ومنها: ما أخرجه، عن محمد الباقر، أنه قال: أجمع بنو فاطمة على أن نقول فى الشيخين أحسنَ ما يكون من القول.

ومنها: ما أخرجه - أيضا - عن جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر؛ أن رجلاً جاء إلى أبيه زين العابدين على بن الحسين - رضى الله تعالى عنهم - فقال له: أخبرنى عن أبى بكر، فقال: عن الصديق ؟ فقال الرجل: وتسميه الصديق ؟! فقال له: ثكلتك أمك! وقد سماه صديقا رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار؛ ومن لم يسمه صديقًا، فلا صدق الله قولَهُ فى الدنيا ولا فى الآخرة، فأحب أبا بكر وعمر.

ومنها: ما أخرجه - أيضًا - عن عروة عن عبد الله: سألت أبا جعفر محمدًا الباقر، عن حلية السيف ؟ فقال: لا بأس بها، قد حلى أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - سيفه، قال: قلت: وتقول: الصديق ؟! قال: نعم الصديق، نعم الصديق، فمن لم يقل: الصديق، فلا صدق الله قولَهُ فى الدنيا والآخرة. وأخرجه ابن الجوزى « فى صفة الصفوة » وزاد: فوثب وثبةً واستقبل، فقال: نعم الصديق، نعم الصديق.

ومنها: ما أخرجه - أيضًا - عن جعفر الصادق، أنه قال: ما أرجو من شفاعة عليّ شيئًا؛ إلا وأنا أرجو من شفاعة أبى بكر مثله، ولقد ولدنى مرتين.

ومنها: ما أخرجه عن زيد بن على، أنه قال لمن تبرأ منهما: اعلم - والله - أن البراءةَ من الشيخين- البراءةُ من على؛ فتقدم أو تأخر.

ومنها: ما أخرجه الحافظ عمر بن شبة، أن زيدًا هذا قيل له: إن أبا بكر انتزع من فاطمةَ فَدَكَ، فقال: إنه كان رحيمًا، وكان يكره أن يغير شيئًا تركه رسول الله ﷺ، فأتته فاطمة - رضى الله تعالى عنها - فقالت له: إن رسول الله ﷺ أعطانى فدك، فقال: هل لك بينة ؟ فشهد لها على وأم أيمن، فقال لها: فبرجل وامرأة تستحقينها ؟! ثم قال زيد: والله، لو رجع الأمرُ فيها إلىّ لقضيتُ بقضاء أبى بكر، رضى الله تعالى عنه.

ومنها: ما أخرجه عنه - أيضًا - قال: انطلقتِ الخوارجُ فبرئتْ ممن دون أبى بكر وعمر، ولم يستطيعوا أن يقولوا فيهما شيئًا، وانطلقتم أنتم فطفرتم - أى: وثبتم - فوق ذلك؛ فبرئتم منهما، فمن بقى ؟! فوالله! ما بقى أحد إلا برئتم منه. يخاطب بذلك الرافضة لما قالوا له: ابرأ من الشيخين ونحن نبايعك، فأبى. فَقَالوا: إنا نرفضك. فقال: اذهبوا، فأنتم الرافضة. فمن حينئذ سموا الرافضة، وسميت

شيعتهُ بالزيدية.

ومنها: ما أخرجه ابن عساكر، عن سالم بن أبى الجعد، قلت لمحمد ابن الحنفية: هل كان أبو بكر أولَ القوم إسلامًا ؟ قال: لا. قلت: فبم علا أبو بكر وسبق، حتى لا يذكر أحد غير أبى بكر ؟ قال: لأنه كان أفضلَهم إسلاما حين أسلم، حتى لحق بربه.

ومنها: ما أخرجه الدارقطنى، عن سالم بن أبى حفصة - وهو شيعى؛ لكنه ثقة - قال: سألت أبا جعفر محمد بن على وجعفر بن محمد، عن الشيخين؛ فقالا: يا سالم، تولهما وابرأ من عدوّهما؛ فإنهما كانا إمامَىْ هدًى[1].

ومنها: ما أخرجه - أيضًا - عنه، قال: دخلت على أبى جعفر فقال: وأراه قال ذلك من أجلى -: اللهم، إنى أتولى أبا بكر وعمر وأحبهما، اللهم إن كان فى نفسى غير هذا، فلا نالتنى شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة.

ومنها: ما أخرجه -أيضًا - عنه: دخلتُ على جعفر بن محمد، وهو مريض، فقال: اللهم إنى أحب أبا بكر وعمر وأتولاهما، اللهم إن كان فى نفسى غير هذا، فلا نالتنى شفاعة محمد ﷺ.

ومنها: ما أخرجه عنه - أيضا - قال: قال لى: يا سالم، أيسُبُّ الرجل جَدَّهُ ؟! أبو بكرٍ جدى، لا نالتنى شفاعة محمد إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما[2].

ومنها: ما أخرجه عن جعفر الصادق، أنه قيل له: إن فلانا يزعم أنك تتبرأ من أبى بكر وعمر، فقال: برئ الله من فلان، إنى لأرجو أن ينفعنى الله بقرابتى من أبى بكر، ولقد مرضت فأوصيت إلى خالى عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر، رضى الله تعالى عنهم.

ومنها: ما أخرجه هو والحافظ عمر بن شبة، عن كثير، قلت لأبى جعفر محمد ابن على: أخبرنى، أَظَلَمَكُم أبو بكر وعمر من حقكم شيئًا ؟ فقال: ومُنزلِ القرآنِ على عبده ليكون للعالمين نذيرا، ما ظلمنا من حقنا ما يزن حبة خردل. قال: قلت: أفأتولاهما، جعلنى الله فداك ؟! قال: نعم يا كثير، تولهما فى الدنيا والآخرة. قال:

---

(١) أخرجه البيهقي في الاعتقاد ص (٢٠٧).
(٢) أخرجه البيهقي في الاعتقاد ص (٢٠٧).

وجعل يصك عنق نفسه، ويقول: ما أصابكَ فبعنقى، ثم قال: برئ الله ورسولهُ من المغيرة بن سعيد وأبى زينب؛ فإنهما كذبا علينا أهلَ البيت.

ومنها: ما أخرجه - أيضًا - عن بسام الصيرفى، قلت لأبى جعفر: ما تقول فى أبى بكر وعمر ؟ فقال: والله، إنى لأتولاهما وأستغفر لهما، وما أدركت أحدا من أهل بيتى إلا وهو يتولاهما.

ومنها: ما أخرجه - أيضًا - عن إمام المذهب محمد بن إدريس الشافعى - رضى الله تعالى عنه - عن جعفر بن أبى طالب، قال: وَلِيَنا أبو بكر خيرُ خليفة، وأرحَمُه لنا وأحنَاهُ علينا. وفى رواية: فما وَلِيَنا أحدٌ من الناس مثله. وفى أخرى: فما رأينا قط مَنْ كان خيرًا منه.

ومنها: ما أخرجه - يعنى: الدارقطنى - أيضًا، عن أبى جعفر محمد الباقر، أنه قيل له: إن فلانا حدثنى أن على بن الحسين قال: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ [الحجر : ٤٧]، نزلت فى أبى بكر وعمر وعلى، قال: والله فيهم نزلت؛ ففيمن نزلت إلا فيهم ؟! قيل: فأى غلّ هو ؟ قال: غل الجاهلية؛ إن بنى تيم وبنى عدى وبنى هاشم، كان بينهم شىء فى الجاهلية، فلما أسلم هَؤلاءِ القومُ تحابوا، فأخذتْ أبَا بكر الخاصرةُ، فجعل علىّ يسخن يده ويكمد بها خاصرةَ أبى بكر، فنزلت هذه الآية فيهم.

ومنها: ما أخرجه - أيضا - عن على أن هذه الآية نزلت فى هذه البطون الثلاثة: تيم، وعدى، وبنى هاشم، وقال: منهم أنا وأبو بكر وعمر.

ومنها: ما أخرجه - أيضًا - عن محمد الباقر، أنه قيل له: هل كان أحد من أهل البيت يسبّ أبا بكر وعمر ؟ قال: معاذ الله! بل يتولونهما ويستغفرون لهما ويترحمون عليهما.

ومنها: ما أخرجه - أيضًا - عن أبى جعفر - أيضًا - عن أبيه على بن الحسين - رضى الله تعالى عنهم - أنه قال لجماعة خاضوا فى أبى بكر وعمر ثم فى عثمان -: ألا تخبرونى، أنتم المهاجرون الأولون: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ ؟! [الحشر : ٨]، قالوا: لا. قال: فأنتم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا

يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ . . . ﴾ إلى ﴿ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾؟ [الحشر : ٩]، قالوا: لا. قال: أما أنتم فقد برئتم أن تكونوا فى أحد هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم منَ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ إلى ﴿ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ . . . ﴾ [الحشر : ١٠].

ومنها: ما أخرجه - أيضا - عن فضيل بن مرزوق، سمعت إبراهيم بن الحسن ابن الحسن أخا عبد الله بن الحسن، يقول: والله! قد مَرَقَتْ علينا الرافضة كما مرقت الحرورية عَلَى عَلِيٍّ.

ومنها: ما أخرجه عنه - أيضا - سمعت الحسن بن الحسن، يقول لرجل من الرافضة: لئن أمكن الله منكم، لنقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، ولا نقبل منكم توبة.

ومنها: ما أخرجه - أيضًا - عن محمد بن حاطب، قال: ذكر عثمان عند الحسن والحسين، فقال: هذا أمير المؤمنين - أى: علي- أتاكم الآن يخبركم عنه، إذ جاء عليّ (قال الزهرى: ما أدرى: أسمعهم يذكرون عثمان، أم سألوه عنه) فقال على - رضى الله تعالى عنه -: عثمان من الذين ﴿ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٩٣].

ومنها: ما أخرجه - أيضًا - عن محمد بن حاطب، من طرق؛ قال: دخلتُ عَلَى عليّ - رضى الله عنه - فقلت: يا أمير المؤمنين، إنى أردتُ الحجاز، وإن الناس يسألونى، فما تقول فى قتل عثمان ؟ وكان عليّ متكئا فجلس، فقال: يا بن حاطب، والله! إنى لأرجو أن أكونَ أنا وهو كما قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ [الحجر: ٤٧]، الآية.

ومنها: ما أخرجه الدارقطنى - أيضا - عن سالم بن أبى الجعد، قال: كنت جالسًا عند محمد ابن الحنفية فذكروا عثمان، فنهانا محمد وقال: كفوا. فغدونا يومًا آخر، فنلنا منه أكثر مما كان قبل، فقال: ألم أنهكم عن هذا الرجل ؟! قال: وابن عباس جالس عنده، فقال: يابن عباس، أتذكر عشية الجمل وأنا عن يمين على، وفى يدى الراية، وأنت عن يساره إذ سمع هدّة فى المربد، فأرسل رسولا، فجاء الرسول، فقال: هذه عائشة تلعن قتلةَ عثمان فى المربد، فرفع عليٌّ يديه حتى بلغ

بهما وجهه مرتين أو ثلاثًا، وقال: أنا ألعن قتلة عثمان، لعنهم الله فى السهل والجبل!. قال: فصدقه ابن عباس. ثم أقبل علينا، فقال: فيّ وفى هذا لَكُم شاهدُ عدل.

وأخرج عن مروان بن الحكم، أنه قال: ما كان أحدٌ أَدْفعَ عن عثمان من على؛ قيل له: فما بالكم تسبونه على المنابر ؟ قال: إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك.

ومنها: ما أخرجه - أيضًا - عن الحسن بن محمد ابن الحنفية، قال: يأهل الكوفة، اتقوا الله - عز وجل - ولا تقولوا فى أبى بكر وعمر ما ليسا له بأهل.

وأخرج - أيضًا - عن جندب الأسدى، أن محمد بن عبد الله بن الحسن أَتَاهُ قومٌ من أهل الكوفة والجزيرة، فسألوه عن أبى بكر وعمر، فالتفت إلىَّ وقال: انظر إلى أهل بلدك يسألونى؛ لَهُما عندى أفضل من عليّ!.

وأخرج آدم عن عبد الله بن الحسن، أنه قال: والله! لا يَقْبَلُ الله توبةَ عبد تبرأ منهما، وإنهما ليعرضان على قلبى فأدعو الله - عز وجل - لهما أتقرب به إلى الله، عز وجل.

ومنها: ما أخرجه - أيضًا - عن عبد الجبار الهمدانى، أن جعفرًا الصادقَ أتاهم، وهم يريدون أن يرتحلوا من المدينة، فقال: إنكم - إن شاء الله - من صالحى مصركم، فأبلغوهم عنى: من زعم أنى إمامٌ مفترَضُ الطاعة، فإنى منه برىء؛ ومن زعم أنى برىء من أبى بكر وعمر، فأنا منه برىء.

ومنها: ما أخرجه - أيضًا - عنه - رضى الله عنه - أنه قال: إن الخبثاء من أهل العراق يزعمون أنا نقع فى أبى بكر وعمر، وهما والداى؛ أى: لأن أمه: أم فروة، ابنةُ القاسم الفقيه ابن محمد بن أبى بكر، وأمها: أسماء بنت عبد الرحمن بن أبى بكر؛ ومن ثم سبق له قوله: « ولدنى أبو بكر مرتين ».

ومنها: ما أخرجه - أيضًا - عن أبى جعفر محمد الباقر، قال: مَنْ لم يعرف فضلَ أبى بكر وعمر، فقد جهل بالسنة. قال بعض الأئمة: صدق والله، إنما نشأ من الشيعة والرافضة وغيرهما، ما نشأ من البدع والضلالات؛ من جهلهم بالسنة.

وفى الطيوريات بسنده إلى جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: قال رجل لعلى - رضى الله عنه -: نسمعك تقول فى الخطبة: اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين، فمَنْ هم ؟ فاغرورقت عيناه، فقال: هما حبيبا نبيِّى، أبو بكر

وعمر، إماما الهدى وشيخَا الإسلام، ورَجُلَا قريش، المقتدَى بهما بعد رسول الله ﷺ، مَنِ اقتدى بهما عُصِم، ومن اتبع آثارهما هُدِيَ الصراطَ المستقيم، ومن تمسك بهما فَهُوَ من حزب الله.

قلت: ومنها: ما رأيته فى « شرح المقاصد » للعلامة السعد التفتازانى - رحمه الله - ونصه: نعم.. ما قال المأمون العباسى: وجدت أربعة فى أربعة: الزهد فى المعتزلة، والكذب فى الرافضة، والمروءة فى أصحاب الحديث، وحب الرياسة فى أصحاب الرأى. ثم قال: أولاد الوَصِيِّ الموسومون بالدراية؛ المعتصمون بالرواية، لم تكن معهم هذه التعصبات والأحقاد؛ ولا هذه البواطن الخبيثة فى سوء الاعتقاد، ولم يذكروا عن الصحابة إلا الكمالات؛ والترضى عنهم والترحم عليهم فى سائر الحالات، ولم يسلكوا مع رؤساء المذاهب من علماء الإسلام؛ إلا طريق الإجلال والإعظام؛ وها هو الإمام على الرضى ابن الإمام موسى الكاظم، مع جلالة قدره؛ ونباهة ذكره، وكمال علمه وهداه؛ وورعه وتقاه، قد كتب على ظهر كتاب عهد المأمون له بالخلافة، ما ينبئ عن قبول عهده؛ ووفور شكره وحمده، والتزام ما شرط عليه، فكتب فى أثناء سطور العهد تحت قول المأمون: « وسميته الرضى »: « رضى الله تعالى عنك وأرضاك » وتحت قوله: « وتكون له الإمرة الكبرى بعدى »: « بل جُعلتُ فداك » وفى موضع آخر « وصَلَتك رَحِم، وجزيت خيرًا » قال: وهذا العهد بخطهما موجود إلى الآن؛ فى المشهد الرضوى بخراسان؛ وآحادُ الشيعةِ فى هذا الزمان لا يسمحون بالترضى عن كبار الصحابة؛ فضلا عن بنى العباس؛ فقد رضوا منهم رأسًا برأس.

ومن البين الواضح - فيما أوردنا هذه الروايات فى شأنه - ما كتبه أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب: « قد جعلتُ هكذا لآل بنى كاكلة على كافة بيت مال المسلمين، كل عام مائتى مثقال ذهبا عينا إبريزا. كتبه عمر بن الخطاب ».

فكتب أمير المؤمنين على - رضى الله عنه -: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الروم : ٤]. أنا أول من اتبع أمرَ من أعز الإسلام، ونصر الدين والأحكام، ورسمتُ بمثل ما رسم لآل بنى كاكلة فى كل عام، مائتى مثقال ذهبا عينا إبريزا، واتبعت أثره وجعلت لهم مثل ما رسم عمر؛ إذ

وجب عليّ وعلى جميع المسلمين اتباع ذلك. كتبه على بن أبى طالب ».

وهذا بخطهما موجودٌ الآن فى ديار العراق.

فهذه أقاويل الأئمة المعتبرين من أهل البيت، رواها عنهم الأئمة الحفاظ الذين عليهم المعول فى معرفة الحديث والآثار، وتمييز صحيحها من سقيمها، بأسانيدهم المتصلة؛ فكيف يسع المتمسكَ بحبل أهل البيت الزاعمَ حبهم، أن يعدل عما قالوه؛ من تعظيم أبى بكر وعمر، واعتقادهم خلافتهما، وما كانا عليه، وقد صرحوا بتكذيب من نقل عنهم خلافه، ومع ذلك ينسب إليهم ما تبرءوا منه ورأوه ذمّا فى حقهم، حتى قال الإمام زين العابدين بن على بن الحسين - رضى الله عنهم - يأيها الناس، أحبونا حب الإسلام، فوالله! ما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارًا. وفى رواية: حتى بغضتمونا إلى الناس؛ أى: بسبب ما نسبوه إليهم مما هم براء منه، فلعن الله مَنْ كَذَبَ على هؤلاء الأئمة، ورماهم بالزور والبهتان!.

أَفْضَلِيَّةُ أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيق، رضى الله عنه

اعلم: أن الذي أطبق عليه علماء الأمة، وأجمع عليه عظماء الأئمة: أن أفضل هذه الأمة: أبو بكر الصديق، ثم عمر. ثم اختلفوا:

فالأكثرون على أن الأفضل: عثمان، ثم على؛ وهو المشهور عن الإمام مالك، رضى الله تعالى عنه.

وجزم الكوفيون، ومنهم. سفيان الثورى، بتفضيل عليّ على عثمان.

وقيل بالوقف عند التفاضل بينهما، وهو رواية عن مالك؛ فقد حكى أبو عبد الله المازنى عن « المدونة » أن مالكًا سئل: أى الناس أفضل بعد نبيهم ؟ فقال: أبو بكر ثم عمر. ثم قال: أو فى ذلك شك ؟! فقيل: وعلى وعثمان ؟ فقال: ما أدركت أحدًا. ممَّنْ يُقْتدى به يفضل أحدهما على الآخر.

ومال إلى الوقف إمامُ الحرمين عبد الملك بن أبى محمد الجوينى، فقال فى كتابه المسمى بـ« الإرشاد » ما نصه: لم يقم عندنا دليلٌ قاطع على تفضيل بعض الأئمة على بعض؛ إذ العقل لا يشهد على ذلك، والأخبار الواردة فى فضائلهم متعارضة، ولا يمكن تَلَقِّى التفضيل مِنْ مَنْع إمامةِ المفضولِ، ولكنَّ الغالبَ على الظن: أن أبا بكر أفضلُ الخلائق بعد رسول الله ﷺ، ثم عمر أفضلهم بعده، وتتعارض الظنون

فى عثمان وعلى، انتهى.

ونقل الوقفَ ابنُ عبد البر عن جماعة من السلف، ويحيى القطان، وابن معين.

وأما حكاية أبى منصور الإجماعَ على أفضلية عثمان عَلَى عَلِيٍّ، فمدخولة، وإن نقل ذلك عنه بعضُ الحفاظ؛ لما بيناه من الخلاف.

ثم الذى مال إليه أبو الحسن الأشعرى إمام الأشاعرة: أن تفضيلَ أبى بكر على من بعده قطعى؛ وخالفه القاضى أبو بكر الباقلانى، فقال: إنه ظنى، وهو الذى اختاره إمام الحرمين فى « إرشاده » وجزم به صاحب « المفهم فى شرح مسلم »، ويؤيده قول ابن عبد البر فى « الاستيعاب »: ذكر عبد الرزاق عن معمر، قال: لو أن رجلا قال: على عندى أفضل من أبى بكر وعمر، لم أعنفه؛ إذا ذكر فضل الشيخين وأحبهما وأثنى عليهما بما هما له أهل، فذكرتُ ذلك لوكيع فأعجبه واشتهاه، انتهى.

وليس ملحظُ عدمِ تعنيفهِ قائل ذلك، إلا أنَّ التفضيلَ المذكورَ ظنىٌّ لا قطعى.

فإن قلت: قد نقل ابن عبد البر أن السلف اختلفوا فى تفضيل أبى بكر على عَلِيٍّ؛ فقد روى عن سلمان، وأبى ذر، والمقداد بن عمرو، وخباب بن الأرت، وجابر بن عبد الله الأنصارى، وأبى سعيد الخدرى، وزيد بن أرقم، وعمار بن ياسر - أن عليًّا أول من أسلم، وفضله هؤلاء على غيره؛ فكيف يصح الإجماع مع خلاف هؤلاء، وهم من أعيان الصحابة، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ؟!.

قيل - فى جواب ذلك -:

أما عن الأول، وهو قوله: « إن السلف اختلفوا... » - فبأن الأئمة إنما أعرضوا عن هذه المقالة - يعنى قوله: « اختلفوا » لشذوذها؛ ذهابا إلى أن شذوذ المخالف لا يقدح فيه، أو رأوا أنها حادثة بعد انعقاد الإجماع؛ فكانت تلك المقالةُ فى حيز الطرح والرد.

وأما عن الثانى: فلا يقتضى من تفضيلهم عليا، أنهم قائلون بأفضليته على أبى بكر مطلقًا؛ بل إما من حيث تقدمه عليه إسلاما؛ بناء على القول بذلك، أو مرادهم بتفضيل علىٍّ عَلَى غيره: مَنْ عدا الشيخين؛ لقيام الأدلة الصريحة الصحيحة على أفضليتهما على من عداهما.

فإن قلت: ما مستند الإجماع على أفضلية أبى بكر عَلَى علىّ ؟ فإن كانت من أدلة

الكتاب أو السنة، فقد قال الإمام أحمد بن حنبل - وناهيك به علمًا وزهدا وورعًا ودينا! -: لم يرد فى حق أحدٍ من الآيات والآحاديث، ما ورد فى حق على - رضى الله تعالى عنه[1]- وإن كانت من غيرهما من الأشياء التى يستحق بها أصحاب رسول الله ﷺ الفضل، فقد قال الإمام أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى؛ مبينا لذلك؛ بقوله: الأشياء التى يستحق بها أصحاب رسول الله ﷺ الفضل هى: السبق إلى الإيمان، والهجرة، والنصرة لرسول الله ﷺ، والقربى منه، والقناعة، وبذل النفس له، والعلم بالكتاب والتنزيل، والجهاد فى سبيل الله، والورع، والزهد، والقضاء، والحلم، والفقه، والعلم؛ وكل ذلك فلعليٍّ منه النصيب الأكبر والحظ الأوفر، إلى ما انفرد به من قوله: أنت أخى[2]، وهو ﷺ لا ضد له ولا ند، وقوله: « أنت منى بمنزلة هارون من موسى »[3] وقوله: « من كنت مولاه فعلى مولاه »[4] وقوله - فى حديث الطائر: « اللهم أدخل إلى أحب خلقك إليك يأكل معى من هذا الطائر » فدخل عليّ - رضى الله تعالى عنه[5]- فهذا وغيره من فضائله وما اشتمل عليه من الخصال مما تفرق فى غيره.

قلت: قد صرحوا بأن الإجماع حجة على كل أحد، وإن لم يعرف مستنده؛ لأن الله عصم هذه الأمة من أن تجتمع على ضلالة؛ ويدل على ذلك؛ بل يصرح به قولهُ تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

على أنا نقول: كثرة ورود الآيات والأحاديث لا يستلزم أفضليةَ من وردت فى حقه، على من ورد دونها فى حقه؛ إذ قد تكون الآية الواحدة والحديث الواحد

---

(١) نقله الحافظ في "الفتح" (٧/ ٤٣٨): عنه بلفظ: ما بلغنا عن أحد من الصحابة ما بلغنا عن علي بن أبي طالب. وقال الحافظ: وأوعب من جمع مناقبه من الأحاديث الجياد النسائي في كتاب الخصائص.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٢٠)، والحاكم (٣/ ١٤) من طريق جميع بن عمير عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي: « أنت أخي في الدنيا والآخرة » وحسنه الترمذي.

(٣) تقدم.

(٤) تقدم.

(٥) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٢٢٨ - ٢٣٧) عن ابن عباس وأنس، وأعل جميع طرقه، ونقل أنه موضوع.

يدلان على مجامعِ فضائلَ ومزايا مناقبَ، لا تدل عليها آياتٌ كثيرة، وأحاديث كذلك؛ فلا شاهد لكم فى قول الإمام أحمد، - رضى الله تعالى عنه - وحديث: « ما فضلكم أبو بكر بصلاة ولا ولا إنما فضلكم بشىء وقر فى صدره »[١] وأمثال هذا الحديث، يرد تنميقاتِ المسعودى وتصنيفاته. والحق: أن فى كون الإجماع حجةً قطعيةً، خلافًا.

فالذى عليه الأكثرون: أنه حجة قطعية مطلقا؛ فيقدم على الآحاد كلها، ولا يعارضه دليلٌ أصلا، ويكفر أو يبدعُ ويضلَّل مخالفُه.

وقال الإمام الرازى، والآمدى: إنه ظنى مطلقا.

والحق فى ذلك التفصيل: فما اتفق عليه المعتبرون حجة قطعية، وما اختلفوا فيه: كالإجماع السكوتى، والإجماع الذى ندر مخالفه، فهو ظنى. وقد علمت - بما قررته لك - أن لهذا الإجماع مخالفًا نادرًا، وهم الجماعة المذكورون: سلمان، ومن بعده، فهو وإن لم يعتد به فى الإجماع؛ لكنه يورثه انحطاطًا عن الإجماع الذى لا مخالف له؛ فالأول ظنى وهذا قطعى، وكان الأشعرى من الأكثرين القائلين بأنه قطعى مطلقًا، كما تقدم ذلك عنه.

ومما يؤيد أنه ظنى: أن المجمعينَ أنفسهم لم يقطعوا بالأفضلية المذكورة، وإنما ظنوها فقط، كما هو المفهوم من عباراتهم وإشاراتهم؛ وسبب ذلك: أن المسألة اجتهادية، وقد وردت فى أبى بكر وعليٍّ نصوصٌ ظاهرة فى تفضيل كلٍّ، وهى لا تفيد القطع؛ لأن غالبها فى المحلين آحادٌ، والآحاد ظنية الدلالة، فكيف تفيد القطع ؟! وليس الاختصاصُ بكثرةِ أسباب الثواب، موجبًا الزيادةَ المستلزمةَ للأفضلية: قطعا، بل ظنا؛ لأنه تفضُّلٌ من الله تعالى.

وثبوتُ الإمامة لأبى بكر وحقيتها - وإن كان قطعيا؛ للإجماع عليها - لا يفيد القطع بأفضليته على عليّ، بل غايته الظن، كيف ولا قاطع على بطلان إمامة المفضولِ مع وجود الفاضل ؟! بل صحتها هو مذهب الإمام الشافعى - رضى الله عنه - لكننا وجدنا السلف فضلوهما على من عداهما، وحسن ظننا بهم قاضٍ بأنهم

---

(١) قال في المقاصد (٩٧٠) ذكره الغزالي، وقال العراقي: لم أجده مرفوعاً وهو عند الحكيم الترمذي في نوادر الأصول من قول بكر بن عبد الله المزني.

لو لم يطلعوا على دليل فى ذلك، لما أطبقوا عليه؛ فلزمنا اتباعهم فيه ظنا، وتفويض ما هو الحق فيه يقينا إلى الله تعالى. بل وجدنا أنه ورد عن على نفسه، أن أبا بكر أفضل الأمة.

قال العلامة الذهبى[١]: وقد تواتر عنه ذلك: فى خلافته، وكرسى مملكته، وبين الجم الغفير، ثم بسط الأسانيد الصحيحة فى ذلك. قال: ورواه عن عَلِيٍّ نيفٌ وثمانون نفسا، وعَدَّدَ منهم جماعة، ثم قال: فقبح الله الرافضة ما أجهلهم!.

وأخرج الدارقطنى عنه - رضى الله تعالى عنه - قال: لا أجد أحدًا فضلنى على أبى بكر وعمر؛ إلا حددته حدَّ المفترى.

وصح عن مالك، عن جعفر الصادق، عن أبيه الباقر؛ أن عليا وقف على عمر بن الخطاب، وهو مسجى بعد موته، فقال: ما أقلت الغبراء، ولا أظلت الخضراء، أحدًا أحبَّ إليَّ أن ألقى الله بصحيفتِه، مِنْ هذا المسجى!، ثم قال: صلى الله عليك يا عمر، ودعا له[٢].

وأخرج الدارقطنى، أن أبا جحيفة كان يرى أن عليًا أفضل الأمة، فسمع أقوامًا يخالفونه، فحزن حزنا شديدًا، فقال له عليٌّ - بعد أن أخذ بيده -: ما أحزنك، يا أبا جحيفة ؟ فذكر له الخبر، فقال له: ألا أخبرك بخير الأمة ؟! خيرها: أبو بكر وعمر. قال أبو جحيفة: فأعطيتُ الله عهدًا ألاَّ أكتم هذا الحديثَ بعد أن شافهنى به عليّ ما بقيت.

وقول الشيعة والرافضة: إنما ذكر ذلك عَلِيٌّ تِقَيَّة، كذبٌ وافتراء على الله؛ إذ كيف يَتَوهَّم ذلك مَنْ له أدنى عقل أو فهم، مع ذكره له فى زمن خلافته على منبر الكوفة، وهو لم يدخلها إلا بعد فراغه من حرب أهل البصرة، وذلك أقوى ما كان أمرًا وأنفذ أحكامًا، وذلك بعد مدة مديدة من موت أبى بكر وعمر؛ فكيف يتعقل وقوع مثل

---

(١) ينظر تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين - ١١٥).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد (١/ ١٠٩) من طريق أبي معشر نجيح المديني مولى بني هاشم عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال: وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بين المنبر والقبر، فجاء علي رضي الله عنه حتى قام بين يدي الصفوف فقال هو هذا ثلاث مرات ثم قال: رحمة الله عليك ما من خلق أحب إلى من أن ألقاه بصحيفته بعد صحيفة النبي صلى الله عليه وسلم من هذا المسجى عليه ثوبه وأخرجه بنحوه من طريق أبي جحيفة.

هذه التقية المشئومة عليهم، التى أفسدوا بها غالب عقائد أهل البيت النبوى؛ لإظهارهم لهم كمالَ المحبة والتعظيم، فمالوا إلى تقليدهم، حتى قال بعضهم: من أعز الأشياء فى الدنيا شريفٌ سنى. فلقد عظمت مصيبة أهل البيت بهؤلاء الفَسَدَة الأراذل، وما أحسن ما أبطل به الباقر هذه التقية المشئومة لما سئل عن الشيخين ؟ فقال: إنى أتولاهما، فقيل له: إنهم يزعمون أن ذلك منك تقية ؟ فقال: إنما نخاف الأحياء، لا نخاف الأموات، فعل الله بهشام بن عبد الملك كذا وكذا، أخرجه الدارقطنى وغيره.

فانظر ما أبين هذا الاحتجاج وأوضحه! فقد صرح لهم ببطلان تلك التقية المشئومة عليهم، واستدل لهم على ذلك بأن اتقاء الشيخين بعد موتهما لا وجه له؛ إذ لا سطوةَ لهما حينئذ، ثم بين لهم - بدعائه على هشام بن عبد الملك، الذى هو والى زمنه، وشوكتُه قائمة - أنه إذ لم يتقه، مع أنه يُخَاف ويُخْشَى؛ لسطوته وملكه وقوته وقهره - فكيف مع ذلك يتقى الأمواتَ الذين لا شوكة لهم ولا سطوة ؟!

وإذا كان هذا حالُ الباقر، فما ظنك بحال عليٍّ الذى هو أعظم إقداما وشجاعة، وشدةَ بأس، وكثرة عَدَدٍ وعُدَدٍ، وأنه لا يخاف فى الله لومة لائم، مع ذلك فقد صح؛ بل تواتر عنه، ما مرّ من مدح الشيخين والثناء عليهما، وأنهما أفضل الأمة، ومر - أيضًا - الأثرُ الصحيحُ عن مالك عن جعفر الصادق عن أبيه الباقر، أن عليًا وقف على عمر، وهو مسجى بثوبه، فقال ما تقدم؛ فما أحوج عليا أن يقول ذلك تقية!، وما أحوج الباقر أن يرويه لابنه الصادق تقية! وما أحوج الصادق أن يرويه لمالك تقية!! فكيف يَسَعُ العاقلَ أن يترك مثلَ هذا الإسناد الصحيح، ويحمله على التقية المنقوضِ أساسُها، المنكوث أمراسُها ؟! وما أحسن ما سلكه بعض الشيعة المنصفين كعبد الرزاق؛ فإنه قال: أفضّل الشيخين بتفضيل عليٍّ إياهما على نفسه، وإلا لما فضلتهما عليه، كفى بى زورا أن أحبه ثم أخالفه!.

ومما يكذبهم فى دعوى التقية المشئومة عليهم: ما أخرجه الدارقطنى، أن أبا سفيان بن حرب قال لعليّ بأعلى صوته - لما بايع الناس أبا بكر -: غلبكم على هذا الأمر أذلُّ بيت فى قريش - يعنى: قبيلة أبى بكر، وهى تيم، فإنها أضعف قبيلة فى قريش؛ وإنما عزّت بكون أبى بكر وطلحة منها - أما والله لَأَملأنّها عليه خيلا

ورَجِلاً إن شئت. فقال له على: لا يا عدو الإسلام وأهله، فما ضر ذلك الإسلامَ وأهلَهُ.

إذا تقرر هذا فالواجب على كل مؤمن بالله ورسوله عموما، وعلى أهل البيت النبوى خصوصًا-: اتباع سلفهم فى ذلك، والإعراض عما يرشد إليه الروافض؛ من قبيح الجهل والعناد، والخطأ الذى يكون لهم أوخمُ زاد يوم المعاد، فالحذرَ الحذرَ! مما يُلقونه؛ مِنْ أنَّ مَنِ اعتقد تفضيل أَبى بكر على عليّ - رضى الله تعالى عنهما - كان كافرا؛ لأن مرادهم بذلك: أن يقرروا - عند من يلقون إليه - تكفيرَ الأمة من الصحابة والتابعين، ومَنْ بعدهم من أئمة الدين وعلماء الشريعة وعوامهم، وأنه لا مؤمنَ غيرهم. وهذا - والعياذ بالله! - يؤدى إلى هدم قواعد الشريعة من أصلها، وإلغاء العمل بكتب السنة، وبما جاء عن النبى ﷺ وعن أهل بيته وصحابته؛ إذِ الرواى لجميع آثاره وأخباره بأسرها، بل والناقلُ للقرآن فى كل عصر من عصر النبى ﷺ وهلم جرا الصحابةُ والتابعون وعلماء الدين؛ إذ ليس لنحوِ الرافضى رواية، ولا دراية يدورن بها فروع الشريعة، وإنما غاية أمرهم: أن يقع فى خلال بعض الأسانيد مَنْ هو رافضى، والكلام فى قبوله معروف عند أئمة الأثر ونقاد الحديث؛ فإذا قدحوا فيهم قدحوا فى الكتاب والسنة، وأبطلوا الشريعة رأسًا، وصار الأمر كما فى الجاهلية الجهلاء؛ فلعنة الله وأليمُ عقابِهِ وعظيمُ نقمته، عَلَى من يفترى على الله وعلى نبيه، بما يؤدى إلى إبطال ملته وهدم شريعته!.

وكيف يسع العاقل أن يعتقد كفرَ السواد الأعظم من أمة محمد ﷺ، من غير موجب للتكفير، مع إقرارهم بالشهادتين وقبولهم لشريعة نبيهم ؟! وهب أن عليًا أفضلُ من أبى بكر فى نفس الأمر، أليس القائلون بأفضلية أبى بكر معذورين؛ لأنهم إنما قالوا ذلك؛ لأدلة صرحت به، وهم مجتهدون؛ والمجتهد إذا أخطأ فله أجر؛ فكيف يقال - حينئذ - بالتكفير ؟! وهو لا يكون إلا بإنكار مجمعٍ عليه معلومٍ من الدين بالضرورة عنادا؛ كالصوم والصلاة. وأما ما يحتاج إلى نظرٍ واستدلال، فلا كفر بإنكاره.

وانظر إلى إنصافنا معشر - أهل السنة - فإننا لم نكفر القائلين بأفضلية عليٍّ عَلَى أبى بكر، وإن كان ذلك عندنا خلافَ ما أجمعنا عليه فى كل عصر منا إلى النبى

ﷺ؛ بل أقمنا لهم العذر المانع من التكفير؛ ومَنْ كفرهم؛ فلأمور أخر من قبائحهم انضمت إلى ذلك.

فالحذر الحذر! من اعتقاد كفر من قلبه مملوء بالإيمان بغير مقتضٍ؛ تقليدا للجهال الضلال الغلاة الغواة، وتأملْ ما صح وثبت عن على وأهل بيته؛ من تصريحهم بتفضيل الشيخين عَلَى عليّ؛ خلافا لهؤلاء الطائفة الحمقاء، وإن حمل على التقية الباطلة المشئومة عليهم، فلا أقل من أن يكون عذرًا لأهل السنة فى اتباعهم لعليّ وأهل بيته فيما نقل عنهم؛ فإنهم لم يكشفوا عن قلب على حتى يعلموا أن ذلك منه تقية؛ بل قرائنُ أحوالِه، وما كان عليه من الشجاعة والإقدام، وأنه لا يهاب أحدًا، ولا يخشى فى الله لومة لائم؛ إذ قد استفاض عن على - رضى الله تعالى عنه - أنه كان لا يبالى بأحدٍ حتى قيل للشافعى - رضى الله تعالى عنه - ما نفر الناس عن على إلا أنه كان لا يبالى بأحد. فقال الإمام الشافعى - رضى الله تعالى عنه -: إنه كان زاهدا، والزاهد لا يبالى بالدنيا وأهلها؛ وكان عالمًا، والعالمُ لا يبالى بأحد؛ شجاعا، والشجاع لا يبالى بأحد؛ وشريفا، والشريف لا يبالى بأحد. أخرجه البيهقى -: وهي أدلة قاطعة بعدم التقية؛ فلا أقل أن يجعلوا ذلك منه شبهةً لأهل السنة مانعةً من اعتقادهم كفرَهم؛ سبحانك هذا بهتان عظيم!.

قلت: هاهنا واقعة عجيبة، وآية باهرة، وكائنة غريبة، وكرامة ظاهرة؛ ذكرها الشيخ الأستاذ الإمام العارف، قدوة المحققين، أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان الأنصارى، فى كتابه المسمى « مصباح الظلام فى المستغيث بسيد الأنام فى اليقظة والمنام » قال: أخبرنا الشيخان الإمامان: الحافظ زكى الدين، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى، إذنا؛ ورشيد الدين أبو الحسين يحيى بن على القرشى، سماعا؛ قالا: أنبأنا القاضى الفقيه المكين، جمال الدين، أبو طالب أحمد ابن القاضى المكين، أبى الفضل عبد الله بن أبى على الحسين بن حديد الكنانى، سماعا؛ أنبأنا الحافظ، أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السلفى؛ أنبأنا الشيخ أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار، بانتحالى عليه؛ أنبأنا عبد العزيز؛ أنبأنا أبو بكر المفيد، حدثنا أحمد بن عبد الأعلى الأجيادى، حدثنى صالح بن عبد الله القرشى، حدثنى عبيد الله بن سليمان، عن شهر بن حوشب، قال: كنت أخرج إلى

الجبانة. وأصلى على الجنائز، إلى أن أيأس من مجىء الجنائز فأدخل، فخرجت ذاتَ يوم فلقيتُ رجلين قد تواثبا، وعليهما ثياب صوف، وقد أدمى أحدهما صاحبه، فدخلت لأفرق بينهما، وقلت: أرى ثيابكما ثيابَ الأخيار، وفعالكما فعال الأشرار، فقال لى الذى أدمى صاحبه: دعنى ما تدرى ما يقول. قلت: ما يقول ؟ قال: يقول: خير الناس بعد رسول الله ﷺ على بن أبى طالب، وإن أبا بكر وعمر كفرا بعد إسلامهما، فارتدا عن الإسلام وقاتلا المسلمين، ويكذبُ القدر، ويرى رأىَ الخوارج، ويبتدع فى الدين. فقلت له: هكذا تقول ؟! قال: نعم. فقلت لصاحبه: دعه، فإن لك وله رَبًّا بالمرصاد. فقال: لا أدعه، أو يحكمَ اللهُ بينى وبينه. فقلت: بماذا ؟ وقد مات النبى ﷺ وانقطع الوحى. فنظر إلى أتون بحذائه، وقد أوقده صاحبه، ويريد أن يطبق عليه، فقال لى: ندخل جميعا إلى هذا الأتون؛ فمن كان منا على حق نجا، ومن كان على باطل احترق. فقلت للآخر: أتفعل ذلك ؟ قال: نعم. فتقدما إلى صاحب الأتون متلببين، وقالا: لا تطبق الباب فإنا نريد أن ندخله، فمنعهما. فقالا: لابد لنا أن ندخله. فقال: ما شأنكما ؟ وما الذى حملكما على هذا ؟ فحدثاه بالقصة، فناشدهما الله ألاَّ يفعلا، فأبيا، فقال السنى للبدعى: أتتقدم أو أتقدم ؟ فقال له البدعى: بل تقدم أنت. فتقدم السنى فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وقال: اللهم! إنك تعلم أن دينى واعتقادى أن خير الناس بعد رسولك أبو بكر الصديق، الذى نصر رسولك وواساه بنفسه وماله، حيث كان أول من أسلم، ووازره على أمره، وآمن به وبما جاء به؛ حيث ليس أحد غيره ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾[التوبة : ٤٠]، فذكر من فضائله - ثم عمر بن الخطاب الذى أعززت به الإسلام، وفرقت به بين الحق والباطل، ثم عثمان بن عفان زوج ابنتى رسولك ﷺ، الذى جهز جيش العسرة، وقام بأمر النبىَ ﷺ فى نوائبه - وذكر فضائله - ثم على بن أبى طالب ابن عم رسولك، وزوج ابنته فاطمة الزهراء أعز الخلق، وأبو ولديه الحسن والحسين، وكاشف الكروب عن وجه رسولك - وذكر فضائله - وإنى أؤمن بالقدر خيره وشره، وبما آمن به رسولك، وما نهى عنه، ولا أرى رأى الخوارج، وأؤمن بالبعث والنشور، وأنك الحق المبين، ليس كمثلك شيء، وإنك تبعث من فى القبور، وأتبع ولا أبتدع. ثم قال: اللهم هذا دينى واعتقادى، فإن كنتُ على الحق فبرد عليّ

هذه النار كما بردتها على إبراهيم، واصرف عنى حرها ولهبها وأذاها بحولك وقوتك؛ فإنى إنما أفعل هذا غيرةً لدينك. وما جاء به رسولك، وأؤمن بالله. ثم دخل الأتون. وتقدم البدعى فحمد الله مثل حمده، ثم قال: الذى أدين به أن خير الناس بعد رسول الله ﷺ على بن أبى طالب، ثم ذكر من فضائله مثل ما ذكر السنى، ولا أعرف لأحد غيره حقًا؛ لأن أبا بكر كفر بعد إسلامه، وقاتل المسلمين وارتد عن الدين، وكذلك عمر. ثم ذكر ما يذهب إليه من البدعة ويكذب به ثم قال: اللهم هذا دينى واعتقادى. وقال كما قال صاحبه ودخل، فأطبق صاحب الأتون عليهما، وانصرف على أنهما محترقان قد جنيا على أنفسهما، وبقيتُ وحدى لا أريد الانصرافَ؛ حتى يتبين لى أمرهما، فلم أزل أنتقل من فىء إلى فىء، وعينى إلى الأتون حتى زالت الشمس، فسقط الطابق وَخَرَجَ عليٌّ السنى وجبينه يعرق، فقمت إليه وقبلت وجهه، وقلت له: كيف كنت ؟! فقال: بخير، أدخلت إلى مجلس مفروش بأنواع الفرش، وفيه أنواع الرياحين والخدم، فنوّمت على الفراش إلى الساعة، ثم جاءنى جاءٍ فقال: قم فقد حان لك أن تخرج من هاهنا، وقت الصلاة قم فصل، فخرجت. قال: فسألته عن غريمه، فقال: ما أعلم حاله. ووجهنا خلف صاحب الأتون، فجاء ومعه حديدة، فلم يزل يطلبه بها، حتى وقعت فى موضع من بدنه فجره، وأخرجه وقد صار حممة إلا جبهته، فإنها بلونها الأصلى عليها سطران مكتوبان يقرؤهما الصادر والوارد: هذا عبد طغى وبغى، وكفر بأبى بكر وعمر، آيس من رحمة الله فأغلق الناس دكاكينهم ثلاثة أيام لم يفتحوها؛ يتناوبونه فينظرون إليه، ويسمعون من السنى حديثه، وتاب من كان يشتم أبا بكر وعمر هنالك، وكانوا نحو أربعة آلاف نفس، انتهى. اللهم ارض عنهم وعنا بهم، ولا تجعل لأحد منهم فى عنقنا ظلامة بجودك وكرمك!!.

تنبيه: حكى الخطابى عن بعض مشايخه أنه كان يقول: أبو بكر خير من على، وعلى أفضل من أبى بكر. فقال بعض العلماء: إن هذا تهافت من القول؛ لأنه لا معنى للخيرية إلا الأفضلية، فإن أريد أن خيرية أبى بكر من وجه وأفضلية على من وجه لم يكن ذلك من محل الخلاف، ولم يكن الأمر فى ذلك خاصًا بأبى بكر وعلى بل أبو بكر وأبو عبيدة مثلا يقال فيهما ذلك، فإن الأمانة التى فى أبى عبيدة خصه

رسول الله ﷺ بها بقوله: « أبو عبيدة أمين هذه الأمة »[١] ولم يخص أبا بكر بمثلها، فيكون أبو عبيدة خيرًا من أبى بكر فيها فحسب ومن جهتها فقط لما تقرر فى الأصول أن المفضول قد توجد فيه مزايا لا توجد فى الفاضل، فلا يكون وجودها مقتضيا لتفضيله على الفاضل عليه بل ولا مساواته، فإن أراد شيخ الخطابى أن أبا بكر أفضل مطلقا إلا أن عليًا وجدت فيه مزايا لم توجد فى أبى بكر مثل قوله - عليه الصلاة والسلام - أقضاكم عليّ[٢] فكلامه صحيح، وإلا فكلامه فى غاية التهافت والسقوط، خلافًا لمن انتصر له ووجهه بما لا يجدى بل لا يفهم. وقد سئل شيخ الإسلام الإمام أبو زرعة العراقى عمن اعتقد فى الخلفاء الأربعة على الترتيب المعلوم ولكنه أحب أحدهم أكثر هل يأثم أم لا ؟ فأجاب بأن المحبة قد تكون لأمر دينى وقد تكون لأمر دنيوى فالمحبة الدينية لازمة للأفضلية فمن كان أفضل كانت محبتنا الدينية له أكثر، فمتى اعتقدنا فى واحد منهم أنه أفضل ثم أحببنا غيره من جهة الدين أكثر كان ذلك تناقضًا. نعم إن أحببنا غيرالأفضل أكثر من محبة الأفضل لأمر دنيوى كقرابة أو إحسان أو نحوهما فلا تناقض فى ذلك ولا امتناع فلا إثم، فمن اعترف بأن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على، لكنه أحب عليًا أكثر من أبى بكر مثلاً، فإن كان يدعى محبها أنها المحبة الدينية فلا معنى لذلك إذ المحبة الدينية اعتقادها لازم لاعتقاد الأفضلية كما تقدم فهذا المحب لعلى أكثر محبة دينية على دعواه مع اعتقاده أفضلية أبى بكر عليه لم يعتقد أفضلية أبى بكر حقيقة وإنما هو معترف بها بلسانه فقط وأما بالقلب فلا إذ هو مفضل لعلى بقلبه لزومًا لكونه أحبه محبة دينية زائدة على محبة أبى بكر وهذا لا يجوز. أما إذا كانت محبة

(١) تقدم.
(٢) أخرج البخاري (٤٤٨١) عن ابن عباس قال: قال عمر رضي الله عنه: (أقرؤنا أبي وأقضانا علي...) قال الحافظ في الفتح (١٩/٨) قوله قال عمر: (أقرؤنا أُبَيٌّ وأقضانا عليّ) كذا أخرجه موقوفاً، ... وأما قوله: (وأقضانا علي) فورد في حديث مرفوع عن أنس رفعه: (أقضى أمتي علي بن أبي طالب) أخرجه البغوي. وعن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن النبي مرسلاً أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأقضاهم عليٌّ. الحديث. ورويناه موصولاً في « فوائد أبي بكر محمد بن العباس بن نجيح » من حديث أبي سعيد الخدري مثله، وروى البزار من حديث ابن مسعود قال: كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه» ا هـ وينظر كشف الخفاء (١١٧/١ - ١١٩، ١٨٤ - ١٨٥).

المحب أكثر محبة دنيوية لكونه من ذرية على أو لإحسان من على أو من بنيه إليه أو لغير ذلك من المعانى فلا امتناع فى ذلك. انتهى.

قلت: لا يظهر صحة دعوى التلازم فعلى مدعيها بيان الملازمة ليعتمد فيعتقد ودونه خرط القتاد. وأما قوله وهذا لا يجوز أقول فيه هذا لا يجوز، إذ قد صرح علماؤنا بأن من اعترف للشيخين بحقهما وفضلهما ثم أحب عليًا أكثر لاتصال نسبه به ﷺ وقربه منه القرب الذى لا يشابه وكشف الكروب عن وجهه فى المضايق ونحوهما كان ذلك الحب قربة إلى الله مثابًا صاحبه مأجورًا لا آثمًا مأزورا ولو لم يكن له بعلى نسبة اتصال ولا إحسان ولا نحوهما مما جعله مسوغًا لجواز ذلك، هذا هو مذهب الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه فى هذه المسألة فالعجب من هذا المجيب فيما أجاب، وأعجب منه إقرار العلامة ابن حجر عليه.

فى الكتاب فى تاريخ ابن الجوزى المسمى بالمنتظم فى أخبار الأمم والعرب والعجم قصيدة للإمام العلامة يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد أبو الفضل الحصنكى - نسبة إلى حصن كيفا - أحببت إيراد شيء منها قال: [من الرجز]

تقاسمُوا يومَ الوداعِ كَبِدِى فَلَيْسَ لى منذ تَوَلَّوْا كَبِدُ
على الجفونِ رَحَلُوا وفى الحشا ءِ قَيَّلوا وماءَ عينى وَرَدُوا
وأدمُعى مسفوحةٌ وَكبِدِي مقروحةٌ وغلَّتى ما تبردُ
وصَبْوَتِى دائمةٌ ومُقْلَتى داميَةٌ ونَوْمهُا مشرَّدُ
تيمنى منهُمْ غزالٌ أغيدُ يا حَبَّذَا ذاكَ الغزَالُ الأغيَدُ
حُسَامُهُ مجرَّدٌ وصرحُهُ ممرَّدٌ وخدُّهُ مورَّدُ
وصُدْغُهُ فوْقَ احمرارِ خَدِّهِ مبلبلٌ مُعَقْربٌ مجعَّدُ
كأنما نكْهتُهُ وريقُهُ مِسْكٌ وخَمْرٌ والثنايا بَرَدُ
يقعدُهُ عند القيامِ ردفُهُ وفى الحشا مِنْهُ المقيمُ المقعدُ
له قوامٌ كقضيبِ بانةٍ يهتزُّ قصدًا ليس فِيهِ أَودُ

قال: وهى طويلة جدًا. ثم خرج من التغزل إلى مدح أهل البيت، وذكر الأئمة الاثنى عشر - رحمهم الله تعالى - فقال:

يا سائِلى عَنْ حُبِّ أهل البيتِ هَلْ أقرّ إيمانًا به أم أجْحَدُ
هيهاتَ ممزوجٌ بلحْمى ودَمِي حُبُّهُمْ وهْوَ الهدَى والرَّشَدُ

حيدَرَةٌ والحَسَنانِ بعدَهُ … ثمَّ عليٌّ وابنُهُ محمَّدُ
وجعفرُ الصادقُ وابنُ جعفرِ … موسَى ويتلُوه عليُّ السَّيدُ
أعنى الرضا ثمَّ ابنُهُ محمَّدٌ … ثمَّ عليٌّ وابنُهُ المسَدَدُ
والحسنُ الثانى ويتلُو تلوهُ … محمَّدُ بن الحسَنِ المنتقدُ
فإنهُمْ أئمتى وسَادَتِى … وإنْ لحانى معشَر وقيَّدُوا
أئِمَّةٌ أكرِم بهم أئمةً … أسماؤُهُمْ مسرودَةٌ تَطَّرِدُ
هم حُجَجُ اللهِ على عبادِهِ … وهُمْ إليه منهجٌ ومقصدُ
قومٌ لهم فضلٌ ومجدٌ باذخٌ … يعرفُهُ المشركُ والموحِّدُ
قومٌ لهم فى كلِّ أرضٍ مشهدٌ … لا بَلْ لهم فى كلِّ قَلْبٍ مشهَدُ
قومٌ مِنًى والمشعرانِ لَهُمُ … والمروتَانِ لهم والمسجِدُ
قومٌ لهم مكَّةُ والأبطَحُ والْـ … ـخيفُ وجَمْعٌ والبقيعُ الغرقَدُ

ثم ذكر مقتل الحسين إلى أن قال:

ولستُ أهواكُمْ ببغْضِ غيركم … إنِّى إذن أشْقى بكُمْ لا أسعَدُ
فلا يظُنَّ رافضيٌّ أنني … وافَقْتُهُ أو خارجيٌّ مفسدُ
محمدٌ والخلفاءُ بعدَهُ … أفضَلُ خَلقِ اللهِ فيما أَجدُ
هُمْ أسَّسُوا قواعد الدين لنا … وهُمْ بَنَوا أركانَهُ وشَيَّدوا
ومَنْ يخُنْ أحمَدَ فى أصحابِهِ … فخصْمُهُ يومَ المعادِ أحمَدُ
هذا اعتقادى فالزمُوه تفلحُوا … هذا طريقى فاسلُكوهُ تَهْتَدُوا
والشافِعِيُّ مذهبى مذهَبُهُ … لأنه فى قَوْلِهِ مؤيَّدُ
إنى بإذْنِ الله ناجٍ سابقٌ … إذا أتَى الظالمُ والمفَنَّدُ

نسب أبى بكر الصديق، رضى الله تعالى عنه

هو أبو بكر الصديق ابن أبى قُحافة، عثمان بن عمرو بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، القرشى التيمى[1]،

(١) ينظر السيرة النبوية (١/ ٢٨٥) وطبقات ابن سعد (٣/ ١٢٥)، وتاريخ الطبري (٨/ ٤٢٤)، وفتح الباري (٧/ ٣٥٥)، والإصابة (٣/ ١٤٤)، ومستدرك الحاكم (٣/ ٦١)، وأسد الغابة =

يلتقى معه - عليه الصلاة والسلام - فى مرة، وبينه وبين مرة كما بينه - عليه الصلاة والسلام - وبين مرة؛ ستة آباء؛ فهذه موافقة اتفقت بينهما فى النسب؛ كما اتفقت فى العمر، على أصح الأقوال.

أمه: أم الخير - لفظًا ومعنى ! - سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، بنت عم أبيه؛ هكذا ذكره جمهور أهل النسب، ومن شذ فقال: بنت صخر بن عامر [بن عمر بن كعب][١]، فجعلها ابنةَ عمه - فليس بصحيح.

أسلم أبوه أبو قحافة، عثمان بن عمرو بن كعب، يوم الفتح، وبايع رسول الله ﷺ وعاش مدة حياته ﷺ ومدة خلافة ولده، ومات فى خلافة عمر، رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

عن أسماء بنت أبى بكر - رضى الله تعالى عنهما - قالت: لما وقف رسول الله ﷺ بذى طوى، حال دخوله مكة عام الفتح، قال أبو قحافة لابنةٍ له من أصغر ولده: أى بنية، اظهرى بى على أبى قبيس. قالت: والحال أنه قد كف بصره، قالت: فأشرفت به عليه، فقال: أى بُنية، ماذا ترين ؟ قالت: أرى سوادًا مجتمعًا. قال: تلك الخيل. قالت: وأرى رجلاً يسعى بين يدى السواد[٢]، مقبلاً ومدبرًا. قال: أى بنية، ذاك الوازع الذى يؤم الخيل ويتقدم إليها. ثم قالت: قد - والله ! - انتشر بالوادى[٣]. فقال: والله لقد دفعت الخيل، فأسرعى بى إلى بيتى، فانحطت به وتلقته الخيل قبل أن يصل إلى بيته - وفى عنق الجارية طوق من فضة[٤]، فتلقاها رجل فاقتلعه من عنقها.

قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ مكة [ودخل][٥] والمسجد، أتاه أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: « هلا تركت الشيخَ

= ت (٣٠٦٦)، والرياض المستطابة (١٤٠)، والرياض النضرة (١/ ٧٣)، وصفة الصفوة (١/ ٢٣٥ - ٢٦٣).

(١) المثبت من الرياض النضرة. وينظر الرياض (١/ ٧٣، ٧٤).

(٢) في الرياض النضرة: ذلك السواد.

(٣) في الرياض النضرة: السواد.

(٤) في الرياض: من ورق.

(٥) المثبت من الرياض.

فى بيته؛ حتى أكون أنا آتيه ؟ » فقال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحق أن يأتى[١] إليك من أن تأتى[٢] إليه. قال فأجلسه رسول الله ﷺ بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: « أسلم » فأسلم. وكان رأسه كالثَّغامة، فقال - عليه الصلاة والسلام : « غيروا هذا عن شعره ». ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال: أنشد الله والإسلامَ طوق أختى ! فقال: يا أختى احتسبى طوقك، فوالله إن الأمانة اليومَ فى الناس لقليل. أخرجه أحمد، وأبو حاتم، وابن إسحاق[٣].

وفى رواية بعد قوله - عليه الصلاة والسلام -: « هلا تركت الشيخ حتى أكون أنا آتيه »: فقال أبو بكر: أردت يا رسول الله، أن يأجره الله - عز وجل - فوالذى بعثك بالحق نبيًا، لأنا كنت أشد فرحًا بإسلام أبى طالب، منى بإسلام أبى؛ ألتمس بذلك قرة عينك، قال عليه - الصلاة والسلام -: « صدقت »[٤].

وقوله: « الوازع »: هو الذى يتقدم الصف، فيصلحه، ويقدم، ويؤخر فى الجيش، ومنه قول الحسن: « لابد للناس من وازع »، أى سلطان يكف بعضهم عن بعض.

والثغامة: واحدة الثغام، نبت أبيض يشبه الشيب به.

وأسلمت أمه - رضى الله تعالى عنها - أم الخير سلمى بنت صخر قديمًا فى دار الأرقم بن أبى الأرقم، وبايعت النبى ﷺ. ذكره الحافظ الدمشقى، وصاحب الصفوة[٥].

ولد - رضى الله تعالى عنه - بعد مولده - عليه الصلاة والسلام - بسنتين وأشهر بمكة[٦]، وكان منشأه بمكة، لا يخرج منها إلا لتجارة، وكان ذا مال جزيل فى

---

(١) في الرياض: يمشي.
(٢) في الرياض: تمشي.
(٣) أخرجه أحمد (٦/٣٤٩ - ٣٥٠)، والطبراني في الكبير (٢٤/رقمي ٢٣٦، ٢٣٧). وابن سعد في الطبقات (٦/٨)، والحاكم (٣/٤٦) والبيهقي في الدلائل (٥/ ٩٥ - ٩٦) من طريق ابن إسحاق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن أسماء، به. وقال الحافظ في الإصابة (٤/ ٣٧٥): إسناده صحيح. وانظر الرياض النضرة (١/ ٧٤).
(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٣٢٣) والبزار كما في المجمع (٦/ ١٧٧) من حديث ابن عمر وقال الهيثمي: فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف.
(٥) ينظر الإصابة (٨/ ٣٨٦)، والرياض النضرة (١/ ٧٥).
(٦) في الإصابة (٤/ ١٤٥): ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر.

قومه، وثروة تامة، وإحسان، وتفضل فيهم، وكان من رؤساء قريش فى الجاهلية، وأهل مشورتهم، ومحببًا فيهم.

ولما جاء الإسلام أكره على ما سواه، ولم يفعل، ودخل فى الإسلام أكمل دخول.

وكان من أعف الناس فى الجاهلية، وقالت عائشة - رضى الله تعالى عنها -: لقد ترك هو وعثمان شرب الخمر فى الجاهلية[١]. رواه ابن عساكر بسند صحيح.

صفته رضى الله تعالى عنه

كان نحيفًا، أبيض، حسن القامة، خفيف العارضين، أجنأ لا يستمسك إزاره فى حقويه، معروق الوجه، غائر العينين، ناتئ الجبهة، عارى الأشاجع. رواه ابن سعد، عن عائشة، رضى الله تعالى عنها[٢]. وقوله: « أجنأ » بالجيم والهمز -: أى منحنيًا، يقال منه: جنأ يجنو - بالقصر - جنوءًا، ومنه يسمى الترس مجنأً لانحنائه، ويقال: أحنا - بالحاء غير مهموز - بمعناه، والأشاجع: جمع أشجع بوزن إصبع، هى أصول الأصابع التى تتصل بأصول ظاهر الكف.

كان - رضى الله عنه - يلقب بالصديق فى الجاهلية، لما عرف منه الصدق.

قال ابن إسحاق عن الحسن البصرى وقتادة: وأول ما اشتهر به صبيحة ليلة الإسراء[٣].

وروى الحاكم قال حماد عنه عن النزال بن سبرة قال قلنا لعلى - رضى الله تعالى عنه - يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن أبى بكر. قال: ذاك امرؤ سماه الله الصديق على لسان جبريل وعلى لسان محمد ﷺ، خليفة رسول الله ﷺ على الصلاة، رضيه لديننا، فنرضاه لدنيانا[٤]. وسمى بعتيق؛ لأن أبا قحافة كان له ثلاثة أولاد عتيقا ومعتقا ومعيتقا[٥]، وروى عن ابن منده وابن عساكر، عن موسى بن طلحة، قلت

---

(١) ينظر الرياض النضرة (١/ ٢٠١).

(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ١٤٠)، وينظر الإصابة (٤/ ١٤٦)، والرياض النضرة (١/ ٨٢).

(٣) ينظر السيرة النبوية (٢/ ٥٠)، والرياض النضرة (١/ ٨١).

(٤) أخرجه الحاكم (٣/ ٦٢) بنحوه دون قوله «خليفةرسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلاة. . . .» وعزاه صاحب الرياض النضرة (١/ ٨١)، للخلعي وابن السمان في الموافقة.

(٥) أخرجه ابن منده كما في الإصابة (٤/ ١٤٦) وقال الحافظ: وفي السند ابن لهيعة وانظر =

لأبى طلحة: لم سمى أبو بكر عتيقًا ؟ قال كانت أمّه لا يعيش لها ولد، فلما ولدته استقبلت به البيت الشريف، ثم قالت: اللهم إن هذا عتيق البيت فهبه له[(١)].

وروى ابن عساكر عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: اسم أبى بكر الذى سماه أهله به عبد الله، ولكن غلب عليه اسم عتيق[(٢)]. وفى لفظ ولكن النبى ﷺ سماه عتيقا.

واختلف فى أى وقت لقب عتيقا فروى أبو يعلى فى مسنده، وابن سعد، والحاكم وصححه عن عائشة - رضى الله تعالى عنها - قالت: والله إنى لفى بيتى ذات يوم ورسول الله فى الفناء، والستر بينى وبينه إذ أقبل أبو بكر، فقال - عليه الصلاة والسلام -: من سره أن ينظر إلى عتيق من النار؛ فلينظر إلى أبى بكر: وإن اسمه الذى سماه أهله لعبد الله فغلب عليه اسم عتيق[(٣)].

وروى الترمذى والحاكم عنها أن أبا بكر دخل على رسول الله ﷺ، فقال له: أنت عتيق الله من النار، فيومئذ سمى عتيقا[(٤)].

وروى الطبرى والبزار بسند جيد عن عبد الله بن الزبير، قال: كان اسم أبى بكر عبد الله، فقال له رسول الله ﷺ: أنت عتيق الله من النار. قال فى الرياض النضرة: ولا تضاد بين هذه الأحاديث كلها، إذ يصح أن يكون أحد الأبوين لقبه بذلك ثم تابعه الآخر عليه، أو لمعنى آخر، ثم استعملته قريش وأقرته عليه ثم أقر عليه بعد ذلك، وما روى عن عائشة من قولها « فمن يومئذ سمى عتيقا » فمعناه والله أعلم

= الرياض النضرة (١/ ٧٨).

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٦١)، والدولابي في الكنى، وابن مندة كما في الإصابة (٤/ ١٤٧).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٢٧)، وذكره الحافظ في الإصابة (٤/ ١٤٦)، وانظر الرياض النضرة (١/ ٧٨).

(٣) أخرجه أبو يعلى (٤٨٩٩)، وابن سعد في الطبقات (٣/ ١٢٧)، والحاكم (٣/ ٦١-٦٢) من طريق صالح بن موسى الطلحي عن معاوية بن إسحاق عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين، به. وصححه الحاكم. وتعقبه الذهبي بقوله: صالح ضعفوه، والسند مظلم.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٦٧٩)، والطبراني (٩) والحاكم (٢/ ٤١٥)، وفي سنده إسحاق بن يحيى بن طلحة. وصححه الحاكم. وتعقبه الذهبي بقوله: بل إسحاق متروك. قاله أحمد وله شاهد من حديث عبد الله بن الزبير، أخرجه ابن حبان (٦٨٦٤) والطبراني (٧)، والبزار (٢٤٨٣) قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٤٣): ورجالهما ثقات. وانظر الرياض النضرة (١/ ٧٨).

فمن ذلك اليوم اشتهر به حتى لا يعرف له اسم سواه[١].

الآيات فى شأن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه

الآية الأولى قوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴾ [الليل :١٧، ١٨] إلى آخر السورة. قال ابن الجوزى: أجمعوا أنها نزلت فى أبى بكر[٢]، ففيها التصريح بأنه أتقى من سائر الأمة، والأتقى هو الأكرم عند الله، بدليل: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] والأكرم عند الله هو الأفضل. وأخرج ابن أبى حاتم والطبرانى: أن أبا بكر أعتق سبعة كلهم يعذب فى الله؛ فأنزل الله قوله ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾[٣] [الليل : ١٧].

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ [الليل : ١ : ٤] أخرج ابن أبى حاتم عن ابن مسعود أن أبا بكر اشترى بلالاً من أمية بن خلف وأبى بن خلف ببردة وعشرة أواق، فأعتقه لله تعالى؛ فأنزل الله هذه الآية[٤]؛ إشارة إلى أن سعى أبى بكر وأمية وأبى مفترق فرقانًا عظيمًا، فشتان بينهما.

الآية الثالثة قوله تعالى: ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ إلى قوله ﴿ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة : ٤٠] أجمع المسلمون على أن المراد بالصاحب هنا أبو بكر، ومن ثم من أنكر صحبته كفر إجماعًا. وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن مسعود[٥] أن الضمير فى ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾ [التوبة : ٤٠] لأبى بكر[٦] أى: ولا ينافيه ﴿ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ ﴾ [التوبة : ٤٠] إرجاعًا للضمير فى كل بما يليق به، وجلالة ابن مسعود قاضية بأنه لولا علم فى ذلك نصًا لما حمل الآية عليه مع مخالفة ظاهرها له.

الآية الرابعة قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣]. أخرج البزار وابن عساكر أن عليًا - رضى الله تعالى عنه - قال فى

---

(١) ينظر: الرياض النضرة (١/ ٧٨).
(٢) هذا قول ابن عباس أيضاً ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٠٧) وعزاه لابن مردويه.
(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٠٧) وعزاه إلى ابن أبي حاتم.
(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٠٥) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن عساكر.
(٥) في الدلائل (٢/ ٤٨٢) والدر المنثور (٣/ ٤٣٩): ابن عباس.
(٦) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٤٨٢) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٣٩) وزاد نسبته =

تفسيرها: الذى جاء بالحق هو محمد ﷺ، وصدق به هو أبو بكر[1]. قال ابن عساكر. هكذا الرواية « بالحق »، ولعلها قراءة لعلى، رضى الله تعالى عنه.

الآية الخامسة قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦]. أخرج ابن أبى حاتم عن ابن شوذب: أنها نزلت فى أبى بكر[2].

الآية السادسة قوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩]. أخرج الحاكم عن ابن عباس أنها نزلت فى أبى بكر وعمر[3]، ويؤيده الخبر الآتى فى الأحاديث « إن الله أمرنى أن أستشير أبا بكر وعمر »[4].

الآية السابعة قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التحريم : ٤]. أخرج الطبرانى عن ابن عمر وابن عباس - رضى الله تعالى عنهما -: أنها نزلت فيهما[5].

الآية الثامنة قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ﴾ إلى قوله: ﴿ يُوعَدُونَ ﴾ [الأحقاف : ١٥، ١٦]. أخرج ابن عساكر عن ابن عباس- رضى الله تعالى عنهما - أن ذلك جميعه نزل فى أبى بكر- رضى الله تعالى عنه[6]- ومن تأمل ذلك وجد فيه من عظيم المنقبة له والمنة عليه، ما لم يوجد لأحد من الصحابة،

= إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه.

(١) أخرجه الطبري (٣٠١٤٤) والبزار كما في المجمع (٩/ ٥٠) والضياء في المختارة (٣٩٧-٣٩٩) من طريق عمر بن إبراهيم عن عبد الملك بن عمير عن أسيد بن صفوان عن علي، به. وقال الهيثمي: وفيه عمر بن إبراهيم الهاشمي وهو كذاب قلت: وعمر ذكره الذهبي في الميزان (٥/ ٢١٧) وساق له هذا الحديث وعزاه للهيثم بن كليب وقال: ليشهد القلب بوضع ذلك، وأسيد مجهول قلت: وهذا من أضعف ما أخرج الضياء في مختارته وذكر الحديث السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦١٥) وعزاه إلى ابن جرير والباوردي في معرفة الصحابة وابن عساكر.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٠١) وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٧٠) من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) يأتي تخريجه في موضعه.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٧٣) وعزاه إلى الطبراني في الأوسط وابن مردويه. وعزاه لابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وعزاه له أيضًا من حديث بريدة وله شواهد أخرى ينظر لها الدر المنثور (٦/ ٣٧٣).

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٨) وعزاه إلى ابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس والكلبي محمد بن السائب كذاب.

رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

الآية التاسعة قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ إلى قوله ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢] نزلت فى أبى بكر - رضى الله تعالى عنه، كما فى البخارى وغيره - لما حلف لا ينفق على مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن هاشم؛ لكونه كان من جملة من رمى عائشة بالإفك، الذى تولى سبحانه براءتها منه بالآيات العشر التى أنزلها سبحانه فى شأنها أول سورة النور، ولما نزلت قال أبو بكر: بلى، والله يا ربنا، إنا لنحب أن تغفر لنا، وأعاد لمسطح ما كان ينفقه عليه[1]. وفى رواية للبخارى عن عائشة - رضى الله تعالى عنها - فى حديث الإفك الطويل: فلما أنزل الله هذا فى براءتى، قال أبو بكر الصديق - وكان ينفق على « مسطح بن أثاثة، لقرابته منه وفقره - والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذى قال لعائشة ما قال، فأنزل الله قوله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ ﴾ [النور: ٢٢] وذكر الآية السابقة. ثم قالت: قال أبو بكر: بلى، والله إنى لأحب أن يغفر الله لى. فرجع إلى « مسطح النفقة التى كان ينفقها عليه، وقال: والله لا أنزعها أبدًا[2].

تنبيه: علم من حديث الإفك المشار إليه أن من نسب عائشة - رضى الله تعالى عنها إلى الزنا كان كافرًا، وهو ما قد صرح به أئمتنا وغيرهم؛ لأن فى ذلك تكذيب النصوص القرآنية، ومكذبها كافر بإجماع المسلمين. وبه يُعلم القطع بكفر كثيرين من غلاة الروافض؛ لأنهم ينسبونها إلى ذلك، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

الآية العاشرة قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ الآية [الأحزاب: ٤٣]. أخرج عبد بن حميد عن مجاهد: لما نزلت ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ ... ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، قال أبو بكر: يا رسول الله، ما أنزل الله عليك خير إلا أشركنا فيه، فنزلت: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ ... ﴾ الآية[3].

---

(١) حديث الإفك: أخرجه مطولاً البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠) ومسلم (٢٧٧٠/ ٥٦) وأحمد (٦/ ١٩٧) والنسائي في عشرة النساء (٤٥) وأبو يعلى (٤٩٢٧) وابن حبان (٤٢١٢) والبيهقي (٧/ ٣٠٢) من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله عن عائشة .

(٢) ينظر الحديث السابق .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٨٩) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر .

الآية الحادية عشرة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾ [الاحقاف: ١٣]. عن ابن عباس: نزلت في أبى بكر، رضي الله تعالى عنه . ذكره الإمام الواحدى المفسر المشهور.

الآية الثانية عشرة : قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [فصلت: ٤٠] عن ابن عباس: هذا أبو جهل، وهذا أبو بكر. حكاه الإمام الثعالبى[(١)].

الآية الثالثة عشرة قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ إلى ﴿ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥] عن ابن عباس نزلت فى أبى بكر فاستجاب الله له فأسلم والده وأولاده كلهم. رواه عقيل بن خالد الأربلى[(٢)].

الآية الرابعة عشرة قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ﴾ [الحديد: ١٠]. قال الكلبى: نزلت فى أبى بكر. ذكره الواحدى[(٣)].

الآية الخامسة عشرة قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ . . . ﴾ [المجادلة: ٢٢] عن ابن جريج أن أبا قحافة سب النبى ﷺ، فصكه [أبو بكر][(٤)] صكة شديدة؛ فسقط منها، ثم ذكر للنبى ﷺ. قال: « أو فعلته ؟! » قال: نعم، فقال – عليه الصلاة والسلام –: « فلا تعد إليه ». فقال أبو بكر: والله لو كان السيف قريبًا منى لقتلته، فنزلت هذه الآية. أخرجه الواحدى والإمام أبو الفرج[(٥)].

الآية السادسة عشرة قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ الآية [التوبة: ٤٠]. أخرج ابن عساكر عن سفيان بن عيينة، قال: عاتب الله المسلمين كلهم فى رسول الله ﷺ، إلا أبا بكر وحده فإنه خرج من المعاتبة، ثم قرأ ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ الآية[(٦)].

* * *

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٨٨) وعزاه إلى ابن مردويه .
(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٠) وعزاه إلى ابن مردويه عن ابن عباس.
(٣) ينظر أسباب النزول للواحدي ص (٤٢٥) .
(٤) المثبت من أسباب النزول .
(٥) ينظر أسباب النزول للواحدي ص (٤٣٤) .
(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٣٤) وعزاه إلى ابن عساكر عن سفيان بن عيينة .

الأحاديث فى شأن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه

منها صافية الدلالة على خلافته، وهى أربعة عشر حديثًا:

الحديث الأول - أخرج الشيخان عن جبير بن مطعم، قال: أتت امرأة إلى النبى ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، فقالت أرأيت إن جئت، ولم أجدك ؟ كأنها تقول الموت. قال: إن لم تجدينى، فأتى أبا بكر[١]. وأخرج ابن عساكر، عن ابن عباس قال: جاءت امرأة إلى النبى ﷺ تسأله شيئًا، فقال لها تعودين، فقالت: يا رسول الله، إن عدت فلم أجدك ؟ تعرِّض بالموت. فقال: إن جئتنى، ولم تجدينى؛ فأتى أبا بكر، فإنه الخليفة بعدى[٢].

الحديث الثانى - أخرج أبو القاسم البغوى بسند حسن، عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يكون خلفى اثنا عشر خليفة، أبو بكر لا يلبث إلا قليلاً »[٣] قال الأئمة: هذا صدر حديث مجمع على صحته، وارد من طرق عدة. أخرجه الشيخان وغيرهما. فمن تلك الطرق: « لا يزال هذا الأمر عزيزًا ينصرون على من ناوأهم عليه إلى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش »[٤]. رواه عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل، بسند صحيح. ومنها: « لا يزال هذا الأمر صالحًا »[٥]. ومنها « لا يزال ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلاً »[٦]. ومنها « لا يزال

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٩، ٧٢٢٠، ٧٣٦٠) ومسلم (٢٣٨٦) والترمذي (٣٦٧٦) وأحمد (٤/ ٨٢) والشافعي في مسنده (٢/ ٤٠٤) وابن حبان (٦٦٥٦) والبيهقي (٨/ ١٥٣) من حديث جبير بن مطعم وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) يشهد له حديث جبير بن مطعم وهو الحديث السابق.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٧٤٩) وفي الكبير (١٢) وابن عدي في الكامل (٤/ ٢٠٨)، وابن حبان في المجروحين (٢/ ٤٢) من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف عن شفي بن ماتع عن عبد الله بن عمرو به وقال الطبراني: لا يروي هذا الحديث عن عبد الله بن عمرو إلا بهذا الإسناد تفرد به الليث.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٩٠، ١٠٠، ١٠٦) وعبد الله في زوائده (٥/ ٩٩)، ومسلم (٧/ ١٨٢١)، والترمذي (٢٢٢٣)، والطيالسي (١٢٧٨)، وابن حبان (٦٦٦٢)، والطبراني (١٩٦٤)، وأبو القاسم البغوي في الجعديات (٢٧٥٤) من حديث جابر بن سمرة.

(٥) ذكره الحافظ في الفتح (١٥/ ١٢٦) بهذا اللفظ وعزاه للبزار والطبراني من حديث أبي جحيفة والذي عند البزار (١٥٨٤) «لا يزال أمر أمتي قائمًا حتى يمضي اثنا عشر خليفة. . . » الحديث.

(٦) تقدم تخريجه من حديث جابر بن سمرة وأشار الحافظ في الفتح (١٥/ ١٢٦) إلى هذه الرواية.

أمرأمتى قائمًا حتى يمضى اثنا عشر خليفة كلهم من قريش »، زاد أبو داود « فلما رجع إلى منزله أتته قريش، فقالوا ثم يكون ماذا ؟ قال ثم يكون الهرج »[١]، وعن ابن مسعود بسند حسن: أنه سئل كم يملك هذه الأمة من خليفة ؟ فقال: سألنا عنها رسول الله ﷺ، فقال: « اثنا عشر كعدة نقباء بنى إسرائيل »[٢]. قال القاضى عياض: لعل المراد بالاثنى عشر فى هذه الأحاديث: أنهم يكونون فى مدة عزة الخلافة، وقوة الإسلام، واستقامة أموره، والاجتماع على من يقوم بالخلافة، وقد وجد هذا فيمن اجتمع عليه الناس إلى أن اضطرب أمر بنى أمية، ووقعت بينهم الفتن زمن الوليد بن يزيد، فاتصلت تلك الفتن إلى أن قامت الدولة العباسية، فاستأصلوا أمرهم[٣].

قال العلامة ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى فى شرح البخارى: كلام القاضى عياض هذا أحسن ما قيل فى هذا الحديث، فرجحه لتأيده بقوله فى بعض طرقه الصحيحة: « كلهم يجتمع عليه الناس » والمراد باجتماعهم: انقيادهم لبيعته، والذى اجتمعوا عليه الخلفاء الثلاثة ثم على عليّ - رضى الله عنه - إلى أن وقع أمر الحكمين فى صفين، وتسمى معاوية يومئذ بالخلافة، ثم اجتمعوا على معاوية عند صلح الحسن، ونزوله عن الخلافة ثم على ابنه يزيد، ولم ينتظم للحسين - رضى الله عنه - أمر بل قتل، ثم لما مات يزيد اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل عبد الله بن الزبير، ثم على أولاده الأربعة الوليد، فسليمان، فيزيد، فهشام، وتخلل بين سليمان ويزيد: عمر بن عبد العزيز، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين الأربعة، فجملتهم أحد عشر والثانى عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فاجتمعوا عليه لما مات عمه هشام، فولى نحو أربع سنين، ثم قاموا عليه؛ فقتلوه، وانتشرت

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٩٢)، وأبو داود (٤٢٨١)، وأبو القاسم البغوي في الجعديات (٢٧٥٦)، وابن حبان (٦٦٦١)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٥٢٠)، والطبراني في الكبير (٢٠٥٩) من حديث جابر بن سمرة.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٩٨،٤٠٦)، والبزار (١٥٨٦ ، ١٥٨٧) من طريق مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عبد الله بن مسعود ومجالد هو ابن سعيد وهو ضعيف وذكره الهيثمي في المجمع (٥/ ١٩٣) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار وفيه مجالد بن سعيد وثقه النسائي وضعفه الجمهور وبقية رجاله ثقات.

(٣) ينظر: الفتح (١٥/ ١٢٦).

الفتن، وتغيرت الأحوال من يومئذ، ولم يتفق أن تجتمع الناس على خليفة بعد ذلك؛ لوقوع الفتن بين من بقى من بنى أمية، ولخروج المغرب عن العباسيين باستيلاء عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الملك الملقب بالداخل عليه، وانفرط الأمر إلى أن لم يبق من الخلافة إلا الاسم، بعد أن كان يخطب لعبد الملك فى جميع أقطار الأرض شرقًا وغربًا، يمينا وشمالا، مما غلب عليه المسلمون، ولا يتولى أحد فى بلدة إمارة فى شيء إلا بأمر الخليفة.

وقيل: اثنا عشر خليفة فى مدة الإسلام إلى القيامة، يعملون بالحق وإن لم يتوالوا، ويؤيده قول أبى الجلد: كلهم يعمل بالهدى ودين الحق، منهم رجلان من أهل بيت محمد ﷺ، فعليه المراد بالهرج الفتن الكبار كالدجال وما بعده.

وقيل: المراد بالاثنى عشر: الخلفاء الأربعة، والحسن ومعاوية، وابن الزبير، وعمر بن عبد العزيز فى الأمويين. قيل: ويحتمل أن يضم إليهم المهتدى العباسى؛ لأنه فى العباسيين كعمر بن عبد العزيز فى الأمويين، والظاهر العباسى أيضا لما أوتيه فى العدل، ويبقى الاثنان المنتظران، أحدهما: المهدى من آل بيت محمد[١].

قلت: لعل هذا القول الثانى أقرب إلى المراد من كلام سيد العباد.

الحديث الثالث : أخرج أحمد، والترمذى وحسنه، وابن ماجه، والحاكم وصححه عن حذيفة[٢]، وأخرج الطبرانى من حديث أبى الدرداء[٣]، والحاكم من حديث ابن مسعود[٤]، وروى أحمد، والترمذى، وابن ماجه، وابن حبان فى

---

(١) ينظر: الفتح (١٥/ ١٢٨-١٣٠).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٩٩، ٤٠٢) وفي الفضائل (٤٧٨)، والترمذي (٣٦٦٣)، وابن ماجة (٩٧)، والحميدي (٤٤٩)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٣٣٤)، وابن حبان (٦٩٠٢)، والفسوي في المعرفة والتاريخ (١/ ٤٨٠)، والطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ٨٣-٨٤) وابن أبي عاصم في السنة (١١٤٨، ١١٤٩) والحاكم (٣/ ٧٥)، وأبو نعيم (٩/ ١٠٩)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ٢٠) من حديث حذيفة.

(٣) ذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٥٦) وقال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم.

(٤) أخرجه الحاكم (٣/ ٧٥-٧٦) وصحح إسناده وتعقبه الذهبي فقال: سنده واه. والحديث أخرجه أيضًا الترمذي (٣٨٩٣) وعبد الله بن أحمد في «زوائد الفضائل» (٢٩٤) وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٦٥٤) وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه من حديث ابن مسعود لا نعرفه من حديث يحيى بن سلمة بن كهيل ويحيى بن سلمة يضعف في الحديث.

صحيحه عن حذيفة: « إنى لا أدرى ما قدر بقائى فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر، وتمسكوا بهدى عمار، وما حدثكم به ابن مسعود فصدقوه »(١)، والترمذى عن ابن مسعود(٢)، والرويانى عن حذيفة(٣)، وابن عدى عن أنس: « اقتدوا باللذين من بعدى من أصحاب أبى بكر وعمر، واقتدوا بهدى عمار، وتمسكوا بعهد ابن مسعود »(٤).

الحديث الرابع : أخرج الشيخان، عن أبى سعيد الخدرى قال: خطب رسول الله ﷺ الناس، فقال: « إن الله تعالى خيّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله » فبكى أبو بكر، وقال: بل نفديك بأبائنا وأمهاتنا، فعجبنا لبكائه أن أخبر رسول الله ﷺ بذلك، فكان رسول الله ﷺ هو المخبر عنه، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: « إن من أمنّ الناس علىّ فى صحبته وماله - أبا بكر، ولو كنت متخذا خليلاً غير ربى لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين باب إلا سُد إلا باب أبى بكر »، وفى لفظ للبخارى ومسلم: « لا يبقين فى المسجد خوخة إلا خوخة أبى بكر »(٥). قال العلامة ابن حجر الهيتمى: فى هذه الأحاديث إشارة إلى خلافة الصديق - رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه -؛ لأن الخليفة يحتاج إلى القرب من المسجد؛ لشدة احتياج الناس إلى ملازمته له للصلاة وغيرها(٦).

الحديث الخامس - أخرج الحاكم وصححه، عن أنس - رضى الله تعالى عنه - قال: بعثنى بنو المصطلق إلى رسول الله ﷺ أن سله إلى من ندفع صدقاتنا بعدك ؟

---

(١) تقدم تخريجه قبل حديثين.
(٢) ينظر: الحديث قبل السابق.
(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في المجمع (٩/ ٢٩٨) وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه يحيى بن عبد الحميد الحِمَّاني وهو ضعيف.
(٤) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٦٦) من طريق حماد بن دليل المدائني عن عمر بن نافع عن عمرو بن هرم عن أنس. وقال ابن عدي: لايروي هذا الإسناد غير حماد هذا. اهـ وحماد بن دليل ضعفه الأزدي وغيره وينظر: الميزان (٢/ ٣٥٩).
(٥) أخرجه أحمد (٣/ ١٨)، والبخاري (٣٦٥٤)، ومسلم (٢/ ٢٣٨٢)، والترمذي (٣٦٦٠)، والنسائي في فضائل الصحابة (٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٢٧)، وابن حبان (٦٥٩٤)، وابن سعد (٢/ ٢٢٧) من حديث أبي سعيد الخدري.
(٦) وهو قول الخطابي وابن بطال وغيرهما وينظر الفتح (٧/ ٣٦٢).

فأتيته، فسألته، فقال: إلى أبى بكر[١]. قال ابن حجر: ومن لازم دفع الصدقات إليه كونه هو الخليفة، إذ هو متولى قبض الصدقات.

الحديث السادس: أخرج مسلم، عن عائشة - رضى الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ فى مرضه الذى مات فيه: « ادعى لى أباك وأخاك؛ حتى أكتب كتابا فإنى أخاف أن يتمنى متمنّ، أو يقول قائل أنا أولى، ويأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر ». أخرجه أحمد وغيره من طرق عنها، وفى بعضها: قال لى رسول الله ﷺ فى مرضه الذى مات فيه: « ادعى لى عبد الرحمن بن أبى بكر أكتب لأبى بكر كتابا لا يختلف عليه أحد »، ثم قال: « دعيه، مَعاذ الله أن يختلف المؤمنون فى أبى بكر ». وفى رواية عبد الله بن أحمد: « أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر »[٢].

الحديث السابع: أخرج الشيخان، عن أبى موسى الأشعرى قال: مرض النبى ﷺ، فاشتد مرضه، فقال: « مُروا أبا بكر فليصل بالناس ». قالت عائشة: يا رسول الله، إنه رجل رقيق، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس، فقال: « مروا أبا بكر فليصل بالناس »، فعادت فقال: « مروا أبا بكر فليصل بالناس، فإنكنّ صواحب يوسف »، فأتاه الرسول، فصلى بالناس فى حياة رسول الله ﷺ. وفى رواية أنها لما راجعته فلم يرجع لها، قالت لحفصة: قولى له: يأمر عمر، فقالت له، فأبى حتى غضب، فقال: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٤] أنتن - أو إنكن لأنتن - صواحب يوسف يظهرن خلاف ما يخفين »[٣].

قال العلامة ابن حجر - رحمه الله تعالى -: واعلم أن هذا الحديث متواتر؛ فإنه ورد فى حديث عائشة وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن زمعة وأبى سعيد الخدرى وعلى بن أبى طالب وحفصة، وفى بعض طرقه عن عائشة: قد

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٧٧) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١٤٤)، ومسلم (٢٣٨٧)، وابن حبان من طريق صالح بن كيسان عن الزهري عن عروة عن عائشة وأخرجه أحمد (٦/ ٥٠، ١٠٦) من طريق ابن أبي مليكة عن عائشة وأخرجه البخاري (٥٦٦٦، ٧٢١٧) من طريق القاسم بن محمد عن عائشة.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٤١٢، ٤١٣)، والبخاري (٦٧٨)، ومسلم (١٠١/ ٤٢٠) من طريق عبد الملك بن عمير عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبي موسى الأشعري، به.

راجعت رسول الله ﷺ فى ذلك يوما، حملنى على كثرة مراجعته؛ أنه لم يقع فى قلبى أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا، وكنت أرى أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل بذلك رسول الله ﷺ عن أبى بكر، - رضى الله تعالى عنه -[(١)] وفى حديث ابن زمعة: أن رسول الله ﷺ أمرهم بالصلاة، وكان أبو بكر غائبا، فتقدم عمر فصلى فقال رسول الله ﷺ: « لاَ، لاَ، يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر »[(٢)]، وفى رواية عنه أنه ﷺ قال له: « اخرج، وقل لأبى بكر: يصلى بالناس »، فخرج فلم يجد على الباب إلا عمر فى جماعة ليس فيهم أبو بكر، فقال: يا عمر صل بالناس، فلما كبر - وكان صيتا - سمع رسول الله ﷺ صوته، قال: « يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر، يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر، يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر »[(٣)].

قال العلامة ابن حجر: قال العلماء: فى هذا أوضح دلالة على أن الصديق أفضل الصحابة على الإطلاق، وأحقهم بالخلافة وأولاهم.

قال الأشعرى: قد علم بالضرورة أن رسول الله ﷺ أمر الصديق أن يصلى بالناس مع حضور المهاجرين والأنصار، ومع قوله: « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله »[(٤)]،

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٥) من حديث عائشة.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٦١) من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن زمعة به؛ وقد تقدم.
(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٣٢٢)، وأبو داود (٤٦٦٠) من طريق الزهري عن عبد الملك بن أبي بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أبيه عن عبد الله بن زمعة، به.
(٤) أخرجه مسلم (١/ ٤٦٥) كتاب المساجد، باب من أحق بالإمامة (٢٩٠/ ٦٧٣)، وأحمد (٤/ ١١٨)، وأبو داود (١/ ٣٩٠) كتاب الصلاة، باب من أحق بالإمامة، الحديث (٥٨٢)، والترمذي (١/ ١٤٩) كتاب الصلاة، باب من أحق بالإمامة، الحديث (٢٣٥)، والنسائي (٢/ ٧٦) كتاب الإمامة، باب من أحق بالإمامة، وابن ماجة (١/ ٣١٣) كتاب إقامة الصلاة، باب من أحق بالإمام بالإمامة، الحديث (٩٨٠)، وأبو عوانة (٢/ ٣٥، ٣٦)، وابن الجارود (٣٠٨)، والدارقطني (١/ ٢٠٨)، والبيهقي (٣/ ١١٩، ١٢٥)، وابن خزيمة (٣/ ٤) رقم (١٠٥٧)، والحميدي رقم (٤٥٧)، وعبد الرزاق (٣٨٠٨، ٣٨٠٩)، وابن حبان (٣/ ٤٤٦- الإحسان)، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/ ١١٣-١١٤)، والحاكم (١/ ٢٤٣)، والبغوي في « شرح السنة » (٢/ ٣٩٧- بتحقيقنا) كلهم من طريق إسماعيل بن رجاء الزبيدي قال: سمعت أوس بن ضمعج يحدث عن أبي مسعود فذكره وقال الترمذي : حديث حسن صحيح. وأخرجه الحاكم بزيادة فقال: قد أخرج مسلم حديث إسماعيل بن رجاء هذا =

فدل على أنه أقرؤهم: أى أعلمهم بالقرآن. انتهى[(١)].

وقد استدل الصحابة أنفسهم به على أنه أحق بالخلافة منهم، منهم عمر، وقد مرّ كلامه فى المبايعة، ومنهم على فقد أخرج ابن عساكر عنه قال: لقد أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يصلى بالناس، وإنى لشاهد وما أنا بغائب وما بى مرض، فرضينا لدنيانا من رضيه النبى ﷺ لديننا، قال العلماء: وكان معروفا بأهلية الإمامة فى زمان النبى ﷺ.

وأخرج أحمد وأبو داود وغيرهما، عن سهل بن سعد قال: كان قتال بين بنى عمرو بن عوف، فبلغ النبى ﷺ، فأتاهم بعد الظهر؛ ليصلح بينهم - قلت: بنو عمرو بن عوف: هم أهل قباء من الأنصار - فقال - عليه الصلاة والسلام - لبلال: « يا بلال إن حضرت الصلاة، ولم آتِ فمر أبا بكر فليصل بالناس »، فلما حضرت صلاة العصر أقام بلال الصلاة، ثم أمر أبا بكر، فصلى[(٢)]. ووجه ما تقرر أن الأمر بتقدمته للصلاة - كما ذكر - فيه الإشارة أو التصريح بأحقيته للخلافة؛ إذ القصد الذاتى من نصب الإمام إقامة شعائر الدين على الوجه المأمور به من أداء الواجبات، وترك المحرمات، وإحياء السنن، وإماتة البدع، وأما الأمور الدنيوية وتدبيرها: كاستيفاء الأموال من وجوهها، وإيصالها لمستحقيها، ودفع الظلم، ونحو ذلك - فليس مقصودًا بالذات، بل ليتفرغ الناس لأمور دينهم؛ إذ لا يتم تفرغهم له إلا إذا انتظمت أمور معايشهم بنحو الأمن على الأنفس والأموال، ووصول كل ذى حق إلى حقه، فلذلك رضى ﷺ لأمر الدين - وهى الإمامة العظمى - أبا بكر الصديق بتقديمه للإمامة فى الصلاة كما ذكر، ومن ثم اجتمعوا على ذلك كما مرّ[(٣)].

= ولم يذكر فيه أفقههم فقها وهذه لفظة غريبة عزيزة بهذا الإسناد الصحيح.

(١) ينظر: الفتح (٢/ ٣٩٤، ٣٩٥).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٣٧)، والبخاري (٦٨٤)، ومسلم (٤٢١/ ١٠٢)، ومالك (١/ ١٦٣-١٦٤)، وأبو داود (٩٤٠، ٩٤١)، والنسائي (٢/ ٧٧-٧٩)، وابن ماجة (١٠٣٥)، والشافعي في المسند (١/ ١١٧-١١٨)، وعبد الرزاق (٤٠٧٢)، والدارمي (١/ ٣١٧)، وابن الجارود (٢١١) وابن خزيمة (٨٥٣، ٨٥٤)، وابن حبان (٢٢٦٠، ٢٢٦١)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٤٤٧)، والبيهقي (٢/ ٢٤٦) من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد مطولاً ومختصرًا.

(٣) ينظر: الفتح (٢/ ٣٩٤-٣٩٥).

وأخرج ابن عدى، عن أبى بكر بن عياش قال: قال لى الرشيد: يا أبا بكر كيف اختار الناس أبا بكر الصديق ؟ قلت: يا أمير المؤمنين، سكت الله، وسكت رسوله، وسكت المؤمنون. قال الرشيد: والله ما زدتنى إلا عماء. قال: يا أمير المؤمنين، مرض النبى ﷺ ثمانية أيام، فدخل عليه بلال فقال: يا رسول الله، من يصلى بالناس ؟ قال: « مروا أبا بكر يصلى بالناس »، فصلى أبو بكر بالناس ثمانية أيام، والوحى ينزل على النبى ﷺ، فسكت رسول الله ﷺ لسكوت الله عز وجل، وسكت المؤمنون؛ لسكوت رسول الله ﷺ، فأعجبه، وقال: بارك الله فيك(١).

الحديث الثامن : أخرج ابن حبان، عن سفينة: لما بنى رسول الله ﷺ المسجد وضع فى أسّ البناء حجرًا، وقال لأبى بكر: ضع حجرك إلى جنب حجرى، ثم قال لعمر: ضع حجرك إلى جنب حجر أبى بكر، ثم قال لعثمان: ضع حجرك إلى جنب حجر عمر، ثم قال: هؤلاء الخلفاء بعدى. قال أبو زرعة: إسناده لا بأس به، وقد أخرجه الحاكم فى المستدرك وصححه، والبيهقى فى الدلائل، وغيرهما(٢).

الحديث التاسع - أخرج الشيخان، عن ابن عمر - رضى الله تعالى عنهما - أن النبى ﷺ قال: « رأيت كأنى أنزع بدلو بَكْرة - بسكون الكاف - على قليب، فجاء أبو بكر، فنزع ذَنوبا ممتلئة ماء أو قريبة من ممتلئة أو ذنوبين نزعًا ضعيفًا، والله يغفر له. ثم جاء عمر، فاستقى، فاستحالت غربًا - أى دلوا عظيمًا - فلم أر عبقريا يفرى فَرِيَهُ - أى رجلًا قويًّا شديدًا يعمل عمله - حتى روى الناس، وضربوا بعطن »(٣). والعطن: مناخ الإبل إذا رويت.

قال بعض العلماء: هذا المنام [مثال لما](٤) جرى للخليفتين من ظهور آثارهما الصالحة وانتفاع المسلمين بهما، وكل ذلك مأخوذ من النبى ﷺ لأنه صاحب

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٤/ ٢٥).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ ابن حبان في المجروحين (١/ ٢٧٠)، وابن أبي عاصم (٢/ ٥٥٠)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (١/ ٢٩٧)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٥٥٣)، وابن الجوزي في العلل (٣٣١) عن سفينة، وضعفه العقيلي وابن الجوزي وله لفظ آخر سيأتي تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٧، ٣٩، ٨٩، ١٠٤)، والبخاري (٣٦٣٤)، ومسلم (١٩/ ٢٣٩٣)، والترمذي (٢٢٨٩)، والنسائي في «الكبرى» كما في تحفة الأشراف (٧٠٢٢) من طريق سالم عن أبيه.

(٤) في ط: مثل ما، والمثبت من الفتح.

الأمر، فقام بذلك أكمل قيام، وقرر قواعد الدين، ثم خلفه أبو بكر، فقاتل أهل الردة، وقطع دابرهم. ثم خلفه عمر، فامتنع الإسلام فى زمنه، وكثرت الفتوحات، فشبه أمر المسلمين بقليب فيه الماء الذى فيه حياتهم وصلاحهم، وشبه أميرهم بالمستقى لهم منها، وليس فى قوله - عليه الصلاة والسلام -: « ويغفر الله له » نقص ولا إشارة إلى أنه وقع منه ذنب، وإنما هى كلمة كانت العرب تقولها عند الاعتناء بالأمر[١].

الحديث العاشر - أخرج أبو بكر الشافعى فى الغيلانيات، وابن عساكر عن حفصة: أنها قالت لرسول الله ﷺ: إذا أنت اعتللت قدمتَ أبا بكر، قال: « لست أنا أقدمه، ولكن الله قدمه »[٢].

الحديث الحادى عشر - أخرج أحمد، عن سفينة، وأخرجه - أيضًا - صاحب السنن، وصححه ابن حبان وغيره، قال: سمعت النبى ﷺ يقول: « الخلافة بعدى ثلاثون عامًا ثم تكون ملكا عضوضا »[٣] قال العلماء: لم يكن فى الثلاثين بعده إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن. ووجه الدلالة منه أنه حكم بحقية الخلافة عنه فى أمر الدين هذه المدة دون ما بعدها، وحينئذ فيكون هذا دليلاً واضحًا فى حقية خلافة كل من الخلفاء الأربعة، وقيل لسعيد بن جمهان: أن بنى أمية يزعمون أن الخلافة فيهم، فقال: كذب بنو الزرقاء، بل هم ملوك من شر الملوك.

فإن قلت: ينافى هذا خبر الاثنى عشر خليفة السابق.

قلت: لا ينافيه لأن هذا للكمال، فيكون المراد بهذا: الخلافة الكاملة ثلاثون سنة، وهى منحصرة فى الخلفاء الأربعة والحسن؛ لأن مدته هى المكملة للثلاثين، والمراد فيما تقدم: مطلق الخلافة التى فيها كمال وغيرها؛ لما مرّ أن من جملتهم

---

(١) ينظر الفتح (١٤/ ٤٤٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٨٤٨) وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٨٤): رواه الطبراني في الأوسط وفيه من لم أعرفه.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٠، ٢٢١)، وأبو داود (٤٦٤٦، ٤٦٤٧)، والترمذي (٢٢٢٦)، والنسائي في الفضائل (٥٢)، والطيالسي (١١٠٧)، وابن حبان (٦٦٥٧)، والحاكم (٣/ ١٤٥)، والطبراني في الكبير (٦٤٤٢)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٣٤١) من حديث سفينة وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

نحو يزيد بن معاوية على القول الثانى السابق فليس الخلفاء المذكورون على هذا القول حاوين من الكمال ما حواه الخمسة المذكورة هنا.

الحديث الثانى عشر - أخرج الدارقطنى والخطيب، وابن عساكر عن على - رضى الله تعالى عنه - قال: قال لى رسول الله ﷺ: « سألت الله أن يقدمك ثلاثًا فأبى إلا تقديم أبى بكر »[١].

الحديث الثالث عشر - أخرج ابن سعد، عن الحسن قال: قال أبو بكر: يا رسول الله، ما أزالُ أرانى أطأ فى غدران الناس. قال: لتكونن من الناس بسبيل. قال: ورأيت فى صدرى كالرقمتين. قال: سنتين[٢].

الحديث الرابع عشر - أخرج البزار - بسند حسن - عن أبى عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن أول دينكم بدأ نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون ملكا وجبرية »[٣]. وجه الدلالة منه أنه أثبت لخلافة أبى بكر أنها خلافة؛ إذ هى التى وليت مدة النبوة والرحمة، وحينئذ فيلزم حقيتها، ويلزم من حقيّتها حقية خلافة بقية الخلفاء الراشدين.

وأخرج ابن عساكر عن محمد بن الزبير قال: أرسلنى عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصرى أسأله عن أشياء، فجئته، فقلت له: اشفنى فيما اختلف فيه الناس، هل كان رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر ؟ فقال: أ و فى هذا شك ؟! إى والله الذى لا إله إلا هو لقد استخلفه، ولهو كان أعلم به، وأتقى له، وأشد له مخافة من أن يثبت عليها لو لم يأمره.

فهذه الأحاديث التى استدل بها على حقية خلافته - رضى الله تعالى عنه -.

الحديث الخامس عشر - روى الديلمى عن على - رضى الله عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: « أتانى جبريل، فقلت: يا جبريل، من يهاجر معى ؟ قال: أبو بكر،

---

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١١/ ٢١٣) وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢٩١) من طريق علي بن الحسن الكلبي عن يحيى بن الضريس ثنا مالك بن مغول عن ابن أبي جحيفة عن أبيه عن علي به وقال ابن الجوزي: هذا لا يصح عن رسول الله ﷺ علي ويحيى مجهولان. وينظر: الفوائد المجموعة ص (٣٤٦).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ١٣٢) عن الحسن مرسلاً.

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٩٢)، وعزاه لأبي يعلى والبزار عن أبي عبيدة.

وهو يلى أمر أمتك من بعدك »[١].

الحديث السادس عشر - روى تمام عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « أتانى جبريل فقال: يا محمد، إن الله - تبارك وتعالى - أمرك أن تستشير أبا بكر »[٢].

الحديث السابع عشر - روى الإمام أحمد برجال الصحيح، عن أبى البخترى قال: قال عمر لأبى عبيدة: أمسك يدك حتى أبايعك؛ فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنت أمين هذه الأمة فقال أبو عبيدة: ما كنت لأتقدم بين يدى رجل أمره رسول الله ﷺ أن يؤمنا، فأمنا حتى مات[٣].

الحديث الثامن عشر - روى ابن سعد، عن موهب مولى أبى هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: « قلت لجبريل ليلة أسرى بى: إن قومى لا يصدقوننى، فقال: يصدقك أبو بكر، وهو الصديق »[٤].

الحديث التاسع عشر - روى الديلمى، عن أم هانئ - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: « إن الله بعثنى إلَيكم، فقلتم: كذبت، فقال أبو بكر: صدقت، وواسانى بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لى صاحبى ؟ »[٥].

الحديث العشرون - روى الخطيب والديلمي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ، قال: « دعوا لي صاحبي فإني بعثت إلى الناس كافة، فلم يبق أحد إلا قال: كذبت، إلا أبو بكر الصديق، فإنه قال: صدقت، صدقت »[٦].

الحديث الحادى والعشرون - روى أبو نعيم، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « ما كلمت فى الإسلام أحدًا إلا أبى علىّ، وراجعنى فى الكلام، إلا ابن أبى قحافة »[٧].

الحديث الثانى والعشرون - روى عبد الله ابن الإمام أحمد وابن مردويه

---

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٥٨٨) وعزاه للديلمي عن علي.
(٢) ذكره الذهبي في الميزان (٦/ ٢٣٦)، وأعله بمحمد بن عبد الرحمن بن غزوان وقال: قال الدارقطني وغيره: كان يضع الحديث.
(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٥).
(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ١٢٧).
(٥) له شاهد بهذا اللفظ من حديث أبي الدرداء أخرجه البخاري (٣٦٦١).
(٦) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ٣٧٨) من حديث أبي سعيد الخدري وسنده ضعيف.
(٧) أخرجه أبو نعيم في أخبار أصفهان (٢/ ٣٢٥) عن ابن عباس وينظر: كنز العمال (٣٢٦١٣).

والديلمى، عن ابن عباس[١]، والطبرانى عن أبى أمامة[٢]، والبخارى والترمذى عن أبى سعيد الخدرى[٣]، والطبرانى فى الكبير عن كعب بن مالك[٤]، وأبو نعيم فى فضائل الصحابة عن ابن مسعود[٥]، وابن عساكر عن جابر[٦]، والإمام أحمد والبخارى عن ابن الزبير[٧]، والبخارى عن ابن عباس[٨]، والشيرازى فى الألقاب عن سعد[٩]، ومسلم عن ابن مسعود[١٠]، والطبرانى فى الكبير عن أبى واقد[١١]- رضى الله تعالى عنهم -: أن رسول الله ﷺ قال: « أبو بكر صاحبى، ومؤنسى فى الغار، فاعرفوا له قدره ». وفى لفظ ؟ « ما من أحد أمنّ عليّ فى بدء صحبته، وذات يده من أبى بكر: زوجنى ابنته، وخرج معى إلى دار الهجرة » وفى لفظ: « ما لأحد علينا يد إلا وقد كافأناه عليها ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدًا يكافئه الله - تعالى - بها يوم القيامة ».

الحديث الثالث والعشرون - روى الشيخان عن عمرو بن العاص، والترمذى

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الكبير برقم (١٢٧/ ١٩٩) وعزاه لعبد الله بن أحمد وابن مردويه والديلمي بلفظ: « أبو بكر صاحبي ومؤنسي في الغار فاعرفوا ذلك له ». وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٠٣-٣٠٤) من طريق مالك بن مغول عن طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به وقال أبو نعيم: غريب من حديث سعيد وطلحة ومالك لم نكتبه إلا من حديث أبي عبيدة. والحديث ذكره الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٤٥) وقال: رواه عبد الله ورجاله ثقات.

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٤٨) وقال: رواه الطبراني وفيه على بن يزيد الألهاني وهو ضعيف.

(٣) تقدم تخريجه وينظر الحديث الرابع.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/ ٤١) رقم (٨٩) وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٤٨): وفيه على بن يزيد الألهاني وهو ضعيف.

(٥) ذكره الهندي في «الكنز» (٣٢٥٩٩) وعزاه لأبي نعيم في فضائل الصحابة.

(٦) ذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٦٠٢) وعزاه لابن عساكر عن جابر.

(٧) أخرجه أحمد (٤/ ٤، ٥)، والبخاري (٣٦٥٨) بلفظ: « لو كنت متخذًا من هذه الأمة خليلاً لاتخذته أنزله أبا يعني أبا بكر ».

(٨) أخرجه البخاري (٤٦٧، ٣٦٥٦، ٣٦٥٧، ٦٧٣٨)، وأحمد (١/ ٢٧٠)، وأبو يعلى (٢٥٨٤)، وابن حبان (٦٨٦٠)، والنسائي في فضائل الصحابة رقم (١)، وابن أبي عاصم في السنة (١٢٢٨)، والطبراني (١١٩٣٨، ١١٩٧٤).

(٩) ذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٦٠١) وعزاه للشيرازي في الألقاب عن سعد.

(١٠) أخرجه مسلم (٣/ ٢٣٨٣).

(١١) ذكره الهيثمي المجمع (٩/ ٤٨) وقال: رواه الطبراني وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف.

وقال حسن صحيح غريب، وابن ماجه عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: « أحب الناس إليّ عائشة، ومن الرجال أبوها »[١].

الحديث الرابع والعشرون - روى أبو داود وأبو نعيم والحاكم عن أبى هريرة - رضى الله عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: « أتانى جبريل، فأخذ بيدى، فأرانى باب الجنة الذى تدخل منه أمتى، قال أبو بكر: وددت أنى كنت معك حتى أنظر إليه. قال: أما إنك - يا أبا بكر - أول من يدخل الجنة من أمتى »[٢].

الحديث الخامس والعشرون - روى ابن عساكر عن أبى المقداد - رضى الله تعالى عنه -: أن رسول الله ﷺ رأى رجلا يمشى أمام أبى بكر، فقال: « أتمشى أمام من هو خير منك ؟! إن أبا بكر خير من طلعت عليه الشمس وغربت »[٣].

الحديث السادس والعشرون - روى أبو نعيم فى فضائل الصحابة: أن رسول الله ﷺ قال: « أتمشى أمام من هو خير منك ؟! ألم تعلم أن الشمس لم تشرق على أحد، أو تغرب خير من أبى بكر إلا النبيين والمرسلين ؟! »[٤].

الحديث السابع والعشرون - روى الديلمى عن عرفجة بن صريح: أن رسول الله ﷺ قال: « أنا سيف الإسلام، وأبو بكر سيف الردة »[٥].

الحديث الثامن والعشرون - روى أبو نعيم فى الحلية عن أنس - رضى الله تعالى عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: « اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى يوم القيامة »[٦].

الحديث التاسع والعشرون - روى الخطيب فى المتفق والمفترق بسنده عن عائشة - رضى الله عنها -: أن رسول الله ﷺ قال: « إن الناس كلهم يحاسبون إلا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤)، والترمذي (٣٨٨٦)، والنسائي في فضائل الصحابة (٥)، وأحمد (٤/ ٢٠٣)، وابن حبان (٤٥٤٠)، والبيهقي (١٠/ ٢٣٣) من حديث عمرو بن العاص. وأخرجه الترمذي (٣٨٩٠)، وابن ماجة (١٠١) من حديث أنس.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٥٢)، وذكره السيوطي في الجامع الكبير وعزاه إلى أبي داود والحاكم وأبي نعيم في معرفة الصحابة.

(٣) ذكره الهندي في «كنز العمال» (٣٢٦٢٠) وعزاه إلى ابن عساكر.

(٤) ذكره الهندي في «كنز العمال» (٣٢٦٢١) وعزاه لأبي نعيم في فضائل الصحابة.

(٥) ذكره الهندي في «كنز العمال» (٣٢٦٣٤) وعزاه للديلمي.

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٣) وينظر: الكنز (٣٤٦٢٥).

أبا بكر »[١].

الحديث الثلاثون - روى الديلمى عن جابر - رضى الله تعالى عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: « تأتى الملائكة بأبى بكر مع النبيين والصديقين، تزفه إلى الجنة زفا »[٢].

الحديث الحادى والثلاثون - روى الإمام أحمد وابن ماجه والنسائى عن أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « ما نفعنى مال قط إلا مال أبى بكر »[٣].

الحديث الثانى والثلاثون - روى عبدان المروزى وابن قانع، عن بهزاد قال: قال رسول الله ﷺ: « يأيها الناس، احفظونى فى أبى بكر؛ فإنه لم يسؤنى منذ صحبنى »[٤].

الحديث الثالث والثلاثون - روى ابن مردويه وأبو نعيم والخطيب وابن عساكر: أن رسول الله ﷺ قال للعباس: « يا عم رسول الله، إن الله جعل أبا بكر خليفتى على دين الله ووحيه؛ فاسمعوا له تفلحوا، وأطيعوا ترشدوا »[٥].

الحديث الرابع والثلاثون - روى ابن مردويه عن أنس والحاكم عن جابر - رضى الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « يا أبا بكر، إن الله أعطاك الرضوان الأكبر. قال أبو بكر: وما رضوانه الأكْبَرُ ؟ قال: إن الله سيتجلى للخلق عامة، ويتجلى لَكَ خاصةً »[٦].

---

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٦٣٥، ٣٢٦٣٦) وعزاه للخطيب في «المتفق والمفترق» وأبي نعيم في فضائل الصحابة.

(٢) ذكره الهندي في «كنز العمال» (٣٢٦٢٧)، وعزاه للديلمي عن جابر.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٣) وفي فضائل الصحابة (٢٥)، والنسائي في فضائل الصحابة (٩) وابن ماجة (٩٤) وابن أبي عاصم (١٢٢٩) وابن حبان (٦٨٥٨).

(٤) أخرجه ابن قانع في «معجم الصحابة» (١١٢) وقال الذهبي في «التجريد» (٥٣٥): واهي الإسناد منكر المتن رواه عبدان وابن قانع.

(٥) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٢٩٤) وأبو نعيم في فضائل الصحابة وابن مردويه كما في اللآلئ (١/ ٢٩٤)، وابن الجوزي في الموضوعات (٥٨٤، ٥٨٥) من حديث العباس وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح ومدار الطريقين على عمر بن إبراهيم وهو الكردي، قال الدارقطني: كان كذابًا يضع الحديث. وينظر الفوائد المجموعة (٣٣٢).

(٦) حديث أنس أخرجه الخطيب في تاريخه (٢/ ٣٨٨) ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات =

الحديث الخامس والثلاثون - عن أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه - قال: قال رسول ﷺ: « عرج بى إلى السماء، فما مررت بسماء إلا وجدت فيها اسمى مكتوبًا محمد رسول الله، وأبو بكر الصديق خلفى ». أخرجه ابن عرفة العبدى والثقفى والأصفهانى[١].

الحديث السادس والثلاثون - أخرج صاحب الصفوة عن أبى الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: « ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبى بكر، من سره أن ينظر إلى مثل عيسى فى الزهد؛ فلينظر إليه »[٢].

الحديث السابع والثلاثون - أخرج الملا فى سيرته، وأبو نعيم فى فضائله، عن أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه - قال: هبط جبريل إلى النبى ﷺ، فوقف مليًا يناجيه، فمر أبو بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه -، فقال جبريل - عليه السلام -: يا محمد هذا ابن أبى قحافة. فقال: يا جبريل، أو تعرفونه فى السماء ؟! فقال: والذى بعثك بالحق لهو فى السماء أشهر منه فى الأرض، وإن اسمه فى السماء الحليم[٣].

= (٥٦٤) وفيه محمد بن عبد، قال الخطيب: هذا حديث لا أصل له عند ذوي المعرفة فيما نعلمه وقد وضعه محمد بن عبد إسنادًا ومتنًا وأقره ابن الجوزي وله طرق أخرى عن أنس عند ابن الجوزي في الموضوعات (٥٦٥،٥٦٦) وهما موضوعان أيضًا أما حديث جابر فأخرجه الحاكم (٣/ ٧٨)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١١-١٢) وابن الجوزي في الموضوعات (٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١) وطرقه أيضًا موضوعة وينظر اللآلئ (١/ ٢٨٦- ٢٨٨)، والمنار المنيف (٢٩٣)، والشوكاني في الفوائد (٣٣٠).

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٤/ ١٥٠٧) ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات (٥٩٠) من طريق عبد الله بن إبراهيم الغفاري عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة به وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، قال ابن حبان: الغفاري يضع الحديث، وأما عبد الرحمن فاتفقوا على تضعيفه. وله شواهد ذكره السيوطي في اللآلئ (١/ ٢٩٦-٢٩٨) « لا تسمن ولا تغني من جوع ».

(٢) ذكره صاحب الرياض النضرة (١/ ٨٢)، ولم أجده في صفة الصفوة وانظر فضائله ومناقبه فيها (١/ ١٢٦-١٣٢).

(٣) أخرجه ابن حبان في المجروحين (١/ ١٣٠-١٣١) ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات (٥٨٦) وفي إسناده إسماعيل بن محمد بن يوسف قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بـ«إسماعيل بن محمد» فإنه يقلب الأسانيد ويسرق الأحاديث وقال محمد بن طاهر: هو كذاب وينظر: اللآلئ (١/ ٢٩٥).

الحديث الثامن والثلاثون - أخرج ابن السمان - فى الموافقة - عن ابن عباس قال: جاء أبو بكر وعليّ - رضى الله تعالى عنهما - يزوران قبر النبى ﷺ بعد وفاته بستة أيام، فقال على لأبى بكر: تقدم يا خليفة رسول الله، فقال أبو بكر ما كنت لأتقدم رجلا سمعت رسول الله ﷺ يقول فيه: عليّ منى بمنزلتى من ربى، فقال على: ما كنت لأتقدم رجلا سمعت النبى ﷺ يقول فيه: « ما منكم من أحد إلا وقد كذبنى غير أبى بكر، وما منكم من أحد يصبح إلا على بابه ظلمة إلا باب أبى بكر ». فقال أبو بكر: سمعتَ النبى ﷺ يقوله ؟! قال: نعم. فأخذ أبو بكر بيد على، فدخلا جميعًا.

الحديث التاسع والثلاثون - أخرج المهرى فى مشيخته عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: « اليوم الرهان، وغدا السباق، والغاية الجنة، والهالك فى النار حل النار، وأنا الأول، وأبو بكر المصلى، وعمر الثالث، والناس بعدُ على السَّنن، الأول فالأول »[١].

الحديث الأربعون - أخرج الحافظ أبو الحسن على بن عمر الحربى [السكرى][٢] من حديث أبى بن كعب، أنه قال: إن أحدث عهدى بنبيكم ﷺ قبل وفاته بخمس ليال، دخلت عليه وهو يقلب يديه، ويقول: « إنه لم يكن من نبى إلا وقد اتخذ من أمته خليلا، وإن خليلى من أمتى أبو بكر بن أبى قحافة، ألا وإن الله اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا »[٣].

قال فى الرياض النضرة: والأحاديث النافية للخلة أصح وأثبت فإنه قد ورد - وأوردته فيما تقدم - حديث: « لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا » الحديث. وإن صحت هذه الرواية فى هذا الحديث الذى أوردته الآن المثبت للخلة، فيكون الله - تعالى - قد أذن له - عليه الصلاة والسلام - عند تبريه

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢٦٤٥) والخطيب في تاريخه (٧/ ٣١) وفي إسناده أصرم بن حوشب قال ابن حبان في المجروحين (١/ ١٨١): كان يضع الحديث على الثقات. والحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٣٢٨-٣٢٩).

(٢) في ط: السكوني. والمثبت من الرياض النضرة. وهو أصوب.

(٣) أورده صاحب الرياض النضرة (١/ ١٢٧)، وعزاه للحافظ أبي الحسن على بن عمر الحربي السكري.

من خلة غير الله - تبارك وتعالى -، مع تشوقه لخلة أبى بكر لولا خلة الله - فى اتخاذ أبى بكر خليلا؛ مراعاة لجنوحه إليها؛ وتعظيمًا لشأن أبى بكر، ولا يكون ذلك انصرافا عن خلة الله عز وجل، بل الخلتان ثابتتان [كما تضمنه الحديث](١) إحداهما لتشريف المصطفى ﷺ، والأخرى لتشريف أبى بكر(٢).

الحديث الحادى والأربعون - أخرج الحافظ السلفى عن أنس بن مالك - رضى الله تعالى عنه -: قال رسول الله ﷺ: « أبو بكر أخى فى الدنيا والآخرة، رحم الله أبا بكر، وجزاه عن رسول الله خيرًا »(٣).

الحديث الثانى والأربعون - أخرج الحافظ ابن عبيد وصاحب الصفوة عن ابن عمر - رضى الله تعالى عنهما - قال: كنت عند النبى ﷺ، وعنده أبو بكر عليه عباءة قد خلها فى صدره بخلال،[فنزل جبريل] (٤) فقال جبريل: يا محمد، ما لى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها فى صدره بخلال ؟! قال: يا جبريل، أنفق ماله عليّ قبل الفتح. قال: فإن الله يقرأ عليك السلام، ويقول لك: قل له: أراضٍ عنى أنت فى فقرك هذا أم ساخط ؟ فقال أبو بكر: أسخط على ربى ؟! أنا عن ربى راض، أنا عن ربى راض، أنا عن ربى راض »(٥).

الحديث الثالث والأربعون - أخرج عبد الرزاق، والبغوى فى المصابيح عن أنس - رضى الله تعالى عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: « أرحم أمتى بأمتى أبو بكر »(٦)- رضى الله تعالى عنه - وفى رواية عن أبى أمامة « أرحم هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ». خرجه فى الفضائل(٧).

---

(١) المثبت من الرياض النضرة.

(٢) ينظر الرياض النضرة (١/ ١٢٧).

(٣) أورده صاحب الرياض النضرة (١/ ١٣٢) وعزاه للحافظ السلفي.

(٤) المثبت من الرياض النضرة. وخَلَّها: جمع بين طرفيها.

(٥) ذكره الهندي في الكنز (٣٥٦٥٨) وعزاه إلى أبي نعيم في فضائل الصحابة وانظر صفوة الصفوة (١/ ١٣٠)، والرياض النضرة (١/ ١٣٢).

(٦) أخرجه الترمذي (٣٧٩٣)، وابن ماجة (١٥٤)، وأحمد (٣/ ٢٨١)، وابن حبان (٢٢١٨- موارد)، والحاكم (٣/ ٤٢٢)، والبيهقي (٦/ ٢١٠) من حديث أنس بن مالك. وانظر الرياض النضرة (١/ ١٣٥).

(٧) وروي بهذا اللفظ أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري ذكره الهندي في الكنز (٣٣١٢٢) وعزاه لسمويه والعقيلي في الضعفاء الكبير. وانظر الرياض النضرة (١/ ١٣٥، ١٣٦) عن أبي أمامة.

الحديث الرابع والأربعون - أخرج الحافظ الخطيب أبو بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى عن جابر بن عبد الله - رضى الله تعالى عنه - قال: « كنا عند النبى ﷺ، فقال: يطلع عليكم رجل لم يخلق الله بعدى أحدا خيرًا منه ولا أفضل، وله شفاعة مثل شفاعة النبيين، فما برحنا حتى طلع أبو بكر، فقام النبى ﷺ، وقبله، والتزمه »(١).

الحديث الخامس والأربعون - عن أنس - رضى الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « خير أصحابى أبو بكر »(٢).

الحديث السادس والأربعون - أخرج صاحب الفضائل عن جابر - رضى الله عنه - قال: كنا عند باب النبى ﷺ نقول فى المهاجرين والأنصار، نتذاكر الفضائل، فارتفعت أصواتنا، فخرج - عليه الصلاة والسلام - علينا، وقال: فيم أنتم ؟! قلنا: نتذاكر الفضائل، قال: « لا تقدموا على أبى بكر أحدًا، فإنه أفضلكم في الدنيا والآخرة »(٣).

الحديث السابع والأربعون - أخرج أبو نعيم البصرى والغيلانى عن إسماعيل بن أبى خالد قال: بلغنى أن عائشة - رضى الله تعالى عنها - نظرت إلى النبى ﷺ، فقالت: يا سيد العرب، فقال: أنا سيد ولد آدم، وأبوك سيد كهول العرب، وعليّ سيد شباب العرب(٤).

الحديث الثامن والأربعون - أخرج سعيد بن منصور والحاكم أبو عبد الله عن عمرو بن شرحبيل قال: قال رسول الله ﷺ: « رأيت كأنى فى غنم سود فيها غنم بيض، فلم أستبن السود من كثرة البيض، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله هذه العرب ولدتَ فيها، ثم تدخل العجم؛ فلا تستبين العرب من كثرتهم، فقال - عليه الصلاة والسلام -: كذلك عبرها الملك [بسحره] »(٥).

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ١٢٣-١٢٤) من حديث جابر بن عبد الله. وانظر الرياض النضرة (١/ ١٣٦-١٣٧).

(٢) ذكره صاحب الرياض النضرة (١/ ١٣٧).

(٣) أورده صاحب الرياض النضرة (١/ ١٣٧).

(٤) أورده صاحب الرياض النضرة (١/ ١٣٨).

(٥) ما بين المعكوفين من المستدرك والرياض النضرة. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك =

الحديث التاسع والأربعون - أخرج تمام فى فوائده وأبو سعيد النقاش عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - قال: سمعت النبى ﷺ يقول: « أتانى جبريل - عليه السلام - فقال: يا محمد، إن الله - تبارك وتعالى - يأمرك أن تستشير بأبى بكر »[١].

الحديث الخمسون - عن عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه - قال: كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر[٢] عند أبى بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه - الليلة فى الأمر من أمر المسلمين، وإنه سمر عنده ذات ليلة، وأنا معه، فخرج رسول الله ﷺ، وخرجنا معه، فإذا برجل قائم يصلى بالمسجد، فقام رسول الله ﷺ يستمع قراءته فما كدنا نعرفه، فقال - عليه الصلاة والسلام -: « من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد »[٣].

الحديث الحادى والخمسون - عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله كره من السماء أن يخطأ أبو بكر فى الأرض »[٤].

الحديث الثانى والخمسون - أخرج أبو حاتم عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: قال النبى ﷺ: « أنا أول من تنشق عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم آتى البقيع، فيحشرون معى، ثم أنتظر أهل مكة حتى يحشروا بين الحرمين »[٥].

الحديث الثالث والخمسون - أخرج الملا فى سيرته عن أبى الدرداء قال: قال

= (٤/ ٣٩٥)، وذكره الهندي في كنز العمال (٣٥١٣٦) بنحوه من حديث ابن مسعود وعزاه لأبي نعيم في فضائل الصحابة وابن عساكر وانظر الرياض النضرة (١/ ١٦٠).

(١) أورده صاحب الرياض النضرة (١/ ١٦١).

(٢) في ط: يسهر. والمثبت من الترمذي، والرياض النضرة.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٧، ٢٥، ٢٦)، والترمذي (١٦٩)، والنسائي في فضائل الصحابة (١٥٢) وابن خزيمة (١١٥٦، ١٣٤١) من طريق الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود. وأورده صاحب الرياض النضرة (١/ ١٦١، ١٦٢).

(٤) أخرجه الحارث بن أبي أسامة (٩٣٨- بغية)، وابن الجوزي في الموضوعات (٥٩٢)، وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع وينظر اللآلىء (١/ ٣٠٠)، تنزيه الشريعة (١/ ٣٧٣).

(٥) أخرجه الترمذي (٣٦٩٢)، وابن الجوزي في «العلل» (١٥٢٧، ١٥٢٨)، من طريق عبد الله ابن نافع الصائغ عن عاصم عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر به وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح ومداره على عبد الله بن نافع، قال يحيى: ليس بشيء، وقال علي: يروي أحاديث منكرة، وقال النسائي: متروك.

رسول الله ﷺ: « أول من يرد على الحوض يوم القيامة أبو بكر الصديق »[١].

الحديث الرابع والخمسون - أخرج أبو الغطريف عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: « لكل نبى رفيق، ورفيقى أبو بكر » وعن الزبير بلفظ « اللهم إنك جعلت أبا بكر رفيقى فى الغار، فاجعله رفيقى فى الجنة »[٢].

الحديث الخامس والخمسون - أخرج الخطيب البغدادى، والملا بمعناه، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا كان يوم القيامة، نصب لإبراهيم منبر أمام العرش، ونصب لى منبر أمام العرش، ونصب لأبى بكر كرسى فيجلس عليه ثم ينادي مناد: يا لك من صديق بين خليل وحبيب »[٣].

الحديث السادس والخمسون - أخرج أبو الحسن العتيقى، وصاحب الديباج، وصاحب الفضائل عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: قلت لجبريل - حين أسرى بى إلى السماء: يا جبريل، هل على أمتى حساب ؟ قال كل أمتك عليها حساب ما خلا أبا بكر، فإذا كان يوم القيامة، قيل له: يا أبا بكر، ادخل، فيقول: ما أدخل حتى يدخل معى كل من أحبنى فى الدنيا[٤].

الحديث السابع والخمسون - عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت ليلة أسرى بى مكتوبا حول العرش فى فرندة خضراء بقلم من نور: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أبو بكر الصديق[٥]. قلت: الفرندة - بفتح الفاء والراء المهملة-: ثوب معروف، معرب[٦].

---

(١) أورده صاحب الرياض النضرة (١/ ١٦٤)، وعزاه للملا.

(٢) أورده الطبري في الرياض النضرة (١/ ١٦٤).

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخه (٤/ ٣٨٦-٣٨٧)، ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات (٥٨٩) من حديث معاذ وقال ابن الجوزي: لا يصح وينظر اللآلئ (١/ ٢٩٦)، والتنزيه (١/ ٣٤٥).

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخه (٢/ ١١٨)، ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢٩٥، ٢٩٦) من حديث أنس وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح وداود بن صغير مجروح قال الخطيب كان ضعيفًا وأما كثير النواء فقال النسائي: ضعيف، وقال ابن عدي :كان غاليًا في التشيع.

(٥) أخرجه الخطيب (١١/ ٢٠٤) وابن الجوزي في الموضوعات (٦٠٩). وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح والمتهم به عمر بن إسماعيل، قال يحيى: ليس بشيء كذاب رجل سوء خبيث، وقال النسائي والدارقطني: متروك الحديث. وينظر: اللآلئ (١/ ٢٩٧-٢٩٨)، والفوائد المجموعة (٣٣٩)، والرياض النضرة (١/ ١٦٧).

(٦) ينظر: ترتيب القاموس (فرند)، ووقع في ط: فريدة. والمثبت من الرياض، والقاموس.

الحديث الثامن والخمسون - أخرج أبو حاتم عن جابر بن عبد الله: أن النبى ﷺ حين رجع إلى المدينة من عمرة الجعرانة، بعث أبا بكر أميرا على الحج، فحج بالناس. وعن أبى هريرة قال: بعثنى أبو بكر فى تلك الحجة فى مؤذنين بعثهم يوم النحر، يؤذنون بمنى ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان(١).

الحديث التاسع والخمسون - عن عبد الله بن عمر الليثى أن النبى ﷺ أمر أبا بكر أن يصلى بالناس الصبح، وأن أبا بكر كبر، فوجد النبى ﷺ بعض الخفة؛ فقام، ففرج الصفوف. قال: فكان أبو بكر لا يلتفت، فلما سمع الحس من ورائه عرف أنه لا يتقدم إلى ذلك المقام إلا رسول الله ﷺ، فخنس وراءه فى الصف، فرده - عليه الصلاة والسلام - مكانه. وفى رواية ابن إسحاق: فدفع فى ظهره، وقال: صلِّ بالناس. وجلس رسول الله ﷺ إلى جنب أبى بكر، فصلى قاعدًا عن يمين أبى بكر(٢). وقوله: « خنس »: أى انقبض، وتأخر.

الحديث الستون - أخرج الإمام أحمد ومسلم فى الصحيح عن أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: من أصبح منكم اليوم صائمًا ؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن تبع منكم جنازة ؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن أطعم اليوم مسكينا ؟ قال أبو بكر أنا. قال: فمن عاد منكم اليوم مريضا ؟ قال أبو بكر: أنا. فقال - عليه الصلاة والسلام -: ما اجتمعت فى امرئ إلا دخل الجنة(٣).

وفى رواية أن رسول الله ﷺ صلى الصبح، فلما قضى صلاته، قال: أيكم اليوم أصبح صائمًا ؟ فقال عمر: أما أنا يا رسول الله، بت لا أحدث نفسى بالصوم؛ فأصبحت مفطرًا. فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله بت [الليلة](٤)أحدث نفسى بالصوم؛ فأصبحت صائما. قال: فأيكم اليوم عاد مريضا ؟ فقال عمر: يا رسول الله، إنا صلينا الساعة، ولم نبرح، فكيف نعود [المريض] (٥) ؟! فقال أبو بكر:

(١) تقدم تخريجه في حوادث السنة التاسعة.
(٢) تقدم تخريجه في أكثر من موضع.
(٣) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ١٣٥) رقم (١٠٧)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥١٥) ومسلم (٨٧/ ١٠٢٨)، والنسائي في فضائل الصحابة رقم (٦)، وابن خزيمة (٢١٣١) من طريق أبي حازم الأشجعي عن أبي هريرة.
(٤) المثبت من الرياض.
(٥) في ط: المراض. والمثبت من الرياض.

[أنا] [(١)]يا رسول الله، أخبرونى أن أخى عبد الرحمن بن عوف وجع، فجعلت طريقى عليه، فسألت عنه، ثم أتيت المسجد. فقال رسول الله ﷺ: فأيكم اليوم تصدق بصدقة ؟ فقال عمر مثل ما قال أولا، فقال أبو بكر: [أنا] [(٢)]يا رسول الله لما جئت من عند عبد الرحمن بن عوف دخلت المسجد، وإذا بسائل يسأل وابن لعبد الرحمن بن أبى بكر معه كسرة خبز، فأخذتها منه، فناولتها السائل. فقال - عليه الصلاة والسلام - لأبى بكر: أبشر بالجنة، أبشر بالجنة. مرتين[(٣)].

الحديث الحادى والستون - أخرج ابن السمان فى الموافقة عن صلة بن زفر قال: كان أبو بكر إذا ذكر عند علي قال: السبّاق. والذى نفسى بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه [أبوبكر][(٤)].

الحديث الثانى والستون - أخرج الشيخان والإمام أحمد والترمذى وأبو حاتم عن رسول الله ﷺ أنه قال: « من أنفق زوجين فى سبيل الله نودى إلى الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب يسمى الريان. فقال أبو بكر: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ فقال - عليه الصلاة والسلام -: نعم، وأرجو أن تكون منهم[(٥)]. قلت: فسر بعض العلماء قوله - عليه الصلاة والسلام: « زوجين »، فقال: قريبان أو عبدان. وقال الحسن البصرى: شيئان متغايران، درهم ودينار، درهم وثوب، وخف ولجام. وقال العلامة الباجى: يحتمل أن يريد بذلك العمل من صلاتين، أو صيام يومين. والأصل فى الزوج: الصنف، والنوع من

(١) المثبت من الرياض.
(٢) المثبت من الرياض.
(٣) ينظر: الرياض النضرة (١/ ١٧٤، ١٧٥).
(٤) المثبت من الرياض النضرة (١/ ١٧٥)
والحديث ذكره الهندي في كنز العمال (٣٥٦٧٥) وعزاه للطبراني في الأوسط.
(٥) أخرجه مالك (٢/ ٢٤-٢٥)، والبخاري (١٨٩٧، ٣٦٦٦)، ومسلم (١٠٢٧)، والترمذي (٣٦٧٤)، والنسائي (٤/ ١٦٨-١٦٩)، (٥/ ٩)، وابن حبان (٣٠٨)، والبيهقي (٩/ ١٧١)، من حديث أبي هريرة.

كل شيء، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ [طه: ٥٣] أى أصنافا. وكل شيئين مثلين كانا أو غير مثلين فهما زوجان، وكل واحد منهما زوج، والمراد: وأنفق نوعين من ماله فى سبيل الله[(١)].

الحديث الثالث والستون - أخرج الإمام أحمد عن أنس: أن النبى ﷺ قال: « إن طير الجنة كأمثال البخت، ترعى من شجر الجنة ». قال أبو بكر: يا رسول الله، إن هذه لطير ناعمة، فقال - عليه الصلاة والسلام -: أكلها أنعم منها - قالها ثلاث مرات - وإنى لأرجو أن تكون ممن يأكل منها[(٢)].

الحديث الرابع والستون - عن عمر - رضى الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « إن فى الجنة حورًا خلقهن الله من الورد، يقال لهن: « الورديات »، لا يتزوج بهن إلا نبى أو صديق أو شهيد، وإن لأبى بكر منهن أربعمائة »[(٣)].

الحديث الخامس والستون - عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: « يدخل رجل الجنة فلا يبقى أهل دار، ولا أهل غرفة إلا قالوا مرحبًا، إلينا، إلينا. قال أبو بكر: يا رسول الله، ما توى على هذا الرجل فى ذلك اليوم. قال: أجل، وأنت هو يا أبا بكر[(٤)]. خرجه أبو حاتم هكذا بالتاء معدّى بـ« على ». والتوى - بالقصر -: الهلاك[(٥)].

الحديث السادس والستون - عن عبد خير عن على - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « الخير ثلاثمائة وستون خصلة، إذا أراد الله بعبد خيرًا جعل فيه واحدة منهن، فأُدخل بها الجنة ». قال: فقال أبو بكر: يا رسول الله هل فيَّ شيء منهن ؟ قال: نعم، جمع من كل »[(٦)]. خرجه فى الفضائل، وأخرجه ابن البهلول من حديث سليمان بن يسار، وقال: حديث حسن.

---

(١) ينظر: الفتح (٧/ ٣٧٩-٣٨٠).
(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٢٢١) من طريق جعفر بن سليمان قال: ثنا ثابت عن أنس، به.
(٣) أورده صاحب الرياض النضرة (١/ ١٨٤).
(٤) أخرجه ابن حبان برقم (٦٨٢٨- الإحسان) وأورده الطبري في الرياض النضرة (١/ ١٨٤)، وعزاه لأبي حاتم بن حبان.
(٥) ينظر: الصحاح للجوهري (توى).
(٦) أورده الطبري في الرياض النضرة (١/ ١٨٥).

الحديث السابع والستون - أخرج الواحدى فى أسباب النزول عن ابن مسعود - رضى الله تعالى عنه -: أن النبى ﷺ قال لأبى بكر يوم بدر، وقد أراد أن يتقدم فى أول الجند، فمنعه، وقال: « أما تعلم أنك عندى بمنزلة سمعى وبصرى »[(١)].

الحديث الثامن والستون - أخرج الملا فى سيرته عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - قال: رأيت رسول الله ﷺ إذا أقبل أبو بكر صافحه النبى ﷺ، وعانقه، وقبل فاه، فقال على - رضى الله عنه -: أتقبل فا أبى بكر ؟! فقال ﷺ: يا أبا الحسن، منزلة أبى بكر عندى كمنزلتى من ربى[(٢)].

الحديث التاسع والستون - أخرج الخلعى والملا وصاحب فضائله عن على - رضى الله تعالى عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبى بكر: يا أبا بكر، إن الله قد أعطانى ثواب من آمن به منذ خلق الله آدم إلى أن بعثنى، وإن الله أعطاك ثواب من آمن منذ بعثنى إلى أن تقوم الساعة[(٣)]. قلت: تأمل ما يدل عليه هذا الحديث العظيم من المحبة والتكريم والفضل العميم.

الحديث السبعون. أخرج الحافظ السلفى فى مشيخته عن أنس - رضى الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « حب أبى بكر واجب على أمتى »[(٤)].

الحديث الحادى والسبعون - عن عبد الله بن أبى أوفى قال: « خرج رسول الله ﷺ، فقال: يا عمر، إنى أشتاق إلى إخوانى، فقال عمر يا رسول الله، أفلسنا إخوانك ؟! قال: لا، أنتم أصحابى، ولكن إخوانى قوم آمنوا بى، ولم يرونى، قال: فدخل أبو بكر على بقية ذلك، فقال له عمر: يا أبا بكر إن رسول الله ﷺ قال: إنى أشتاق إلى إخوانى، فقلت له: ألسنا إخوانك ؟! قال: لا، أنتم أصحابى، ولكن إخوانى قوم آمنوا بى، ولم يرونى، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر ألا تحب قوما

---

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (٨٠١).

(٢) وذكره الطبري في الرياض (١/ ١٨٥).

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٢٥٦) وابن الجوزي في العلل رقم (٢٩٣) من طريق الحارث عن علي وقال ابن الجوزي: هذا لا يصح وذكره الهندي في الكنز (٣٢٦٤٢) وزاد نسبته للديلمي والطبري في الرياض النضرة (١/ ١٨٩).

(٤) أورده الطبري في الرياض النضرة (١/ ٢٠٦)، وله شاهد من حديث سهل بن سعد أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٥/ ٤٢٥)، وابن الجوزي في «العلل» (٢٩٢) وقال ابن الجوزي: تفرد به عمر بن إبراهيم الكردي وعمر ذاهب الحديث وقال الدارقطني: كان كذابًا يضع الحديث.

بلغهم أنك تحبّنى، فأحبّوك بحبّك إيّاى ؟ فأحببهم أحبهم الله ». أخرجه ابن فيروز[١].

الحديث الثانى والسبعون - خرج ابن السمان عن قيس بن أبى حازم[٢] قال: التقى أبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب، فتبسم أبو بكر فى وجه على - رضى الله تعالى عنهما -، فقال له على: مالك تتبسم[٣]؟! فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له عليّ بن أبى طالب الجواز، فضحك عليّ، وقال: ألا أبشرك يا أبا بكر! قال رسول الله ﷺ: لا يكتب عليٌّ الجواز[٤] إلا لمن أحبَّ أبا بكر »[٥].

الحديث الثالث والسبعون - عن أنس أن يهوديا أتى أبا بكر، فقال: والذى بعث موسى كليما إنى لأحبك، فلم يرفع أبو بكر إليه رأسه؛ تهاونا باليهودى. قال فهبط جبريل على النبى ﷺ، فقال: يا محمد، العليّ الأعلى يقرئك السلام، ويقول لك: قل لليهودى - الذى قال لأبى بكر: إنى أحبك: إن الله - عز وجل - قد حاد عنه فى النار خلتين: لا توضع الأنكال فى قدميه، ولا الغل فى عنقه؛ بحبه لأبى بكر. قال فبعث النبى ﷺ فأحضره، وأخبره الخبر، فرفع رأسه إلى السماء، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك [محمد][٦]رسول الله حقًّا، والذى بعثك بالنبوة لا ازددت لأبى بكر إلا حبًّا، فقال رسول الله ﷺ: هنيئًا هنيئا »[٧].

الحديث الرابع والسبعون - أخرج ابن بشران وصاحب الفضائل عن على - رضى الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: ينادى مناد أين السابقون الأولون ؟ فيقال:

---

(١) أورده الطبري في الرياض النضرة (١/ ٢٠٦)، وأخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٠/ ٢٤٧) من حديث عبد الله بن أبي أوفى.

(٢) في ط: حاتم. والتصحيح من الرياض النضرة.

(٣) في الرياض: تبسمت.

(٤) في الرياض: لا يكتب الجواز.

(٥) أورده الطبري في الرياض (١/ ٢٠٧).

(٦) المثبت من الرياض.

(٧) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٧٥١) ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات (٥٧٨)، وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع والمتهم به العدوي فإنه كان يضع الحديث. وينظر اللآلئ (١/ ٢٩٢)، والتنزيه (١/ ٣٤٢-٣٤٣)، والفوائد (٣٣١-٣٣٢). وانظر: الرياض النضرة (١/ ٢٠٧).

من ؟ فيقول: أين أبو بكر الصديق ؟ فيتجلى الله لأبى بكر الصديق خاصة وللناس عامة[١].

الحديث الخامس والسبعون - أخرج أبو داود عن ابن عمر: كنا نقول ورسول الله ﷺ حيّ: أفضل أمته بعده أبو بكر ثم عمر، فيبلغ ذلك النبى ﷺ، فلا ينكره[٢]. وفى البخارى عن محمد ابن الحنفية: قلت لأبى - يعنى عليًا رضى الله عنه - أى الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ فقال: أبو بكر. قلت: ثم مَنْ ؟ قال: عمر - وخشيت أن يقول عثمان - قلت: ثم أنت. قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[٣]. قال ذلك فى تمكنه، وقوة ولايته على منبر الكوفة، وأبو بكر وعمر قد ماتا، فأى تقية تكون إذ ذاك، وأى طعم يبقى لها، وأى نتيجة فيها، وأى عقل لمدعيها ؟! .

الحديث السادس والسبعون - أخرج الطبرانى عن أسعد بن زرارة أن رسول الله ﷺ قال: إن روح القدس جبريل أخبرنى: أن خير أمتك بعدك أبو بكر[٤].

الحديث السابع والسبعون - أخرج ابن مهدى: والطبرانى عن سلمة بن الأكوع - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « أبو بكر خير الناس إلا أن يكون نبى »[٥].

الحديث الثامن والسبعون - أخرج الديلمى عن عائشة - رضى الله تعالى عنها- : أن رسول الله ﷺ قال: « أبو بكر منى، وأنا منه، وأبو بكر أخى فى الدنيا والآخرة »، رضى الله تعالى عنه[٦].

الحديث التاسع والسبعون - أخرج الديلمى عن سمرة: أن رسول الله ﷺ قال: « أُمرت أن أولى الرؤيا أبا بكر »[٧].

---

(١) ذكره السيوطي في اللآلئ (١/٢٨٨) وعزاه لابن بشران في الأمالي.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٢٨) من طريق الزهري عن سالم عن أبيه.
(٣) أخرجه البخاري (٣٦٧١).
(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٤٤٨) من طريق هارون بن موسى الفروي ثنا أبو غزية محمد بن موسى الأنصاري ثنا عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن أبيه عن جده. وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/٤٧): وفيه أبو غزية محمد بن موسى وهو ضعيف.
(٥) ذكره الهيثمي في «المجمع» (٩/٤٧) وقال: رواه الطبراني وفيه إسماعيل بن زياد وهو ضعيف.
(٦) ينظر: كنز العمال (٣٢٥٥٠)، والرياض النضرة (١/ ١٣١).
(٧) ينظر: المصدر السابق (٣٢٥٥٢).

الحديث الثمانون - أخرج الترمذى عن عائشة - رضى الله تعالى عنها -: أن النبى ﷺ قال: لأبى بكر: « أنت عتيق من النار »[(١)].

الحديث الحادى والثمانون - عن ابن عمر: أن النبى ﷺ قال لأبى بكر: « أنت صاحبى على الحوض، وصاحبى فى الغار »[(٢)].

الحديث الثانى والثمانون - أخرج أبو يعلى فى مسنده، وأبو سعيد، والحاكم وصححه، عن عائشة - رضى الله تعالى عنها - قالت: إنى لفى بيتى ذات يوم، ورسول الله ﷺ، وأصحابه فى الفِناء والستر بينى وبينهم، إذ أقبل أبو بكر، فقال - عليه الصلاة والسلام -: « من سره أن ينظر إلى عتيق من النار، فلينظر إلى أبى بكر »[(٣)] وأن اسمه الذى سماه به أهله عبد الله، فغلب عليه اسم عتيق.

الحديث الثالث والثمانون - أخرج الحاكم بسند جيد: أن عائشة قالت: جاء المشركون إلى أبى بكر، فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس ؟! قال أبو بكر: أو قال ذلك ؟ قالوا: نعم، فقال: لقد صدق. قالوا: فأنت تصدقه يا أبا بكر ؟! فقال: إنى لأصدقه بأبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء فى غدوة أو روحة[(٤)].

الحديث الرابع والثمانون - أخرج الطبرانى عن معاذ: أن رسول الله ﷺ قال: رأيت أنى وضعت فى كفة، فعدلتها، ثم وضع أبو بكر فى كفة وأمتى فى كفة، فعدلها[(٥)]. وللحديث بقية اقتصرت منها على محل الشاهد.

الحديث الخامس والثمانون - أخرج أحمد وأبو داود وابن ماجه والضياء عن سعيد بن زيد - رضى الله عنه - قال: « عشرة فى الجنة: أبو بكر فى الجنة... » الحديث[(٦)]. وله تتمة، ستأتى.

---

(١) تقدم تخريجه في صفته -رضي الله عنه-.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٧٠) من حديث ابن عمر وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٣) تقدم تخريجه في صفته -رضي الله عنه- .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٢-٦٣)، وذكره الطبري في الرياض النضرة في (ذكر اسمه الصديق).

(٥) ذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٦٨٩) وعزاه إلى الطبراني وابن عدي وابن عساكر.

(٦) أخرجه أحمد (١/ ١٨٨)، وأبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٥٧)، والنسائي في فضائل الصحابة (٥٣، ١٠٠، ١٠٦) وأبو يعلى (٩٧١)، وابن أبي عاصم (١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، =

الحديث السادس والثمانون - أخرج الترمذى عن على - رضى الله عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: « رحم الله أبا بكر، زوجنى ابنته، وحملنى إلى دار الهجرة، وأعتق بلالا من ماله، وما نفعنى مال ما نفعنى مال أبى بكر »[(١)].

قال العلامة ابن حجر: وقوله: « وحملنى إلى دار الهجرة » ينافيه حديث البخارى: أنه ﷺ لم يأخذ الراحلة التى هاجر عليها من أبى بكر إلا بالثمن[(٢)]، إلا أن يجمع بأنه أخذها منه أولا بالثمن، ثم أبرأ أبو بكر ذمته من الثمن. انتهى. قلت: تعليل أئمة الحديث امتناعه - عليه الصلاة والسلام - من الأخذ إلا بالثمن، يقصد أن تكون الهجرة تامة خالصة لله تعالى من سائر وجوهها، لا مشركية لمخلوق فيها، ولا منة - ينافى هذا الجمع، إذ بالإبراء تتحقق الشركة، والله تعالى أعلم.

الحديث السابع والثمانون - أخرج ابن عساكر عن المقداد قال: استب عقيل بن أبى طالب وأبو بكر، وكان أبو بكر نسابا، غير أنه تحرج من قرابة عقيل من النبى ﷺ؛ فأعرض عنه، وشكاه إلى النبى ﷺ، فقام - عليه الصلاة والسلام - على الناس، فقال: « ألا تدعوا لى صاحبى ؟! ما شأنكم وشأنه ؟! فوالله ما منكم رجل إلا على باب قلبه[(٣)] ظلمة، إلا باب[(٤)] أبى بكر فإن على بابه النور، ولقد قلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، وأمسكتم الأموال، وجاد لى بماله، وخذلتمونى، وواسانى واتبعنى »[(٥)].

الحديث الثامن والثمانون - أخرج البخارى عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « من جرّ ثوبه خُيَلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة »، فقال أبو بكر: يا رسول الله إن أحد شقى ثوبى يسترخى إلا أن أتعاهد ذلك منه، فقال - عليه الصلاة

= ١٤٣١)، والضياء المقدسي في المختارة (١٠٨٩، ١٠٩٠) من حديث سعيد بن زيد.

(١) أخرجه الترمذي (٣٧١٤) من طريق المختار بن نافع ثنا أبو حيان التيمي عن أبيه عن علي به وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه والمختار بن نافع شيخ بصري كثير الغرائب. وانظر: الرياض النضرة (١/٢٤٣)، وذكر وصفه ﷺ لكل واحد منهم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٠٥) من حديث عائشة.

(٣) في ط: بابه. والمثبت من الرياض النضرة.

(٤) في الرياض النضرة: قلب.

(٥) أورده الطبري في الرياض النضرة (٢/١٨)، ذكر مواساة النبي ﷺ.

والسلام -: « إنك لست تصنع ذلك خيلاء »(١).

الحديث التاسع والثمانون - أخرج ابن أبى حاتم عن عامر بن عبد الله بن الزبير: لما نزلت ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ [النساء: ٦٦]، قال أبو بكر يا رسول الله لو أمرتنى أن أقتل نفسى لفعلت، فقال ﷺ: « صدقت »(٢).

الحديث التسعون - أخرج ابن أبى حاتم، وأبو نعيم عن سعيد بن جبير قال: قرئت عند النبى ﷺ ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [الفجر: ٢٧]، فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن هذا لحسن، فقال - عليه الصلاة والسلام -: « أما إن الملك سيقولها لك عند الموت »(٣).

الحديث الحادى والتسعون - أخرج الطبرانى فى الكبير وابن شاهين فى السنة عن ابن عباس موصولا قال: « دخل رسول الله ﷺ غديرا، فقال: ليسبح كل رجل إلى صاحبه، فسبح كل رجل منهم إلى صاحبه حتى بقى رسول الله ﷺ وأبو بكر، فسبح رسول الله ﷺ إلى أبى بكر حتى اعتنقه »(٤).

الحديث الثانى والتسعون - أخرج ابن عساكر من طريق مجمع الأنصارى عن أبيه قال: إن كانت حلقة رسول الله ﷺ لتشبك حتى تصير كالأسوار، وإن مجلس أبى بكر منها لفارغ، لا يطمع فيه أحد من الناس، فإذا جاء أبو بكر جلس ذلك المجلس عن يمينه - عليه الصلاة والسلام -، وأقبل - عليه الصلاة والسلام - بوجهه، وألقى إليه حديثه، وسمع الناس. قلت: تأملها، فيا لها منقبة، حلت من يفاع المجد أعلى مرقبة.

الحديث الثالث والتسعون - أخرج ابن عساكر عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « حب أبى بكر وشكره واجب على كل أمتى ». وأخرج مثله من حديث سهل

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٥)، وأحمد (٢/ ٦٧، ١٣٦)، وأبو داود (٤٠٨٥)، والنسائي (٨/ ٢٠٨) من طريق موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٣٢٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٧٢١٣)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٨٤) عن سعيد بن جبير وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٨٨)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٢٦٠-٢٦١) رقم (١١٦٧٦) وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٤٧) وفيه من لم أعرفه.

ابن سعد[١].

الحديث الرابع والتسعون - أخرج ابن عساكر: أنه قيل لأبى بكر فى مجمع: هل شربت الخمر فى الجاهلية؟ فقال أعوذ بالله، فقيل له: ولم؟ قال: كنت أصون عرضى، وأحفظ مروءتى، فإن من شرب الخمر كان مضيعا عرضه ومروءته، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: « صدق أبو بكر، صدق أبو بكر »[٢].

الحديث الخامس والتسعون - أخرج الحاكم فى الكنى، وابن عدى فى الكامل، والخطيب فى تاريخه، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « أبو بكر وعمر خير الأولين والآخرين، وخير أهل السموات، وخير أهل الأرضين، إلا النبيين والمرسلين »[٣].

الحديث السادس والتسعون - أخرج الطبرانى عن أبى الدرداء: « اقتدوا باللذين من بعدى: أبى بكر، وعمر؛ فإنهما حبل الله الممدود، من تمسك به فقد تمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها »[٤].

الحديث السابع والتسعون - أخرج الترمذى عن أبى سعيد أن النبى ﷺ قال: ما من نبى إلا وله وزيران من أهل السماء، ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراى من أهل السماء: فجبريل، وميكائيل؛ وأما وزيراى من أهل الأرض: فأبو بكر، وعمر[٥].

الحديث الثامن والتسعون - أخرج أحمد والشيخان والنسائى عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « بينما راع فى غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منه شاة، فطلبه الراعى، فالتفت إليه الذئب، فقال: استنقذها منى فمن لها يوم السبع، يوم

(١) حديث أنس تقدم وينظر الحديث السبعون أما حديث سهل بن سعد أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٤٥٢) وقال الخطيب: تفرد به عمر بن إبراهيم الكردي وهو ذاهب الحديث وذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٥٩٣) وعزاه أيضًا إلى أبي نعيم في فضائل الصحابة والديلمي.

(٢) ذكره الطبري في الرياض النضرة (٢/ ١٤٦)، وعزاه للرازي.

(٣) أخرجه الخطيب (٥/ ٢٥٣)، وابن عدي في الكامل ومن طريقه ابن الجوزي في العلل (٣١١) وفيه جبرون بن واقد قال ابن عدي: هذا حديث منكر وأما جبرون فما يعرف.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٦٨٠) وقال: هذا حسن غريب وكذا عزاه له الطبري في الرياض النضرة (١/ ٣٣٥) في ذكر أنهما وزيراه.

لاراعى لها غيرى ؟ فقال الناس: سبحان الله، ذئب يتكلم!! فقال النبى ﷺ: فإنى أؤمن بذلك، وأبو بكر »[١].

الحديث التاسع والتسعون: أخرج أحمد والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه عن أبى سعيد والطبرانى عن جابر بن سمرة وابن عساكر عن ابن عمر: أن النبى ﷺ قال: « إن أهل الدرجات العلا ليراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الدرى فى أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم »[٢].

الحديث المائة - أخرج ابن عساكر عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال: « إن أهل عليين ليشرف واحدهم على الجنة، فيضئ وجهه لأهل الجنة كما يضيء القمر ليلة البدر، وإن أبا بكر وعمر منهم، وأنعما »[٣].

الحديث الحادى والمائة - أخرج الحاكم وصححه، والترمذى عن عبد الله بن حنطب أن رسول الله ﷺ رأى أبا بكر وعمر، فقال: « هذان السمع والبصر »[٤].

الحديث الثانى والمائة - أخرج أبو نعيم - فى الحلية - عن ابن عباس، والخطيب عن جابر، وأبو يعلى أن رسول الله ﷺ قال: « أبو بكر وعمر منى بمنزلة السمع والبصر من الرأس »[٥].

الحديث الثالث والمائة - أخرج الطبرانى عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « إن لكل نبى خاصة من أصحابة، وإن خاصتى من أصحابى أبو بكر

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٥-٢٤٦)، والبخاري (٣٤٧١)، ومسلم (٢٣٨٨)، والحميدي (١٠٥٤)، وابن حبان (٦٤٨٥)، من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٢٧، ٥٠، ٦١، ٧٢، ٩٣، ٩٨)، وعبد بن حميد (٨٨٧)، والحميدي (٧٥٥)، وأبو داود (٣٩٨٧)، والترمذي (٣٦٥٨)، وابن ماجة (٩٦) عن أبي سعيد وذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٦٥٠) وعزاه إلى الطبراني عن جابر بن سمرة وابن عساكر عن ابن عمر.

(٣) ذكره الطبري في الرياض النضرة (١/ ٣٢٨-٣٢٩) وذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٦٥١)، وعزاه إلى ابن عساكر.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٦٧١)، والحاكم (٣/ ٦٩)، وقال الترمذي: وهذا حديث مرسل وعبد الله بن حنطب لم يدرك النبي ﷺ وأخرجه أيضًا الباوردي وأبو نعيم في فضائل الصحابة وابن عساكر كما في الكنز (٣٢٦٥٥).

(٥) حديث ابن عباس: ذكر المناوي في «الفيض» (١/ ١٢٣): أن في سنده الوليد بن الفضل، قال ابن حبان يروي الموضوعات وقال الحاكم وأبو نعيم وأبو سعيد النقاش: روى عن =

وعمر »[1].

الحديث الرابع والمائة - أخرج ابن عساكر عن أبى ذر أن رسول الله ﷺ قال: « لكل نبى وزيران، ووزيراى وصاحباى: أبو بكر وعمر »[2].

الحديث الخامس والمائة - أخرج ابن عساكر عن على والزبير - رضى الله عنهما -: أن النبى ﷺ قال: « خير أمتى بعدى أبو بكر وعمر »[3].

الحديث السادس والمائة - أخرج الخطيب فى تاريخه أن رسول الله ﷺ قال: « سيد كهول أهل الجنة أبو بكر وعمر، وإن أبا بكر فى الجنة مثل الثريا فى السماء »[4].

الحديث السابع والمائة - أخرج ابن النجار[5] عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « ما قدمت أبا بكر وعمر، ولكن الله قدمهما »[6].

الحديث الثامن والمائة - أخرج ابن قانع عن الحجاج التيمى أن رسول الله ﷺ قال: « من رأيتموه يذكر أبا بكر وعمر بسوء؛ فإنما يزيل الإسلام »[7].

الحديث التاسع والمائة - أخرج ابن عساكر عن ابن مسعود: أن النبى ﷺ قال: « القائم بعدى فى الجنة، والذى يقوم بعده فى الجنة، والثالث، والرابع فى الجنة ».

الحديث العاشر والمائة - أخرج ابن عساكر عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: « أربعة لا يجتمع حبهم فى قلب منافق، ولا يحبهم إلا مؤمن: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى »[8].

= الكوفيين الموضوعات. حديث جابر: أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ٤٥٩-٤٦٠) من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر وسنده حسن.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٠٠٨) وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٥٥) وفيه عبد الرحيم بن حماد الثقفي وهو ضعيف. وذكره الطبري في الرياض النضرة (١/ ٣٣٦) وعزاه للملا في سيرته.

(٢) ذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٦٦٠) وعزاه إلى ابن عساكر عن أبي ذرٍّ.

(٣) ذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٦٦٣) وعزاه إلى ابن عساكر عن علي والزبير معًا.

(٤) أخرجه الخطيب (٥/ ٣٠٧، ٧/ ١١٩) وينظر كنز العمال (٣٢٦٦٤).

(٥) في ط: البخاري. وهو تحريف، والمثبت هو الصحيح.

(٦) ذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٧٠٦) وعزاه إلى ابن النجار عن أنس.

(٧) أخرجه ابن قانع في معجم الصحابة (٢٢١).

(٨) ذكره الهندي في الكنز (٣٣١٠٨) وعزاه إلى ابن عساكر عن أنس.

الحديث الحادى عشر والمائة - أخرج البخارى - فى تاريخه - والنسائى والحاكم عن أبى هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: « نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر » وعدد أشخاصًا ستة[١].

الحديث الثانى عشر ومائة - أخرج الترمذى عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار - وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر - فلا يرفع إليه أحد منهم بصره إلا أبو بكر وعمر؛ فإنهما كانا ينظران إليه، وينظر إليهما، ويتبسمان إليه، ويتبسم إليهما[٢].

الحديث الثالث عشر ومائة - أخرج الترمذى والحاكم عن ابن عمر والطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم، فدخل المسجد، وأبو بكر وعمر: أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، وهو آخذ بأيديهما، وقال: « هكذا نبعث يوم القيامة »[٣].

الحديث الرابع عشر ومائة - أخرج البزار عن أبى أروى الدوسى قال: كنت عند النبى ﷺ، فأقبل أبو بكر وعمر، فقال: « الحمد لله الذى أيدنى بكما »[٤].

الحديث الخامس عشر ومائة - أخرج عبد الله ابن الإمام أحمد عن أنس - مرفوعًا: أن رسول الله ﷺ قال: « إنى أرجو لأمتى - فى حبهم لأبى بكر وعمر - ما أرجو لهم فى قول لا إله إلا الله »[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ١٦٧) وفي الأدب المفرد (٣٣٧)، والترمذي (٣٧٩٥)، والنسائي في فضائل الصحابة (١٢٦، ١٣٩)، وأحمد (٢/ ٤١٩)، والحاكم (٣/ ٣٣٣)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٤٢) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٥٠)، والترمذي (٣٦٦٨)، وعبد بن حميد (١٢٩٨) من طريق الحكم بن عطية عن ثابت عن أنس.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٦٩)، والحاكم (٤/ ٢٨٠) من طريق سعيد بن مسلمة عن إسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر وقال الترمذي: وسعيد بن مسلمة ليس عندهم بالقوي وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بضعف مسلمة وأخرجه الطبراني في الأوسط (٨٢٥٨) من حديث أبي هريرة.

(٤) أخرجه البزار (٢٤٩٠) من حديث أبي أروى الدوسي وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٥٤-٥٥): رواه البزار والطبراني في الأوسط والكبير وفيه عاصم بن عمر بن حفص وثقه ابن حبان وقال: يخطئ ويخالف وضعفه الجمهور وبقية رجاله ثقات.

(٥) ذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٧٠٢) وعزاه للديلمي عن أنس.

الحديث السادس عشر ومائة - أخرجه أبو يعلى عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: « أتانى جبريل - آنفا - فقلت - يا جبريل، حدثنى بفضائل عمر، فقال: لو حدثتك بفضائل عمر مدة ما لبث نوح فى قومه - ما نفدت فضائله، وإنه لحسنة من حسنات أبى بكر »(١).

الحديث السابع عشر ومائة - أخرج أحمد عن عبد الرحمن بن غنم: أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر وعمر: « لو اجتمعتما فى مشورة ما خالفتكما »(٢).

الحديث الثامن عشر ومائة - أخرج الطبرانى عن سهل قال: لما قدم - عليه الصلاة والسلام - من حجة الوداع صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: « أيها الناس، إن أبا بكر لم يسؤنى قط، فاعرفوا له ذلك، أيها الناس، إنى راض عن أبى بكر »(٣).

الحديث التاسع عشر ومائة - أخرج ابن سعد عن بسطام بن مسلم قال: قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر: « لا يتأمّر عليكما أحد بعدى »(٤).

الحديث العشرون ومائة - أخرج ابن عساكر مرفوعًا: « حب أبى بكر وعمر إيمان، وبغضهما كفر »(٥).

الحديث الحادي والعشرون ومائة - أخرج ابن عساكر - أيضًا -: أن رسول الله ﷺ قال: « حب أبى بكر وعمر من السنة »(٦).

الحديث الثانى والعشرون ومائة - أخرج محمد بن يحيى فى الزهريات عن أبى ذر قال: هجّرتُ يوما من الأيام، فإذا النبى ﷺ قد خرج من بيته، فسألت عنه

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٣/ ١٧٩) رقم (١٦٠٣) وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٧١) رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط وفيه الوليد بن الفضل العنزي وهو ضعيف جدا.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٧).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ١٠٤-١٠٥) رقم (٥٦٤٠) وقال ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/ ٦٦٧): حديث منكر موضوع. وينظر الإصابة (٣/ ٢٠٥-٢٠٧) فقد أطال الكلام على هذا الحديث.

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ١٥٨) وانظر الرياض النضرة (١/ ٣٤٩) عن ابن عمر، نحوه.

(٥) ذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٧٠٣، ٣٢٧٠٤) وعزاه إلى ابن عساكر والديلمي عن جابر.

(٦) ينظر: الحديث السابق.

الخادم، فأخبرنى أنه ببيت عائشة، فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس، وكان حينئذ أرى أنه فى وحى، فسلمت عليه، فرد عليّ السلام، ثم قال: ما جاء بك ؟ قلت: الله ورسوله، فأمرنى بالجلوس، فجلست إلى جنبه لا أسأله عن شيء إلا ذكره لى، فمكث غير كثير، فجاء أبو بكر يمشى مسرعًا، فسلم، فرد عليه السلام، ثم قال: ما جاء بك ؟ قال: الله ورسوله، فأشار بيده إلى ربوة مقابل النبى ﷺ أن اجلس، فجلس، ثم جاء عمر، ثم جاء عثمان، فجلسا إلى جانب أبى بكر، ثم قبض عليه الصلاة والسلام سبع أو تسع حصيات، فسبحن حتى سمع لهن حنين كحنين النحل فى كف رسول الله ﷺ، ثم ناولهن أبا بكر، وجاوزنى، فسبحن فى كف أبى بكر، ثم أخذهن منه، فوضعهن فى الأرض، فخرسن، ثم ناولهن عمر فسبحن فى كفه، ثم أخذهن فوضعهن فى الأرض فخرسن، ثم ناولهن عثمان فسبحن فى كفه، ثم أخذهن فوضعهن فى الأرض فخرسن(١).

قال العلامة ابن حجر: تأمل سر إعطاء النبى ﷺ إياهن لأبى بكر من يده قبل وضعهن فى الأرض بخلافه فى عمر وعثمان، فعلم أن ذلك لمزيد قرب أبى بكر حتى صيّر يده ليست أجنبية من يد النبى ﷺ، فلم يفصل بينهما بزوال حبات تلك الحصيات، بخلافه فى عمر وعثمان.

الحديث الثالث والعشرون والمائة - أخرج الملا فى سيرته أنه ﷺ قال: « إن الله افترض عليكم حب أبى بكر وعمر وعثمان وعلى كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج، فمن أنكر فضلهم؛ فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج ».

الحديث الرابع والعشرون ومائة - أخرج الشيخان وأحمد وغيرهم عن أبى موسى الأشعرى: أنه خرج إلى المسجد، فسأل عن النبى ﷺ، فقالوا: وجه هاهنا، فخرجت فى أثره حتى دخل بئر أريس، فجلست عند الباب - وبابها من جريد - حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته، فتوضأ، فقمت إليه فإذا هو جالس على بئر أريس، وتوسط قفها، فجلست عند الباب، فقلت: لأكونن بوابًا للنبى ﷺ اليوم،

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٦/ ٦٤-٦٥) نحوه ونقله ابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ١٤٦) وعزاه للبيهقي.

فجاء أبو بكر فدق الباب، فقلت: من هذا ؟ قال: أبو بكر، فقلت: على رسلك، ثم ذهبت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: هذا أبو بكر يستأذن، فقال: ائذن له وبشره بالجنة، وهكذا حين جاء عمر، وهكذا حين جاء عثمان، وزاد بعد « بشره الجنة » قوله: « على بلوى تصيبه »(١).

الحديث الخامس والعشرون ومائة - أخرج الحافظ عمر بن محمد بن خضر الملا فى سيرته أن الشافعى - رضى الله تعالى عنه - روى بسنده: أنه ﷺ قال: « كنت أنا وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى أنوارًا على يمين العرش قبل أن يخلق الله آدم بألف عام، فلما خلق أسكنا ظهره، ولم نزل ننتقل فى الأصلاب الطاهرة حتى نقلنى الله إلى صلب عبد الله، ونقل أبا بكر إلى صلب أبى قحافة، ونقل عمر إلى صلب الخطاب، ونقل عثمان إلى صلب عفان، ونقل عليًا إلى صلب أبى طالب، ثم اختارهم لى أصحابًا، فجعل أبا بكر صديقًا، وعمر فاروقًا، وعثمان ذا النورين، وعليًا وصيًا، فمن سب أصحابى فقد سبنى، ومن سبنى فقد سب الله، ومن سب الله أكبه فى النار على منخريه »(٢).

الحديث السادس والعشرون ومائة - أخرج المحب الطبرى - فى الرياض النضرة: أنه ﷺ قال: « أخبرنى جبريل أن الله تعالى - لما خلق آدم، وأدخل الروح فى جسده أمرنى أن آخذ تفاحة من الجنة فأعصرها فى حلقه، فعصرتها فى فيه، فخلق الله من النقطة الأولى أنت [يا محمد](٣) ومن الثانية أبا بكر، ومن الثالثة عمر، ومن الرابعة عثمان، ومن الخامسة عليًا، فقال آدم: يا رب من هؤلاء الذين أكرمتهم ؟ فقال تعالى: هؤلاء خمسة أشياخ من ذريتك، وهم أكرم عندى من جميع خلقى ». قال العلامة ابن حجر: أى أنت أكرم الأنبياء والرسل، وهم أكرم أتباع الرسل، فلما عصى آدم ربه، قال: يا رب، بحرمة أولئك الأشياخ الخمسة الذين

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٤، ٣٦٩٣، ٣٦٩٥، ٦٢١٦، ٦٢٧٢) ومسلم (٢٤٠٣)، والترمذي (٣٧١٠)، وأحمد (٤/٤٠٦-٤٠٧) وفي فضائل الصحابة (٢٠٩)، وابن حبان (٦٩١١، ٦٩١٢) من حديث أبي موسى الأشعري.

(٢) ذكره المحب الطبري في الرياض (١/٢٤٨).

(٣) المثبت من الرياض.

فضلتهم إلا تبت عليّ، فتاب عليه[١].

الحديث السابع والعشرون ومائة - عن محمد بن كعب القرظى لما اشتكى أبو طالب شكواه التى مات فيها قالت له قريش: أرسل إلى ابن أخيك يرسل إليك من الجنة التى ذكرها ما يكون لك شفاء، فجاء رسوله إلى رسول الله ﷺ، وأبو بكر جالس معه، فقال: إن عمك يقول لك: إنى ضعيف سقيم، فأرسل إليّ من جنتك ما يكون شفاء، فقال أبو بكر: إن الله حرمها على الكافرين، فرجع الرسول فأخبرهم بمقالة أبى بكر، فحملوا عليه بأنفسهم، ثم أرسلوه فقال له النبى ﷺ مثل ما قال أبو بكر: « إن الله حرمها على الكافرين »[٢].

الحديث الثامن والعشرون ومائة - أخرج فى الفضائل - وقال حسن صحيح - عن عائشة رضى الله تعالى عنها - أن النبى ﷺ قال لحسان: لا تعجل، وَأْتِ أبا بكر فإنه أعلم قريش بأنسابها حتى يمحض لك نسبى.

الحديث التاسع والعشرون ومائة - عن ابن عمر: لما كانت الليلة التى ولد فيها أبو بكر الصديق أقبل ربكم على جنة عدن، فقال: وعزتى وجلالى لا أدخلك إلا من أحب هذا المولود[٣]. أخرجه الديلمى. قال فى بحر الأنساب، ونقله فى الرياض عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: حدثنى على بن أبى طالب من فيه قال: لما أمر الله - تبارك وتعالى - رسوله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب يدعوهم إلى الإسلام خرج وأنا معه وأبو بكر، فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - وكان مقدمًا فى كل خير، وكان رجلاً نسابة فتقدم[٤]، وقال: ممن القوم ؟ فقالوا: من ربيعة، فقال: أى ربيعة أنتم، من هامتها أم لهزمتها ؟ فقالوا بل من الهامة العظمى، فقال أبو بكر: وأى هامتها العظمى ؟ قالوا: من ذهل الأكبر، فقال: أفيكم عوف الذى يقال فيه: « لا

---

(١) ينظر: الرياض النضرة (١/ ٢٤٧، ٢٤٨).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٦٦)، عن أبي صالح نحوه، وعزاه لابن أبي شيبة وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الطبري في الرياض النضرة (١/ ١٥٥)، ذكر ما جاء في الترغيب في محبته، رضي الله عنه.

(٤) في الرياض: فسلم.

حر بوادى عوف ؟ » قالوا: لا. قال: أفيكم جساس بن مرة حامى الذمار، ومانع الجار ؟ قالوا: لا. قال: أفيكم بسطام بن قيس أبو اللواء ومنتهى[(١)] الأحياء ؟ قالوا: لا. قال: أفيكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها ؟ قالوا: لا. قال: أفيكم المزدلف صاحب العيافة والندوة[(٢)] ؟ قالوا: لا. قال: أفمنكم أخوال الملوك من كندة ؟ قالوا: لا. قال: أفمنكم أصهار الملوك من لخم ؟ قالوا: لا، قال أبو بكر: فلستم ذهل الأكبر، أنتم ذهل الأصغر، فقام إليه غلام من بنى شيبان حين بقل وجهه يقال له: « دغفل »، فقال: [من الرجز]

إِنَّ عَلَى سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهْ وَالعِبْءَ لاَ تَعْرِفُهُ أَوْ تَحْمِلُهْ

يا هذا، إنك قد سألتنا فأخبرناك، ولم نكتمك شيئًا من أمرنا، فمن الرجل ؟ فقال أبو بكر: من قريش، فقال الفتى: بخ بخ، أهل الشرف والرياسة، فمن أى القرشيين أنت ؟ قال: من ولد تيم بن مرة. قال الفتى: أمكنت - والله - من سواء الثغرة، أمنكم قصى الذى جمع القبائل من فهر، وكان يدعى فى قريش مجمعًا ؟ قال: لا، قال: أفمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه، وأهل[(٣)] مكة مسنتون عجاف ؟ قال: لا. قال: أفمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذى كان وجهه كالقمر فى الليلة الداجية ؟ قال: لا. قال: فمن أهل السقاية أنت ؟ قال: لا. قال: فمن أهل الإفاضة بالناس أنت ؟ قال: لا. قال: فمن أهل الحجابة أنت ؟ قال: لا. قال: فمن أهل الندوة أنت ؟ قال: لا. قال: فمن أهل الرفادة أنت ؟ قال: لا. فاجتذب أبو بكر زمام ناقته راجعًا إلى رسول الله ﷺ، فقال الغلام: [من الرجز]

صَادَفَ درُّ السَّيْلِ درًّا يَدْفَعُهْ يَهِيضُهُ طَوْرًا وطَوْرًا[(٤)] يَصْدَعُهْ

أما - والله - لو ثبت؛ لأخبرتك من أى قريش أنت. قال: فتبسم رسول الله ﷺ. قال على: فقلت: يا أبا بكر، لقد وقعت من الأعرابى على باقعة. قال: أجل، يا أبا

(١) في الرياض: ومنتمي.
(٢) في الرياض: العمامة الفردة.
(٣) في الرياض: ورجال.
(٤) في الرياض: حينا وحينا.

حسن، ما من طامة إلا وفوقها طامة، والبلاء موكل بالمنطق.

قال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليه السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر، وسلم، وقال: ممن القوم ؟ قالوا: من شيبان بن ثعلبة. فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ﷺ، وقال: بأبى أنت وأمى هؤلاء غرر الناس، وفيهم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك، وكان مفروق أدنى القوم مجلسًا، فقال أبو بكر: كيف المنعة فيكم ؟ فقال مفروق: علينا الجهد، ولكل قوم جهد[1]. قال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوّكم ؟ فقال: إنا لأشد ما نكون غضبا حين نلقى، وأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يديلنا مرة، ويديل علينا آخرى ثم التفت إلى رسول الله ﷺ، فقال: لعلك أخو قريش ؟ قال أبو بكر: لقد بلغكم أنه رسول الله ﷺ ألا هو ذا. فقال مفروق: بلغنا أنه يذكر ذلك، فإلام تدعونا يا أخا قريش ؟ فتقدم رسول الله ﷺ، وجلس، فقام أبو بكر يظله بثوبه، فقال رسول الله ﷺ: [أدعوكم][2]إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وإلى أن تعزّرونى[3] وتنصرونى، فإن قريشًا قد ظاهرت على أمر الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغنى الحميد، فقال مفروق بن عمرو: وإلام تدعونا يا أخا قريش ؟ فوالله ما سمعت كلامًا أحسن من هذا، فتلا رسول الله ﷺ ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ . . . ﴾ إلى قوله ﴿ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣]، فقال مفروق: وإلام تدعونا يا أخا قريش ؟ قال: فتلا رسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل: ٩] الآية. قال مفروق: دعوت - والله - يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذّبوك وظاهروا [عليك]. وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام هانئ بن قبيصة، فقال: وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا، فقال هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وإنى أرى أن تركنا ديننا واتباعك [على دينك]؛

(١) في الرياض: حد.
(٢) المثبت من الرياض.
(٣) في الرياض: تئووني.

لمجلس جلسنا إليك ليس له أول ولا آخر - زلة فى الرأى، وقلة نظر فى العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدًا، ولكن ترجع ونرجع، وتنظر وننظر. وكأنه أحب أن يشرك المثنى بن حارثة، فقال: وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا، فقال المثنى بن حارثة: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب فيها جواب هانئ بن قبيصة فى تركنا ديننا، ومتابعتك على دينك، وإنا نزلنا بين صريين اليمامة والسماوة، فقال رسول الله ﷺ ما هذان الصريان ؟ فقال: أنهار كسرى، ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى، فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول، وإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا ألا نحدث حدثًا، ولا نؤوى محدثًا، وإنى أرى هذا الأمر الذى تدعونا إليه يا أخا قريش، مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤويك مما يلى مياه العرب فعلنا، فقال رسول الله ﷺ: ما أسأتم فى الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله لم ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا(١) إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه ؟ قال النعمان بن شريك: اللهم، فلك ذلك. فتلا رسول الله ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦] ثم نهض رسول الله ﷺ قابضًا على يد أبى بكر، وهو يقول: « أية أخلاق فى الجاهلية ما أشرفها ! بها يدفع الله بأس(٢) بعضهم عن بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم ».

قال فدفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله ﷺ. قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ، وقد سُرّ بما كان من أبى بكر ومعرفته بأنسابهم(٣).

هذا ما ظفرت به من الأحاديث الخاصة به، وأما ما ورد مشتركًا بينه وبين عمر رضى الله تعالى عنهما، أو مع الثلاثة، أو مع الأربعة، أو مع العشرة - فشيء كثير لم أورد منه إلا شيئًا، وما ورد فى الثناء عليه من الصحابة، والسلف الصالح من الآثار والمناقب من: زهده، وتقواه وورعه، وهداه، وحياطته للدين، والقيام بأمر

---

(١) في ط: إن لبثتم.
(٢) في ط: ما شاء. والمثبت من الرياض.
(٣) ينظر: الرياض النضرة (١/ ١٥٣-١٥٧).

المسلمين، ومصالحهم، والشفقة على الأمة، والنصح لها، واقتفاء ما كان عليه رسول الله ﷺ بحضرة النبى ﷺ وسماعه لتلك وفى غير حضرته، لم أورد منه شيئًا أصلاً، وإلا لاستوعب الكتاب أجمع.

ولما اشتهرت وفاة النبى ﷺ بالنواحى ارتدت طوائف من العرب عن الإسلام، ومنعوا الزكاة، فخرج أبو بكر فى المهاجرين والأنصار، فقال له عمر: ألِّف الناس، وارفق بهم، فقال له أبو بكر: أجبّار فى الجاهلية، وخوّار فى الإسلام ؟! إنه قد انقطع الوحى، وتم الدين، أينقص وأنا حى ؟! ثم خرج لقتالهم حتى بلغ نقعاء بحذاء نجد، وهربت الأعراب بذراريهم، فكلم الناس أبا بكر، وقالوا: ارجع إلى المدينة، وأمِّر على الجيش رجلاً، فما زالوا به حتى رجع، وبعث خالدًا، وأمره أن يقاتل الناس على خمس، من ترك واحدة منهن قاتله كما يقاتل من ترك الخمس جميعًا: على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج إلى البيت من استطاع إليه سبيلاً.

وأمر على الأنصار خاصة ثابت بن قيس بن شماس، وأمر خالدًا أن يصمد لقتال طليحة الأسدى، فسار وعدة من معه ألفان وسبعمائة إلى ثلاثة آلاف، ووجه عكاشة ابن محصن الأسدى، وثابت بن أقرم الأنصارى إلى طليحة، فانتهيا إلى قطن، فصادفا به ابنا لطليحة متوجهًا إلى أبيه بثقله، فقتلاه، وأخذا ماله، فساق وراءهم طليحة - بعد أن علم بما فعلاه - هو وأخوه سلمة، فقتلا عكاشة وثابتا، فسار خالد فقاتل طليحة، فهزمه الله تعالى، وكان طليحة بطلاً شديد البأس فى القتال، وقال طليحة فى قتله عكاشة، وثابت بن أقرم: [من الطويل]

فَمَا ظَنُّكُم بِالقَوْمِ إِذْ تَقْتُلُونَهُمْ ... أَلَيْسُوا وَإِنْ لم يُسْلِمُوا بِرِجَالِ
أَقمْتُ لَهُمْ صَدْرَ الحِمَالَةِ إِنَّهَا ... مُعَوَّدَةٌ قَتْلَ الكُمَاةِ نِزَالِ
فَيوْمًا تَرَاهَا فى الجِلَالِ مَصُونَةً ... وَيَوْمًا تَرَاهَا غَيْرَ ذاتِ جِلَالِ[1]
فَإِنْ يَكُ أَوْلَادٌ أُصِبْنَ وَنِسْوَةٌ ... فَلَنْ تَذْهَبُوا[2] فَرغًا بِقَتْلِ حِبَالِ

---

(١) رواية الشطر الثاني:
... ... ويومًا تراها في ظلال عوالي

(٢) في البداية والنهاية: فلم يذهبوا.

عَشِيَّةَ غَادَرْتُ ابنَ أَقْوَمَ ثَاوِيًا وَعُكَّاشَةَ الغَنْمِيَّ عِنْدَ مَجَالِى[(١)]

وكان من شأن طليحة أنه تنبأ على عهد رسول الله ﷺ وكان يقول: إن ذا النون يأتيه، فقال ﷺ: لقد ذكر ملكًا عظيمًا، فلما كان زمن أبى بكر فيمن ارتد، فبعث أبو بكر رضى الله تعالى عنه خالد بن الوليد إليه، فلما انتهى إلى عسكره، ووجده قد ضربت له قبة من أدم وأصحابه حوله، فقال خالد: ليخرج إليَّ طليحة، فقالوا لا تصغر نبينا، هو طلحة، فخرج إليه، فقال له خالد: إن من عهد خليفتنا أن يدعوك إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، فقال: يا خالد أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله.

فلما سمع خالد ذلك انصرف عنه، وعسكر بالقرب منه على ميل، فقال عيينة بن حصن لطليحة: لا أبا لك، هل أنت مرينا بعض نبوتك؟ قال: نعم. وكان قد بعث عيونًا له حين سار خالد من المدينة مقبلاً إليهم فعرفوا خبر خالد، فقال: لئن بعثتم فارسين على فرسين أغرين محجلين [من بنى نصر بن قعين][(٢)] أتوكم من القوم بعين، فهيئوا له فارسين فبعثوهما، فخرجا يركضان، فلقيا عينا لخالد مقبلا إليهم، فقالا: ما خبر خالد ؟ وقالا: ما وراءك ؟ قال: هذا خالد بن الوليد فى المسلمين قد أقبل، فزادهم فتنة وقال: ألم أقل لكم ؟! فلما كان السحر نهض خالد إلى طليحة فيمن معه من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما التقى الجمعان[(٣)] تزمل طليحة فى كساء له زاعمًا انتظار الوحى، فلما طال ذلك على أصحابه، وألح عليهم المسلمون بالسيف - قال له عيينة بن حصن: هل أتاك بعد ؟ فقال من تحت الكساء: لا، والله ما جاء بعدُ، فقال له عيينة: تبا لك آخر الدهر! ثم جذبه [جذبة] جلس[(٤)] منها، وقال: قبح الله هذه من نبوة، فجلس طليحة، ثم قال له عيينة: ما قيل لك ؟ قال: قيل لى إن لك [مرجى كمرجاه][(٥)]، وأمرًا لا تنساه. فقال له عيينة: أظن قد علم الله - تعالى - أن سيكون لك أمر لا تنساه، هذا كذاب، ما بورك لنا ولا له فيما

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٧٩)، والبداية والنهاية (٦/ ٣٤٩).
(٢) المثبت من المحاسن والمساوئ.
(٣) في المحاسن والمساوئ: الصفان.
(٤) في المحاسن والمساوئ: جاش.
(٥) في المحاسن والمساوئ: رحى كرحاه.

نطلب[١]، ثم هرب عيينة وأخوه، فأدركوه وأسروه، وأفلت أخوه، وهرب طليحة منهزمًا، وأسلمه شيطانه حتى قدم الشام فأقام عند بنى حنيفة[٢] الغسانيين حتى فتح الله - تعالى - أجنادين، وتوفى أبو بكر - رضى الله عنه تعالى كذا فى المحاسن والمساوى - ثم أسلم طليحة، وحسن إسلامه[٣].

قال ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة قال: لما سار خالد - وكان سيفًا من سيوف الله ورسوله - فأسرع المسير حتى نزل ببزاخة، وجمع له هناك العدو بنو أسد وغطفان، فاقتتلوا حتى قتل من العدو خلقًا كثيرًا، وأسر منهم أسارى، فأمر خالد بالحضر أن تبنى ثم أوقد فيها النيران، وألقى الأسارى فيها، وقتل فى ذلك الوجه مالك بن نويرة التميمى.

قال ابن إسحاق: أتى خالد بن الوليد - رضى الله عنه - لمالك بن نويرة فى رهط من قومه بنى حنظلة، فضرب أعناقهم، وسار فى أرض بنى تميم، فلما غشوا قومًا منها أخذوا السلاح وقالوا نحن مسلمون، فقيل لهم: ضعوا السلاح فوضعوه، ثم صلى المسلمون فصلوا، فروى سالم بن عبد الله عن أبيه قال: قدم أبو قتادة الأنصارى على أبى بكر فأخبره بقتل مالك بن نويرة وأصحابه، فجزع لذلك، ثم ودى مالكًا ورد السبى والمال.

وهو مالك بن نويرة بن شداد اليربوعى التميمى فارس ذى الخمار، وذو الخمار فرسه. كان فارسًا شجاعًا مطاعًا فى قومه، وفيه خُيلاء، كان يقال له: « الجفول » لكثرة سفره، وكان من فرسان العرب وشجعانهم، وذوى الرأى والردافة فى الجاهلية، وكانت لبنى يربوع أيام آل المنذر، ومعنى الردف: أن يجلس مجلس الملك إذا غاب، وعن يمينه إذا جلس، فإذا شرب الملك شرب الردف بعده، وللردف إتاوة تؤخذ مع إتاوة الملك، وفى ذلك يقول راجزهم:

وَمَنْ يُنَافِرْ آلَ يَرْبوعٍ يَجِدْ ... ألمَجْلِسَ الأَيْمَنَ وَالرِّدَفَ النَّجدْ

قدم على النبى ﷺ فولاه صدقة قومه بنى يربوع ثم ارتد، فلما نازله خالد بعد

---

(١) في المحاسن والمساوئ: تطالب.
(٢) في المحاسن والمساوئ: بني جفنة.
(٣) ينظر: المحاسن والمساوئ (٣٠-٣١).

وفاته - عليه الصلاة والسلام - قال: أنا آتى بالصلاة دون الزكاة. فقال له: أعلمت أن الصلاة والزكاة معًا لا تقبل واحدة دون الأخرى ؟ فقال: قد كان صاحبك يقول ذلك ؟ قال خالد: وما تراه لك صاحبًا ؟ ولقد هممت أن أضرب عنقك، ثم تجاوز طويلاً فصمم خالد على قتله، فكلمه أبو قتادة الأنصارى وابن عمر، فكره كلامهما، وقال لضرار بن الأزور: اضرب عنقه، فجاءت امرأته ليلى بنت سنان، كاشفة وجهها - فألقت نفسها عليه، فالتفت مالك إلى زوجته وقال: أنت التى قتلتينى، وكانت فى غاية الجمال، قال خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام، فقال: أنا على الإسلام. قال: اضرب عنقه؛ فضرب عنقه، وجعل رأسه إحدى أثافى القدر، وطبخ فيها طعام. فقالت امرأة من قومه حين رأته: اصرفوا وجه مالك عن النار، فوالله لقد كان حديد الطرف فى الغارات، غضيض الطرف عن الجارات، لا يشبع ليلة يضاف، ولا ينام ليلة يخاف، ثم تزوج خالد بالمرأة، فقال أبو زهير السعدى من أبيات: [من الطويل]

قَضَىٰ خالدٌ بَغْيًا عَلَيْهِ لِعِرْسِهِ وَكَانَ لَهُ فِيهَا هَوًى قَبْلَ ذَلِكَ

ويذكر أن أخا مالك بن نويرة - متمم بن نويرة - قدم المدينة، فأنشد أبا بكر مندبة ندب بها أخاه، وناشده فى دم أخيه، منها قوله مخاطبًا لضرار بن الأزور: [من الكامل]

نِعْمَ القَتِيلُ إِذَا الرِّيَاحُ تَنَوَّحَتْ خَلْفَ البُيُوتِ قَتَلْتَ يَابْنَ الأَزْوَرِ

ثم توجه إلى أبى بكر فقال: [من الكامل]

وَدَعَـوْتَـهُ بِـالله ثُـمَّ غَـدَرْتَـهُ لَو هُوْ دَعَاكَ بِذِمَّة لَـمْ يَغْدِرِ

فقال أبو بكر: والله ما دعوته، ولا غدرته، فقال أخوه متمم بقية أبياته المشهورة، وانحط على فرسه وكان أعور، فما زال يبكى حتى دمعت عينه العوراء، فقام إليه عمر بن الخطاب، فقال: وددت لو رثيت أخى زيدًا بمثل ما رثيت به أخاك، فقال متمم: والله لو علمت أن أخى صار إلى ما صار إليه أخوك لم أرثه، ولم أحزن عليه - يعنى الجنة - قلت: وهذا الجواب من متمم يؤيد صحة الرواية بارتداده، وقال له عمر - رضى الله تعالى عنه - يومًا: حدثنا عن أخيك، فقال: أسرت مرة فى حى عظيم من أحياء العرب، فأقبل أخى مالك، فما هو إلا أن طلع على

الحاضرة، فما كان أحد قاعدًا إلا قام، ولا بقيت امرأة إلا تطلعت من خلال البيوت، فما نزل عن جمله حتى تلقوه بى فى رمتى. قلت: الرمة - بضم الراء وشد الميم: الخطام من الليف، أطلقت ههنا على الحبل الذى ربط به، فقال عمر - رضى الله عنه -: إن هذا لهو الشرف ومن شعر مالك قوله: [من الكامل]

ولقَدْ عَلِمْتُ ولا مَحَالَةَ أنَّنِى لِلْحَادِثَاتِ، فَهَل تَرَيْنى أَجْزَعُ ؟!
أفْنَيْنَ عادًا ثُمَّ آلَ مُحَرِّقٍ فَتَرَكْنَهُمْ بَدَدًا ومَا قَدْ جمعُوا
وعَددتُ أيَّامِى إلىٰ عِرْق الثَّرَى ودَعَوتُهُمْ فعلمتُ أنْ لَمْ يسمَعُوا
ذَهبُوا فَلَمْ أدركْهُمُ، ودهَتْهُمُ غَوْلُ اللَّيالِى والطَّريقُ المَهْيَعُ

ومنه قوله: [من الطويل]

وقَالُوا لِى اسْتَأْسِر فَإنَّكَ آمِنٌ فَقُلتُ إنِ اسْتَأْسَرتُ إنِّى لخائِنُ
عَلامَ تَرَكْتُ المشْرَفِىَّ مضَاجِعي ومطردًا فيه المنَايَا كَوامِنُ
فإنْ تَقْتلونى بَعْدَ ذاك فَإننى أَمُوتُ بمقْدَارٍ وَتبْقَى الضَّغَائِنُ

ثم كلمه فى السبى والمال فرد إليه أبو بكر السبى والمال. وله مندبة أخرى يقول فيها: [من الطويل]

وَكُنَّا كَنَدْمَانى جُذيْمَةَ حقْبَةً مِنَ الدَّهْرِ حتَّى قيل لَنْ يَتَصَدَّعَا
فَلَمَّا تَفَرَّقنَا كَأَنِّى وَمَالِكًا لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلةً مَعَا(١)

ذكر أولاده رضى الله تعالى عنه

كان له ستة: ثلاثة بنين، وثلاث بنات، أما البنون: فعبد الله أكبر أولاده الذكور، أمه قتيلة - بالتصغير، وقيل بالتكبير - من بنى عامر بن لؤى، شهد فتح مكة وحنينا والطائف مع النبى ﷺ مسلمًا، وجرح بالطائف، وبقى إلى خلافة أبيه، ومات فيها، رماه فى وقعته بسهم أبو محجن الثقفى، فبرئ منه ثم انتقض عليه الجرح فمات به، وترك سبعة دنانير فاستكثرها أبوه أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - ولم يعقب.

والثانى - عبد الرحمن بن أبى بكر، يكنى أبا عبد الله، أسلم فى هدنة الحديبية، وهاجر إلى المدينة، وكتب للنبى ﷺ، وكان من الشجعان. له مواقف فى الجاهلية والإسلام مشهورة، وأبلى فى فتوح الشام بلاء حسنا، وكان ممن شهد بدرًا مع

(١) تنظر القصة في البداية والنهاية (٦/ ٣٥٤-٣٥٥) وفيه بعض الشعر.

المشركين، ثم من الله تعالى عليه بما من على أمه: أم رومان بنت الحارث من بنى فراس بن غنم بن كنانة، أسلمت وهاجرت. مات فجأة سنة ثلاث وخمسين بعد وفاة معاوية قبل أن تتم البيعة ليزيد، بجبل قرب مكة، فأدخلته أخته شقيقته عائشة الحرم، ودفنته، وأعتقت عنه، وكان شهد الجمل معها، وله عقب. مروياته ثمانية أحاديث.

ومحمد بن أبى بكر، ويكنى أبا القاسم كان من نساك قريش، أمه: أسماء بنت عميس الخثعمية وكانت من المهاجرين الأولين، وكانت تحت جعفر بن أبى طالب، وهاجرت معه إلى الحبشة، ولما استشهد جعفر بمؤته من أرض الشام تزوجها أبو بكر - رضى الله عنه - فولدت له محمدًا بذى الحليفة، لخمس بقين من ذى القعدة سنة عشر من الهجرة، ولما توفى أبو بكر - رضى الله تعالى عنه وعنها - تزوجها على بن أبى طالب، ونشأ محمد بن أبى بكر هذا فى حجر على - رضى الله تعالى عنه - وكان على راحلة على - رضى الله عنه - يوم الجمل، وشهد معه صفين، وولاه عثمان فى أيامه مصر وكتب له العهد، ثم اتفق مقتله - يعنى عثمان - قبل وصوله - يعنى محمدا - إليها، وولاه على - كرم الله وجهه - مصر بعد رجوعه من صفين فوقع بينه وبين عمرو بن العاص حرب، فهزم محمد بن أبى بكر وقتل، وأكثر المؤرخين على أنه أحرق فى جوف حمار ميت، يقال: كان ذلك قبل قتله، وقيل: بعد القتل.

وأما البنات: فعائشة أم المؤمنين شقيقة عبد الرحمن، وقد تقدم ذكرها فى زوجاته عليه الصلاة والسلام.

وأسماء بنت أبى بكر، شقيقة عبد الله، وهى أكبر بناته، وهى ذات النطاقين - وتقدم ذكر سبب تسميتها بذلك عند ذكر الهجرة تزوجها الزبير بمكة، وولدت له عدة أولاد: المنذر، وعروة أحد الفقهاء السبعة، والمهاجر، وعبد الله، وخديجة، وأم الخير، وعائشة، ثم طلقها، فكانت مع ولدها عبد الله حتى قتل، وعاشت بعده خمسة أيام، وكانت من المُعَمَّرين، بلغ عمرها مائة سنة وعميت، وكان موتها بمكة، وسيأتى لها مزيد ذكر عند خلافة ابنها عبد الله بن الزبير.

وأم كلثوم، وهى أصغر بناته - رضى الله تعالى عنها - وهى التى تركها أبو بكر فى بطن بنت خارجة، كان أبو بكر قد نزل عليه، وتزوج ابنته، وتوفى عنها وتركها

حبلى فولدت بعده أم كلثوم، فاحتالت له حتى أمسك عنها، فتزوجها طلحة بن عبيد الله[١]. ذكر هذا ابن قتيبة وغيره، وابن عبد البر فى الاستيعاب، وابن الجوزى فى الصفوة.

ذكر وفاته رضى الله تعالى عنه

قال فى الرياض: قال أهل السير توفى أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، وذكره فى الصفوة العلامة ابن الجوزى، وقال فى الخميس: قال ابن إسحاق: توفى يوم الجمعة لتسع بقين من الشهر المذكور، وذكره أبو عمرو، والأول أصح لما روت عائشة قالت: لما ثقل أبو بكر قال: أى يوم هذا ؟ قلنا: يوم الاثنين. قال: وأى يوم قبض رسول الله ﷺ ؟ قال: يوم الاثنين. قال: فإنى أرجو فيما بينى وبين الليل، فإن مت فى ليلتى، فلا تنتظروا بى الغد، فإن أحب الأيام والليالى إليّ أقربها من رسول الله ﷺ. خرجه الإمام أحمد بسنده. كذا فى الرياض[٢].

قال: وكان عليه ثوب فيه ردْغ من زعفران، أو مِشق - بكسر الميم وسكون الشين المعجمة -: وهى المغرة. قال: فإذا أنا مت، فاغسلوا لى ثوبى هذا، وضموا إليه ثوبين جديدين، وكفنونى فى ثلاثة أثواب. قالوا: ألا نجعلها كلها جددًا ؟ قال: إنما هى للمهلة[٣]، وهى بضم الميم وقال بعضهم بكسرها الصديد والقيح، وحكى بعض العراقيين فيها الفتح.

ولما مات - رضى الله تعالى عنه - غسلته زوجته أسماء بنت عميس بوصية منه، وصب عليها الماء ابنه عبد الرحمن، ولما كفن حمل على السرير الذى كان ينام عليه رسول الله ﷺ، وهو سرير عائشة من خشب الساج منسوج بالليف، وبيع فى ميراث عائشة، فاشتراه رجل من موالى معاوية بأربعة آلاف درهم، فجعله للناس يحملون عليه موتاهم بالمدينة، وصلى عليه عمر بن الخطاب فى مسجد رسول الله ﷺ تجاه المنبر، وكبر أربعًا، ودفن إلى جنب قبر النبى ﷺ، وألصق لحده بلحده، ونزل فى

---

(١) ينظر: الرياض النضرة (٢/ ٢٥٥-٢٥٨).

(٢) ينظر: الرياض النضرة (٢/ ٢٣٩)، وصفة الصفوة (١/ ١٣٨-١٣٩) وأخرجه أحمد (٦/ ٤٥)، وهو عند البخاري رقم (١٣٢١).

(٣) ينظر: الرياض (٢/ ٢٤٠).

قبره عمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن أبى بكر، ودفن ليلاً، وكان آخر ما تكلم به رضى الله عنه: ربِّ توفنى مسلمًا وألحقنى بالصالحين(١).

وروى الليث بن سعد عن علوان عن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن ابن عوف عن أبيه قال: دخلت على أبى بكر أعوده فى مرضه، فسلمت عليه، وسألته كيف أصبحت ؟ فقال: بحمد الله بارئًا، أما إنى على ما ترى وجع، وجعلتم لى شغلاً مع وجعى، جعلت لكم عهدًا بعدى، واخترت لكم أحبكم لنفسى، فكلكم وَرِمَ لذلك أنفه رجاء أن يكون الأمر له ثم قال: أما إنى لا آسى على شيء إلا على ثلاث فعلتهن، وثلاث لم أفعلهن، وثلاث وددت أنى سألت رسول الله ﷺ عنهن: وددت أنى لم أكن كشفت بيت فاطمة، وتركته وإن أغلق على الحزب، ووددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة قذفت الأمر فى عنق عمر وأبى عبيدة، ووددت أنى لما كنت وجهت خالد بن الوليد إلى أهل الردة، أقمت بذى القصة فإن ظفر المسلمون وإلا كنت لهم مددًا وردءًا؛ ووددت أنى يوم أتيت بالأشعث أسيرًا ضربت عنقه، فإنه يخيل إلى أنه لا يكون شر إلا طار إليه؛ ووددت أنى يوم أتيت بالعجاج الأسلمى لم أكن حرقته، وقبلته، وأطلقته، ووددت أنى حيث وجهت خالد بن الوليد إلى الشام، وجهت عمر إلى العراق، فأكون قد بسطت يمينى وشمالى فى سبيل الله؛ ووددت أنى سألت رسول الله ﷺ فيمن هذا الأمر، ولا ننازعه أهله، وأنى سألته: هل للأنصار فى هذا الأمر شيء ؟ وأنى سألته عن العمة وبنت الأخ، فإن فى نفسى منهما حاجة. رواه هكذا - أو أطول من هذا - ابن وهب عن الليث بن سعد إلى عبد الرحمن بن عوف.

وروى القاسم عن عائشة أن أبا بكر حين حضره الموت قال: إنى لا أعلم عند آل أبى بكر غير هذه اللقحة، وغير هذا الغلام الصيقل، وكان يعمل سيوف المسلمين ويخدمنا، فإذا مت فادفعيهما إلى عمر. قال: فلما دفعتهما قال عمر: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده(٢).

حكى ابن عمر قال: كان سبب موت أبى بكر - رضى الله تعالى عنه - كمدا

---

(١) ينظر: الرياض النضرة (٢/ ٢٤١) وهناك زيادة، وصفة الصفوة (١/ ١٣٩).
(٢) ينظر: الطبقات الكبرى (٣/ ١٤٣).

على موت النبى ﷺ ما زال يذيبه حتى مات. والكمد: الحزن المكتوم.

وعن عائشة - رضى الله عنها - كان أول مرضه أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الأخرى، وكان يومًا باردًا فحم خمسة عشر يومًا، لا يخرج إلى الصلاة، وكان يأمر عمر بن الخطاب يصلى بالناس[(١)]، فدخل عليه الناس؛ يعودونه، وكانت عائشة لما ثقل تتمثل بقول الشاعر: [من الطويل]

أعاذِلُ ما يُغْنِى الحذَارُ عَنِ الفَتَىٰ ... إِذَا حَشْرَجَتْ يَومًا وضَاقَ بَها الصَّدْرُ

فقال لها أبو بكر: لا تقولى هذا، ولكن قولى ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق:١٩] ثم إنها تمثلت بقول أبى طالب: [من الطويل]

وأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوجْهِهِ ... ثِمَالِ اليَتَامَىٰ عِصْمَةٍ لِلأَرَامِلِ

فقال لها: ذاك رسول الله ﷺ.

وقال الناس له لما دخلوا عليه، يعودونه: ألا ندعو لك طبيبًا، ينظر إليك ؟ فقال: قد نظر إلى، فقالوا: ما قال لك ؟ قال: قال لى إنى فعال لما أريد[(٢)].

قال الواقدى: توفى - رضى الله تعالى عنه - ليلة الثلاثاء، لثمان بقين من جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة، أسلم وهو ابن سبع وثلاثين، وعاش فى الإسلام ستًّا وعشرين سنة، ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر واثنتا عشرة ليلة، من متوفى رسول الله ﷺ، وأوصى أن يدفن إلى جانب رسول الله ﷺ كما تقدم ذكر ذلك[(٣)].

قال جابر بن عبد الله الأنصارى: فانطلقنا، ودفعنا الباب، وقلنا: هذا أبو بكر. ففتح الباب، ولم ندر من فتحه لنا، وليس فى البيت أحد، وقال: ادخلوا فادفنوه، ولا نرى شخصًا. قال فى « شواهد النبوة » سمعوا صوتًا يقول: ادفنوا الحبيب إلى حبيبه.

ولما توفى أبو بكر كان أبوه حيًا بمكة، وعاش بعده ستة أشهر وأيامًا.

مروياته فى كتب الحديث: مائتان واثنان وأربعون حديثًا. رضى الله تعالى عنه، وأرضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه، ونفعنا به، آمين.

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري (٣/ ٤١٩)، المنتظم (٤/ ١٢٩)، سبل الهدى (١١/ ٢٦٠).
(٢) تنظر هذه الروايات في الطبقات الكبرى (٣/ ١٤٨- ١٤٩)، وسبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٦٠-٢٦١)، والمنتظم (٤/ ١٢٨ -١٣٠).
(٣) ينظر: الطبقات الكبرى (٣/ ١٥١).

خلافة أمير المؤمنين: عمر الفاروق رضى الله عنه

أخرج الواقدى من طرق: أن أبا بكر - رضى الله عنه - لما ثقل دعا عبد الرحمن ابن عوف، فقال: أخبرنى عن عمر بن الخطاب، فقال: ما تسألنى عن أمر إلا وأنت أعلم به منى، فقال أبو بكر: وإنْ، فقال عبد الرحمن بن عوف: هو والله - أفضل من رأيك فيه.

ثم دعا عثمان بن عفان، فقال: أخبرنى عن عمر بن الخطاب، فقال: أنت أخبرنا به، فقال: وإنْ، فقال: اللهم علمى به: أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله.

وشاور معهما سعيد بن زيد، وأسيد بن الحضير، وغيرهما من المهاجرين والأنصار، فقال أسيد: اللهم أعلمه الخيرة بعدك، يرضى للرضا ويسخط للسخط، الذى يسره خير من الذى يعلن، ولن يلى هذا الأمر أحد أقوى عليه منه، ثم دخل عليه بعض الصحابة، فقال قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن تولية عمر علينا، فقد ترى غلظته ؟ فقال أبو بكر: أجلسونى، فأجلس، فقال أبالله تخوفنى ؟! خاب من يَزَوَّد من أمركم بظلم !! أقول: اللهم إنى استخلفت عليهم خير أهلك، أبلغ عنى من وراءك ما قلت.

ثم دعا عثمان فقال اكتب:

« بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجًا منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها، حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب، إنى قد استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا وإنى لم آل الله ورسوله ودينه ونفسى وإياكم إلا خيرًا، فإن عدل فذلك ظنى فيه وعلمى به، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب، والخير أردت، ولا أعلم الغيب، وسيعلم الذين ظملوا أى منقلب ينقلبون. والسلام عليكم ورحمة الله ».

ثم أمر بالكتاب فختمه، ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختومًا، فبايع الناس لمن فيه، ورضوا به[1].

---

(١) ينظر: طبقات ابن سعد (٣/١٤٨-١٤٩)، وتاريخ الطبري (٣/٤٢٨).

ورأيت فى الجمع الغريب ما نصه - بعد قوله: « فبايع الناس لمن فيه »: حتى مر الكتاب بعلى - رضى الله تعالى عنه - فقال: بايعنا لمن فيه وإن كان عمر - بزيادة الواو قبل إن، وفى رواية أخرى بحذف الواو.

قلت: يؤيد رواية عدم الواو ما ذكره فى الرياض النضرة، وعبارته: « روى أن أبا بكر لما ثقل أشرف على الناس من كوة، فقال: يأيها الناس، إنى قد عهدت عهدًا، أفترضون به ؟ قال الناس: رضينا يا خليفة رسول الله، فقال عليّ: لا نرضى إلا أن يكون عمر، قال: فإنه عمر. انتهى . ثم دعا عمر - رضى الله عنه - خاليًا، فأوصاه بما أوصاه به، ثم خرج من عنده، فرفع أبو بكر يده، فقال: اللهم إنى لم أرد بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت به أعلم، واجتهدت لهم رأيى فوليت عليهم خيرهم وأقواهم وأحرصهم على ما أرشدهم، فقد حضرنى من أمرك ما حضر، فاخلفنى فيهم، فهم عبادك، ونواصيهم بيدك، أصلح ولايتهم، واجعله من خلفائك الراشدين، وأصلح له رعيته[١].

وفى الصفوة: أول ما تكلم به عمر - رضى الله تعالى عنه - حين صعد المنبر أن قال: اللهم إنى شديد فلينى، وإنى ضعيف فقونى، وإنى بخيل فسخنى[٢].

وعن الحسن: أول خطبة خطبها: حمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإنى ابتليت بكم، وابتليتم بى، فما كان بحضرتنا باشرنا، ومهما غاب عنا وليناه أهل القوة والأمانة، فمن يحسن نزده حسنى، ومن يسئ نعاقبه[٣]. ثم قال: بلغنى أن الناس قد هابوا شدتى، وخافوا غلظتى، وقالوا: قد كان عمر يشدد علينا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، فكيف الآن وقد صارت الأمور إليه ؟! ولعمرى من قال ذلك فقد صدق، كنت مع رسول الله ﷺ، فكنت عبده وخادمه حتى قبضه الله، وهو راض عنى ولله الحمد، وأنا أسعد الناس بذلك، ثم ولى أبو بكر، فكنت خادمه وعونه، أخلط شدتى بلينه فأكون سيفًا مسلولاً حتى يغمدنى، فما زلت معه كذلك حتى قبضه الله تعالى - وهو عنى راض، ولله الحمد، وأنا أسعد الناس بذلك، ثم إنى وليت الآن

---

(١) ينظر: طبقات ابن سعد (٣/ ١٤٩- ١٥٠).

(٢) ينظر: طبقات ابن سعد (٣/ ٢٠٨)، وصفة الصفوة (١/ ١٤٥).

(٣) ينظر: طبقات ابن سعد (٣/ ٢٠٨)، وتاريخ الخلفاء (١١٣- ١١٤)، والرياض النضرة (٢/ ٤٠٤).

أموركم، اعملوا أن تلك الشدة قد تضاعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدى على المسلمين، وأما أهل السلامة فى الدين والقصد فإنما اللين لهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحدًا يظلمه أحد أو يتعدى عليه حتى أضع خده بالأرض، وأضع قدمى على الخد الآخر حتى يذعن للحق، ولكم عليّ أيها الناس، ألا أخبأ عنكم شيئًا من خراجكم، وإذا وقع عندى ألا يخرج إلا بحقه، ولكم على ألا ألقيكم فى المهالك، وإذا غبتم فى البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا. أقول قولى هذا، وأستغفر الله لى ولكم.

قال سعيد بن المسيب: ولى عمر، فزاد فى الشدة فى مواضعها واللين فى مواضعه، وكان أبا للعيال حتى أنه كان يمشى إلى المغيبات، ويقول: ألكنَّ حاجة حتى أشتريها لكن ؟ فإنى أكره أن تخدعن فى البيع والشراء، فيرسلن معه [بجواريهن][(١)]، ومن كان ليس لها شيء اشترى لها من عنده[(٢)]. وهو أول من قال: أطال الله بقاءك، قالها لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه.

وأخرج ابن عساكر عن إسماعيل بن زياد، قال: مرّ على بن أبى طالب - رضى الله عنه - على المساجد فى رمضان وفيها القناديل، فقال: نور الله على عمر فى قبره كما نور علينا مساجدنا[(٣)].

وأوليات عمر مفردة بالتأليف، وذكر هذا العلامة جلال الدين السيوطى فى تاريخه[(٤)].

قال ابن الجوزى فى المنتظم: روى أن أبا طلحة خرج فى ليلة مقمرة، فرأى عمر - رضى الله عنه - قد دخل بيتًا ثم خرج منه، فلما أصبح أبو طلحة ذهب إلى ذلك البيت، فإذا فيه عجوز عمياء مقعدة. فقال لها أبو طلحة: ما بال هذا الرجل يأتيك ؟ فقالت: إنه يتعاهدنى منذ كذا وكذا بما يصلحنى، ويخرج عنى الأذى والقذى[(٥)].

ولما رجع رضى الله عنه من الشام إلى المدينة - انفرد عن الناس؛ ليتعرف أخبار

---

(١) في ط: نحو الحملين.
(٢) ينظر الرياض النضرة (٢/ ٣١٥-٣١٦).
(٣) ذكره المحب الطبري في الرياض (٢/ ٣٠٩) وعزاه لابن السمان في الموافقة.
(٤) ينظر: تاريخ الخلفاء (١٠٨)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٢١٣) والرياض (٢/ ٣١٣-٣١٤).
(٥) ينظر: صفة الصفوة (١/ ١٤٦).

رعيته، فمر بعجوز لها خباء، فقصدها، فقالت: يا هذا، ما فعل عمر ؟ قال: قد أقبل من الشام سالمًا، فقالت: لا جزاه الله عنى خيرًا. قال لها: ولم ؟ قالت: لأنه ما فاتنى من عطائه منذ ولى أمر المسلمين دينار ولا درهم، فقال: وما يدرى عمر بحالك وأنت فى هذا الموضع ؟! فقالت: سبحان الله: ما ظننت أن أحدًا يلى على الناس، ولا يدرى ما بين مشرقها ومغربها. فبكى عمر، فقال: واعمراه بك أتدافعه منك حتى العجائز، ثم قال لها: يا أمة الله، بكم تبيعينى ظلامتك من عمر ؟ فإنى أرحمه من النار، فقالت: لا تهزأ بى، يرحمك الله ؟ فقال عمر: لست بهزاء - فلم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارًا - فبينما هو كذلك إذ أقبل: على بن أبى طالب، وعبد الله بن مسعود - رضى الله عنهما - فقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فوضعت العجوز يدها على رأسها، وقالت: واسوأتاه، شتمت أمير المؤمنين فى وجهه، فقال: لا عليك، يرحمك الله.

ثم طلب وفاء فلم يجده، فقطع قطعة من مرقعته، وكتب فيها: « بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما اشترى عمر ظلامتها منذ ولى إلى يوم كذا بخمسة وعشرين دينارًا، فما تدعيه عند وقوفه فى المحشر بين يدى الله - تعالى - فهو منه برىء شهد على ذلك من فلانة: على بن أبى طالب، وعبد الله بن مسعود ».

قال أبو طلحة: ثم دفع الكتاب إليّ، وقال: إذا مت فاجعله فى كفنى؛ ألقى به ربى عز وجل[١].

وأخباره فى مثل هذا كثيرة جدًا، وإنما ذكرت هذا منها، لما جر إليه ذكره بالشدة واللين والرفق والشفقة على المسلمين.

ذكر نسبه رضى الله عنه

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح ابن عدى بن كعب بن لؤى، يلتقى مع رسول الله ﷺ فى كعب بن لؤى، أمه: حنتمة بنت هاشم بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وقال طائفة بنت هشام بن المغيرة، ومن قال ذلك فقد أخطأ، ولو كانت كذلك لكانت أخت أبى جهل بن هشام، والحارث

(١) ينظر: الرياض النضرة (٢/ ٣٩٠-٣٩١).

ابن هشام، وإنما هى بنت هاشم، وهاشم وهشام أخوان[١].

ذكر إسلامه

قال ابن إسحاق: كان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة[٢].

عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال: خرجت أتعرض رسول الله ﷺ، فوجدته سبقنى إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، فقلت: هذا - والله - شاعر كما قالت قريش، فقرأ: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ [الحاقة: ٤٠، ٤١]. قال: فقلت: كاهن، فقال: عليه الصلاة والسلام وهو يقرأ: ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴾ إلى ﴿ حَٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٢-٤٧]. قال: فوقع الإسلام من قلبى كل موقع. خرجه أحمد[٣].

وفى طريق آخر عن أنس بن مالك قال: خرج متقلدًا السيف، فلقيه رجل من بنى زهرة، فقال أين تعمد يا عمر ؟ قال: أريد أن أقتل محمدا، قال: وكيف تأمن من بنى هاشم ومن بنى زهرة وقد قتلت محمدا ؟! فقال له عمر: ما أراك إلا قد صبأت، وتركت دينك الذى أنت عليه، فقال الرجل: لا تلمنى، ولم أختك وخَتنك إن كنت تلوم، فإنهما قد صبآ. فمشى عمر حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب بن الأرت، فلما سمع خباب حس عمر - توارى فى البيت، فدخل عليهما، وكانوا يقرءون سورة « طه » فسكتوا، فقال: ما هذه الهمهمة التى سمعتها عندكم ؟ فقال: ما عدا حديثًا تحدثناه بيننا. قال: فلعلكما قد صبأتما، فقال له خَتنه أرأيت يا عمر، إن كان الحق فى غير دينك؛ فوثب عمر على ختنه، فوطئه وطأ شديدًا، فجاءته أخته فدفعته عنه، فنفحها نفحة بيده، فدمى وجهها، فقالت غضبى: ويلى

---

(١) ينظر: الاستيعاب (٣/ ٢٣٥)، وتهذيب الكمال (٢١/ ٣١٦)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٤٣٨)، والإصابة (٤/ ٤٨٤).

(٢) السيرة النبوية (١/ ٣٦٩).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ١٧)، وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٦٥) وعزاه للطبراني في الأوسط، وقال: ورجاله ثقات، إلا أن شريح بن عبيد لم يدرك عمر.

يا عمر، أرأيت أن الحق فى غير دينك، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

فلما تبين عمر قال: أعطونى هذا الكتاب الذى عندكم فأقرأه، وكان عمر يقرأ الكتب، فقالت له أخته: إنك رجسٌ، ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل أو توضأ، فقام فتوضأ ثم أخذ الكتاب، فقرأ « طه » إلى قوله: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [طه: ١٤]، فقال عمر: دلونى على محمد، فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت، فقال: أبشر يا عمر، فإنى أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس: « اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين، عمر بن الخطاب، أو عمرو بن هشام »، ثم قال: إن رسول الله ﷺ فى الدار التى فى أصل الصفا.

فانطلق عمر حتى أتى الدار. قال: وعلى الباب حمزة، وطلحة، وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: عمر، فلما رأى حمزة وجل القوم من عمر - قال حمزة: نعم، هذا عمر، وإن يرد الله به خيرًا يسلم، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا، قال: والنبى داخل يوحى إليه، فخرج رسول الله ﷺ حتى أتى عمر، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه، فقال: « ما أنت بمنته عنى يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما لم ينزل بالوليد بن المغيرة. اللهم اهد عمر بن الخطاب، اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب ». فقال عمر: أشهد أنك رسول الله، فأسلم عمر، فكبر النبى ﷺ وأهل البيت تكبيرة سمعت من أعلى مكة[١].

فقال عمر: يا رسول الله علام نخفى ديننا ونحن على الحق ؟ قال: يا عمر إنا قليل. قال عمر: والذى بعثك بالحق لا يبقى مجلسٌ جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالإيمان. ثم خرج وطاف بالبيت، ثم مر بقريش وهم ينظرونه، فقال له أبو جهل ابن هشام - وهو عم والدته حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومى -: زعم فلان أنك صبوت، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله؛ فوثب عليه

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٠٢-٢٠٣)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢١٩- ٢٢٠)، وابن الجوزي في المنتظم (٤/ ١٣٢) من طريق القاسم بن عثمان البصري عن أنس بن مالك به وينظر تاريخ الإسلام (السيرة النبوية- ١٧٤).

المشركون، ووثب عمر على عتبة بن ربيعة، فبرك عليه، وجعل يضربه، وأدخل إصبعيه فى عينيه، فجعل عتبة يصيح؛ فتنحى الناس عنه. فقام عمر فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ [شريف من](١) دنا منه حتى أحجم الناس عنه، واتبع المجالس التى كان يجلس فيها بالكفر، فأظهر الإسلام فيها.

ثم انصرف إلى النبى ﷺ وهو ظاهر عليهم، فقال: ما يحبسك بأبى أنت وأمى ؟! فوالله ما بقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإسلام غير هائب ولا خائف، فخرج - عليه الصلاة والسلام - فى صفَّين من أصحابه، عمر بن الخطاب فى يمينهما، وحمزة بن عبد المطلب فى يسارهما، حتى طاف بالبيت وصلى الظهر معلنا. ثم انصرف إلى دار الأرقم هو ومن معه(٢). أخرجه أبو القاسم الدمشقى فى الأربعين الطوال.

وعن ابن مسعود: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر. أخرجه البخارى وأبو حاتم(٣).

وعنه - أيضا - قال: كان إسلام عمر فتحا، وهجرته نصرا، وإمارته رحمة، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا، وصلى عند الكعبة، وصلينا معه(٤). أخرجه الحافظ السلفى.

وخرج الخلعى طرفا من هذه القصة، وقال: فقال عمر: لا نعبد الله سرًّا بعد اليوم، فأنزل الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤]، وكان ذلك أول ما نزل من القرآن فى تسمية الصحابة مؤمنين، وكان عمر عند ذلك ينصب راية للحرب بمكة، ويحاربهم على الحق، فيقول لأهل مكة: والله لو بلغت عدتنا ثلاثمائة رجل لتركتموها لنا، أو لتركناها لكم(٥).

---

(١) بدل ما بين المعكوفين في ط ممن، والمثبت من الرياض النضرة (٢/ ٢٨٣).
(٢) أخرجه بنحوه أبو نعيم في دلائل النبوة (١٦٧- ١٦٩) وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٤٠) ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في تاريخه كما في الإصابة من حديث ابن عباس (٣/ ٤٨٦)، وقال الذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة النبوية - ١٧٩): إسناده ضعيف. وينظر: مجمع الزوائد (٩/ ٦٨).
(٣) أخرجه البخاري (٣٦٨٤، ٣٨٦٣)، وابن حبان (٦٨٨٠).
(٤) ينظر: الرياض النضرة (٢/ ٢٨٤). وينظر: طبقات ابن سعد (٣/ ٢٠٤).
(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١١٦٥٩)، والبزار (٢٤٩٥- كشف الأستار) عن ابن عباس. وقال الهيثمي (٩/ ٦٥): وفيه النضر أبو عمر وهو متروك وينظر الدر المنثور، تفسير الآية ٦٤، من سورة الأنفال (٣/ ٣٦٢).

وعن صهيب قال: لما أسلم عمر جلسنا حول البيت حلقا حلقا، وانتصفنا ممن غلظ علينا[١].

وعن على - رضى الله عنه -: ما سمينا مؤمنين حتى أسلم عمر. خرجه فى الفضائل.

وعن ابن مسعود: لما أسلم عمر أظهر الإسلام، ودعا إلى الله علانية.

وعن ابن عباس قال: لما أسلم عمر قال المشركون: انتصف القوم مِنَّا[٢].

وهو أول من مصر الأمصار كالكوفة والبصرة، وحقق كلمته فى إعلاء كلمة الله، ففتح الفتوحات العظيمة فى المواضع العديدة، فتح مصر والشام ثم الروم ثم القادسية، ثم انتهى الفتح إلى حمص وحلوان والرقة والرُّها وحرّان ورأس العين والخابور ونصيبين وعسقلان وطرابلس، وما يليها من السواحل، وبيت المقدس وبيسان واليرموك والأهواز وقيسارية وتستر ونهاوند والرى وما يليها وأصفهان وبلاد فارس وغيرها[٣].

ومع هذا كله بقى على حاله كما كان قبل الولاية فى لباسه وزيه وأفعاله وتواضعه، يسير منفردا فى سفره وحضره من غير حرس ولا حجاب، لم تغيره الأمور ولم يستطل على مسلم بلسانه، ولا يحابى أحدا فى الحق. وكان لا يطمع الشريف فى حيفه، ولا يشفق الضعيف من عدله، ولا يخاف فى الله لومة لائم، وينزل نفسه من مال الله منزلة رجل من أوساط المسلمين، وجعل فرضه كفرض رجل من المهاجرين، وكان يقول: أنا ومالكم كولى اليتيم إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، أراد: أنه يأكل ما تقوم به بنيته لا يتعداه.

قال مجاهد: تذاكر الناس فى مجلس ابن عباس، فأخذوا فى فضل أبى بكر ثم فى فضل عمر، فلما سمع ابن عباس ذكر عمر بكى بكاءً شديدًا حتى أغمى عليه، ثم قال: يرحم الله عمر، قرأ القرآن، وعمل بما فيه، فأقام حدود الله كما أمر لا تأخذه فى الله لومة لائم، لقد رأيت عمر أقام الحد على ولده فقتله[٤].

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٠٤)، وتمامه: وردونا عليه بعض ما يأتي به.
(٢) تقدم قبل سطور.
(٣) ينظر: طبقات ابن سعد (٣/ ٢١٣-٢١٤).
(٤) ينظر: الرياض النضرة (٢/ ٣٥٥).

قلت: قصة إقامة الحد على ولده ذكرها فى الرياض النضرة، وبعضها عن عمرو ابن العاص قال: بينما أنا بمنزلى بمصر إذ قيل: هذا عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب، وأبو سرعة يستأذنان عليك، فقلت: يدخلان، فدخلا وهما متنكران، فقالا: أقم علينا الحد؛ فإنا أصبنا البارحة شرابا وسكرنا. قال: فزبرتهما وطردتهما. فقال لى عبد الرحمن: إن لم تفعل خبرت والدى عمر إذا قدمت عليه. قال عمرو: فقلت إنى إن لم أقم عليهما الحد غضب عليّ عمر وعزلنى، قال: فأخرجتهما إلى صحن الدار، فضربتهما الحد، وأدخلت عبد الرحمن ناحية إلى بيت من الدار، فحلق رأسه، وكانوا يحلقونه مع الحدود، والله ماكتبت لعمر بحرف مما كان، حتى إذا كان كتابه جاءنى فيه: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر إلى عمرو بن العاص، عجبت لك وجوابك عَلَيَّ وخلافك عهدى فما أرانى إلا عاذلك تضرب عبد الرحمن فى بيتك وتحلق رأسه في بيتك، وقد عرفت إن هذا ليخالفنى، إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين، ولكن قلتَ: هو ولد أمير المؤمنين، وقد عرفت أنى لا هوادة لأحد من الناس عندى فى حق، فإذا جاءك كتابى - فابعث به فى عباءة على قتب حتى يعرف سوء ما صنع، والسلام. فبعثت به كما قال أبوه، وكتبت إلى عمر أعتذر إليه بأنى ضربته فى صحن دارى، فبالله الذى لا يحلف بأعظم منه إنى لأقيم الحدود فى صحن دارى على المسلم والذمى، وبعثت بالكتاب مع عبد الله بن عمر، فقدم عبد الرحمن على أبيه عمر، فدخل وعليه عباءة لا يستطيع المشى من سوء مركبه، فقال له عمر: يا عبد الرحمن، فعلت وفعلت فكلمه عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين، قد أقيم عليه الحد. فلم يلتفت إليه، وأمر بإقامة الحد عليه، فجعل عبد الرحمن يقول: إنى مريض، وأنت قاتلى. فأقام عليه الحد ثانيا، وحبسه، فمرض ومات. انتهى[1].

قال ابن قتيبة وأبو عمر وصاحب الصفوة: كان عمر بن الخطاب من المهاجرين السابقين، ممن صلى إلى القبلتين، وشهد بدرا والحديبية وبيعة الرضوان وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، وهاجر علانية[2].

(١) ينظر: الرياض النضرة (٢/ ٣٥٤- ٣٥٥).
(٢) ينظر: الاستيعاب (٣/ ٢٣٦)، وصفة الصفوة (١/ ١٤٣)، والرياض النضرة (٢/ ٣١٣- ٣١٤).

عن ابن عباس قال: قال على: ما علمت أن أحدا من المهاجرين هاجر إلا مختفيا إلا عمر بن الخطاب فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى فى يده سهما، واحتضن عنزته، ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعا متمكنا، ثم أتى المقام فصلى متمكنا، ثم وقف على حلقهم واحدة واحدة، فقال لهم: شاهت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، من أراد أن تثكله أمه، أو يؤتم ولده، أو يرمل زوجته - فليلقنى وراء هذا الوادى. ثم مضى. خرجه ابن السمان فى الموافقة(١).

وتوفى رسول الله ﷺ وهو عنه راض، وبشره بالجنة، وأخبره أن الله جعل الحق على لسانه وقلبه، وأن رضاه وغضبه عدل، وأن الشيطان يفر منه، وأن الله أعز به الإسلام، واستبشر أهل السماء بإسلامه، وسماه عبقريا ومحدَّثا وسراج أهل الجنة، ودعاه صاحب رحا وافرة العرب، يعيش حميدا ويموت شهيدا، وإنه رجل لا يحب الباطل، ولو كان بعده نبى لكان عمر(٢). وكل هذا وغيره يأتى فى الأحاديث الواردة مع الآيات فى شأنه.

قال صاحب الصفوة: وهو أول من عس بنفسه فى عمله، وحمل الدرة، وأدب بها وكانت أهيب من سيف الحجاج، وكانت تخافه ملوك الروم وفارس وغيرهما(٣)، وكان - رضى الله تعالى عنه - إذا كان فى سفر نادى الناس فى المنزل عند الرحيل: ارحلوا أيها الناس، فيقول القائل: يأيها الناس، هذا أمير المؤمنين قد ناداكم، تقدموا فاستقوا وارحلوا، ثم ينادى الثانية: الرحيل، فيقول الناس: اركبوا؛ فقد نادى أمير المؤمنين الثانية؛ فاذا استقلوا قام فرحل بعيره وعليه غرارتان، إحداهما: فيها سويق، والأخرى: فيها تمر وبين يديه قربة وخلفه جفنة، فكلما نزل جعل فى الجفنة من السويق، وصبَّ عليه من الماء وسط شنارة - قال: والشنارة مثل النطع الصغير - من جاءه لحاجة أو يستقضى قال له: كل من هذا السويق والتمر.

ثم يرحل فيأتى المكان الذى رحل الناس منه، فإن وجد متاعا ساقطا أخذه؛ وإن

---

(١) ينظر: الرياض النضرة (٢/ ٢٨٦).
(٢) ينظر: الرياض النضرة (٢/ ٣١٣-٣١٤).
(٣) ينظر: صفة الصفوة (١/ ١٤٣).

وجد أحدا فيه عرج أو عرض لدابته أو بعيره - يكارى له، ويسوق به، فيتبع آثار الناس؛ فإذا أصبح الناس من الغد لم يفقد أحد متاعا له سقط منه إلا قال: حتى يأتى أمير المؤمنين، فيطلع عمر وإن جمله مثل المشجب مما عليه من المتاع للناس، فيأتى الرجل، ويقول: يا أمير المؤمنين، إداوتى، فيقول: هل يغفل الرجل الحليم عن إداوته التى يشرب فيها، ويتوضأ للصلاة منها ؟! أو كل ساعة أبصر، أو كل الليل أكلأ عينى من النوم، ثم يدفع إليه إداوته؛ ويقول الآخر: يا أمير المؤمنين، قوسى؛ ويقول آخر: رشائى؛ أو ما وقع منهم فيصفونه فيدفعه إليهم.

ولما بلغ الشام تلقوه ببرذون وثياب، فكلموه أن يركب البرذون؛ ليراه العدو؛ فيكون ذلك أرهب بلباس البياض، ويطرح الفرو الذى عليه، فأبى، فألحوا عليه، فركب البرذون بفروته وثيابه، فهملج به البرذون وخطام ناقته بعد فى يده، فنزل وركب راحلته، وقال: لقد غرنى هذا حتى خفت أن أنكر نفسى. ذكر هذا كله أبو حذيفة إسحاق بن بشر فى فتوح الشام(١).

قال العلامة ابن الجوزى: لما بعث عمر بن الخطاب سعد بن أبى وقاص لحرب القادسية - كتب إليه وهو بالقادسية أن وجه نضلة الأنصارى إلى حلوان العراق؛ فيغزو أهلها، فبعث سعد بن أبى وقاص نضلة الأنصارى فى ثلاثمائة فارس، فساروا حتى أتوا حلوان فأغاروا على أهلها، وأصابوا غنيمة وسبيا، وأثقلوا بذلك حتى أرهقتهم صلاة العصر وكادت الشمس أن تغرب، فألجأ نضلة السبى والغنيمة إلى سفح جبل؛ وقام فأذن فقال: « الله أكبر الله أكبر »، فأجابه مجيب من الجبل: كبرتَ كبيرا يا نضلة؛ ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: كلمة الإخلاص يا نضلة؛ ثم قال: أشهد أن محمدا رسول الله، فقال: هو الذى بشرنا به عيسى بن مريم وعلى رأس أمته تقوم القيامة؛ ثم قال: حى على الصلاة، فقال: طوبى لمن سعى إليها، وواظب عليها؛ ثم قال: حى على الفلاح، فقال: قد أفلح من أجاب داعى الله؛ ثم قال: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، قال: أخلصت الإخلاص كله يا نضلة، حرم الله تعالى بها جسدك على النار.

فلما فرغ نضلة من أذانه قام فقال: من أنت يرحمك الله، أملك أم طائف من الجن

(١) ينظر: الرياض (٢/٣١٦- ٣١٧).

أم من عباد الله ؟! قد سمعنا صوتك، فأرنا صورتك وشخصك، فإن الوفد وفد رسول الله ووفد عمر بن الخطاب، فانفلق الجبل عن هامة كالرحى، أبيض الرأس واللحية، عليه طمران من صوف، فقال: أنا زريب بن برتمك، وصى العبد الصالح عيسى بن مريم، أسكننى هذا الجبل، ودعا لى بطول البقاء إلى حين نزوله من السماء، قال: فسأل نضلةَ والخلق الذين معه عن النبى ﷺ، فقالوا: قد قبض؛ فسأل عن أبى بكر، فقالوا: قد قبض؛ ثم سألهم عن عمر، فقالوا: حى، ونحن جيشه، فقال: أقرئوه منى السلام، وقولوا له: يا عمر، سدد وقارب، فقد وفى الأمر، وأخبروه بهذه الخصال التى أخبركم بها: يا عمر، إذا ظهرت هذه الخصال فى أمة محمد فالهرب، الهرب: إذا استغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وانتسبوا إلى غير مناسبهم، وانتموا إلى غير مواليهم ولم يرحم كبيرهم صغيرهم، ولم يوقر صغيرهم كبيرهم، وترك الأمر بالمعروف فلم يؤمر به، وترك النهى عن المنكر فلم ينه عنه، ويعلم عالمهم العلم؛ ليجلب به الدنيا، ويأتى المطر فيضا، والولد غيظا، وطولوا المنارات، وفضضوا المصاحف، وزخرفوا المساجد، وأظهروا الرشا، وشيدوا البنا، واتبعوا الهوى، وباعوا الدين بالدنيا، وقطعت الأرحام، وبيعت الأحكام، وأكلوا الربا، وصار الغنى عزا، والفقر ذلاً، وخرج الرجل من بيته فقام إليه من هو خير منه؛ وسلم عليه، وركبت الفروج السروج.

قال: ثم غاب عنهم فلم يروه، فكتب بذلك نضلة إلى سعد، وكتب به سعد إلى عمر - رضى الله عنه -، فكتب عمر إلى سعد: أن سر أنت بنفسك ومن معك من المهاجرين والأنصار حتى تنزلوا ذلك الجبل، فإن لقيته فأقرئه منى السلام، فخرج سعد فى أربعة آلاف من المهاجرين والأنصار وأبنائهم حتى نزلوا ذلك الجبل، ومكث سعد أربعين يومًا، ينادى بالصلاة، فلم يجد جوابًا، ولم يسمع خطابا، فكتب بذلك إلى عمر - رضى الله عنه[1].

صفته رضى الله عنه

عن زر بن حبيش - رضى الله عنه - قال: كان عمر - رضى الله عنه - أبيض، أبهق، يشبه لون الجص بياضا، لا يكون له دم ظاهر، وكان طوالاً، أصلع، أبلج،

---

(١) ينظر: الرياض النضرة (٢/ ٣٢٩- ٣٣١).

شديد حمرة العينين، كث اللحية، خفيف عارضيها، سلتا، كثير الشعر، فى أطرافه صهبة، أعسر أيسر - يعنى يعمل بكلتا يديه - أروح كأنه راكب والناس مشاة - قال الجوهرى: الأروح: هو الذى يتباعد صدور قدميه ويتدانى عقباه - وكان لا يغير شيبه، فقيل له: يا أمير المؤمنين، ألا تغيره ؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من شاب شيبة فى الإسلام كانت له نورا يوم القيامة »[1]، وما لنا نغيره[2]!!.

الآيات النازلة بما أشار به عمر رضى الله تعالى عنه فى قضايا متعددة

فمنها: اتخاذ مقام إبراهيم مصلي! عن طلحة بن مصرف قال: قال عمر: يا رسول الله، أليس هذا مقام أبينا إبراهيم ؟ قال: بلى. قال عمر: فلو اتخذته مصلى ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[3] [البقرة: ١٢٥].

ومنها: مشورته فى أسارى بدر عن ابن عباس عن عمر قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: « ما تقولون فى هؤلاء الأسارى ؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله، بنو العم والعشيرة والإخوان، أرى أن نأخذ منهم الفداء، فيكون لنا قوة على المشركين، وعسى الله أن يهديهم إلى الإسلام؛ فيكونون لنا عضدا. قال: فما ترى يا بن الخطاب ؟ قلت: يا رسول الله، ما أرى الذى يراه أبو بكر، ولكن هؤلاء أئمة الكفر وصناديده، فقدمهم لنا نضرب أعناقهم. قال: فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلته، وقال: مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى إذ قال: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة:١١٨]، ومثلك يا عمر كمثل

---

(١) أخرج الحديث بنحوه عبد الرزاق (٨٥٣٣) ومن طريقه الطبراني في الكبير (٥١)، وأخرجه البيهقي (٩/ ٢٤٨) وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٣٧): ورجاله موثقون. وينظر طبقات ابن سعد (٣/ ٢٤٧)، والرياض النضرة (٢/ ٢٧٤)، وصفة الصفوة (١/ ١٤٢).

(٢) أخرج قول عمر الطبراني في الكبير (٥٨)، وفي الأوسط (٤٢٨٦) من طريق مجاهد عن ابن عمر عن عمر به وصححه ابن حبان (٢٩٨٣) من طريق آخر عن عمر. وينظر الرياض (٢/ ٢٧٤).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ ابن مردويه كما في الدر المنثور (١/ ٢٢٣)، تفسير الآية: ١٢٥ من سورة البقرة. والبخاري (٤٠٢) مطولاً من حديث أنس، وسيأتي. وينظر الرياض (٢/ ٢٨٨).

نوح إذ قال: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ ﴾ الآية [نوح: ٢٦، ٢٧].

ثم أخذ رسول الله ﷺ منهم الفداء، فلما أصبحت غدوت على رسول الله ﷺ فإذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان، قلت: يا نبى الله أخبرنى من أى شيء تبكى أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاء، وإلا تباكيت لبكائكما، فقال: لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قريبة منه - فأنزل الله: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧، ٦٨]. أخرج هذا الحديث مسلم فى صحيحه(١).

وعند البخارى معناه بزيادة قوله: إنه قتل من المشركين سبعين(٢)، وأسر سبعين، وبزيادة: ولكن أن تمكن عليا من عقيل، فيضرب عنقه، وحمزة من فلان - أخيه - فيضرب عنقه، وفلانا من فلان، حتى يعلم الله أن ليس فى قلوبنا هوادة للمشركين، ثم ذكر معنى ما بعده، وزاد: فلما كان يوم أحد من العام القابل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون، وفر أصحاب رسول الله ﷺ، وكسرت رباعيته، وشج وجهه، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، وأنزل الله - عز وجل -: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣) [آل عمران: ١٦٥].

وروى: أنه ﷺ قال لعمر: لقد كاد يصيبنا بخلافك شر يا بن الخطاب(٤). وفى

---

(١) أخرجه مسلم (٥٨- ١٧٦٣) بنحوه، وليس فيه: مثلك يا أبا بكر... » إلى كمثل نوح... الآية» وقد جاء هذا اللفظ في حديث ابن مسعود أخرجه أحمد (١/ ٣٨٣)، والحاكم (٣/ ٢٢) وصححه ووافقه الذهبي وينظر الرياض (٢/ ٢٨٨-٢٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٨٦) من حديث البراء بن عازب قال: جعل النبي ﷺ على الرماة يوم أحد عبد الله بن جبير فأصابوا منا سبعين وكان النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة: سبعين أسيرًا، وسبعين قتيلًا».

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٠-٣١) مطولاً ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (١/ ٤٢) من حديث ابن عباس عن عمر. وقوله «ولكن أن تمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه» عند مسلم (٥٨- ١٧٦٣) من حديث ابن عباس عن عمر. وقوله « وكسرت رباعيته وجرح وجهه، وهشمت البيضة على رأسه» عند البخاري (٤٠٧٥) من حديث سهل بن سعد بنحوه. وينظر الرياض (٢/ ٢٨٩).

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٢٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٤٣) من حديث ابن عمر وصححه =

رواية: لو نزل بنا عذاب ربى. وفى رواية: لو عذبنا فى هذا الأمر - يعنى عذابا ظاهرًا، فلا ينافى ما وقع لهم يوم أحد - لما نجا منه غير عمر. خرجها القلعى[(١)].

ومنها: قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ [التحريم: ٥]، وذلك أنه لما بلغه - رضى الله عنه - شيء فى معاتبة أمهات المؤمنين للنبى ﷺ، فقال لهن: لتكففن عن رسول الله ﷺ أو ليبدلنه أزواجا خيرا منكن، فقالت له إحداهن: يا عمر أما فى رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت ؟! فأنزل الله هذه الآية المذكورة: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا . . . ﴾ الآية. أخرجه البخارى ومسلم وأبو حاتم[(٢)].

ومنها: أنه لما أمر نساء رسول الله ﷺ أن يحتجبن، قالت له زينب: وإنك علينا يا بن الخطاب، والوحى ينزل فى بيوتنا، فأنزل الله: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ الآية [الأحزاب: ٥٣]. أخرجه أحمد[(٣)].

وفى رواية الطبرانى عن عائشة قالت: كنت آكل مع النبى ﷺ حيسًا فى قعب، فمر عمر - رضى الله عنه - فدعاه فأكل معنا، فأصابت أصبعى أصبعه، فقال: حس - وهذه كلمة يقولها الإنسان من العرب إذا أصابه ما مَضَّه أو أحرقه كالجمرة والضربة ونحوهما كذا فى الصحاح - أوهِ، لو أطاع فيكن ما رأتكن عين، فنزلت آية الحجاب[(٤)].

ومنها: قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ

= الحاكم ووافقه الذهبي.

(١) تنظر هذه الروايات في الرياض النضرة (٢/ ٢٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٢، ٤٩١٦)، والنسائي في التفسير (٦٣١)، وابن حبان (٦٨٩٦) من حديث أنس بن مالك عن عمر بن الخطاب والحديث ليس في مسلم، ولم يعزه له المزي في تحفة الأشراف (٨/ ١٢-١٣) رقم (١٠٤٠٩).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٤٥٦)، والبزار (٢٥٠٥-كشف الأستار) والطبراني كما في مجمع الزوائد (٩/ ٧٠) من حديث ابن مسعود. وقال الهيثمي: فيه أبو نهشل ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. وينظر الرياض (٢/ ٢٩١).

(٤) أخرجه النسائي في التفسير (٤٣٩) والطبراني في الصغير (١/ ٨٣) وفي الأوسط (٣٣٧٤- مجمع البحرين)، وابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٦)، وابن مردويه كما في الدر المنثور (٥/ ٤٠٢). وقال السيوطي: سنده صحيح. وقال الهيثمي (٧/ ١٠٠): ورجاله رجال الصحيح غير مرسى بن أبي كثير، وهو ثقة. وينظر الرياض (٢/ ٢٩١).

ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم : ٤] عن ابن عباس أن عمر حدثه، قال: لما اعتزل رسول الله ﷺ نساءه وكان له وجد عليهن؛ فاعتزلهن فى مشربة من خزانته - قال عمر: فدخلت المسجد، فإذا الناس ينكثون بالحصى، ويقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه، فقلت: لأعلمهن هذا اليوم، وذلك قبل الأمر بالحجاب، فدخلت على عائشة بنت أبى بكر، فقلت: يا بنة أبى بكر، بلغ من أمرك أن تؤذى رسول الله ﷺ ؟! قالت: ما لى ومالك يا بن الخطاب، عليك بنفسك؛ فأتيت حفصة بنت عمر، فقلت: يا حفصة، لو علمت أن رسول الله ﷺ لا يحبك، ولولا أنا لطلقك. قال: فبكت أشد بكاء. قال: فقلت لها: أين رسول الله ﷺ ؟ قالت: هو فى خزانته. قال: فذهبت، فإذا أنا برباح: غلام رسول الله ﷺ قاعدا على أسكفَّة الغرفة، مدليا رجليه على نقير يعنى جذعا منقورا، فقلت: يا رباح، استأذن على رسول الله ﷺ، فنظر رباح إلى الغرفة، ثم نظر إليَّ وسكت، قال: فرفعت صوتى، فقلت: استأذن يا رباح على رسول الله ﷺ، فإنى أظن أن رسول الله ﷺ يظن بى ربما جئت من أجل حفصة، والله لئن أمرنى أن أضرب عنقها الآن لضربت عنقها. قال: فنظر رباح إلى الغرفة، ونظر إليّ، ثم قال هكذا ؛ يعنى أشار بيده أن ادخل، فدخلت، فإذا هو - عليه الصلاة والسلام - مضطجع على حصير وعليه إزاره، فجلس، وإذا الحصير قد أثر فى جسده، وقلبت عينى فى الخزانة، فإذا ليس فيها شيء من الدنيا غير قبضتين من شعير وقبضة من قرص نحو صاعين، وإذا أفيق معلق أو أفيقان. قال: فابتدرت عيناى، فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك ؟ فقلت: يا رسول الله، ما لى لا أبكى وأنت صفوة الله ورسوله وخيرته من خلقه، وهذه الأعاجم: كسرى وقيصر، فى الثمار والأنهار وأنت هكذا، فقال: يا بن الخطاب، أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ؟ فقلت: بلى يا رسول الله فأحمد الله فما تكلمت فى شيء إلا أنزل الله تصديق قولى من السماء. قال: فقلت يا رسول الله، إن كنت طلقت نساءك أو تظاهرن عليك، فإن الله - عز وجل - وجبريل معك، وأنا وأبو بكر وصالح المؤمنين، فأنزل الله - عز وجل -: ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴾ الآية [التحريم: ٤]. قال فما أخبرت بذلك نبى الله، وأنا أعرف الغضب فى وجهه حتى رأيت وجهه يتهلل، وكشر؛ فرأيت ثغره - وكان أحسن

الناس ثغرا ﷺ - فقال: إنى لم أطلقهن، فقلت: يا نبى الله، فإنهم قد أشاعوا: أنك طلقت نساءك، أفأخبرهم أنك لم تطلق ؟ قال: إن شئت، فقمت على باب المسجد، فقلت: ألا إن رسول الله ﷺ لم يطلق نساءه، فأنزل الله فى الذى كان من شأنى وشأنهم: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣]. قال عمر: فأنا الذى استنبطه منهم. خرجه أبو حاتم والبخارى ومسلم(١).

وفى رواية لأبى حاتم - أيضًا - قال له عمر: لو اتخذت يا رسول الله فراشا أوبر من هذا ؟ فقال - عليه الصلاة والسلام -: يا عمر ما لى وللدنيا - أو ما للدنيا وما لى - إنما مثلى ومثل الدنيا كراكب سائر فى يوم صائف، فاستظل تحت شجرة، ثم راح وتركها. خرجها الثقفى فى الأربعين(٢).

ومنها: منعه - رضى الله عنه - للنبى ﷺ من الصلاة على المنافقين. عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول، جاء إليه عبد الله بن عبد الله، وكان قد أسلم إلى النبى ﷺ، فقال: إن أبى قد مات، وسأله أن يعطيه قميصه، يكفنه فيه، وأن يصلى عليه، فقام النبى ﷺ؛ ليصلى عليه، فقام عمر، فأخذ بثوبه - عليه الصلاة والسلام - وقال: لا تصلّ عليه وقد قال يوم كذا وكذا - وشرع يعدد عليه قوله - فتبسم ﷺ، وقال: أخر عنى يا عمر، فقال له عمر: ألم ينهك الله أن تستغفر لهم ؟ فلما أكثر عليه قال: إنما خُيرت - يعنى قوله: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾ [التوبة: ٨٠]- فاخترت، ولو علمت أنى إذا زدت على السبعين يغفر لهم لزدت عليها، فصلى رسول الله ﷺ ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيرا حتى أنزل الله الآيتين فى سورة براءة: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ إلى ﴿ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨٤]. قال عمر: فعجبت من جرأتى على رسول الله ﷺ. وقال لما نزلت: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا

(١) أخرجه البخاري (٢٤٦٨، ٥١٩١)، ومسلم (٣٠-١٤٧٩)، وابن حبان (٤١٨٨) من حديث ابن عباس عن عمر. وهذا لفظ ابن حبان. وينظر الرياض النضرة (٢/ ٢٩٢- ٢٩٣).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٠١)، وابن حبان (٦٣٥٢)، والطبراني في الكبير (١١٨٩٨)، والحاكم (٤/ ٣٠٩-٣١٠) من حديث ابن عباس. قال الهيثمي (١٠/ ٣٢٩): ورجال أحمد رجال الصحيح غير هلال بن خباب، وهو ثقة.

نَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٨٠] قال: فلأزيدن على السبعين واحدا فى الاستغفار، فقال له عمر: والله لا يغفر لهم سواء استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم(١).

ومنها: موافقته فى قوله: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤]. عن أنس بن مالك لما نزل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤] فقال عمر: فتبارك الله أحسن الخالقين، فنزلت ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤] أخرجه الواحدى فى أسباب النزول(٢)، وفى رواية فقال ﷺ قبل نزولها: أتزيد فى القرآن يا عمر؟ فنزل جبريل بما قال عمر: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾(٣).

ومنها: موافقته لقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٦]، وذلك أنه ﷺ استشار عمر فى قصة الإفك فى أمر عائشة حين قيل فيها من الإفك ما قيل، فقال عمر: يا رسول الله، من زوجكها؟ قال: الله تعالى، فقال عمر: أفتظن أن ربك دلس عليك فيها؟ سبحانك! هذا بهتان عظيم، فأنزل الله على وفق ما قال عمر: ﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾(٤).

ومنها: موافقة معنوية. روى عن على - رضى الله عنه -: أن عمر انطلق إلى اليهود، فقال: إنى أسألكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى، هل تجدون وصف محمد فى كتابكم؟ قالوا: نعم. قال: فما يمنعكم من اتباعه؟ قالوا: إن الله لم يبعث رسولاً إلا كان له من الملائكة كفيل، وإن جبريل هو الذى يكفل محمدا، وهو الذى يأتيه، وهو عدونا من الملائكة وميكائيل سلمنا، فلو كان هو الذى يأتيه اتبعناه. قال عمر: فإنى أشهد أنه ما كان ميكائيل ليعادى سلم جبريل، وبأن جبريل ما كان يسالم عدو ميكائيل. قال: فمر رسول الله ﷺ، فقالوا: هذا صاحبك يا بن

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٣- ٢٧٧٤) من حديث ابن عمر. وأخرجه البخاري (١٣٦٦، ٤٦٧١) من حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب.

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (٦٢٧) وفيه على بن زيد بن جدعان، ضعيف كما في التقريب وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٢) وعزاه للطيالسي، وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر.

(٣) ينظر الرياض النضرة (٢/ ٢٩٥).

(٤) ينظر الرياض (٢/ ٢٩٥).

الخطاب، فقام إليه، وقد أنزل الله عليه: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ . . .﴾ إلى قوله ﴿ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٩٧، ٩٨]، فقال: والذى بعثك بالحق ما جئت إلا لأخبرك بقول اليهود، فإذا اللطيف الخبير قد سبقنى بالوحى، فقرأ - عليه الصلاة والسلام - هذه الآية، وقال له: قد وافقك ربك يا عمر(١).

ومنها: تحريم الخمر والميسر، وذلك أن عمر كان حريصا على تحريمها، وكان يقول: اللهم بين لنا فى الخمر، فإنه يذهب المال والعقل، فنزل قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ [البقرة:٢١٩] الآية، فدعا رسول الله ﷺ عمر، فتلا بها عليه، فلم ير فيها بيانا، فقال: اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا، فأنزل الله - تعالى -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ إلى قوله ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١]، فدعاه رسول الله ﷺ، فتلاها عليه، فقال عمر عند ذلك: انتهينا يا ربنا، انتهينا(٢).

ومنها: آية الاستئذان. عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ أرسل غلاما(٣) من الأنصار إلى عمر بن الخطاب وقت الظهر، فدخل على عمر، فوافاه على حالة كره عمر رؤيته عليها، فقال: يا رسول الله وددت لو أن الله أمرنا، ونهانا فى حال الاستئذان، فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ﴾ [النور:٥٨]. خرجه أبو الفرج، وخرجه صاحب الفضائل، وزاد بعد قوله: « فدخل عليه »: وكان نائما وقد انكشف بعض جسده(٤).

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٤٧٨) رقم (١٦١١)، وابن أبي شيبة، وإسحاق بن راهويه كما في الدر المنثور (١/ ١٧٤) عن الشعبي، وقال السيوطي: صحيح الإسناد، ولكن الشعبي لم يدرك عمر. وأخرجه الطبري (١٦١٦) عن السديّ، به. وقد ذكره المحب الطبري في الرياض (٢/ ٢٩٥-٢٩٦) باللفظ المذكور في المتن وعزاه لابن السمان في الموافقة، وأبي الفرج في أسباب النزول.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٥٣)، وأبو داود (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٨/ ٢٨٦)، والحاكم (٢/ ٢٧٨)، والبيهقي (٨/ ٢٨٥)، والضياء في المختارة (٢٥٦). وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) اسم الغلام في الواحدي: مدلج بن عمرو.

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول (٦٤٨) دون سند، وينظر الرياض (٢/ ٢٩٧).

ومنها: قوله تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ [الواقعه: ١٣، ١٤] بكى عمر، وقال: يا رسول الله، وقليل من الآخرين، آمنا بالله، وصدقنا برسوله، ومن ينجو منا قليل! فأنزل الله: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ [الواقعه: ٣٩، ٤٠]، فدعا رسول الله ﷺ عمر، وقال: لقد أنزل الله كما قلت: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾[1].

ومنها: موافقته فى التوراة. عن طارق بن شهاب قال: دخل يهودى إلى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -، فقال: أرأيت قوله - تعالى -: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [ال عمران: ١٣٣] فأين النار؟ فقال للصحابة: أجيبوه، فلم يكن عندهم فيها شيء، فقال له عمر: أرأيت النهار إذا جاء ملأ السموات والأرض؟ قال: بلى. قال: فأين الليل؟! قال: حيث شاء الله. قال: عمر: فالنار حيث شاء الله عز وجل. قال اليهودى: والذى نفسك بيده، يا أمير المؤمنين، إنها لفى كتاب الله المنزل على موسى كما قلت[2].

ومنها: الإشارة فى الخروج إلى بدر، وذلك أنه - عليه الصلاة والسلام - استشار أصحابه فى الخروج إلى غزوة بدر، فأشار عمر - رضى الله عنه - بالخروج، فنزل قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ [الانفال: ٥]، وكان عمر من المحبين للخروج، وهو المشير به[3].

ومنها قصته فى الصيام لما جامع زوجته بعد الانتباه فى الليل، وكان ذلك محرمًا فى أول الإسلام، فنزل قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٧] أخرجه أحمد فى مسنده[4].

---

(١) أخرجه ابن عساكر كما في تهذيب تاريخ دمشق (٦/ ١٠)، وابن مردويه كما في الدر المنثور (٦/ ٢١٨) من طريق عروة بن رويم عن جابر بن عبد الله، به. وأخرجه ابن أبي حاتم عن عروة بن رويم مرسلاً، كما في الدر المنثور، وكذا ذكره الواحدي في أسباب النزول (٧٨١) وينظر الرياض (٢/ ٢٩٧).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري (٧٨٣٤) حدثنا مجاهد بن موسى قال: حدثنا جعفر بن عون قال: أخبرنا الأعمش عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب وهذا إسناد صحيح، وزاد السيوطي نسبته في الدر (٢/ ١٢٩) إلى عبد بن حميد وابن منذر، وينظر الرياض (٢/ ٢٩٧).

(٣) ينظر: دلائل النبوة (٣/ ١٠٢- ١١٧).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٤٦٠)، والطبري (٢٩٤٩) من طريق ابن المبارك عن ابن لهيعة قال حدثني =

ومنها قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ [النساء: ٦٥] أخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى الأسود قال: اختصم رجلان إلى النبى ﷺ، فقضى بينهما، فقال المقضى عليه: ردنا إلى عمر بن الخطاب، فأتيا إليه، فقال الرجل: قضى لى رسول الله ﷺ على هذا، فقال: ردنا إلى عمر، فقال له عمر: أكذلك كان ؟ قال: نعم. فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما، فدخل ثم خرج مشتملا على السيف، فضرب به عنق الذى قال ردنا إلى عمر فقتله، وأدبر الآخر فأتى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنه قتل عمر - والله - صاحبى، فقال: رسول الله ﷺ ما كنت أظن أن يجترئ عمر على قتل مؤمن، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، فأهدر - عليه الصلاة والسلام - دم الرجل لإخبار الله بكفره، وبرئ عمر - رضى الله عنه - من قتله، وأثيب عليه(١).

ومنها: ما أخرجه عثمان بن سعيد الدارمى من طريق ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن كعب الأحبار قال: ويل لملك الأرض من ملك السماء، فقال عمر: إلا من حاسب نفسه. فقال كعب: والذى نفسى بيده إنها محبرة فى التوراة كما قلت، فخر عمر ساجدا لله سبحانه(٢).

وعن على - رضى الله تعالى عنه -: إن عمر ليقول القول، فينزل القرآن بتصديقه، وعنه - أيضًا - كنا نقول: إن فى القرآن لكلاما من كلام عمر، ورأيًا من رأيه، رضى الله عنه وأرضاه(٣).

= موسى بن جبير مولى بني سلمة عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه بنحوه. وقال السيوطي في الدر (١/ ٣٥٧) بعد أن زاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم قال: سنده حسن، وقال الهيثمي (٦/ ٣٢٠) فيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وقد ضعف. اهـ قلت: فيه موسى بن جبير مستور كما في التقريب.

(١) ذكره السيوطي في الدر (٢/ ٣٢٢) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود وذكر السيوطي شواهد له لكنها مرسلة أيضا.

(٢) ينظر: الرياض (٢/ ٢٩٧- ٢٩٨).

(٣) ينظر: الرياض (٢/ ٢٩٨).

الأحاديث فى شأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه

الحديث الأول - عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: « اللهم أعز الدين بأحب الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب، أو بعمرو بن هشام » يعنى أبا جهل، فكان عمر أحبهما إليه. أخرجه الإمام أحمد والترمذى(١).

الحديث الثانى - ما أخرجه ابن السمان فى الموافقة عن على - رضى الله تعالى عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب »(٢) وروى مثله ابن مسعود(٣) وعائشة(٤) وغيرهما(٥).

الحديث الثالث - أخرج أبو حاتم والدارقطنى والحلقى والبغوى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: لما أسلم عمر أتى جبريل النبى ﷺ، فقال: يا محمد، لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر. قال ابن عباس، وكيف لا يكون ذلك، ولم يصعد للمسلمين صلاة ظاهرة، ولا نسك معروف إلا بعد إسلامه حين قال: والله لا نعبد الله سرا بعد هذا اليوم(٦)؟!.

الحديث الرابع - عن عقبة بن عامر - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ « لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب » أخرجه أحمد والترمذى(٧).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٩٥)، والترمذي (٣٦٨١)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢١٥-٢١٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر. وصححه ابن حبان (٦٨٨١).

(٢) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٢٧٦٨) وعزاه للطبراني والحاكم عن ابن عباس، وللطبراني عن ثوبان، ولابن عساكر عن عليّ والزبير وذكره الحافظ في الفتح (٧/ ٤٠٤) وعزاه لخيثمة في فضائل الصحابة.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٣١٤)، والحاكم (٣/ ٨٣)، وقال الهيثمي (٩/ ٦٤- ٦٥) رواه الطبراني في الكبير، والأوسط بنحوه باختصار، ورجال الكبير رجال الصحيح غير مجالد بن سعيد، وقد وثق.

(٤) أخرجه ابن حبان (٦٨٨٢)، والخطيب في التاريخ (٤/ ٥٤). والحاكم (٣/ ٨٣) بإسناد، صححه الحافظ في الفتح (٧/ ٤٠٤).

(٥) ينظر: الفتح (٧/ ٤٠٤)، ومجمع الزوائد (٩/ ٦٤)، وكنز العمال (١١/ ٥٨١).

(٦) أخرجه ابن حبان (٦٨٨٣)، وابن عدي (٤/ ٢٠٩)، والحاكم (٣/ ٨٤) وفي سنده عبد الله بن خراش ضعيف، كما في التقريب.

(٧) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٤)، والترمذي (٣٧٦٩)، والحاكم (٣/ ٨٥)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٢٩٨) رقم (٨٢٢)، وابن حبان كما في الفتح (٧/ ٤٠٨)، وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

الحديث الخامس - ما أخرجه البخارى عن أبى هريرة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: « قد يكون فى الأمم محدَّثون، فإن يكن فى أمتى أحد، فهو عمر ابن الخطاب »(١)، وتفسير محدَّثون: ملهمون، أى يلهمون الصواب.

الحديث السادس - عن سعد بن أبى وقاص قال: دخل عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يسألنه، ويستكثرنه رافعات أصواتهن، فلما استأذن عمر انقمعن وسكتن وابتدرن للحجاب، فدخل ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى، لما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب، فقال عمر: يا عدوات أنفسهن، أتهابننى، ولا تهابنَّ رسول الله ﷺ ؟! فقلن: أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: « يا بن الخطاب، إن الشيطان ما لقيك سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك ». أخرجه الشيخان وأحمد والنسائى(٢). قلت: « أفعل » هنا ليس على وصفه من الزيادة، بل هو مستعمل لأفعل الفعل كما فى: ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾ [البقرة:٢٢٨] الناقص واراشح أحد لا نبى الله.

الحديث السابع - أخرج الشيخان عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « بينما أنا نائم رأيتنى فى الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، قلت: لمن هذا القصر ؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرتِ غيرتك، فوليت مدبرًا »، فبكى عمر، وقال: أمنك أغار يا رسول الله(٣).

الحديث الثامن - أخرج الشيخان عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « بينما أنا نائم شربت لبنا حتى إنى أنظر إلى الرى يجرى فى أظفارى، ثم ناولته عمر. قالوا: فما أوَّلته يا رسول الله ؟ قال: العلم »(٤).

الحديث التاسع - أخرج أحمد والترمذى والنسائى عن أبى سعيد الخدرى قال:

---

(١) كذا قال المصنف عن أبي هريرة عن عائشة فوهم، فالحديث قد ورد عن أبي هريرة، وعن عائشة فأما حديث أبي هريرة: فأخرجه البخاري (٣٤٦٩، ٣٦٨٩) من طريق أبي سلمة عنه مرفوعًا وأما حديث عائشة: فأخرجه مسلم (٢٣- ٢٣٩٨) عن أبي سلمة عنها مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٩٤، ٣٦٨٣، ٦٠٨٥)، ومسلم (٢٢-٢٣٩٦)، وأحمد (١/ ١٧١، ١٨٢، ١٨٧)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٦٠) رقم (١٠٠٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٤٢، ٣٦٨٠، ٥٢٢٧، ٧٠٢٣، ٧٠٢٥)، ومسلم (٢١- ٢٣٩٥).

(٤) أخرجه البخاري (٨٢)، ومسلم (١٦- ٢٣٩١).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: بينما أنا نائم رأيت الناس عرضوا على وعليهم قُمص، فمنها ما يبلغ الثديّ، ومنها ما يبلغ الركبة، ومنها ما يبلغ أنصاف الساقين، وعرض عليّ عمر وعليه قميص يجره. قالوا: فما أولته يا رسول الله ؟ قال: الدين[١].

وفى رواية للحكيم الترمذى: بالدين إن القميص يستر العورة فى الدنيا، والدين يسترها فى الآخرة، ويحجبها عن كل مكروه، والأصل فيه: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾[٢] [الأعراف: ٢٦]، واتفق المعبرون على ذلك أعنى تعبير القميص بالدين، وإن ذلك يدل على بقاء آثار صاحبه من بعده. قال ابن العربى: إنما أول القميص بالدين؛ لأنه يستر عورة الجهل كما أن القميص يستر عورة البدن، وأما غير عمر فما يبلغ ثديه: هو ما يستر قلبه عن الكفر وإن عصى، وما يبلغ أسفل منه وفرجه باد: هو من لم يستر رجله عن المشى للمعصية، والذى يستر رجله: هو الذى احتجب بالتقوى من جميع الوجوه، والذى يجر قميصه زاد على ذلك بالعمل الصالح الخالص[٣].

وقال العارف ابن أبى جمرة: المراد بالناس فى الحديث: مؤمنو هذه الأمة، والمراد بالدين: امتثال الأوامر واجتناب النواهى. وكان لعمر فى ذلك المقام العالى. ويؤخذ من الحديث أن كل ما يرى فى القميص من حسن أو غيره عبر بدين لابسه، ونقصه إما بنقص الإيمان أو العمل[٤]، وفى الحديث: أن أهل الدين يتفاضلون فى الدين بالقلة والكثرة وبالقوة والضعف، وهذا من أمثلة ما يحمد فى المنام، ويذم فى اليقظة شرعا أعنى جر القميص[٥]، لما ورد من الوعيد فى جره خيلاء[٦].

---

(١) الحديث متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٣)، ومسلم (١٥- ٢٣٩٠)، وأحمد (٣/ ٨٦)، والترمذي (٢٢٨٦)، والنسائي (٨/ ١١٣- ١١٤).

(٢) ينظر الفتح (١٤/ ٤٢٦، ٤٢٧)، وقال الحافظ: واتفق أهل التعبير على أن القميص يعبر بالدين، وأن طوله يدل على بقاء آثار صاحبه من بعده.

(٣) ينظر: الفتح (١٤/ ٤٢٧).

(٤) ينظر: الفتح (١٤/ ٤٢٨).

(٥) ينظر: الفتح (١٤/ ٤٢٧).

(٦) أخرجه البخاري (٥٧٩١)، ومسلم (٤٢-٢٠٨٥) من حديث ابن عمر مرفوعًا: «من جرّ ثوبه مخيلة لم ينظر الله إليه يوم القيامة».

الحديث العاشر - أخرجه أحمد والترمذى عن ابن عمر، وأبو داود والحاكم عن أبى ذر، وأبو يعلى والحاكم عن أبى هريرة، والطبرانى عن بلال ومعاوية: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»[١].

الحديث الحادى عشر - أخرج الترمذى عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «إنى أنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر»[٢]، وأخرج ابن عدى عنها: «رأيت شياطين الإنس والجن فروا من عمر»[٣].

الحديث الثانى عشر - أخرج ابن ماجة والحاكم عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «أول من يصافحه الحق عمر، وأول من يأخذ كتابه بيمينه عمر، له شعاع كشعاع الشمس فيدخل الجنة عمر»[٤]. والمصافحة هنا: كناية عن مزيد الإنعام والاتصال، وهو أن أبا بكر أول من يدخل الجنة[٥]، فيجمع بحمل الأولية على التشبيه، أى أول من يدخلها بعد أبى بكر.

الحديث الثالث عشر - أخرج البزار عن ابن عمر وابن عساكر عن أبى هريرة والصعب بن جثامة: أن رسول الله ﷺ قال: «عمر سراج أهل الجنة»[٦].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٩٥)، والترمذي (٣٦٨٢)، وابن حبان (٦٨٩٥) من حديث ابن عمر. وأخرجه أبو داود (٢٩٦٢)، وابن ماجة (١٠٨)، والحاكم (٣/ ٨٧)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٩١) من حديث أبي ذر، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وأخرجه أحمد (٢/ ٤٠١)، وابن حبان (٦٨٨٩)، وابن أبي عاصم في السنة (١٢٥٠)، والبزار (٣/ ١٧٤) من حديث أبي هريرة وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٦٩): رواه أحمد والبزار، والطبراني في الأوسط، ورجال البزار رجال الصحيح غير الجهم بن أبي الجهم، وهو ثقة. وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠٧٧) من حديث بلال. وقال الهيثمي (٩/ ٦٩): فيه أبو بكر بن أبي مريم، وقد اختلط.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٩١)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٣) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٢٧٢١)، وعزاه لابن عدي.

(٤) أخرجه ابن ماجة (١٠٤) من طريق داود بن عطاء المديني، عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب وأخرجه الحاكم (٣/ ٨٤) من طريق آخر عن سعيد، كلاهما عن أبي بن كعب. في إسناد ابن ماجة داود بن عطاء ضعيف كما في التقريب ونقل محقق سنن ابن ماجه قول ابن كثير في جامع المسانيد: هذا الحديث منكر جدًا؛ وما هو أبعد من أن يكون موضوعًا. اهـ وتعقب الذهبي الحاكم فقال: موضوع، وفي إسناده كذاب.

(٥) تقدم في فضائل أبي بكر.

(٦) أخرجه البزار (٢٥٠٢- كشف الأستار) من حديث ابن عمر. وقال الهيثمي (٩/ ٧٧) فيه عبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرو الغفاري، وهو ضعيف. وأخرجه أبو نعيم في الحلية =

الحديث الرابع عشر - أخرج البزار عن قدامة بن مظعون عن عمه عثمان بن مظعون قال: قال رسول الله ﷺ: « هذا غلق العتبة » وأشار بيده إلى عمر، لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش هذا بين أظهركم »[١].

الحديث الخامس عشر - أخرج الطبرانى فى الأوسط والحكيم فى نوادر الأصول عن ابن عباس قال: جاء جبريل - عليه السلام - إلى النبى ﷺ، فقال: « أقرئ عمر السلام، وأخبره أن: غضبه عز، ورضاه حكم »، وفى رواية « أتانى جبريل، فقال: أقرئ عمر السلام، وقل له: إن رضاه حكم، وإن غضبه عز »[٢].

الحديث السادس عشر - أخرج ابن عساكر وابن عدى عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « ما فى السماء ملك إلا وهو يوقر عمر، ولا فى الأرض شيطان إلا وهو يفرق من عمر »[٣].

الحديث السابع عشر - أخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة: « إن الله باهى بأهل عرفة عامة، وباهى بعمر خاصة[٤]».

الحديث الثامن عشر - أخرج الطبرانى والديلمى عن الفضل بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « الحق بعدى مع عمر حيث كان، يدور معه حيث دار »[٥].

= (٦/ ٣٣٣) من حديث أبي هريرة. وفيه الواقدي متروك، كما في التقريب، وأخرجه ابن عساكر كما في كشف الخفاء (٢/ ٩٤)، وقال العجلوني: سنده ضعيف. وينظر كنز العمال (٣٢٧٣٤).

(١) أخرجه البزار (٢٥٠٦-كشف الأستار) والطبراني في الكبير (٩/ ٢٦-٢٧) رقم (٨٣٢١). وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٧٥) فيه جماعة لم أعرفهم، ويحيى بن المتوكل ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٦٦٥- مجمع البحرين) وقال الهيثمي (٩/ ٧٢): فيه خالد بن يزيد العمري وهو ضعيف.

(٣) أخرجه ابن عدي (٦/ ٣٤٩)، والحاكم في تاريخ نيسابور، والديلمي كما في كشف الخفاء (٢/ ٤١٨). وقال ابن عدي: هذا باطل، وأقره الذهبي في الميزان (٦/ ٥٤٩) في ترجمة موسى بن عبد الرحمن الثقفي الصنعاني.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٦٦٧- مجمع البحرين) وقال الهيثمي (٩/ ٧٣): فيه عبد الرحمن بن إبراهيم القاص، وثقه أحمد، وضعفه الجمهور.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨/ ٢٨٠) رقم (٧١٨)، وفي الأوسط (١٢٢٦- مجمع البحرين) عن الفضل مطولاً، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٩): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وأبو يعلى بنحوه. . . ، وفي إسناد أبي يعلى عطاء بن مسلم، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه جماعة، وفي إسناد الطبراني من لم أعرفهم. وينظر: ضعفاء العقيلي (٣/ ٤٨٢- ٤٨٣).

الحديث التاسع عشر - أخرج الطبرانى عن سديسة قالت: قال رسول الله ﷺ: « إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا خر لوجهه »[(١)].

الحديث العشرون - أخرج الطبرانى عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: « قال لى جبريل ليبكين الإسلام على موت عمر » رضى الله عنه[(٢)].

الحديث الحادى والعشرون - أخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: « من أبغض عمر فقد أبغضنى، ومن أحب عمر فقد أحبنى، وإن الله باهى بالناس عشية عرفة عامة، وباهى بعمر خاصة، وإنه لم يبعث الله نبيا إلا كان فى أمته محدَّث، وإن يكن فى أمتى منهم أحد، فهو عمر » قالوا: يا رسول الله، كيف محدث ؟ قال: تتكلم الملائكة على لسانه[(٣)].

الحديث الثانى والعشرون - أخرج أبو داود عن عمر: أن رسول الله قال: له: « لا تَنْسَنَا يا أخى من دعائك »، وفى رواية قال له: « يا أخى أشركنا فى صالح دعائك، ولا تَنْسَنَا »[(٤)].

الحديث الثالث والعشرون - أخرج النجار عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: « الصدق بعدى مع عمر حيث كان »[(٥)].

الحديث الرابع والعشرون - أخرج أحمد والترمذى وابن حبان فى صحيحه عن أنس والشيخان عن جابر وأحمد عن بريدة بن الحصيب: أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٤/ ٣٠٥) رقم (٧٧٤) من طريق الأوزاعي عن سديسة مرفوعًا. وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٧٣): لا نعلم الأوزاعي سمع أحدًا من الصحابة. ورواه في الأوسط (٣٦٥٩- مجمع البحرين) عن الأوزاعي عن سالم عن سديسة وهو الصواب، وإسناده حسن، إلا أن عبد الرحمن بن الفضل بن الموفق لم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٦١) ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٧٥)، وقال الهيثمي (٩/ ٧٧): وفيه حبيب كاتب مالك، وهو متروك كذاب.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٦٦٨- مجمع البحرين) وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٧٢): وفيه أبو سعد خادم الحسن، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. اهـ: وقال الذهبي في الميزان (٧/ ٣٧٢): لايدرى من ذا، وخبره باطل.

(٤) أخرجه أبو داود (١٤٩٨)، والترمذي (٣٥٦٢)، وابن ماجة (٢٨٩٤)، وأحمد (١/ ٢٩)، وابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٠٦)، والبيهقي (٥/ ٢٥١) من حديث ابن عمر عن عمر، به.

(٥) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٢٧١٦) وعزاه لابن النجار، (٣٢٧٥٥) وعزاه لابن النجار والديلمي.

« دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر ؟ قالوا: لرجل من قريش، فظننت أنى أنا هو، فقلت: ومن هو ؟ قالوا: عمر بن الخطاب، فلولا ما علمت من غيرتك لدخلته »[١].

الحديث الخامس والعشرون - أخرج الطبرانى وابن عدى: أن رسول الله ﷺ قال: « عمر معى، وأنا مع عمر، والحق بعدى مع عمر حيث كان »[٢].

الحديث السادس والعشرون - أخرج الترمذى والحاكم عن أبى بكر الصديق - رضى الله عنه -: أن النبى ﷺ قال: « ما طلعت الشمس على خير من عمر »[٣] قلت: المراد: بعد أبى بكر، جمعا بينه وبين ما ورد من مثله فى حق أبى بكر رضى الله عنهما.

الحديث السابع والعشرون - أخرج ابن سعد عن أيوب بن موسى قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه، وعمر الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل »[٤].

الحديث الثامن والعشرون - أخرج الطبرانى عن عصمة بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال كذا: « ويحك إذا مات عمر فإن استطعت أن تموت فمت »[٥].

الحديث التاسع والعشرون - أخرج فى المصابيح عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: « أشد أمتى فى أمر الله عمر »[٦].

الحديث الثلاثون - عن الحسن الفردوسى قال: لقى عمر أبا ذر فأخذ بيده

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٩٠)، والترمذي (٣٦٨٨)، وابن حبان (٥٤، ٦٨٨٧) من حديث أنس وأخرجه البخاري (٣٦٧٩)، ومسلم (٢٠-٢٣٩٤) من حديث جابر. وقد أخرجاه أيضًا من حديث أبي هريرة، وقد تقدم قريبًا. وأخرجه أحمد (٥/ ٣٥٤، ٣٦٠)، والترمذي (٣٦٨٩) من حديث بريدة.

(٢) تقدم قريبًا من حديث الفضل بن عباس.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٨٤)، والحاكم (٣/ ٩٠)، وابن أبي عاصم في السنة (١٢٧٤)، والعقيلي (٣/ ٤) وقال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده بذاك. وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي بقوله: الحديث شبه موضوع.

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٠٥).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ١٨٠) رقم (٤٧٨)، وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٨٢): فيه الفضل بن المختار، وهو ضعيف.

(٦) ذكره ابن كثير في البداية (٧/ ١٥١)، دون أن يعزوه.

فعصرها، فقال أبو ذر: دع يدى يا قفل الفتنة، وعرف عمر أن لكلمته أصلا، فقال: يا أبا ذر، ما قفل الفتنة ؟ فقال أبو ذر: جئتَ يومًا ونحن عند النبى ﷺ، فكرهتَ أن تتخطى رقاب الناس، فجلست فى أدبارهم، فقال ﷺ: « لا تصيبكم فتنة ما دام هذا معكم »[(١)]. خرجه المخلص الذهبى والرازى والملا فى سيرته، ومعناه فى الصحيح من حديث حذيفة، ولفظه: قال: كنا عند عمر، فقال أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ فى الفتنة. قال حذيفة: قلت: أنا، فقال: هات، فقلت: سمعت من رسول الله ﷺ يقول: فتنة الرجل فى أهله وماله ونفسه وولده وجاره يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر »، فقال عمر: ليس هذا أريد، أريد التى تموج كموج البحر. قال: قلت: مالك ولها يا أمير المؤمنين ؟ إن بينك وبينها بابا مغلقا، فقال: يكسر الباب أو يفتح ؟ قال: لا بل يكسر. قال ذلك أحرى ألا يغلق. قال: قلنا لحذيفة: هل كان عمر يعلم من الباب ؟ قال: نعم، كما يعلم أن دون غد الليلة؛ فإنى حدثته حديثا ليس بالأغاليط. قال: فهبنا أن نسأل حذيفة من الباب، فقلنا لمسروق: سله، فسأله، فقال: عمر. أخرجه البخارى ومسلم[(٢)].

عن عبد الله بن سلام أنه مر بعبد الله بن عمر وهو نائم، فحركه برجله، وقال: من ؟ قال: أنا عبد الله بن عمر، فقال: قم يا بن قفل جهنم، فقام عبد الله وقد تغير وجهه حتى أتى والده عمر، فقال له: ما سمعه من عبد الله بن سلام، فقال عمر: الويل لعمر إن كان بعد عبادة أربعين سنة، ومصاهرة النبى ﷺ، وقضاياه فى المسلمين بالاقتصاد أن يكون مصيره إلى جهنم، قال: فقام عمر، وتقنع بطيلسانه، وألقى الدرة على عاتقه، فاستقبله عبد الله بن سلام، فقال له عمر: بلغنى عنك أنك قلت لابنى: يا بن قفل جهنم، قال ابن سلام: نعم. قال: فكيف قلت إنى فى جهنم حتى أكون قفل جهنم ؟! قال: معاذ الله يا أمير المؤمنين أن تكون فى جهنم، ولكنك قفل جهنم. قال كيف ؟! قال: أخبرنى أبى عن آبائه عن موسى بن عمران - عليه

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٦٦٩- مجمع البحرين)، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٧٦): ورجاله رجال الصحيح غير السري بن يحيى، وهو ثقة ثبت، ولكن الحسن البصري لم يسمع من أبي ذر فيما أظن.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٥)، ومسلم (٢٣١- ١٤٤) كتاب الإيمان (٢٦-١٤٤) كتاب الفتن.

السلام - عن جبريل: أنه قال: يكون فى أمة محمد رجل يقال له: عمر بن الخطاب أحسن الناس دينا، وأحسنهم يقينا، ما دام فيهم فالدين عال، واليقين فاش، فاستمسك بالعروة الوثقى من الدين فجهنم مقفلة، فإذا مات عمر فرق الدين، وافترق الناس على فرق عن أهواء، وفتحت أقفال جهنم فيدخل فيها(١).

الحديث الحادى والثلاثون - عن عمران بن حصين قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا كان يوم القيامة وحشر الناس، جاء عمر بن الخطاب حتى يقف فى الموقف، فيأتيه شيء أشبه شيء به، فيقول له: جزاك الله خيرًا، فيقول له: من أنت ؟ فيقول: أنا الإسلام، جزاك الله عنى يا عمر خيرًا، ثم ينادى مناد: ألا لا يدفعن لأحد كتاب حتى يدفع لعمر بن الخطاب، ثم يعطى كتابه بيمينه ويؤمر به إلى الجنة. قال: فبكى عمر، وأعتق جميع ما يملكه وهم إذ ذاك تسعة عشر(٢).

الحديث الثانى والثلاثون - عن ابن عباس - رضى الله عنهما -: نظر رسول الله ﷺ إلى عمر ذات يوم وتبسم، ثم قال: أتدرى يا بن الخطاب لم تبسمت إليك ؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: إن الله - عز وجل - نظر إليك بالشفقة والرحمة ليلة عرفة، وجعلك مفتاح الإسلام(٣).

الحديث الثالث والثلاثون - عن أنس - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: « عمر بن الخطاب أول من يسلم عليه الحق يوم القيامة، وكل أحد مشغول بأخذ الكتاب وقراءته »(٤). أخرجه فى الفضائل.

الحديث الرابع والثلاثون - عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « عمر بن الخطاب من أهل الجنة »(٥) أخرجه أبو حاتم.

الحديث الخامس والثلاثون - عن زيد بن أبى أوفى: أن رسول الله ﷺ قال لعمر

---

(١) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٥٨٢٠) عن ابن عباس وعزاه لابن عساكر.

(٢) ينظر: الرياض (٢/ ٣٠٧،٣٠٨)، وفيه وهم تسعة، بدلاً من قوله: تسعة عشر.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١١٤٣٠) عن ابن عباس به، إلا أنه قال: «إن الله باهى ملائكته ليلة عرفة بأهل عرفة عامة، وباهى بك خاصة» وقال الهيثمي (٩/ ٧٣): فيه رشدين بن سعد مختلف في الاحتجاج به.

(٤) تقدم حديث أبي: «أول من يصافحه الحق عمر، وأول من يأخذ كتابه بيمينه عمر، له شعاع كشعاع الشمس فيدخل الجنة عمر».

(٥) أخرجه ابن حبان (٦٨٨٤).

ابن الخطاب: « أنت معى فى الجنة ثالث ثلاثة »[١].

الحديث السادس والثلاثون - عن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ قال: « ينادى مناد يوم القيامة: أين الفاروق ؟ فيؤتى، فيقول: مرحبًا بك يا أبا حفص، هذا كتابك إن شئت فاقرأه، وإن شئت فلا، فقد غفرت لك، ويقول الإسلام: يا رب، هذا عمر أعزنى فى دار الدنيا فأعزه فى عرصات القيامة، فعند ذلك يحمل على ناقة من نور، وقد كسى حلتين لو نشرت إحداهن لغطت الخلائق؛ ثم يسير بين يديه سبعون ألف لواء؛ ثم ينادى مناد: يأهل الموقف هذا عمر فاعرفوه. خرجه الفضائلى[٢].

الحديث السابع والثلاثون - عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: « من أحب عمر عمّر الله قلبه بالإيمان »، أخرجه الفضائلى[٣].

الحديث الثامن والثلاثون - عن مالك بن أنس - رضى الله عنه - قال: أصاب الناس قحط فى زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا. قال فأتاه رسول الله ﷺ فى المنام، فقال: ائت عمر ومره أن يستسقى للناس فإنهم يسقون، وقل له: عليك الكيس، الكيس، فأتى الرجل عمر فأخبره، فبكى عمر، وقال: يا رب، ما آلو إلا ما عجزت عنه[٤]. خرجه البغوى فى الفضائل وأبو عمرو.

الحديث التاسع والثلاثون - عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « اتقوا غضب عمر، فإن الله يغضب لغضبه » خرجه الملا فى سيرته وصاحب النزهة.

---

(١) أخرجه مطولاً الطبراني في الكبير (٥١٤٦)، والبخاري في التاريخ الصغير (١/ ٢٥٠)، وابن قانع في معجمه (٢٥٠)، وابن عساكر كما في التهذيب (٦/ ٢٠٢)، والبغوي في معجمه، والباوردي كما في الدر المنثور (٤/ ٦٦٩) وقال البخاري: هذا إسناد مجهول، لا يتابع عليه، ولا يعرف سماع بعضهم من بعض، لا أصل له. وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٢١٩): هذا حديث لا يصح.

(٢) ذكره المحب في الرياض (٢/ ٣١٨).

(٣) ذكره المحب في الرياض (٢/ ٣١٩).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٥٦) رقم (٣٢٠٠٢) وذكره الهندي في الكنز (٢٣٥٣٥) وعزاه للبيهقي في الدلائل. وينظر تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين (٢٧٣).

وفى رواية: « لا تغضبوا عمر فإن الله يغضب إذا غضب »[(١)].

الحديث الأربعون : عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: رأى النبى ﷺ ثوبًا أبيض على عمر، فقال: أجديد قميصك أم غسيل ؟ فقال عمر: بل جديد، فقال ﷺ: « البس جديدا، وعش حميدًا، ومت شهيدا ». قال عبد الرزاق: وافقه الثورى عن إسماعيل بن أبى خالد « ويعطيك الله قرة العين فى الدنيا والآخرة ». أخرجه أبو حاتم[(٢)].

وعن عمر وقد قرأ يومًا على المنبر: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ [الرعد:٢٣] هل تدرون ما جنات عدن ؟ قصر فى الجنة له خمسة آلاف باب، على كل باب عشرون ألفا من الحور العين، لا يدخله إلا نبى، وهنيئا لصاحب هذا القبر، وأشار إلى قبره - عليه الصلاة والسلام -، أو صديق وأشار إلى قبر أبى بكر الصديق، أو شهيد وأنى لعمر الشهادة وهو بجزيرة العرب، ثم قال: إن الذى أخرجنى عن حنتمة بنت هاشم بن المغيرة - يعنى أمه - قادر أن يسوقها إلى . قال ابن مسعود - رضى الله عنه -: فساقها الله إليه على يد شر خلقه مجوسى عبد مملوك للمغيرة بن شعبة[(٣)]، كما سيأتى ذكر هذا بالأثر عند ذكر وفاته، رضى الله تعالى عنه .

الحديث الحادى والأربعون - عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ قال: « كيف بك يا بن الخطاب إذا جاءك منكر ونكير، وهما ملكان فظان، غليظان، أسودان، أزرقان، ألوانهما كالليل الدامس، أصواتهما كالرعد القاصف، عيونهما كالشهب الثواقب، أسنانهما كالرماح، يسحبان شعورهما على الأرض، بيد كل منهما مطرقة لو اجتمع الثقلان لم يقدروا على حملها، يسألانك عن ربك وعن

---

(١) أخرجه الخطيب (٥/ ٤٣٠) في ترجمة محمد بن عبد الله أبي لقمان النخاس، قال الخطيب: كان ضعيفًا يروي المنكرات عن الثقات. وذكره الهندي في الكنز (٣٢٧٨٦) وزاد نسبته إلى الحاكم في تاريخه، وأبي نعيم في فضائل الصحابة، والديلمي، وابن النجار.

(٢) أخرجه ابن حبان (٦٨٩٧)، وهو في مصنف عبد الرزاق (٢٠٣٨٢)، وأخرجه من طرق عنه أحمد (٢/ ٨٨-٨٩)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٨٥) رقم (١٠١٤٣)، وابن ماجة (٣٥٥٨)، والطبراني في الكبير (١٣١٢٧)، وابن السني في اليوم والليلة (٢٦٨) والبغوي في شرح السنة (٦/ ١٧٣) رقم (٣٠٠٦) عن معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر، به.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٠٧) دون قول ابن مسعود، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم.

نبيك ؟ فقال عمر - رضى الله عنه -: أيأتيانى وأنا ثابت كما أنا ؟ قال: نعم. قال عمر: فسأكفيكهما - وفى رواية بفيهما الحجر - فقال رسول الله ﷺ: والذى بعثنى بالحق نبيًا لقد أخبرنى جبريل: أنهما يأتيانك ويسألانك، فتقول أنت: الله ربى فمن ربكما ؟ ومحمد نبى فمن نبيكما ؟ والإسلام دينى فما دينكما ؟ فيقولان: واعجباه! ما ندرى نحن أرسلنا إليك أم أنت أرسلت إلينا ؟! » خرجه عبد الواحد بن محمد بن على المقدسى فى كتابه التبصرة(١).

الحديث الثانى والأربعون : روى الحاكم فى تاريخه عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « رضَا الله رضا عمر، ورضَا عمر رضا الله تبارك وتعالى »(٢).

الحديث الثالث والأربعون : عن أبى هريرة: « لو لم أبعث فيكم لبعث عمر، إن الله - عز وجل - أيّد عمر بملكين يوفقانه ويسددانه، فإذا أخطأ صرفاه حتى يكون صوابًا » أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس(٣).

أقول: هذا ما ظفرت به من الأحاديث الواردة فى شأنه خاصة، وما ورد مشتركا بينه وبين أبى بكر أو مع الثلاثة أو مع الأربعة أو مع العشرة فهى كثير، لم أورد منه شيئا، وكذلك ما ورد فى الثناء عليه من الصحابة والسلف الصالح من المناقب والكرامات والصلابة فى الدين والزهد والخوف من الله وغير ذلك من أوصافه الجميلة ومزاياه الجليلة، فهى كثير مبسوط مسطر، لم أورد منه شيئا؛ طلبا للاختصار، واعتمادا على ما ذكره المؤلفون فى محاله.

ذكر وفاته شهيدا رضى الله عنه

قال الذهبى: قال سعيد بن المسيب: إن عمر لما نفر من منى أناخ بالأبطح، ثم كوم كومة من بطحاء، ثم استلقى ورفع يديه إلى السماء فقال: اللهم كبرت سنى، وضعفت قوتى، وانتشرت رعيتى، فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مفرط. ثم رجع

---

(١) ذكره الحافظ في المطالب العالية (٤٦٠٣) مختصرًا، دون آخره، . عن عطاء بن يسار، وعزاه للحارث بن أبي أسامة، وقال رجاله ثقات مع إرساله.

(٢) ذكره الهندي في الكنز (٣٢٧٤٨)، وعزاه للحاكم في تاريخه.

(٣) ذكره المتقى الهندي في الكنز (٣٢٧٦١) وعزاه للديلمي عن أبي هريرة وأبي بكر.

إلى المدينة، فما انسلخ ذو الحجة حتى طعن[(١)].

وقالت عائشة - رضى الله عنها -: لما كان آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين مررت بالمحصب، فسمعت رجلا على راحلة رفع عقيرته، فقال: [من الطويل]

أبعد قَتِيلٍ بالمدينة أَظْلَمَتْ ... له الأرضُ تهتزُّ العِضَاهُ بأسوقِ؟!
جزى الله خيرًا من إمامٍ وباركتْ ... يَدُ الله فى ذاك الأدِيمِ الممزَّقِ
فمن يَسْعَ أو يركبْ جناحى نعامةٍ ... ليدركَ ما قدمتَ بالأمس يُسْبَقِ
قَضيْتَ أمورًا ثمَّ غادرتَ بَعْدهَا ... بَوَائِقَ فِى أكمَامِهَا لم تُفَتَّقِ
ومَا كنْت أخْشَى أنْ تكونَ وفاتُهُ ... بكفَّىْ سَبَنْتَى أهرتِ الشِّدقِ أزْرقِ

قالت: فلم ندر ذا الراكب من هو، وكنا نتحدث أنه من الجن، فرجع عمر من تلك الحجة، وطعن فى ذى الحجة[(٢)]. وقولها: لما كان آخر حجة؛ وذلك لأن سيدنا عمر - رضى الله عنه - حج عشر سنين متواليات بأزواج النبى ﷺ آخرهن سنة ثلاث وعشرين من الهجرة حج بهن فى الهوادج عليهن الستور، ووصى عليهن ابنه عبد الرحمن، فكان ينزلهن فى الشعب، لا منفذ له صونا لهن، وينزل هو عند بابه.

وروى عن سيدنا عمر - رضى الله تعالى عنه - أنه لما وصل إلى المدينة قال: اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك، واجعل موتى فى بلد رسولك. كذا فى البخارى[(٣)].

وقال معدان بن أبى طلحة اليعمرى: خطب عمر بعد رجوعه إلى المدينة يوم جمعة، فذكر نبى الله وأبا بكر، ثم قال: رأيت كأن ديكا نقرنى نقرة أو نقرتين، وإنى لا أراه إلا لحضور أجلى، وإن قوما يأمروننى أن أستخلف، وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته، فإن عجل بى أمرى فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفى

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٥٥)، والحاكم (٣/ ٩١-٩٢)، وينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين (٢٧٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٥٧) رقم (٣٢٠٠٦)، وابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٥٤، ٢٨٥ - ٢٨٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٨٩٠).

رسول الله ﷺ، وهو عنهم راض: عثمان، وعلى، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن ابن عوف، وسعد(١).

وقال الزهرى: كان عمر لا يأذن لسبى قد احتلم فى دخول المدينة حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة - وهو عامله على الكوفة - يذكر له أن عنده غلاما عنده صنائع، ويستأذنه أن يدخل المدينة، ويقول: إن عنده أعمالاً كثيرة يحسنها فيها منافع للناس، إنه: حداد، نقاش، حجار؛ فأذن له أن يرسل به، وضرب عليه المغيرة بن شعبة مائة درهم فى الشهر، فجاء إلى عمر فشكا كثرة الخراج عليه، فقال له عمر: ما خراجك بكثير وأنت تحسن هذه الصنائع، فانصرف ساخطا يتذمر، ويقول: وسع عدل عمر العالمين غيرى، فمكث عمر ليالٍ ثم دعاه، فقال له: ألم أخبر أنك لو تشاء لصنعت رحى تطحن بالريح ؟ فالتفت إلى عمر عابسًا، وقال: لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها، فلما ولى قال عمر لأصحابه: توعدنى العبد آنفا، ثم اشتمل العبد واسمه: فيروز، وكنيته: أبو لؤلؤة على خنجر ذى رأسين، فقبضه فى وسطه، فكمن له فى زاوية من زوايا المسجد فى الغلس، وكان عمر يقول للناس حال القيام للصلاة: أقيموا صفوفكم قبل أن يكبر، فجاء هذا الغلام المجوسى: فيروز أبو لؤلؤة، وقام حذاءه فى الصف، فلما كبر عمر للصلاة ضربه بين كتفيه وفى خاصرته فسقط(٢).

قال عمرو بن ميمون: إنى لقائم فى الصلاة وما بينى وبين عمر إلا ابن عباس، فما هو إلا أن كبر بعد أن ضرب، فسمعته - رضى الله عنه - يقول: قتلنى الكلب، وطار العلج، لا يمر على أحد يمينا ولا شمالاً إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً، مات منهم سبعة أو [تسعة](٣)، فطرح رجل عليه برنسا وضمه، فلما علم عدو الله أنه مأخوذ نحر نفسه، ثم قال عمر - رضى الله عنه -: الحمد لله الذى لم يجعل ميتتى على يد أحد يدّعى الإسلام(٤).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٣٧) رقم (٣٧٠٦٢) وابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٥٥)، والحاكم (٣/ ٩٠ - ٩١). وينظر تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين (٢٧٦).

(٢) ينظر طبقات ابن سعد (٣/ ٢٦٢)، وكنز العمال (٣٦٠٤٨)، وعهد الخلفاء الراشدين (٢٧٦).

(٣) ليست في صحيح البخاري .

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٠٠) .

قال ابن خلكان: ذكر أنه لما طعن عمر اختار من الصحابة - رضى الله عنهم - الستة النفر الذين تقدم ذكرهم، وكان سعد غائبا، فأرسل إليه، فجعل أمره إلى عبد الرحمن بن عوف كما سأذكره، وجعل ابنه عبد الله بن عمر مشيرا، وليس له من الأمر شيء، وأمر المسور بن مخرمة - وفى رواية أمر أبا طلحة الأنصارى - أن يكون فى خمسين رجلا يكونون مع هؤلاء النفر أهل الشورى، قال فإنهم فيما أحسب يجتمعون فى بيت، فقم أنت فى أصحابك على بابه فلا تترك أحدا يدخل عليهم، ثم إن اتفقوا على واحد إلى ثلاثة أيام، وإلا فاضربوا أعناق الكل؛ فلا خير للمسلمين فيهم، ولو افترقوا فرقتين فالفرقة التى فيها عبد الرحمن بن عوف[١].

وأوصى أن يصلى بالناس صهيب بن سنان الرومى فى تلك الثلاثة الأيام[٢].

عن أبى الحويرث قال: لما مات عمر، ووضع؛ ليصلى عليه، أقبل على وعثمان أيهما يصلى عليه، فقال لهما عبد الرحمن بن عوف: إن هذا لهو الحرص على الإمارة، لقد علمتما ما هذا إليكما، وقد أوصى به إلى غيركما، يا صهيب تقدم فصل عليه[٣].

قال الذهبى: قال سالم بن عبد الله بن عمر: دخل أصحاب الشورى ما عدا سعدًا فإنه كان غائبا على عمر - رضى الله تعالى عنه - فنظر إليهم، ثم قال: إنى نظرت لكم فى أمر الناس، فلم أجد عند أحد شقاقا إلا أن يكون فيكم، ثم قال مخاطبا عثمان وعليا وابن عوف: إن قومكم لن يدَعوا أن يؤمروا أحدكم أيها الثلاثة، فإن كنتَ على شيء من أمر الناس يا عثمان، فلا تحملن بنى أبى معيط على رقاب الناس، وإن كنت يا بن عوف على شى من أمر الناس فلا تحملن بنى زهرة على رقاب الناس، وإن كنت يا بن أبى طالب على شيء من أمر الناس، فلا تحملن بنى هاشم على رقاب الناس، قوموا فتشاوروا، وأمروا أحدكم. فقاموا يتشاورون. قال ابن عمر: فدعانى عثمان؛ ليدخلنى فى هذا الأمر، فقلت له: لم يدخلنى أمير

(١) ينظر طبقات ابن سعد (٣/ ٢٧٧-٢٧٨)، وتاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين (٣٠٤).

(٢) ينظر مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٤٣٦-٤٣٧) وطبقات ابن سعد (٣/ ٢٦٢)، والفتح (٧/ ٤٣٠).

(٣) ينظر طبقات ابن سعد (٣/ ٢٨٠)، والمستدرك (٣/ ٩٢)، وتاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص ٢٨٢ .

المؤمنين معكم، وقلت: وكيف تؤمرونى وأمير المؤمنين حى ؟ فكأنما أيقظتهم، فقال عمر: أمهلوا فإذا حدث بى حادث فأمروا[١].

قال الذهبى: فلما دفن اجتمع هؤلاء الرهط أهل الشورى، فقال عبد الرحمن لعثمان خلوة: إن لم أبايعك فبمن تشير على ؟ فقال: أشير عليك بعلى، وقال لعلى: إن لم أبايعك فبمن تشير على ؟ فقال: بعثمان، ثم قال لطلحة: أما أنا وأنت فلا نريدها، فبمن تشير على ؟ فقال: أشير بعثمان، ثم إن عبد الرحمن بن عوف قال: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة، فقال الزبير: قد جعلت أمرى إلى على، وقد كان سعد جعل أمره إلى عبد الرحمن بن عوف، وقال طلحة: قد جعلت أمرى إلى عثمان، فخلا عبد الرحمن بن عوف وعلى وعثمان، فقال عبد الرحمن: أنا لا أريدها، فأيكما يبرأ من هذا الأمر لصاحبه، فيجعله لله، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم، وليحرصن على صلاح الأمة ؟ فسكت الشيخان: على، وعثمان. فقال عبد الرحمن: اجعلاه إليّ والله عليّ لا آلوكم عن أفضلكم. قالا: نعم، فخلا بعلى، وقال له: لك من القدم فى الإسلام والقرابة ما قد علمت، الله عليك وعهده، لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرتُ عليك لتسمعن وتطيعن ؟ قال على: نعم. ثم خلا بعثمان، فقال له مثل ذلك. فقال: نعم.

فلما أخذ ميثاقهما نودى فى الناس: الصلاة جامعة، فخرج عبد الرحمن عليه عمامة النبى ﷺ التى عممه إياها، متقلدًا سيفه، وصعد المنبر، فوقف طويلا يدعو سرًا، ثم قال: يأيها الناس، إنى قد سألتكم سرًا وجهرا، ثنا ووحدانا على أمانتكم، فلم أجدكم تعدلون عن أحد هذين الرجلين: على، وعثمان. قم إليّ يا على، فقام على - رضى الله عنه - ووقف جنب المنبر، فأخذ بيده، فقال: تبايعنى على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفعل أبى بكر ؟ فقال على: اللهم لا، ولكن على جهدى من ذلك وطاقتى.

ثم قال عبد الرحمن: يا عثمان، قم. فقام فأخذ بيده فى موقف على، وقال له: كما قال لعلى، فقال عثمان: اللهم نعم. فرفع عبد الرحمن بن عوف رأسه إلى

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣/ ٢٦١-٢٦٢) وقال الحافظ في الفتح (٧/ ٤٣٠): إسناده صحيح. وينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين (٢٨١-٢٨٢).

سقف المسجد ويده فى يد عثمان، ثم قال: اللهم اشهد، اللهم إنى جعلت ما فى رقبتى فى رقبة عثمان. قال: فازدحم الناس على عثمان يبايعونه حتى غشوه عند المنبر، فأقعد على الدرجة الثانية من المنبر، وعبد الرحمن قاعد فى مقعد النبى ﷺ من المنبر فوقه، قال: وتلكأ على، فقال عبد الرحمن: ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح: ١٠]، فرجع على، وشق الناس حتى وصل إلى عثمان، وبايعه وهو يقول خدعة، وأى خدعة[١]!!.

وبقى عمر - رضى الله عنه - بعد طعنه ثلاثة أيام، وكان طعنه يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة[٢].

قال العلامة الشامى فى سيرته: أرسل عمر - رضى الله عنه - وهو جريح ابنه عبد الله إلى عائشة - رضى الله عنها - فقال له: قل لها يقرأ عمر عليك السلام - ولا تقل أمير المؤمنين؛ فإنى اليوم لست أميرهم - وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فجاء إليها عبد الله بن عمر، فسلم، واستأذن؛ فدخل، فوجدها تبكى، فقال لها؛ فأذنت وقالت: كنت أردته - تعنى مكان القبر - لنفسى، ولأوثرنه اليوم على نفسى.

فلما أقبل عبد الله من عندها قيل لعمر: هذا عبد الله. قال: ارفعونى، فأسنده رجل، فقال لعبد الله: ما لديك ؟ فقال عبد الله: الذى تحب، أذنت عائشة. قال: الحمد لله، ما كان شيء أهمّ إليّ من ذلك، فإذا أنا قبضت فاحملونى، ثم سلم وقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لى فأدخلونى، وإن ردت فردونى إلى مقابر المسلمين[٣].

---

(١) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين (٣٠٤)، وينظر كذلك تاريخ الطبري (٤/ ٢٣٧-٢٣٩) وقال ابن كثير في البداية (٧/ ١٦٥): وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير، وغيره من رجال لا يعرفون أن عليًا قال لعبد الرحمن: خدعتني، وإنك إنما وليته، لأنه صهرك، وليشاورك كل يوم في شأنه، وأنه تلكأ حتى قال له عبد الرحمن ﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا﴾ إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصحاح فهي مردودة على قائليها وناقليها والله أعلم والمظنون بالصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة، وأغبياء القصاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها، ومستقيمها وسقيمها ومبادها وقويمها، والله الموفق للصواب.ا هـ.

(٢) ينظر طبقات ابن سعد (٣/ ٢٧٨) .

(٣) أخرجه البخاري (١٣٩٢) من حديث عمرو بن ميمون الأودي.

وأوصاهم أن يقصدوا فى كفنه، ولا يتغالوا.

وغسله ابنه عبد الله، وحمل على سرير رسول الله ﷺ، وصلى عليه صهيب فى مسجده ﷺ، وكبر عليه أربعًا، ودفن يوم الأحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح، فنزل فى قبره ابنه عبد الله، وعثمان بن عفان وسعيد بن زيد.

كانت مدة خلافته عشر سنين، وستة أشهر، وخمس ليال.

قال الذهبى: لما توفى عمر أظلمت الأرض، فجعل الصبى يقول: يا أماه أقامت القيامة ؟ فتقول: لا يا بنى، ولكن قتل عمر.

ذكر أولاده رضى الله عنه

كان له ثلاثة عشر: تسعة ذكور، وأربع أناث(١)، الأول عبد الله، وكان يكنى أبا عبد الرحمن، أسلم مع أبيه صغيرا بمكة، وصاحب مع أبيه وأمه وهو ابن عشر سنين، وشهد المشاهد كلها بعد أحد.

قال الدارقطنى: استصغره النبى ﷺ يوم أحد، وشهد الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة(٢) فشهد المشاهد كلها. كان عالما مجتهدًا عابدا لزومًا للسنة فارًا من البدعة ناصحًا للأمة، رؤى فى الكعبة ساجدًا يقول فى سجوده: يا رب، ما يمنعنى من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفك. أثنى عليه رسول الله ﷺ، فقال: « إن عبد الله رجل صالح »(٣).

قال نافع: أعتق ألف نسمة أو زاد، عاش إلى زمان عبد الملك بن مروان.

قال أبو اليقظان: زعموا أن الحجاج دس له رجلا قد سم زج رمحه، فزحمه فى الطريق، وطعنه فى ظهر قدمه، فدخل عليه الحجاج، فقال له: يا أبا عبد الرحمن من أصابك ؟ قال: أنت أصبتنى. قال: وَلم تقول هذا يرحمك الله ؟! قال: حملتَ

---

(١) ينظر طبقات ابن سعد (٣/ ٢٠١) وصفة الصفوة (١/ ١٤٢)، وتاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين (٢٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٦٤)، ومسلم (٩١-١٨٦٨) من حديث ابن عمر قال: عرضني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد في القتال، وأنا ابن أربع عشرة سنة، فلم يجزني، وعرضني يوم الخندق، وأنا ابن خمس عشرة سنة، فأجازني.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٤٠، ٣٧٤١)، ومسلم (١٣٩-٢٤٧٨) من حديث ابن عمر عن حفصة.

السلاح فى بلد لم يكن يحمل السلاح فيه، فمات، فصلى عليه عند الردم، ودفن فى حائط أم خرمان[١].

قلت: هذا الحائط لا يعرف اليوم بمكة ولا حولها، وإنما بالأبطح موضع يقال له: « الخرمانية » فلعله نسب إلى أم خرمان. وقال غير أبى اليقظان: دفن بـ« فخ » وهو موضع مشهور وهو ابن أربع وثمانين سنة، وله عقب منهم: عبد الرحمن، وسالم[٢]، وكان عبد الله هذا من الصلاح والدين والعقل عن أحوال الدنيا على الجانب الأعظم، فمن ذلك ما نقله العلامة الصفدى فى تذكرته، فقال: هجت عاتكة بنت عبد الرحمن زوجها ابن أبى عتيق بهذين البيتين: [من الكامل]

ذَهَبَ الإلهُ بما تعيشُ به ... وَقَمَرْتَ لبد أيمَا قَمَرِ

أنفقتَ مَالَكَ غير مُحْتَشِمٍ ... فى كُلِّ زانِيَةٍ وفى الخَمْرِ

وكان ابن أبى عتيق هذا صاحب دعابة وفكاهة، فأخذ البيتين المذكورين فى رقعة، وخرج فإذا هو بعبد الله بن عمر المشار إليه، فقال له: يا أبا عبد الرحمن اقرأ هذا وأشر عليّ برأيك، فلما قرأها قال له: ما ترى فيمن هجانى بهذا ؟ قال له ابن عمر: أرى أن تعفو عنه، وتصفح، فقال ابن عتيق: والله لئن لقيت قائلهما لأ . .كنه، فاربدّ لون عبد الله بن عمر، وأخذته رعدة واختلاط، فقال لابن أبى عتيق: ما هذا غضب الله عليك ؟! فقال له: هو ما قلت لك، والله لأفعلنها. وافترقا.

فلما كان بعد أيام لقيه عبد الله بن عمر، فأعرض عنه موليا، فقال ابن أبى عتيق: علمت يا أبا عبد الرحمن أنى لقيت قائل ذلك الشعر فـ .كته، فصعق ابن عمر، وليط به، فلما رأى ابن أبى عتيق ما ناله دنا منه، وسارّه فى أذنه، وقال: والله إن الشعر لامرأتى وهى التى فعلتُ بها، فقام ابن عمر - رضى الله عنهما - وقبل بين عينيه. انتهى ما ذكره الصفدى.

---

(١) ينظر المعارف لابن قتيبة (١٨٥) وأخرج البخاري (٩٦٦) عن سعيد بن جبير قال: كنت مع ابن عمر حين أصابه سنان الرمح في أخمص قدمه فلزقت قدمه بالركاب. فنزلت فنزعتها، وذلك بمنى. فبلغ الحجاج فجعل يعوده. فقال الحجاج: لو نعلم من أصابك، فقال ابن عمر: أنت أصبتني. قال: وكيف؟ قال: حملت السلاح في يوم لم يكن يحمل فيه، وأدخلت السلاح الحرم، ولم يكن السلاح يدخل الحرم.

(٢) ينظر الرياض النضرة (٢/ ٤٢٤) .

قلت: رأيت فى كتاب أنساب قريش للزبير بن بكار: ابن أبى عتيق هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق، رضى الله عنهم[١].

وقريب من هذه ما وقع لولده سالم بن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهم -، وهو ما رأيته بخط العلامة: نجم الدين بن عمر بن فهد القرشى، ما نصه: أخبرنا أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطى، وذكر سندا، انتهى فيه إلى الزبير بن بكار قاضى مكة قال: حدثنى عمى عن أشعب الطماع قال: كان عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن عفان شفعنى ويسخنى ويدعونى، فأحدثه وألهيه، فمرض، ولهوت عنه فى بعض جرياتى أيامًا، ثم جئت منزلى، فقالت لى زوجتى بنت رومان: ويحك أين كنت؟ عبد الله بن عمرو كان ينفعك، مرض، فهو يقلق بالنهار ويسهر بالليل، أرسل إليك؛ تلهيه وتعلله فلم يجدك. قلت: إنا لله، ثم فكرت ساعة، ثم قلت: هات لى قارورة دهن خلوفية ومنديل الحمام، ففعلت، وخرجت أريد الحمام، فمررت بسالم بن عبد الله بن عمر؛ فقال لى: يا أشعب، هل لك فى هريس أهديث إلىّ ؟ قلت: نعم، جعلنى الله فداك، فدعا بها؛ فأتى بصحفة كبيرة فأكلت حتى شبعت، فجعلت أتكاره عليها، فقال: ويحك يا أشعب لا تقتل نفسك!! فإن ما فضل عنك نبعث به إلى بيتك. قلت: وتفعل ؟ قال: ما أردت إلا ذاك، فكففت يدى، فبعث بها إلى بيتى، وخرجت فدخلت الحمام فاطليت، ثم صببت على دهن الخلوفية، ثم سكبت على ماء، وخرجت وعليّ صفرة الدهن، وقد صار لونى أصفر كأنه الزعفران. قال فلبست أطمارى، وعصبت رأسى، وأخذت معى وصبة، ثم خرجت أمشى متكئا عليها حتى جئت باب عبد الله بن عمرو بن عثمان، فلما رآنى حاجبه قال: ويحك يا أشعب ظلمناك، وغضضنا منك، وأنت قد بلغتَ ما أرى من العلة. قال: قلت: أدخلنى على سيدى أخبره، فأدخلنى عليه، فإذا عنده سالم بن عبد الله بن عمر، أتى إليه، يعوده، وعبد الله بن عمرو بن عثمان المذكور: ابن أخت سالم بن عبد الله المذكور، فقال لى عبد الله بن عمرو بن عثمان: ويحك يا أشعب ظلمناك، وغضضنا عليك، وقد بلغتَ من العلة ما أرى ؟ قال: فتضاعفت، ثم قلت: أى سيدى، كنت عند بعض من أغشاه فأصابنى قىء وبطن، فما حملت إلى

---

(١) ينظر طبقات ابن سعد (٥/ ١٤٩) .

منزلى إلا جنازة، فبلغنى عنك، فخرجت أدبّ إليك. قال أشعب: فنظر إليّ سالم، ثم قال لى: أشعب ؟ قلت: أشعب. قال: ألم تكن عندى آنفا. قلت: ومن أين أكون عندك جعلنى الله فداك، وأنا أموت ؟! فجعل سالم يمسح عينيه، ثم يقول: ألم تأكل الهريس آنفا عندى ؟ فأقول: هل بى آكل جعلنى الله فداك مع العلة ؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، يا أشعب إنى لأرى الشيطان يتمثل على صورتك، وما أرى مجالستك تحل. قال أشعب: وفطن بى عبد الله بن عمرو، فقال لى: يا أشعب، أتخدع خالى ؟! اصدقنى خبرك. قال: قلت: بالأمان ؟ قال: بالأمان، فحدثته حديثى، فضحك ضحكا شديدا طويلا، انتهى. والحديث شجون، يجر الفن منه إلى فنون.

والثانى من أولاده الذكور - رضى الله عنه - عبد الرحمن الأكبر شقيقه[1]، أمهما: زينب بنت مظعون، أخت عثمان بن مظعون الجمحى.

والثالث: زيد الأكبر، أمه: أم كلثوم بنت على بن أبى طالب، من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، رمى بحجر فمات، وقد تقدم ذكره عند ذكر أمه أم كلثوم هذه، رضى الله عنها.

والرابع: عاصم، أمه: أم كلثوم جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح، حمى الدبر، وهى التى كان اسمها: عاصية، فسماها عمر: جميلة، فذهبت إلى النبى ﷺ ليغير لها اسمها فسماها كما سماها عمر: جميلةً، وقد تقدم ذكر ذلك.

والخامس: زيد الأصغر. والسادس: عبيد الله، أمهما: مليكة بنت جرول الخزاعية:

كان عبيد الله شديد البطش، ولما قتل عمر قتلَ الهرمزان، وقتل جفينة وهو رجلٌ نصرانى وقتل ابنة صغيرة لأبى لؤلؤة؛ فأخذ عثمان عبيد الله ليقتص منه، فاعتذر بأن عبد الرحمن بن أبى بكر أخبره أنه رأى أبا لؤلؤة والهرمزان وجفينة - وهو الرجل النصرانى من أهل الحيرة - يدخلون يتشاورون، وبينهم خنجر له رأسان، مقبضه فى وسطه، فقتل عمر صبيحة تلك الليلة. فاستدعى عثمان عبد الرحمن بن أبى بكر فسأله، فقال: انظروا إلى السكين، فإن كانت ذاتَ طرفين؛ فما أرى القوم إلا قد

---

(١) ينظر ترجمته في الإصابة (٤/ ٢٨٥).

اجتمعوا على قتله. فنظروا إليها فوجدوها كما وصف عبد الرحمن، فقال عمرو بن العاص: قتل أمير المؤمنين بالأمس، ويقتل ابنه اليوم ؟! والله هذا لا يكون أبدا! فترك عثمان قتله.

ثم لحق عبيدُ الله بمعاوية حين أفضت الخلافة إلى على - كرم الله وجهه - خشية أن يقيده على بالهرمزان وصاحبه والبنتِ. ولما كان يومُ صفين، خرج مع معاوية، فقتل يومئذ[1].

والسابع: عبد الرحمن الأوسط، أمه أم ولد اسمها: لهية، وهو المكنى بـ« أبى شحمة » المحدود فى الخمر، الميتِ به؛ جزم بذلك الدارقطنى[2].

والثامن: عبد الرحمن الأصغر، أمه أم ولد.

والتاسع: عياض بن عمر، أمه: عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وهى أخت سعد بن زيد؛ أحد العشرة، زوج أخت عمر: فاطمة بنت الخطاب، وهى التى قتل عنها - رضى الله عنه - فتزوجها بعده الزبيرُ بن العوام[3].

وأما البنات الأربع:

فحفصة زوج النبى ﷺ، وقد تقدم ذكرها فى باب أزواجه - عليه الصلاة والسلام - وهى شقيقة عبد الله وعبد الرحمن الأكبر.

والثانية: رقية بنت أم كلثوم، وهى شقيقة زيد الأكبر.

والثالثة: فاطمة، أمها: أم حكيم بنت الحارث بن هشام.

والرابعة: زينب، أمها: أم ولد اسمها فكيهة؛ ذكر ذلك كله ابن قتيبة وصاحب « الصفوة »[4].

وههنا حكاية ظريفة، وقعت لسيدنا عمر مع عمرو بن معدى كرب الزبيدى، أحببت إيرادها، وهى ما ذكره المسعودى فى كتابه « مروج الذهب » ومنه نقلت؛ قال: بعث عمر بن الخطاب إلى عمرو بن معدى كرب: أن أرسلْ إليَّ سيفَك الذى

---

(١) ينظر ترجمة عبيد الله بن عمر بن الخطاب، في الطبقات (٥/ ١٠-١٤)، وينظر الطبقات (٣/ ٢٧١) .

(٢) وينظر الإصابة (٥/ ٣٥).

(٣) ينظر تاريخ الطبري (٤/ ١٩٩) .

(٤) ينظر صفة الصفوة (١/ ١٤٢).

تحضر به الحروب، المسمى بـ« الصمصامة »، فأرسل إليه به فى قراب خَلقٍ بالٍ، فأخذه عمر ثم ضربَ به فى الضريبة، فلم يَحْكِ، فرماه من يده، ثم بعث إلى عمرو يستدعيه، فلما حضر قال له عمر: إن هذا سيفك، ضربت به فلم يحك. فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أرسلت تطلب السيف فأرسلت إليك بالسيف، ولم أرسل إليك بالزند الذى تضرب به، فعلاه عمر بالدرّة، فقال عمرو: الحمى أضرعتنى به. ثم قال له عمر: أخبرنى عن السلاح، قال: ما تريد منه ؟ فقال عمر: ما تقول فى الرمح ؟ فقال: أخوك، وربما خانك فانقصف. قال: فما تقول فى السهام ؟ قال: رسل المنايا: فمنها طائش، ومنها مصيب. قال: فما تقول فى الدروع ؟ قال: لا ترد أجلا قد حضر، وإنها لحصن حصين. قال: فما تقول فى الترس ؟ قال: نِعْمَ الجُنة، وعليه تدور الدوائر. قال: فما تقول فى السيف ؟ قال: عنده تبكيك أمك. قال: صف لى الحرب. فقال: الحرب مرة المذاق؛ إذا كشفت عن ساق، من صبر فيها عرف؛ ومن تهور فيها تلف، ثم أنشد: [من الكامل]

أَلْحَرْبُ أَوَّلَ مَا تَكُونُ فتيَّةٌ تَسْعَى بِزِينَتها لِكُلِّ جَهُولِ
حَتَّى إِذَا حَمِيَتْ وشَبَّ ضِرَامُهَا عَادَتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ خَلِيلِ(١)
شَمْطَاءَ جَزَّتْ شَعْرَهَا(٢) وَتَنَكَّرَتْ مَكْرُوهَةً لِلشَّمِ وَالتَّقْبِيلِ

ثم قال: إنى سائلك يا عمرو، هل انصرفت عن فارس قط ؟ فقال عمرو: لأحدثنك حديثا لم أحدث به أحدا غيرك؛ خرجت فى خيل بنى زبيد أريد بنى كنانة، فأتينا قومًا سراة، فقال عمر - رضى الله عنه -: كيف علمت أنهم سراة ؟ قال: رأيت مرابط خيل، وقدورا تكفأ، وقبابا حمرا جديدة، ونعما كثيرة وشاء. قال عمرو: فأهويت إلى أعظمها قبة، بعد ما حوينا السبى، وكان بيتًا منتبذًا من البيوت، فنظرت إليه، وإذا بامرأة بادية الجمال على فرش لها. قال: فلما نظرت إليَّ وإلى الخيل، استعبرتْ، فقلت: ما يبكيك ؟ قالت: والله ! ما أبكى على نفسى؛ ولكن أبكى حسدًا لبنات عمى، سلمن وابتلى أناس دونهن. فقلت أنا - فى ظنى -: والله! إنها لصادقة. فقلت لها: وأين هن؟ قالت: فى هذا الوادى وراءك. فقلت

(١) في مروج الذهب: حليل.
(٢) في مروج الذهب: رأسها.

لأصحابى: لا تحدثوا شيئًا حتى آتيكم. ثم همزتُ فرسى حتى علوت كثيبًا، فإذا غلام أصهب الشعر أهدب أقنى، يخصف نعلاً له، وسيفه بين يديه، وفرسه عنده، فلما نظر إليَّ نبذ النعل من يده، ثم أخذ سلاحه وأشرف على الكثيب، فلما نظر إلى الخيل محيطةً ببيته، أقبل نحوى ثم حمل على يقول: [من الرجز]

أَقُولُ لَمَّا مَنَحَتْنِى فَاهَا
وَأَلْبَسَتْنِى بُكْرَةً رِدَاهَا
إِذَنْ سَأَجْوِى الْيَوْمَ مَنْ جَوَاهَا[1]
فَلَيْتَ شِعْرِى الْيَوْمَ مَا دَهَاهَا
أَلْخَيْلُ تَبْغِيهَا عَلَى خَوَاهَا
حَتَّى إِذَا خَلاَ بِهَا خَوَاهَا

قال عمرو: فقدمت عليه، وأنا أقول: [من الرجز]

عَمْرو عَلَى طُولِ الْوِجَا[2] دَهَاهَا
بِالْخَيْلِ يَبْغِيهَا عَلَى خَوَاهَا
حَتَّى إِذَا خَلاَ بِهَا خَوَاهَا

وحملت عليه، فإذا هو أروع من نهر؛ فراغ عنى، ثم حمل على فضربنى بسيفه ضربة صرعنى بها؛ فلما أفقت من صرعتى، حملت عليه، فراغ عنى، ثم حمل على فصرعنى، واستاق ما فى أيدينا من الغنيمة. ثم أفقتُ واستويت على فرسى، فلما رآنى أقبل، وهو يقول: [من الرجز]

أَنَا ابْنُ عَبْدِ[3] اللَّهِ مَحْمُودُ الشِّيَمْ
وَخَيْرُ مَنْ يَمْشِى بِسَاقٍ وَقَدَمْ
عَدُوُّهُ يَفْدِيهِ مِنْ كُلِّ السَّقَمْ

قال عمرو: فحملت عليه، وأنا أقول [من الرجز]

أَنَا ابْنُ ذِى التَّقْلِيدِ فِى الشَّهْرِ الأَصَمْ
أَنَا ابْنُ ذِى الإِكْلِيلِ قَتَّالِ الْبُهَمْ

---

(١) في مروج الذهب: سأحوي... حواها.
(٢) في المروج: الردي.
(٣) في مروج الذهب: أنا عبيد.

مَنْ يَلْقَنِى يَرْدَى كَمَا أَرْدَتْ إِرَمْ
أُنْزِلُهُ لحمًا عَلَى ظَهْرِ وَضَمْ

فراغ - والله - عنى، ثم ضربنى، ثم صرخ صرخة، فرأيت الموت - والله؛ يا أمير المؤمنين - ليس دونه شيء، وخفته خوفًا لم أخف أحدًا قط قبله مثله، فقلت له: من أنت؛ فوالله ! ما اجترأ عليَّ أحد قط إلا عامر بن الطفيل؛ لإعجابه بنفسه، وعمرُو بن كلثوم؛ لسنه وتجربته ؟! قال: بل من أنت، أخبرنى وإلا قتلتك. قال عمرو: فقلت: أنا عمرو بن معدى كرب. فقال: وأنا ربيعة بن مكدم.

ثم قلت: اختر منى إحدى ثلاث: إن شئت اجتلدنا بالسيف حتى يموت أعجزنا، وإن شئت اصطرعنا، وإن شئت السلم؛ فإنك حدث وبقومك إليك حاجة. فقال: بل هذه الثلاث إليك. قال عمرو: فاخترت السلم. فقال لى: ألق سيفك، وانزل عن فرسك. قال عمرو: فقلت يا بن أخى، قد جرحتنى جرحين، ولا يزال بى، فوالله: ما كف حتى نزلت عن فرسى، فأخذ بعنانه، ثم أخذ بيدى فى يده فانصرفنا إلى الحى، وأنا أجر رجلى، حتى طلعنا على الخيل، فلما رأونى همزوا خيولهم إلى نحوى، وأرادوا ربيعة، فناديتهم: إليكم عنه، فمضى - والله - كأنه ليث، حتى شقهم ثم أقبل إلي، وقال: كأن أصحابك يريدون غير الذى أردت، فصمتَ والله القوم لم يتكلم أحد، وأعظموا ما رأوا. فقلت: يا ربيعة بن مكدم، لا يريدون إلا خيرًا؛ وإنما سميته ليعرفه القوم، ومضينا معه حتى نزل، فقامت إليه صاحبته وهى ضاحكةٌ فمسحت وجهه، ثم أقبل بإبل فنحرت، وضرب علينا القباب، فأقمنا عنده يومين وانصرفنا.

قال عمرو: ثم غزوت بعد زمان فى صناديد قومى بنى كنانة فأخذنا عيالهم، ومنهم امرأة ربيعة بن مكدم وكان غائبًا، فبلغه ذلك فأقبل فى الطلب على فرس عري ومعه رمح بلا سنان، فلما لحق بنا قال لى: يا عمرو، خل عن الظعينة وما معك، فلم ألتفت إليه، ثم أعادها فلم ألتفت إليه. ثم قال: يا عمرو، إما تقف لى أو أقف لك، فوقفت، وقلت: قد أنصف القارة من راماها؛ فقف لى يا ابن أخى، فوقف، فحملت عليه وأنا أقول: [من الرجز]

أَنَا ابنُ ثورٍ ثم فَتَّاق الدَّلَقْ

لَستُ بمأمونٍ ولا في خَرَقْ[١]
وأَستُرُ القومَ إذا احمرَّ الحَدَقْ
إذا الرجالُ عَضَّهُمْ فوق التَّرَقْ[٢]
وَجَدتنى بالسيف فَتَّاقَ الحلقْ

حتى إذا ظن أن قد خالطه السنان إذا هو نقب لفرسه، ومر السنان على ظهر الفرس، ثم وقفت له، فحمل على وهو يقول: [من الرجز]

أَنَا الكِنَانِيُّ الغُلَامُ لاَ برخ كم من هِزَبْرٍ رَامَنى قَدِ انْشَرَخْ[٣]

فقرع رأسى بالرمح، ثم قال: إليك يا عمرو، فلولا أنى أكره قتلك لقتلتك. فقلت: لا ينصرف إلا أحدنا. فحملت عليه، حتى إذا ظن أن قد خالطه السنان إذا هو حزام لفرسه، ثم إنه حمل على فقرع رأسى بالرمح ثانية وقال: خذها إليك ثانية، وإنما العفو مرتان. فصاحت به امرأته: السنان له درك. فأخرج سنانًا من بين إزاره كأنه شعلة نار، فركبه على رمحه، فلما نظرت إليه وذكرت طعنته بغير سنان، قلت له: خذ الظعينة. فقال: دعها وانج بنفسك. فقالت بنو زبيد: تتركها لغلام ؟ فقلت: والله لقد رأيت الموت الأحمر فى سنانه وسمعت صريره فى تركيبه. فانصرفنا، ورجع بالظعينة والغنيمة[٤].

ومثلها ما رأيته فى كتاب « المحاسن والمساوى »، قال: وَفَدَ على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أعرابى يستحمله، فقال له: خذ بعيرًا من إبل الصدقة، فنظر إلى بعير منها استحسنه واختاره فتعلق بذنبه، ونازعه البعير نفسه ونقر فاقتلع ذنبه فى يده، فقال له عمر: يا أخا العرب، هل رأيت أشد منك ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين ، خرجت بامرأة من أهلى أريد بها زوجها، فنزلت منزلاً أهله خلوف، فأنخت بها إلى جانب، ودنوت من الحوض، فإذا رجل قد أقبل معه ذود له، فصرف ذوده إلى

---

(١) البيت في المروج:
أنا أبو ثور ووقاف الزلق لست بمأفون ولا في خرق.
(٢) البيت في المروج:
وأسد القوم إذا أحمر الحدق إذا الرجال عضهم ناب الفرق.
(٣) البيت في المروج:
أنا الغلام ابن الكناني لا بذخ كم من هزبر قد رآني فانشدخ.
(٤) ينظر مروج الذهب (٢/ ٣٣٣-٣٣٩).

الحوض، وأقبل نحو المرأة لا أدرى ما يريد، فلما قرب منها ساورها، فنادتنى، فلما انتهيت إليه إذا هو قد خالطها، فجئت لأدفعه، فأخذ رأسى ووضعه بين ذراعه وجنبه؛ فما استطعت أن أتحرك حتى قضى ما أراد، ثم قام عنها فأطلقنى بعد، ثم احتلب من ذوده فروى، ثم ذهب فاضطجع، وقالت المرأة: نعم الفحل هذا، لو كانت لنا منه سخلة. فأمهلته حتى امتلأ نومًا، ثم قمت إليه فضربت ساقه بالسيف فقطعت، فوثب، فهربت وعليه الدم، فرمانى بساقه، فأصابت بعيرى فقتلته، فقال عمر: فما فعلت المرأة ؟ فقال الرجل الأعرابى: هذا حديث الرجل. فكرر عليه عمر السؤال مرارًا فى كلها يقول: هذا حديث الرجل.

خلافة أمير المؤمنين، عثمان، ذى النورين، رضى الله عنه(١)

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشى، الأموى، العبشمى. يجتمع مع رسول الله ﷺ فى جده عبد مناف، فهو أقربهم إلى رسول الله ﷺ بعد على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - أمه أروَى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، أسلمت، رضى الله عنها، رواه أبو بكر بن مخلد. وأمها البيضاء، أم حكيم بنت عبد المطلب، عمة رسول الله ﷺ.

اسمه فى الجاهلية والإسلام عثمان، ويكنى أبا عمرو، وأبا عبد الله، والأولى أشهر. قيل: إنه ولدت له رقية ولدًا أسماه عبد الله فاكتنى به فمات، وولد له عمرو فاكتنى به إلى أن مات، ويدعى بـ « ذى النورين »؛ لأنه تزوج بابنتى رسول الله ﷺ، رقية وأم كلثوم، ولم يعلم أحد تزوج بابنتى نبى غيره. وقيل: إنه إذا دخل الجنة زفت له برقيتين، وقيل: لأنه كان يجمع القرآن فى الوتر؛ فالقرآن نور، وقيام الليل نور، وقيل غير ذلك.

وهو من السابقين الأولين، وصلى إلى القبلتين، وهاجر الهجرتين، وهو أول من هاجر إلى الحبشة فارًا بدينه، ومعه زوجته رقية، رضى الله عنهما . وعد من البدريين، ومن أهل بيعة الرضوان، ولم يحضرهما. وكان سبب غيبته عن بدر أن زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ مرضت، فأذن له رسول الله ﷺ فى الجلوس

(١) ينظر ترجمته في الاستيعاب (١٧٩٧) أسد الغابة (٣٥٨٩) الإصابة (٥٤٦٤) الطبقات الكبرى (٣/٥٣-٨٤) فضائل الصحابة لأحمد (١/٤٤٨-٥٢٧) التاريخ الكبير (٦/ت ٢١٩١) التاريخ الصغير (١/٥٨-٧١) تلقيح فهوم أهل الأثر (٨٤) الكامل في التاريخ (٢/ ٥٩) .

ليمرضها، وقال له: لك أجر رجل شهد بدرًا، وضرب له بسهمه من غنيمتها.

وأما غيبته عن بيعة الرضوان؛ فبعثه رسول الله ﷺ من الحديبية إلى مكة[١]. عن أنس رضى الله تعالى عنه قال: « لما أرسل رسول الله ﷺ عثمان إلى أهل مكة، دعا رسول الله أصحابه إلى البيعة، وقال: إن عثمان فى حاجة لله ورسوله، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، وقال: هذه عن عثمان، فكانت يد رسول الله ﷺ له خيرًا من أيديهم لأنفسهم ». خرجه الترمذى[٢]. وإنما أرسله عليه الصلاة والسلام لعزته فيهم، ولو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه؛ لأنه كان له فى قريش محبة وعزة لا توصفان، حتى ضربوا بذلك المثل فقالوا:

أحبك الرحمن، حبَّ قريش عثمان.

وتوفى رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ، وبشره بالجنة، ودعا له بالخصوص غير مرة؛ فأثرى وكثر ماله، وكانت له شفقة ورحمة ورأفة على المسلمين. فلما ولى زادت رحمته وتواضعه ورأفته برعيته، وكان يُطْعِمُ طَعَامَ الإمارة، ويأكل الخلِ والزيت.

وجهزة جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرًا بأحلاسها وأقتابها، وأتم الألف بخمسين فرسًا، وقال قتادة: حمل على ألف بعير وسبعين فرسًا، واشترى بئر « رومة » بخمسة وثلاثين ألفًا وسبَّلها. وله من أفعال الخير وأنواع البر ما يطول ذكره[٣].

ولد بمكة. قلت: لم أظفر بتعيين موضع ولادته فى كلام أحد ممن يعتمد كلامه.

افتتح فى أيامه الإسكندرية، وسابور، وإفريقية، وقبرص، وسواحل الروم، واصطخر الآخرة، وفارس الأولى، وخوزستان، وطبرستان، وكرمان، وسجستان، وساحل الأردن، ومرو، والأساورة[٤].

ذكر إسلامه رضى الله تعالى عنه

قال فى « الرياض النضرة، فى مناقب العشرة »: « عن عمرو بن عثمان – رضى الله

---

(١) كل هذه المناقب مذكورة في المصادر التي ذكرناها آنفا.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٠٢) من طريق الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن أنس، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

(٣) سيأتي ذلك عند ذكر فضائل عثمان.

(٤) تنظر هذه الفتوحات في تاريخ الإسلام (٣١١، ٤٢٩) جزء « الخلفاء الراشدون ».

عنهما - قال: كان إسلام عثمان أبى فيما حدثنا عن نفسه قال: كنت رجلاً مشتهرًا بالنساء، وإنى ذات ليلة بفناء الكعبة قاعد فى رهط من قريش، إذ أتينا فقيل لنا: إن محمدًا أنكح عتبة بن أبى لهب رقية، وكانت رقية ذات جمال رائع. قال عثمان: فدخلتنى الحسرة، لم لا أكون أنا سبقت إلى ذلك، فلم ألبث أن انصرفت إلى منزلى، فأصبت خالة لى قاعدة، وهى سعدى بنت كريز، وكانت قد ظرفت وتكهنت عند قومها، فلما رأتنى قالت: [من الرجز]

أَبْشِرْ وحُيِّيتَ ثَلاثًا تَتْرَى   أَتَاكَ خَيرٌ ووُقِيتَ شرًّا
أُنْكِحْتَ والله حَصَانًا زَهْرَا   وأنتَ بَكْرٌ ولَقِيتَ بِكْرَا
وافيتَهَا بنتَ عَظيمٍ قَدْرَا   لله أمْرٌ قَدَ أشاد ذِكْرَا

قال عثمان: فعجبت من قولها فقلت: يا خالة ما تقولين ؟ فقالت: يا عثمان، [من الرجز] :

لَكَ الجَمَالُ ولَكَ اللِّسَانُ   هَذَا نَبيٌّ مَعَه البُرْهَانُ
أَرْسَلَهُ محبُّه الدَّيَّانُ   فَاتْبَعْهُ لا يعبأْ لَكَ الأوثَانُ

قال: قلت يا خالة، إنك لتذكرين شيئًا ما وقع ذكره فى بلدنا فأبينيه لى. قالت: محمد بن عبد الله، رسول من عند الله، جاء بتنزيل الله، يدعو إلى الله، ثم قالت: مصباحه مصباح، ودينه فلاح، وأمره نجاح، وقرنه نطاح، دانت له البطاح، ما ينفع الصياح،لو وقع الذباح، وسلت الصفاح، ومدت الرماح، قال: ثم انصرفت ووقع كلامها فى قلبى، فجعلت أفكر فيه. وكان لى مجلس عند أبى بكر، فأتيته، فأصبته فى مجلس ليس عنده أحد، فجلست إليه؛ فرآنى منكسرًا؛ فسألنى عن أمرى، وكان رجلاً شايبًا، فأخبرته بما سمعت من خالتى، فقال: يا عثمان، ويحك !! إنك رجل حازم لا يخفى عليك الحق من الباطل، ما هذه الأوثان التى يعبدها قومنا ؟! أليست من حجارة لا تضر ولا تنفع، صم لا تبصر ولا تسمع ؟ قلت: بلى والله، إنها كذلك. فقال: والله صدقتك خالتك. هذا محمد بن عبد الله قد بعثه الله برسالته إلى خلقه، فهل لك أن تأتيه فتسمع منه ؟ قلت: بلى. فوالله ما كان بأسرع من أن مر رسول الله ﷺ ومعه على بن أبى طالب يحمل ثوبًا، فلما رآه أبو بكر قام فسارَّه فى أذنه بشيء، فجاء رسول الله ﷺ فقعد ثم أقبل علىَّ فقال: يا عثمان أجب الله إلى

جنته؛ فإنى رسول الله إليك وإلى خلقه. قال: فوالله ما تمالكتُ حين سمعت قوله أن أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، ثم لم ألبث أن أتزوج رقية بنت رسول الله ﷺ. وفى إسلام عثمان تقول خالته سعدى المذكورة [من الطويل] :

هَدَى اللهُ عثمانًا بِقَولى إلى الهُدَى ... وأرشَدَهُ واللهُ يَهْدِى إلى الحقِّ
فَتَابَع بالرَّأى السَّديدِ محمدًا ... وَكَانَ برأى لا يحيدُ عن الصِّدْقِ
وأنكَحَهُ المبعوثُ بالحقِّ بِنتهُ ... فَكَانَ كَبَدْرٍ مَازَجَ الشَّمْسَ فى الأُفُقِ
فِدًى لَكَ يَا بْنَ الهاشِمِيِّين مُهْجتى ... فأَنْتَ أمينُ اللهِ أُرْسِلْتَ للخَلْقِ

وأسلمت أخت عثمان آمنة بنت عفان، وأسلم إخوته لأمه الوليد وخالد وعمارة، أسلموا يوم الفتح، خرجه الفضائلى[(١)].

صفته رضى الله تعالى عنه

كان رضى الله عنه رجلاً مربوعًا، ليس بالقصير ولا بالطويل، حسن الوجه، بوجنته نكات جدرى، أقنى الأنف، من أجمل الناس، رقيق البشرة، خفيف الجسم، عظيم اللحية طويلها، أسمر اللون، كثير الشعر، ذو جمة أسفل من أذنيه، ضخم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، أصلع، وبكثرة شعر رأسه ولحيته كان أعداؤه يسمونه نعثلا[(٢)]، كما سيأتى ذكر ذلك.

عن أسامة بن زيد قال: « بعثنى رسول الله ﷺ بصحفة فيها لحم إلى عثمان، فدخلت عليه فإذا هو جالس مع رقية ما رأيت زوجًا أحسن منهما، فجعلت مرة أنظر إلى عثمان ومرة أنظر إلى رقية. فلما رجعت إلى رسول الله ﷺ قال: دخلتَ عليهما ؟ قلت: نعم. قال: هل رأيت زوجًا أحسن منهما ؟ قلت: لا ». خرجه البغوى فى معجمه، والحافظ الدمشقى[(٣)].

---

(١) ينظر الرياض النضرة (٣/ ٧-٩).

(٢) ينظر طبقات ابن سعد (٣/ ٤٢)، وصفة الصفوة (١/ ١٥٤)، ومجمع الزوائد (٩/ ٨٣)، والرياض (٣/ ٦-٧) .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٧٦) رقم (٩٧) والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٣٩) من طريق مولى لعثمان بن عفان عن أسامة بن زيد به وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٨٣) وقال : وفيه راو لم يسم وبقية رجاله رجال الصحيح.

وفى سيرة الشامى: لما بويع عثمان رقى المنبر بعد العصر أو قبل الزوال يومئذٍ، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله، ثم قال: أيها الناس، إنكم فى بقية آجالكم؛ فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور. واعتبروا بمن مضى من القرون وانقضى، ثم جدوا ولا تغفلوا. أين أبناء الدنيا وإخوانها ؟ أين الذين شيدوها وعمروها وتمتعوا بها طويلاً، ألم تلفظهم ؟ ارموا بالدنيا خير رمى، واطلبوا الآخرة حيث رغب الله عز وجل فيها؛ فإنه سبحانه ضرب لكم مثلاً فقال: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ . . .﴾ إلى ﴿. . . مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥] فاتقوا الله، إن تقوى الله غنم، وإن أكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت. إن الله أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركنوا إليها. إن الدنيا تفنى، والآخرة تبقى؛ فلا تشتغلوا بالفانية عن الباقية؛ فإن الدنيا منقطعة والمصير إلى الله تعالى، واتقوا الله؛ فإن تقواهُ جنة من سأله، ووسيلة عنده ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً ﴾ [آل عمران: ١٠٣] الآية. ثم نزل(١).

أخرج ابن سعد عن الزهرى قال: ولى عثمان اثنتى عشرة سنة فلم ينقم الناس عليه شيئًا مدة ست سنين، بل كان أحب إلى قريش من عمر؛ لأن عمر كان شديدًا عليهم، فلما ولى عثمان لان لهم ووصلهم، ثم توانى فى أمورهم، واستعمل أقاربه وأهل بيته فى الست السنين الأواخر، وأعطاهم المال متأولاً فى ذلك الصلة التى أمر الله بها، وقال: إن أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما، وإنى أخذته فقسمته فى أقربائى. فكان ذلك مما نقم عليه(٢).

وأخرج ابن عساكر عن الزهرى قال: قلت لسعيد بن المسيب: هل أنت مخبرى كيف كان قتل عثمان، ما كان شأن الناس وشأنه ولم خذله أصحاب محمد ﷺ ؟ فقال ابن المسيب: قتل عثمان مظلومًا، ومن قتله كان ظالمًا، ومن خذله كان معذورًا. قلت كيف قال: لأنه لما ولى كره ولايته نفر من الصحابة؛ لأنه كان يحب

(١) ينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٧٧-٢٧٨).
(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٤٧) عن الزهري وينظر تاريخ الإسلام (٣/ ٤٣١-٤٣٢).

قومه، وكان كثيرًا ما يولى بنى أمية ممن لم يكن له صحبة، [وكان] من أمرائه ما ينكره الصحابة، فكان يستعتب فيهم فلا يعزلهم، فلما كان فى الست الأواخر استأثر ببنى عمه فولاهم دون غيرهم، وأمرهم بتقوى الله.

ولما كانت سنة خمس وثلاثين خرج المصريون وغيرهم على عثمان، قال إسماعيل بن أبى خالد: لما نزل أهل مصر الجحفة وأتوا يعاتبون عثمان فى هذه الأشياء، صعد عثمان المنبر فقال: أيكم يذهب إلى هؤلاء القوم فيسألهم ما نقموا منا وما يريدون ؟ وكان القوم الذين من مصر نحو أربعمائة، فقال المغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص: نحن نذهب، فلما وصلا إليهم ردوهما أقبح رد. فقام على فقال: أنا أذهب إليهم، فذهب فقال: ما الذى نقمتم على عثمان ؟ فذكروا الأمور الستة عشرة المذكورة، فأجابهم عن الأول بأن دعواهم إسرافه فى بيت المال فإنما كان من مال نفسه.

وأما عن الثانى وهو الحمى، فأجاب بأنى إنما حميته لإبل الصدقة كما حمى رسول الله ﷺ لذلك؛ فقالوا: إنك زدت. فقال: إنما زدت لإبل الصدقة لما زادت، ولم أحم بإبلى ولا لغنمى، وليس هذا مما ينقم على الإمام.

وأما الثالث وهو حمى سوق المدينة، فأجاب بأنه افتراء عليه ولا أصل له. وأما الرابع وهو حمى البحر، فليس كذلك، وإنما لما كان متسعًا فى المال منبسطًا فى التجارات حمى سفينه أن يُحمل فيها متاع غير متاعه.

وأما الخامس وهو ضربى لابن مسعود، فإنه إنما كان للأدب حين امتنع من إتيانه بالمصحف ليجتمع الناس على مصحف واحد؛ فكان لى ذلك؛ فأحرقت مصحفه وكان من أكبر المصالح؛ فإنه لو بقى فى أيدى الناس أدى ذلك إلى فتنة كبيرة فى الدين؛ لكثرة ما فيه من الشذوذ، ولحذفه المعوذتين مع شهرتهما. وأما هجرى له فلم تزل هذه سيمة الخلفاء قبلى.

قلت: وهجره إياه ليس بأعظم من هجر علىّ أخاه عقيلاً وأبا أيوب الأنصارى حين فارقاه بعد انصرافه من صفين، وذهب إلى معاوية ولم يوجب ذلك طعنًا عليه ولا عيبًا فيه. وقد روى عن أعرابى من هَمْدان دخل المسجد فرأى ابن مسعود وحذيفة وأبا موسى يطعنون على عثمان فقال: أنشدكم الله لو أن عثمان ردكم إلى

أعمالكم وعطاياكم أكنتم ترضون ؟ قالوا: اللهم نعم. فقال الهمدانى: اتقوا الله يا أصحاب محمد ولا تطغوا على أئمتكم. ولما كان تلقيه به مما يكره؛ فإن منصب الخلافة لا يحتمل ذلك، وليس هذا بأعظم من ضَرْبِ عُمَرَ سَعْدَ بن أبى وقاص بالدرة على رأسه حين لم يقم له، وقال له: إنك لم تهب الخلافة، فأردتُ أن تعرف أن الخلافة لم تهبك. ولم يغير ذلك سعدًا ولا رآه عيبًا. وكذلك ضرب أبى بن كعب حين رآه يمشى وخلفه قوم، وقال: إن هذه مذلة للتابع وفتنة للمتبوع. وأما السادس وهو قصة عبادة، فهى دعوى باطلة وكذب مختلق.

وأما السابع وهو قولهم: إن عبد الرحمن ندم على توليته فكذب صريح، ولو كان كذلك لصرح بخلعه إذ لا مانع له؛ فإن أعيان الصحابة على زعمهم منكرون ناقمون أحداثه، والناس تبع لهم، فلا مانع من خلعه. فكيف يصح ما وصفوا به كل واحد منهما فى حق الآخر ؟ وإنما الذى صح فى قصته أن عثمان استوصى منه، فإن عبد الرحمن كان يبسط عليه من القول لا يبالى ما يقول. ويروى أن عثمان قال له: إنى أخاف يا بن عوف أن يبسط من دمى.

وأما الثامن وهو ضرب عمار فقد حلف أنه لم يكن ذلك عن أمره، وذلك أن عمارًا جاء هو وسعد إلى المسجد، وأرسلا إليَّ أن ائتنا، فإنا نريد أن نذاكرك أشياء فعلتها. فأرسلت إليهما إنى عنكم اليوم مشغول فانصرفا وموعدكما يوم كذا وكذا. فانصرف سعد وأبى عمار أن ينصرف، فأعدت إليه الرسول فأبى، فتناوله رسولى بغير أمرى، والله ما أمرته ولا رضيت بضربه، وهذه يدى لعمار فليقتص منى إن شاء.

وأما التاسع وهو انتهاك حرمة كعب ابن عبدة الفهرى، قال: فقد استرضيته؛ إذ كتبت إليه، فلما دخل على قلت: يا كعب، كتبت إليك كتابًا غليظًا، ولقد كتبت إلى بعض الذى هتكت مشورتك، ولكنك خدشتنى وأغضبتنى حتى نلت منك ما نلت، ونزعت قميصى ودعوت بسوط ودفعته إليه، وقلت: قم فاقتص منى ما ضربتك، فقال كعب: أما إذ فعلت فأنا أدعه لله لا أكون أول من اقتص من الأئمة. ثم صار بعد من خواصِّى.

وأما العاشر وهو تركى إقامة الحد على عبيد الله بن عمر؛ فما ذاك إلا بخوفى ثوران فتنة عظيمة من قبله؛ لأنه كان بنو تميم وبنو عدى مانعين من قتله ودافعين

عنه، وكان بنو سهم أيضًا مانعين من ذلك، حتى قال عمرو بن العاص: قتل أمير المؤمنين بالأمس فيقتل ابنه اليوم ؟! لا يكون والله هذا أبدًا، ومال فى بنى سهم. فلما رأيت ذلك اغتنمت تسكين الفتنة، وقلت: أمره إليّ وسأرضى أهل الهرمزان منه.

وأما الحادى عشر وهو انفرادي بأقوال شاذة، فلم يزل أصحاب رسول الله ﷺ على نحو ذلك ينفرد الواحد منهم بما يقول ويخالفه الباقون؛ وهذا على بن أبى طالب فى مسألة بيع أم الولد على مثل ذلك، وفى الفرائض عدة مسائل على هذا النحو لكثير من الصحابة، فلم أنفرد بهذا المعنى.

وأما الثانى عشر فهو هتكى حرمة الأشتر - فهل أثار الفتنة فى هذه القصة إلا فعل الأشتر بالكوفة من هتك حرمتي وتسليط العامة على ضرب عاملى بلا اعتذار عن الأمر بنفيه بل ذلك أقل ما يستوجب، ثم لم ينفعه ذلك حتى سار من الشام إلى الكوفة وأضرم نار الفتنة.

وأما الثالث عشر وهو إتمامى الصلاة بمنى؛ فعذرى فى ذلك ظاهر؛ لأنى ممن لا يوجب القصر فى السفر وأنا أبيحه فيه، وأيضًا هى مسألة اجتهادية، فقولى لا يوجب تكفيرًا ولا فسقًا.

وأما الرابع عشر وهو نفيى لأبى ذر؛ فلتجاسره عليّ وتجبيهى بالكلام الخشن ومفسدة عليّ، وإثارة الفتنة، وتأدية ذلك التجاسر لإذهاب هيبتى وتقليل حرمتى؛ ففعلت ما فعلت؛ صيانة لمنصب الشريعة، وإصابة لحرمة الدين.

قلت: كان عذر أبى ذر فيما كان يدعو عثمان - رضى الله تعالى عنه - إلى ما كان عليه صاحباه من التجرد عن الدنيا والزهد فيها - مخالفة عثمان إلى أمور مباحة من اقتنائه الأموال، وجمعه الغلمان الذين يستعان بهم على الحروب، وكل منهما على هدًى من الله تعالى.

وأما الخامس عشر وهو ردى الحكم، فقد استأذنت النبى ﷺ فى رده إلى المدينة فوعدنى بذلك، فلما ولى أبو بكر سألته فى ذلك فقال: كيف أرده إليها وقد نفاه رسول الله ﷺ؟! فقلت له: بوعد رسول الله ﷺ إياى بذلك، فقال أبو بكر: لم أسمعه يقول لك ذلك، ولم يكن لى أنا بينة على ذلك. ثم لما ولى عمر سألته ذلك فأبى ولم يردده بقول الواحد، فلما وليت قضيت بعلمى، وكان قد تاب وأصلح عما

كان طرد لأجله مما تقدم ذكره، وإغاثة التائب مما يحمد.

وأما السادس عشر وهو عزل ابن مسعود وعمرو بن العاص ونحوهما، فأما عمرو ابن العاص فإنما عزلته؛ لأن أهل مصر أكثروا شكايته، وأما ابن مسعود فلما بلغنى عنه، ولم تزل الأئمة على مثل ذلك، ولم يكن قصدى من منع عطائه حرمانه ألبتة، وإنما التأخير إلى غاية اقتضى نظرى التأخير إليها، فكان لما قضى الله وصلت به ورثته، ولعله كان أنفع لهم فأزال عنهم وعثتهم، وأرسل إلى ابن أبى سرح يتهدده، ورجعوا إلى أوطانهم(١).

قلت: وأحسن ما يقال فى الجواب عن جميع ما ذكر أنه عليه الصلاة والسلام قد أخبر عن وقوع فتنة عثمان، وأنه على الحق فى حديث كعب بن عجرة كما سيأتى، وفى رواية على الهواء أخرجها أحمد، وأخبر أنه يقتل ظلمًا كما فى حديث ابن عمر الآتى أيضًا، وأمر باتباعه عند ثوران الفتنة كما فى حديث مرة بن كعب كما يأتى، فمن شهد له عليه الصلاة والسلام أنه على الحق وأنه يقتل ظلمًا وأمر باتباعه - كيف يتطرق الوهم إلى أنه على الباطل ؟ ثم قد ورد فى الحديث الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام أخبره أن الله يقمصه بقميص، وأن المنافقين يريدونه على خلعه، فأمره ألاَّ يخلعه، وأمره بالصبر فامتثل أمره ﷺ وصبر على ما ابتلى به، وهذا من أدل دليل على أنه كان على الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ فمن خالفه يكون على الباطل، فكيف وقد وصف النبى ﷺ الذين أرادوا خلعه بالنفاق؛ فعلم بالضرورة أن كل ما روى عنه مما يوجب الطعن عليه أمر بين مفترى عليه مختلق وبين مجهول، وعلى تقدير صحته يحمل على أحسن الحالات، فيكون معه على الحق تصديقًا لخبر النبوة المقطوع بصدقه(٢).

ولما بلغ عبد الرحمن بن عوف قول عثمان فيه ما قال أرسل إلى عثمان يقول: ما تخلفت عن بدر، ولا فررت يوم أحد، ولا خالفت سنة عمر؛ فأرسل إليه عثمان: تخلفت عن بدر لأن بنت رسول الله ﷺ شغلتنى بمرضها. أما يوم أحد فقد عفا الله عنى. وأما سنة عمر فوالله ما استطعتها أنا ولا أنت(٣).

---

(١) ينظر العواصم من القواصم (٥٦-٦٠) تاريخ الإسلام (٣/ ٤٢٩-٤٣٠) .
(٢) سيأتي تخريج كل هذه الروايات عند ذكر فضائل عثمان.
(٣) ينظر تاريخ الإسلام (٣/ ٤٣٢-٤٣٣) .

ثم لما كان شوال من السنة المذكورة خرجوا كالحجاج حتى نزلوا بقرب المدينة، فخرج أهل مصر فى سبعمائة. وأمراؤهم: عبد الرحمن بن عديس البلوى، وكنانة ابن بشر الليثى، وسودان بن حمران السكونى، وقتيرة السكونى، والغافقى بن حرب العكى، ومعهم ابن السوداء.

وخرج أهل الكوفة فى مائتين، فيهم: زيد بن صوحان العبدى، والأشتر النخعى، وزياد بن النضر المسمعى، وزياد بن النضر الحارثى، وعبد الله بن الأصم، وهو مقدمهم.

وخرج أهل البصرة فى نحو مائة وخمسين، فيهم: حُكيم بن جبلة، وذَريح بن عباد العبدى، وبشر بن شريح القيسى، وعليهم: حرقوص بن زهير السعدى.

فأما أهل مصر فكانوا يشتهون عليا. وأما أهل البصرة فكانوا يشتهون الزبير. وأما أهل الكوفة فكانوا يشتهون طلحة، فخرجوا ولا تشك كل فرقة أن أمرها يتم دون الأخرى حتى كانوا من المدينة على ثلاث فقدم ناس من أهل البصرة فنزلوا « ذا خشب »،وتقدم ناس من أهل الكوفة فنزلوا « الأعوص ». وجاء زياد بن النضر، وعبد الله بن الأصم ليكشفا خبر المدينة فدخلا فلقيا أزواج النبى ﷺ، وطلحة والزبير، وعليا، فقال: إنما نؤم هذا البيت ونستعفى من بعض عمالنا واستأذنوهم للناس، فكلهم أبى ونهى، فرجعا فاجتمع من أهل مصر نفر فأتوا عليا. ومن أهل البصرة [نفر] فأتوا الزبير. ومن أهل الكوفة نفر فأتوا طلحة وقال كل فريق منهم: إن بايعنا صاحبنا وإلا كدناهم، وفرقنا جماعتهم ثم كررنا حتى نبغتهم. فأتى المصريون عليًا وهو فى عسكر عند « أحجار الزيت » وقد سرح ابنه الحسن إلى عثمان واجتمعوا عليه فسلم المصريون على عليٍّ وعرضوا له، فصاح بهم وطردهم وقال: لقد علم الصالحون أنكم ملعونون فارجعوا لا صحبكم الله تعالى. فانصرفوا وفعل طلحة والزبير نحو ذلك. وأزال عثمان شكواهم وعزل عنهم ابن أبى سرح، وكتب لمحمد على مصر بعد أن اختاروه، فذهب القوم وأظهروا أنهم راجعون إلى بلادهم، فذهب أهل المدينة إلى منازلهم، فلما بلغ القوم إلى عساكرهم كروا بهم وفجأوا أهل المدينة فدخلوها وضجوا بالتكبير ونزلوا فى مواضع عساكرهم وأحاطوا بعثمان. وقالوا: من كف يده فهو آمن، ولزم الناس بيوتهم، فأتى عليٌّ رضى الله عنه

وقال: ما ردكم بعد ذهابكم ؟ قالوا وجدنا مع بريد كتابا بقتلنا.

وقال الكوفيون والبصريون: نحن نمنع إخواننا المصريين وننصرهم، فعلم الناس أن ذلك مكر منهم.

وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمد بهم فساروا إليه على الصعب والذلول فبعث معاوية إليه حبيب بن مسلمة الفهرى. وبعث إليه ابن أبى سرح معاوية بن خديج، وسار إليه من الكوفة القعقاع بن عمرو.

فلما كان يوم الجمعة صلى عثمان بالناس وخطب فقال: يا هؤلاء اتقوا الله، فوالله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ، فامحوا الخطأ بالصواب فإن الله لا يمحو السيئ إلا بالحسن، فقام محمد بن مسلمة فقال: أنا أشهد بذلك، فأقعده حكيم بن جبلة. فقام زيد بن ثابت فقام إليه من ناحية أخرى محمد بن أبى قتيرة فأقعده وتكلم فأفظع.

وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد. وحصبوا عثمان حتى صرع نحو المنبر فغشى عليه فاحتمل وأدخل الدار.

وكان المصريون لا يطمعون فى أحد من أهل المدينة أن ينصرهم إلا ثلاثة فإنهم كانوا يراسلونهم: محمد بن أبى بكر الصديق، ومحمد بن جعفر، وعمار بن ياسر.

قال: واستقبل أناسًا منهم: زيد بن ثابت، وأبو هريرة، وسعد بن مالك، والحسن بن على، فنهضوا لنصرة عثمان، فبعث إليهم عثمان يحلف عليهم: أن ينصرفوا فانصرفوا.

وأقبل عليٌّ حتى دخل على عثمان هو وطلحة والزبير يعودونه من صرعته، ثم رجعوا إلى منازلهم.

قال الواقدى: وقولهم: « وجدنا بريدًا معه كتاب بقتلنا »: هو أنهم لما كانوا بـ« البويب » وفى رواية بـ« ذى خشب » رأوا جملاً عليه ميسم الصدقة فأخذوه فإذا عليه غلام أسود لعثمان ففتشوا متاعه بعد أن سألوه فتارة يقول: أنا عبد لمروان، وتارة: لفلان، فلما فتشوه وجدوا قصبة من رصاص فيها كتاب فى جوف الإداوة فى الماء ففتحوه فإذا هو: إلى عبد الله بن أبى سرح أن: افعل بفلان كذا واقتل فلانًا واقطع رجل فلان ويده، وعدد جماعة من القوم واثبت فى عملك حتى يأتيك

أمرى: وعلى الكتاب ختم بخاتم عثمان. قال الواقدى: فحدثنى عبد الله بن الحارث عن أبيه لما رجعوا إلى المدينة أتوا عليًا فقالوا له ألم تر إلى عدو الله ؟ فقم معنا. قال: والله ما أقوم معكم.

قالوا: فلم كتبت إلينا ؟

قال: والله ما كتبت إليكم. فنظر بعضهم إلى بعض وخرج عليٌّ من المدينة. فانطلقوا إلى عثمان فقالوا: كتبت فينا بكذا، فقال: إنما هما اثنتان: تقيمون رجلين من المسلمين، يعنى شاهدين، أو يمينى بالله الذى لا إله إلا هو - ما كتبت ولا علمت. قالوا: كيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك ولا تعلم به ؟ وزعموا أنه خط مروان وسألوه أن يدفعه إليهم فأبى وعلموا أنه لم يحلف كاذبًا ولزموا بيوتهم.

فقال عثمان: قد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم على الخاتم. فقالوا: قد أحل الله دمك ونقض العهد والميثاق. وحصروه فى الدار(١).

وروى بشر بن شغاف عن عبد الله بن سلام قال: بينما عثمان يخطب إذ قام إليه رجل فنال منه، فوذأته فاتذأ. فقال رجل: لا يمنعك مكان ابن سلام أن تسب نعثلا فإنه من شيعته. فقلت له: لقد قلت عظيمًا فى الخليفة من بعد نوح(٢).

أقول: وذأته: زجرته، وقمعته. وقالوا لعثمان نعثلا؛ تشبيهًا له برجل مصرى اسمه: نعثل، كان طويل اللحية. والنعثل فى اللغة: ذكر الضباع.

وكان عمر يشبه بنوح فى الشدة. ولما أخذت من يد عثمان العصا وهو قائم يخطب وكان الآخذ لها جهجاه بن عمرو الغفارى، وكسرها بركبته وقعت الآكلة فى ركبته والعياذ بالله تعالى(٣).

ثم إنهم أحاطوا بالدار وحصروه.

قال الزبير بن بكار: حدثنى محمد بن الحسن قال: لما كثر الطعن على عثمان تنحى عليٌّ إلى ماله بالبقيع، فكتب عثمان: أما بعد فقد بلغ الحزام الطُّبيين، وجاوز

---

(١) تنظر هذه الرواية بطولها في البداية والنهاية (٧/ ١٩٤-١٩٦) وينظر الطبقات الكبرى (٣/ ٤٧-٤٨) وتاريخ الطبري (٥/ ١١٩) والكامل لابن الأثير (٣/ ١٦٨) .

(٢) ينظر تاريخ الإسلام (٣/ ٤٤٣-٤٤٤) .

(٣) ذكر ذلك الحافظ في الإصابة (١/ ٦٢٢) وعزاه للباوردي وابن السكن.

السيل الزبى، وبلغ الأمر فوق قدره، وطمع فى الأمر من لا يدفع عن نفسه [من الطويل]

فَإِنْ كُنْتَ مأْكُولاً فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ   وَإِلاَّ فَأَدْرِكْنى وَلَمَّا أُمزَّقِ[١]

وعن أبان بن عثمان: لما ألحوا على عثمان بالرمى خرجت حتى أتيت عليا فقلت: يا عم أهلكتنا الحجارة. فقام معى فلم يزل يرمى حتى فتر كتفه ثم قال: يا بن أخى اجمع حشمك ثم يكون هذا شأنك[٢].

وعن أبى إدريس الخولانى أنه قال: أرسل عثمان إلى سعد فأتاه فكلمه فقال له سعد: أرسل إلى على. فإن أتاك ورضى صلح الأمر. قال: فأنت رسولى إليه. فأتاه فقام معه عليٌّ فمرّا بمالك الأشتر، فقال الأشتر لأصحابه: أين يريد هذا ؟ قالوا: يريد عثمان. فقال: والله لئن دخل على عثمان لتقتلن عن آخركم. فقام إليه فى أصحابه حتى اختلجه عن سعد، وأجلسه فى أصحابه وأرسل إلى أهل مصر: إن كنتم تريدون قتله فأسرعوا. فدخلوا عليه فقتلوه[٣].

وعن أبى حبيبة: لما اشتد الحصار على عثمان قالوا له - يعنى الذين عنده فى الدار فكانوا قريبًا من ستمائة فيهم مروان بن الحكم -: ائذن لنا فى القتال. قال: أعزم على من كانت لى عليه طاعة أن لا يقاتل، أيما عبد من عبيدى أغمد سيفه فهو حر[٤].

وعن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: بعث عثمان المسور بن مخرمة إلى معاوية أنه محصور، ويأمره أن يجهز له جيشًا سريعًا. فلما قدم على معاوية ركب معاوية لوقته هو وسالم بن عقبة، ومعاوية بن خديج فساروا من دمشق إلى عثمان عشرا فدخل نصف الليل على عثمان وقبل رأسه وقال له عثمان: أين الجيش ؟ قال ما جئت إلا ثالث ثلاثة، فقال عثمان لا وصل الله رحمك ولا أعز بعيرك ولا جزاك خيرًا، فوالله لا أقتل إلا فيك ولا ينقم على إلا من أجلك.

فقال: بأبى أنت وأمى لو بعثت إليك جيشًا فسمعوا عاجلوك بالقتل ولكن معى

---

(١) ينظر تاريخ الإسلام (٣/٤٤٨) .

(٢) ينظر أنساب الأشراف (١٤٥٦) وتاريخ الإسلام (٣/٤٤٩) .

(٣) ينظر تاريخ الإسلام (٣/٤٤٩) .

(٤) ينظر تاريخ خليفة (١٧٣) وتاريخ الإسلام (٣/٤٤٩-٤٥٠) .

نجائب فاخرج معى، فما شعر بى أحد فوالله ما هى إلا ثلاث حتى ترى معالم الشام، فقال: بئسما أشرت به وإنى لن أحسمه. فأسرع معاوية راجعًا، وورد المسور يريد المدينة ولقى معاوية بـ « ذى المروة » فقدم على عثمان وهو رام لمعاوية غير عاذر له. فلما كان فى آخر حصره بعث المسور ثانيًا إلى معاوية يستنجده فقال معاوية: إن عثمان أحسن فأحسن الله به، ثم غير فغير الله به. فشدد المسور عليه، فقال معاوية: تركتم عثمان حتى إذا كانت نفسه فى حنجرته قلتم: اذهب فادفع عنه الموت وليس ذاك بيدى. ثم أنزله فى مشربة على رأسه فما دخل عليه داخل حتى قتل عثمان. ولما أنكر عثمان، وحلف بعد أن أحضروا الكتاب ونصوه بمحضر من الصحابة فيهم طلحة، وعلى، والزبير، وسعد - لم يبق أحد إلا حنق على عثمان وزاد ذلك غضبًا وحنقًا أعوان أبى ذر، بما فعله بأبى ذر، وقبيلة هذيل، بما فعله فى ابن مسعود، وبنى مخزوم، بما فعله بعمار بن ياسر.

قلت: قد تقدم ذكر ما فعله مع أبى ذر، وابن مسعود، وعمار، وأرسل علىٌّ بالحسنين وأرسل الزبير بابنه عبد الله، وطلحة بابنه، وأبناء غيرهم وأمروهم وهم شاكوا السلاح أن يحرسوا عثمان رضى الله عنه، فلما دخلوا على عثمان قال لهم أعزم عليكم إلا ما رجعتم فوضعتم أسلحتكم ولزمتم بيوتكم، فقال ابن الزبير: نحن نعزم على أنفسنا ألاَّ نبرح[١].

قال الأوزاعى: حدثنى محمد بن عبد الملك بن مروان أن المغيرة بن شعبة دخل على عثمان فقال: إنك إمام العامة، وقد نزل بك ما ترى، وإنى أعرض عليك خصالاً: إما أن تخرج فتقاتلهم فإن معك عددًا وقوة. وإما أن تخرق لك بابا آخر فتقعد على ركائبك فتلحق بـ « مكة » فإنهم لن يستحلوا دمك وأنت بها. وإما أن تلحق بـ « الشام » ففيها معاوية. فقال عثمان: أما أن ألحق بـ « الشام » فلن أفارق دار هجرتى، وأما أن أقاتل، فلن أكون أول من خلف رسول الله ﷺ بسفك الدماء، وأما أن أخرج إلى مكة فإنى سمعت من رسول الله ﷺ يقول: يلحد رجل من قريش بـ « مكة » يكون عليه نصف عذاب العالم[٢].

---

(١) ينظر تاريخ الإسلام (٣/ ٤٥٠-٤٥١) .
(٢) أخرجه أحمد (١/ ٦٧) من طريق الأوزاعي، به.

وروى نافع عن ابن عمر: أصبح عثمان يحدث الناس أنه رأى النبى ﷺ فى المنام يقول له « أفطر عندنا » فأصبح صائمًا وقتل يومه[(١)].

وقال ثمامة بن حزن القشيرى يوم الدار وأشرف عليهم عثمان، فقال: ائتونى بصاحبيكم اللذين ألباكم. فدعيا له كأنهما جملان أو حماران، فقال: أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس فيها ماء عذب غير بئر رومة فقال: من يشتريها فيكون دلوه كدلاء المسلمين وله فى الجنة خير منها ؟ فاشتريتها، وأنتم اليوم تمنعونى أن أشرب منها حتى أشرب من الماء المالح ؟! قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله ﷺ: من يشترى بقعة بخير له منها فى الجنة ؟ فاشتريتها وزدتها فى المسجد وأنتم تمنعونى اليوم أن أصلى فيه ؟! قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير بـ « مكة »، فتحرك وعليه أبو بكر، وعمر، وأنا، فقال: اسكن ثبير، فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان ؟ قالوا: اللهم نعم. فقال: الله أكبر شهدوا ورب الكعبة أنى شهيد. ثم قال: ولكن طال عليكم أمرى واستعجلتم وأردتم خلع سربال سربلنيه الله، وإنى لا أخلعه حتى أموت أو أقتل[(٢)].

ثم أشرف عليهم ذات يوم، قال ابن عمر: فقال: عَلاَمَ تقتلوننى ؟ فإن رسول الله ﷺ قال: لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إسلام، أو زنا بعد إحصان، أو رجل قتل نفسًا[(٣)]. فوالله ما زنيت فى الجاهلية ولا فى الإسلام، ولا قتلت نفسًا، ولا كفرت قال الحسن: حدثنى وثاب قال: بعثنى عثمان فدعوت له الأشتر فقال: ما يريد الناس ؟ قال: ثلاثًا يخيرونك بين الخلع وبين أن يقتص منك فإن أبيت فإنهم قاتلوك. فقال: ما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه الله، وبدنى ما يقوم بقصاص. ثم حاصره أولئك القوم حتى منعوه الماء، فأشرف عليهم يومًا فقال: أفيكم عليٌّ ؟ قالوا: لا. قال أفيكم سعد ؟ قالوا: لا. فسكت ثم قال: ألا أحد

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٥٥) والبلاذري في أنساب الأشراف (١٤٦٩) من طريق نافع عن ابن عمر.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١/ ٧٤) والترمذي (٣٧٠٣) والنسائي (٦/ ٢٣٥) وابن خزيمة (٢٤٩٢) من طريق أبي مسعود الجريري عن ثمامة بن حزن، به.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٦٣) والنسائي (٧/ ١٠٣) من طريق نافع عن ابن عمر عن عثمان.

يسقينا ماء ؟ فبلغ ذلك عليًا فبعث إليه بثلاث قرب فجرح بسببها جماعة من موالى بنى هاشم حتى وصلت إليه. وبلغ عليًا أن عثمان يراد قتله فقال: إنما أردنا منه مروان، فأما عثمان فإنا لا ندع أحدًا يصل إليه(١).

ورمى الناس عثمان بالسهام حتى خضب بالدماء على بابه فأصاب مروان سهم وخضب محمد بن طلحة وشج قنبر مولى على، فخشى محمد بن أبى بكر أن يغضب بنو هاشم لشأن الحسن فلا يتم لهم ما أرادوه، فاتفق هو وصاحباه وتسوروا من دار حتى دخلوا عليه ولا يعلم أحد؛ لأنهم كانوا فوق البيوت ولم يكن مع عثمان إلا امرأته، فدخل محمد فأخذ بلحيته ثم قال بها حتى سمع وقع أضراسه، وقال: يا نعثل قد أخزاك الله. فقال: لست بنعثل، ولكنى عبد الله وأمير المؤمنين ، فقال: ما أغنى عنك معاوية، ما أغنى عنك عبد الله بن عامر، ما أغنى عنك فلان وفلان، فقال له عثمان: أرسل لحيتى، فوالله لو يراك أبوك لساءه مكانك منى، فقال: إن ما يراد بك أشد من ذلك. وطعن جنبه بمشقص، وقيل: إنه أطلق لحيته وتراخت يده فرجع وقال: اللهم إنى أشهدك أنى برىء من دم عثمان. وكذلك قالته امرأتة نائلة وقالت: لكنه هو الذى أدخلهما يعنى الرجلين كنانة بن بشر، وسودان بن حمران، ورفع كنانة مشاقص فوجأ بها فى أذن عثمان فمضت حتى دخلت حلقه ثم علاه بالسيف وضرب جبينه بعمود حديد وضربه سودان بن حمران المرادى، فقتله ووثب عليه عمرو بن الحمق وبه رمق فطعنه تسع طعنات وقال ثلاث لله، وست لما فى نفسى عليه(٢).

وعن رَيْطة مولاة أسامة قالت: جاء رجل من خلف عثمان بسعفة فضرب بها جبهته، فرأيت الدم يسيل وهو يمسحه، ويقول: اللهم لا يطلب بدمى غيرك. وجاء آخر فضربه بالسيف على صدره فأقعصه، وتعاوروه بأسيافهم فرأيتهم ينتهبون بيته(٣).

وقال الشعبى: جاء رجل من « تُجيب » من المصريين والناس حول عثمان فأسبل سيفه ثم قال: أفرجوا، ففرجوا له فوضع ذباب سيفه فى بطن عثمان فأمسكت

---

(١) ينظر تاريخ الإسلام (٣/ ٤٤٦) وتاريخ خليفة (١٧٠) .
(٢) ينظر الطبقات الكبرى (٣/ ٥٤) تاريخ الطبري (٤/ ٣٩٣) أنساب الأشراف (١٤٧٠) تاريخ الإسلام (٣/ ٤٥٥ - ٤٥٦) .
(٣) ينظر تاريخ الإسلام (٣/ ٤٥٤-٤٥٥) .

زوجته نائلة بنت الفرافصة السيف لتمنع عنه فجز السيف أصابعها. وقيل الذى قتله رجل يقال له حمار. ووجدوه وعنده زوجته نائلة وهو يقرأ فى المصحف صائمًا[١].

وعن الزهرى قال قتل عند صلاة العصر، وشد عبد لعثمان على كنانة بن بشر فقتله، فشد سودان بن حمران على العبد فقتله[٢].

وقال أبو نضرة: عن أبى سعيد ضربوه فجرى الدم من المصحف على قوله: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧] قال فإنها فى المصحف ما حكت، فإن أبا خريت ذكر أنه ذهب هو وسهيل المرى فأخرجوا إليهما المصحف فإذا قطر الدم على الآية المذكورة[٣].

وعن الزهرى قلت لسعيد بن المسيب: هل أنت مخبرى كيف كان قتل عثمان ؟ قال: قتل مظلومًا ومن خذله كان معذورًا ومن قتله كان ظالمًا. إنه لما استخلف كره ذلك ناس من الصحابة الذى يحب قومه ويوليهم وكان يكون منهم ما يكره الصحابة فيستعتب فيهم فلا يعزلهم، فلما كان فى الست السنين الأواخر استأثر ببنى عمه فولاهم وما اشترك معهم فولى عبد الله بن سعد بن أبى سرح مصر، فمكث عليها، فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه. وقد كان قبل ذلك منه هنات إلى ابن مسعود وأبى ذر وعمار، فحنق عليه قومهم.

قلت: قد ذكرت فيما تقدم أسباب ذلك. انتهى.

وجاء المصريون يشكون ابن أبى سرح فكتب إليه يتهدده فأبى أن يقبل وضرب بعض من أتاه ممن شكا فقتله فخرج من أهل مصر ستمائة رجل وقيل سبعمائة فنزلوا المسجد وشكوا إلى الصحابة صنع ابن أبى سرح بهم فقام طلحة فكلم عثمان بكلام شديد وأرسلت إليه عائشة تقول: أنصفهم من عاملك ودخل عليه على وكان متكلم القوم فقال: إنما يسألونك رجلاً مكان رجل، وقد ادعوا فتكه دما فاعزله واقض بينهم.

فقال: اختاروا رجلا أوليه عليكم، فأشاروا عليه بمحمد بن أبى بكر فكتب عهده وخرج معه عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر، وبين ابن أبى

---

(١) ينظر تاريخ خليفة (١٧٥) وتاريخ الإسلام (٣/ ٤٥٥).
(٢) ينظر تاريخ الطبري (٤/ ٣٩١) وتاريخ الإسلام (٣/ ٤٥٧).
(٣) ينظر أنساب الأشراف (١٤٩٠) وتاريخ الإسلام (٣/ ٤٥٦-٤٥٧) وتاريخ خليفة ص ١٣٠، ١٣١.

سرح، فلما كان محمد ومن معه على مسيرة ثلاث من المدينة وقيل بعد أن وصلوا إلى « عقبة أيلة » إذا هم بغلام أسود على بعير مسرعا فسألوه فقال وجهنى أمير المؤمنين إلى عامل مصر، فقالوا: هذا عامل مصر يعنى محمد بن أبى بكر ففتشوه فإذا إداوة تقلقل فشقوها، فإذا فيها كتاب عثمان إلى ابن أبى سرح فجمع محمد من عنده من الصحابة ففكوا الكتاب بمحضر منهم فرجعوا إلى المدينة، وكان ما كان فيما تقدم ذكره. انتهى.

ثم لما قتلوه هربوا من حيث دخلوا ثم صرخت المرأة فلم يسمع صراخها، لما فى الدار من الجلبة فصعدت إلى الناس وأخبرتهم، فدخل الحسن والحسين وابن الزبير وغيرهم فوجدوه مذبوحًا. وبلغ عليا وطلحة والزبير الخبر فجاءوا وقد ذهبت عقولهم ودخلوا عليه فرأوه مذبوحا. فقال على: كيف قتل وأنتم على الباب ؟! ولطم الحسن وضرب صدر الحسين وشتم ابن الزبير وابن طلحة، فقالوا لم يؤت من جهتنا بل تسور عليه من الدار، وخرج على غضبانا إلى منزله فجاء الناس يهرعون إليه ليبايعوه فقال: ليس ذلك إليكم إنما ذاك إلى أهل بدر، فمن رضوه فهو خليفة، فلم يبق أحد من البدريين إلا أتى عليا. ثم خرج إلى المسجد فصعد المنبر فكان أول من صعد إليه طلحة فبايعه بيده اليمنى وكانت شلاء لأنه وقى بها رسول الله ﷺ من سهم يوم أحد فشلت، فكانت كالفأل السوء لخلافة على، فإنه لم يتهن فيها بل من حرب إلى حرب إلى أن قتل - رضى الله تعالى عنه - كما سيذكر جميع ذلك فيما يأتى قريبا، ثم بايعه الزبير وسعد والصحابة جميعا، ثم نزل فدعا الناس وطلب مروان فهرب منه هو وأقاربه[١].

قال الإمام الذهبى فى تاريخه « دول الإسلام »: كان قاتلوا عثمان يدا واحدة فى الشر، وكان حثالة من الناس قد ضووا إليهم، وكان أصحاب النبى ﷺ الذين خذلوه كرهوا الفتنة فظنوا أن الأمر لا يبلغ قتله، فلما قتل ندموا على ما صنعوا فى أمره. ولعمرى لو قاموا أو قام بعضهم فحثا فى وجوه أولئك التراب لانصرفوا خاسئين، لكن الفتن لها أسباب، نعوذ بالله منها ومن أسبابها.

وعن الشعبى قال: ما سمعت فى مراثى عثمان أحسن من قول كعب بن مالك

---

(١) ينظر تاريخ الإسلام (٣/ ٤٥٧)، أنساب الأشراف (١٤١٩)، تاريخ الخلفاء (١٥٧-١٦١) .

[من الطويل] :

فَكَفَّ يَدَيْهِ ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهُ وأَيْقَنَ أَنَّ اللهَ لَيسَ بِغَافِلِ
وقالَ لِأَهْلِ الدار: لاَ تَقْتلوهُمُ عَفَا اللهُ عن كل امرئٍ لم يُقَاتِلِ
فَكَيْفَ رأيتَ اللهَ صَبَّ عليهمُ الْ عداوَةَ والبَغْضاءَ بَعْد التَّوَاصُلِ[1]

وقال حسان يرثيه [من الخفيف] :

خَذَلَتْهُ الأَنْصَارُ إِذْ حَضَر المَوْ تُ وَعَابَتْ وُلاتُهُ الأَنْصَارُ
مَن عذيرى مِنَ الزُّبَيْرِ ومن طَلْ حَةَ هَاجَا أمرا له مِقْدَارُ
فَوَلِيُّهُ محمدُ بْنُ أبى بَكْ رِ عِيَانًا وخَلْفهُ عَمَّارُ

وقال أيضا [من البسيط] :

مَنْ سَرَّهُ الموتُ صِرْفًا لاَ مِزَاجَ لَهُ فَلْيَأْتِ مَأْسَدَةً[2] فِى دارِ عثمانَا
ضَحَّوْا بأشمَط عُنوانُ السجودِ بِهِ يُقَطِّعُ الليلَ تَسْبيحًا وقُرْآنَا
صَبْرًا فِدًى لَكُمُ أمى وَمَا وَلَدتْ قَدْ ينفعُ الصبرُ فى المَكْروهِ أحيانا
لَتَسْمَعُنَّ وَشِيكًا فِى دِيارِكُمُ[3] اللهُ أَكبر يَا ثَارَاتِ عثمانَا[4]

ورثته زوجته بنت الفرافصة التى كفها قطعت بالسيف [من الطويل]:

أَلاَ إِنَّ خيرَ النَّاسِ بَعْدَ ثلاثةٍ قَتِيلُ التُّجِيبِيِّ الَّذى جَاء مِنْ مِصْرِ
فَمَا لِيَ لاَ أَبْكِي وَتَبْكِى قَرَابَتِي وَقَدْ غَيَّبُوا عَنَّا فُضُولَ أَبى عَمْرِو

وقال الوليد بن عقبة [من الطويل]

بَنِى هَاشِمٍ إنا وَمَا كَانَ بيننَا كَصَدْعِ الصَّفَا مَا يرمض الدهر شَائِبُهْ
بنى هاشمٍ كَيْفَ المودَّةُ بَيْنَنَا وسيفُ ابنِ أَرْوَى عِندكم وَخَزائِنُهْ
بنى هاشم رُدُّوا سِلَاحَ ابن أُخْتِكُمْ وَلاَ تَنْهَبُوه لا تَحِلُّ نَهَائِبُهْ[5]

---

(١) وبعد هذا البيت في تاريخ الإسلام: [من الطويل]

وكيف رأيت الخير أدبر بعده عن الناس إدبار النعام الجوافل

ينظر تاريخ الإسلام (٣/ ٤٦١-٤٦٢) والبداية والنهاية (٧/ ١٩٦) والاستيعاب (٣/ ٨٢)، وديوان كعب بن مالك (٣٠٩)، والأغاني (١٣/ ٢٣٣) .

(٢) في تاريخ الإسلام: مأدبة.

(٣) في التاريخ : ديارهم.

(٤) ينظر ديوان حسان (١/ ٩٦) وتاريخ الإسلام (٣/ ٤٦٢) .

(٥) في أنساب الأشراف: مناهبه.

غَدَرْتُمْ بِهِ كيما تَكُونُوا[١] مَكَانه كما غَدَرَتْ يومًا بِكِسْرَى مَرَازِبُهْ[٢]

فأجابه عتبة بن أبى لهب - رضى الله عنه - [من الطويل]:

فَإِن تسألونا سيفَكُمْ إنَّ سيفكُمْ أُضِيعَ وَأَلْقَاه لَدَى الرَّوْعِ صاحِبُهْ
سَلُوا أهلَ مصرٍ عن سلَاحِ ابن أُختِنَا فَهُمْ سَلَبُوهُ سَيْفَهُ وَخَزَائِبُهْ
وكَانَ وليَّ الأمرِ بَعْدَ محمدٍ علينَا وَفِى كُلِّ المواطن صَاحِبُهْ
عليٌّ إِلى أَنْ أَظْهَرَ الله دِينَهُ وَأَنتَ مع الأَشْقَين فِيمَنْ يحارِبُهْ
وأنت امرؤٌ من أهل صنوانَ نازحٌ فَمَا لَكَ فينا من حَمِيم تُعَاتِبُهْ
وَقَدْ أنزلَ الرَّحْمَنُ أَنَّكَ فاسِقٌ فما لك فى الإِسلام سَهْمٌ تُطَالِبُهْ

قال ابن لهيعة: عن يزيد بن أبى حبيب قال: بلغنى أن الركب الذين ساروا إلى عثمان عامتهم جُنّوا والعياذ بالله[٣].

وروى عمر بن على بن الحسين عن أبيه قال: قال مروان: ما كان فى القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم، يعنى: عليا عن عثمان. قال فقلت: ما بالكم تسبونه على المنابر ؟ قال: « لا يستقيم الأمر إلا بذلك »[٤]. رواه ابن خيثمة بإسناد قوى عن عمر وكان لعثمان عند خازنه يوم قتل ثلاثون ألف ألف درهم وخمسون ومائة ألف دينار.

وقال الليث بن أبى سليم: عن طاوس، عن ابن عباس سمع عليا يقول: والله ما قتلت عثمان ولا أمرت، ولكن غلبت. يقول ذلك ثلاثا. وجاء نحوه عن على من طرق. وجاء عنه أنه لعن قتلة عثمان[٥].

وقال قتادة: ولى عثمان ثنتى عشرة سنة غير اثنى عشر يوما[٦].

وقال السُدِّى: قتل يوم الجمعة لثمان خلون من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين بعد العصر، ودفن بـ« البقيع » بين العشاءين ليلة السبت وهو ابن اثنتين وثمانين سنة،

(١) ويروي في أنساب الأشراف: هم قتلوه كي يكونوا .
(٢) ينظر أنساب الأشراف (٦/ ٢٢٨) .
(٣) ينظر تاريخ الإسلام (٣/ ٤٦١) .
(٤) ينظر تاريخ الإسلام (٣/ ٤٦٠-٤٦١) .
(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٦٠) من طريق الليث . وينظر تاريخ الإسلام (٣/ ٤٦١) .
(٦) ينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٧٧) وتاريخ خليفة (١٣٢) .

وهو الصحيح[١]، وقيل: ست وثمانين. واختلف فى مدة الحصار فقيل أكثر من عشرين يوما[٢]، وعن عبد الله بن فروخ شهدته دفن فى ثيابه بدمائه ولم يغسل، رواه عبد الله بن أحمد فى « زيادات المسند »[٣]، وخرجته نائلة وهى تصرخ ومعها سراج فقال لها جبير بن مطعم: أطفِئى السراج لا يُفطن لنا. ثم انتهوا إلى البقيع، فصلى عليه جبير بن مطعم، وخلفه أبو جهم بن حذيفة، ونيار بن مكرم وزوجتاه نائلة وأم البنين وهما دلياه فى حفرته على الرجال الذين نزلوا فى قبره، ولحدوا له وغيبوا قبره وتفرقوا[٤].

والمكان الذى دفن فيه يقال له: حش كوكب، أى: بستان رجل يسمى: كوكبا، خارج البقيع أو فى طرفه الأقصى. وروى أن نائلة بنت الفرافصة كانت مليحة الثغر جدا فكسرت ثناياها بحجر، وقالت: والله لا يجتليكن أحد بعد عثمان، رضى الله تعالى عنه.

وقال حسان بن ثابت [من البسيط]:

يَا لَلرِّجَالِ لِأَمْرٍ هَاجَ لِى حُزْنًا ... لَقَدْ عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْكِى عَلَى الدِّمَنِ
إِنِّى رَأَيْتُ وَلِىَّ اللهِ مُضْطَهِدًا ... عُثْمَانَ يَهْوِى إِلَى الأَجْدَاثِ فِى كَفَنِ[٥]

[ومن المتقارب]:

لَعَمْرُ أَبِيكَ فَلَا تَكْذِبَنْ ... لَقَدْ ذَهَبَ الخَيْرُ إِلاَّ قَلِيلَا
لَقَدْ سَفِهَ النَّاسُ فِى دِينِهِمْ ... وَخَلَّى ابْنُ عَفَّانَ شَرًّا طَوِيلَا[٦]

قال العلامة ابن الجوزى فى « المنتخب »: قال شعبة: أخبرنى عبد الرحمن، سمعت أبى يقول: سمعت عليا - رضى الله تعالى عنه - يقول: قتل الله عثمان وأنا معه، قال أبو حمزة: فذكرته لابن عباس فقال صدق على، يقول: الله قتل عثمان ويقتلنى معه.

---

(١) ينظر تاريخ خليفة (١٣١) والطبقات الكبرى (٣/ ٥٧).
(٢) وقال الواقدي: حاصروه تسعا وأربعين يوما وقال الزبير: حاصروه شهرين وعشرين يوما. ينظر الاستيعاب (١٧٩٧).
(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١/ ٢٧).
(٤) ينظر الاستيعاب (١٧٩٧) والطبقات (٣/ ٥٧)
(٥) ينسب هذا لكعب بن مالك. ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (١٧٩٧).
(٦) ينظر المصدر السابق.

وقد روى شعبة عن حبيب بن الزبير عن عبد الرحمن بن الشرود أن عليا - رضى الله عنه - قال: إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٣](١)، وقال عبد الله بن شوذب: حدثنى زهدم الحرمى، قال: كنت فى سمر عند ابن عباس فقال: لأحدثنكم حديثا: إنه لما كان من أمر هذا الرجل - يعنى: عثمان - ما كان. قلت لعلى: اعتزل هذا الأمر فوالله لو كنت فى جحر لأتاك الناس حتى يبايعوك وايم الله ليتأمرن عليه معاوية، ذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا ﴾ [الإسراء: ٣٣](٢) الآية، كما قال فى « الرياض ». وعن محمد بن عبد الله أن الحكم بن عبد الملك بن مروان قال: لما قتل عثمان ألقى على المزبلة. قال سهم بن حبيش - وكان ممن شهد مقتل عثمان -: فلما أمسينا قلت لئن تركتم صاحبكم حتى يصبحَ مثَّلُوا به فلما كان من الليل أتاه اثنا عشر رجلا منهم حويطب بن عبد العزى، وحكيم بن حزام، وجبير بن مطعم، وعبد الله بن الزبير، وجدى مروان بن الحكم، فاحتملوه فلما ساروا به إلى المقبرة ليدفنوه فإذا هم بقوم من بنى مازن فقالوا: والله لئن دفنتموه هنا لنخبرن الناس غدا فاحتملوه وكان على الباب وإن رأسه يقول طق طق حتى صاروا به إلى « حش كوكب » فاحتفروا له، فلما أخرجوه ليدفنوه صرخت ابنته عائشة وكان مصباح فى حق، فقال لها ابن الزبير: لئن لم تسكتى لأضربن الذى فيه عيناك، فسكتت فدفنوه خرجه القلعى(٣).

قال: ولما حملناه وسرنا غشينا سواد من خلفنا فهبناهم حتى كدنا نفر منهم فإذا مناد: لا روع عليكم اثبتوا، فإنا جئنا نشهده معكم. وكان ابن خنيس يقول: هم الملائكة. أخرجه ابن الضحاك(٤). وعن هارون بن يحيى أن عثمان جعل يقول حين ضرب والدماء تسيل على لحيته: لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، اللهم إنى أستعينك وأستعيذك على جميع أمورى، وأسألك الصبر على بليتى(٥).

---

(١) له طرق أخرى عند الطبري في تفسيره (٧/ ٢٥٠) وينظر الدر المنثور (٤/ ١٨٨-١٨٩) والرياض النضرة (٣/ ٤٨) .
(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٢٨) وعزاه للطبراني وابن عساكر .
(٣) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ١٦١) وينظر الرياض النضرة (٣/ ٧٤) .
(٤) ينظر الرياض النضرة (٣/ ٧٥) .
(٥) ينظر الرياض النضرة (٣/ ٧٢) .

الآيات فى شأن عثمان رضى الله عنه

منها قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ﴾ [البقرة: ٢٦٢] الآية، عن أبى سعيد الخدرى: أنها نزلت فى عثمان، رضى الله تعالى عنه(١).

ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ [الأنبياء: ١٠١]. الآية، عن محمد بن حاطب قال سمعت عليا - رضى الله تعالى عنه - يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ [الأنبياء: ١٠١] عثمان. خرجه الحاكمى(٢).

ومنها عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ٧٦] هو عثمان. خرجه البخارى(٣).

ومنها قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٩] عن ابن عمر قال: إنها نزلت فى عثمان - رضى الله تعالى عنه -. خرجه الواحدى فى « الفضائل »(٤).

الأحاديث فى شأن عثمان رضى الله تعالى عنه

الحديث الأول: عن أنس - رضى الله تعالى عنه - قال: هاجر إلى أرض الحبشة عثمان - رضى الله عنه - وخرج معه بابنة رسول الله ﷺ رقية، فلما أبطأ عليه خبرهما جعل يتوكف الأخبار، فقدمت امرأة من قريش من الحبشة، فسألها رسول الله ﷺ عنهما فقالت: أنا رأيتهما. فقال - عليه الصلاة والسلام -: على أى حال رأيتهما ؟ قالت: رأيتهما وقد حملها على حمار وهو يسوق بها. فقال النبى ﷺ: « صحبهما الله، إن كان عثمان أول من هاجر إلى الله عز وجل ». أخرجه خيثمة بن

(١) ينظر أسباب النزول للواحدي (١٧١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٩٠) رقم (٣٤٨٣٠) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٠٩) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد.

(٣) ليس عند البخاري في صحيحه كما يوهم كلام المصنف بل هو في التاريخ الكبير كما عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٣٥). وعزاه أيضا لابن سعد وابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وابن مردويه والضياء في المختارة.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٥٦) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٠٤) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر.

سليمان والملا فى « سيرته »[١].

الحديث الثانى: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله أوحى إليّ أن أزوج كريمتيَّ عثمان بن عفان » خرجه الطبرانى. وفى رواية: « بنتيَّ »، يعنى: رقية، وأم كلثوم[٢].

الحديث الثالث: عن أبى هريرة قال: لقى النبى ﷺ عثمان بن عفان عند باب المسجد فقال: « يا عثمان هذا جبريل أخبرنى أن الله قد أمرنى أن أزوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها ». أخرجه ابن ماجة القزوينى، وأبو سعيد النقاش[٣].

وفى رواية ابن عباس: « والذى نفسى بيده لو أن عندى مائة تموت واحدة بعد واحدة زوجتك أخرى حتى لا يبقى من المائة شيء »[٤].

الحديث الرابع: عن أبى هريرة قال: دخلت على رقية بنت رسول الله ﷺ امرأة عثمان وفي يدها مشط فقالت خرج من عندى رسول الله ﷺ آنفا رجلت رأسه فقال: كيف تجدين أبا عبد الله ؟ قلت: خير الرجال. قال: أكرميه فإنه من أشبه أصحابى بى خلقا[٥].

الحديث الخامس: أخرج الملا عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: « إن عثمان بن عفان أشبهُ الناس بى خلقا وخلقا ودينا وسمتا وهو ذو النورين، زوجته ابنتى وهو معى فى الجنة كهاتين » وحرك السبابة والوسطى[٦].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٩٦) رقم (١٣١١) من حديث أنس .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٥٠١) من طريق محمد بن حرب النشائي نا عمير بن عمران الحنفي عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس به وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن ابن جريج إلا عمير بن عمران تفرد به محمد بن حرب وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٨٦): رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه عمير بن عمران الحنفي وهو ضعيف بهذا الحديث وغيره . وينظر مجمع البحرين (٣٦٧٥) .

(٣) أخرجه ابن ماجة (١١٠) من طريق عثمان بن خالد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة، به . وقال البوصيري في الزوائد (١/ ٦٦): هذا إسناد ضعيف فيه عثمان بن خالد وهو ضعيف باتفاقهم . ا هـ وعبد الرحمن بن أبي الزناد لين الحديث أيضا .

(٤) ذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٨١٤) وعزاه إلى ابن عساكر عن ابن عباس .

(٥) ذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٨٤) وقال: رواه الطبراني وفيه محمد بن عبد الله يروى عن المطلب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات .

(٦) ذكره المحب الطبري في الرياض النضرة (٣/ ١٢) وعزاه للملا في سيرته .

الحديث السادس: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « عثمان أحيى أمتى وأكرمها »(١).

الحديث السابع: عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعا فى بيته كاشفا عن فَخِذَيْهِ أو عن ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال فحدثه، ثم استأذن عمر فأذن له، وهو على تلك الحالة فحدثه، ثم استأذن عثمان، فجلس - عليه الصلاة والسلام - وسوى ثيابه، فدخل فتحدث، فلما خرجوا قلت: يا رسول الله، دخل أبو بكر فلم تهش له ولم تبال به، ثم دخل عمر فلم تهش له ولم تبال به، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك. فقال - عليه الصلاة والسلام -: « ألا أستحيى من رجل تستحيى منه الملائكة » خرجه أحمد ومسلم وأبو حاتم(٢).

الحديث الثامن: عنها أيضًا قالت: قال رسول الله ﷺ فى مرضه: « وددت لو أن عندى بعض أصحابى. قالت: فقلت: يا رسول الله ألا ندعو لك أبا بكر ؟ فسكت. قالت: فقلنا: عمر ؟ فسكت. قالت: فقلنا: عثمان ؟ قال: « نعم » فأرسلنا إلى عثمان. خرجه الترمذى(٣).

الحديث التاسع: عن عبد الرحمن بن خباب قال: شهدت رسول الله ﷺ وهو يحث على جيش العسرة، فقام عثمان فقال: يا رسول الله عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله. ثم حض - عليه الصلاة والسلام - على الجيش، فقام عثمان فقال: يا رسول الله مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله. ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال: ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله. فأنا رأيت رسول الله ﷺ عند المنبر وهو يقول: « ما على عثمان ما فعل بعدهن، ما على عثمان ما فعل بعدهن » خرجه الترمذى(٤).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٥٦) وينظر كنز العمال (٣٢٨٠٦).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٧١، ٦/ ١٥٥) وفي الفضائل (٤٩٣) وأخرجه مسلم (٢٤٠١) وأبو يعلى (٤٨١٥) وابن حبان (٦٩٠٧) والبيهقي (٢/ ٢٣٠-٢٣١) من حديث عائشة.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧١١) وابن ماجة (١١٣) والحاكم (٣/ ٩٩) وابن سعد (٣/ ٦٦-٦٧) وأحمد (١/ ٥٨، ٦٩) وابن حبان (٦٩١٨) وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٧٠٠) وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٤/ ٧٥) وعبد بن حميد في المنتخب من المسند (٣١١) من حديث عبد الله بن خباب وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

وقال أبو عمر: جهز عثمان جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرا وأتم الألف بخمسين فرسا. وفى رواية عن قتادة: حمل على ألف بعير وسبعين فرسًا[١].

الحديث العاشر: عن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان بعشرة آلاف دينار فى كمه حين جهز جيش العسرة؛ فصبها فى حجره - عليه الصلاة والسلام -، فرأيته - عليه الصلاة والسلام - يقلبها فى حجره ويقول: « ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم ». خرجه الترمذى وأحمد[٢].

الحديث الحادى عشر: عن بشر بن بشير السلمى عن أبيه قال: لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكان لرجل من بنى غفار بئر يقال لها: « رومة » يبيع القرب منها بمد، فقال له رسول الله ﷺ: تبيعها ببئر فى الجنة ؟ فقال: يا رسول الله ليس لى ولا لعيالى بئر غيرها، ولا أستطيع ذلك. قال: فبلغ ذلك عثمان، فاشتراها منه بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبى ﷺ فقال اجعل لى مثل الذى جعلت له عينا فى الجنة، فإنى قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين[٣].

الحديث الثانى عشر: عن الأحنف بن قيس قال: انطلقت حاجا فمررت بالمدينة، فبينما نحن بمنزلنا إذ جاءنا جاءٍ، فقال: الناس مجتمعون فى المسجد، فانطلقت أنا وصاحبى، فإذا الناس مجتمعون على نفر فى المسجد، قال الأحنف: فتخللتهم حتى قمت عليهم وإذا على بن أبى طالب وطلحة والزبير وسعد، فلم يكن أسرع مما جاء عثمان عليه ملاءة صفراء قد قنع بها رأسه فقال: أههنا على ؟ قالوا: نعم. قال: أههنا الزبير ؟ قالوا: نعم. قال: أههنا طلحة ؟ قالوا: نعم. قال: أههنا سعد ؟ قالوا: نعم. قال: أنشدكم الله الذى لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من يبتاع مربد بنى فلان غفر الله له فابتعته بعشرين ألفا فأتيت النبى ﷺ فقلت: قد ابتعته، فقال اجعله فى مسجدنا وأجره لك ؟ فقالوا اللهم نعم. ثم قال:

---

(١) ينظر الاستيعاب (٣/ ١٥٧).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٦٣) والترمذي (٣٧٠١) من طريق عبد الله بن القاسم عن كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة عن عبد الرحمن بن سمرة، به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٣) ذكره الهيثمي في المجمع (٣/ ١٣٢) وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور وهو ضعيف.

أنشدكم الله الذى لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من يبتاع بئر رومة غفر الله له فابتعتها بخمسة وثلاثين ألفا فقال: اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك ؟ فقالوا: اللهم نعم. ثم قال: أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ نظر فى وجوه القوم فقال: من يجهز هؤلاء غفر الله له - يعنى جيش العسرة - فجهزتهم حتى لم يفقدوا عقالا ولا خطاما ؟ قالوا: اللهم نعم. قال اللهم اشهد ثلاثا. أخرجه الدارقطنى وأبو حاتم وأحمد(١).

الحديث الثالث عشر: أخرج أحمد أن رسول الله ﷺ كان على « حراء » ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فتحرك الجبل حتى سقطت حجارته بالحضيض، فركضه - عليه الصلاة والسلام - برجله وقال « اسكن حراء، فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان ». ومثله فى الترمذى إلا أنه ذكر « ثبيرا » مكان « حراء »(٢).

الحديث الرابع عشر: أخرج الترمذى عن أنس قال: لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل مكة فبايع الناس بيعة الرضوان فقال النبى ﷺ: « إن عثمان فى حاجة الله وفى حاجة رسوله » فضرب - عليه الصلاة والسلام - إحدى يديه على الأخرى، وقال: « هذه عن عثمان » فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم(٣).

ونسبة الحاجة إلى الله تعالى على طريق الاستعارة والتمثيل المعروف فى علم البيان.

الحديث الخامس عشر: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ قوموا بنا نعود عثمان. قلنا: عليل يا رسول الله ؟ قال: نعم. فقام ﷺ واتبعناه حتى أتى منزل عثمان فاستأذن فأذن له فدخل ودخلنا فوجدنا عثمان مكبوبا على وجهه، فقال له: مالك يا عثمان لا ترفع رأسك ؟ فقال: يا رسول الله إنى أستحيى يعنى من الله تعالى. قال: ولم ذاك ؟ قال: إنى أخاف أن يكون على غضبان. فقال - عليه

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٧٠) وابن أبي شيبة (١٢/ ٣٩-٤٠) والنسائي (٦/ ٢٣٤-٢٣٥) والطبري في : تاريخه (٤/ ٤٩٧) وابن حبان (٦٩٢٠) عن الأحنف بن قيس .

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٥٩) وفي فضائل الصحابة (٧٥١) والترمذي (٣٦٩٩) والنسائي (٦/ ٢٣٦) والدارقطني (٤/ ١٩٩) وابن أبي عاصم في السنة (١٣٠٩) وابن حبان (٦٩١٦) .

(٣) تقدم تخريجه في بداية ترجمة عثمان .

الصلاة والسلام - ألست صاحب بئر رومة، ومجهز جيش العسرة، والزائد فى مسجدى، وباذل المال فى رضا الله ورضائى، ومن تستحيى منه ملائكة السماء ؟ هذا جبريل يخبرنى عن الله عز وجل أنك نور أهل السماء، ومصباح أهل الأرض، وأهل الجنة.

خرج المُلاَّ عن عثمان بن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر وحج البيت فرأى قومًا فقال: من هؤلاء ؟ قالوا: هؤلاء قريش. قال: فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا: عبد الله بن عمر. فقال الرجل: يا بن عمر إنى سائلك فحدثنى هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد ؟ قال نعم. قال: تعلم أنه تغيب عن بدر ؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها ؟ قال: نعم. قال الرجل: الله أكبر وقام. فقيل لابن عمر إن هذا يقول إنك وقعت فى عثمان. قال: أو قد فعل ذلك ؟ قالوا إنه يقول ذلك. قال: فردوه، فردوه. فقال: أعقلت ما قلت لك ؟ قال الرجل: نعم سألتك: أشهد عثمان بيعة الرضوان فقلت: لا، وسألتك: أشهد بدرا، فقلت: لا، وسألتك: أكان ممن استزله الشيطان، فقلت: نعم. فقال ابن عمر: أبين لك: أما فراره يوم أحد، فأشهد أن الله تعالى عفا عنه وغفر له.

قلت: يشير إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ ﴾ [آل عمران: ١٥٥] وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته ابنة رسول الله ﷺ رقية وكانت مريضة فتخلف ليمرضها بأمره ﷺ وقال له: إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه.

وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز بمكة منه لبعثه مكانه فكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال - عليه الصلاة والسلام - بعد أن وضع إحدى يديه على الأخرى: « هذه يمينى عنى وشمالى عن عثمان »، قال عثمان - رضى الله عنه -: كانت بيعة الرضوان فيّ وضرب ﷺ عنى بشماله على يمينه وشمال رسول الله ﷺ خير من يمينى[1].

قلت: وقول عثمان كانت بيعة الرضوان فيّ أى بيمينى، وذلك أنه قد ورد أن

---

(١) حديث عثمان بن موهب: أخرجه البخاري (٣٦٩٨) والترمذي (٣٧٠٦) وأحمد (٢/ ١٠١، ١٢٠).

سببها أنه أشيع أن عثمان قتل بمكة قتله المشركون فكان هذا هو السبب فى أن دعاهم - عليه الصلاة والسلام - إلى المبايعة فمعنى الظرفية هنا السببية مثل « دخلت النار امرأة فى هرة ».

وَزِيدَ والظَّرْفِيَّةَ اسْتَبِنْ ببا وَفى وَقَدْ يبينانِ السَّبَبَا

فدخل فى جوار أبان بن سعيد بن العاص ابن عمه وحمله على السرج وأردف خلفه، فلما قدم به إلى مكة قال له: طف يا بن عم، فقال عثمان: يا بن عم إن لنا صاحبا لا نبتدع أمرا حتى يكون هو الذى يعمله فنتبع أثره ﷺ.

الحديث السادس عشر: عن إياس عن أبيه أن النبى ﷺ لما بايع لعثمان بإحدى يديه على الأخرى قال الناس: هنيئًا لأبى عبد الله الطواف بالبيت. فقال - عليه الصلاة والسلام -: « لو مكث عثمان كذا كذا ما طاف حتى أطوف». أخرجه ابن الضحاك[1]. قلت: قد أشار إلى ذلك البوصيرى صاحب الهمزية بقوله: [من الخفيف]

وَأَبَى أَنْ يَطُوفَ بالبيْتِ إِذْ لَمْ يَدْنُ مِنْهُ إِلَى النَّبيِّ فِنَاءُ
فَجزتهُ عَنْهَا ببيعةِ رضْوَا نَ يَدٌ مِنْ نبيِّهِ بَيْضَاءُ
أَدَبٌ عِنْدَهُ تَضَاعَفتِ الأعْـ ـمَالُ بالتَّرْكِ حَبَّذَا الأُدَبَاءُ

الحديث السابع عشر: عن فاطمة بنت عبد الرحمن عن أمها أنها سألت عائشة وأرسلها عمها فقالت: إن أحد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان فإن الناس قد شتموه، فقالت عائشة: لعن الله من لعنه، والله لقد كان قاعدا عند نبى الله ﷺ، وإن رسول الله ﷺ مسند ظهره إلىّ، وإن جبريل ليوحى إليه القرآن وإنى لأمسح العرق عن جبين رسول الله ﷺ وإنه يقول له: اكتب يا عثيم، فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كريما على الله ورسوله. أخرجه أحمد والحاكم[2].

الحديث الثامن عشر: روى ابن عساكر وأبو نعيم والطبرانى فى « الأوسط » عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: « اللهم ارض عن عثمان (ثلاثا) وفى رواية: « رضيت عن عثمان فارض عنه »، وفى لفظ: « غفر الله لك يا عثمان ما قدمت

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٩٠-٩١) رقم (١٤٤) وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٨٧) وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف وينظر كنز العمال (٣٢٨٧٥).
(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٢٥٠) وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٩٢).

وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما كان منك وما هو كائن إلى يوم القيامة »[١].

الحديث التاسع عشر: أخرج ابن عدى فى « الكامل »، وابن عساكر، والديلمى، عن ابن عمر: رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « إنا والله لنشبه عثمان بأبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام »[٢].

الحديث العشرون: روى ابن عساكر، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « والله ليشفعن عثمان فى سبعين ألفا من أمتى قد استوجبوا النار حتى يدخلهم الله الجنة »[٣].

الحديث الحادى والعشرون: روى أبو نعيم، وابن عساكر، عن جابر - رضى الله تعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال: « عثمان وليى فى الدنيا والآخرة »[٤] رضى الله عنه.

الحديث الثانى والعشرون: أخرج ابن عساكر، عن جابر - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: « عثمان فى الجنة »[٥].

الحديث الثالث والعشرون: أخرج الترمذى عن طلحة، وابن ماجة عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: « لكل نبى رفيق فى الجنة، ورفيقى فيها عثمان بن عفان »[٦].

الحديث الرابع والعشرون : أخرج الترمذى وابن ماجة والحاكم وصححه عن

---

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٨٤٢) وعزاه إلى ابن عساكر عن يوسف بن سهل بن يوسف الأنصاري عن أبيه عن جده . أما اللفظ الثاني فذكره الهندي في الكنز (٣٢٨٤١) وعزاه لابن عساكر عن عائشة، ولأبي نعيم وابن عساكر عن أبي سعيد .

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٥/ ١٧٨٣) والعقيلي في الضعفاء الكبير (١/ ١٧٣-١٧٤) وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٩٦) من حديث ابن عمر وضعفوه وذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٨٣٤) وعزاه إلى ابن عدي والعقيلي وابن عساكر والديلمي .

(٣) ذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٨٧٤) وعزاه إلى ابن عساكر عن ابن عباس .

(٤) ذكره الهندي في الكنز (٣٢٨٠٣) وعزاه إلى أبي يعلى عن جابر وذكره الحافظ في المطالب العالية (٣٩٣٨) وعزاه لأبي يعلى .

(٥) ذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٨٠٤) وعزاه لابن عساكر عن جابر .

(٦) أخرجه الترمذي (٣٦٩٨) من طريق شيخ من بني زهرة عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب عن طلحة بن عبيد الله به وقال الترمذي: هذا حديث غريب ليس إسناده بالقوى وهو منقطع وأخرجه ابن ماجة (١٠٩) من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن أبي هريرة.

مرة بن كعب قال: سمعت رسول الله ﷺ يذكر فتنة فقرَّ بها، فمر رجل مقنع فى ثوب، فقال: « هذا يومئذ على الهدى » فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت إليه بوجهى فقلت: هذا ؟ قال: نعم(١).

الحديث الخامس والعشرون: عن الحسن بن على - رضى الله عنهما - قال: رأيت رسول الله ﷺ فى المنام متعلقا بالعرش ، ثم رأيت أبا بكر آخذًا بحقوى رسول الله ﷺ، ثم رأيت عمر آخذا بحقوى أبى بكر، ثم رأيت عثمان آخذا بحقوى عمر، ثم رأيت الدم منصبا من السماء إلى الأرض فحدث الحسن بهذا الحديث وعنده ناس من الشيعة فقالوا: ما رأيت عليا ؟ قال: ما كان أحد أحب إليَّ أن أراه آخذا بحقوى النبى ﷺ من على، ولكن إنما هى رؤيا: فقال لهم أبو مسعود - عقبة ابن عمرو -: إنكم لتجدون على الحسن فى رؤيا رآها، لقد كنت مع رسول الله ﷺ فى غزاة وأصاب المسلمين جهد حتى عرفت الكآبة فى وجوه المسلمين والفرح فى وجوه المنافقين، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال: « والله لا تغيبن حتى يأتيكم الله برزق. فعلم عثمان أن الله ورسوله تصدقا، فوجه راحلته فإذا هو بأربعة عشر راحلة فاشتراها وما عليها من الطعام فوجه منها سبعا إلى رسول الله ﷺ ووجه سبعا إلى أهله. فلما رأى المسلمون العير قد جاءت عرف الفرح فى وجوههم، والكآبة فى وجوه المنافقين، فقال رسول الله ﷺ: ما هذا ؟ فقالوا: أرسل به عثمان هدية إليك. قال أبو مسعود: فرأيته - عليه الصلاة والسلام - رافعا يديه يدعو لعثمان بدعاء ما سمعته يدعو لأحد قبله ولا بعده مثله: اللهم أعط لعثمان وافعل لعثمان، رافعا يديه حتى رأيت بياض إبطيه. خرجه القزوينى الحاكمى(٢).

الحديث السادس والعشرون: عن أبى سعيد الخدرى قال: رمقت رسول الله ﷺ من أول الليل إلى أن طلع الفجر يدعو لعثمان: « اللهم إنى رضيت عن عثمان فارض عنه » فما زال رافعا يديه يدعو حتى طلع الفجر(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٣٦) والترمذي (٣٧٠٤) من حديث كعب بن مرة .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ٢٤٩) رقم (٦٩٤) . وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٨٨) وفيه سعيد بن محمد الوراق وهو ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط وفيه رؤيا رآها الحسن ابن علي رضي الله عنهما .

(٣) تقدم تخريجه قريبا .

الحديث السابع والعشرون: عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: مكث آل محمد ﷺ أربعة أيام ما يطعمون شيئا حتى تضاغوا صبياننا. فدخل رسول الله ﷺ، فقال: يا عائشة هل أصبتم شيئا بعدى ؟ فقلت: من أين إن لم يأتنا الله عز وجل به على يديك ؟ فتوضأ وخرج مستخفيا يصلى ههنا مرة وههنا مرة. قالت: فأتى عثمان من آخر النهار فاستأذن، فهممت أن أحجبه، ثم قلت: هو رجل من مكاثير الصحابة لعل الله عز وجل إنما ساقه إلينا ليجرى على يديه خيرا، فأذنت له فقال: يا أماه، أين رسول الله ﷺ ؟ فقلت: يا بنى ما طعم آل محمد منذ أربعة أيام شيئًا، دخل عليّ رسول الله ﷺ متغيرا ضامر البطن، فأخبرته بما قال لى وما رددت عليه. قالت: فبكى عثمان، وقال: مقتا للدنيا. ثم قال: يا أم المؤمنين ما كنت بحقيق أن ينزل بك بعض الأمر ثم لا تذكرينه لى، ولعبد الرحمن بن عوف، ولثابت بن قيس، ثم خرج فبعث إلينا بأحمال من دقيق، وأحمال من حنطة، وأحمال من التمر وبملوح وثلاثمائة درهم فى صرة. ثم قال: يبطئ هذا عليكم. ثم بعث بخبز وشواء كثير فقال: كلوا أنتم واصنعوا لرسول الله ﷺ حتى يجىء، ثم أقسم على أن لا يكون مثل هذا إلا أعلمته به. قالت ودخل رسول الله ﷺ فقال يا عائشة: هل أصبتم بعدى شيئًا ؟ قلت: يا رسول الله قد علمت أنك إنما خرجت تدعو إلى الله عز وجل، وقد علمت أن الله لا يرد سؤالك. فقال: ما أصبتم ؟ قلت: كذا وكذا حمل بعير دقيقا، وكذا وكذا حمل بعير حنطة، وكذا وكذا حمل بعير تمرا وثلاثمائة درهم فى صرة، وخبزا وشواء كثيرا. قال ممن ؟ قلت: عثمان بن عفان.

قلت: قد بكى وذكر الدنيا بالمقت وأقسم عليّ أن لا يكون مثل هذا إلا كلمته. فلم يجلس رسول الله ﷺ حتى خرج إلى المسجد فرفع يديه وقال: « اللهم قد رضيت عن عثمان فارض عنه » وكررها ثلاثا ودعا له كثيرًا. أخرجه الحافظ أبو القاسم الدمشقى فى « الأربعين »[1].

الحديث الثامن والعشرون: عن جابر قال: أتى رسول الله ﷺ بجنازة رجل ليصلى عليه فلم يصل عليه، فقيل: يا رسول الله ما رأيناك تركت الصلاة على أحد قبل هذا. قال: « فإنه كان يبغض عثمان، فأبغضه الله عز وجل ». خرجه الترمذى[2].

---

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٨٤١) وعزاه لابن عساكر عن عائشة .
(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٠٩) من طريق محمد بن زياد عن محمد بن عجلان عن أبي الزبير عن =

الحديث التاسع والعشرون: عن عمر - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يوم يموت عثمان تصلى عليه ملائكة السماء » قلت يا رسول الله: عثمان خاصة أو الناس عامة ؟ قال: « عثمان خاصة ». خرجه الحافظ الدمشقى[١].

الحديث الثلاثون: أخرج الحافظ ابن بشران عن على بن أبى طالب أنه قال: قلت يا رسول الله من أول من يحاسب يوم القيامة ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من ؟ قال: عمر. قلت: ثم من ؟ قال: أنت يا على. قلت: يا رسول الله أين عثمان ؟ قال: « إنى سألت عثمان حاجة سرا فقضاها سرًا، فسألت الله أن لا يحاسب عثمان إلا سرًا ».

عن عبد الرحمن بن مهدى قال: كان لعثمان شيئان ليسا لأبى بكر ولا لعمر: صبر نفسه حتى قتل ظلما. وجمعه الناس على مصحف.

عن أنس بن مالك أن حذيفة قدم على عثمان وكان يتمارى أهل الشام فى فتح « أرمينية »، و« أذربيجان » مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أَدْرِكْ هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل إلى حفصة: أن أرسلى بالصحف ننسخها فى المصحف ثم نردها إليك. فأرسلت بها إليه فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما أنزل بلسانهم. ففعلوا. وأرسل إلى كل أفق مصحفا، وأمر بما سوى ذلك من القرآن على كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. خرجه البخارى[٢].

الحديث الحادى والثلاثون: عن عقبة بن عامر الجهنى قال: قال رسول الله ﷺ: لما أسرى بى دخلت جنات عدن فناولنى جبريل تفاحة فانفلقت عن حوراء عيناء مرضية كأن مقادم عينيها أجنحة النسور، فقلت: لمن أنت ؟ فقالت: للخليفة

= جابر به وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ومحمد بن زياد صاحب ميمون بن مهران ضعيف في الحديث جدا .

(١) أخرجه ابن عساكر (٥/ ٣٦٤-تهذيب) وذكره الهندي في الكنز (٣٢٨٧٢) وعزاه إلى أبي نعيم في فضائل الصحابة وأبي بكر الشافعي في الغيلانيات والديلمي وابن عساكر .

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٨٧) من طريق الزهري عن أنس، به .

المقتول ظلما عثمان بن عفان. خرجه خيثمة بن سليمان، والحاكمى[(١)].

الحديث الثانى والثلاثون: عن مرة بن كعب النمرى قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ فى طريق من طرق المدينة إذ قال: كيف تصنعون فى فتنة تثور فى أقطار الأرض كأنها صياصى البقر؟ قالوا: فنصنع ماذا يا رسول الله ؟ قال عليكم بهذا وأصحابه فاتبعوا هذا وأصحابه. قال فأسرعت حتى عقلت الرجل فقلت: هذا يا نبى الله ؟ قال هذا. فإذا هو عثمان بن عفان. خرجه أبو حاتم وأحمد وقال فيه: فأسرعت حتى غبت فلحقت بالرجل، فقلت: هذا يا نبى الله ؟ ثم ذكر ما بقى[(٢)].

الحديث الثالث والثلاثون: عن أبى حبيبة قال سمعت أبا هريرة وعثمان محصور يستأذن فى الكلام فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إنها تكون فتنة واختلاف. قلنا: يا رسول الله فماذا تأمرنا ؟ قال: عليكم بالأمير وأصحابه » وأشار إلى عثمان ابن عفان. خرجه القزوينى الحاكمى[(٣)].

الحديث الرابع والثلاثون: عن زيد بن أبى أوفى أنه - عليه الصلاة والسلام - دعا عثمان وقال: ادن أبا عمرو فلم يزل يدنو منه حتى ألصق ركبتيه بركبتيه، ثم نظر - عليه الصلاة والسلام - إلى السماء وقال: سبحان الله ثلاث مرات، ثم نظر إلى عثمان وكانت أزراره محلولة فزرها ﷺ بيده ثم قال: اجمع عِطْفَىْ ردائك على نحرك. قال: إن لك لشأنا فى أهل السماء أبا عمرو، وترد عليَّ الحوض وأوداجك تشخب دما، فأقول لك: مَنْ فعل بك هذا ؟ فتقول فلان وفلان. وذلك كلام جبريل. خرجه أبو الخير الحاكمى، وأبو القاسم الدمشقى[(٤)].

الحديث الخامس والثلاثون: أخرج الصوفى عن عبد الله بن عمر أنه - عليه الصلاة والسلام - قال لعثمان: « يا عثمان إنْ كساك الله قميصا وأرادك المنافقون

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٤٦٤) وابن الجوزي في الموضوعات (٦١٤) من طريق عبد الله بن سليمان ثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر به وله طريق آخر عند ابن الجوزي في الموضوعات (٦١٥) وينظر اللآلىء المصنوعة (١/ ٣١١-٣١٢) والضعفاء الكبير (٢/ ٣٢٠) واللسان (٣/ ٤٠٢) .

(٢) تقدم تخريجه قريبا .

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ٤٣٣-٤٣٤) من حديث أبي هريرة وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٤) ذكره الهندي في الكنز (٣٢٨٦٠) عن عائشة بنحوه وعزاه لابن عساكر .

على خلعه فلا تخلعه، فو الذى نفسى بيده لئن خلعته لا ترى الجنة حتى يلج الجمل فى سَمِّ الخياط »[١].

الحديث السادس والثلاثون: عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: « يشفع عثمان يوم القيامة فى مثل ربيعة ومضر ». خرجه الحاكمى القزوينى[٢].

الحديث السابع والثلاثون: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا كان يوم القيامة يؤتى بعثمان وأوداجه تشخب دمًا، اللون لون الدم، والرائحة رائحة المسك، يكسى حلتين من نور، فينصب له منبر على الصراط فيجوز المؤمنون بنور وجهه وليس لمبغضه منه نصيب ». خرجه المُلاَّ فى « سيرته »[٣].

الحديث الثامن والثلاثون: عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: رأيت رسول الله ﷺ وضع يده على كتف عثمان فقال: « كيف أنتم إذا قتلتم إمامكم وتجالدتم بأسيافكم، وورث دهماءكم شراركم، فويل لأمتى إذا فعلوه ». خرجه الحاكمى.

الحديث التاسع والثلاثون: عن أبى سهلة قال: قال عثمان يوم الدار: « إن رسول الله ﷺ عهد إلى عهدا وإنى صابر عليه » أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح. خرجه أحمد فزاد: قال قيس فكانوا يرونه ذلك اليوم[٤].

الحديث الأربعون: عن عبد الله بن سلام قال: أتيت عثمان وهو محصور أسلم عليه، فقال: مرحبًا بأخى مرحبا بأخى، أفلا أحدثك ما رأيت الليلة فى المنام ؟ قلت نعم. قال: رأيت رسول الله ﷺ فقال: حصروك ؟ فقلت نعم. فقال عطشوك ؟ فقلت نعم. فأدلى دلوا من ماء فشربت حتى رويت، فإنى لأجد بردا بين كتفى وبين قدمى. فقال: إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا. قال ابن سلام: فأصبح صائما وقتل من يومه، رضى الله عنه[٥].

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٥٨) رقم (١١٧١) وذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٨٧١) وعزاه للطبراني .
(٢) ذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٨٧٣) وعزاه إلى ابن عساكر عن الحسن مرسلا .
(٣) ذكره المحب الطبري في الرياض النضرة (٣/٤٧) وعزاه للملا في سيرته .
(٤) أخرجه أحمد (١/٥٨،٦٩) والترمذي (٣٧١١) وابن حبان (٦٩١٨) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح .
(٥) أخرجه الترمذي (٣٢٥٦،٣٨٠٣) عن عبد الله بن سلام بنحوه .

الحديث الحادى والأربعون: عن أبى ذر عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه قال لعثمان: « كيف أنت يا عثمان إذا جئتنى وأوداجك تشخب دما، فأقول من فعل هذا بك ؟ فتقول: بين خاذل وآمر، إذ نادى مناد من تحت العرش: إن الله تعالى قد حكم عثمان فى القاتل والخاذل ». أخرجه الديلمى فى « مسند الفردوس »[1].

قلت: هذا ما ظفرت به مما ورد فى شأنه خاصة. وأما ما ورد فى شأنه مع الاثنين أو مع الثلاثة أو مع الأربعة أو مع العشرة فلم أورد منه. وكذلك ما ورد فى نعته ومناقبه من الأحوال الجميلة، والمناقب الجليلة، وصلاته وصيامه، وإعتاقه الألوف رجالا ونساء، وختمه القرآن فى ركعة واحدة وغير ذلك، فلم أورد منه شيئا، وكذا ما قيل فيه من الثناء من الصحابة، والسلف فلم أورد منه شيئا؛ لكثرته وشهرته فى موضعه من الكتب المفردة لذلك.

ذكر أولاده رضى الله عنه

كان له من الولد ستة عشر: تسعة ذكور، وسبع إناث. أما الذكور فعبد الله الأكبر أمه فاختة بنت غزوان وبه كان يكنى. وعبد الله الأصغر أمه رقية بنت رسول الله ﷺ هلك صغيرا، وقيل بلغ ست سنين فنقره ديك فى عينه فكان سبب موته. وعمرو وكان أسنهم وبه كان يكنى بعد عبد الله الأكبر، وهو - يعنى عمرًا - أكثرهم عقبا، وتوفى بمنى. وخالد وهو الذى كان بيده المصحف الذى قطر عليه دم عثمان حين قتل. وأبان شهد الجمل مع عائشة، وعقبه كثير. وعمرو له عقب أيضًا أمهم بنت جندب بن الأزد. وسعيد والوليد أمهما فاطمة بنت الوليد وعبد الملك أمه أم البنين بنت عيينة بن حصن الفزارى. وأما الإناث فمريم أخت عمرو لأمه. وأم سعيد أخت سعيد لأمه وعائشة. فأم أبان وأم عمرو وأمهن رملة بنت شيبة بن ربيعة، ومريم أمها نائلة بنت الفرافصة، وأم البنين وأمها أم ولد[2].

وفى « دول الإسلام » كانت مدة خلافته رضى الله عنه اثنتى عشرة سنة وأحد عشر يومًا أو أربعة عشر يومًا.

---

(١) ينظر فردوس الأخبار (٤٩١٥) .
(٢) ينظر صفة الصفوة (١/ ١٥٤-١٥٥) .

وقال فى « الرياض »: قال ابن إسحاق كانت مدة خلافته اثنتى عشرة سنة إلا اثنى عشر يومًا، وقيل: وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، وقيل: ثمانين سنة، وقيل: ست وثمانين سنة، قال قتادة: وقيل ثمان وثمانين، وقيل: ابن تسعين.

قال الواقدى: لا خلاف عندنا فى القول الأول أنه الأصح رضى الله عنه[١].

* * *

(١) ينظر الرياض النضرة (٣/٧٦).

خلافة أمير المؤمنين أبى الحسنين على بن أبى طالب رضى الله عنه[1]

هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم، أقربهم إلى رسول الله ﷺ نسبًا يجتمع معه - عليه الصلاة والسلام - فى عبد المطلب الجد الأدنى، وينسب إلى هاشم، فيقال: القرشى الهاشمى، ابن عم رسول الله ﷺ لأبويه، وأخوه بالمؤاخاة، وصهره على ابنته، وأبو السبطين، وأول هاشمى ولد بين هاشميين، وأول خليفة من بنى هاشم، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد العلماء الربانيين، والشجعان المشهورين، والزهاد المذكورين، والسابقين إلى الإسلام، لم يسجد لصنم قط، وبات ليلة الهجرة على فراشه ﷺ يقيه بنفسه، وخلفه بمكة؛ ليرد الودائع التى كانت عنده ﷺ، وكان يحمل راية رسول الله ﷺ العظمى فى القتال فيتقدم بها فى نحر العدوّ، وشهد معه المشاهد كلها وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وبايعه على الموت، وكان أشجع الناس ما بارز أحدا قط إلا قتله، وكان إذا ورد عليه مال لم يترك منه شيئًا حتى يقسمه، وكان يكنس بيت المال ليصلى فيه، ولا يخص بالولايات إلا أهل الديانات، وكان - عليه الصلاة والسلام - إذا لم يغز بنفسه لم يعط سلاحه إلا عليًا، وشهد له - عليه الصلاة والسلام - بالشهادة فى تحريك حِرَاء.

روى أن معاوية قال لضرار يا ضرار، صف لى عليًا. قال: أعفنى يا أمير المؤمنين. قال معاوية: لتصفنه. قال ضرار: أما إذ لابد من وصفه: كان - والله - بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً، وتتفجر ينابيع العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس إلى الليل ووحشته، كان غزير الدمعة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين، ويقرب المساكين، لا يطمع القوى فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته فى بعض

---

(1) ينظر: طبقات ابن سعد (٣/ ١٣) وتاريخ البخاري الكبير (٦/ ٢٥٩)، وتاريخ بغداد (١/ ١٣٣-١٤١) والاستيعاب ت (١٨٧٥)، وأسد الغابة ت (٣٧٨٩)، وصفة الصفوة (١/ ١٦٢) وتهذيب الكمال (٢٠/ ٤٧٢)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٣٣٤)، والإصابة (٤/ ٤٦٤)، وغيرها كثير .

مرافقه - وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه - قابضًا على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكى بكاء الحزين، ويقول: « يا دنيا غرى غيرى، ألى تعرضت أم إليَّ تشوقت، يا صفراء اصفرى، ويا بيضاء بيضى، هيهات قد طلقتك ثلاثًا لا رجعة لى فيك، فعمرك قصير، وخطرك حقير، آه، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق ». قال: فبكى معاوية، وقال: « رحم الله أبا حسن كان - والله - كذلك، فكيف حزنكم عليه يا ضرار ؟ قال: حزن من ذبح واحدها فى حجرها[١].

أخرج الدولابى وأبو عمرو قال ابن عباس: أعطى عليّ تسعة أعشار العلم، ووالله لقد شاركهم فى العشر الباقى، وإذا ثبت لنا الشيء عن على لم نعدل عنه إلى غيره[٢].

روى ابن المنذر وابن أبى حاتم عن بعجة بن عبد الله الجهنى قال تزوج رجل امرأة [فولدت له غلامًا لستة أشهر، فاتهمها]؛ فأمر عثمان برجمها فبلغ ذلك عليًا - رضى الله عنه - فأتاه فقال له: ما تصنع ؟ قال عثمان ولدت غلامًا لستة أشهر وهل يكون ذلك ؟! فقال له على: أما سمعت الله يقول: ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ [الاحقاف: ١٥]، وقال ﴿ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فلم نجده بقى إلا ستة أشهر، فقال عثمان: والله ما فطنت لهذا، عليَّ بالمرأة، فوجدها قد فرغ منها، وكان من قولها لأختها: يا أخية لا تحزنى، فوالله ما كشفت ثوبى لأحد قط غيره. وقال: فشب الغلام بعد فاعترف به الرجل، وكان أشبه الناس به قال: فرأيت الرجل بعد يتساقط عضوا عضوا عياذا بالله[٣].

قال سعيد بن المسيب: لم يكن أحد يقول: « سلونى » غير على بن أبى طالب رضى الله عنه[٤]، وهو أول من أسلم وأول من صلى، وأجمعوا أنه صلى إلى القبلتين، وهاجر، ولم يزل اسمه فى الجاهلية والإسلام عليًا، وكان يكنى أبا حسن،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٨٤-٨٥) وابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ٢٠٩) وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (١/ ١٦٦) .

(٢) ذكره الحافظ في الإصابة (٤/ ٤٦٧) مختصرا وكذا ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ٢٠٧) .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٩) وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم .

(٤) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ٢٠٦) .

وسماه رسول الله ﷺ صديقًا، وكان يكنى أبا قثم وأبا تراب كناه النبى ﷺ بهما، وكانت أحب الكنى إليه. وما أحسن قول بعضهم [من الوافر] :

إِذَا مَا رَمِدَتْ عَيْنِى فَكُحلى تُرَابٌ مَسَّ نَعْلَ أَبِى تُرَابِ
هُوَ البَكَّاءُ فِى المِحرابِ لَيْلاً هُوَ الضَّحَّاكُ فِى يَوْمِ الضِّرَابِ

أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف. قال أبو عمرو: هى أول هاشمية ولدت هاشميًا، أسلمت ودفنت بالمدينة، وشهدها رسول الله ﷺ، وتولى دفنها، وأشعرها قميصه، وأضجعها فى قبرها.

وروى الطبرانى فى الكبير والأوسط برجال الصحيح عن أنس بن مالك قال: ماتت فاطمة بنت أسد: أم على بن أبى طالب - رضى الله تعالى عنه - فَدَخَل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها، فقال: رحمك الله يا أمى، كنت أمى بعد أمى، تجوعين وتشبعينى، وتعرين وتكسينى، وتمنعين نفسك طيبًا وتطعمينى، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة، ثم أمر أن تغسل ثلاثًا ثلاثًا، فلما بلغ الماء الذى فيه الكافور سكبه رسول الله ﷺ بيده، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه، ثم دعا أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصارى وعمر بن الخطاب وغلامًا أسود؛ يحفرون قبرها، فلما بلغوا اللحد حفر رسول الله ﷺ فأخرج ترابه، ثم لما فرغ اضطجع فيه، ثم قال: الله الذى يحيى ويميت وهو حى لا يموت، اغفر لأمى فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى فإنك أرحم الراحمين، وكبر عليها أربعًا، وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق(١).

قال ابن عباس فلما سوى عليها التراب قيل: يا رسول الله، رأيناك صنعت شيئًا لم نرك صنعته لأحد، فقال: إنى ألبستها قميصى؛ لتلبس من ثياب الجنة، واضطجعت فى قبرها؛ لأخفف عنها من ضغطة القبر، إنها كانت أحسن خلق الله إلىَّ صنعًا بعد أبى طالب(٢).

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٤/ ٣١٥) رقم (٨٧١) وفي الأوسط [٣٨٤١-مجمع البحرين] ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٢١) وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٦٠) وفيه روح بن صلاح وثقه ابن حبان، والحاكم، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٨٤٠- مجمع البحرين) . وقال الهيثمي (٩/ ٢٦٠): فيه سعدان بن الوليد ولم أجده وبقية رجاله ثقات .

ولد - رضى الله عنه - وأبوه غائب، فسمته أمه حيدرة: وهو اسم الأسد، فلما قدم أبوه كره هذا الاسم، وسماه: عليًا.

صفته - رضى الله عنه -: كان رضى الله تعالى عنه فوق الربعة من الرجال، أدعج العينين عظيمهما، حسن الوجه كأنه قمر ليلة البدر، ضخم البطن، عظيم المشاش، ضخم الذراعين، عظيم اللحية قد ملأت صدره، إن عاينته من قريب قلت أسمر، أصلع شديد الصلع[(١)].

عن أبى سعيد الرسمى قال: كنا نبيع الثياب على عواتقنا فى السوق، فإذا رأينا عليًا قد أقبل قلنا « بُزُرْك شكم » فيقول عليّ: ما تقولون ؟ قلنا نقول: عظيم البطن. قال أجل، أعلاه علم وأسفله طعام[(٢)].

وكان عظيم المنكبين لمنكبيه مشاش كمشاش السبع الضارى، لا يبين عضده من ساعده قد أدمج إدماجًا، شثن الكفين، عظيم الكراديس، أصلع ليس فى رأسه شعر إلا من خلفه.

وعن أبى لبيد قال: رأيت على بن أبى طالب يتوضأ، فحسر العمامة عن رأسه، فرأيت رأسه مثل راحتى، عليه مثل خط الأصابع من الشعر.

وعن الشعبى أنه قال: رأيت على بن أبى طالب ورأسه ولحيته قطنة بيضاء، وكان إذا مشى تكفأ، وإذا أمسك بذراع رجل أمسك بنفسه، فلم يستطع أن يتنفس، وهو قريب إلى السمن، شديد الساعد واليد، وإذا مشى إلى الحرب هرول، ثبت الجنان، ما صارع قط أحد إلا صرعه، ما اعتلى ضريبة إلا قد، ولا اعترض إلا قط، شجاع منصور على من لاقاه رضى الله عنه.

عن أبى الأسود محمد بن عبد الرحمن: أنه بلغه أن على بن أبى طالب والزبير أسلما، وهما ابنا ثمان سنين[(٣)].

وقال ابن إسحاق: أسلم وهو ابن عشر سنين، وعن الحسن أسلم على، وهو ابن خمس عشرة سنة، وقيل: أربع عشرة، وهو يختلف إلى الكتاب له ذؤابة. حكاه

---

(١) ينظر طبقات ابن سعد (٣/١٨-٢١) ومعجم الطبراني الكبير (١/٩٣-٩٥) وصفة الصفوة (١/١٦٢)، ومجمع الزوائد (٩/١٠٣-١٠٤).

(٢) ينظر طبقات ابن سعد (٣/١٩).

(٣) ينظر الاستيعاب (٣/٢٠٠).

الجندرى[١].

عن عاصم بن عمر قال: لقى عمر بن الخطاب على بن أبى طالب، فقال: يا أبا الحسن، نشدتك بالله هل كان رسول الله ﷺ ولاك الأمر ؟ قال: إن قلت لك، فماذا تصنع أنت وصاحبك ؟ فقال: أما صاحبى فقد مضى، وأما أنا فوالله لأخلعنها من عنقى فى عنقك، فقال على: جدع الله أنف من أبعدك من هذا، ولكن رسول الله ﷺ جعلنى عَلَمًا، فإذا أنا مت فمن خالفنى ضل. أخرجه السمان فى الموافقة.

عن محمد ابن الحنفية قال: أتى رجل وعثمان محصور، فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة. قال: فقام على، قال محمد: فأخذت بوسطه تخوفًا، فقال: حل لا أم لك، قال فأتى على الدار وقد قتل الرجل، فأتى داره فدخلها وأغلق بابه، فأتاه الناس فضربوا على الباب ودخلوا، فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل، ولابد للناس من خليفة، وإنه لم نَرَ أحدا أحق بها منك، فردّد، فأبوا. قال: فإذا أبيتم على فإن بيعتى لا تكون سرًا، ولكن ائتوا المسجد، فمن شاء أن يبايعنى بايعنى، فخرج إلى المسجد، فبايعه الناس[٢].

وعن المسور بن مخرمة قال: قتل عثمان وعلى فى المسجد، فمال الناس إلى طلحة، قال: فانصرف على يريد منزله، فلقيه رجل من قريش عند موضع الجنائز، فقال: انظروا إلى رجل قتل ابن عمه وسلب ملكه، قال: فولى على راجعًا لرقى المنبر، فقيل: ذاك عليّ على المنبر، فمال الناس إليه، فبايعوه وتركوا طلحة. أخرجه فى المناقب وغيره.

ولا تضاد بين هذا وما قبله، بل يحمل على أن طائفة من الناس أرادوا بيعة طلحة، والجمهور أتوا عليًا فى داره، وسألوه فأجابهم على ما تقدم تقريره، فخرج بعد انصرافهم عنه فى بعض شئونه، فلما سمع كلام ذلك الرجل خشى الخلف بين الناس، فصعد المنبر فى وقته ذلك وبادر إلى البيعة لهذا المعنى لا لحب المملكة، وخشية فواتها؛ فإنه الزاهد فيما سوى الله، ولا قيمة لسماع كلام ذلك الرجل.

---

(١) ينظر طبقات ابن سعد (٣/ ١٥)، ومعجم الطبراني الكبير (١/ ٩٥)، والاستيعاب (٣/ ١٩٩) ومجمع الزوائد (٩/ ١٠٥-١٠٦) .

(٢) ينظر تاريخ الطبري (٤/ ٤٢٧) .

قال ابن إسحاق: إن عثمان لما قتل بويع على بن أبى طالب بيعة العامة فى مسجد رسول الله ﷺ، وبايع أهل البصرة، وبايع له أهل اليمن وبالمدينة طلحة والزبير، واجتمع على بيعته المهاجرون والأنصار، وتخلف عن بيعته نفر، فسئل عنهم، فقال: أولئك قوم قعدوا عن الحق، ولم يقوموا مع الباطل.

بويع - رضى الله تعالى عنه - يوم السبت تاسع عشر ذى الحجة الحرام من سنة خمس وثلاثين من الهجرة.

قال العلامة الحافظ الذهبى: روى عن أبى حارثة، وأبى عثمان النهدى قالا: لما أتى معاوية الخبر أرسل إلى حبيب بن مسلمة الفهرى، فقال: أشر عليّ برجل ينفذ بأمرى ولا يقصر، قال: ما أعرف لذلك غيرى. قال: أنت لها، وجعل على مقدمته يزيد بن شجعة الحميرى فى ألف، وقال: إن قدمت يا حبيب، وقد قتل فلا تدعن أحدًا أشار إليه ولا أعان عليه إلا قتلته، وإن أتاك الخبر قبل أن تصل فأقم حتى أنظر، وبعث يزيد بن شجعة فى ألف على البغال، يقودون الخيل معهم الإبل عليهم الروايا، فأغذّ السير فأتاه خبر قتله بقرب خيبر، ثم أتاه النعمان بن بشير معه القميص الذى قتلوه فيه بالدماء، وأصابع نائلة امرأة عثمان قد قطعها السيف حين أرادت الدفاع عنه، والخصلة الشعر من لحية عثمان، أرسلت ذلك أم حبيبة بنت أبى سفيان ابن حرب زوجته عليه الصلاة والسلام، فرجعوا، فلفه معاوية فى القميص على منبر دمشق والأصابع معلقة فيه، فآلى رجال من أهل الشام لا يأتون النساء، ولا يمسون الغسل إلا من حلم، ولا ينامون على فراش حتى يقتلوا قتلة عثمان أو تفنى أرواحهم، وبكوه[١] سنة فلما كانت سنة ست وثلاثين، كانت فتنة الجمل.

قال العلامة المسعودى فى كتابه المسمى «مروج الذهب ومعادن الجوهر»: قال ابن عباس: قدمت من مكة إلى المدينة بعد قتل عثمان بخمسة أيام، فجئت لأدخل على علي، فقيل لى: عنده المغيرة بن شعبة، فجلست بالباب ساعة، فخرج المغيرة على، وقال: متى قدمت؟ قلت: الساعة، فدخلت عَلَى علي، فسلمت عليه، فقال لى: أين لقيت الزبير وطلحة؟ قلت: بالمراصف، وكانا قد استأذنا عليًا فى العمرة،

---

(١) ينظر تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين ص (٤٥١ - ٤٥٢) وينظر البداية والنهاية (٧/ ٢٥٥).

فقال لهما: لعلكما تريدان البصرة أو الشام، فأقسما أنهما لا يقصدان غير مكة للعمرة، وكانت عائشة بها قد خرجت من قبل حاجّة، ثم قال على: ومن معهما ؟ قلت: أبو مسعود بن الحارث بن هشام المخزومى فى فتية من قريش، فقال على: أما إنهم لن يدعوا أن يخرجوا يقولون: نطلب بدم عثمان، والله يعلم إنهم قتلة عثمان، فقلت له: أخبرنى عن شأن المغيرة ودخوله عليك، فقال: جاءنى بعد مقتل عثمان بيومين، فقال: إننى ناصح لك، وإنى أشير عليك بإبقاء عمال عثمان، فاكتب إليهم بإبقائهم على أعمالهم، فإذا بايعوك، واطمأن أمرك - عزلت من كرهت، وأبقيت من أحببت، فقلت: والله لا أداهن فى دينى، ولا أعطى الرياء فى أمرى. قال فإن كنت قد أبيت فانزع من شئت، وأثبت معاوية فإن له جرأة وهو فى أهل الشام مسموع منه، ولك حجة فى إبقائه فقد كان عمر ولاه الشام كلها، وعثمان بعده، فقلت: والله لا أستعمل معاوية يومين، فخرج من عندى على إشارته، ثم عاد إلىّ بعد يوم، فقال: إنى أشرت عليك بما علمت، فنظرت فى الأمر فإذا أنت مصيب لا ينبغى أن تأخذ أمرك بخدعة، ولا يكون لك فيه دلسة.

قال ابن عباس، فقلت لعلى: أما أول ما أشار به عليك: فقد نصحك، وأما الآخر: فقد غشك. وإنى أشير عليك بتثبيت معاوية فإن بايع لك فلك على أن أنقله من منزله.

فقال على: والله لا أعطى معاوية إلا السيف حتى يدخل فى الحق، وتمثل بقول القائل: [من الطويل]

فَمَا مِيْتَةٌ إنْ مِتهَا غَيْرَ عَاجِزٍ   بِعَارٍ إِذَا مَا غَالَتِ النَّفْسُ غَوْلَهَا

فقلت: وهو والله لا يعطيك إلا السيف حتى يغلب بباطله حقك، قال على: وكيف ذاك ؟! قلت: إنك تطاع اليوم، وتعصى غدا، وإنه يطاع، ولا يعصى.

فلما انتشر على على أصحابه وكان ابن عباس إذ ذاك بالبصرة قال على - كرم الله وجهه -: لله در ابن عباس !! كأنه ينظر إلى الغيب من ستر رقيق.

وفى رواية: فقلت له بعد تمثله بالبيت: يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع، أما سمعت قوله ﷺ: « الحرب خدعة »[1]؟ قال: بلى، فقلت: أما والله لئن أطعتنى

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٠)، ومسلم (١٧-١٧٣٩) من حديث جابر بن عبد الله وأخرجه ابن ماجة (٢٨٣٤) من حديث ابن عباس .

لأصدرن لهم بعد ورد، ولأتركنهم ينظرون فى أدبار الأمور كما لا يدرون ما كان وجهها فى غير نقض ولا إثم، فقال لى: يا بن عباس، لست من هناتك ولا هنات معاوية فى شيء، تشير على برأى فيه فإذا عصيتك، فأطعنى، فقلت فأنا أفعل، وأيسر مالك عندى الطاعة، فقال: سر إلى الشام فقد وليتكها. قلت: ما هذا برأى، يضرب عنقى بعثمان ؟ وأدنى ما هو صانع أن يخلصنى. قال على: ولِمَ ؟ قلت: لقرابتى منك، فإن كل من حمل عليك حمل على، ولكن اكتب إلى معاوية: فمنه، وعِدْهُ، فأبى على، وقال: والله لا كان هذا أبدا، ثم تلا ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[1] [الكهف: ٥١] .

وروى الواقدى عن رجاله قال: كان يعلى بن منية التميمى عامل عثمان على اليمن، فوافى الموسم عام قتل عثمان، فجاء إلى عائشة وهى بمكة للحج، فقال: قد قتل خليفتك الذى كنت تحرصين عليه، فقالت: برئت إلى الله من قاتله.

وعن الوليد بن عبد الله قال: قال يعلى بن منية: أيها الناس، من خرج يطلب بدم عثمان فعليّ جهازه، وكان معهم بمكة عبد الله بن عامر بن كريز عامل عثمان على البصرة، فهرب منها لما أخذ البيعة بها لعلى على الناس جارية بن قدامة السعدى، وأعطى يعلى بن منبه عائشة أربعمائة ألف درهم، وقال: هذه من عين مالى أقوى بها من طلب بدم عثمان، فبلغ عليًا قوله، فقال: من أين له، سرق اليمن، ثم جاء وأعطاها كراعًا وسلاحًا، والجمل الذى عليه هودجها واسمه عسكر، فلما انكشفوا يوم الجمل هرب يعلى المذكور[2].

قال الذهبى: لما قتل عثمان سقط فى أيدى أصحاب النبى ﷺ، فبايعوا عليًا رضى الله عنه، ثم إن طلحة، والزبير، ومروان، وعائشة، ومن تابعهم من بنى أمية - رأوا أنهم لا يخلصهم مما وقعوا فيه من توانيهم فى نصرة عثمان إلا أن يقوموا فى الطلب بدمه، والأخذ بثأره ممن قتله، فسار طلحة والزبير من المدينة[3]، واستأذنا عليًا فى العمرة، فقال لهما ما تقدم، فأقسما أنهما يريدان مكة للعمرة، وكانت عائشة بمكة حاجّة، فاجتمعوا ومعهم يعلى بن منية عامل اليمن،

(١) ينظر مروج الذهب (٢/ ٣٦٣-٣٦٥) وينظر البداية والنهاية (٧/ ٢٥٥) .
(٢) ينظر البداية والنهاية (٧/ ٢٥٧)، ومروج الذهب (٢/ ٣٦٦) .
(٣) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٤٨٣) .

وعبد الله بن عامر عامل البصرة، فأرادوا الشام، فصدهم عبد الله بن عامر، وقال: إن معاوية لا ينقاد إليكم ولا يعطيكم من نفسه الظنة، لكن هذه البصرة لى بها صنائع وعدة، فجهزهم بألف ألف درهم، وسار القوم نحوها فى نحو ستمائة راكب، فانتهوا بالليل إلى ماء لبنى كلاب يعرف بالحوأب، فعوت كلابه على الركب، فسألت عائشة عن اسم هذا الماء، فقيل لها: « الحوأب » فذكرت قوله ﷺ لنسائه وعائشة معهن: « أيتكن صاحبة الجمل الأدب أو الأدبب تنبحها كلاب الحوأب تنجو بعد ما كادت »؛ فاسترجعت، وقالت: ردونى إلى حرم رسول الله ﷺ، لا حاجة لى فى المسير هذا، فقال لها الزبير: تالله ما هذا بـ« الحوأب » وأشار إلى جبل هناك، ولقد غلط من أخبرك.

فأتوا إلى البصرة، فخرج إليهم عثمان بن حنيف الأنصارى عامل على عليها، فمانعهم، وجرى بينهم قتال، ثم اصطلحوا على ترك الحرب إلى قدوم على، فلما كان بعض الليالى أسروا عثمان، ونتفوا لحيته، وقتلوا سبعين رجلاً، فهم أول من قتل فى الإسلام ظلمًا[1].

وتشاح الزبير وطلحة فى الصلاة بالناس، ثم اتفقوا لهذا يوم وللآخر يوم، وسار على - رضى الله عنه - من المدينة بعد أربعة أشهر معه أربعة آلاف، حتى انتهى إلى الربذة، وفاته طلحة والزبير، وكان أرادهم، فانصرف حين فاتوه إلى العراق، وأرسل ابنه الحسن وعمار بن ياسر إلى الكوفة؛ يستنفران له الناس، وكتب من الربذة إلى أبى موسى الأشعرى - وكان ولاه على الكوفة - فقال أبو موسى: إنما هى فتنة،

---

(١) ينظر مروج الذهب (٢/ ٣٦٦-٣٦٧) وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم « أيتكن صاحبة الجمل الأدب أو الأدبب تنبحها كلاب الحوأب » .أخرجه أحمد (٦/ ٥٢، ٩٧)، وأبو يعلى (٤٨٦٨) وابن حبان (٦٧٣٢)، والبزار (٣٢٧٥) والحاكم (٣/ ١٢٠)، والبيهقي (٦/ ٤١٠) من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : لما أقبلت عائشة بلغت مياه بني عامر ليلا نبحت الكلاب، قالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب قالت ما أظنني إلا أني راجعة فقال بعض من كان معها بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها ذات يوم: « كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب » وقال ابن كثير في البداية (٦/ ٢٣٦) وهذا إسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجاه . وله شاهد من حديث ابن عباس باللفظ المذكور في المتن رواه البزار كما في المجمع (٧/ ٢٣٧)، وقال الهيثمي رجاله ثقات .

فثبط الناس، فبلغ ذلك عليًا فولى على الكوفة بدله قرظة بن كعب الأنصارى، وكتب إلى أبى موسى: اعتزل عملنا يا بن الحائك مذمومًا مدحورًا، فما هذا أول يومنا منك، وخرج مع الحسن وعمار نحو سبعة آلاف وخمسمائة وستون رجلاً فيهم الأشتر النخعى، وقال عمار لأهل الكوفة: أما - والله - إنى لأعلم أنها - يعنى عائشة - زوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها لينظر أتبغونه أم إياها ؟ فخرج القوم مع الحسن وعمار حتى قدموا على على بذى قار - اسم مكان - فسار فى نحو عشرة آلاف، حتى أتى البصرة(١).

قال أبو عبيدة: كان على خيل علي يوم الجمل عمار بن ياسر، وعلى الرجل محمد بن أبى بكر الصديق، وعلى الميمنة علي بن الهيثم السدوسى، ويقال: عبد الله بن جعفر، وعلى الميسرة الحسين بن على، وعلى المقدمة عبد الله بن عباس، ودفع اللواء إلى ابنه محمد ابن الحنفية،وكان على خيل طلحة والزبير طليحة، وعلى الرجل عبد الله بن الزبير، وعلى الميمنة عبد الله بن عامر بن كريز، وعلى الميسرة مروان بن الحكم، وكان اللواء مع عبد الله بن حكيم بن حزام المخزومى(٢)، وقال المطلب بن زياد [عن السدى]: شهد مع علي يوم الجمل مائة وثلاثون بدريًا، وسبعمائة من الصحابة، رضى الله تعالى عنهم(٣).

قلت: ورأيت نقلاً عن الشعبى: أنه بالغ، فقال: لم يشهد الجمل من الصحابة إلا على وعمار وطلحة والزبير(٤)، وهو مخالف لما نقله الثقات غيره، وذكر عن المنذر ابن أبى الجارود فيما حدث به الفضل بن الحباب الجمحى عن ابن عائشة عن معن ابن عيسى: أنه لما قدم على البصرة دخل مما يلى الطف، قال ابن الجارود: فخرجت، أنظر إليه، فورد فى موكب عظيم وله ألف فارس يقدمهم فارس على فرس أشهب عليه قلنسوة وثياب بيض متقلدًا سيفًا معه راية، وإذا تيجان القوم الأغلب عليها البياض مدججين فى الحديد والسلاح، فقلت: من هذا ؟ فقيل لى:

---

(١) ينظر مروج الذهب (٢/ ٣٦٧-٣٦٨) .

(٢) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين (٤٨٥) .

(٣) ينظر السابق ص ٤٨٤، وما بين القوسين منه .

(٤) نقل ابن كثير في البداية (٧/ ٢٦١) عن الشعبي قوله: ما نهض معه في هذا الأمر غير ستة نفر من البدريين ليس لهم سابع، وقال غيره: أربعة .

هذا أبو أيوب الأنصارى خالد بن زيد، وقيل: ابن زيد صاحب رسول الله ﷺ الذى نزل عليه مقدمه المدينة، وأقام فى بيته إلى أن عمر المسجد النبوى، وبيوت نسائه، وهؤلاء الأنصار معه، ثم تلاه فارس آخر عليه عمامة صفراء، وثياب بيض متقلدًا سيفًا متنكبًا قوسًا معه راية على أشقر فى نحو ألف فارس، فقلت: من هذا ؟ فقيل لى: هذا حذيفة بن ثابت الأنصارى ذو الشهادتين، ثم تلاه فارس آخر على فرس كميت معتمًّا بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة بيضاء، وعليه قباء أبيض، متقلدًا سيفًا، متنكبًا قوسًا فى نحو ألف فارس من الناس، ومعه راية، فقلت: من هذا ؟ فقيل: أبو قتادة بن ربعى الأنصارى، ثم تلاه فارس آخر على فرس أدهم عليه ثياب بيض، وعمامة سوداء قد مد لها بين يديه، ومن خلفه شديد الأدمة عليه سكينة ووقار رافعًا صوته بالقرآن معه راية فى ألف فارس من الناس مختلفى الألوان والتيجان من شيوخ، وكهول وشيب وشباب عليهم السكينة والوقار، كأنما أوقفوا ليوم الحساب، وأثر السجود فى جباههم فقلت: من هذا ؟ فقيل لى: هذا عمار بن ياسر المخزومى فى عدة من الصحابة المهاجرين والأنصار وأبنائهم، ثم تلاه فارس على فرس أشقر، وعليه ثياب بيض، متقلدًا سيفًا، تخط رجلاه فى الأرض طولاً فى ألف من الناس الغالب على تيجانهم الصفرة والبياض، معه راية صفراء، فقلت: من هذا ؟ فقيل: هذا قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى الخزرجى فى عدة من الأنصار وأبنائهم وغيرهم من قحطان، ثم تلاه فارس آخر على فرس، أشكل ما رأينا أحسن منه عليه ثياب بيض، وعمامة سوداء، أسدلها بين يديه، ومن خلفه، وبيده لواء، فقلت: من هذا؟ فقيل لى: هذا عبيد الله بن العباس أخو عبد الله ، ثم تلاه موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالأولين قبله، فقلت: من هذا ؟ قيل: هذا قثم بن العباس.

ثم أقبلت الرايات والمواكب يتلو بعضها بعضا، واشتبكت الرماح، ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والحديد مختلفى الرايات، فى أوله راية عظيمة، فى أوله فارس كأنه قد كسر، وجبر نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق، حوله أمم كأنما على رءوسهم الطير، عن يمينه شاب حسن الوجه، وبين يديه شاب مثلهما، قلت: من هؤلاء ؟ فقيل لى: هذا على بن أبى طالب، وأما من عن يمينه فالحسن وعن شماله الحسين، وهذا محمد ابن الحنفية بين يديه معه الراية

العظمى، وهذا الذى خلفه عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، وهؤلاء أولاد عقيل وغيرهم من فتيان بنى هاشم، وهؤلاء المشايخ من أهل بدر الذين شهدوها مع النبى ﷺ من المهاجرين والأنصار، فسار على - رضى الله تعالى عنه - حتى نزل بالموضع المعروف بالزاوية، فصلى أربع ركعات، وعفر خديه فى التراب، وقد خلط ذلك بدموعه، ثم رفع يديه يدعو، ثم بعث رجلاً من أصحابه يقال له: مسلم معه مصحف يدعوهم إلى الله تعالى، فرموه بسهم، فقتلوه، فحمل إلى على، فقالت أم مسلم: [من الرجز]

يَا رَبِّ إنَّ مُسْلِمًا أَتَاهُمْ   يَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ لاَ يَخْشَاهُمْ

فَخَضَّبُوا مِنْ دَمِهِ لِحَاهُمْ   وَأُمُّهُ قَائِمَةٌ تَرَاهُمْ[١]

ثم إن عليًا - رضى الله عنه - راسل القوم وناشدهم، فأبوا إلا القتال فكانت وقعة الجمل.

قال الإمام الذهبى فى « تاريخه »: اصطف الفريقان - وليس لطلحة ولا لعلى رأسى الفريقين قصد فى القتال، بل ليتكلما فى اجتماع الكلمة - فترامى أوباش الطائفتين، وشبت نار الحرب، وثارت النفوس، وبقى طلحة يقول: أيها الناس أَنصِتوا. والفتنة تغلى، فقال: أف فراش النار وذباب طمع، وقال: اللهم خذ لعثمان منى اليوم حتى ترضى، إنا داهنّا فى أمر عثمان، كنا بالأمس يدًا على من سوانا، وأصبحنا اليوم جبلين من حديد يزحف أحدنا إلى صاحبه، وقد كان منى فى أمر عثمان ما لا أرى كفارته إلا بسفك دمى[٢].

وعن عكرمة عن ابن عباس قال: لما كان على بـ « الربذة » متوجهًا إلى البصرة للقتال قام إليه ابنه الحسن، فبكى بين يديه، وقال له: ائذن لى فأتكلم.

قال: تكلم، ودع عنك أن تحن حنين الأمة.

فقال: لقد كنت أشرتُ عليك بالمقام، وأنا أشير به عليك الآن، إن للعرب جولة، ولو رجعت إليها عوازب أحلامها لضربوا إليك آباط الإبل حتى يستخرجوك، ولو كنت فى مثل جحر الضب.

---

(١) ينظر مروج الذهب (٢/٣٦٨-٣٧٠) وينظر تاريخ الطبري (٤/٥٢٩) .
(٢) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٤٨٦) .

فقال على: أترانى - لا أَبَا لَكَ:- كنتُ منتظرًا كما ينتظر الضبع اللدم[١].

وعن يحيى بن سعيد الأنصارى، عن عم له: أنه لما كان يوم الجمل نادى عَليٌّ فى الناس: لا ترامروا أحد بسهم، وكلوا القوم فإن هذا مقام من فلج فيه فلج يوم القيامة.

ثم إن القوم نادوا بأجمعهم: يا ثارات عثمان.

قال: وابن الحنفية أمامنا برتوة معه اللواء، فمد على - رضى الله عنه - يديه، وقال: اللهم كب قتلة عثمان لوجوههم.

ثم إن الزبير قال لأساورة معه: ارموهم ولا تبلغوا، فكأنه إنما أراد أن ينشب القتال، فلما نظر أصحاب على إلى النشاب لم ينتظروا أن يقع إلى الأرض وحملوا عليهم فهزموهم[٢].

وخرج على رضى الله عنه بنفسه حاسرًا على بغلة رسول الله ﷺ فنادى: يا زبير اخرج إلى. فخرج شاكى السلاح حتى التقت أعناق دوابهما فقيل ذلك لعائشة، فقالت: واخفرتك يا أسماء!.

فقيل لها: الزبير شاكى السلاح وعليّ حاسر، فاطمأنت قليلاً، فقال له على: ويحك يا زبير ما الذى أخرجك ؟! قال: دم عثمان.

فقال على: قتل الله أولانا بدم عثمان، ثم قال له: أتذكر يا زبير يوم لقيت رسول الله وضحكتُ إليه وأنت معه، فقلت: ما يدع ابن أبى طالب زهوه، فقال لك: ليس به زهو، أتحبه يا زبير ؟ فقلت: والله إنى لأحبه، فقال لك: إنك ستقاتله، وأنت له ظالم[٣].

---

(١) ينظر تاريخ الطبري (٤/ ٤٨٥) وتاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين ص (٤٨٧) والبداية (٧/ ٢٦١-٢٦٢) وينظر مستدرك الحاكم (٣/ ١١٥). واللدم: صوت الحجر أو الشيء يقع بالأرض. وكانوا إذا ارادوا صيد الضبع ضربوا جحرها بحجر أو بأيديهم فتحسبه شيئا تصيده، فتخرج لتأخذه، فتصاد والمراد: إنى لا أخدع . ينظر: النهاية (لدم) .

(٢) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٤٨٧ - ٤٨٨) .

(٣) أخرجه أبو يعلى (٦٦٦)، والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٣٥)، ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٨٤٧) رقم (١٤١٨)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٤١٥) من طريق عبد الملك بن مسلم عن أبي جرو سمع عليا وهو يناشد الزبير فذكره وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٣٨) فيه عبد الملك بن مسلم قال البخاري: لم يصح حديثه . وأخرجه العقيلي (٣/ ٦٥) ومن طريقه ابن الجوزي (١٤١٧) عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبد السلام رجل من حية به وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح فإن عبد السلام مجهول ولم يدرك الزبير وأخرجه =

فقال الزبير: أستغفر الله، لو ذكرتها ما خرجت، فكيف أرجع الآن، وقد التقت حلقتا البطان، هذا والله العار الذى لا يغسل أبدًا. فقال على: يا زبير ارجع بالعار قبل أن يُجْمَعَ العار والنار، فرجع الزبير وهو يقول: [من البسيط]

إِخْتَرتُ عَارًا عَلَى نَارٍ تُؤَجَّجُه أَنَّى يَقُومُ بِهَا خَلْقٌ مِنَ الطِّينِ
نَادَى عَليٌّ بِأَمْرٍ لَسْتُ أَجْهَلُهُ عَارٌ لَعَمْرُكَ فى الدُّنْيا وَفى الدِّينِ
فَقُلْتُ حَسْبُكَ مِنْ عَذْلٍ أَبَا حَسَنٍ فَبَعْضُ هَذَا الَّذِى قَدْ قُلْتَ يَكْفِينِي

فقال له ابنه عبد الله بن الزبير: إلى أين تذهب ؟ فقال أذكرنى عَلِيٌّ أمرًا كنت نسيته. قال: ليس الأمر كذلك، لكن فررت من سيوف بنى هاشم، فإنها حداد يحملها فتية أنجاد. فقال راويه: قال له: جبنا جبنا.

فقال لا والله، ولكنه أذكرنى أمرًا أنسانيه الدهر فاخترت العار على النار، أبالجبن تعيرنى لا أبا لك ؟! ثم قلع سنان رمحه وسار فى ميمنة عليّ، فقال علِيّ: أفرجوا له فقد هاجوه، ثم رجع فشد فى الميسرة، ثم رجع فشد فى القلب، ثم رجع وقال لابنه: أيفعل هذا جبان ؟! ثم مضى منصرفا بوادى السباع.

والأحنف بن قيس التميمى منحاز فى قومه من بنى تميم، فأتاه رجل فقال: هذا الزبير مار، فقال ما أصنع بالزبير وقد جمع بين جيشين عظيمين يقتل بعضهم بعضا وها هو صار إلى منزله سالمًا، فلحقه عمرو بن جرموز بوادى السباع، وقد نزل الزبير للصلاة، فأتاه من خلفه فطعنه، وهو فى الصلاة.

ثم استسقى الزبير لبنا فشربه فخرج من جرحه، فمات رحمه الله، فاحتز رأسه وأتى به وسيفه وخاتمه إلى على رضى الله عنه فقال على: يا أعرابى تبوأ مقعدك من النار، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « قاتل ابن صفية فى النار »[1].

= الحاكم (٣/ ٣٦٦) من حديث أبي حرب بن الأسود الديلي عن أبيه به وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. قلت: وقد وهما في ذلك، ففيه عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشي، مقبول كما فيه جده عبد الملك بن مسلم تقدم قول البخاري: إن حديثه لا يصح ثم أخرجه من طريق آخر، هو والبيهقي في الدلائل (٦/ ٤١٤) وقال ابن كثير في البداية (٦/ ٢٣٨): غريب.

(١) ذكره ابن كثير في البداية (٧/ ٢٧٤) دون أن يعزوه. وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٨١) موقوفًا على عليّ. وقال الحافظ في الإصابة (٢/ ٤٦٠): إسناده صحيح.

وقال عليّ: طالما جلا الكروب عن وجه رسول الله ﷺ، ولكن حلول الحين ومقدار السوء!.

وقال قاتله لما قال له عليٌّ ما قال : [من المتقارب]

أَتَيْتُ عَلِيًّا بِرَأْسِ الزُّبَيْرِ وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو بِهِ الزُّلْفَهْ
فَبَشَّرَ بِالنَّارِ قَبْلَ العِيَانِ وَلَيْسَتْ بِشَارَة ذِى التُّحفَه
لَسِيَّانِ عِنْدِىَ قَتْلُ الزُّبَيْرِ وَضَرْطَةُ عَيْرٍ بِذِى الْجُحفَهْ[1]

وقال حسان بن ثابت يرثيه : [من الطويل]

أَقَامَ عَلَى هَدْيِ النَّبِيِّ وَهَدْيِهِ حَوَارِيُّهُ وَالقوْلُ بِالْفِعْلِ يَكْمُلُ
أَقَامَ عَلَى مِنْهَاجِهِ وَطَرِيقِهِ يُوَالِى وَلِيَّ الحَقِّ وَالحَقُّ أَعْدَلُ
هُوَ الفَارِسُ المَشْهُورُ وَالبَطَلُ الَّذِى يَصُولُ إذا ما كَانَ يَوْمٌ مُحَجَّلُ
إِذَا كَشَّفَتْ عن سَاقِها الحَرْبُ حَشَّها بِأَبْيَضَ سَبَّاقٍ إِلى الموتِ يَرْفُلُ
فَمَا مِثْلُه فيهِمْ وَلاَ كَانَ قَبْلَهُ وَلَيْسَ يَكُونُ الدَّهْرَ مَا دَامَ يَذْبُلُ
ثَنَاؤُكَ خَيْرٌ مِنْ فِعَالِ مَعَاشِرٍ وَفِعْلُكَ يَابْنَ الهَاشمِيةِ أَفْضَلُ
فَكَمْ كرْبَةٍ ذَبَّ الزُّبَيْرُ بِسَيْفِهِ عَنِ المُصْطَفَى وَاللَّهُ يُعْطِى فَيُجْزِلُ[2]

وفيه يقول بعض بنى آل الزبير : [من الكامل]

جَدِّى ابْنُ عَمَّة أحمدٍ وَوَزِيرُهُ عِنْدَ البَلاَءِ وَفَارِسُ الشُّعَرَاءِ
وَغَدَاةَ بَدْرٍ كَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ شَهِدَ الوَغَى فى اللأْمَةِ الصَّفْراءِ
نَزَلَتْ بِسِيمَاهُ المَلائِكُ نُصْرَةً بِالحَوْضِ يَوْم تأَلُّبِ الأَعْداءِ[3]

وقال جرير يرثيه : [من الكامل]

إِنَّ الرزِيَّةَ مَنْ تَضَمَّنَ قَبْرَهُ وَادِى السباعِ، لِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ

---

(١) ينظر: القصة بطولها والشعر في مروج الذهب (٢/ ٣٧١- ٣٧٣) وتنظر الأبيات في الاستيعاب ترجمة رقم (٨١١)، وأسد الغابة ترجمة رقم (١٧٣٢) .

(٢) ينظر ديوان حسان (٢٩٤)، ومستدرك الحاكم (٣/ ٣٦٢-٣٦٣) ، والاستيعاب ترجمة رقم (٨١١)، وأسد الغابة ترجمة رقم (١٧٣٢) ومجمع الزوائد للهيثمي (٨/ ١٢٨)، و (٩/ ١٥٥) وسير أعلام النبلاء (١/ ٥٦)، وتاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٥٠٠)، وحلية الأولياء (١/ ٩١)، والإصابة ترجمة رقم (٢٧٩٣) .

(٣) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٥٠١) .

لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزبيرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ المَدِينَةِ والجِبَالُ الخُشَّعُ[١]

وقالت زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، أخت سعيد بن زيد أحد العشرة الكرام رضى الله تعالى عنهم: [من الكامل]

غَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزٍ بِفَارِسِ مُهْجَةٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ وَكَانَ غَيْرَ مُعَذِّرِ

يَا عَمْرو لَوْ نَبَّهْتَهُ لَوَجدتهُ لاَ طَائِشًا رَعِشَ البَنَانِ وَأَبْتَرِ[٢]

ونادى عَلِيٌّ رضى الله عنه بعد رجوع الزبير طلحة فقال: يا أبا محمد، ما الذى أخرجك ؟ قال: الطلب بدم عثمان.

قال على: قتل الله أولانا بدم عثمان، أما سمعته ﷺ يقول: « اللهم وال من والاه »[٣]، وأنت أول من بايعنى ثم نكثت، وقد قال الله تعالى ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ [الفتح: ١٠] فقال طلحة: أستغفر الله، ثم رجع.

فقال مروان: رجع الزبير ويرجع طلحة، والله لا أطلب ثأرى بعد اليوم.

فرمى مروان طلحة بسهم شكَّ ساقه بجنب فرسه، فما زال ينشج حتى مات.

وفى رواية أنه قال: هذا ممن أعان على قتل عثمان. والتفت إلى أبان بن عثمان وقال له: قد كفيناك بعض قتلة أبيك[٤]. ثم اقتتلوا فقطعت على خطام الجمل سبعون يدا مختمة، كُلَّما أخذ رجل بخطامه قطعت يده، وكلهم من بنى ضبة، وهم يرتجزون بقولهم :

نَحنَ بَنُو ضَبَّةَ أَصْحَابُ الجَمَلْ لاَ نَرْهَبُ المَوْتَ إِذَا المَوْتُ نَزَلْ

رُدُّوا عَلَيْنا شَيْخنا ثم بجلْ عُثْمَان رُدُّوهُ بِأَطْرَاف الأَسَلْ[٥]

قال العلامة إبراهيم البيهقى فى كتابه « المحاسن والمساوى »: لما سارت عائشة

---

(١) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٥٠٧)، وينظر طبقات ابن سعد (٣/ ٨٣) وهناك نسبها إلى جرير بن الخطفي .

(٢) ينظر طبقات ابن سعد (٣/ ٨٣)، والاستيعاب ت (٣٤٥٨)، وأسد الغابة ت (٧٠٨٧)، والبداية (٧/ ٢٧٨) .

(٣) سيأتي في مناقب علي بن أبي طالب .

(٤) ينظر مروج الذهب (٢/ ٣٧٣) ، وينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٤٨٦-٤٨٧) وطبقات ابن سعد (٣/ ١٦٧)، والإصابة ترجمة رقم (٤٢٨٥) .

(٥) ينظر تاريخ خليفة ص (١٤٢)، وتاريخ الطبري (٤/ ٥١٨، ٥٣٠)، والبداية (٧/ ٢٧١) ومروج الذهب (٢/ ٣٧٥) .

أقبلت فى هودج من حديد، وهى تنظر من ينظر قد صير لها فيه، فقالت لرجل من ضبة وهو آخذ بخطام جملها: أين ترى على بن أبى طالب ؟ فقال لها هو ذاك رافعًا يديه إلى السماء فنظرت عائشة إليه ثم قالت: ما أشبهه بأخيه، فقال الضبى ومن أخوه ؟ قالت: رسول الله ﷺ، فنبذ خطام جملها من يده، ومال إلى على، كرم الله وجهه[١].

وعن الحسن البصرى أن الأحنف بن قيس قال لعائشة - رضى الله عنها - يوم الجمل: يا أم المؤمنين هل عهد إليك رسول الله ﷺ هذا المسير ؟ قالت: اللهم لا.

فقال: هل وجدتيه فى كتاب الله تعالى ؟ قالت: ما نقرأ إلا ما تقرءون.

قال: فهل رأيت رسول الله ﷺ استعان بشىء من نسائه إذا كان فى قلة والمشركون فى كثرة ؟ قالت: اللهم لا.

قال الأحنف: فإذن [ما] هو ذنبنا[٢]؟!.

وحمل أصحاب الجمل على ميمنة على وميسرته فكشفوهما، فأتى عليا بعض ولد عقيل، وهو يخفق نعاسا فقال: يا أمير المؤمنين، ما هذا النعاس ؟

فقال له على: اسكت يا بن أخى إن لعمك يومًا لا يعدوه، واللهِ ما يبالى عمك أوقع على الموت أو الموت وقع عليه.

ثم بعث إلى ولده محمد ابن الحنفية، وكان صاحب رايته، كما تقدم ذكره وقال له: احمل على القوم، فأبطأ محمد بالحملة، وكان بإزائه قوم من الرماة ينتظر نفاد سهامهم، فأتاه عَلِى، فقال: هلاَّ حملت على القوم ؟ فقال: ما أجد متقدما إلا على سنان، وإنى أنتظر نفاد سهامهم. فقال له على: احمل بين الأسنة فإن للموت عليك جنة.

فحمل محمد فشك بالرماح والنبل، فأتاه على فضربه بقائم سيفه وقال له: أذرعك عِرق سوء من أمك ؟! وأخذ الراية من يده، وحمل وحمل الناس معه، فما كان القوم إلا كرماد اشتد به الريح فى يوم عاصف، ورمى الهودج بالنشاب حتى صار كأنه قنفد، وصرخ صارخ: اعقروا الجمل فعقره رجل اختلف فى اسمه، وكان

---

(١) ينظر المحاسن والمساوئ ص ٤٥ .

(٢) ينظر السابق ص ٤٥،٤٦ وما بين القوسين منه .

الهودج ملبسًا بالدروع وداخله أم المؤمنين، وهى تشجع الناس الذين حول الجمل، فلا قوة إلا بالله!.

ثم إنها ندمت وندم علىّ عَلَى ما وقع.

ثم أتى على - كرم الله وجهه - إلى الهودج فضرب أعلاه بقضيب فى يده فقال: أبهذا أمرك رسول الله ﷺ يا حميراء ؟! والله ما أنصفك الذين أخرجوك إذ أبرزوك، وصانوا حلائلهم.

فسُمِعَ صوت من الهودج: ملكت فأسجح.

ولما سقط الجمل بعد الوقعة أتى محمد بن أبى بكر، فحط هودجها عن الجمل فأدخل يده، فقالت: مَنْ ؟ قال: أقرب الناس إليك قرابة، وأبغضهم إليك محمد بن أبى بكر، يقول لك أمير المؤمنين: هل أصابك شيء ؟ فقالت: ما أصابنى إلا سهم لم يضر فى شيئًا. والتقى الأشتر مالك بن الحارث النخعى من فرسان على، هو وعبد الله بن الزبير من فرسان الجمل فاعتركا وسقطا عن فرسيهما، وطال اعتراكهما فعلاه الأشتر ولم يجد سبيلا إلى قتله، والناس يجولون وعبد الله بن الزبير ينادى ويقول : [من مجزوء الخفيف]

أُقْتُلُونِى وَمَالِكًا وَاقْتُلُوا مَالِكًا مَعِى

فلا يسمعه أحد لشدة الصياح ووقع الحديد على الحديد، ولا يراهما راء لظلمة النقع وترادف العجاج. وكلم خزيمة بن ثابت عليًا فقال يا أمير المؤمنين: لا ينكس اليوم برأس محمد واردد إليه الراية، فدعا به ورد إليه الراية ثم قال له : [من الرجز]

إِطْعَنْ بِهَا طَعْنَ أَبِيكَ تُحْمَدِ
لاَ خيْر فِى الْحَرْبِ إِذَا لَمْ تُوقَدِ
بِالْمَشْرَفِيِّ وَالْقَنَا الْمُسَدَّدِ

ثم استسقى على، فأتى بعسل وماء، فحسا حسوة فقال: هذا الطائفى[1]، وهو غريب بهذا البلد، فقال له عبد الله بن جعفر: أما يشغلك ما نحن فيه عن علم هذا ؟! فقال: والله يا بنى ما ملأ صدر عمك شيء من أمور الدنيا[2].

(١) فى ط: الولائفى.

(٢) ينظر مروج الذهب (٢/ ٣٧٥-٣٧٦) والبداية والنهاية (٧/ ٢٧٢) وتاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص ٤٩٠ .

ثم جهز على - رضى الله عنه - عائشة وبعث معها أخاها عبد الرحمن بن أبى بكر، وثلاثين رجلا وعشرين امرأة من ذوات الدين والشرف من نساء عبد القيس، وهمدان، وألبسهن العمائم وقلدهن السيوف، وقال: لا تعلمن عائشة [أنكن نسوة]. فكن هن اللاتى يلين جملها وخدمتها(١). وبعث على ابن عباس إلى عائشة يأمرها بالخروج إلى المدينة مع من هيأهم للخروج بها، فدخل عليها ابن عباس بغير إذنها وأخذ وسادة فجلس عليها، فقالت: يا بن عباس أخطأت السُّنة، دخلت بغير إذننا وجلست على رحلنا بغير أمرنا. فقال لها: لو كنت فى البيت الذى خلفك ﷺ فيه ما دخلنا إلا بإذنك، ولا جلسنا إلا بأمرك، إن أمير المؤمنين يأمرك بسرعة الأوبة، والتأهب للرجوع للمدينة، ثم خرج ابن عباس من عندها.

ثم أتاها على فى اليوم الثانى، ومعه الحسن والحسين وباقى أولاده وأولاد إخوته، ونساء من بنى هاشم وغيرهم من شيعته من همدان، فلما بصرن به النساء صحن فى وجهه: يا قاتل الأحبّة. فقال: لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من فى البيت، وأشار إلى بيت من البيوت كان قد اختفى فيه مروان بن الحكم، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عامر وغيرهم، فضرب من كان مع على - رضى الله عنه - بأيديهم إلى قوائم سيوفهم لما علموا أن فى البيت ناسا حذرا من الاغتيال، فقالت له عائشة بعد كلام طويل كان بينهما: إنى أريد أن أكون معك فأسير إلى قتال عدوك عند مسيرك، فقال: ارجعى إلى البيت الذى تركك فيه رسول الله ﷺ. فسألته تأمين ابن أختها عبد الله بن الزبير؛ لأنه ابن أسماء بنت أبى بكر أخت عائشة. وتكلم الحسن والحسين فى مروان فأمنه، وأمن الوليد بن عقبة، وولده عثمان وغيرهم من بنى أمية، وأمن الناس جميعا وقال - رضى الله عنه - كما قال - عليه الصلاة والسلام -: « من دخل داره فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن »(٢).

ثم ارتحلت عائشة فلما وصلت المدينة الشريفة، قالت: كنت بخير فى مسيرى، وقد أعطى ابن أبى طالب فأكثر، ولكنه بعث معى رجالا أنكرتهم، فعرفها النسوة

---

(١) ينظر مروج الذهب (٢/ ٣٧٩) وتاريخ الطبري (٤/ ٥٤٤) والبداية (٧/ ٢٧٤) أنه أذن لمن نجا ممن جاء في الجيش معها أن يرجع إلا أن يحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر .

(٢) ينظر مروج الذهب (٢/ ٣٧٧-٣٧٨) . وأما الحديث فقد تقدم في فتح مكة .

حالهن حينئذ فقالت: ما ازددت والله يا ابن أبى طالب إلا كرما، وددت أنى لم أخرج هذا المخرج وأنى أصابنى كيت وكيت، من أمور شاقة ذكرتها، وإنى قيل لى: تخرجين فتصلحين بين المسلمين فكان ما كان[١].

ثم ولى على البصرة ابن عباس وسار إلى الكوفة، ثم بعث إلى الأشعث بن قيس فعزله عن أذربيجان، وأرمينية وكان عاملا لعثمان عليها، وصرف جريرا عن همدان، وكان عاملا لعثمان عليها، وكان فى نفس الأشعث عليه من ذلك شيء، فكان منه الميل إلى خديعة عمرو بن العاص قد أراد به تحكيم أبى موسى الأشعرى[٢]، كما سيأتى.

روى ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: كان بين العباس، وعلى بن أبى طالب مباعدة، فلقيت عليًا فقلت له: إن كان لك فى النظر إلى عمك حاجة فإنه وجع، وما أراك تلقاه. فوجم لها علىٌ، وأقبل على يده ورجله يقبلهما ويقول: يا عم، ارض عنى رضى الله عنك. قال: قد رضيت عنك. ثم قال: يا بن أخى كنت قد أشرت عليك بأشياء فلم تقبل منى، فرأيت فى عاقبتها ما كرهت، وها أنا الآن أشير عليك برأى آخر، فإن قبلته وإلا نالك ما نالك، فقال على: وما الذى أشرت به علىّ يا عم ؟ قال: أشرت عليك لما مرض - عليه الصلاة والسلام - أن تسأله فإن كان الأمر فينا أعطاناه، وإن كان فى غيرنا أوصى بنا، فقلتَ: إنْ منعناها لم يعطناها أحد؛ فمضت تلك؛ فلمّا قُبِضَ عليه الصلاة والسلام أتانا أبو سفيان بن حرب تلك الساعة فدعوناك إلى أن نبايعك، فقلتُ: ابسط يدك لنبايعك؛ فإنا إن بايعناك لم يختلف عليك منافيٌّ، وإن بايعك بنو عبْد مناف لم تختلف عليك قريش، وإن بايعتك قريش لم يختلف عليك أحد من العرب، فقلتَ فى جهاز النبى شغل وليس على ثوب، فلم نلبث أن سمعنا التكبير من سقيفة بنى ساعدة فقلتَ: ما هذا يا عم ؟ قلْت: هذا ما دعوناك إليه فأبيت، فقلت: سبحان الله ويكون هذا ؟! قلت: وهل يرد مثل هذا ؟ ثم أشرت عليك حين طعن عمر ألا تدخل نفسك فى الشورى؛ فإنك إن اعتزلتهم قدموك، وإن ساويتهم تقدموك، فدخلت معهم فكان ما رأيت.

---

(١) ينظر مروج الذهب (٢/ ٣٧٩).
(٢) ينظر مروج الذهب (٢/ ٣٨١).

وها أنا أقول لك: أرى هذا الرجل - يعنى عثمان بن عفان - يأخذ فى أمور، وكأنى بالعرب وقد سارت إليه حتى ينحر كما تنحر الجزور، والله لئن كان ذلك وأنت بالمدينة ليرمينك الناس بدمه، ولئن فعلوا لا تنال من هذا الأمر شيئًا إلا بعد شر لا خير معه انتهى. قال ابن عباس: فكان الأمر كما قال أبى رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

وعن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر قال: كان إياس بن معاوية لى صديقًا، فدخلنا على عبد الرحمن بن القاسم بن أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - وعنده جماعة يتذاكرون السلف؛ ففضَّل قوم أبا بكر وقوم عمر وقوم عليًا - رضى الله عنهم -؛ فقال إياس: إن عليًا يرى أنه كان أحق الناس بالأمر، فلما بويع أبو بكر، ورأى أنهم قد اجتمعوا عليه، وأن ذلك قد أصلح العامة - اشترى صلاح العامة بنقض رأى الخاصة - يعنى بنى هاشم - ثم لما ولى عمر فعل مثل ذلك به وبعثمان، فلما قتل عثمان، واختلف الناس، وفسدت الخاصة والعامة، وجد أعوانًا فقام بالحق ودعا إليه - رضى الله عنه وكرم وجهه -. كذا فى « المحاسن » للبيهقى[١].

قال المسعودى: وكانت وقعة الجمل يومًا واحدًا، وقتل من أهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفا، ومن أصحاب على سبعة آلاف، وقيل: خمسة آلاف. وقال العلامة الذهبى: قتل بينهما ثلاثون ألفًا[٢]. وكانت يوم الخميس[٣] لعشرٍ خلون من جمادى الأولى سنة ست وثلاثين المذكورة، قتل فيها المشاهير: طلحة بن عبيد الله القرشى التيمى أحد العشرة المبشرة، وهو أول قتيل يوم الجمل بعد مسلم الجهنى الذى أمره على أن يدعو القوم بالمصحف إلى ما فيه فرمى بسهم فقتل[٤]، وقد ذكرنا أن مروان من جيش طلحة والزبير، وأنه القاتل له بسهم رماه به. وقال مجالد عن الشعبى قال: رأى على - رضى الله عنه - طلحة ملقى قتيلًا، فنزل فمسح التراب عن وجهه

(١) ينظر المحاسن والمساوئ ص (٤٤).
(٢) نقل الذهبي هذا القول عن السدي، ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٤٨٤).
(٣) في تاريخ الإسلام: وكانت الوقعة يوم الجمعة.
(٤) تقدم قريبا، وتقدم رثاء أمه إياه.

ولحيته وهو يترحم عليه ويقول: ليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة[١]. ثم قال: عزيز عليَّ أبا محمد أن أراك مجدلاً فى الأودية. ثم قال: إلى الله أشكو عُجَرى وبُجرى. قال الأصمعى: معناه: سرائرى وأحزانى[٢]. ولها معانٍ أخر مذكورة فى اللغة. وقال الليث عن طلحة بن مصرف: فدفنا طلحة على شاطئ « الكلاء » بالمدّ والتشديد، وهو مرسى المراكب، فرآه بعض أهله فى المنام يقول له: ألا ترى ؟ نجونى من هذا الماء قد غرقت - ثلاث مرات يقولها - فنبشوه فإذا هو أخضر كأنه السلق، فنزحوا عنه الماء فاستخرجوه، فإذا ما يلى الأرض من لحيته ووجهه قد أكلته الأرض، فاشتروا له دارًا من دور أبى بكرة بعشرة آلاف فدفنوه بها[٣].

ومِمَّن قتل فيها محمد بن طلحة، وكان زاهدًا عابدًا، صالحًا دينًا قوامًا. ذكر ابن سعد أن محمد بن طلحة بن عبيد الله تقدم فأخذ بخطام الجمل، فحمل عليه رجل، فقال له: أذكرك حاميم، فطعنه فقتله، ثم قال: [من الطويل]

وَأَشْعَثَ قَوَّامٍ بِآيَاتِ رَبِّهِ قَلِيلِ الأَذَى فِيمَا تَرَى العَين مُسْلِمِ
هَتَكْتُ لَهُ بالرُّمْحِ جَيْبَ قَمِيصِهِ فَخَرَّ صَرِيعًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ
يُذَكِّرُنِى « حَامِيمَ » والرُّمْحُ شَاجِرٌ فَهَلاَّ تَلاَ « حَامِيمَ » قَبْلَ التَّقَدُّمِ
عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ تَابِعًا عَلِيًّا وَمَنْ لاَ يَتْبَعِ الْحَقَّ يَنْدَمِ

فسار على ليلته فى القتلى معه النيران، فمر بمحمد بن طلحة هذا قتيلاً فقال لابنه الحسن: يا حسن، محمد السجّاد ورب الكعبة! ثم قال: أبوه صرعه هذا المصرع، ولولا بره بأبيه ما خرج. فقال له الحسن: ما كان أغناك عن هذا يا أبت ؟! فقال: ما لى ولك يا حسن[٤].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ١١٣) رقم (٢٠٢) ، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٧٢-٣٧٣) من طريق ليث عن طلحة بن مصرف أن عليا رضي الله عنه انتهى إلى طلحة . . . فذكره وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٥٣): إسناده حسن . وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١/ ٣٧): مرسل وينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٥٢٧-٥٢٨) .

(٢) ينظر سير أعلام النبلاء (١/ ٣٦)، وتاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٥٢٧) .

(٣) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٥٢٨) .

(٤) ينظر الاستيعاب ترجمة رقم (٢٣٦٢)، وطبقات ابن سعد (٥/ ٤٠-٤١)، ومستدرك الحاكم (٣/ ٣٧٥)، وتاريخ الطبري (٤/ ٥٢٦) والبداية (٧/ ٢٧١)، وتاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٤٨٨- ٤٨٩)، ومروج الذهب (٢/ ٣٧٤) .

وممن قتل حُكيم بن جبلة العبدى، كان متدينًا عابدًا، شريفًا مطاعًا بطلاً، وهو أحد من سار إلى الفتنة وألَّب على عثمان، وهو من جماعة على، ولم يزل يقاتل حتى قطعت رجله فأخذها وضرب بها الذى قطعها فقتله، ثم أخذ يقاتل ويقول: [من منهوك الرجز]

يَـا سَـاقُ لَـنْ تُـرَاعِـي   إِنَّ مَـعَـى ذِرَاعِـي
أَحْـمِـى بِـهِ كُـرَاعِـي

حتى نزفه الدم فاتكأ على المقتول الذى قطع رجله فمر به رجل فقال: من قطع رجلك ؟ فقال: وسادتى هذه. ثم أتاه [سحيم الحدّانى][1] فقتله. وذكر المدائنى أنه رأى رجلا مصلم الأذنين، فسأله عن قصته، فذكر أنه خرج يوم الجمل ينظر القتلى، فنظر إلى رجل منهم يخفق رأسه وهو يقول: [من الطويل]

لَقَدْ أَوْرَدَتْنَا أُمُّنَا حَوْمَةَ الرَّدَى   فَلَمْ نَنْصَرِفْ إلاَّ وَنَحْنُ رِوَاءُ
أَطَعْنَا بَنِى تَيْم لِشِقْوَةِ جَدِّنَا   وَمَا تَيْمُ إلاَّ أَعْبُدٌ وَإِمَاءُ

فقلت: سبحان الله!! تقول هذا عند الموت، قل لا إله إلا الله. فقال يا بن اللخناء، أتأمرنى بالجزع عند الموت ؟ فوليت عنه متعجبًا، فقال: ادن منى لقنّى الشهادة، فصرتُ إليه فلما قربت منه استدنانى، ثم التقم أذنى فذهب بها، فجعلت ألعنه وأدعو عليه، فقال: إذا صرت إلى أمك فقالت لك: من فعل هذا بك ؟ فقل: عمير بن الأهلب الضبى، مخدوع المرأة التى أرادت أن تكون أمير المؤمنين[2].

ثم كانت فى سنة سبع وثلاثين وقعة « صفين »؛ اسم مكان كانت به الوقعة. وذلك أن سيدنا عليًا - كرم الله وجهه ورضى الله عنه - وَجَّه جرير بن عبد الله ﷺ وهو المقول فيه: [من الرجز]

لَوْلاَ جَرِيرٌ هَلَكَتْ بَجِيلَهْ   نِعْمَ الفَتَى وَبِئْسَتِ الْقَبِيلَهْ[3]

إلى معاوية، وقد كان الأشتر النخعى حذر عليًا من إرساله جريرًا وخوفه من

---

(١) في ط: مسجم الجذامي، والتصويب من تاريخ الإسلام، وسير الأعلام وينظر تاريخ الطبري (٤/ ٤٧١)، والاستيعاب ترجمة رقم (٥٥٨)، وأسد الغابة (١٢٣٣)، وتاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٤٩٥)، والبداية والنهاية (٧/ ٢٦٠).

(٢) ينظر مروج الذهب (٢/٣٧٨-٣٧٩).

(٣) ينظر الاستيعاب ترجمة رقم [٣٢٦] ونقل ابن عبد البر قول عمر: ما مدح من هجا قومه.

ذلك، فقال جرير: ابعثنى فإنه لم يزل بى مستنصحًا ووادًا، فآتيه فأسأله أن يسلم إليك هذا الأمر، وأدعو الشام إلى طاعتك. فقال الأشتر لسيدنا على: لا تبعثه فوالله لأظن هواه هواهم ونيته نيتهم، فقال على: دعه حتى ننظر ما يأتى إلينا به، فبعث به، وكتب إلى معاوية يعلمه بمبايعة المهاجرين والأنصار واجتماعهم عليه، ونكث الزبير وطلحة وما أوقع الله بهما، وأمره بالدخول فى طاعته، وأعلمه أنه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة. فلما قدم عليه جرير دافعه وسأله الإقامة أيامًا، وقد كان كتب معاوية إلى عمرو بن العاص فقدم إليه، وأعطاه مصر طعمة، فأشار عمرو بالبعث إلى وجوه الشام، وأن يلزم عليًا دم عثمان ومقاتلته. فقدم جرير علىٰ على فأخبره خبرهم، واجتماع أهل الشام مع معاوية على قتاله، وأنهم يبكون على عثمان ويقولون: إن عليًا قتله، وإنهم لا بد لهم من قتاله حتى ينفوه ومن معه أو يعينهم، فقال الأشتر لعلى: قد كنت أخبرتك بعداوته وغشه، يعنى جريرًا، ولو أرسلتنى لكنت خيرًا من هذا الذى أرخى جناحه، وأقام حتى لم يدع بابًا يرجو معاوية فتحه إلا فتحه، ولا بابًا يخافه إلا غلقه. فقال له جرير: لو كنت ثم لقتلوك، لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان، فقال: لو رأيتهم والله يا جرير لم يعْينى جوابهم، ولا ثقل على خطابهم، ولحملت معاوية على خطة أعجلته فيها عن الفكر، ولو أطاعنى أمير المؤمنين فحَبَسك وأشباهك فى مجلس فلا تخرجون منه حتى تستقيم هذه الأمور. فخرج جرير إلى الرحبة من شَاطئ الفرات، وكتب إلى معاوية يعلمه بما نزل به، وأنه أحب مجاورته فكتب إليه معاوية يأمره بالمسير إليه، وبعث معاوية إلى المغيرة ابن شعبة يقول له: قد ظهر من رأى ابن أبى طالب وما كان تقدم من توعده لك فى طلحة والزبير، فما الذى بقى من رأيه فينا ؟[(١)]

وذكر يحيى بن عبيد قال[(٢)]: قال أبو مسلم الخولانى وجماعة لمعاوية: أأنت تنازع عليًا أم أنت مثله ؟ فقال: لا والله، إنى لأعلم أن عليًا أفضل منى وأحق بالأمر، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلومًا وأنا ابن عمه، وإنما أطالب بدمه ؟ فأتوا عليًا فقولوا له فليدفع إلي قتلة عثمان وأسلم له. فأتوا عليًا فكلموه بذلك فلم يدفعهم إليه[(٣)].

---

(١) ينظر تاريخ الطبري (٤/ ٥٦١)، والبداية والنهاية (٧/ ٢٨٢)، ومروج الذهب (٢/ ٣٨١) .
(٢) في تاريخ الإسلام: وحدثني يعلى بن عبيد ثنا أبي قال .
(٣) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص ٥٤٠ .

وحدث يحيى الجعفي أن معاوية قال لجرير بن عبد الله البجلى المذكور: اكتب إلى على أن يجعل لي الشام وأنا أبايعه. وقال: وبعث الوليد بن عقبة إلى معاوية يقول: [من الطويل]

مُعَاوِيَ إِنَّ الشَّامَ شَامُكَ فَاعْتَصِمْ   بِشَامِكَ لاَ تُدْخِلْ عَلَيْنَا الأَفَاعِيَا
وَحَامِ عَلَيْهَا بِالْقَنَابِلِ وَالْقَنَا   وَلاَ تَكُ مَحْبُوسَ الذِّرَاعَيْنِ دَانِيَا
فَإِنَّ عَلِيًّا نَاظِرٌ مَا لِجَيْشِهِ   فَأَهْدِ لَهُ حَرْبًا تُشِيبُ النَّوَاصِيَا[١]

وعن جابر الجعفى، عن الشعبى قال: لما ظهر أمر معاوية دعا على - رضى الله عنه - رجلاً وأمره أن يسير إلى دمشق فيعقل راحلته على باب المسجد ويدخل بنية السفر؛ ففعل الرجل، فسألوه: من أين جئت ؟ قال: من العراق. قالوا: ما وراءك ؟ قال: تركت عليًّا قد حشد إليكم ونهد فى أهل العراق. فلما بلغ الخبر معاوية نودى: الصلاة جامعة، وامتلأ المسجد، فصعد معاوية المنبر فتشهد ثم قال: إن عليًّا قد نهد إليكم فى أهل العراق، فما الرأى ؟ فضرب الناس بأذقانهم إلى صدورهم، ولم يرفع أحد طرفه إليه، فقام ذو الكلاع الحميرى فقال: عليك امْرَأْىُ [يعنى الرأى] وعلينا امْفِعَالُ- يعنى الفعال - فنزل معاوية ونودى فى الناس: اخرجوا إلى عسكركم، ومن تخلف بعد ثلاث أخل بنفسه. فخرج رسول على حتى وافاه فأخبره بذلك، فأمر على فنادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن رسولى الذى أرسلته إلى الشام قد قدم على، وأخبرنى أن معاوية قد نهد إليكم فى أهل الشام، فما الرأى ؟ فقال أهل المسجد: يا أمير المؤمنين، الرأى كذا، الرأى كذا. فلم يفهم على كلامهم من كثرة من تكلم وكثرة اللغط، فنزل وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب بها ابن أكالة الأكباد - يعنى معاوية[٢]- فسار على وكان مسيره من الكوفة إلى صفين لخمس خلون من شوال سنة ست وثلاثين، واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عمر الأنصارى، واجتاز على المدائن ثم الأنبار، ثم سار حتى نزل الرقة، وسار معاوية من الشام فسبق عليًّا إلى صفين، فالتقوا بصفين؛ فكانت وقعة « صفين » لسبعٍ بقين

(١) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٥٣٩) .
(٢) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٥٤٠-٥٤١) .

من المحرم من سنة سبع وثلاثين، وشبَّت الحرب بينهم أول صفر من السنة المذكورة[١]، وكان على ميمنة على الأشعث بن قيس الكندى، وعلى الميسرة عبيد الله بن العباس، وعلى الرجالة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى فقتل يومئذ، ومن أمراء على الأحنف بن قيس التميمى، وعمار بن ياسر، وعدى بن حاتم الطائى، والأشتر مالك بن الحارث النخعى، وعمرو بن الحمق الخزاعى، وشبث[٢] ابن ربعى الرياحى، وسعيد بن قيس الهمدانى؛ فكان رئيس همدان، والمهاجر بن خالد بن الوليد المخزومى، وغيرهم. فكان على فى خمسين ألفًا، وقيل: تسعين ألفًا. وقيل: مائة ألف، وكان على ميمنة معاوية عمرو بن العاص، وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهرى، وعلى الخيل عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وكان لواؤه مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومى، ومن أمرائه أبو الأعور السلمى، وزفر بن الحارث، وذو الكلاع الحميرى، ومسلمة بن مخلد، وبسر بن أرطاة العامرى، وحابس بن سعد الطائى، ويزيد بن أبى هبيرة السكونى، وغيرهم. وكان معاوية فى سبعين ألفًا، وقيل: فى مائة ألف وعشرين ألفًا، فاقتتلوا أيامًا[٣]، ووقع القتال وعليٌ على بغلة رسول الله ﷺ وهو يقول: رضى الله عنه: [من الرجز]

مِنْ أَيِّ يَوْمَىَّ مِنَ المَوْتِ أَفِرّ   أَيومَ لَمْ يُقَدَّرَ امْ يَوْمَ قُدِرْ

وحمل وحملوا معه؛ فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض، وعلى لا يمر بفارس إلا قده وهو يقول: [من الرجز]

أَضْرِبُهُمْ وَلاَ أَرَى مُعَاوِيَهْ
الأَمْرَةَ الْعَيْنِ الْعَظِيمَ الْحَاوِيَهْ
تَهْوِى بِهِ فِى النَّارِ أُمٌّ هَاوِيَهْ

وقيل: إن الشعر لبديل بن ورقاء الخزاعى[٤].

قال الزهرى: اقتتلوا أيامًا حتى قتل خلق كثير، قتل من أهل الشام خمسة وأربعون ألفًا، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفًا، واقتتلوا قتالاً لم تقتَتِل هذه الأمة مثله

(١) ينظر مروج الذهب (٢/ ٣٨٤).
(٢) فى ط: شبيب والمثبت من تاريخ الإسلام.
(٣) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص ٥٤١-٥٤٢ وينظر تاريخ خليفة ص ١٤٦-١٤٧.
(٤) ينظر مروج الذهب (٢/ ٣٩٦).

قط، وغلب أهل العراق على قتلى حِمص، وغلب أهل الشام على قتلى أهل العالية[(١)]. وفى كتاب « المحاسن والمساوى » كتب أمير المؤمنين يوم صفين إلى معاوية بن أبى سفيان: ما لك تقتل الناس بيننا ؟ ابرز إليَّ، فإن قتلتنى استرحت منى، وإن قتلتك استرحت منك. فقال له عمرو: أنصفك الرجل فابرز إليه، قال: كلا يا عمرو، أردت أن أبرز إليه فيقتلنى وتثب على الخلافة بعدى ؟ قد علمت قريش أن ابن أبى طالب أشدها وأسدها، ثم أنشأ يقول : [من الكامل]

يَا عَمْرُو قَدْ أَسْرَرْتَ تُهْمَةَ غَادِرٍ ... بِرِضَاكَ لِى تَحْتَ العَجَاجِ بِرَازِي

مَا لِلْمُلُوكِ وَلِلْبِرازِ وَإِنَّمَا ... حَتْفُ المُبَارِزِ خَطْفَةٌ مِنْ بَازِي

إِنَّ الَّذِى سَوَّلْتَ نَفْسَكَ طَالِبًا ... قَتْلِى جَزَاكَ بِمَا نَوَيْتَ الْجَازِي

فَلَقَدْ كَشَفْتَ قِنَاعَهَا مَذْمُومَةً ... وَلَقَدْ لَبِسْتَ لَهَا ثِيَابَ الحَازِي

فأجابه عمرو بقوله [من الوافر]

مُعاوِيَ إِنَّنِى لَمْ أَجْنِ ذَنْبًا ... وَمَا أَنَا بِالَّذِى يُدْعَى بِحَازِي

فَمَا ذَنْبِى بِأَنْ نَادَى عَلِيٌّ ... وَكَبْشُ الْقَوْمِ يُدْعَى لِلْبِرَازِ

فَلَوْ بَارَزْتَهُ لَلَقِيتَ قِرْنًا ... حَدِيدَ النَّابِ سَهْمًا ذَا اعْتِزَازِ

أَجُبْنًا فِى العَشِيرَةِ يَا بن هِنْدٍ ... وَعِنْدَ البَاهِ كَالتَّيْسِ الحِجَازِي[(٢)]

ثم إن معاوية أقسم على عمرو بمبارزة على؛ فبرز، فلما التقيا سل على سيفه فكشف عمرو ثوبه عن عورته وقال: مكره أخاك لا بطل، فحول على - رضى الله عنه - وجهه عنه، وقال: قبحت[(٣)]. قال السهيلى: جاء عمرو بن العاص إلى معاوية فقال له: إن عمار بن ياسر قد قتل، قال معاوية: فماذا ؟ قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: « تقتلك الفئة الباغية ». فقال معاوية لعمرو: رحضت فى بولك، أنحن قتلناه ؟ إنما قتله الذى أخرجه. فبلغ قوله عليًا فقال: إذًا ما قتل حمزة إلا النبى ﷺ؛ لأنه الذى أخرجه[(٤)].

---

(١) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٥٤١).

(٢) ينظر المحاسن والمساوئ ص (٤٨) وذكره المسعودي في مروج الذهب (٢/ ٣٩٧) دون الشعر.

(٣) ينظر مروج الذهب (٢/ ٣٩٧).

(٤) أخرجه عبد الرزاق (١١/ ٢٤٠) رقم (٢٠٤٢٧)، ومن طريقه أحمد (٤/ ١٩٩) عن معمر عن =

واختلط الناس بالناس، وبطل النبل، وقصفت الرماح، وأجنهم الليل، وتنادوا بالشعار، وتكادم القوم؛ فكان يعتنق الفارسان فيقعان فى الأرض جميعًا عن فرسيهما[١]. قلت: التكادم: التعاضض، من الكدم، وهو العض.

وفى ليلة الجمعة - وهى ليلة الهرير - كان جملة من قتله عليّ فى يومها وليلتها خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلًا، أكثرهم فى اليوم، وكان إذا قاتل رجلًا لم يكن يضرب إلا قتل. وانكسفت الشمس، وتقطعت الألوية والرايات، ولم يعرفوا مواقيت الصلاة؛ فقال معاوية لعمرو: هات مخبآتك وأدركنا مما نحن فيه، ولك مصر طعمة. فقال: ناد فى العسكر برفع المصاحف، فنودى فوجد فى العسكر أكثر من خمسمائة مصحف، فأمر برفعها على الرماح وأن ينادوا: بيننا وبينكم كتاب الله.

وفى ذلك يقول النجاشى بن الحارث : [من الطويل]

فَأَصْبَحَ أَهْلُ الشَّامِ قَدْ رَفَعُوا القَنَا عَلَيْهَا كِتَابُ اللهِ خَيْرُ قرَانِ

وَنَادَوْا عَلِيًّا: يَابن عَمِّ مُحَمَّدٍ أَمَا تَتَّقِى أَنْ يَهْلِكَ الثَّقَلَانِ

فلما رأى أهل العراق ذلك؛ قالوا: نجيب إلى كتاب الله، وأحب القوم الموادعة، وقال لعلى كثير من أصحابه: قد أعطاك معاوية الحق، دعاك إلى كتاب الله فاقبل منه. وكان أشد القوم فى ذلك الأشعث بن قيس الكندى؛ فقال على: يأيها الناس، إنه لم ينزل بى من أمركم ما أحب حين قدحتكم الحرب، وقد - والله - أخذت منكم وتركت، وإنى كنت بالأمس الأمير فأصبحت اليوم مأمورًا، وقد أحببتم البقاء[٢]. قال الأعمش: حدثنى من رأى عليًا يوم صفين يصفق بيديه، ويعض على إبهامه، ويقول: يا عجبا أعصى ويطاع معاوية!![٣] فقال له الأشتر: يا أمير المؤمنين، إن معاوية لا خلف له من رجاله، ولك بحمد الله الخلف، ولو كان له مثل رجالك لما كان له مثل صبرك ولا نصرك، فاقرع الحديد بالحديد واستعن بالله. فقال الأشعث: يا أمير المؤمنين، إنا لك اليوم على ما كنا بالأمس، وليس ندرى كيف

= طاوس عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه به وينظر طبقات ابن سعد (٣/ ١٩١). وينظر تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين ص ٥٧٨ .

(١) ينظر مروج الذهب (٢/ ٣٩٩) .

(٢) ينظر مروج الذهب (٢/ ٣٩٩-٤٠٠) .

(٣) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص ٥٤١ .

يكون غدًا، وقد والله فل الحديد وكلت البصائر - وتكلم بكلام كثير - ولكن إن شئت أتيتُ معاوية فسألته ما يريد ؟ قال على: اذهب إليه. فأتاه فقال له معاوية: نرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله فى كتابه، تبعثون رجلاً منكم ترضون به وتختارونه، ونبعث رجلاً منا، ونأخذ عليهما العهد والميثاق أن يعملا بكتاب الله. فصوب الأشعث قوله. وذهب إلى عليٍّ؛ فقال أكثر القوم: رضينا وسمعنا وأطعنا. فاختار أهل الشام عمرو بن العاص، وقال الأشعث ومن ارتد بعد ذلك إلى رأى الخوارج: رضينا نحن بأبى موسى الأشعرى. فقال على: عصيتمونى أوّلاً فلا تعصونى الآن؛ إنى لا أرتاح إلى أبى موسى. فقال الأشعث: لا نرضى إلا أبا موسى. قال على: ويحكم ليس هو بثقة، فعل كذا وكذا، وقد فارقنى وخذل الناس عنى ثم هرب شهرًا حتى أمنته، ولكن هذا عبد الله بن عباس. فقال الأشعث وأصحابه: والله لا يحكم فينا مضريان. قال على: فالأشتر. فقالوا وهل أشعل ما نحن فيه إلا الأشتر. فقال على: فاصنعوا ما أردتم وافعلوا ما بدا لكم. فبعثوا إلى أبى موسى وأفهموه بالقضية، وقيل لأبى موسى: قد اصطلح الناس، فقال الحمد لله. قيل: وقد جعلوك حكمًا، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون[1]. فافترقوا بعد أن صيروا الأجل إلى شهر رمضان من العام القابل على اجتماع الحكمين فى موضع عدل بين الكوفة والشام يسمى « دومة الجندل »، وكان الوقت الذى كتبت فيه الصحيفة بالرضا بالحكمين لأيام بقين من صفر سنة سبع وثلاثين، وقرأ الأشعث الصحيفة على الناس مارًا بها فرحًا وسرورًا؛ فقال عروة بن أدية: أتحكِّمون يا أشعث فى دين الله وأمره ونهيه الرجال ؟ لا حكم إلا لله. وهو أول من قالها، ونبذ سيفه على الأشعث فهمز فرسه عن الضربة فأصابت عجز الفرس، ونجا الأشعث. وفى فعل عروة بالأشعث يقول رجل من تميم: [من الخفيف]

سَلَفَتْ إِنَّمَا تَكُونُ فُتَيْنَه[2] — غروُ يَا عروَ كُل فِتْنَة قَوْم

فَاحْذَرَنْ غِبَّ مَا صَنَعْتَ عريَّهْ — ثَمَّ تَنْمُو وَيَعْظُمُ الْخطْبُ فِيهَا

جِ حَمَلْتَ السِّلاَح يابن أديَّهْ — أَعَلَى الأَشْعَثِ المعصبِ بِالتَّا

(١) ينظر مروج الذهب (٢/ ٤٠٠-٤٠٢) وليس فيه قول على: إني لا أرتاح إلى أبي موسى وينظر تاريخ الطبري (٥/ ٩١)، والبداية والنهاية (٧/ ٣٠٦) .

فانْظُرِ اليَوْمَ مَا يقُولُ عليٌّ   واتَّبِعْهُ فَذَاكَ خَيْرُ البَرِيهْ[(١)]

عن صعصعة بن صوحان قال: خرج يوم صفين رجل من أصحاب معاوية يقال له: كريز بن الصباح الحميرى، فوقف بين الصفين وقال: من يبارز ؟ فخرج إليه رجل من أصحاب على فقتله، فوقف عليه فقال: من يبارز ؟ فخرج إليه آخر من أصحاب على فقتله وألقاه على الأول، فقال: من يبارز ؟ فخرج إليه الثالث فقتله وألقاه على الأولين وقال: من يبارز ؟ فأحجم الناس عنه، وأحب من كان فى الصف الأول أن يكون فى الآخر، فخرج إليه عليٌّ على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء فشق الصفوف، فلما انفصل منها نزل عَنِ البغلة وسعى إليه فقتله، وقال: من يبارز ؟ فخرج إليه رجل آخر فقتله وألقاه على الأول، ثم قال: من يبارز ؟ فخرج إليه رجل فقتله وألقاه على الأولين ثم قال: من يبارز ؟ فخرج إليه آخر فقتله وألقاه على الثلاثة، ثم قال: يأيها الناس، إن الله عز وجل يقول: ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ولو لم تبتدئوا هذا ما ابتدأناه. ثم رجع إلى مكانه.

عن ابن عباس وقد سأله رجل أكان على يباشر القتال يوم صفين ؟ فقال ابن عباس: والله ما رأيت رجلاً أطرح لنفسه فى متلف من على، ولقد كنت أراه يخرج حاسر الرأس بيده السيف إلى الرجل الدارع فيقتله. أخرجها الواحدى. ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى، عن ابن الأغر التميمى قال: بينا أنا واقف بصفين إذ مرَّ العباس بن ربيعة بن الحارث بن المطلب مكمل فى سلاحه، وعيناه تبرقان من تحت المغفر كأنهما شعلتا نار أو عينا أرقم، وبيده صفيحة يمانية يقلبها والمنايا تلوح فى شفرتيها، وهو على فرس صعب. فبينما هو يبعثه ويلين من عريكته، إذ هتف به هاتف من صف معاوية يقال له: عزاز بن أرقم لزهل الشامى: يا عباس، هلم إلى النزول. قال فنزل العباس إلى الشامى وهو يقول: [من البسيط]

اللهُ يَعْلَمُ أنَّا لاَ نُحِبُّكُمُ   وَلا نَلُومُكُم إذْ لَمْ تُحِبُّونَا

ثم زحف كل منهما إلى صاحبه، وكفَّ الفريقان عنهما ينظرون ما يكون من الرجلين فتكافحا بسيفيهما نهارهما، لا يصل واحد منهما إلى صاحبه لكمال لأمته،

(١) ينظر مروج الذهب (٢/ ٤٠٣-٤٠٤)، وتاريخ الطبري (٥/ ٥٥) .

إلى أن لحظ العباس فتقًا فى درع الشامى فأهوى إليه بيده وهتكه إلى ثندوته، ثم عاد لمجاولته وقد انفرج له بعض الدرع فضربه العباس ضربة انتظم بها جوائح صدره؛ فحول وجهه وكبر الناس تكبيرة ارتجت الأرض من تحتهم بها، فإذا قائل يقول ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ [التوبة: ١٤] الآية. قال ابن الأغر: فالتفتُّ فإذا على بن أبى طالب، فقال لى: يا بن الأغر من المبارز لعدونا ؟ قلت ابن أخيكم، هذا العباس بن ربيعة، فقال على للعباس: ألم أنهك وعبد الله بن عباس أن تحلا بمركز كما لو تناشر آخرنا ؟ قال العباس: إن ذلك كما قلت. قال على: فما عدا مما بدا ؟ قال العباس أفأدعى إلى البراز باسمى فلا أجيب ؟ فقال عليٌّ: طاعتك إمامك أولى من إجابة عدوك. وتغيظ واستطار، ثم تطامن وسكت ورفع يديه مبتهلاً وقال: اللهم اشكر للعباس واغفر ذنبه. وتأسف معاوية على عزاز بن أرقم ثم قال: ألا رجل شرى نفسه يطلب بدم عزاز ؟ فانتدب له رجلان من لخم من أهل البأس من صناديدهم، قال: فاذهبا فأيكما قتل العباس فله مائة أوقية من التبر، ومثلها من اللجين، وبعددها من برود اليمن؛ فأتياه فدعواه للبراز وصاحا بين الصفين: يا عباس اخرج إلى الداعى، فقال العباس: إن لى سيدًا أريد أوامره، فأتى عليًا وهو فى جناح الميمنة يخوض الناس فأخبره الخبر، فقال على: والله لود معاوية أنه ما بقى من بنى هاشم نافخ ضرمة إلا طعن فى بطنه؛ إطفاءً لنور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. ثم قال: يا عباس، ناقلنى سلاحك بسلاحى؛ فناقله على، ووثب على فرس العباس، وقصد اللخميين فلم يشكا أنه العباس، فقالا له: أذن لك صاحبك ؟ فحرج أن يقول نعم؛ فقال: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ﴾ [الحج: ٣٩] الآية، وكان العباس أشبه الناس فى جسمه وركوبه بعلى - رضى الله تعالى عنه - فبرز له أحدهما فكأنما أخطأ رأسه، ثم برز الآخر فألحقه بالأول، ثم أقبل يقول: ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٤] الآية، ثم قال: يا عباس، خذ سلاحك وهات سلاحى، فإن عاد لك أحد فعد لى. ونمى الخبر إلى معاوية. فقال: قبح الله اللجاج، وما ركبته قط إلا خذلت، فقال عمرو بن العاص: المخذول - والله - اللخميان، فقال له معاوية: اسكت أيها الرجل؛ فليس هذا من شأنك، قال عمرو: فإن لم يكن الله رحم اللخميين ولا أراه يفعل، قال معاوية: ذاك

والله أضيق لحجتك، وأخسر لصفقتك، قال عمرو: قد علمت ذلك، ولولا مصر وولايتها لركبت المسحاة عنها؛ فإنى أعلم أن ابن أبى طالب على الحق، وأنا على هذه، فقال له معاوية: مصر والله أعمتك، ولولا مصر لألفيت بصيرًا. وكان مع على من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ألفان وثمانمائة، قتل منهم خمسة وعشرون صحابيًا.

ولما تفرقوا - على إلى الكوفة ومعاوية إلى الشام - كثر اختلاف الكلمة بين أصحاب على، وتفاوت الرأى، وعدم انتظام الأمور، وتبرأ الأخ من أخيه، وتضارب القوم بنعال السيوف، وقيل بالنعال، وتسابوا، ولام كلٌّ الآخرَ. ولما وصل على الكوفة انحاز عنه ستة آلاف، وقيل اثنا عشر ألفًا من القوم وغيرهم؛ فنزلوا « حَرَوْرَاء »، قرية من قرى الكوفة، وجعلوا شبيب بن ربعى التميمى عليهم، فخرج إليهم علىّ وأدخلهم جميعًا الكوفة، فجعلوا ينادون عليًا وهو على المنبر: جزعت من البلية، ورضيت بالقضية، وقبلت الدنية، لا حكم إلا لله. فقال على: حكم الله انتظم فيكم، فيقولون: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر: ٦٥] الآية، فيقول على - رضى الله عنه -: ﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم: ٦٠].

* * *

فهرس موضوعات الجزء الثانى

* * *